

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مشاركون في التصحيح:

خليل سمعان

شربل الخوند جورج سليم

الناشر: إصدار خاص

سن-الفيل - القلعة

ص.ب: ٥٥٥٨٦ بيروت-لبنان

هاتف: ٤٩٣٢٩٦ (٠١)

طبع في لبنان

مَسْعُودُ الْخَوْنَد

القَارَات . الْمَنَاطِق . الدَّوَل . الْبُلْدَان . الْمُدُن

الموسوعة التاريخية الجغرافية

مَعَالِم . وَثَائِق . مَوْضُوعَات . زُعَمَاء

الجزء الثاني عشر

العالم الاسلامي - العربية السعودية

مقدمة

تفتقر المكتبة العربية، في ما تفتقر إليه، إلى الموسوعات والمعاجم، وكل أنواع أدوات البحث على اختلافها ووسائل الايضاح على أشكالها.

ففي اللغات الأجنبية، خاصة الأوروبية الغربية منها، موسوعات عامة، وأخرى للشخصيات السياسية أو العلمية أو للأثنين معاً، وللمواضيع وللغنون وللآداب والعلوم على أنواعها، وقد تكون لعصر من العصور وبلد من البلدان أو لكل العصور والبلدان، بما فيها البلدان العربية. فالبلدان العربية، مفردة أو مجتمعة، بالكاد تنتج موسوعة أو قاموساً، وعادة يأتي هذا الانتاج متخلفاً عن متابعة آخر ما يستجد، وبطريقة سريعة ومتسرعة، وكأنما الكسب المادي هو الهدف والوسيلة في آن معاً.

وما يؤسف له أن العمل الموسوعي يقتضي دعم المؤسسات الحكومية أو الجامعية أو الثقافية أو المؤسسات الإقليمية العربية. ولكن، لا شيء من هذا القبيل قد تحقق أو في طريقه للتحقق، بسبب صراعات المصالح داخل الاوطان العربية، وداخل مؤسسات الجامعة العربية.

وتزداد أهمية نشر الموسوعات، مع قيام أجيال جديدة من الشبان، تفتقر، بسبب مناهجها التربوية، أو طرائق التعليم في مدارسها، إلى الثقافة الواسعة والمعمقة في آن معاً. ولعل انكباب الشبان على البرامج الترفيهية والرياضية ما ساعد على ضحالة ثقافتها وهشاشتها، ناهيك عما تساهم به الأنظمة السياسية من تكبيل للفكر وللروح العلمية والمنهج النقدي وللرؤيا الموضوعية للأمور.

الاتجاه الموسوعي للكتابة، خاصة عن المعارف التاريخية والجغرافية يرقى إلى بداية تكوين الامبراطوريات الكونية في التاريخ، تلك الامبراطوريات التي فرضت حضارتها على أجزاء كبيرة من العالم، خاصة منذ عهد الاسكندر المقدوني، ثم بصورة جلية في عهد الامبراطورية الرومانية. هذا الاتجاه إلى التأريخ الكوني اتخذ أبعاده الحقيقية مع انتشار الدين المسيحي الذي كانت رسالته، بعكس الديانات الأخرى، رسالة مسكونية.

وقد حذا الدين الاسلامي حذو المسيحية في توجهه الكوني، وسيطر هذا الاتجاه على الاعمال التأريخية والجغرافية في القرون الوسطى. وقد أعطت الحضارة الاسلامية-العربية في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر موسوعات جغرافية وتاريخية وادارية شملت ما كان معروفاً في ذلك الزمان، وكانت على قدر كبير من الأهمية كمصدر استعلامات.

انتقل الانتاج الموسوعي من الشرق إلى الغرب، بسبب عصور الانحطاط هنا والنهضة الكبرى هناك، ووصل إلى أوجه مع عصر الموسوعات في القرن الثامن عشر.

كان الاتجاه إلى الموسوعات ولید الرغبة بتنشئة مثال إنساني عالمي متكامل الثقافة السياسية والفكرية والأدبية والفنية والعلمية على الطريقة والأنموذج الأوروبي الغربي. كان هناك شعور بأن الانسان هو الانسان مهما اختلف في الدين والجغرافيا واللون. ولذلك، كان لا بد من تهيئة الأجواء لولادة هذا الانسان الكوني عبر إعطائه ثقافة إنسانية شاملة مميزة.

و. (لياس) القطار

أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية

ولكن، في الوقت الذي كان فيه الاتجاه الموسوعي يشرق ويتفاعل في أوروبا ويهيء للثورة الفرنسية، كان العلم باكتشافاته وإنجازاته يخترق حجاب الجهول ويُبدع معجزات منذ القرن التاسع عشر. هذا الجو المفعم بالاختراعات خلق مناخاً عاماً على كل صعد العلوم والأفكار والآداب يدعو إلى التخصص المعتمد في حقل من الحقول وميدان من الميادين. وقد انتشر هذا الاتجاه التخصصي وأصبح القاعدة في الانتاج في أي ميدان من الميادين، ونتج عنه تخصصات على صعيد التاريخ والجغرافيا في مواضيع متعددة وفي زمان ومكان محددين، مما أثمر هذا الانتاج المميز والدقيق والعميق وهذا الكشف عن الحقائق وعن أبسط التفاصيل المتعلقة بحياة الانسان.

هذا الاتجاه التخصصي لا يلغي، إطلاقاً، الحاجة إلى الأعمال الموسوعية. فالتخصص هو الرافد الأساسي للعمل الموسوعي الذي يصبح بدوره الاداة التي تنقل إنتاج الخاصة من العلماء إلى العامة من الناس؛ فهو الوسيلة الفضلى لتعميم المعرفة.

من هذا المنطلق، سعى الاستاذ مسعود الخوند، بعد ما تدرّب على تأليف ونشر المعاجم التاريخية إلى إصدار «الموسوعة التاريخية الجغرافية»، ناقلًا فيها إلى القارئ باللغة العربية آخر ما استجدّ من معلومات عن الوقائع والحدثان والمعالِم والموضوعات والاعلام والأماكن والقارات والمناطق والدول والبلدان والمدن... وهو في موسوعته هذه، يسعى إلى جمع عدة منهجيات لصياغة الموسوعات العالمية في منهجية واحدة، هدفها تحقيق أشمل استقصاء متنوع للمعلومات، وترتيبها في أوجه متنوعة، الغاية منها، دفع القارئ بوسائل عدة إلى التقاط المعلومة التي يبحث عنها. فهو يبدأ بالتعريف بالموضوع ببطاقة معلومات موجزة ثم يتوسع في شرح الوقائع التاريخية بطريقة شاملة موجزة ومعقدة. ولا يكفي بهذا القدر من الشروحات بل يعرّد لتقليب المعلومات بطريقة جديدة متوقفاً عند المعالِم الجغرافية من دول ومناطق ومدن من النواحي العسكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ثم يضع قاموساً للاعلام وللمصطلحات وللعديد من المفردات التي ترمز إلى واقعة أو حدث أو صفة مما كان له صدى تاريخي.

الجزء الثاني عشر من هذه الموسوعة يعالج مسائل ومواضيع نخصنا بتسوية مباشرة أو غير مباشرة. فموضوعه المعالِم الاسلامي بجغرافيته ومسائله الفكرية ودوله ومنظّماته ومسألة الحوار الاسلامي-المسيحي، كما أن من مواضيعه المعالِم الثالث والعالم العربي والعراق والمملكة العربية السعودية بتاريخ كل من هذه العوالم وهاتين الدولتين، وهواجسها ومشاكلها ومعالمها وزعمائها.

وهو في هذا الجزء كما في الأجزاء السابقة ينحت معلوماته من صميم الموسوعات العالمية والمجلات الوثائقية والجرائد والمصنفات التي تعنى باستقصاء الحدث بصورة دقيقة وموضوعية.

لقد عني مسعود الخوند بتقديم مادة موسوعية دقيقة واضحة معمقة موضوعية في أسلوب واضح وبليغ، وهو في ذلك يقدم للقارئ باللغة العربية نتاجاً على مستوى الموسوعات العالمية، حتى أنه يضاهيها في ما يقدمه من معلومات عن دول وبلدان مغمورة لا تحيط بها الموسوعات العالمية بعمق وبفهم لواقعها ولمسائلها الخاصة بها.

فهرست

مقدمة: و.الياس القطار..... ٤

العالم الاسلامي..... ١٧

المسلمون في العالم

نظرة عامة

التعداد ١٧- الأقليات المسلمة في العالم ١٧- الأقليات المسلمة في آسيا ١٧- الأقليات المسلمة في افريقيا ٢٠- الأقليات المسلمة في اوروبا ٢٣- الأقليات المسلمة في أستراليا ٢٤- الأقليات المسلمة في أميركا ٢٥- ميزتان عامتان ٢٥- المدن الاسلامية ٢٦.

الاسلام إزاء تجربتين أوروبيتين:

العلمنة والاندماج (مناقشة)

العلمنة: البانيا وليس تركيا ٢٧- الاندماج ٢٨.

دولة الاسلام

دولة قريش ٣١- دولة الاسلام الاولى ٣١- النبي محمد رسول الله ٣٢- دولة الاسلام

الثانية، الخلافة الراشدة ٣٥- دولة الاسلام بعد الخلافة الراشدة ٣٥- من دولة الاسلام إلى دول الاسلام ٣٦- دولة الاسلام مع العثمانيين ودول الاسلام بعدهم ٣٦- الجامعة الاسلامية ٣٧.

منظمة المؤتمر الاسلامي

الأصول القريبة للمنظمة ٣٨- التأسيس والدول الاعضاء ٣٨- الميثاق ٣٩- هيئات المؤتمر الاسلامي ٣٩- محكمة العدل الاسلامية الدولية ٤٠- لجنة القدس ٤٠- أجهزة متفرعة ومؤسسات متخصصة ٤١- مؤتمر قمة المنظمة الثامن، إعلان طهران ١٩٩٧ (٤٣)- المؤتمر الخامس والعشرون لوزراء خارجية المنظمة، بيان الدوحة ١٩٩٨ (٤٤).

تقويم (مناقشة) ٤٥

مسألة العضوية ٤٥- عمل المنظمة ٤٥- قمة طهران ٤٦.

الحوار الاسلامي-المسيحي

المنطلقات الأولى ٤٧.

الحوار في الوقت الراهن ٤٨

الاجمع الفاتيكاني الثاني ٤٨- نحو جعل الحوار مؤسسة مستدامة وراسخة ٤٨- مساحة فراغ حوارية قلصها مؤتمر بيروت ١٩٩٦ (٤٩)- الحوار الاسلامي المسيحي على المستوى الأوروبي ٥٠- إتفاق تاريخي بين الفاتيكان والأزهر ٥٢- التجاوب الاسلامي ٥٣- مناقشة: «حوار على إيقاعين» ٥٤.

العالم الثالث ٥٦

الأرقام أصادق التعريفات ٥٦

أرقام ديمغرافية ٥٦- أرقام صحية ٥٧- أرقام التمدرس ٥٧- أرقام البطالة ٥٨- أرقام الفقر ٥٨- أرقام التدهور البيئي ٥٨.
العالم الثالث: جذور ومآل أخير عبر القمة الأخيرة (١٩٩٨) لحركة عدم الانحياز ٥٩.

قضية ديون العالم الثالث ٦٠

نخطوط عريضة ٦٠- نموذج دول «النمور الآسيوية» مع الديون ٦٢- حالة اميركا اللاتينية (مناقشة) ٦٤.

العالم العربي.....٦٦ (الوطن العربي)

تعريفات ومقدمات تاريخية

الاسم: «العرب» و«العالم العربي» ٦٦- العرب ٦٦- الدولة العربية الاسلامية ٦٩- عصر
الانحطاط (مناقشة) ٦٩- معالم النهوض ٧٣- القوميون العرب ما بعد الحرب العالمية الثانية
٧٤.

جامعة الدول العربية

مقدمات التأسيس ٧٥- دور بريطانيا ٧٥- اتجاهات وحدوية ومبادئ ثنائية ٧٦- التأسيس
والميثاق ٧٦- العضوية والاعضاء ٧٧- أجهزة الجامعة الأساسية ٧٧- تعديل ميثاق الجامعة
والتغيرات الدولية ٧٨- نظرة على أهم أعمال مجلس الجامعة عبر دوراته الأخيرة وفي أجواء
جمود الجامعة وضياها ٧٩- المقاطعة العربية لاسرائيل ٨٠- الميثاق العربي لحقوق الانسان
٨٠- الاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب ٨٠- القمم العربية ٨٠- مؤسسة القمة العربية ٨٢.

تقويم (مناقشات) ٨٣

ابتعاد الجامعة عن التطلعات الرحدوية ٨٣- رغم فشل الجامعة «لم يبق لنا سواها» ٨٤-
جامعة الدول العربية في عصر العولة ٨٥.

قضايا وموضوعات

في السياسي ٨٨

خريطة التطرف والارهاب (مناقشة) ٨٨- الاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب ٩٠- الميثاق
العربي لحقوق الانسان ٩٠- المقاطعة العربية لاسرائيل ٩١- أول تجمع في نوعه «تحالف عربي
اسرائيلي من أجل السلام» (إعلان كوبنهاغن، ١٩٩٧) ٩٢- «حركة السلام» المصرية ٩٤-
ندوة بيروت الخاصة بـ«اليهود العرب: الجذور والتهجير» (مناقشة) ٩٥- الحوار العربي
الأوروبي ٩٧- الموقف العربي من معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية ٩٩.

موضوعات في العلم والتكنولوجيا ١٠٠

الوضع الحالي للجامعات العربية ١٠٠- التكنولوجيا والبحث العلمي (مقارنة مع اسرائيل)
١٠٠- العلماء والتكنولوجيون العرب في الخارج ١٠١- العولة تقدم فرصًا جديدة لتقدم
العلوم والتكنولوجيا في العالم العربي ١٠٣.

موضوعات في الاجتماع والاقتصاد والبيئة ١٠٤

عدد السكان ١٠٤ - الأمية ١٠٥ - الفقر والدخل الفردي والتنمية البشرية ١٠٥ - السكان والموارد الزراعية ١٠٧ - الماء والتصحر ١٠٧.

استنهاض العالم العربي يبدأه الانسان العربي (مناقشة) ١٠٨

١١١ العراق

بطاقة تعريف ١١٢

لبذة تاريخية

قديمًا ١١٤ - الحكم الفارسي ثم الهيليني ثم الروماني ١١٥ - معركة القادسية ١١٥ - الخلافة العباسية ١١٦ - الحكم العثماني ١١٩ - التغافل البريطاني إبان الحكم العثماني ١١٩ - السيطرة البريطانية المباشرة، الاحتلال ثم الانتداب ١٢٠ - من الثورة العراقية الكبرى إلى ١٩٨٠ (١٢٠) - حرب الخليج الأولى ١٢٠.

حرب الخليج الثانية (العراقية-الاميركية أساسًا والدولية فرعًا)

أسباب بعيدة ١٢١ - أسباب مباشرة ١٢١ - غزو الكويت ١٢٣ - القوات المتواجدة في ساحة المعركة والمواقف الدولية: ايران ١٢٤ - اسرائيل ١٢٤ - الفلسطينيون ١٢٤ - دول التحالف ١٢٤ - العمليات العسكرية ١٢٥ - الخسائر ١٢٦ - التلوث ١٢٦ - قرارات الأمم المتحدة ١٢٦ - حرب الخليج الثانية «حرب معلومات خادعة» (مناقشة) ١٢٧.

ما بعد الحرب: العراق تحت الحصار الدولي ١٢٨

١٩٩١ (١٢٨) - ١٩٩٢ (١٢٨) - ١٩٩٣ (١٢٨) - ١٩٩٤ (١٣٠) - ١٩٩٥ (١٣١) - ١٩٩٦ (١٣١) - ١٩٩٧ (١٣٢) - ١٩٩٨ (١٣٣) - القضايا المركزية في قرارات مجلس الأمن: الحصار، الحدود، العسكرية والتعويضات ١٣٧ - العلاقات العراقية الخليجية ١٣٨.

الأحزاب

في العهد الملكي من ١٩٢١ إلى ١٩٥٨ (١٤٢) - حزب البعث العربي الاشتراكي ١٤٤ - حزب الشيوعي العراقي ١٤٤ - الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ١٤٨ - الأحزاب والحركات الاسلامية ١٤٩ - أحزاب المعارضة قبل حرب الخليج الثانية ١٥١ - أحزاب المعارضة بعد حرب الخليج الثانية ١٥٢ - الأحزاب الكردية ١٥٤.

أقليات

تمهيد («عناصر وحدة العراق أقوى») ١٥٤ - اليهود ١٥٥ - الصابئة (المندائيون) ١٥٦ - اليزيديون ١٥٨ - الآشوريون (والكلدان) ١٥٩ - التركمان ١٦٢.

کردستان العراق

نظرة عامة ١٦٣ - نبذة تاريخية ١٦٤ - بعد الحرب العالمية الأولى ١٦٥ - من الأربعينات إلى ١٩٧٠ (١٦٧) - بيان ١١ آذار ١٩٧٠ واتفاق الجزائر ١٩٧٥ (١٦٧) - أثناء حرب الخليج الأولى ١٦٨ - في أعقاب حرب الخليج الثانية: كرونولوجيا أهم الأحداث ١٦٩ - يهود كردستان وعلاقات كردية اسرائيلية ١٧٢.

معالم تاريخية

الاتحاد العربي الهاشمي ١٧٥ - الآشوريون اليوم ١٧٦ - الثورات العراقية ١٧٦ - ثورة العشرين ١٧٦ - حلف بغداد ١٧٧ - سكة حديد برلين بغداد ١٧٧ - الصحافة في العراق ١٧٩ - الضباط الأحرار (العراق) ١٨٠ - الضباط الشريفيون ١٨١ - مجازر كركوك ١٨٢ - مجازر الموصل ١٨٢ - مسألة شط العرب ١٨٢ - مسألة الموصل ١٨٤ - المعاهدات العراقية البريطانية ١٨٥ - الملكية في العراق ١٨٦ - مؤتمر القاهرة ١٨٧ - ميثاق العمل القومي المشترك ١٨٨ - النفط العراقي، البداية والتأميم ١٨٨ - «الهاشميون العائدون» (مناقشة) ١٨٩.

مدن ومعالم

تمهيد

علم الآثار (الأركيولوجيا) ١٩٢ - ما يريده الغرب من هذه التسميات: بلاد ما بين النهرين والشرق الأوسط والشرق الأدنى ١٩٢.

آثار العراق: مآل كارثي يستدعي ورشة عالمية علمية وحضارية للانقاذ ١٩٤ - أربيل ١٩٧ - إربيلو (أبو شرين) ١٩٨ - آشور ١٩٨ - أكد ١٩٨ - الأهوار ١٩٩ - أور (تل المقيبر) ٢٠٢ - أوروك (ورقة) ٢٠٢ - بابل (وشريعة حمورابي) ٢٠٢ - البصري ٢٠٤ - بعقوبا ٢٠٦ - بغداد ٢٠٦ - تكريت ٢٠٩ - تل العبيد ٢٠٩ - تل المقيبر ٢٠٩ - جمدت نصر ٢٠٩ - حصن الأخيضر ٢١١ - الحضر ٢١١ - الحلة ٢١١ - نخانات القوافل والقيساريات ٢١٣ - خورسباد ٢١٣ - دور شروكين ٢١٣ - دور كوريكالزو ٢١٣ - الرصافة ٢١٣ - زارلو ٢١٣ - الزقورات (الأبراج) ٢١٣ - سامراء ٢١٤ - سلمان بك ٢١٥ - سنجار ٢١٥ - سومر ٢١٦ - شادويم ٢١٧ - شط العرب ٢١٧ - شفاتا ٢١٧ - طيسفون ٢١٧ - عقرقوف ٢١٧ - عين التمر (وحصن الأخيضر) ٢١٨ - الفساو ٢١٨ - الكاظمية ٢١٩ - كربلاء ٢١٩ - كركوك ٢٢٢ - الكوفة ٢٢٢ - المدائن ٢٢٣ - الموصل ٢٢٥ - النجف ٢٢٦ - نفر ٢٢٨ - نمرود (كالخ) ٢٢٨ - نيبور (نوفار أو نفر) ٢٢٩ - نينوى ٢٢٩ - هيت ٢٣١ - واسط ٢٣١ - ورقة ٢٣٢.

زعماء، رجال دولة وسياسة

أحمد حسن البكر ٢٣٢- باسل رؤوف الكبيسي ٢٣٣- برزان ابراهيم التكريتي ٢٣٤- بكر
 صدقي ٢٣٤- جعفر أبو التمن ٢٣٤- جعفر العسكري ٢٣٥- جميل المدفعي ٢٣٦-
 حكمت سليمان ٢٣٦- حميد مجيد موسى ٢٣٧- رشيد عالي الكيلاني ٢٣٧- زكي نجري
 ٢٣٨- ساطع الحصري ٢٤٠- سعدون حمادي ٢٤٠- صالح جبر ٢٤١- صدام حسين
 ٢٤١- صلاح الدين الصباغ ٢٤٣- طارق عزيز ٢٤٤- طالب النقيب ٢٤٤- طه الهاشمي
 ٢٤٤- طه ياسين رمضان ٢٤٥- عارف عبد الرزاق ٢٤٦- عبد الإله بن علي ٢٤٦- عبد
 الأمير الأنباري ٢٤٧- عبد الرحمن عارف ٢٤٧- عبد الرحمن النقيب ٢٤٨- عبد السلام
 عارف ٢٤٨- عبد الكريم قاسم ٢٤٩- عبد المحسن السعدون ٢٥٠- عبد الوهاب الشواف
 ٢٥١- عزت ابراهيم الدوري ٢٥١- عزيز الحاج علي حيدر ٢٥٢- عزيز محمد ٢٥٢- علي
 جودت الأيوبي ٢٥٣- علي صالح السعدي ٢٥٣- غازي بن فيصل، الملك ٢٥٣- فاضل
 الجمالي ٢٥٤- فهمي سعيد ٢٥٥- فيصل الأول، الملك ٢٥٥- فيصل الثاني، الملك ٢٥٧-
 كامل الجادرجي ٢٥٧- كامل شبيب ٢٥٨- محمد مهدي كبي ٢٥٨- محمد مهدي
 الجواهري ٢٥٨- محمود سلمان ٢٥٨- مصطفى البرزاني ٢٥٨- معروف الرصافي ٢٥٩-
 نوري السعيد ٢٦٠- ياسين الهاشمي ٢٦٠- يوسف بن نعمان السويدي ٢٦١- يوسف
 سلمان (الملقب فهد) ٢٦١.

٢٦٢ العربية السعودية، المملكة

بطاقة تعريف ٢٦٢

لبذة تاريخية

التكون الجيولوجي ٢٧١- التاريخ القديم ٢٧١- الألف الثالث والثاني ق.م. ٢٧٢- الألف
 الأول ق.م. ٢٧٢- من الميلاد إلى ظهور الاسلام ٢٧٤- الاسلام ٢٧٦- حروب الردة
 ٢٧٦- غنائم ورفاهية ٢٧٧- علي ينتقل من المدينة إلى الكوفة ٢٧٧- الأمويون يحكمون
 الحجاز وباقي أنحاء شبه الجزيرة ٢٧٨- الخوارج ٢٧٨- القرامطة ٢٧٩- حكم الشريفيين
 لمكة ٢٨٠- البرتغاليون والبريطانيون والعثمانيون ٢٨٠.

السعوديون ٢٨٢

حالة شبه الجزيرة قبل ظهور الحركة الوهابية ٢٨٢- الأمراء السعوديون قبيل الوهابية وعند
 ظهورها ٢٨٢- محمد بن عبد الوهاب والوهابية ٢٨٣- الخلف ما بين الديني والسياسي (ابن
 عبد الوهاب وابن سعود) ٢٨٣- الشريفيون والدعوة الوهابية وآل سعود ٢٨٤- السلطنة
 العثمانية وآل سعود (الحملة المصرية على عسير) ٢٨٧- عبد الرحمن وعبد العزيز في الكويت

٢٨٨- العودة المظفرة والدولة السعودية الثالثة ٢٨٩ مشكلات حدود ومؤتمرات ٢٨٩
عبد العزيز يُسقط الحجاز ويضمه ٢٩٠ سياسة عبد العزيز داخلياً وخارجياً (١٩٢٦)
١٩٣١ (٢٩١).

المملكة العربية السعودية ٢٩٢

إعلان المملكة العربية السعودية وأولى المشكلات مع اليمن ٢٩٢ أسس عامة في سياسة عبد
العزيز ٢٩٣ اكتشاف البترول ٢٩٤ أسس الموقف السعودي البترولي ٢٩٦ المملكة إبان
الحرب العالمية الثانية ٢٩٧ مراسلات عبد العزيز وروزفلت واجتماعهما ٢٩٨ السموات
الآخيرة من عهد الملك المؤسس عبد العزيز ٣٠٠ حكم الملك سعود بن عبد العزيز ٣٠١
الأمير فيصل في الواجهة والمسؤولية ٣٠٢ حكم الملك فيصل ٣٠٣ نفوذ متعاضد للملك
فيصل (الحقبة السعودية) ٣٠٣ سلاح النفط والقدس في سياسة فيصل ٣٠٤ حكم الملك
نخلة بن عبد العزيز ٣٠٥ حكم الملك فهد بن عبد العزيز ٣٠٦.

كروولوجيا ١٩٨٧-١٩٩٨

ص ٣٠٧ إلى ص ٣١٥.

معالم تاريخية

الإخوان ٣١٥ الإخوان الجدد ٣١٩ اكتشاف السور ٣٢١ التبريم المحجري ٣٢١
الجيش ٣٢٢ الحاج عبد الله فيلبي، أشهر مؤرخي المملكة العربية السعودية ٣٢٣ الجمع
٣٢٥ الحملة المصرية على عسير ٣٢٨ «حادم الحرم» الشريف ٣٢٨ الصحابة في
المملكة العربية السعودية ٣٢٨ ماضي الملك فيصل العسرة ٣٣١ مشروع فهد للسلام
٣٣٢ مؤتمر الرياض (١٩٢٨) ٣٣٢ ميزات رئيسية ثلاث: مستقر أكثر تجمع من القبائل في
العالم، وأول وحدة حقيقية بعد صدر الإسلام، وافتتاح الدولة بالإسلام ٣٣٢ الصراع
الحديثي السعودي اليمني ٣٣٣.

مدن ومعالم

أبها ٣٣٧ أبو السعود ٣٣٨ الإحساء ٣٣٨ الأحود ٣٣٨ أعمدة الرحاحيل ٣٣٩
الباحة ٣٣٩ تاروت، قلعة ٣٤٠ تسوك ٣٤٠ نيماء ٣٤٠ نمود ٣٤٢ الحيل ٣٤٢
جدة ٣٤٤ الجوف ٣٤٥ حرملاء (حرملة) ٣٤٦ الحبر ٣٤٧ حبر ٣٤٧ الدرعية
٣٤٧ الدمام ٣٤٩ دومة الجندل ٣٤٩ الرينة ٣٤٩ رجال ٣٤٩ رفصات ٣٤٩
الرياض ٣٤٩ سوق عكاظ ٣٥٣ صالح ونمود ٣٥٣ الطائف ٣٥٣ الطوير ٣٥٣
الظهران ٣٥٦ عسير ٣٥٦ الفار ٣٥٦ القطيف ٣٥٧ الكعبة الشريفة ٣٥٧ المحصر
٣٥٧ مدائن صالح ونمود ٣٦٠ المدينة المنورة ٣٦٠ مكة المكرمة ٣٦٢ المنطقة الشرقية
٣٦٨ نجران ٣٧٢ الرسوم ٣٧٢ بتر ٣٧٢ ببع ٣٧٢.

 زعماء، رجال دولة وسياسة

الأسرة المالكة ٣٧٤

الملوك

الأمير ولي العهد النائب الأول لرئيس الوزراء
الأمير النائب الثاني لرئيس الوزراء وزير الدفاع والطيران
الأمير وزير الخارجية

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ٣٧٧- سعود بن عبد العزيز آل سعود ٣٧٩-
فيصل بن عبد العزيز آل سعود ٣٨٠- خالد بن عبد العزيز آل سعود ٣٨٢- فهد بن عبد
العزيز آل سعود ٣٨٣- عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ٣٨٥- سلطان بن عبد العزيز آل
سعود ٣٨٦- سعود الفيصل ٣٨٧.

وزراء وشخصيات سياسية ٣٨٧

أحمد زكي اليماني ٣٨٧- جميل مراد بارودي ٣٨٧- حسن عبد الله آل شيخ ٣٨٨- سليمان
عبد العزيز السليم ٣٨٨- عبد العزيز عبد الله الخويطر ٣٨٨- عبد الله محمد العمران ٣٨٨-
علوي درويش كيال ٣٨٨- غازي القصيبي ٣٨٨- كمال أدهم ٣٨٨- محمد ابراهيم
مسعود ٣٨٩- محمد أبر الخيل ٣٨٩- محمد عبده اليماني ٣٨٩- هشام الناظر ٣٨٩.

العالم الاسلامي

المسلمون في العالم نظرة عامة

التعداد: قدرت أنسكلويدا بريثانيكا، في ١٩٨٢، عدد المسلمين في العالم بـ ٥٨٨ مليوناً. وفي ١٩٩٥، أخذت أغلب المصادر والمراجع، من أجنبية أو عربية أو إسلامية، تقدر العدد بنحو مليار نسمة، ووصلت أخيراً (١٩٩٧-١٩٩٨) بتقديره بنحو مليار وربع مليار نسمة، وتشير إلى أنه سيبلغ أكثر من مليارين في العام ٢٠٢٠، أي سيمثل نحو ٢٧٪ من إجمالي سكان العالم الذي سيبلغ نحو ٨،٦ مليار نسمة.

وتكلم الدراسات على أن متوسط معدل الولادات في العالم الاسلامي تصل إلى ٢٤ بالآلاف، وإلى ٣٤ بالآلاف لدى مسلمي العالم الثالث، وإلى ١٣ بالآلاف لدى مسلمي البلدان الصناعية.

عن اعتناق الدين الاسلامي، في الوقت الحاضر، أوجز الكتاب السنوي الفرنسي Quid (١٩٩٤) الظاهرة بقوله أن الاسلام لا يزال يتقدم في افريقيا السوداء على حساب المسيحية منذ بدء زوال الاستعمار، وإن اعتناق السود المسيحيين للاسلام ظاهرة متكررة، كما أن الذين يشبهون إسلامهم من أصحاب المعتقدات الإحيائية (أديان أصلية في افريقيا وبعض المناطق الآسيوية كما في عدد من جزر غيطة الهاديء وغيرها) هم أكثر من الذين يتحولون إلى المسيحية:

«l'Islam progresse en Afrique Noire, au détriment du Christianisme depuis la décolonisation. Les conversions des Noirs Chrétiens à l'Islam sont fréquents. Les conversions d'Animistes se font plus vers l'Islam que vers le Christianisme».

الأقليات المسلمة في العالم: إذا كان المسلمون

يشكلون الأقليات المتزاوجة بين الأكثرية العددية المطلقة التي تبدأ من نسبة ٥١٪ من إجمالي السكان، وبين الأكثرية الساحقة التي تصل إلى ٩٩٪ في الدول العربية والإسلامية، فإنهم يتواجدون أيضاً بصورة أقليات كبيرة أو متوسطة أو صغيرة في معظم دول العالم.

عن هذه الأقليات لمحة موجزة نقدمها استناداً إلى كتاب «الأقليات المسلمة في العالم» (المملكة العربية السعودية، وزارة الاعلام-الاعلام الخارجي، نشر وتوزيع دار أريجة للنشر والتوزيع، مصدراً بكلمة توجيهية من «خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، الثلاثاء ١١/شوال ١٤١٢ هـ جدة)، مع ملاحظة أن الإحصائيات الواردة فيه تعود إلى قبيل انهيار جدار برلين والاتحاد السوفياتي:

الأقليات المسلمة في آسيا: يصل عدد المسلمين في آسيا بما يقرب من ٧٥٢ مليون نسمة منهم ٤٧٠ مليوناً يعيشون في الاقطار الاسلامية أي بنسبة ٦٣٪ تقريباً من إجمالي عدد المسلمين في آسيا، بينما يقدر عدد المسلمين الذين يعيشون في أقطار غير إسلامية بأكثر من ٢٨٢ مليوناً أي بنسبة ٣٧٪ من مجموع مسلمي آسيا.

- في الهند، يعيش أكثر من ١٢٠ مليون مسلم، أي نحو ١٥٪ من مجموع السكان. وكان انتشار الاسلام في الهند نتيجة الفتح الاسلامي عن طريق بحر العرب إلى البنغال، وفي السواحل انتشر الاسلام نتيجة التجارة والدعوة، ثم تعمق في الداخل أثناء حكم المسلمين للهند وانتقال الدعوة في مناطقها المختلفة. وفي الهند أعداد من الهيئات والجمعيات الاسلامية، وتعتبر الجامعة الاسلامية في «عليكرة» من أهم الجامعات العصرية بالاضافة إلى الجامعة الاسلامية في دلهي.

- في نيبال، نحو ٦٠٠ ألف مسلم، أي ٤٪ من مجموع السكان، وكان الاسلام انتشر فيها ببطء شديد ومجهودات السلطان شمس الدين حاكم البنغال، بالاضافة إلى البعثات الاسلامية في عهد الاميراطور المغولي المسلم.

- في سرى لانكا، نحو مليون و ٨٠٠ ألف مسلم (١٠٪ من مجموع السكان). ويطلق على معظم المسلمين فيها اسم «الموروز»، وأغلبهم يعمل في فلاحية الارض وزراعتها (راجع «سرى لانكا»، ج ٩).

- في بورما، نحو ٧ ملايين مسلم (١٧،٣٪ من مجموع السكان). ودخل الاسلام بورما عن طريق التجار المسلمين وخاصة العرب حيث اقاموا محطات تجارية لهم على طول المناطق الساحلية الواقعة في الطريق إلى الصين. ومن المسلمين في بورما جماعة «الروهنجيون» الذين يتعرضون لتصفية منظمة إسا بالقتل أو التشريد، وقد فرّ أكثر من ٦٠٠ ألف لاجئ إلى بنغلادش (راجع «بورما»، ج ٥).

- في تايلاند، ٧،٧ مليون مسلم من مجموع ٥٥ مليون نسمة. ويتجمع المسلمون في منطقتين رئيسيتين: فطاني وبانكوك. وعرفت تايلاند الاسلام عن طريق التجار العرب الذين أسسوا دولة مستقلة في فطاني (جنوبي تايلاند على حدود ماليزيا). وأدبجت فطاني مع تايلاند في اوائل هذا القرن، وتنشط فيها حركة تحرير اسلامية لإعادة السلطة الاسلامية عليها (راجع، «تايلاند»، ج ٦).

- في كمبوديا، أكثر من مليون مسلم (٣،٥٪ من مجموع السكان). قضى الشيوعيون على عدد كبير منهم، كما فرّ قسم منهم إلى مناطق مختلفة في جنوب شرقي آسيا مثل ماليزيا وأندونيسيا، وكادت تغلو من المسلمين. وهامت الحكومة الشيوعية المساجد عام ١٩٧٠. وعندما استولى الخمير الحمر على السلطة في ١٩٧٥، بدأوا في سلسلة من المذابح للمسلمين. واعترفت وكالة الأنباء الكمبودية في ايلول ١٩٨٠ بأن معظم أبناء الاقلية الاسلامية في كمبوديا قد تعرضوا للإبادة في ظل حكم بول بوت.

... في فيتنام، كان يسكنها أكثر من مليوني مسلم (نحو ٣٪ من مجموع السكان)، ولكن ضاعت هذه النسبة مع الزمن، «وذلك بفعل وحشية الشيوعية التي كانت بالمرصاد تقف في وجه الاسلام لتحاول القضاء عليه في كل مكان الأمر الذي جعل عددهم يقل مع الأيام في فيتنام حتى انقطعت أخبارهم نهائيًا بعد حوادث القتال والمعارك الدامية المشهورة في فيتنام (المقصود الحرب الفيتنامية الشهيرة) ولم يتبق من آثار المسلمين إلا مسجداً أحدهما في هانوي عاصمة الشمال والآخر في سايفون عاصمة الجنوب».

- في سنغافورة، نحو ٥٤١ ألف مسلم (٢٠٪ من

بمجموع السكان). انتشر الاسلام فيها مع انتشاره في شبه جزيرة الملايو وأندونيسيا. ثمة مشكلة أساسية تتمثل في قلة علماء الدين الاسلامي، وحفظ القرآن قاصر على جهود المجلس الاسلامي بسنغافورة وتدرّس اللغة العربية بجهود بعض المنظمات الاسلامية.

- في الصين، أكثر من ٩٥ مليون مسلم (١٠٪ من مجموع السكان) (راجع «الصين»، ج ١١).

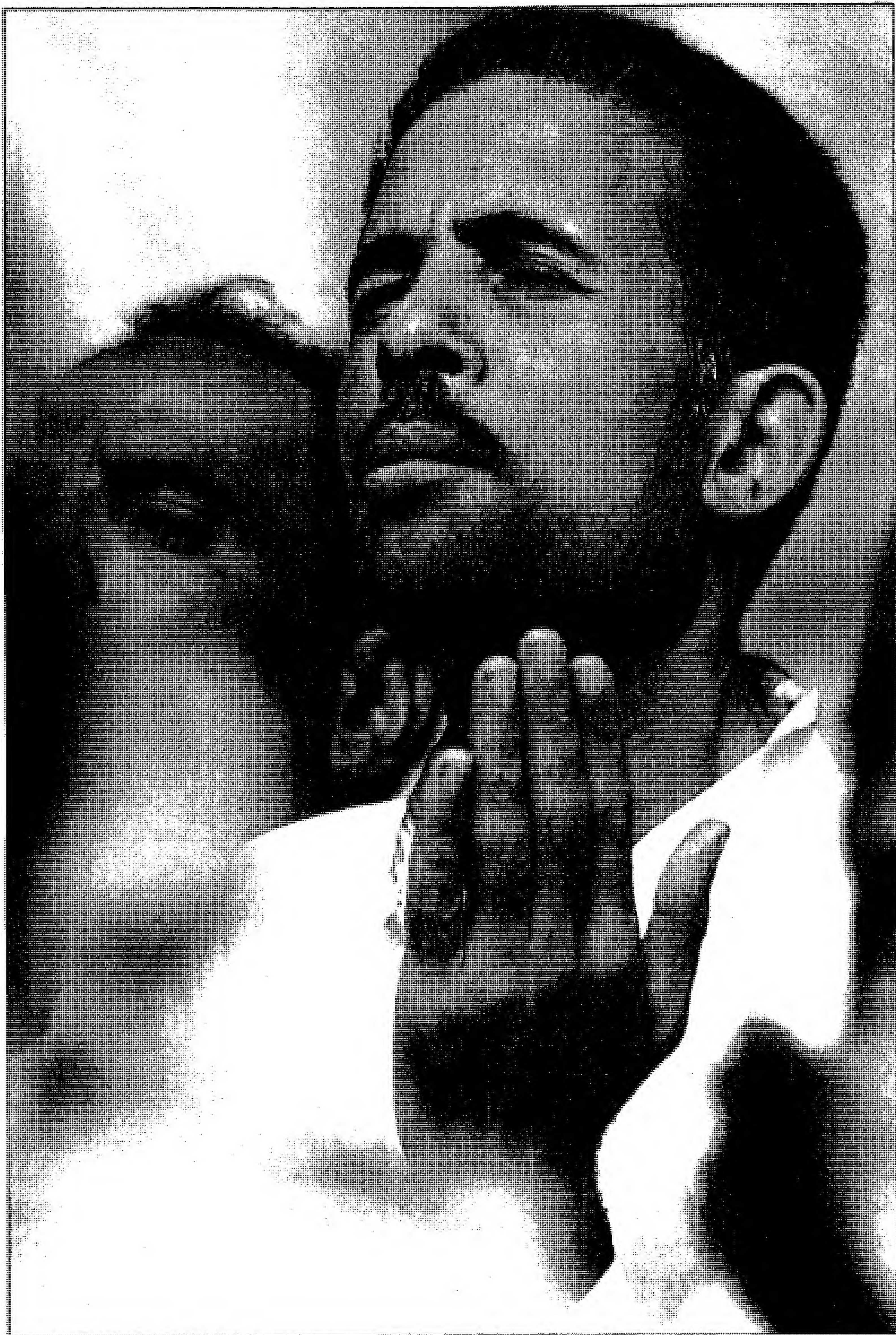
- في تايوان، نحو ٥٦ ألف مسلم، ويرجع دخولهم إلى هذه الجزيرة إلى هجرة حوالي ٢٠ ألف مسلم من الصين فارين من الحكم الشيوعي. والمسلمون في تايوان لهم وضع خاص مميز عن بقية البلاد حيث يشارك ٢٧ عضواً منهم في المجالس التشريعية، ويتمتعون بوضع اقتصادي أفضل من غيرهم.

- في التبت، نحو ٢٠٠ ألف مسلم (١٠٪ من مجموع السكان).

- في كوريا، جاء دخول الاسلام إليها متأخرًا، وكان على يد فرقة تركية شاركت في القوات الدولية لدعم كوريا الجنوبية في حربها ضد كوريا الشمالية. وكان إمام هذه الفرقة الشيخ عبد الرحمن الذي استطاع ان ينشر الاسلام بين عدد قليل من السكان. وعدد المسلمين في كوريا اليوم نحو ٣٠ ألفًا، تتجمع أغليبتهم في مدينة سيول العاصمة ولهم فيها مسجد، وساهمت المملكة العربية السعودية في إقامة الجامعة الاسلامية الكورية.

- في الفيليبين، نحو ٧،٥ مليون مسلم (١٢٪ من مجموع السكان). كانت التجارة هي العامل الرئيسي لدخول الاسلام، ولم يأت القرن العاشر إلا للمسلمين عدة إمارات هناك. قاوموا الاستعمار الإسباني. وفي الحرب العالمية الثانية، قاوموا احتلال اليابان. عُرف المسلمون في الفيليبين باسم «المورو»، ويزداد وجودهم في الجزر الجنوبية من البلاد، ويتكلمون لغتين تعرفان بلغة «المورو» وتكتبان بالاحرف العربية. وتعد العربية اللغة الثانية بعد الانكليزية التي لا تزال اللغة الرسمية في البلاد كلها. وكانت المملكة العربية السعودية ومنظمة المؤتمر الاسلامي في مقدمة الجهات التي كان لها دور إيجابي ومهم في إقناع الحكومة الفيليبينية بضرورة إيجاد حل سياسي يكفل منع استمرار القتال، وشكلت لجنة تسمى اللجنة الرباعية منبثقة من منظمة المؤتمر الاسلامي ضمت كلاً من المملكة العربية السعودية وليبيا والصومال لمتابعة ما يتعلق باتفاقية طرابلس وتنفيذ بنودها لمنح الحكم الذاتي للمسلمين في «مندناو».

- في اليابان، نحو ٧٠ ألف مسلم. وصل الاسلام



إلى اليابان عن طريق رجل تناري اسمه ابراهيم أرسله السلطان عبد الحميد تنفيذاً لرغبة امپراطور اليابان ليتعرف الشعب الياباني على الاسلام. وعندما وصل ابراهيم التناري إلى اليابان استدعى بعض التار الذين يُعانون من اضطهاد الروس المختلين للبلاد وقربهم إليه، وأسلم أول رجل ياباني على يد ابراهيم واسمه كازاكا. ثم تابعت جهود الدعاة المسلمين في اليابان وازدهرت الدعوة الاسلامية في أعقاب الحرب العالمية الثانية بعودة الجنود اليابانيين إلى بلادهم، وكان بعضهم قد اعتنق الاسلام من المسلمين في أندونيسيا والملايو والمناطق الأخرى التي احتلتها اليابان.

فرَّ عدد من الصينيين إلى اليابان بعد سيطرة الشيوعيين على الصين (١٩٤٩)، ووصل عدد آخر من الدعاة من الهند وباكستان ومن جماعة التبليغ، وكان لهم أكبر الأثر في ازدهار الاسلام في اليابان. وپنتشر عدد لا بأس به من الجمعيات الاسلامية والمؤسسات في طوكيو، وكيوتو، وناروتو، وكوتشي. ومن أهم هذه الجمعيات والمؤسسات جمعية المؤتمر الاسلامي في طوكيو، وجمعية مسلمي اليابان والجمعية الخيرية الاسلامية. وبدأ الاهتمام بتعليم اللغة العربية في اليابان، وخاصة بعد ان أعدت الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية مكانة ممتازة في تجارة البترول، ولذلك عملت الشركات اليابانية على فتح فصول لتعليم اللغة العربية لموظفيها.

- في قبرص، نحو ١٢٨ ألف مسلم (١٩٪ من مجموع السكان). وصل الاسلام إلى قبرص عن طريق السراجل الاسلامية، واهتم معاوية بن ابي سفيان بها لتأمين الدول الاسلامية من اعتداءات الروم فأشرك في فتح قبرص عدداً من أصحاب رسول الله، من بينهم أبو ذر الغفاري وأبو الدرداء، ولذلك تضم قبرص قبراً لبعض الصحابة.

- وفي كشمير، نحو ١٢ مليون مسلم (٧٥٪ من مجموع السكان). دخل الاسلام كشمير في وقت متأخر بعد ان فتحها الشاه أمير عام ١٣٣٩. وبعد احتلال الإنكليز للهند سيطروا على كشمير وطردها حكام كشمير المسلمين، وباعوها إلى إقطاعي كبير هندي من منطقة جامو. يبلغ ٧٥ ألف روية. يعيش مسلمو كشمير في ظروف بائسة وسيئة للغاية نتيجة لاستخدام الهندوس طريقة الإبادة الجماعية لهم.

الأقليات المسلمة في أفريقيا: بدأ انتشار الاسلام في أفريقيا في المناطق الشرقية عن طريق التجارة والدعوة وإقامة المسالك والامارات الاسلامية على الاجزاء الساحلية الشرقية من القارة.

وعرف عن السفن التجارية قديماً انها كانت تنقل بين جنوبي جزيرة العرب وسواحل افريقيا الشرقية. وتمثل الأقليات المسلمة في هذا الجزء أكبر الأقليات، حيث يصل عددها إلى أكثر من ١٧ مليون نسمة وتكون نسبتها أكثر من ٥٥٪ من مجموع الأقليات المسلمة في افريقيا، وتوزع في خمس دول: كينيا، أوغندا، موزمبيق، ملاوي ومالاغاش (ماغشقر).

وفي وسط افريقيا، انتشر الاسلام بعد قيام دولة ماجد بن سعيد في شرقي افريقيا (القرن الثامن عشر) ونقل عاصمته إلى البر الافريقي في دار السلام بعد ان كانت في جزيرة زنجبار، وأنشأ المسلمون مراكز دائمة للدعوة والتجارة في الداخل بعد ما كانت مراكزهم على السواحل فقط. ثم سرعان ما دخل الاستعمار وسط افريقيا. ويصل عدد المسلمين في هذا الجزء من القارة ما يزيد على ٥ ملايين، أي ما يعادل ١٤٪ من مجموع الأقليات المسلمة في افريقيا، وتوزع في أربع دول: بروندي، رواندا، زائير (الكونغو الشعبية) والكونغو (الديمقراطية).

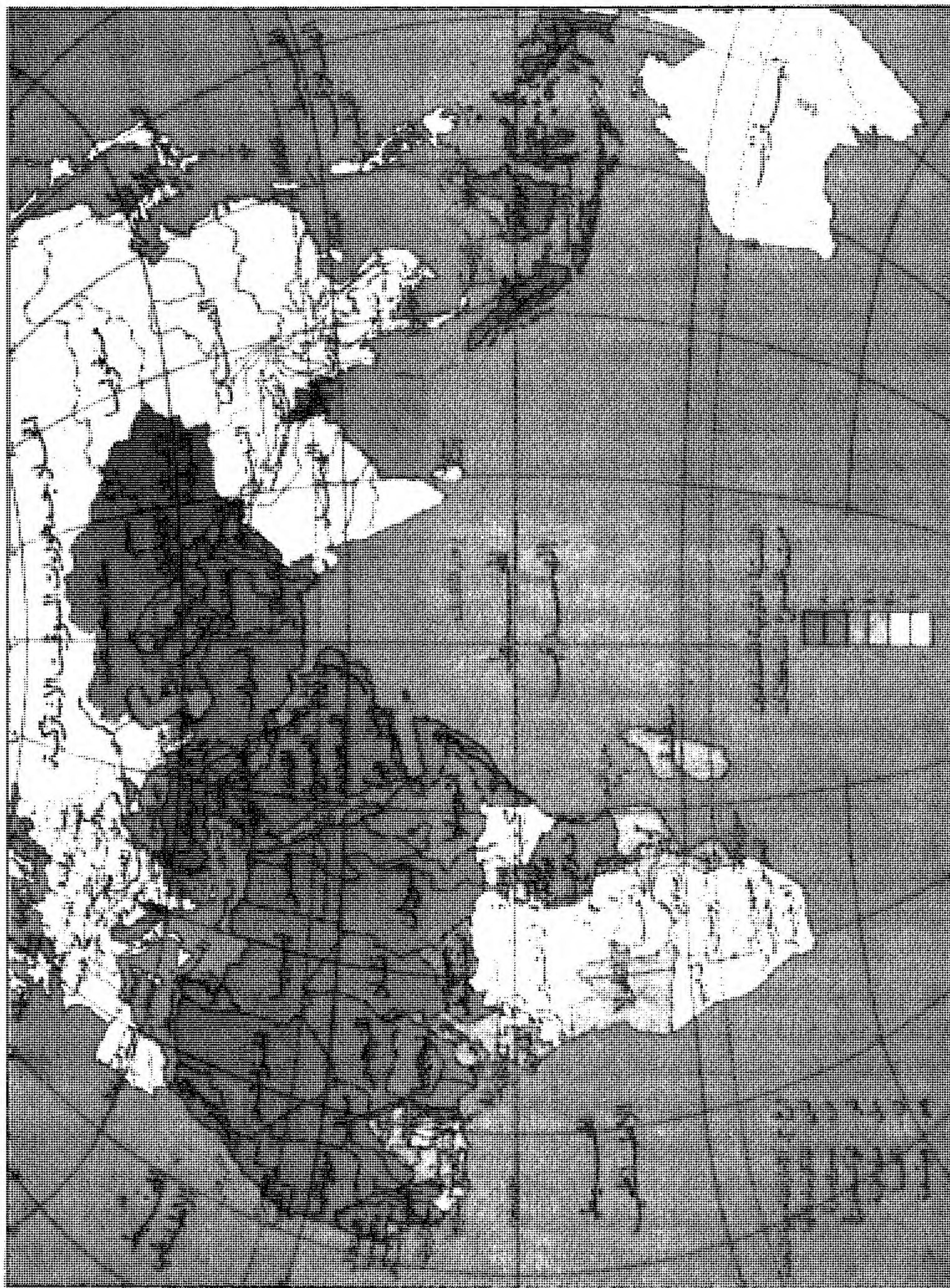
أما في الجزء الغربي من افريقيا، فكان الاسلام قد انتشر عن طريق الدعوة التي قامت بجهود دولة المرابطين التي قامت في المغرب، ثم بجهود الدول التي قامت في منطقة مالي ثم في دولة عثمان دونقديو والحاج عمر اللذان عملا على نشر الاسلام في العصر الحديث. والأقليات المسلمة في هذا الجزء تتوزع في أربع دول: غانا، الغابون، غينيا الاستوائية وليبيريا.

وأما في الجنوب، فيقل المسلمون هناك، وپنتشرون في لسان دول: أنغولا، زامبيا، زيمبابوي، سوازيلاند، بوتسوانا، ليسوتو، ناميبيا واتحاد جنوب افريقيا.

- في كينيا، يشكل المسلمون نحو ٣٥٪ من مجموع السكان البالغ نحو ٢٣ مليوناً. وتعد المدن الساحلية ذات صبغة إسلامية، وأشهرها مومباسا مالندي.

- في أوغندا، المسلمون نحو ٤ ملايين و ٤٠ ألف (نحو ٤٠٪ من مجموع السكان). تزايد انتشار الاسلام بعد تسلّم أحد المسلمين رئاسة الدولة وهو عيدي أمين. لكن بعد سقوطه، وتسلم جوزف عيسى، أحد زعماء التبشير، الحكم، «عمل على قتل أكثر من نصف مليون مسلم، وشرّد مثل ذلك وسكتت أجهزة الاعلام العالمية ووكالات الأنباء على هذه المذابح والفظائع» (راجع «أوغندا»، ج ٤).

- في موزمبيق، تصل نسبة المسلمين بين سكانها البالغ عددهم نحو ١٦ مليون نسمة إلى ٣٠٪. وأشهر



العالم الاسلامي (الخريطة موضوعة في اواخر الثمانينات).

عقيداتهم لو وجدوا اهتماماً بتثقيفهم».

- في ليبيريا، نسبة المسلمين ٣٠٪ من مجموع السكان، لكنهم لا يزالون، رغم دستور ١٩٨٠ الجديد الذي ينص على إقامة الجمهورية الثانية على أسس غير طائفية، يعيشون غرباء. إذ إن «الذي يسيطر على الحياة هناك من ينتمي لأعمدة ثلاثة لا غيرهم: المحفل الماسوني والكنيسة وحزب الاحرار «الهويج» ومن ثم لم يكن للمسلمين مكان في هذه التنظيمات الثلاثة».

- في غانا، نحو ٢ مليون مسلم (١٣٪ من مجموع السكان)، ويكثر الاسلام في قبائل الأشانتي.

- في غينيا الاستوائية، يعيش نحو ١٠٥ آلاف مسلم (٣٥٪ من مجموع السكان)، ويقيم أكثرهم في إقليم ريوموني، ويتنشر بين أكبر قبائل البلاد وهي قبيلة الغانج.

- في بوروندي، نحو مليون مسلم (٢٥٪ من مجموع السكان). ولم تعرف بوروندي الاسلام إلا في القرن ١٣ الهجري عن طريق العرب العثمانيين الذين جاءوا من شرقي الشارة الافريقية وكانت زنجبار هي صاحبة السلطة في هذه المنطقة (راجع «بوروندي»، ج ٥).

- في رواندا، نحو ٢٤٠ ألف مسلم (٦٪ من مجموع السكان) (راجع «رواندا»، ج ٨).

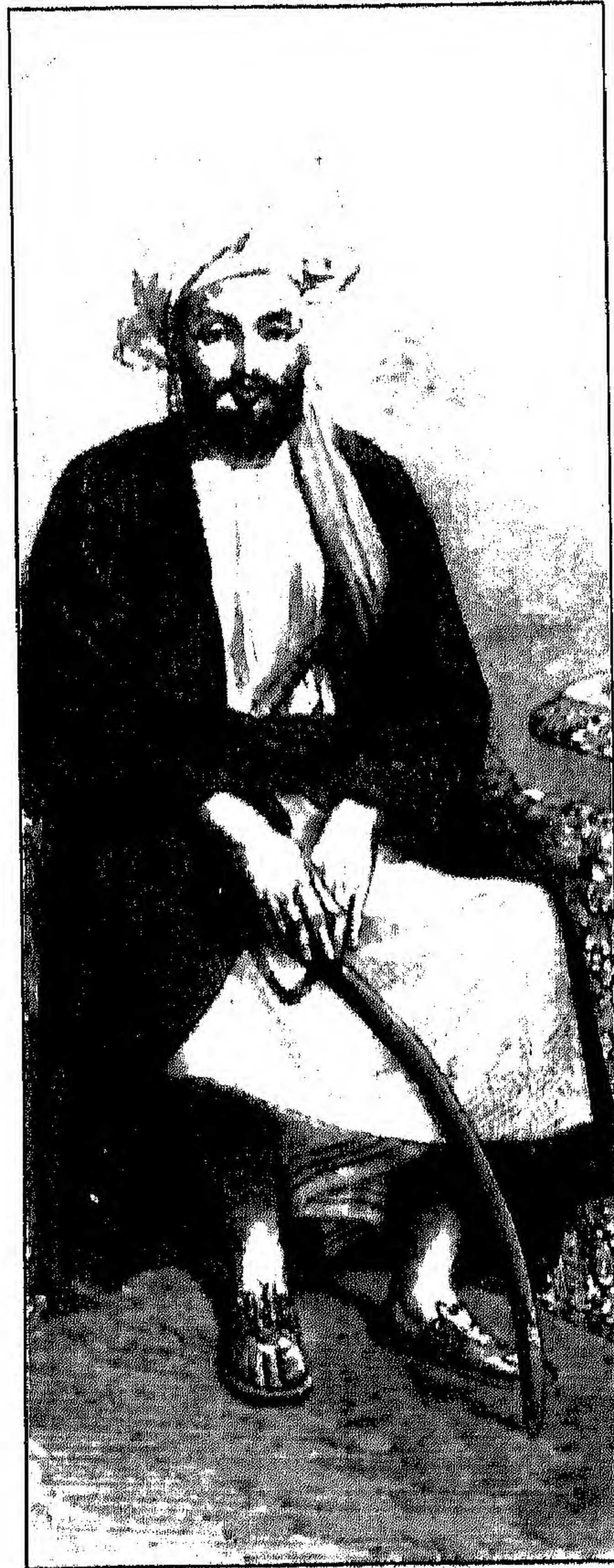
- في زائير (الكونغو الشعبية)، نحو ٣٠٥ مليون مسلم (١٠٪ من مجموع السكان) (راجع «زائير»، ج ٨).

- في الكونغو (الديمقراطية، الكونغو-برازافيل)، نحو ٩٠ ألفاً من المسلمين (٢٥٪ من مجموع السكان). مع الاستقلال، نشطت الدعوة الاسلامية نسبياً.

- في اثيوبيا، ١٩ مليون مسلم من إجمالي ٥١ مليوناً. وقد تعرض المسلمون في اثيوبيا خلال حكم هيللا سيلاسي ومن بعده مانغستو الماركسي للطرد والتشريد والفقر (راجع «اثيوبيا»، ج ١).

- في تنزانيا، نحو ٩ ملايين مسلم (٣٣٪ من مجموع السكان)، ويشكلون معظم أهالي ممبا وزنجبار ودار السلام والمناطق الساحلية (راجع «تنزانيا»، ج ٧).

- في ساحل العاج، نحو ٢٠٪ من مجموع السكان البالغ نحو ١٢ مليوناً. أنشئت أول مدرسة عربية في ساحل العاج في ١٩٥٦، وأطلق عليه اسم «مدرسة التهذيب الاسلامي» وأسسها أحمد التيجاني أبو بكر الذي تلقى تعليمه الاسلامي في فرنسا، وعاد إلى بلاده لنشر الدعوة الاسلامية بأسلوب علمي جديد. ويصل عدد المساجد إلى ٤٠٠ مسجد وحوالي ١٢٠ مدرسة لتحفيظ القرآن (راجع «ساحل العاج»، ج ٩).



ماجد سعيد، سلطان زنجبار (١٨٦٤)

مدنها الاسلامية «سفالة» التي تحدث عنها ابن بطوطة.

- في مالاوي، يبلغ عدد المسلمين فيها نحو مليون و ٧٥٠ ألفاً، أي نحو ٣٥٪ من مجموع السكان.

- في مادغشقر (ملاغاش)، نسبة إلى أكبر قبائل الجزيرة، وفيها نحو مليون و ٨٢٠ ألف مسلم (أي نحو ٢٦٪ من مجموع السكان)، لكن بسبب اضطهادهم المستمر اضطربت نفوسهم، «وملأت حياتهم الخرافات، وبعادوا عن الدين، وتركوا ديانتهم وعقيدتهم أمام الضغط والقسوة من أعداء الاسلام، وقد يُحسب أولئك المسلمون اليوم ضمن الوثنيين، ومن السهولة ان يعود هؤلاء إلى

قرن، ثم نزحوا إلى الجنوب الشرقي لفرنسا عام ٨٩٨، ووصلوا إلى شمالي إيطاليا وسويسرا، واستمر وجودهم هناك حتى العام ٩٧٦.

وتم فتح مالطا من الجنوب عام ٨٧٠، ثم فتح المسلمون قوصره وصقلية وسردينيا وكورسيكا وجنوبي إيطاليا.

اعتنق الاسلام مجموعات من قبائل البلغار والكوفان والباشغرد الذين كانوا يقيمون في حوض نهر الفولغا الأعلى وهاجروا إلى الجنوب الشرقي من أوروبا، واستقروا هناك وعرفت المناطق باسمهم مثل «بلغاريا». وكان لكل ذلك تأثير واضح على المسيحيين، فنشأت كنيسة خاصة هي «بوغوميل» التي يظهر فيها الأثر الاسلامي واضحاً (عرف معجم «لو روبير» لأسماء العلم كنيسة البوغوميل Bogomiles بالتالي: «إسم يعود إلى أتباع البوغوميل في بلغاريا. والكلمة تعني «صديق الله»، وهي إسم مؤسس هذه البدعة الدينية ويُعتقد انه أسطوري. اعتبر أتباعه من الهرطقة وقد ظهروا في القرن العاشر في بلغاريا، واستندوا في دعوتهم إلى العقيدة المانوية القائلة بالصراع الثنائي بين النور والظلمة. وتمكنت البوغوميلية من الانتشار في القرن الثاني عشر في البلدان البلقانية وفي الامبراطورية البيزنطية. ويبدو أنها كانت في اساس انتشار بدعة دينية أخرى هي بدعة الكاتار Cathares الذين انتشروا بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر في لومبارديا ووسط إيطاليا وريانيا وكاتالونيا وبرغونيا وجنوبي فرنسا. وهذه البدعة تستند أساساً إلى العقيدة المانوية وإلى العقيدة المسيحية).

استقر الباشغرد في البحر، وبقي قسم منهم في حوض الفولغا، يعرفون باسم الباشكير وهم من المسلمين أيضاً، وأغلب هذه القبائل ضاع إسلامها.

وعندما فتح المغول أوروبا واستقروا هناك اعتنقوا الاسلام، وعملوا على نشره. ثم نشأت الدولة العثمانية وتوسعت في جنوب شرقي أوروبا، وامتدت فتوحاتها هناك، واستقر بعض الاتراك في هذه المناطق مما كان له أثر في ازدهار الاسلام مرة أخرى.

اتجه المسلمون في العصر الحديث إلى أوروبا طلباً للعلم أو للعمل، واستقر بعضهم هناك، ثم ظهرت جماعات اسلامية جديدة في معظم دول أوروبا. ويصل عدد المسلمين في أوروبا إلى نحو ١٥ مليوناً أي ما نسبته ٣٪ من مجموع سكان أوروبا.

- في اسبانيا، نحو ٤٥٠ ألف مسلم، وكان

- في زامبيا، نحو ١٢٠ ألف مسلم (٢،٤٪ من مجموع السكان) (راجع «زامبيا»، ج٩).

- في زيمبابوي، نحو ٢٠ ألف مسلم (عدد السكان نحو ٦ ملايين) (راجع «زيمبابوي»، ج٩).

- في سوازيلاند، نحو ٢٥ ألف مسلم (٥٪ من مجموع السكان) (راجع «سوازيلاند»، ج٩).

- في ليسوتو، نحو ٥٠ ألف مسلم (٥٪ من مجموع السكان).

- في بوتسوانا، نحو ٣٠ ألف مسلم (٤٪ من مجموع السكان) (راجع «بوتسوانا»، ج٥).

- في أنغولا، نحو ٩٠٠ ألف مسلم (١٥٪ من مجموع السكان) (راجع «أنغولا»، ج٣).

- في ناميبيا، نحو ٢٤٠٠ مسلم.

-- في اتحاد جنوب افريقيا، نحو ٤٠٠ ألف مسلم (٢٪ من مجموع السكان) ينتمون إلى المذاهب الملونين مع أقليات تنحدر من أصول افريقية (راجع «جنوب افريقيا»، ج٧).

- في جزر آسور، نحو ١٦ ألف مسلم (٥٪).

-- في جزر ماديرا، نحو ٣٠ ألف مسلم (١٠٪).

- في جزر كاناري، نحو ٧٠ ألف مسلم (٧٪).

- في جزر الرأس الأخضر، نحو ٢٧ ألف مسلم (١١٪).

- في جزر ساو تومي وبرنسيب، نحو ١٦ ألف مسلم (٢١٪).

- في جزر القديسة هيلانة، ٦٠ مسلم (١٪).

- في جزيرة ريونيون، نحو ١٠٠ ألف مسلم (٢٠٪).

-- في جزيرة موريشيوس، نحو ١٢٠ ألف مسلم (٢٠٪). وفيها ثلاث منظمات اسلامية: الدائرة الاسلامية، اتحاد الطلبة المسلمين والبعثة الاسلامية. ويوجد ١٢٥ مسجداً.

- في جزر الداهرا، لا تزيد نسبة المسلمين فيها على ٢٪.

الأقليات المسلمة في أوروبا: وصل الاسلام إلى أوروبا بعدة طرق وعلى مراحل متعاقبة. فهاجر إليها بعض المسلمين واستقروا بها وساروا إليها من الجنوب الغربي، ومن الجنوب والجنوب الشرقي. وتم فتح المسلمين للاندلس، ومن الاندلس كان الاتجاه نحو فرنسا فسيطروا على أكثر من نصفها الجنوبي حيث استوطنوا لمدة نصف

لصلاحيات قانون ١٩٦٧، الذي يعطي كل إنسان حرية كاملة في ممارسة العقيدة التي يعتنقها، أن أشاع لديهم الاطمئنان والأمان (راجع «اسبانيا»، ج ١).

- في البرتغال، نحو ١٢٠ ألف مسلم (راجع «البرتغال»، ج ٥).

- في فرنسا، أكثر من ٣ ملايين مسلم (٤٪ من مجموع السكان)، معظمهم من الجزائر أصلاً ثم من المغرب وتركيا ويوغوسلافيا وبعض الدول العربية. ويكثر في فرنسا طلاب العلم المسلمون ويتوزعون في مختلف مدنها الكبرى. - في انكلترا، نحو ٣،٥ مليون مسلم (٣٪ من مجموع السكان)، معظمهم من شبه جزيرة الهند قبل تقسيمها وخروج انكلترا منها، وقد أسسوا لهم جمعية، وتعد أقدم جمعية إسلامية في دول الغرب. وهناك مسلمون من قبرص وعدن ومن شمال شرقي أفريقيا. يصل عدد المساجد في انكلترا إلى ٦١٥ مسجداً (راجع «بريطانيا»، ج ٥).

- في بلجيكا، نحو ٤٠٠ ألف مسلم (٥٪ من مجموع السكان)، معظمهم من العمال المسلمين المهاجرين إلى بلجيكا من الشمال الأفريقي، إلى جانب عدد من الطلاب المسلمين. أنشئ في بروكسيل مركز إسلامي ضخم بمساعدة الدول الإسلامية، واعترفت الحكومة البلجيكية مؤخراً بالإسلام باعتباره الدين الذي يعتنقه بعض السكان بعد المسيحيين من حيث العدد (راجع «بلجيكا»، ج ٥).

- في النمسا، نحو ٦٠ ألف مسلم، معظمهم من البوسنة-الهرسك الذين هاجروا قبيل الحرب العالمية الأولى، وأسسوا جمعية تعرف باسم «الجمعية الإسلامية الثقافية». وهناك عدد من طلاب العلم المسلمين.

- في ألمانيا، نحو ٢،٥ مليون مسلم (٤٪ من مجموع السكان). عرفت ألمانيا الإسلام أثناء الحرب العالمية الأولى حيث أنشئ في برلين معسكر للمعتقلين المسلمين، وتم إنشاء أول مسجد في تلك الجهات. وفضل بعض الأسرى البقاء في ألمانيا، كما فر إليها بعض التتار من القرم وشرقي روسيا، ثم وفد إليها أثناء الحرب العالمية الثانية عدد من اللاجئين المسلمين من المناطق التي سيطرت عليها روسيا، ثم أعقبهم آخرون من المناطق التي وصلت إليها الشيوعية في بلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا وبولندا، واستقر معظمهم في ميونيخ. وجاء عدد من العمال الاتراك، وأخذت أعدادهم تتزايد (راجع «ألمانيا»، ج ٣).

- في الدانمارك، نحو ٤٥ ألف مسلم يتركزون في

العاصمة كوبنهاغن وبعض المدن الكبرى الصناعية (راجع «الدانمارك»، ج ٨).

- في جنوبي أوروبا، في الجزء الذي فتحه المسلمون على طريق البحر المتوسط وتشمل جزر البحر: في كريت، نحو ٣٣ ألف مسلم. في رودوس، نحو ١٠ آلاف مسلم. في مالطيا، نحو ٤٠ ألف مسلم (١١٪ من مجموع السكان).

- في إيطاليا، نحو ٧٠ ألف مسلم (راجع «إيطاليا»، ج ٤).

- في سويسرا، نحو ١٢٠ ألف مسلم (راجع «سويسرا»، ج ١١).

- في اليونان، نحو ٢٥٠ ألف مسلم (٢٪ من مجموع السكان). وعرفت اليونان الإسلام في عهد الدولة الأموية.

- في بلغاريا، نحو مليوني مسلم (١٦٪ من مجموع السكان)، وهم ثلاث مجموعات: الترك، البلغار والفجر (راجع «بلغاريا»، ج ٥).

- في رومانيا، نحو ٢٧٠ ألف مسلم، معظمهم من التتار والاتراك (راجع «رومانيا»، ج ٨).

- في صربيا، نحو مليون و٤٥٠ ألف مسلم (١٦٪ من مجموع السكان) (راجع «صربيا»، ج ١١).

- في كرواتيا، نحو ١٠ آلاف مسلم. - في البوسنة والهرسك، نحو ١،٤ مليون مسلم (٢٣،٥٪) (راجع «صربيا»، ج ١١، و«البوسنة والهرسك»، ج ٥).

- في مقدونيا، نحو ٣٨٧ ألف مسلم (٢٢،٧٪). - في الجبل الأسود (مونتينيغرو)، نحو ٧٥ ألف مسلم (١٢،٥٪) (راجع «صربيا»، ج ١١).

- في النرويج، نحو ٩ آلاف مسلم. - في السويد، نحو ٢٤ ألف مسلم (راجع «السويد»، ج ١١).

- في فنلندا، نحو ٢٥٠٠ مسلم. - في المجر نحو ٧ آلاف مسلم. - في بولندا، نحو ١٧ ألف مسلم (راجع «بولندا»، ج ٦).

- في تشيكوسلوفاكيا (تشيكيا وسلوفاكيا)، عدة آلاف من المسلمين.

- في روسيا، (راجع «روسيا»، ج ٨).

الأقليات المسلمة في أستراليا: عرفت أستراليا

كبيرة من السود، واصبحت لهم مراكز تجمع في معظم مدن اميركا.

يصل عدد المسلمين في اميركا الشمالية إلى نحو ٦ ملايين و ٣٥٠ ألفاً، وفي اميركا اللاتينية إلى نحو مليون و ٢٠٠ ألف، وفي اميركا الوسطى إلى نحو مائة ألفين.

- في الولايات المتحدة، نحو ٦ ملايين مسلم، وأماكن تجمعهم الأساسية في نيويورك وشيكاغو وتوليدو وديترويت وفيلادلفيا وواشنطن وأنديان هاول وسكرامنتو وسان فرانسيسكو ولوس أنجلوس (راجع «الولايات المتحدة الاميركية») في جزء لاحق من الموسوعة).

- في كندا، نحو ٣٥٠ ألف مسلم، معظمهم من لبنان وسورية، وبدأ الاسلام في كندا بأربعة افراد: الزوجان جيمس واجنوس لوف من اسكوتلندا وكانا يقطنان أونتاريو، والزوجان جون وهارتا سيمون.

- في المكسيك، نحو ١٥٠٠ مسلم.

- في اميركا الجنوبية، نحو مليون ومائة ألف مسلم موزعين في البرازيل وخاصة في ساو باولو وريو دي جانيرو وفي الأرجنتين (٨٠٠ ألف) وفي غويانا (١٥٪ من السكان، وبها ١٢٠ مسجداً) وفي فنزويلا (١٠ آلاف في العاصمة كاراكاس) وفي غويانا الفرنسية (حيث المسلمون من اصل جزائري ومغربي) وفي اكوادور وكولومبيا وبيرو وبوليفيا، العدد قليل ويفتقرون إلى مؤسسات دينية.

ميزتان عامتان: بعد هذا المسح العام لتعداد الاقليات المسلمة في العالم، والذي اعتمدنا فيه على كتيب صادر عن وزارة الاعلام السعودي (مرجع مذكور آنفاً)، نرى استجماع مميزات المسلمين والاسلام، سواء في الدول الاسلامية (دول الاكثريات المسلمة التي تأخذ بالشريعة الاسلامية في دساتيرها وقوانينها، او التي لا تأخذ بها مثل تركيا الحالية) أو لدى الاقليات المسلمة في اماكن وجودهم أو تجمعهم في الدول غير الاسلامية، بميزتين عامتين نستقيهما من كتاب جاد وعميق، مؤلفيه وموضوعاته، صادر عن الأونيسكو، وهو:

Les Différents Aspects de la Culture Islamique, Ed. UNESCO, Paris 1994.

وعمل مؤخراً على تعريبه وإصدار نسخته العربية من بيروت (١٩٩٧)، وقد شارك مؤلف هذه الموسوعة بتصحيحه ومراجعة ترجمته:

الميزة الاولى: يقول كاتب الفصل ١٦ «الحياة

الاسلام عن طريق الأفغان الذين استعانت بهم الحكومة الانكليزية لما يملكونه من إبل ليحاربوا الصحاري الاوسترالية ويعرفوا عليها ويكشفوا ما بها. ثم توالى الاعداد المسلمة تأتي إلى اوستراليا من ألبانيا وتركيا ويوغوسلافيا وماليزيا وأندونيسيا ولبنان وسورية، كما كان للتجارة دور هام في جذب أعداد من التجار المسلمين إلى اوستراليا.

استقر معظم المسلمين في ولاية نيو ساوث ويلز وبها أكثر من ١٢٠ ألفاً، ويستقر بمدينة سيدني ٩٠ ألفاً، ويعيش في ملبورن حوالي ٧٠ ألفاً. ويؤكد كثير من المصادر أن عدد المسلمين في اوستراليا ما بين ٣٥٠ ألفاً و ٤٠٠ ألف. أما أول مسجد فبني في مدينة أدلريد منذ نحو ستين عاماً، وانتشرت بعده المساجد والمراكز الاسلامية في معظم المدن الاوسترالية الكبرى.

- في جزر فيجي، نحو ٦٥ ألف مسلم (٨٪ من مجموع السكان)، و ٢٥ مسجداً، و ١٣ مدرسة ابتدائية تشرف عليها الهيئة الاسلامية في فيجي. والمسلمون في فيجي من اصل هندي وباكستاني.

- في نيوزيلندا، نحو ٥ آلاف مسلم. وانتشر الاسلام فيها من خلال التجار الذين جاءوا من جنوب شرقي آسيا، ومن ألبانيا وتركيا ويوغوسلافيا.

الاقليات المسلمة في اميركا: قيل إن ألكسندر

راسل الذي كان يعمل قنصلاً في الفيليبين هو أول من نشر الاسلام في اميركا حيث استدعاه السلطان عبد الحميد الثاني وكلف عبد الله الجداوى بمقابلته في مدينة ماينلا، وبعد هذا اللقاء أعلن ألكسندر إسلامه واستقال من عمله، وبدأ في نشر الاسلام في اميركا، وأصدر مجلة أسماها العالم الاسلامي كان لها دور هام في التوعية الاسلامية، وأنشأ مسجداً ومكتبة، وأصبح حديث الناس في نيويورك. وعاد الاسلام مرة أخرى في الانتشار عن طريق الهجرات العديدة من البلاد الاسلامية والباحثة عن العمل والرزق. واكتسب هؤلاء جنسية الدول التي نزلوا بها وبخاصة الولايات المتحدة. ويضاف إلى هؤلاء من دخل من الأميركيين الاسلام.

وتذكر المراجع ان حركة المسلمين السود كان لها فضل كبير في نشر الاسلام والتي بدأت بشخص فارود محمد، وهو الذي تأثر بحركة ألكسندر راسل في نيويورك، واستطاع فارود محمد أن يجذب إليه أعداداً كبيرة من الزنوج الذين كانوا يعانون من التفرقة العنصرية وسوء المعاملة. واقتنع بالاسلام أليجا محمد الذي أصبح زعيماً لفئة

البارزة التي ظهرت من خلال نمط الشوارع المتعامدة، المسارح، الحمامات، والملاعب.

الثاني - الامصار: ويشمل هذا الصنف حصراً المدن التي أسسها المسلمون بعد الفتوحات الاسلامية أو نتيجة لها أو بسبب استقرار الدول الاسلامية وترسعها. فهذه المدن ولدت إسلامية منذ الأصل وتطورت بشكل منسجم كلياً مع الحياة الروحية والسياسية التي بشر بها الدين الاسلامي وتقرضها الشريعة الاسلامية، وكانت، لقرون عديدة، من مراكز الحضارة العالية. وإلى هذا الصنف تنتمي مدن كثيرة جداً من بينها البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة والقيروان وغيرها.

ويجمع الباحثون على ان إنشاء هذا الصنف من المدن مرّ عبر جملة خطوات تبدأ باختيار الموقع المخصص للجامع، ويشكل قلب المدينة أو المحور الذي تنجّه له جميع مداخل وخارج المدينة. وتلي الجامع الأقسام العمرانية الأخرى كالمرافق الحكومية والاسواق ثم البيوت السكنية. كما يعتبرون مكة المكرمة والمدينة المنورة النماذج الأولى للمدن الاسلامية.

الثالث - «مدن الأضرحة»: وهذا الصنف لم ينل الاهتمام من قبل الباحثين المذكورين في مقدم الكلام عن المدن الاسلامية، وهو لا ينتمي إلى أي من الصنفين الأولين، ولم يكن وجوده (أي «مدن الأضرحة») نتيجة لمتطلبات عسكرية أو اقتصادية أو نتيجة لنمو سكاني، بل بسبب وجود الأضرحة التي تتمثل في جوامع ومراقد أهل البيت. فبفعل وجود هذه الأضرحة راحت هذه المدن تنمو تدريجياً، فتتحول من مزارات دينية نائية إلى مدن دينية ضخمة تلعب دوراً حضارياً متزايداً مع مرور العصور الاسلامية، لأهمية هذه المدن الروحية والثقافية والعمرانية.

ويتركز في العراق عدد من هذه المدن: النجف الأشرف و كربلاء والكاظمية وسامراء الحالية. وفي إيران: مشهد وقم. ويظل العامل الديني وحده السبب الأول والرئيسي في نشأة «مدن الأضرحة» وتطورها إلى حواضر كبيرة، والمحرك الفعلي في استمرار ازدهارها (المرجع: رؤوف محمد علي، باحث في العمارة الاسلامية من العراق، «عوامل نشوء المدن الاسلامية»، «الحياة»، العدد ١٢٨٢٦ تاريخ ١٦ نيسان ١٩٩٨، ص ٢١).

اليومية في المدينة الاسلامية»، محمد الطائي، نقلاً عن لويس غاردييه: «يكفي ان يكون المرء قد عاش ولو قليلاً في البلاد الاسلامية، وتابع في الماضي والحاضر التظاهرات الجماعية للاسلام كي يلاحظ ملاحظتين: يلاحظ قبل كل شيء الصلة المتينة التي تربط المسلمين بعضهم ببعض وتجعل منهم حقيقة أمة تشعر شعوراً قوياً بذاتيتها (...) إن العقلية شبيهة بانعكاس حياة المجموعة في كل فرد من أفرادها. إنها تستلزم إذن الانتساب إلى مجموعة - أي إلى ثقافة وإلى حضارة - تقبلهما المجموعة وتفتخر بهما عادة. فهي نظرة إلى الكون، نظرة مملي التصرفات اليومية».

الميزة الثانية، من كاتب أكثر من فصل من فصول الكتاب، والمقدمة والخاتمة، عبد الواحد بوحديّة، ويقول في الخاتمة: «(...) فالاسلام كله تقريباً يدخل في نطاق ما اصطلح على تسميته بالعالم الثالث، أي أنه لا يشارك إلا بالوجود الزمني في المظاهرات الكبرى التي يضطرب بها عالمنا».

المدن الاسلامية: تطرق الكثير من الباحثين في دراساتهم إلى الجوانب البنوية والعمرانية للمدينة الاسلامية من أمثال لويس ماسينيون، ووليم مارسيه، وإدموند بورتني، والمستشرق الانكليزي ستيرن، وغيرهم... وذلك بتصنيف نشأة المدن الاسلامية إلى صنفين متميزين. ويمكن إضافة صنف ثالث لم يتطرق إليه هؤلاء الدارسون:

الأول - الحواضر القديمة: يشمل هذا الصنف المدن التي كانت موجودة أصلاً قبل ظهور الاسلام ثم فتحها المسلمون ونشروا الاسلام فيها بعد ان استقروا فيها ماشين إياها طابعاً إسلامياً خفياً إلى درجة بدت معه كما لو انها ولدت من جديد كمدن اسلامية لا يربطها أي رابط حضاري أو روحي بتاريخها السابق على الاسلام على رغم ان بعضها، أو بالأحرى أغلبها، من المدن المعروفة سابقاً كمدن وعواصم لامبراطوريات سابقة على الفتح الاسلامي، وانها تمتعت بمكانة ممدنية مرموقة أثناء الفترات السابقة كاليونانية والرومانية، كما هو الأمر بالنسبة إلى دمشق وحلب في سورية، والاسكندرية في مصر، واسطنبول في تركيا. ولكن ظلت مبادئ التخطيط العمراني القديم لهذه المدن، ولقرون عديدة، هي الملامح

الاسلام إزاء تجربتين أوروبيتين: العلمنة والإندماج (مناقشة)

إذا كان الإسكندر، الذي عرفته أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي عقيدةً ونظام حكم، قد فشل فشلاً ذريعاً أمام الاسلام كما أثبتت ذلك أحداث السنوات الأخيرة، وكما لا تزال تثبت أحداث البلقان حيث ينظر المسلمون إلى «اشتراكيي» يوغوسلافيا الاتحادية الحالية (صربيا) مجرد نسخة معدلة تعديلاً طفيفاً عن «القيصرية الشيوعية»، وكما لا تزال تثبت أيضاً في بقاع خارج أوروبا كما في إقليم كسينجيانغ (تركستان الشرقية) الصيني، فإن تجربتين أخريين، أساسهما، ومسرهما أوروبا أيضاً، تستمران في تشكيل تحديين كبيرين ومهمين للاسلام والمسلمين من زاوية المبادئ والمفاهيم والشرائع الاسلامية التي لا تزال الدول الاسلامية تأخذ بها وتعمل على هديها، والتجربتان هما: العلمنة والاندماج (المقصود اندماج، أو مدى اندماج، الاقليات المسلمة في المجتمعات الأوروبية).

ثمة مقاربتان نقتلعهما في هذا الباب: واحدة للعلمنة، كتبها محمد خليفة («الحياة»، العدد ١٢٧٠٠، تاريخ ٧ كانون الاول ١٩٩٧، ص ٢٢) بعنوان «ألبانيا وليس تركيا أول دولة إسلامية طبقت العلمانية»، واستند فيها على الدكتور محمد نور الدين في كتابه «قبة وعمامة»، وعلى كتاب الدكتور محمد مفاكو (وهو مستعرب ألباني) «الثقافة الألبانية في الأبنجدية العربية» - سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٣.

والمقاربة الثانية للاندماج (بالفرنسية وقد عربها المؤلف) كتبها طارق رمضان، استاذ الفلسفة والاسلاميات في معهد جنيف وجامعة فريبورغ (سو موند ديولومايك، عدد نيسان ١٩٩٨، ص ١٣) بعنوان «إسلام أوروبا تنزع من العزلة».

العلمنة: ألبانيا وليس تركيا: غالباً ما يقع الكتاب العرب، ممن فيهم بعض المتخصصين، في خطأ تاريخي بصددهم. النظام العلماني في العالم الاسلامي. إذ درجوا على وصف تركيا بأنها المهد الاول لهذا النظام الأوروبي الحديث، حيث صارت هذه المعلومة الخاطئة تتكرر كبديهة وحقيقته في كل المناسبات. بينما الصحيح هو ان تركيا هي الدولة الثانية، وألبانيا هي الدولة الإسلامية السابقة إلى تطبيق

التجربة العلمانية بفارق عشر سنوات على الأقل. ألغى مصطفى كمال أتاتورك السلطنة العثمانية قانونياً في ١٩٢٣، ثم ألغى الخلافة في ١٩٢٤، وبنى النظام الجمهوري على انقاضهما. واتبع ذلك بإلغاء الحروف العربية واعتماد الحروف اللاتينية بدلاً منها في الأبنجدية التركية العام ١٩٢٨. وخلال هذه الفترة وحتى وفاته في ١٩٣٨ ألغى كل المظاهر الدينية للدولة، وخاض من أجل ذلك ثورات وحروباً أبرزها حين منع الطرق الصوفية وحظر أنشطتها في ١٩٢٥.

أما ألبانيا فكانت قد أعلنت هذه الخطوة ذاتها في مدة أقصر اعتباراً من ١٩١٢. ففي أعقاب حرب البلقان الكبرى الأولى والتي أسفرت عن هزيمة السلطنة العثمانية وخسارتها للدول والأراضي التابعة لها في البلقان، احتلت جيوش الدول المتحاربة معظم أراضي ألبانيا الدولة الإسلامية الوحيدة في المنطقة.

غير ان قادة الشعب الألباني أعلنوا استقلال دولتهم من مدينة فلورا التي ظلت وحدها خارج نطاق الاحتلال، وكان ذلك في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٢. وقد دعمت امبراطورية النمسا-المجر إعلان الاستقلال وضغطت على الدول الأوروبية الكبرى للاعتراف به وهو ما حصل في ٢٩ تموز ١٩١٣ حين أقرت الدول الأوروبية بالدولة الجديدة على ان تظل تحت «الرقابة المباشرة والجماعية للدول الكبرى». واشترطت عليها أيضاً ان تقطع كل صلة لها بالسلطنة العثمانية.

وكان من شأن ذلك قيام أول حكومة ألبانية بتابع سياسة مبرجة لإلغاء كل ما يجمع الدولة بالعثمانيين وبالشرك وبالدین الاسلامي. وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٣، سنت الحكومة «القانون المؤقت للإدارة المدنية للدولة الألبانية» الذي تضمن تنظيم «المؤسسة الدينية» على أساس قطع ارتباطها السابق بالمشيخة الإسلامية في اسطنبول، وإلغاء الوظائف الدينية للدولة الجديدة واعتبارها جزءاً من النشاطات والحقوق والحريات الفردية للمواطنين. وفي العام نفسه (١٩١٣) قررت الحكومة استبدال الحروف التي تكتب بها اللغة الألبانية وإحلال اللاتينية بدلاً من العربية.

ولم تمر هذه القرارات «الثورية» بلا ردود فعل في مجتمع ارتبط بالاسلام نحو أربعة قرون، ولعب دوراً رئيسياً في الامبراطورية العثمانية، وتشكلت هويته وثقافته من الاسلام وما يتصل به من عناصر وخصائص بما في ذلك الكتابة بالحروف العربية التي كانت عنواناً للارتباط بالشرق

منتصف ١٩١٥ باجتياح ألبانيا من الشمال وأطبقت قوات الدولتين مستفيدتين من ظروف الحرب العالمية الاولى، على العاصمة الألبانية واعتقلت قادة الثورة واعضاء الحكومة. إلا ان النمسا ما لبثت ان شنت هجوماً مضاداً على ألبانيا وطردت الجيوش الصربية من معظم المناطق الألبانية التي احتلتها، وبسطت سيطرتها ونفذها على البلاد وتحاولت مع أكثرية المطالبين الاسلامية التي اعلنتها الثورة الشعبية وذلك بغرض استئصالها وكسب ولائها إلى جانبها، ولم ترفض منها سوى الكتابة باللغة العربية، لأنها كانت أصلاً أول وأكثر الدول الأوروبية إصراراً على إلغاء الانجارية الألبانية العربية.

انتهت المعارك على أرض ألبانيا بانتهاء حرب البلقان، ثم الحرب العالمية الاولى. وعندما حلّ السلام كان على ألبانيا حتى تعود إلى الأسرة الدولية القبول بمبادئ النظام الدولي الجديد. وكان في مقدمة تلك المبادئ والشروط بالنسبة إلى ألبانيا بالذات العودة إلى النظام العلماني كما أقر العام ١٩١٢. وقد لبّت الحكومة الألبانية الوطنية هذه الشروط بالكامل منذ الأيام الاولى. وهكذا كانت ألبانيا الدولة الاولى في العالم الاسلامي التي تطبق العلمانية وتلغي كل وظائف الدولة الدينية وتبتر كل صلة لها بالشرق بما في ذلك وعلى رأسه الانجارية العربية التي كتب بها التراث الألباني بين القرنين السادس عشر والعشرين.

الإندماج: كان الوجود الاسلامي في أوروبا (الاندلس) القرون الوسطى أهم عوامل سياغة الفكر العقلاني والعلماني والحديث. ووجود المسلمين اليوم في هذه القارة القديمة لا يرجع إلى أكثر من ستين أو سبعين سنة خلعت، وهي مدة قصيرة لقياس التفاعل التاريخي والحضاري. إذ عاشت أوروبا قرونًا من النزاعات والمماحكات بين مختلف اقلياتها الطائفية أو القومية (يهود، كاثوليك، بروتستانت، أورثوذكس، بولنديون، إيطاليون أو برتغاليون... بحسب كل بلد أوروبي) حتى يتسنى لها في الأخير أن تكتسب حقوقها في الدول التي توجد فيها. فكيف يمكن لقضية الاقليات المسلمة في أوروبا أن تجد لها حلولاً في غضون جيلين أو ثلاثة أجيال؟

إن الموجات الاولى من المهاجرين المسلمين كانت مكونة من عمال شمال افريقيين وأتراك وهنود وباكستانيين. وكان لفقرهم، وانعدام مستواهم التعليمي وإحساسهم بوجودهم الموقت، ان لا يتيح لجيلهم (جيل المهاجرين

بصفة عامة. ولذلك أحدثت إجراءات الحكومة استياء شعبياً عارماً بلغ ذروته في الانتفاضة الواسعة التي حدثت في مطلع ١٩١٤ واستمرت شهوراً عدة واستطاعت ان تفرض مطالبها وشروطها على الحكومة والدول الأوروبية في آن واحد، وفي مقدمتها تعيين أمير مسلم بدلاً من الأمير الألماني الذي عينته الدول الأوروبية، والمحافظة على الأبجدية العربية وإعطاء المفتي الأكبر صفة حكومية رسمية وتمكينه من صلاحياته السابقة للمحافظة على الطابع الاسلامي للدولة. وكان قائد هذه الثورة أحد كبار رجال الدين الشيخ موسى الكاظمي مفتي مدينة تيرانا (العاصمة الحالية).

أحدث انتصار الانتفاضة الشعبية قلقاً في الدول الأوروبية خصوصاً البلقانية المجاورة التي اطلقت على الانتفاضة صفة «الثورة الاسلامية» ووصفتها بالتطرف وقالت إنها تبعث من جديد «الخطر الاسلامي على أوروبا»، واعتبرت ذلك بمثابة مبررات كافية لغزو ألبانيا من جديد. فاجتاحتها الجيوش اليونانية في ١٩١٤. ولما لم تفلح في كسر شوكة الانتفاضة التي شكلت حكومة وطنية في العاصمة السابقة دوروس، قامت الجيوش الصربية في

فتاة مسلمة فرنسية (١٩٩٨): جيل المهاجرين الثالث.



الاول)، لا لديهم ولا لدى الاوروبيين، تلك المعرفة الاولى والاساسية المتبادلة.

جاءت صدمة الاحداث الدولية الكبرى: الثورة الايرانية (١٩٧٩)، قضية سلمان رشدي، ما يطرحه ويمارسه الطالبان، عمليات العنف في الشرق الاوسط، المذابح اليومية في الجزائر... لتعيد لدى الاوروبيين صياغة إدراك حسي سلبي جداً إزاء الاسلام، ولتغذي نوعاً من تشنج زادت منه الأزمة الاجتماعية التي تقتاح أوروبا (زيادة في معدلات البطالة مصحوبة بحركات عنيفة أحياناً في المدن). حتى ان اصواتاً بدأت تتكلم عن «كره الاسلام» Islamophobie، والعبارة جاءت بشكل عنوان في دراسة جادة وضعتها مؤسسة رنيميد ترست في بريطانيا في ١٩٩٧ Commission sur les musulmans britanniques, présidée par le prof Gordon Conway, Islamophobia: Fact Not Fiction, Runnymede Trust, Oct. 1997. والأكيد ان من حق مثل هذه الصورة عن المسلمين أن تعيق أي تقييم حقيقي وجاد للديناميات التي تعيشها المجموعات المسلمة في أوروبا.

ومع ذلك، يمكن القول إن الجيلين، الثاني والثالث، قاما بلعب دور مقرر في تطور ذهنيات (وسلوكيات) مختلف المجموعات المسلمة في أوروبا. وذلك لسببين يبدوان متناقضين ظاهرياً: إن الممارسة الطقوسية الدينية اليومية لدى الشباب المسلم أصبحت ضعيفة نسبياً، في حين ان نسبة كبيرة بينهم عبرت حالات الاندماج الاولى ودخلت حالة الهضم الكامل لقيم المجتمعات التي تعيش في وسطها: من ٦٠ إلى ٧٠٪ يقولون إنهم يصومون في رمضان، لكن ١٢٪-١٨٪ يصلون يومياً: ٧٥٪-٨٠٪ لم يعودوا يتكلمون، أو يتكلمون نادراً وبصورة سيئة، لغتهم الأصلية، To Be a European Muslim, Islamic Foundation, Leicester, avril 1998.

وكان لهذه الظاهرة أن أجيوت أئمة المساجد ومسؤولي الاندية والروابط والجمعيات الاسلامية الذين ينتمون إلى الجيل الاول بأن يعدلوا من أشكال وطرق عملهم ويعيدوا توجيه هياتهم الدينية بما يُرضي، إلى حد بعيد، تطلعات الأجيال الشابة.

لكن هذا الوضع نفسه أدى إلى إنشاء عدد متزايد من الجمعيات الاسلامية التي تضاعف عددها، مرة أو مرتين، خلال ١٥ سنة. فالشباب، وكذلك الذين تراوح أعمارهم بين ٣٠ و ٤٠ سنة الذين ولدوا في أوروبا والذين

درسوا وتخرجوا في جامعاتها، أصبحوا هم الذين يمسكون بلغة الأمور ويحركون النسيج الاجتماعي للمجموعات المسلمة في أوروبا. وعملهم هذا فرض تغييرات عميقة في ذهنيات هذه المجموعات وسلوكياتها، ذلك انهم يعتبرون أنفسهم «في بيتهم» وعلى ارضهم، ذلك البيت وتلك الارض اللذان يسعى الجيل الثاني والجيل الثالث إلى تثبيت وجوده واعتبار نفسه في إطارهما، خاصة في المجالين الثقافي والاجتماعي. من هنا، كانت تلك القطيعة الحادة بين الأجيال: الاول من جهة، والثاني والثالث من الجهة المقابلة.

أثارت هذه الظاهرة جدالاً حامياً داخل المجموعات المسلمة في أوروبا، وخاصة لدى العلماء المسلمين، وبالأخص في موضوع الفقه الاسلامي، حيث وجد هؤلاء العلماء أنفسهم مضطرين على الأخذ بـ«الفتاوى» وبما يتلاءم مع حقائق الحياة الغربية. ولثة جمعيات اسلامية كثيرة شركت لانتزاع مثل هذه الفتاوى، من أنشطتها: «الشباب المسلم» (YM) و«المجتمع الاسلامي في بريطانيا» (ISB)، و«الشباب المسلمون في فرنسا» (JMF et EMF)، و«اتحاد الشباب المسلم» (UJM)، و«رابطة الطلاب الاسلاميين في فرنسا» (AEIF).

هكذا، شهدت الثمانينات والتسعينات وعياً متزايداً لمسألة «ضرورة تحديد الفكر الاسلامي في أوروبا». ووجد المسلمون الشباب أنفسهم، بكونهم أوروبيين، يطرحون، مباشرة أو بصورة غير مباشرة، عدداً من الأسئلة التي تفرض إجابات صريحة وواضحة، لعلّ أخطرها: هل يجب اعتبار أوروبا «دار حرب» (العبارة التي بدأ يعرفها الفقه الاسلامي منذ القرن التاسع) في مقابلة «دار السلام» (حيث المسلمون هم الأكثرية ويمسكون بالسلطة ويفرضون شريعتهم)؟ وهل يمكن العيش في أوروبا؟ وإذا كان الجواب بالاجاب، فكيف تكون علاقة المسلمين بالتشريعات الوطنية الأوروبية؟ وهل يمكن لشاب مسلم ان يكتسب جنسية اوروبية ويكون مواطناً يتمتع بكامل حقوق المواطنة وواجباتها. إنها اسئلة، من جملة فيض من الاسئلة الأخرى المشابهة، لم يجب العلماء المسلمون عليها بعد بصورة منتظمة ومفصلة ومنهجية.

ابتداء من اوائل التسعينات، ازداد عقد الندوات واللقاءات حول الشريعة، وشارك فيها علماء من العالم الاسلامي وعدد من الأئمة والمثقفين المقيمين في أوروبا: اجتمع نحو عشرة من علماء العالم الاسلامي في تموز ١٩٩٢، ثم في تموز ١٩٩٤، في المعهد الاوروبي للعلوم

الاسلامية لا يزال مرتبطاً ببعض الحكومات، لكن الصحيح ايضاً أن عدداً متزايداً من الروابط والجمعيات أخذ في تمويل مراكزه ونشاطاته عبر تبرعات من المجموعات المقيمة. والمؤشر الأخير على التحول العميق الذي يتم حالياً يتمثل بتلك النتائج الثقافية والفنية للمسلمين الاوروبيين. ففي بريطانيا، كما في اسبانيا وفرنسا، مثقفون وفنانون هم الآن في صدد وضع ثقافة إسلامية أوروبية حقيقية. وإذا كان البعض منهم يكتفي بتقليد أعمال سابقة معروفة (منوعات، مسرح...)، فإن آخرين يعطون الدليل على قدرة حقيقية على إبداع أعمال تسعى إلى احترام القيم الإسلامية وإدخالها، في الوقت نفسه، في إطار احترام العادات والأفواق الوطنية. وهناك أعمال واعدة برسم هوية مسلمة أوروبية مقبولة من الجميع.

لكن حقائق الحياة اليومية لا تزال تعكس، رغم كل هذه الجهود، وضعاً صعباً يعيشه المسلمون في أوروبا، أساسه التمييز العنصري والنظرة الدونية والحذر والرفض. ومرة ذلك ليس القوانين الأوروبية ولا الحكومات والأداء الرسمي والاداري على قدر ما هو في الحكم المسبق الذي يفتقره الأوروبي العادي للمسلمين وللإسلام على أنهما «غير قابلين للاندماج».

فمثل هذه الأحكام المسبقة والتبسيطية عن الإسلام تمنع الجمهور الأوروبي العريض عن إدراك حقيقة الأمور من جهة، وحقائق الخطوات الاندماجية المحققة فعلاً من جهة أخرى. فمبادرات الحوار المتزايدة يوماً بعد يوم، والجهود التي يبذلها المسلمون أنفسهم، ورغبة بعض وسائل الاعلام الصادقة والحريصة على عدم صب الزيت على النار، تفتح الباب، ولو ضيقاً، على مستقبل واعد بالاحترام المتبادل.

وما يجدر قوله، أخيراً، إن اندماج المسلمين يجب أن لا يُنظر إليه على أنه اندماج سلبي، أو خائف، أو أنه من هذا النوع من الخيارات التي لا بد منه لأن لا خيار سواه، بل يجب اعتباره مساهمة من المسلمين في بناء أوروبا. فوجود المسلمين هو إغناء حضاري وروحي في قلب مجتمعات دنيوية. وعلى المسلمين، كذلك، أن ينضموا إلى جميع هؤلاء الذين يسائلون مجتمعهم عن المعنى، عن الأخلاقي وعن العدالة الاجتماعية.

تعقيب على موضوع «الاندماج»، المتعلق خاصة بالكتاب والمثقفين الأنغلو فونيين، الذي يعكس إلى حد كبير حقيقة ودقة ما ورد أعلاه عن الاندماج كحقيقة آخذة في

الانسانية (شاتو-شينون) بهدف رسم إطار تشريعي إسلامي للوجود المسلم في أوروبا. وفي بريطانيا، ضاعفت المؤسسة الإسلامية من مبادراتها في هذا الاتجاه منذ ١٩٩٠، كما شهدت لندن، في ١٩٩٧، إنشاء المجلس الأوروبي لإعداد الآراء القانونية والأبحاث.

ونتيجة لهذه الجهود واللقاءات صدرت خمسة مبادئ حازت على شبه إجماع سواء بين العلماء أو داخل المجموعات المسلمة الأوروبية (مجموعات صغيرة، مثل «التحرير»، و«الموحدون»، و«المهاجرون» الذين يدعون إلى تطبيقات سلفية للشريعة الإسلامية في أوروبا، هي مجموعات معزولة، حتى ولو احتلت أخبارها أحياناً حيزاً في وسائل الاعلام):

- المبدأ الأول: المسلم، المقيم أو المواطن، يجب أن يعتبر نفسه مرتبطاً بعقد أدبي واجتماعي في أن مع البلد الذي يسكن فيه ويحترم قوانينه.

- المبدأ الثاني: القوانين الأوروبية (وعملياً، الاطار العلماني) تسمح للمسلمين بممارسة فرائض دينهم.

- المبدأ الثالث: التسمية القديمة «دار الحرب» - التي لا ترد في القرآن ولا تنتمي، تالياً، إلى التقليد النبوي - معتبرة بحكم الملغية. والمفاهيم الأخرى التي جرى طرحها ومناقشتها يجب ترجمتها بصورة إيجابية تقدم وجود المسلمين في أوروبا.

- المبدأ الرابع: على المسلمين اعتبار أنفسهم مواطنين كاملي المواطنة والمساهمة في احترام قيم (التي هي قيمهم) الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد التي يقيمون فيها.

- المبدأ الخامس: لا شيء يحول، في مجال القوانين الأوروبية، في أن يختار المسلم، وبحرية تامة، مثله مثل أي مواطن، الخيارات التي تتيحها له القوانين المرعية الإجراء والتي يرى أنها تستجيب لمتطلبات معتقده الديني.

وهناك مؤشر آخر ومهم على رغبة الخروج من العزلة، ويتمثل بازدياد استعمال لغة البلد الأوروبي في المحاضرات وحتى في عضلات الجمعة. وفي بريطانيا ينشط أعضاء الجمعيات الشبابية والطلابية المسلمة ضد الهجمات المسلمة الداعية للمحافظة على خصوصيات المجموعات الإسلامية ويعتبرونها من قبيل الدعوات العنصرية وتشجيع الغيترات.

ويتمتع الإسلام الأوروبي لايجاد طرق ووسائل التمويل الذاتي لمؤسساته الدينية، وتأمين، تالياً، استقلاله السياسي. صحيح أن العدد الأكبر من المساجد والمعاهد

تدرب عليها إلا كعادة موروثة. لكن، لا يزال المظهر الخارجي الذي يوحى بحسن الاطلاع ينفى وراءه تلك الشخصية التي تنظر باستغراب إلى العالم كأنها جاءت من كوكب آخر وتعبر عنه شعرياً. وعلى رغم ان العديد من الروائيين المهاجرين الذين يعملون في بريطانيا، وأبرزهم حنان الشيخ، لا يزالون يكتبون بالعربية، فإن أمثال هؤلاء الراضين الانغلوقرنية يشكلون حالياً الاستثناء وليس القاعدة، كأن استخدام اللغة العربية كأداة تعبير أساسية أصبح إشكالياً حتى وسط الاجيال الأولى من المهاجرين.

التحقق من جهة، وعن صعوبته ومعاناته من جهة ثانية. ويكتفي التعقيب، هنا، بنقل فقرة وردت في الكلمة الرئيسية التي ألقاها في المؤتمر الاقليمي بـ«المجلس البريطاني» في القاهرة في ٢٣-٢٦ آذار ١٩٩٨، الروائي الفلسطيني-البريطاني طوني حنايا («الحياة»، العدد ١٢٨١٩، تاريخ ٩ نيسان ١٩٩٨، ص ٢٠):

«يعيش الكتاب المهاجر المندمج مثل جاسوس متقاعد، انتهت مهمته منذ وقت بعيد، وسُرح المسؤولون عن توجيهه منذ وقت بعيد، ولم تبق أساليب التخفي التي

قريش حكومة الملاء (ملاء قريش) التي تشكلت من الارستقراطيين منهم، وتمكنت بثروتها وجاهاها ونفوذها من أن تمسك بمقاليد الحكم في المدينة المقدسة. وكان «صناديد قريش»، وهم التجار الكبار والمرابون والنحاسون ومستغلو العبيد والإماء، يعادون الرسول ودعوتهم للترحيب ونبذ الشرك وعبادة الاصنام، وللعدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر جميعهم (عن عباس صفا في مراجعته لكتاب خليل عبد الكريم، «قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية»، سينا للنشر-القاهرة، ومؤسسة الانتشار العربي-بيروت ١٩٩٧، «الحياة»، آذار ١٩٩٨).

دولة الاسلام الاولى (٦٢٢-٦٣٢): هي أول دولة للعرب المسلمين في التاريخ، وكانت السلطة العليا فيها لني الله ورسوله محمد بن عبد الله، وفي المدينة (يثرب) مارست هذه الدولة سلطتها ونظمت مجتمعها ووضعت دستورها الاول، وكان ذلك منذ السنة الاولى للهجرة. غير ان عقد تأسيس هذه الدولة يعود تاريخه إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنوات. ففي ثلاثة مواسم للحج، متوالية، قبل الهجرة، كان التعاقد على تأسيسها يتم، ويتأكد، ويتزايد العاقدون له والقابلون بتنفيذ بنوده.

ولقد كانت البداية، عندما لقي الرسول، في موسم الحج، في مكة، ستة من سكان يثرب، كلهم من قبيلة الخزرج، فعرض عليهم دينه ودعاهم إلى دعوتهم فأجابوه، وتعاقدوا معه على الهجرة إلى بلدهم، ودعوة قومهم لدينه،

دولة الاسلام

دولة قريش: المؤسس الاول لقبيلة قريش، قصي ابن كلاب، حوّلها من قبيلة مستضعفة تسكن الجبال والشعاب واطراف مكة إلى القبيلة الحاكمة التي تمسك بزمام السلطة والثروة في العاصمة الدينية المقدسة، فأصبحت أشرف قبائل شبه جزيرة العرب، وقد أطلق على افرادها لقب «أهل الحرم».

أما معالم الدولة، دولة قريش، فتوضعت مع هاشم بن عبد المطلب الذي حوّل تجارة مكة إلى الرحاب الواسعة، وعقد معاهدات مع ملوك فارس والروم واليمن، ووثق صلاته الداخلية بمصاهرة العديد من القبائل الكبيرة، ومنها الخزرج وخزاعة وصعصة وثقيف. أما عبد المطلب فلقب بـ«سادن الكعبة» و«سيد البطحاء»، واستخدم أدوات الدين لتأكيد مكانة قريش لدى جميع العرب.

وبعد عبد المطلب، غابت الشخصية الأسرة على قريش التي خافت أن تفقد إنجازات الأسلاف، فعقدت «حلف الفضول» الذي تألف من بني هاشم وبني تميم وبني أسد وبني زهرة. وكان أول الداعين إلى هذا الحلف الزبير بن عبد المطلب، وقد عقد الاجتماع الاول في منزل عبد الله بن جدعان.

وقيل ظهور الاسلام (وفي أيام ظهوره) كان على

وقيادتهم في بناء مجتمع جديد يتوحد فيه الانصار، وتعلو فيه كفتهم على كفة اليهود الذين كانوا يمارسون في يثرب وضع الغزاة الذين حولوا عربها إلى «موالي»-مواطنين من الدرجة الثانية.

والذي يؤكد هذا الطابع السياسي الذي اشتمل عليه عقد تأسيس هذه الدولة-إلى جانب أمور الدين الخالصة-ان الرسول عندما لقي هؤلاء النفر سألهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج... قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم... قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى... فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الاسلام... وفي موسم الحج التالي، بعد عام، بلغ عدد الأنصار الذين جددوا هذا التعاقد وأكدوه إثني عشر رجلاً، فيهم إثنان من قبيلة الأوس والباقيون من الخزرج... وبعد عام، ارتفع عدد المبايعين المتعاقدين على تأسيس هذه الدولة في بيعة العقبة الثالثة إلى ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، مثل الأوس فيهم أحد عشر والباقيون من الخزرج، وقادهم في عقد البيعة إثنا عشر نقيباً تسعة منهم من الخزرج وثلاثة من الأوس... أبرموا عقد تأسيس الدولة الاسلامية الأولى، واتفقوا على ان عاصمتها هي المدينة (يثرب) يحكم منها الرسول ويقيم فيها حتى بعد ان يفتح الله عليه مكة التي ولد ونشأ فيها.

وفي يثرب، بعد الهجرة، بدأت الدولة الجديدة بناء المجتمع الجديد، كما شرعت في اعداد العدة للدفاع عن هذا المجتمع ضد المشركين. وفي التنظيم السياسي لهذا المجتمع كثرت القبائل المسلمة جماعة مسلمة واحدة، ثم دخلت هذه الجماعة المسلمة في حلف سياسي مع القبائل العربية غير المسلمة ومع القبائل اليهودية، يحمون، بموجبه، جميعاً، يثرب وملحقاتها من غزو مشركي مكة ومن حالفهم من الأعراب. واستمر هذا الحلف السياسي حتى عم الاسلام عرب يثرب وحتى نقضه اليهود أثناء غزوة الاحزاب (والخندق).

ولقد كوّن المهاجرون القرشيون حياً لقريش في المدينة، فكانوا قبيلة قريش في يثرب، وعقد الرسول بينهم مؤاخاة، ثم ضمّتهم والأنصار مؤاخاة تالية تشاركوا جميعاً بموجبه في: ١-الثروة وأمور المعاش؛ ٢-والحق، أي الدين والنصرة فيه؛ ٣- والميراث بعد الموت... ثم نسخ الاشتراك في الميراث، وتخصص بنوي الأرحام وبقيت المؤاخاة بين أعضاء المجتمع الجديد في الثروة والحق.

وكانت قيادة القرشيين المهاجرين لتلك الهيئة التي كانت بمثابة حكومة للرسول، وهي التي اشتهرت باسم

«المهاجرين الأولين»، وهم عشرة، أحاطت بيوتهم، مع الرسول، بالمسجد الذي كان داراً للحكومة، واختصروا بأبواب تربط بين بيوتهم وبين ساحة المسجد. وكانوا في الصلاة يقفون خلف الرسول، وفي القتال يقاتلون أمامه. وفيهم كان لمثيل أهم بطون قبيلة قريش. واشتهر في الاسلام انهم المبشرون بالجنة. وبعد وفاة الرسول ظلت سلطة الخلافة خاصة بهم مقصورة عليهم، وكانوا حريصين على أن ينبهوا الانصار إلى الفرق بينهم عندما قالوا لهم: نحن الأمراء وانتم الوزراء-أي المستشارون... ولقد بادر إثنان من هذه الهيئة بعقد الخلافة لثالث منها في سقيفة بني ساعدة-عندما عقد عمر وأبو عبيدة لأبي بكر-وشاورهم أبو بكر عندما أراد العهد إلى عمر... وكوّن عمر من بقيتهم الأحياء-وكانوا ستة-مجلس الشورى الذي اختار عثمان بن عفان... فكانت «هيئة المهاجرين الأولين» هي حكومة دولة المسلمين الاولى التي كان الرسول نبيها وحاكمها... وهؤلاء المهاجرون الأولون هم: أبو بكر، وطلحة بن عبيد الله (وهما من تيم)، وعمر بن الخطاب، وسعيد بن زيد (وهما من عدي)، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن ابى وقاص (وهما من زهرة)، وعلي بن ابى طالب (وهو من هاشم)، وعثمان بن عفان (وهو من أمية)، والزبير بن العوام (وهو من أسد)، وأبو عبيدة بن الجراح (وهو من فهر).

ومن المدينة (يثرب)، قاعدة الدولة الجديدة، خرجت القوات التي أمنت للدعوة الجديدة ودولتها الاستمرار والانتشار، والوفود والرسائل إلى القبائل والملوك والرؤساء، حتى تم فتح مكة، واعترفت قبائل شبه الجزيرة وحواضرها بالسلطة السياسية الجديدة التي وحدت العرب تحت راية الاسلام. وبين هذه القبائل، في مضاربها وفي حواضرها، بدأت تتكون وتنمو قسيمات جهاز الدولة الجديدة. فكان هناك قضاة، وعمال يقيمون العلاقات، إلى ان تأسست قواعد جهاز الدولة وبلغت ذروة نضجها في دولة الخلافة الراشدة، خاصة على عهد خليفته الثاني عمر بن الخطاب (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ج ٢، ط ١، ص ٧٠٧-٧٠٨).

النبي محمد رسول الله (٥٧١-٦٣٣م): محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، من عدنان، من أبناء إسماعيل بن ابراهيم الخليل: النبي العربي، مؤسس الجامعة الاسلامية، وواضع بناء حضارتها، جامع



الواح تحمل آيات من القرآن الكريم (المكتبة الوطنية، باريس).

شمل العرب، ومجّد حياتهم السياسية والتشريعية، أبو القاسم.

وُلد بمكة. ونشأ يتيماً، ربّته أمه آمنة بنت وهب، وماتت وعمره ست سنين، فكفله جده عبد المطلب، ومات جده بعد سنتين، فكفله عمه أبو طالب ونشأ شجاعاً عالي الهمة، صادقاً، فاضل الاخلاق، كامل العقل، لقبه قومه بـ«الأمين». ولما بلغ الخامسة والعشرين زوّجه عمه خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية، وهي تكبره بنحو ١٥ سنة، وكانت غنية أرسلته قبل الزواج بتجارة إلى الشام فأفلح وربح. ولما بلغ الأربعين من عمره بُدئ بالرياء الصادقة، وحُبّت إليه الخلوة، فكان يقضي شهراً من كل عام في حرّاء (على مقربة من مكة) يتحنّث (كما كانت قريش تفعل في الجاهلية) والتحنّث التعبّد) فلما بلغ الثالثة والأربعين، في رمضان (١٣ ق هـ - ٦١٠ م) أوحى إليه في غار حرّاء بآية: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق». وشرع يدعو من حوله سرّاً، فأمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب، وصديقه أبو بكر، ومولاه زيد بن حارثة، وجماعة من قومه، فأعلن الدعوة إلى الاسلام بالتوحيد ونبد الأوثان وخرافاتهما. وهزأت به قريش وآذته، فصبر؛ وحماه عمه أبو طالب حتى مات. وأسلم عمه حمزة وعمر بن الخطاب، فقوي بهما. واشتد أذى قريش لأصحابه، فأذن لمن ليس له عشيرة تحميه بأن يهاجر إلى أرض الحبشة فهاجر ثلاثة ولما نزل رجلاً، عدا النساء والاولاد.

ثم أسلم بمكة ستة من الأوس والخزرج من أهل المدينة (يثرب) وعادوا إليها، فلم يلبث ان جاء منها اثنا عشر رجلاً فأمنوا به، فبعث معهم مصعب بن عمير ليعلمهم شرائع الاسلام والقرآن، فلم يمض غير قليل حتى انتشر الاسلام في المدينة، ووجد عليه جمع من أهلها فدعوه وأصحابه إلى الهجرة إليهم وعاهدوه على الدفاع عنه، فأجاب دعوتهم وأمر أصحابه بالخروج من مكة ثم لحقهم. وبلغ قريشاً خبر هجرته، فتبعوه ليقتلوه فنجوا.

ودخل المدينة فبنى فيها مسجده وجهر بنشر الدعوة، وكانت قريش تحول بينه وبين ذلك في مكة بالقوة. وبسنة دخوله المدينة يتأدى التاريخ الهجري، وكان سنة ٦٢٢ م.

ولم يدعه مشركو قريش أمناً في دار هجرته، بل كانوا يقصدونه لقتاله فيها، فنزلت آيات «الإذن بالقتال» مبينة سببه ووجه الحاجة إليه. وكانت المعركة الاولى بينه وبين قومه (قريش) في بدر مجوار المدينة. وتلتها غزوة بني

قينقاع وهم قبيلة من اليهود كان النبي قد دعاهم وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وحرية دينهم، فنقضوا عهده.

وفي السنة الهجرية الثالثة، كانت غزوة أحد؛ وفي الرابعة غزوة الرقاع وبدر الثانية؛ وفي الخامسة غزوة الخندق وغزوة بني قريظة؛ وفي السادسة غزوة ذي قرد وبني المصطلق وفيها بعث النبي الرسل إلى كسرى وقبصر والنجاشي وغيرهم من عظماء الملوك كالمقوقس بمصر والهارث الغساني بالشام يدعوهم إلى الاسلام؛ وفي السابعة غزوة خيبر؛ وفي الثامنة غزوة مؤتة وحنين، وفيها فتح المسلمون مكة وكانت معقل المشركين من قريش وغيرهم؛ وفي التاسعة غزوة تبوك. وفي السنة الهجرية العاشرة، أقبلت وفود العرب قاطبة على النبي وهو بالمدينة. وبعث ابن عمه علي بن أبي طالب إلى اليمن فأسلمت همدان كلها، وتتابع أهل اليمن وملوك حمير على الاسلام.

وحجّ حجة الوداع (سنة ١٠ هـ) وكانت خطبته فيها، وهو على ناقته، من أطول خطبه وأكثرها استيعاباً لأمر الدين والدنيا. وفي أواخر صفر (سنة ١١ هـ) حمّ بالمدينة، وتوفي بها في ١٢ ربيع الاول، ودُفن في مرقده الشريف.

أما معجزته الخالدة التي بنيت عليها الدعوة فالقرآن الكريم.

وأما صفاته: فكان إذا خطب (في نهى أو زجر) احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش؛ وإذا خطب في الحرب اعتمد على قوس، وفي السلم على عصا. وكان طويل الصمت، قليل الضحك، وإذا ضحك وضع يده على فيه، وإذا تكلم تبسّم. يجلس ويأكل على الارض، ويثيب دعوة المملوك على خبز الشعير. وكان إذا مشى لم يلتفت، وإذا التفت التفت جميعاً، يتكناً في مشيه كأنما ينحط من صلب. وإذا اهتم لأمر أكثر من مسّ لحيته. وإذا أراد غزوة ورى بغيرها. فيه دعابة قليلة. وإذا فرح غضّ بصره. في كلامه ترتيل وترسيل. شديد الحياء. ضخّم الرأس واليدين والقدمين. ليس بالطويل ولا القصير. سبط الشعر. لونه أسمر، وخلقه تامة، وعينه سوداوان، وفي خديه حمرة. متواضع في غير مذلة. يمسح رأسه ولحيته بالمسك، ويرسل شعره إلى أنصاف أذنيه، ويلبس قلنسوة بيضاء. وما صافحه أحد فترك يده حتى يكون ذلك هو الذي يترك يده. وكان يغيظ ثوبه، ويغصّف نعله، ويجالس المساكين. خطيباً أوتي جوامع الكلم، شجاعاً بطلاً-قال علي بن أبي طالب: كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله، فكان أقربنا إلى العدو-ولكنه لم يقتل بيده إلا

في عهد الرسول، وذلك لانقطاع الوحي، وتمام الدين، وتقرير ان سلطان النبي الديني ليس قابلاً للميراث. ومن هنا كان الحرص على ان لا تبدأ الخلافة في الفرع الهاشمي من قريش حتى لا تكون فيها شبهة الميراث فتتأهل في آل بيت الرسول.

وأخطر ما واجهته هذه الدولة، بعد قيامها، هو رفض القبائل العربية المسلمة، في غير مكة والمدينة والطائف، الخضوع لسلطانها، وكان منع تسليم الصدقات للخليفة بادرة هذا الوهن الذي تعرضت له وحدة الدولة. فدارت تلك الحرب السياسية التي عرفت في التاريخ بـ«حروب الردة»، وانتهت باعادة وحدة عرب شبه الجزيرة. ثم بدأت الدولة موجة فتوحاتها المظفرة ضد الدولة الفارسية، فحررت العراق من نفوذها وطاردت جيشها حتى هزمته وأخضعت الفرس لحكم الخلفاء، كما حررت المستعمرات الشامية ومصر وأجزاء من شمالي افريقيا من حكم الروم البيزنطيين، وأدخلتها جميعاً في إطار دولة الخلافة.

وفي عهد عمر بن الخطاب، ثاني خلفائها، اكتملت لهذه الدولة سمات الامبراطورية، ووضعت الأسس لنظمها المالية والادارية والعسكرية. وفي عهد عثمان بن عفان، برزت الصراعات الاجتماعية والقبلية عندما ظهرت سيطرة بني أمية على عصب الاجهزة المالية والادارية في الدولة، حتى بلغت الحد الذي يمكن معه اعتبار سنوات حكمه الستة الاخيرة هي فترة التأسيس للدولة الأموية التي كرّس انتصارها، في ما بعد، معاوية بن ابي سفيان. وبعد ان انتهت هذه الصراعات بثورة احتلت العاصمة وقتلت الخليفة عثمان، بايع الثوار علياً بن ابي طالب. ولكن الأمويين، وأنصارهم، من أهل الشام خاصة، رفضوا الاعتراف بخلافته، واستمر صراعهم ضده وضد أنصاره، الذين كان أغلبهم من أهل العراق، حتى استشهد علي، وآلت مقاليد السلطة إلى معاوية. فانتهت بذلك فترة حكم الخلفاء الراشدين (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ج ٢، ط ١، ص ٧١٢-٧١٣).

دولة الاسلام بعد الخلافة الراشدة: بعد وفاة الرسول كان الأمويون يدعون لجعل السلطة في قريش لا في الأنصار. وعندما ولي الخلافة عثمان بن عفان بن ابي العاص بن أمية، اتخذ الأمويون هذا الظرف سبيلاً لفرض سيطرتهم على مقاليد دولة الخلافة، ما أدى إلى ثورة قتلت

رجلاً واحداً حاول قتله فسبقه بطعنه في لحيته. وأما أسرته فإن زوجته الأولى خديجة استمرت معه وحدها إلى ان توفيت (سنة ٣ ق هـ) وقد ولدت له القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. ومات القاسم وعبد الله صغيرين، فلم يبق له ولد ذكر، فتزوج بعدها أربع عشرة امرأة وتوفي وعنده تسع، ولم يولد له غير ابراهيم (من سريته مارية) ومات ابراهيم طفلاً لم يبلغ سنتين. وتوفي جميع أولاده في حياته إلا ابنته فاطمة، وكان قد تزوجها ابن عمه علي بن ابي طالب، فولدت له الحسن والحسين فانحصرت فيهما نسبة كل منتسب إلى رسول الله. وولدت ولداً ثالثاً سمته محسنًا، مات صغيراً.

وكان للنبي كتاب يملئ عليهم لأنه لم يتعلم الكتابة؛ وحراس اتخذهم، حتى أوحى إليه «والله يعصمك من الناس» فركبهم مؤذنون، وسيفيون، ورسول، وشعراء وخطباء، وخدم، وخيل وبغال وإبل، وسلاح كثير من سيوف ودروع وقسي ورماح وغيرها. (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ج ٦، ط ١، ص ٨٤-٨٦).

دولة الاسلام الثانية، الخلافة الراشدة (١١-٤١ هـ)

٤١ هـ، ٦٣٢-٦٦١: هي امتداد للدولة العرب المسلمين الأولى التي أسسها وقادها النبي رسول الله محمد بن عبد الله. وقد تكونت الدولة الثانية عقب وفاته مباشرة بعد جدل دار بين ممثلي المهاجرين الأولين، وهم الحبي المدني من قبيلة قريش الذين سبق قادتهم إلى الاسلام واستوطنوا المدينة بعد هجرتهم من مكة، وبين ممثلي الأنصار، وهم سكان المدينة الاصليون، وبالذات، قبيلتي الأوس والخزرج. ولقد انتهى هذا الجدل، الذي تم في سقيفة بني ساعدة، بأخذ البيعة لأبي بكر الصديق، فأصبح أول خليفة في دولة الخلافة الراشدة التي اتخذت من المدينة عاصمة لها والتي استمر حكمها ٢٩ عاماً.

قامت هذه الدولة على أساس من فلسفة الشورى. فكان خلفاؤها يتم تنصيبهم بشورى أهل الرأي في العاصمة الذين كانوا يبايعون واحداً من هيئة المهاجرين الأولين العشرة أو «الصحابة» الذين كانوا بمثابة حكومة الرسول. فاختصت هذه الهيئة بالمنصب واختص رؤساء المدينة بالشورى والاختيار والبيعة أو إبداء الرأي والتصديق على ترشيح الخليفة القائم للخليفة الجديد.

ومنذ البداية حرص خلفاء هذه الدولة على تأكيد طابعها المدني والتميز بين طبيعتها وطبيعة الدولة والسلطة

عثمان ونصبت علياً بن ابي طالب، فهاضها الأمويون ورفضوا الاعتراف بها ومضوا في طريقهم حتى اجتمع لهم الأمر بقيادة معاوية بن ابي سفيان (٤٠هـ-٦٦١م) عندما خلص لهم الحكم، فتأسست دولتهم واشتدوا دمشق عاصمة لها، وامتدت رقعتها لتشمل شعوباً واقطاراً جديدة. ولكن اعتمادهم على سلاح العصبية القبلية قد امتد ليميز ما بين ذوي الأصل العربي والآخرين من أصلا ب غير عربية (الموالي)، فخلق ذلك المناخ ردود فعل تمثلت في الحركات الشعبية. كما استمر اضطهادهم وتعباعد ضد بني هاشم وآل بيت الرسول، مما مكّن كل الخارجين عليهم من التستر برايات آل البيت ذات الظلال المهيبة والتأثير الكبير. فتعرضت الدولة لثورات شبه مستمرة من الخوارج والشيعة والمعتزلة وأشراف مكة الذين تزعمهم عبد الله بن الزبير.

وبعد أربعة عشر خليفة من الأمويين (كان آخرهم مروان بن محمد، ٧٤٤-٧٥٠) أنهت الثورة الهاشمية عهد الدولة الأموية بنقلها السلطة إلى العباسيين.

من دولة الاسلام إلى دول الاسلام: لكن الذي حصل على صعيد «وحدة الدولة الاسلامية» كان أخطر بكثير من حدوث ثورة أطاحت حكاماً وعهداً وجاءت بآخرين. ذلك ان نهاية الحكم الأموي في دمشق لم يكن ختام حكمهم، فلقد فرّ أحد أمراء البيت الأموي، وهو عبد الرحمن الداخل، حفيد خليفته العاشر هشام بن عبد الملك، فبلغ أرض الاندلس في العام ٧٥٥ وأسس هناك الإمارة الأموية ثم الخلافة الأموية التي استمر حكمها حتى العام ١٠٣١. فأصبح هناك، وللمرة الأولى، دولتان إسلاميتان: عباسية وأموية. وأكثر من ذلك، فإن الأمر لم ينته عند هذا التقسيم الثنائي، إذ ما إن مرّ نحو قرن واحد من الزمن على قيام الدولة العباسية حتى بدأ التفكك يسري في أوصالها، وبدأت تقوم دويلات إسلامية تقتسم جسم الامبراطورية العباسية جاعلة من بغداد والخليفة العباسي المقيم بها أسرى سلاطين هذه الدويلات. ولم يكن للخليفة العباسي، في أغلب أوقات مرحلة التفكك هذه، سوى اللقب الذي يضرب على السكة (النقد) والدعاء لاسمه على المنابر يوم الجمعة. ثم قام المماليك في مصر بنقل مركز الخلافة العباسية إلى القاهرة ببيعتهم أبا القاسم أحمد المستنصر بن الظاهر خليفة (١٢٦١). وتوالى من بعده خلفاء ليس لهم من الأمر شيء، كان آخرهم المتوكل الثالث بن المستنصر الذي فتح العثمانيون على عهده مصر، فانتهت بهذا الفتح الخلافة العباسية (١٥١٧).

فإضافة إلى دولة المركز (بغداد) التي بدأت تنهار فعلياً (ولو بقيت إسمياً) بعد عقود من الازدهار، وإلى دولة الأندلس، ظهرت ١٦ دولة إسلامية من العام ٧٨٨ وحتى ١٥١٧. وهذه الدول:

- الدولة الإدريسية ٧٨٨-٩٧٤ (المغرب).
- دولة الأغالبة ٨٠٠-٩٠٩ (تونس).
- الدولة الطولونية ٨٧٩-٩٠٥ (مصر).
- الدولة الفاطمية ٩٠٩-١١٧١ (تونس)، حيث كانت عاصمتها القيروان، وبعدها المهدية، وبعدها القاهرة.
- الدولة الحمدانية ٩٢٩-١٠١٥ (الموصل ثم حلب).
- الدولة البويهية ٩٣٢-١٠٥٥ (الساحل الجنوبي من بحر قزوين).
- الدولة الزيدية ٨٩٣-١٢٩٧ (اليمن).
- الدولة الأخشيدية ٩٣٥-٩٦٩ (مصر).
- الدولة الغزنوية ٩٦٢-١١٨٦ عاصمتها غزنة الواقعة على قمة هضبة عالية تشرف على سهول الهند الشمالية وتتصل بها بواسطة وادي كابل في أفغانستان.
- الدولة السلجوقية ١٠٣٧-١١٨٦ (تركستان وبخارى).

- دولة المرابطون ١٠٥٦-١١٤٦ (المغرب).
- الدولة الزنكية ١١٢٧-١٢٥٠ (الموصل).
- دولة الموحدين ١١٢٩-١٢٦٩ (المغرب).
- الدولة الأيوبية ١١٧١-١٢٥٠ (مصر).
- دولة المماليك ١٢٥٠-١٥١٧ (مصر).
- دولة السعديين ١٥١٠-١٦٥٩ (المغرب).

دولة الاسلام مع العثمانيين، ودول الاسلام بعدهم: وفي حين كان المسلمون في الأندلس يتراجعون كانت دولة الاسلام العثمانيين في الشرق تنمو وتتقدم وتضم غالبية الدول الإسلامية وتتوسع غرباً وشرقاً وتتصل إلى حدود لم تبلغها أي من الدول الإسلامية قبلها. أما الخلافة المعتبرة رمزاً لوحدة الجماعة أو الأمة الإسلامية التي نشأت في المدينة المنورة وازدهرت في عهد الخلفاء الراشدين، ثم انتقلت إلى دمشق في عهد الأمويين (٦٦١-٧٥٠)، وإلى بغداد في عهد العباسيين (٧٥٠-١٢٥٨)، وإلى القاهرة في عهود الاضطهاد والانقسام وتفكك الخلافة العباسية (١٢٥٨-١٥١٧)، فإنها أصبحت في استنبول، بدءاً من دخول السلطان العثماني سليم الأول

القاهرة في ١٥١٧، واستمرت حتى ١٩٢٤، أي السنة التي أقدم فيها مصطفى كمال أتاتورك على قطع كل علاقة لبلاده بالشرق وبالآثار الإسلامية، وألغى الخلافة (راجع «تركيا»، ج ٦).

وجاء عصر النهضة العربية ليتضمن، من جملة ما يتضمن من اتجاهات وحركات إصلاحية، وعلى مدى عقود سبقت انهيار السلطنة العثمانية، على حركة إسلامية إصلاحية تدعو إلى جامعة إسلامية (أو رابطة إسلامية) تعمل على بناء «إمبراطورية إسلامية» تذوب فيها مختلف القوميات الإسلامية وتخضع لها سائر الملل (جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده).

لكن الدول الأوروبية أسرع في تفكيك الإمبراطورية العثمانية مع نهاية الحرب العالمية الأولى، ووضعت المناطق العربية تحت الانتداب (الفرنسي والبريطاني)، الأمر الذي جعل رواد عصر النهضة، بمختلف اتجاهاتهم، ينتقلون من دوائر اهتماماتهم وأهدافهم الكبرى (وحدة سورية، وحدة عربية، جامعة إسلامية، لبرالية وراديكالية، اشتراكية إصلاحية، حداثة ولحاق بركب الحضارة وتخطي التخلف...) إلى دائرة الاهتمام بالخروج من الاستعمار الفرنسي والبريطاني. ومع الاستقلالات، التي جاء بعضها في فترة ما بين الحربين العالميتين، وبعضها الآخر في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، والتي تداخلت فيها حركات التحرر الوطنية والقومية والإسلامية، انكشف المشهد السياسي الدولي العام على قيام دول عربية ودول إسلامية وليس على دولة عربية أو دولة إسلامية.

الجامعة الإسلامية: إن حيوية الرسالة الإسلامية التي حملتها إلى فلاحى جزر الهند الشرقية وإلى أهل مدينة قرطبة الحضريين، ومكنتها من أن تحوز القبول لدى القبائل الأفريقية ولدى أهل القرى الساسانية دون فرق، وقدرتها على إبقاء المبادئ نفسها حية ناطقة طوال أربعة عشر قرناً دون انقطاع، إن هذه الحيوية التي ارتاحت قروناً في ظلال الخلافة العثمانية عادت ساعية لتأمين دعم الدولة والخلافة مع انحطاط السلطنة العثمانية المنذر بقرب زوالها. فأثمرت هذه المساعي عن «جامعة إسلامية» Pan-Islamism فكراً سياسياً ودينياً باحثاً عن تنظيم أو منظمة تؤمن وحدة المسلمين في مختلف أوجه حياتهم.

جاءت الجامعة الإسلامية كتيار سياسي-ديني برز في بلاد الشرق الإسلامي في القرن التاسع عشر. وفي مقدمة دوافعه: الرغبة في استخدام روابط الأخوة والتضامن

الإسلامي في معركة التجديد واليقظة لإخراج المسلمين من نطاق العصور المظلمة (المسؤولة عنه السلطنة العثمانية باعتزاف الإصلاحيين العثمانيين أنفسهم) إلى رحاب العصر الحديث.

لكن الجامعة الإسلامية عرفت تيارات متعددة تمايزت مواقفها الفكرية والعملية إزاء مشكلات المسلمين، وذلك بحكم تعدد المراتب واختلاف المواقف الاجتماعية والفكرية للرواد الإصلاحيين الإسلاميين:

- فالجامعة الإسلامية كانت تعني حركة إصلاحية تجديدية، مثل الرهاية: السلفية الدينية، والحفاظ على الاجتماعية، والعداء للترك العثمانيين،

- بينما كانت تعني لدى السلطان العثماني عبد الحميد اتخاذ وحدة الدين القائمة بين العثمانيين وبين العرب والفرس والهنود المسلمين سبيلاً لإحكام القبضة العثمانية على مقدرات أوطان هذه الشعوب، وقمع الحركات القومية الحديثة التي كانت تستيقظ وتتطلع إلى الاستقلال القومي والتحرر من السلطان العثماني،

- على حين كانت تعني لدى جمال الدين الأفغاني، وتياره الفكري والثوري، التضامن الإسلامي لصد الغزو الاستعماري الأوروبي عن الشرق، والعمل على تحرير الأجزاء التي سقطت، وخاصة مصر التي احتلها الإنكليز في ١٨٨٢، والسعي لتحرير اقتصاديات المسلمين بإحلال رأس المال الإسلامي محل رأس المال الأوروبي، ومحاولة الاستفادة من إمكانيات الدولة العثمانية في هذا الميدان، بعد تطوير هذه الدولة وتحديد إدارتها، وإحلال العقلانية محل الخرافة في دوائرها الفكرية عن طريق الإصلاح الديني الذي يتسلح بالعقلانية في تفسير النصوص الإسلامية الأولى تفسيراً عصرياً مستنيراً. ولما يش الأفغاني من إصلاح جهاز الدولة العثمانية مال إلى القول بأهلية العناصر القومية في الإمبراطورية العثمانية، وخاصة العرب، للاستقلال القومي والاضطلاع بمهام التجديد والتحرير.

وبعد زوال الإمبراطورية العثمانية، وتقاسم الأوروبيين لممتلكاتها خارج حدود تركيا، ومع بروز الاستقلالات الوطنية، قدمت، في العالم الإسلامي، مقترحات ومشاريع لإعادة منصب الخلافة إلى سابق عهده. ورُشحت أسماء لشغل هذا المنصب. إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل. وعُقدت بعد ذلك مؤتمرات إسلامية كثيرة لجمع شمل المسلمين (دون لجاح يذكر). وآخر هذه المؤتمرات، وأهمها، المؤتمر الحالي الذي يحمل إسم «منظمة المؤتمر الإسلامي».

منظمة المؤتمر الإسلامي

الأصول القريبة للمنظمة: إذا كانت الأصول البعيدة والجزهرية لكل منحى وحدوي إسلامي ولكل منظمة إسلامية تكمن في مؤسسة الخلافة نفسها التي قامت مباشرة عقب وفاة النبي، فإن الأصول القريبة والمباشرة لقيام منظمة المؤتمر الإسلامي الحالية يجملها الدكتور محمد الجذوب (في كتابه «التنظيم الدولي»، الدار الجامعية، بيروت ١٩٩٨، ص ٤٥٧-٤٥٨) بالنقاط التالية:

١- إنشاء جامعة الدول العربية في العام ١٩٤٥. وهي تجمع بنطوي على تفضيل الانتماء القومي واللغوي على التضامن الديني، أو هي تجمع يرى أن نجاح التجمع القومي يشكل مدماكاً في صرح التجمع الديني.

٢- تقسيم الهند، في العام ١٩٤٧، إلى دولتين (الهند والباكستان) على أساس ديني محض، وقيام الباكستان بالبحث عن صيغة لجمع المسلمين في إطار واحد، وطرح فكرة إنشاء مواطنة إسلامية في مؤتمر عقد في كراتشي، في آذار ١٩٥٢.

٣- إقدام الصهيونيين في العام ١٩٤٨، بالتواطؤ مع بريطانيا والدول الكبرى، على اغتصاب جزء من فلسطين، ثم جميع فلسطين، وإنشاء دولة إسرائيل، وتدنيس الأماكن المقدسة، وطرد الفلسطينيين (ومعظمهم من المسلمين)، على مراحل، من ديارهم والاستيلاء على ممتلكاتهم.

٤- نجاح الثورة المصرية في العام ١٩٥٢، وإيمان قادتها برحوب الترابط والتلاحم بين العرب والعروبة والإسلام، وسعي الرئيس جمال عبد الناصر، في العام ١٩٥٤، لتأسيس منظمة إسلامية، بالتعاون مع الملك السعودي سعود بن عبد العزيز والرئيس الباكستاني محمد علي جناح. ولكن الخيارات الاستراتيجية المتباعدة للزعماء الثلاثة لم تساعد على نجاح الفكرة. وتجلي ذلك في مواقفهم المتباينة من حلف بغداد، وأزمة السويس، ومبدأ أيزنهاور.

٥- عقد عدة مؤتمرات في الخمسينات والستينات في آسيا وأفريقيا، للدفاع عن فلسطين والقدس والدعوة إلى تكوين كتلة إسلامية تستطيع الوقوف في وجه الاستعمار الجديد ومواجهة المؤامرات التي تحاك ضد الدول الإسلامية حيث الفرقة والانقسام بين شعوبها. وحاول البعض من خلال ظاهرة «المؤتمرات الإسلامية»، إيجاد البديل الموقت للخلافة الإسلامية.

وينتهي الدكتور محمد الجذوب كلامه على الدوافع المباشرة بقوله إن مرحلة المؤتمرات الإسلامية، الرسمية والشعبية، استمرت حتى العام ١٩٦٩ الذي شهد، في ٢١ آب، جريمة إحراق المسجد الأقصى في القدس من قبل العصابات الصهيونية. وقد حثت هذه الجريمة النكراء المدبرة بعض الدول الإسلامية على تكوين لجنة تحضيرية تكون مهمتها الدعوة إلى اجتماع للدول الإسلامية وإنشاء منظمة إسلامية.

التأسيس والدول الأعضاء: جاء في «دليل منظمة المؤتمر الإسلامي» الذي قدم له أمينها العام السابق الدكتور حامد الغاب، ما يلي: «... وقد تأسست المنظمة في الرباط بالمملكة المغربية في ٢٥ أيلول ١٩٦٩ بمناسبة المؤتمر الأول لقادة العالم الإسلامي الذي عقد في العاصمة المغربية على أثر الحريق الاجرامي الذي تعرض له المسجد الأقصى المبارك في ٢١ آب ١٩٦٩ على يد عناصر صهيونية في مدينة القدس المحتلة (...) ولقد استطاع قادة العالم الإسلامي المجتمعون في الرباط تأكيد وحدتهم وجمع كلمتهم واستنفار القوة اللازمة لمواجهة هذا الاعتداء الصارخ. ونتيجة لذلك الاجتماع تم إنشاء المنظمة وتضمن ميثاقها عهداً بالسعي بكافة الوسائل السياسية والعسكرية لتحرير القدس الشريف من الاحتلال الصهيوني. وبعد ستة أشهر من هذا الحدث التاريخي، أي خلال شهر آذار ١٩٧٠، انعقد في جدة بالمملكة العربية السعودية المؤتمر الأول لوزراء خارجية الدول الإسلامية الذي تم خلاله إنشاء الأمانة العامة للمنظمة لتقوم بمهمة التنسيق بين الدول الأعضاء وقد عين هذا المؤتمر أميناً عاماً للمنظمة وحدد مقراً مؤقتاً لها في مدينة جدة حتى يتم تحرير مدينة القدس الشريف باعتبارها المقر الدائم».

والواقع أن تلك المنظمة لم تصبح مؤسسة كاملة من الناحية القانونية إلا بعد عقد مؤتمرين آخرين لوزراء خارجية الدول الإسلامية: مؤتمر كراتشي (كانون الأول ١٩٧٠) ومؤتمر جدة، مجدداً (شباط ١٩٧٢). وهذا المؤتمر الأخير شارك فيه ٣٠ دولة وأقر ميثاق المنظمة. ودخل الميثاق حيز التنفيذ بدءاً من نهاية ١٩٧٣.

أما الدول المؤسسة (الثلاثون) فهي: مملكة أفغانستان، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، دولة الإمارات العربية المتحدة، دولة البحرين، جمهورية تشاد، جمهورية مصر العربية، الجمهورية الغينية، الجمهورية الأندونيسية، إيران، المملكة الأردنية الهاشمية، دولة الكويت،

الجمهورية اللبنانية، الجمهورية العربية الليبية، ماليزيا، جمهورية مالي، الجمهورية الاسلامية الموريتانية، المملكة المغربية، جمهورية النيجر، سلطنة عمان، الجمهورية الاسلامية الباكستانية، دولة قطر، المملكة العربية السعودية، جمهورية السنغال، جمهورية سيراليون، الجمهورية الصومالية الديمقراطية، جمهورية السودان الديمقراطية، الجمهورية العربية السورية، الجمهورية التونسية، الجمهورية التركية، الجمهورية العربية اليمنية، (ودولة فلسطين).

والأمين العام للمنظمة الدكتور حامد الغابيد خصص، بالإسم (في مقدمة الدليل، مرجع مذكور آنفاً)، المملكة العربية السعودية كطليعة الدول الدافعة إلى إنشاء المنظمة، فيقول: «وانه بظهور منظمة المؤتمر الاسلامي، وقيامها بأداء وظائفها النبيلة في خدمة اهداف التضامن الاسلامي، وقضايا الدول الاسلامية العادلة تكون جهود الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية رحمه الله وحزاه عن المسلمين خيراً، قد آتت ثمارها الطيبة بتوفيق من الله أولاً ثم بفضل موازنة اخوانه ملوك ورؤساء وامراء الدول الاسلامية لدعوته الخيرة للتضامن وتوحيد الجهود».

وأما الدول المنضمة في السنوات التي تلت مرحلة التأسيس (١٩٦٩-١٩٧٣)، فهي: جمهورية أوغندا، جمهورية الغابون، جمهورية غامبيا، جمهورية غينيا بيساو وجمهورية بنغلادش الشعبية (١٩٧٤)، بوركينافاسو وجمهورية الكاميرون (١٩٧٥)، الجمهورية العراقية، جمهورية جزر القمر الاسلامية وجمهورية المالديف (١٩٧٦)، جمهورية جيبوتي (١٩٧٨)، جمهورية بنين الشعبية (١٩٨٢)، بروني-دار السلام (١٩٨٤)، جمهورية نيجيريا الفدرالية (١٩٨٦)، جمهورية أذربيجان وجمهورية ألبانيا (١٩٩١)، جمهورية تركمانستان، جمهورية طاجيكستان وجمهورية قيرغيزستان (١٩٩٢)، وجمهورية موزمبيق (١٩٩٤)، فأصبح مجموع أعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي ٥١ عضواً، ثم أصبح ٥٥ دولة عضواً بعد انضمام أربع دول أخرى في السنوات الأخيرة.

الميثاق: الاهداف والمبادئ: بعد المسادة الأولى (يتضمن الميثاق على ١٤ مادة) التي جاء فيها: «تؤسس الدول الاعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي»، نصت المادة الثانية التي اتخذت لها عنوان الاهداف والمبادئ على:

(أ) الاهداف

١- تعزيز التضامن الاسلامي بين الدول الاعضاء.
٢- دعم التعاون بين الدول الاعضاء في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية وفي المجالات الحيوية الأخرى. والتشاور بين الدول الاعضاء في المنظمات الدولية.

٣- العمل على نحو التفرقة العنصرية، والقضاء على الاستعمار في جميع أشكاله.

٤- اتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام والأمن الدوليين القائمين على العدل.

٥- تنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الاماكن المقدسة وتحريرها ودعم كفاح الشعب الفلسطيني، ومساعدته على استرجاع حقوقه وتحرير أراضيه.

٦- دعم كفاح جميع الشعوب الاسلامية في سبيل المحافظة على كرامتها واستقلالها وحقوقها الوطنية.

٧- إيجاد المناخ لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الاعضاء والدول الأخرى.

(ب) المبادئ:

تقرر الدول الاعضاء وتتعهد بأنها في سبيل تحقيق اهداف الميثاق تسترعي المبادئ التالية:

١- المساواة التامة بين الدول الاعضاء.

٢- احترام حق تقرير المصير وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاعضاء.

٣- احترام سيادة واستقلال ووحدة اراضي كل دولة عضو.

٤- حلّ ما قد ينشأ من منازعات فيما بينها بحلول سلمية كالمفاوضة أو الوساطة أو التوفيق أو التحكيم.

٥- امتناع الدول الاعضاء في علاقاتها عن استخدام القوة أو التهديد باستعمالها ضد وحدة وسلامة الاراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة عضو.

هيئات المؤتمر الاسلامي: تنص المادة الثالثة:

«يضم المؤتمر الاسلامي: ١- مؤتمر ملوك ورؤساء الدول والحكومات. ٢- مؤتمر وزراء الخارجية. ٣- الامانة العامة والمؤسسات التابعة لها.

وتحدد المادة الرابعة (المعدلة في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث) مؤتمر الملوك والرؤساء بقولها إنه «الجهاز الأعلى للمنظمة، يجتمع ملوك ورؤساء الدول والحكومات على مستوى القمة بصفة دورية مرة كل ثلاث سنوات، وحينما تقتضي مصلحة الأمة الاسلامية ذلك للنظر في القضايا العليا التي تهتم العالم الاسلامي وتنسيق سياسة

المنظمة تبعاً لذلك».

وقد عقدت المنظمة، حتى اليوم، لماني مؤتمرات قمة:

- الاول في الرباط (المغرب) في ٢٢-٢٥ ايلول ١٩٦٩.

- الثاني في لاهور (الباكستان) في ٢٢-٢٤ شباط ١٩٧٤.

- الثالث في الطائف (السعودية) في ٢٥-٢٨ كانون الثاني ١٩٨١.

- الرابع في الدار البيضاء (المغرب) في ١٦-١٩ كانون الثاني ١٩٨٤.

- الخامس في الكويت، في ٢٦-٢٩ كانون الثاني ١٩٨٧.

- السادس في داكار (السنغال) في ٩-١٢ كانون الاول ١٩٩١.

- السابع في الدار البيضاء (المغرب) في ١٣-١٤ كانون الاول ١٩٩٤.

- الثامن في طهران (ايران) في ٩-١١ كانون الاول ١٩٩٧.

وتتناول المادة الخامسة مؤتمر وزراء الخارجية أو الممثلين المعتمدين الذي يجتمع «مرة كل سنة أو عند الاقتضاء... بطلب من أي دولة من دول الاعضاء أو بطلب من الأمين العام...».

وتتعلق المادة السادسة بالأمانة العامة والأمين العام ومهامهما وصلاحياتهما. وقد شغل منصب الأمين العام، حتى الآن، سبعة أمناء عامين، هم:

- تكو عبد الرحمن (١٩٧٠-١٩٧٣)، وكان رئيساً للوزراء في ماليزيا.

- حسن التهامي (١٩٧٣-١٩٧٥)، وكان مستشاراً للرئيس المصري.

- أمادو كريم جاي (١٩٧٦-١٩٧٩)، وكان وزيراً لخارجية السنغال.

- حبيب الشطي (١٩٧٩-١٩٨٥)، وكان وزيراً لخارجية تونس.

- شرف الدين بسر زاده (١٩٨٥-١٩٨٨)، وكان وزيراً لخارجية الباكستان.

- حامد الغابد (١٩٨٨-١٩٩٦)، وكان رئيساً للوزارة في النيجر.

- عز الدين العراقي (١٩٩٧-)، وكان رئيساً للوزارة في المغرب.

أما المادة السابعة فتتص على المالية وعلى «لجنة المالية الدائمة»، والثامنة على عضوية المؤتمر، والتاسعة على عمل الامانة العامة على توثيق علاقات المؤتمر بالهيئات الاسلامية ذات الصلة العالمية، والعاشر على إجازة انسحاب أي دولة من المؤتمر، والحادية عشرة على إجازة تعديل الميثاق بناء على موافقة وتصديق ثلثي عدد الدول الاعضاء، والثانية عشرة على حل الخلاف بين الدول الاعضاء بالطرق الودية، والثالثة عشرة على ان لغات المؤتمر هي العربية والانكليزية والفرنسية، والرابعة عشرة على مصادقة الدول الاعضاء على هذا الميثاق وعلى انه قد تم تسجيله بهيئة الامم المتحدة طبقاً للمادة ١٠٢ من ميثاق الهيئة بتاريخ أول شباط ١٩٧٤.

محكمة العدل الاسلامية الدولية: اعتبرت الجهاز الأساسي الرابع إضافة إلى مؤتمر الملوك والرؤساء ومؤتمر وزراء الخارجية والامانة العامة. ولكنها لا تزال قيد الإنشاء رغم الموافقة عليها في مؤتمر القمة الخامسة في الكويت في ١٩٨٧، «ولعل السبب يعود إلى التعارض القائم بين هذا النظام الذي يستند إلى احكام الشريعة الاسلامية وبين عدد من الدساتير الوطنية التي تنص على علمانية الدولة، أو لا تشير إلى الأديان على الإطلاق» (د. محمد المحذوب، مرجع مذكور أنفاً، ص ٤٦٣).

وجاء في «دليل منظمة المؤتمر الاسلامي» (مرجع مذكور، صادر عن الأمانة العامة للمؤتمر، وقدم له الأمين العام السابق حامد الغابد) ان هذه المحكمة «قيد الانشاء»، وأنها «جهاز قضائي رئيسي لمنظمة المؤتمر الاسلامي... تأسست بناء على قرار المؤتمر الثالث للملوك ورؤساء الدول الاسلامية المنعقد بمكة المكرمة والطائف في المملكة العربية السعودية رقم ٣/١١-س (ق.أ.)»، وانها تتألف من «هيئة مكونة من سبعة اعضاء ينتخبهم مؤتمر وزراء الخارجية بناء على ترشيح الدول الاعضاء»، وان مقرها سيكون في مدينة الكويت.

لجنة القدس: هي واحدة، وعلى رأس اللجان المتخصصة التي شكلتها، حتى الآن، منظمة المؤتمر الاسلامي، وعددها ١٥ لجنة، وهي: إلى لجنة القدس، اللجنة الدائمة للاعلام والشؤون الثقافية (كوميك)، اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادي والتجاري (كوميك)، اللجنة الدائمة للتعاون العلمي والتكنولوجي (كوميك)، لجنة السلام الاسلامية، اللجنة الاسلامية للشؤون الاقتصادية



من اجتماعات لجنة القدس.

- المركز الاسلامي للتدريب الفني والمهني والبحوث.
- المركز الاسلامي لتنمية التجارة.
- المؤسسة الاسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية (أفستاد).
- مجمع الفقه الاسلامي.
- المكتب التنفيذي لصندوق التضامن الاسلامي ووقفه.
- صندوق القدس ووقفه.
- اللجنة الدولية للمحافظة على التراث الاسلامي.
- الجامعة الاسلامية في النيجر.
- الجامعة الاسلامية في أوغندا.
- الجامعة الاسلامية في بنغلادش.
- الجامعة الاسلامية العالمية في ماليزيا.

والثقافية والاجتماعية، اللجنة الدائمة للشؤون المالية، هيئة الرقابة المالية، اللجنة الخاصة بأفغانستان، لجنة افريقيا الجنوبية وناميبيا (تم حلها)، لجنة التضامن الاسلامي مع شعوب الساحل الافريقي، اللجنة الوزارية السداسية لمسلمي الفلبين، اللجنة السداسية حول فلسطين، فريق الاتصال الخاص بالبوسنة والهرسك، وفريق الاتصال الخاص بجمامو وكشمير.

أنشئت لجنة القدس طبقاً للقرار رقم واحد الصادر عن المؤتمر الاسلامي السادس لوزراء الخارجية المنعقد في جدة في تموز ١٩٧٥. وكلف المؤتمر اللجنة العمل على تحقيق الاهداف التالية:

- دراسة تطور الاوضاع في القدس الشريف.
- متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر الاسلامي بهذا الشأن.
- متابعة القرارات الصادرة عن مختلف الهيئات الدولية بهذا الشأن.
- الاتصال بمختلف المنظمات الدولية التي قد تساعد في حماية القدس.
- طرح المقترحات امام الدول الاعضاء وكل المنظمات المعنية بشأن الخطوات المزمع اتخاذها لتأمين تنفيذ هذه القرارات ومواجهة المستجدات من الاحداث.
- ويرأس اللجنة الملك حسن الثاني، عاهل المملكة المغربية، وتضم في عضويتها ١٥ دولة عضواً في منظمة المؤتمر يتم انتخابها من قبل المؤتمر الاسلامي لوزراء الخارجية. والدول الاعضاء حالياً: المملكة المغربية، جمهورية العراق، المملكة الاردنية الهاشمية، الجمهورية اللبنانية، الجمهورية الاسلامية الموريتانية، جمهورية غينيا، دولة فلسطين، الجمهورية العربية السورية، جمهورية بنغلادش الشعبية، الجمهورية الاسلامية الايرانية، جمهورية أندونيسيا، جمهورية النيجر، جمهورية باكستان الاسلامية، جمهورية السنغال، المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية.
- تجتمع لجنة القدس بدعوة من رئيسها أو من الامين العام للمنظمة.

- أجهزة متفرعة ومؤسسات متخصصة: هي ١٧ جهازاً ومؤسسة:
- مركز البحوث الاحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب.
- مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية.



الرئيس الايراني محمد خاتمي وولي العهد السعودي الامير عبد الله بن عبد العزيز في مؤتمر القمة الاسلامي (طهران، ١٩٩٧).

من قسم منظمة المؤتمر الاسلامي.



- البنك الاسلامي للتنمية.
- المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).
- وكالة الأنباء الاسلامية الدولية (إينا).
- منظمة اذاعات الدول الاسلامية (أسبو).
- أما المؤسسات المنتمية لمنظمة المؤتمر الاسلامي فهي سبع منظمات:
- الغرفة الاسلامية للتجارة والصناعة.
- منظمة العواصم والمدن الاسلامية.
- الاتحاد الرياضي لألعاب التضامن الاسلامي.
- اللجنة الاسلامية للهلال الدولي.
- الاتحاد الاسلامي للمالكي البواخر.
- الاتحاد العالمي للمدارس العربية الاسلامية الدولية.
- الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية.

مؤتمر قمة المنظمة الثامن، إعلان طهران ١٩٩٧: عقدت المنظمة الدورة الثامنة لمؤتمر القمة الاسلامي في طهران، في ٩-١١ كانون الاول ١٩٩٧. وفي نهاية الدورة صدر «إعلان طهران» الذي أعرب فيه الملوك والرؤساء عن:

- تمسكهم الكامل بفكرة التوحيد باعتبارها الأساس للحق للحرية المسؤولة للانسان.
- انخلاصهم لتعاليم الاسلام التقدمية التي تحقق التوازن الدقيق بين الأبعاد الروحية والمادية للحياة الانسانية وبين الحرية والاعتناق، على أساس من التسامح والرحمة والحكمة والعدل والمشاركة.
- عزمهم الأكيد على تنفيذ مقاصد ومبادئ ميثاق المنظمة، لا سيما ما يتعلق منها بوحدة وتضامن الأمة الاسلامية وحماية القيم والمبادئ الاسلامية.
- عزمهم على تحقيق التطلعات المشروعة للدول والشعوب الاسلامية نحو السلام والأمن، وكذلك التنمية الشاملة والمتوازنة والمستدامة، من خلال المشاركة النشيطة وإقرار الحق الأساسي في تقرير مصير الشعوب التي تروى تحت نير الاستعمار أو السيطرة الاجنبية أو الاحتلال الأجنبي.
- إدراكهم أهمية الحفاظ على هوية الأمة وتمسك بتقاليدهم وتراثهم التاريخي، باعتباره عاملاً أساسياً في تماسك نسيج المجتمع وتعزيز الاستقرار الاجتماعي.

- تأكيدهم ضرورة التفاعل والتعاون والتفاهم على نحو إيجابي بين الثقافات والأديان، ورفض نظريات أنصار الصدام والنزاع التي تولد عدم الثقة وتقلص أرضية التفاعل السلمي بين الدول. وتضمن الاعلان خمسة بنود رئيسية:

١- يتعلق أولها بالتضامن والأمن في العالم الاسلامي. وقد تضمن تعهداً رسمياً بتعزيز التضامن والسلام والأمن داخل العالم الاسلامي، ووعداً بإنشاء سوق اسلامية مشتركة، وإدانة لاستمرار اسرائيل في احتلال الاراضي العربية وممارستها إرهاب الدولة، ودعوة إلى إعادة النظر في أي تعاون عسكري مع اسرائيل، وإلى جعل الشرق الاوسط منطقة خالية من جميع الاسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل، وإلى ضرورة انضمام اسرائيل إلى معاهدة حظر الانتشار النووي، وإلى ضرورة استعادة مدينة القدس وحصول الشعب الفلسطيني على حق تقرير المصير وإقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة. وتضمن البند المذكور، كذلك، تأكيد التضامن مع شعب البوسنة، واستنكار استمرار النزاع والعنف في أفغانستان، ورفض عدوان أرمينيا على أذربيجان، وتأييد حق تقرير المصير لشعب كشمير، وإدانة الارهاب في جميع صوره ومظاهره مع الاعتراف بحق الشعوب الراحة تحت السيطرة الاجنبية في تقرير مصيرها، والاعلان بأن الاسلام يحرم قتل الأبرياء، والتصميم على إبرام معاهدة لمكافحة الارهاب الدولي، ودعوة المجتمع الدولي الامتناع عن توفير الملجأ للارهابيين، والتعهد بتقديم الدعم الكامل للجماعات والأقليات المسلمة في البلدان غير الاسلامية بالتعاون مع حكوماتها.

٢- وجاء في البند الثاني المتعلق ببعث الحضارة الاسلامية والهوية الاسلامية ان بعث هذه الحضارة يمثل واقعاً عالمياً سلمياً، وان الحضارة الاسلامية تقوم، بشكل ثابت، عبر التاريخ، على التعايش السلمي والتعاون والتفاهم المتبادل بين الحضارات، وكذلك على الحوار البناء مع الديانات والأفكار الأخرى. ولهذا أعرب المشاركون في المؤتمر عن قلقهم إزاء الاتجاهات التي تصوّر الاسلام على انه يشكل تهديداً للعالم، ونددوا بمظاهر الغزو الثقافي وقهايل التقاليد الدينية والثقافية للشعوب الأخرى، وقرروا الاستفادة من المنجزات التكنولوجية في مجال الاعلام والاتصالات لتقديم ثقافة الاسلام الغنية ومبادئه الخالدة إلى البشرية جمعاء.

٣- وفي البند الثالث المتعلق بالتنمية الشاملة والمتوازنة والمستدامة، رأى المشاركون ان هذه التنمية مسألة

ومقالة حيدر ابراهيم علي - كاتب سوداني مقيم في مصر - «الحياة»، العدد ١٢٧٤٨، تاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٩٨، ص ١٩٨.

المؤتمر الخامس والعشرون لوزراء خارجية المنظمة، بيان الدوحة ١٩٩٨: «إن عملية السلام في حال انهيار بسبب تعنت ثنائيه». بهذه الكلمات لخص محمد بن جاسم بن جابر آل ثاني وزير الخارجية القطري موقف ٥٥ من وزراء خارجية الدول الاسلامية إثر انتهاء مؤتمراتهم الخامس والعشرين في الدوحة عاصمة قطر (آذار ١٩٩٨). ودعا البيان الختامي لهذا المؤتمر راعيي عملية السلام (الولايات المتحدة وروسيا) إلى الضغط على اسرائيل كي تلتزم بالقانون الدولي وقرارات الامم المتحدة، والتوقف عن سياسة الاستيطان في القدس وباقي الاراضي الفلسطينية المحتلة.

وحث الوزراء، في بيانهم، الدول الاسلامية التي شرعت في اتخاذ خطوات تجاه العلاقات مع اسرائيل في إطار عملية السلام إلى إعادة النظر في هذه العلاقات بما في ذلك إقفال البعثات والمكاتب إلى ان يتم انسحاب اسرائيل الكامل من جميع الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيها حقه في إقامة دولته المستقلة على أرض وطنه فلسطين وعاصمتها القدس الشريف.

ودعا البيان إلى العمل من أجل وقف كل الاجراءات والممارسات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في مدينة القدس الشريف والمهادفة إلى تغيير الوضع الجغرافي والسكني وانتهاك حرمة الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية فيها بهدف تهريد المدينة المقدسة.

وتناول البيان إشارة بالاتفاق الذي عقده الامين العام للامم المتحدة كوفي أنان مع العراق لإنهاء أزمة التفيتش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق؛ ودعوة العراق إلى التعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تنفيذ بنود قرارات مجلس الأمن الخاصة بإطلاق سراح الأسرى والمحتجزين الكويتيين وإعادة الممتلكات الكويتية.

وشجب البيان أعمال القمع التي تمارس ضد السكان العزل من المسلمين في كوسوفو، ودعا إلى وضع حد فوري لانتهاكات حقوق الانسان هناك والعمل على إلغاء جميع التشريعات التمييزية وخاصة تلك التي أصبحت سارية المفعول منذ عام ١٩٨٩.

حيوية بالنسبة إلى العالم الاسلامي ومستوحاة من مبادئ الاسلام وقيمه النبيلة، وأكدوا تأييدهم لأهداف ومبادئ إعلان القاهرة بشأن حقوق الانسان في الاسلام، وقرروا اتخاذ التدابير اللازمة لاضفاء الصبغة المؤسسية على هذا الاعلان والعمل به. ولم ينسوا تأكيد احترامهم الكامل لكرامة المرأة المسلمة وحقوقها وتعزيز دورها في كل أوجه الحياة الاجتماعية وفقاً لمبادئ الاسلام.

٤- وفي البند الرابع المتعلق بالمشاركة الدولية، رحّب المؤتمر بمشاركة الامين العام للامم المتحدة (كوفي أنان) في قمة طهران، كتعبير عن العلاقة الممتازة بين المنظمة العالمية ومنظمة المؤتمر الاسلامي، وأكدوا ضرورة ان يكون لمنظمة المؤتمر دور وتمثيل في أجهزة الامم المتحدة، وخاصة في مجلس الأمن، واعتبروا ان المشاركة الفعالة والبناءة والمهادفة للبلدان الاسلامية في ادارة الشؤون الدولية تعدّ عاملاً جوهرياً لصيانة السلام والأمن في العالم، ولإقامة النظام العالمي الجديد على أساس المساواة والعدل وتقاسم الرخاء وتعزيز القيم الاخلاقية والسموية.

٥- وفي البند الخامس المتعلق بتدعيم منظمة المؤتمر الاسلامي، أعرب المشاركون عن عزمهم على تقديم الدعم لاصلاح تلك المنظمة وإعادة هيكلتها من أجل رفع مستوى فعاليتها وكفاءتها وتحقيق تكيّفها المستمر مع تطور الظروف الدولية.

وبالإضافة إلى إعلان طهران، فقد أصدر القادة في المؤتمر مدونة سلوك للعلاقات بين الدول الاعضاء في المنظمة، أطلق عليها اسم «بيان رؤية طهران». وفي هذا البيان أعلنوا عزمهم على الالتزام الكامل بتوطيد اواصر القربى والتضامن والتفاهم استناداً إلى تعاليم الاسلام السامية، والتزامهم، كذلك، بعض المبادئ الأساسية، مثل: احترام سيادة الدول، ورفض اللجوء إلى القوة، ورفض التدخل بشؤون الغير، وعدم جواز انتهاك الحدود المعترف بها دولياً، وضرورة تسوية المنازعات سلمياً، ومساندة كفاح الشعوب الخاضعة للاستعمار أو الاحتلال، والتعاون على حماية البيئة ومكافحة الارهاب والإثمار بالمخدرات، وتوسيع وتعميق التبادل التجاري والاقتصادي بين الدول الاعضاء (عن د. محمد الجذوب، مرجع مذكور، ص ٤٦٨ - ٤٧١) وراجع نص «إعلان طهران» في الصحف الصادرة في ١٢ كانون الاول ١٩٩٧، كما راجع مختلف المقالات التحليلية المنشورة في أيام عقد هذه القمة وبعدها، منها مقالة سليم نصار - كاتب وصحافي لبناني - «الحياة»، العدد ١٢٧٠٦، تاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٩٧، ص ٤٧.

أنظمتها العقيدة الماركسية من الانتساب إلى المنظمة. ولم تقبل الهند حتى الآن في عضوية المنظمة بسبب معارضة باكستان، مع ان في الهند أكثر من ١٠٠ مليون مسلم. وقبلت دولتا أوغندا والغانبون في العام ١٩٧٤، بسبب اعتناق الرئيسين فيهما الاسلام.

وأجاز الميثاق الانسحاب من المنظمة بإشعار خطي. ومع انه لم يتضمن عقوبات ضد الدول الاعضاء التي تخالف احكامه، فقد أقدم المؤتمر على تعليق عضوية بعض الدول في المنظمة، مثل: تعليق عضوية أفغانستان (خلال ١٩٨٠-١٩٩٠) بسبب موافقة حكومتها على الغزو السوفياتي لبلادها. وتعليق عضوية مصر (خلال ١٩٧٩-١٩٨٤) على إثر زيارة رئيسها، أنور السادات، الكيان الصهيوني وتوقيعه إتفاقي كامب ديفيد ثم معاهدة السلام مع هذا الكيان.

٢- عمل المنظمة: لقد شهد العالم، خلال ربع قرن من عمر منظمة المؤتمر الاسلامي، أحداثاً وتطورات ضخمة ومتلاحقة، إقليمياً ودولياً، ألقت بظلالها (واحياناً ثقلها) على وضع المنظمة ومسيرتها وتطورها. واستطاعت المنظمة، رغم الصعوبات والعراقيل، ان تبلور لنفسها رؤية اسلامية واضحة للعلاقات الدولية، وتظهر على المسرح الدولي كممثلة مرموقة للمجموعة الاسلامية، وكنصر مهم في تحقيق التفاعل والتقارب بين السياسات الخارجية للدول الاعضاء، وفي التعامل المعتدل مع مختلف القضايا المهمة والملحة. واستطاعت كذلك ان تحتل مكاناً متميزاً في صفوف المنظمات الدولية، وتنتهج سياسة مستقلة عن سياسات تلك المنظمات عبر مواقفها من التطورات العالمية والإقليمية.

وأدى الاصرار على عقد مؤتمرات القمة بانتظام في مرعدها إلى الحفاظ على تماسك المنظمة واستمرارها. وكان من نتائج اللقاءات الدولية بين الملوك والرؤساء تحقيق التواصل بين القادة والإسهام في إيجاد الحلول لكثير من الخلافات. ويمكننا تقويم أداء المنظمة انطلاقاً من الجهود والأنشطة التي قامت بها في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

- فعلى الصعيد السياسي، كانت القضية الفلسطينية هي الهاجس الاول للمنظمة. وقد حاولت ان تجعل منها القضية المركزية لكل المسلمين، وليس للعرب فقط. ففي قمة لاهور للعام ١٩٧٤، أعلنت رفضها لكل إتفاق يعترف بالاحتلال الاسرائيلي للقدس. وفي العام

وحت البيان على تعليق العقوبات على ليبيا إلى ان يصدر حكم محكمة العدل الدولية بالفصل في القضية المعروضة عليها (قضية طائرة لوكربي) طبقاً لميثاق الاسم المتحدة.

اعتبر هذا المؤتمر (الخامس والعشرون لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الاسلامي) الخطوة التحضيرية الأولى للقمة الاسلامية المقرر عقدها في الدوحة عام ٢٠٠٠.

تقويم (مناقشة)

(يتناول هذا الموضوع الأخير من باب «منظمة المؤتمر الاسلامي» ثلاث نقاط: الاولى، مسألة العضوية في المنظمة؛ الثانية، عمل المنظمة؛ والثالثة، حول قمة طهران. والنقاط الثلاث عن د. محمد المحنوب، في كتابه الأكاديمي «التنظيم الدولي»، الدار الجامعية، ١٩٩٨، ص ٤٦١، ٤٦٤-٤٦٨، و ٤٧١-٤٧٣).

١- مسألة العضوية: عالج ميثاق المنظمة مسألة العضوية في مادتين، الثامنة والعاشرة، فاعتبر ان المنظمة تتكون من الدول التي شاركت في مؤتمر ملوك ورؤساء الدول والحكومات الاسلامية في الرباط، والدول التي شاركت في مؤتمر وزراء الخارجية في جدة وكراتشي، ووقعت الميثاق. ونصّ على انه يحق لكل دولة اسلامية الانضمام إلى المنظمة إذا تقدمت بطلب يتضمن رغبتها واستعدادها لتبني الميثاق، وإذا وافق مؤتمر المنظمة على الطلب باكثرية ثلثي الاعضاء.

لكن الميثاق لم يحدد «الدولة الاسلامية». إلا انه ينص من نص المادة الثامنة ان شرط العضوية ينضج لمعيار عقائدي. فالدولة المرشحة للعضوية يجب ان تكون دولة اسلامية، بغض النظر عن موقعها أو ارتباطاتها السياسية أو خياراتها الاقتصادية. ولكن ما هو التعريف الدقيق للدولة الاسلامية؟ هل هي الدولة التي ينص دستورها على ان الاسلام هو دين الدولة؟ أم الدولة التي تقيم فيها أكثرية اسلامية؟ أم الدولة التي تضم نسبة معقولة من المسلمين (لا تقل عن ٢٠٪ من عدد سكانها، مثلاً)؟ أم الدولة التي تطبق الشريعة الاسلامية، أو تعتبرها المصدر الوحيد أو الرئيسي للتشريع فيها؟.

إن الميثاق لا يجيب عن هذه التساؤلات ولا يضع معياراً واضحاً وحاسماً للعضوية. ولكن الممارسة تؤكد ان المعيار سياسي محض. فقد حُرمت الدول التي اعتنقت

١٩٧٩، أنشأت صندوق القدس. وعندما أعلنت إسرائيل القدس عاصمة لها وطالبت السفارات الاجنبية بالانتقال إليها، أقنعت المنظمة بعض أعضائها بقطع العلاقات الدبلوماسية أو تجميدها مع إسرائيل. وعندما نودي بالدولة الفلسطينية المستقلة في فلسطين، أبدت المنظمة هذه الفكرة. وتدخلت المنظمة في بعض المنازعات الثنائية بقصد حلها، فحققت بعض النجاح، مثل المصالحة بين باكستان وبنغلادش في ١٩٧٤. وقدمت مساعدات جملة إلى دول الساحل الافريقي التي أصابها الجفاف. وتضامنت مع شعب ناميبيا لنيل استقلاله، ومع شعب جنوب افريقيا لإلغاء النظام العنصري السائد في بلاده. وأغدقت المعونات على اللاجئين في أريتريا وأوغندا والصومال والتشاد.

ولم تتوان المنظمة في الدفاع عن الاقليات المسلمة في الفلبين وبلغاريا والبوسنة، والاهتمام بمصير أكثر من ٣٠٠ مليون مسلم يعيشون في دول غير إسلامية، وإجراء المشاورات مع الدول المعنية لتأمين احترام حقوقهم وحررياتهم.

وسعت، من جهة أخرى، لتوطيد العلاقات بالأسر الروحية الأخرى، وفي طليعتها الأسرة المسيحية، فأجرت مباحثات مع الفاتيكان، وأوضحت للعالم جوهر الاسلام باعتباره دين التسامح والعدالة والسلام. وفي مؤتمر وزراء الخارجية للعام ١٩٩٢، اقترحت عدة دول إصدار بيان بإدانة العنف أو الارهاب الداخلي للدفاع عن صورة الاسلام الصحيحة التي تعرضت للتشويه من قبل الحركات المتطرفة.

غير ان المنظمة لم تتمكن، رغم هذه الانجازات، من تحقيق الاجماع والتوافق، والتوصل تألياً إلى الحلول العادلة، في العديد من النزاعات والقضايا التي عصفت بالعالم الاسلامي. ونذكر منها على سبيل المثال:

احتلال أفغانستان من قبل السوفييات (١٩٧٩-١٩٨٩) واختلاف الدول الثلاث المعنية بالأمر (السعودية وايران وباكستان) على مستقبل البلد.

عجز المنظمة، وكذلك عجز الامم المتحدة، خلال ثماني سنوات، عن وضع حد للحروب التي دارت بين العراق وايران. وعجزها كذلك، عند اندلاع أزمة الخليج في ١٩٩٠ (دخول العراق إلى الكويت)، عن اقناع العراق بسحب قواته قبل انفجار الوضع العسكري في المنطقة.

... على الصعيد الاقتصادي، تمكن مؤتمر لاهور (١٩٧٤) من إرساء قواعد الاهداف الاقتصادية للمنظمة. وقد تجلّى ذلك في محاولات تعزيز التعاون بين الاعضاء بغية

وضع حد للتخلف، وتوفير الرقابة على مصادرها الطبيعية، وتنظيم عملية المبادلات فيما بينها، والحد من نتائج تقلبات الأسعار، والدفاع عن حقوق العالم الثالث داخل النظام الاقتصادي العالمي. ولتحقيق هذه الاغراض عُقدت مؤتمرات وقدمت توصيات وأبرمت اتفاقيات وأنشئت أجهزة.

ومن أهم الأجهزة البنك الاسلامي للتنمية المنشأ في ١٩٧٤، والذي يتميز بخضوع أنظمتها ومعاملاته لأحكام الشريعة الاسلامية. وهو يضم جميع أعضاء المنظمة. والإكتتاب الأكبر فيه يأتي من الدول المنتجة للنفط (تسهم السعودية في ٢٥٪ من رأسماله). ويوجه البنك عناية فائقة إلى الدول الاسلامية الفقيرة، فيمول البنى التحتية فيها والمشاريع الزراعية والصناعية، ويقدم المساعدات للمصارف والشركات، ويؤمن الاعتمادات لشراء النفط، ويدعم مالياً المؤسسات الثقافية، ويغيث ضحايا الكوارث.

وعلى الصعيد الاجتماعي والثقافي، سعت المنظمة للحفاظ على قيم الاسلام والذات الجيد لحضارته، وتعزيز التعاون والتضامن بين الدول الاعضاء، وإعطاء الهوية الاسلامية صورة تتلاءم مع مستجدات العصر، وتشيد نهضة العالم الاسلامي على أسس متينة.

ولتحقيق هذا الغرض أنشئ، في ١٩٧٤، صندوق التضامن الاسلامي لتقديم كل انواع المعونات للمسلمين. ولتلبية طلبات المعونات خصص وقف بمقدار مئة مليون دولار. وبفضل هذه المصادر أنشئت سلسلة من المؤسسات، من ضمنها: مركز بحوث التاريخ والفنون والحضارة الاسلامية، وجمعية الفقه الاسلامي، وجامعتان اسلاميتان في النيجر وأوغندا، ومعاهد ومدارس ومساجد ومستشفيات ومراكز ثقافية وبيوت للطلبة في مختلف انحاء العالم.

وساعدت المصادر المالية المذكورة على تمويل إنتاج أفلام، ونشر مطبوعات وموسوعات، وتنظيم ندوات ومؤتمرات ولقاءات. وكلها موجهة لمعالجة القضايا المتعلقة بمستقبل المجتمعات الاسلامية والحضارة الاسلامية والتراث التاريخي الاسلامي.

٣- قمة طهران: لقد كانت قمة طهران من أئح القمم الاسلامية على الاطلاق، حتى ان البعض رأى فيها قمة فاصلة أو مفصلية توحى برغبة في التأسيس لمرحلة جديدة، بناءً وإيجابية، على صعيد العلاقات بين دول المنظمة. ولعل أسباب نجاحها يعود إلى الأمور التالية:

إلى الولايات المتحدة لانحيازها المطلق والدائم إلى إسرائيل. ومع ذلك، يبقى السؤال المعهود الذي يطرح في مثل هذه الحالات: هل ستجد القرارات الصادرة عن مؤتمر القمة طريقها إلى التنفيذ؟

إننا نعلم ان قرارات القمة الاسلامية غير ملزمة لاجنائها إلا إذا رغب العضو، بارادته الحرة، في التزامها. فهذه القرارات هي، في الواقع، توصيات أو توجيهات قد يكون لها تأثير معنوي فقط. وهي قد تساعد على إدخال تغييراً في المناخات والأجواء السائدة، ولكنها لن تحدث تغييراً في سياسات الاعضاء، لأن لكل دولة مصالح وارتباطات والتزامات يصعب، في وقت قريب، التغلبي عنها أو التنصل منها.

ثم إن التجارب تثبت ان الدول الاستعمارية الكبرى لا تتغلب بسهولة عن غنططاتها وأطماعها. ولهذا فإن واشنطن لن تقف مكتوفة اليدين امام ما حدث في طهران، بل ستعمل جاهدة على إجهاض كل مفاعيل القمة الاسلامية، لكي تبقى ايران تحت الحصار والاحتواء، ولكي تبقى الرابطة الاسلامية وهماً يداعب المخيلات، ولكي تبقى اسرائيل قوة فاعلة في قلب المنطقة العربية والاسلامية تخدم مصالح سيدها وولي أمرها. وليس من المستبعد ان تعمد واشنطن (إن لم تكن قد عمدت فعلاً) إلى الضغط على حلفائها من الدول الاعضاء، واستعمال جميع اساليب التهيب والترغيب، للقضاء على أية محاولة ترمي إلى التقييد بقرارات القمة الاسلامية.

- عقد القمة في ايران، أي في البلد الذي يواجه منذ عقدين حملة أو هجمة اميركية لا حدود لشراستها.
- مشاركة دول تعتبر تقليدياً من أقرب المقربين للولايات المتحدة، ودول اتسمت علاقاتها بايران، لسنوات خلت، بالتوتر الشديد.

- فتح باب الحوار والتفهم والتفاهم على مصراعيه امام دول باعدت بينها الدسائس والمؤامرات والتدخلات الاجنبية.

- تغليب منطق الاعتدال والتعقل على التطرف والتزمت والعناد، وتوخي تحقيق الحد الأدنى من التضامن بين الاعضاء للوقوف في وجه الصلف الاسرائيلي.

اعتبار نجاح القمة رداً على المؤتمر الاقتصادي الرابع للشرق الاوسط وشمال افريقيا، الذي عقد في الدوحة (قطر) في اواسط تشرين الثاني ١٩٩٧، وشاركت فيه اسرائيل (بضغط من واشنطن) وقاطعته غالبية الدول العربية.

- نجاح القمة في إخراج ايران من عزلتها، وإزالة الكثير من الحواجز التي أقيمت بينها وبين دول الحوار العربي والاسلامي.

- نجاح القمة في إعادة شيء من «حرارة الايمان والتضامن» إلى العلاقات بين دول تعتنق عقيدة سماوية واحدة، وتواجه اخطاراً خارجية وداخلية متشابهة.

- نجاح القمة، على الرغم من بعض الاعتراضات والعراقيل، في ان توجه، بالمواقف التي اتخذتها في إعلان طهران وفي بيان رؤية طهران (راجع أعلاه)، رسالة استياء

الحوار الاسلامي-المسيحي

(مرجعاً هذا الباب الأساسيان: محمد السّمّاك، «مقدمة إلى الحوار الاسلامي-المسيحي»، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٨، ط ١١ والدكتور سعود المول، «الحوار الاسلامي-المسيحي، ضرورة المغامرة»، قدّم له الشيخ محمد مهدي شمس الدين، دار المنهل اللبناني، بيروت، ١٩٩٦، ط ١).

المنطلقات الاولى: بعد ان استتب الأمر لرسول الله، وبدأ إرساء القاعدة الاولى للدولة الاسلامية، استقبل في بيته وفد مسيحيي بجران. أثناء اللقاء حان وقت صلاتهم، فدعاهم الرسول إلى أدائها في بيته، إلا أنهم آثروا أداء الصلاة خارج البيت، فكان لهم ما أرادوا. استؤنف اللقاء بعد الصلاة وانتهى كل على دينه وعلى معتقده، فودّعهم الرسول بمثل ما استقبلهم به من حفاوة وترحيب. صدر بعد ذلك عن النبي عهد للنصارى، وشهد عليه كبار الصحابة، منهم الخلفاء الاربعة أبو بكر وعمر

الأساس لتنفيذ مقرارات المجمع المسكوني الثاني (السمّك)، عن «من أجل حوار اسلامي-مسيحي، موقف المسيحية من الاسلام كما حدّده الفاتيكان»، للأب جوزف كوك ولويس غارديه، ترجمة د. سليم اليافي وزهير مارديني-دار الجديد، ١٩٨٣، ص ٣١):

«...» وباختصار، يجب ان نعني، بكل موضوعية، أن المسيحيين لم يحققوا بعد، كمجموعة، الشرط الأول والأهم الذي يؤهلهم لأن يكونوا موجودين وحاضرين في عالم المسلمين كما هو، وعلى حقيقته (...). ولا يمكن استقبال الانسان الآخر إلا إذا كنا نعرفه، وأولى مهام المسيحي هي التعرف على شريكه المسلم، لا كما هو بكل بساطة بل كما يريد ان يكون، وهذه المعرفة يجب ان لا تكون معرفة عالم الاجتماع، وهي معرفة جافة وغير حارة، ولكن يجب ان تكون معرفة الصديق للصديق الذي يعمل على ان يكتشف في صديقه كل ما هو حسن وجيد، وعلى ان يحبه حباً صادقاً».

الجدير ذكره أن البابا الذي أطلق هذا المجمع الفاتيكاني الثاني، في ١٩٦٤، على أساس حوار «الحبة والصداقة الحارة» مع الاسلام هو البابا بولس السادس. كما يمكن القول ان هذا المجمع بدأ، في ١٩٦٤-١٩٦٥، بوضع نهاية لـ ٨٧٠ سنة من العداء والتباعد اللذين رسّخا نوعاً من فصل عامودي بين الاسلام والمسيحية، خاصة المسيحية الغربية (إذ إن المسيحية الشرقية، وخاصة منها طائفة الروم الأرثوذكس، كانت تفرص دائماً على تمييز جوانب من معتقداتها الدينية، ومراقفها في مختلف الشؤون الاجتماعية والسياسية عن المسيحية الغربية بقسميها الكبيرين، الكاثوليكية والبروتستانتية)، هذا الفصل الذي بدأ في ١٠٩٥، أي في اللقاء الديني الموسع في أحد أديرة بلدة كليرمونت الواقعة في جنوبي فرنسا حيث ألقى البابا أوربان الثاني (وكان فرنسيًا) خطاباً اعتبره المؤرخون إعلاناً للحروب الصليبية.

وقد عكس البابا بولس السادس هذه الروح في رسالة وجهها تحية أخوية إلى المسلمين أثناء زيارته القدس وعمان، مروراً ببيروت، في كانون الثاني ١٩٦٤، حيث أكد على «احترام أولئك الذين يعتنقون الأديان التوحيدية، والذين يعبدون معنا إلهاً حقيقياً وواحدًا».

لنحو جعل الحوار مؤسسة مستديمة وراسخة؛ أما الترجمة العملية الأولى لبيان المجمع الفاتيكاني الثاني فتمثلت في إنشاء الامانة العامة لشؤون الديانات غير المسيحية، والتي

وعثمان وعلي. يقول العهد النبوي (السمّك)، عن «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة»، جمعها محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، ط ٦، ١٩٨٧، ص ٥٦١): «وإن احتجى راهب أو سائح في جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو ردة أو بيعه، فأنا أكون من ورثهم ذائباً عنهم من كل عادة، لهم بنفسي وأعواني وأهل ملتي وأتباعي كأنهم رعيتي وأهل ذمتي، وأنا أعزل عنهم الأذى...». إلى ان يقول: «ولا يغير أسقف من أسقفته... ولا سائح من سياحته... ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم... ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مسجد ولا في منازل المسلمين. فمن فعل شيئاً من ذلك فقد نكث عهد الله وخالف رسوله...».

تواصل الحوار الاسلامي-المسيحي بعد ذلك في عهود متعددة، وخاصة في العهدين الأموي والعباسي، ولعل من أبرز معالمه الحوار الشهير، في القرن الثامن، بين الخليفة العباسي المهدي والبطريرك تيموثي الأول، كما تواصل في ظل أوضاع وظروف مختلفة، ولعل أبرزه الحوار الذي جرى أثناء حروب الفرنجة «الحملات الصليبية» في ١٢١٩ في مدينة دمياط. معبر، بين السلطان الأيوبي الملك الكامل والقديس فرنسيس، المتحدر من مدينة أسيزي في إيطاليا. وقد أطلقت منظمة سانت جيديو من هذه المدينة، وفي ذكرى القديس فرنسيس الأسيزي (مؤسس أخوية الفرنسيسكان) حركة جديدة للحوار بين الأديان في ١٩٨٦، برعاية ودعم البابا يوحنا بولس الثاني.

الحوار في الوقت الراهن

المجمع الفاتيكاني الثاني: يشكل هذا المجمع (٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤-٢٨ تشرين الأول ١٩٦٥) المحطة الأبرز في مسيرة الحوار الاسلامي-المسيحي. ذلك ان المجمع تحدث، في القسم الثالث من الوثيقة التي صدرت عنه، عن الاسلام بإيجابية وافتتاح مناقضاً بذلك ما ورد في رسالة البابا الأسبق يوس الثاني عشر في ١٩٥٧، والتي وصفت انتشار الاسلام في أفريقيا بأنه «خطر على الكنيسة»، كما وصفت الحضور الاسلامي العالمي بأنه حضور كارثي لا يقل خطراً عن الشيوعية (السمّك)، مرجع مذكور آنفاً، عن Histoire Universelle des missions Catholiques, Vol.3-4 Paris, 1958-1959, p.176).

وقد جاء في دراسة أعدها الأب جوزف كوك ولويس غارديه وقدم لها الكاردينال ماريللا المسؤول عن أمانة شؤون غير المسيحيين في الفاتيكان، ووضعت في

حدّد البابا مهمتها في رسالة كنسية جامعة وهي «إجراء الحوار مع كل المؤمنين لإرساء علاقات جديدة بين الكنيسة والديانات الأخرى، وعلى ضرورة التقارب بصفة خاصة مع المسلمين». ولقد دلّت هذه الرسالة، لأول مرة، على أن ثمة مؤمنين بالله غير مسيحيين، وأن ثمة أدياناً غير المسيحية، كما دلّت على توجه من رأس الكنيسة حتى قاعدتها على ضرورة الحوار والتقارب مع المسلمين. وفي السياق نفسه، وفي خطوة حوارية متقدمة، صدر عن البابا الحالي، (١٩٩٨) يوحنا بولس الثاني، بأن الخلاص ليس وفقاً على المسيحية وحدها، وأن الخلاص يمكن أن يتحقق من خلال أديان أخرى مستنداً في ذلك على دراسة أعدتها مجموعة من علماء اللاهوت أمثال رانير، فون بالتزار، دي لوباك، ودانيال.

هذا الموقف الفاتيكاني فتح، منذ ١٩٦٤-١٩٦٥، بوابات الكنائس الأخرى على الاسلام، ولعل أهمها بوابة مجلس الكنائس العالمي (مقره في جنيف) الذي أنشأ في ١٩٧١ دائرة للحوار مع الأديان، وخاصة مع الاسلام. وكان المجلس قد أقام أول مؤتمر له في آذار ١٩٦٩ في كارتيني Cartigny (قرب جنيف) خصص لموضوع الحوار بين الأديان على المستوى العالمي. وبعد عشر سنوات، في ١٩٧٩، صدرت عن المجلس وثيقة تضمنت المبادئ العامة للحوار مع أهل الأديان الحية حاولت إبراز القضايا الفقهية-اللاهوتية والقضايا العملية للحياة المشتركة بين المؤمنين بالاديان المختلفة. ومن هذه المبادئ (عدها ١٣)، جاء المبدأ السابع ليؤكد على ضرورة وأهمية مؤسسة الحوار: «يتحتم متابعة الحوار من خلال قيام مؤسسات مشتركة في المجتمع»، والمبدأ الحادي عشر: «يتحتم التخطيط للحوار وتنفيذه بصورة جماعية عندما يكون ذلك ممكناً»، والمبدأ الثاني عشر: «يتطلب التخطيط للحوار وضع أسس عامة له، محلية وإقليمية».

وتتأهت اللقاءات والمؤتمرات والندوات الاسلامية-المسيحية، وانعكست إيجاباً على موقف مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك الذي أصدر رسالة راعوية شدّد فيها على أهمية «التراث الحضاري المشترك»، وعلى «أن التراث العربي المسيحي هو الوجه المشرق لهذا الغنى الثقافي في الكنائس المسيحية المختلفة في ظل الحضارة العربية» (السماك: راجع: «البيانات المسيحية-الاسلامية المشتركة» من ١٩٥٤ إلى ١٩٩٢، معهد الدراسات الاسلامية-المسيحية، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٩٥).

مساحة فراغ حوار قُلصها مؤتمر بيروت ١٩٩٦: ثمة أمر مهم بارز وهو أن الحوار يكاد يكون محصوراً مع الكنيسة الكاثوليكية. فالجسور الحوارية لم تمتد بعد بقدر مماثل مع الكنائس الأخرى، وخاصة مع الكنيسة الأرثوذكسية سواء في اسطنبول أو في موسكو، ومع الكنائس الإنجيلية في الولايات المتحدة. يقلل من حجم هذا الفراغ الحوار الذي يقوم به مجلس كنائس الشرق الأوسط (مقره في ليماسول، قبرص). فالمجلس الذي يضم الكنائس الشرقية المتعددة، يحرص على إقامة جسور من الحوار والتفاهم مع المجتمعات الاسلامية في الاقطار العربية ثقافياً واجتماعياً وحتى سياسياً، ولعل من أبرز إنجازاته مؤتمر «مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس»، الذي عقد في بيروت في ١٤-١٦ حزيران ١٩٩٦ بدعوة من مجلس كنائس الشرق الأوسط بالتعاون مع الفريق العربي للحوار المسيحي-الاسلامي؛ وهو المؤتمر الذي جمع، ربما لأول مرة، المرجعيات الدينية الاسلامية والمسيحية من دول عربية مختلفة تحت سقف واحد، وحول هدف واحد وموقف واحد عكسه البيان المشترك الذي صدر عن المؤتمر. جاء في مستهل البيان: «ملفوعين بعذابات القدس، إنساناً وأرضاً مباركة، متضامين مع لبنان الناهض من محنته، أوفر قوة وأصلب وحدة، تلاقينا في بيروت، مرجعيات وقيادات روحية، اسلامية ومسيحية، من الوطن العربي، لنبلغ العالم، أدناه وأقصاه، شعوبه ودوله، صوتنا الواحد، صوت أبنائنا كل المؤمنين العرب، مسيحيين ومسلمين، نابغاً من تاريخنا الواحد، متوجهاً بنا إلى مستقبلنا الجامع».

وما جاء في متنه: «مسألة القدس، عندنا، هي أم المسائل، فلسنا حيالها فرقاً، وليس بيننا من يريد على إسمه وحده. نحن مقدسيون بالانتماء وبالحب، ولا يطمئن لنا إيمان ما دامت القدس في الأسر. والقدس مسألة لا يجوز إرجاء الحديث عنها ولا تأجيله، فهي قبل كل قضية، وفوق كل قضية بيننا وبين الصهاينة الغاصيين لأرض فلسطين (...) إنه لا توجد سلطة في العالم تملك حق تهويد القدس أو تدويلها، أو نزع صفتها العربية الاسلامية-المسيحية عنها (...) وكل قرار من أية جهة، محلية أو دولية، يمس هذه الهوية باطل لا قيمة له، ولا مشروعية تستمد منه أو تُبنى عليه (...) إن السلام ثمرة العدل. لا يقوم سلام ولا يدوم على ظلم وقهر. وأخشى ما نخشاه أن تجمع مصالح الدول فتفرض وضعاً يحرم الشعب الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، ويجول

دون الانسحاب الكامل من الجنوب اللبناني وهضبة الجولان السورية (...). ندعو الكنائس كافة وهيئات العالم الاسلامي ومنظماته جميعاً، إلى ان يكون تحرير القدس شاغلها الشاغل...» (راجع بحمل البيان، وتختلف كلمات ومداخلات المؤتمر في صحف بيروت الصادرة في ايام المؤتمر وبعده، ١٥ و ١٦ و ١٧ حزيران ١٩٩٦).

الحوار الاسلامي-المسيحي على المستوى الاوروبي: لقد مرّ هذا الحوار في الغرب بثلاث مراحل (بحمل ما يرد تحت هذا العنوان الفرعي، عن د. المولى، ص ١٤٨-١٥٤):

- المرحلة الاولى هي مرحلة التحدث عن الاسلام ويمثلها الاستشراق عموماً.

- المرحلة الثانية هي مرحلة التحدث إلى المسلمين ويمثلها التبشير عموماً.

- المرحلة الثالثة هي مرحلة التكلم مع المسلمين عن الاسلام وهي المرحلة الراهنة. وهذا الأمر ينطبق خصوصاً على أوروبا حيث ان المراكز الاوروبية اهتمت بالدراسات الاسلامية في شيعها لمواجهة مشكلات التكيف والاندماج الخاصة بالمهاجرين المسلمين. وقد سهّل هذا الأمر انطلاقة الحوار على المستوى الاوروبي عموماً، وأطلق عناوين حوارية أخرى مثل الحوار العربي-الاوروبي، وحوار ضفتي المتوسط وخصوصاً بعد حرب تشرين ١٩٧٣ وأزمة قطع النفط العربي عن الغرب.

ففي فرنسا، أسس مؤتمر أساقفة فرنسا الكاثوليك، منذ ١٩٧٣، الأمانة العامة للعلاقات مع الاسلام SRI، كما أسست الفدرالية الانجيلية في فرنسا لجنة باسم الكنيسة-الاسلام E.I. ويمكن اليوم تعداد أكثر من مجموعة محلية فرنسية تهتم بالحوار الاسلامي-المسيحي، أهمها: جمعية الاسلام والغرب، جمعية الحوار الاسلامي-المسيحي ADIC، بجمع الصداقة الاسلامية-المسيحية GAIC، الأخوية الابراهيمية، مجموعة الدراسات والأبحاث حول الاسلام في ستراسبورغ GERI، مجموعة الدراسات الاسلامية-المسيحية GRIC، وغيرها...

أما في هولندا، فقد ابتدأ الاهتمام بالموضوع منذ منتصف السبعينات ايضاً، وذلك مع تدفق الهجرة الاسلامية وبعد أزمة النفط... إلا ان الكنائس الهولندية لم تستطع تحويل هذا الاهتمام إلى مشروع عمل حتى أيار ١٩٨٦، فتم إنشاء هيئة استشارية رسمية تضم ١١ مندوباً عن الكنائس المسيحية الهولندية و ١١ عن الجمعيات والمساجد

الاسلامية.

أما في السويد والنرويج والدانمارك، فإن الاهتمام الرسمي والكنسي بالحوار مع الاسلام لم يبدأ إلا بعد قضية سلمان رشدي (راجع «ايران»، ج ٤) وتصاعد الحملة ضد الاسلام و«الارهاب الاسلامي» منذ منتصف الثمانينات.

وتقدم بريطانيا نموذجاً خاصاً نظراً للوجود الكثيف للأسيرين غير المسلمين (هندوس، سيمخ، بوذيون، الخ...). ففي ١٩٧٧، أسس مجلس الكنائس البريطاني لجنة للحوار والعلاقات مع بقية الأديان، وقد نشرت هذه اللجنة، في ١٩٨١، خطوطاً عريضة أو توجهات للحوار والعلاقات مع أتباع الديانات الكبرى. وفي ١٩٨٤، أسست الكنيسة الكاثوليكية في بريطانيا لجنة حوار خاصة بها، كما نمت هيئات وجمعيات محلية كثيرة خصوصاً في المدن الكبرى، وذلك نظراً لتصاعد أزمة الهوية والانتماء والاندماج في المجتمع البريطاني (كما في الغرب عموماً)، وقد انضمت مؤخراً حوالي ٦٠ جمعية وهيئة إلى اللجنة المشتركة للحوار بين الأديان Interfaith Network أبرزها مجلس مساجد المملكة المتحدة وإيرلندا، والمركز الثقافي الاسلامي في لندن، ومجلس المساجد والأئمة، والرابطة العالمية لأهل البيت، ومعهد سلمي أوك للحوار الاسلامي-المسيحي، والمؤسسة الاسلامية في ليسيستر...

وفي نفس الاطار الاوروبي القلق من تزايد مشكلات الهجرة العربية الاسلامية دعت أمانة السر الفاتيكانية إلى لقاء اوروبي عُقد في النمسا ١٩٧٦ لبحث وضع المسلمين المهاجرين إلى أوروبا. وفي شباط ١٩٧٨، انعقد في سالزبورغ المؤتمر الاستشاري الاول لمجلس الكنائس الاوروبية CEC وبحث موضوع المسلمين في أوروبا وموقف الكنيسة. وقد حضر المؤتمر ممثلو ١٢٠ كنيسة غير كاثوليكية.

وفي ١٩٧٩، أسس المجلس المذكور هيئة استشارية حول الاسلام في أوروبا. وفي ١٩٨٦، تشكلت هيئة مشتركة بين الفدرالية الاوروبية للمؤتمرات الأسقفية الكاثوليكية CCEE ومجلس الكنائس الاوروبي CEC وذلك على أساس ١٠ أعضاء من الفدرالية و ١٤ عضواً من المجلس، مع وجود عضوين مراقبين من المجلس البابوي للحوار بين الأديان ومن وحدة الحوار في مجلس الكنائس العالمي. وحملت هذه الهيئة المشتركة إسم «لجنة الاسلام في أوروبا»، وهي أصدرت في ١٩٩١ تقريرها بعنوان «الحضور الاسلامي في أوروبا والإعداد اللاهوتي للأساقفة والكهنة».

Communione Liberazione، ونظمت مؤتمر الثقايد الدينية والعصر الحالي في ايلول ١٩٨٧.

- مركز خدمة العلاقات الاسلامية-المسيحية SRCM في ستراسبورغ، نظم مؤتمر ١٩٩٠ حول الحوار الديني في المجتمع الفرنسي.

- مركز الكلمة الثقافي (بروكسيل، بلجيكا)، يصدر نشرة فصلية منذ ١٩٨٩.

- المؤتمر العالمي للأديان من اجل السلام WCRP، ونظم مؤتمر كيوتو ١٩٧٠ (اليابان)، ولوفان ١٩٧٤ (بلجيكا)، وهرنستاون ١٩٧٩ (اميركا)، ونايروي ١٩٨٤ (كينيا)، وباريس ١٩٨٥، وايطاليا ١٩٨٧، وملبورن ١٩٨٩ (أستراليا)، ونيويورك ١٩٩١، وطوكيو ١٩٩٢.

- مركز دراسة الاسلام والعلاقات الاسلامية-المسيحية، كلية سللي أوك، جامعة برمنغهام (بريطانيا). ونشأ هذا المركز بتمويل من عائلة كادبري قرب معامل الشوكولا الشهيرة حيث ان العائلة أوت راهباً حمل معه وثائق عربية وسريانية. وبدأ المركز عمله كمركز لدراسة الوثائق والمخطوطات العربية والسريانية، وتحوّل إلى مؤسسة للتدريس تابعة لجامعة برمنغهام. وفي ايار ١٩٧٥، انعقد أول مؤتمر تشاوري، حضره ١٢٠ مندوباً من ١٨ بلدًا، للبحث في إنشاء معهد للدروس الاسلامية-المسيحية. وهو ينسّق مع الكنائس البريطانية والاوروبية ومع المنظمات الاسلامية ايضًا. ويصدر نشرة إخبارية، ومجلة نصف سنوية (منذ ١٩٩٠) ويعقد مؤتمرات ودورات صيفية.

وأهم المؤسسات الدينية الاوروبية المعنية بالحوار: - أمانة السر الفرنسية للعلاقات مع المسلمين SRI، وهي تنظم مؤتمرات دورية منذ ١٩٧٦ بالتعاون مع مركز «العيون» Les Fontaines في شانتيلي ومركز «النبع» La Source في الرباط. - الجمعية الاسبانية للصدقة الاسلامية-المسيحية، منبثقة عن الكنيسة الاسبانية وبلدية قرطبة حيث تنظم مؤتمرات دورية.

- معهد الآداب والفنون العربية IBLA، في تونس، وهو تابع للارسلالات الفرنسية في شمالي افريقيا (الآباء البيض الافارقة) وله نشاط ودور كبير بالتعاون مع الجامعة التونسية ومثقفين من المغرب والجزائر، وهو يعمل وسط المغاربة في اوروبا.

- المعهد الباهوي للدراسات العربية والاسلامية

وإلى جانب الاهتمام الرسمي بالحوار الاسلامي-المسيحي، برز في اوروبا اهتمام أهلي وشعبي ناجم عن ضغوطات وتعقيدات ظروف العمال المسلمين المهاجرين في تلك البلدان. وقد توزّع الاهتمام الاهلي ما بين مؤسسات خاصة ومراكز دينية، وهذه أبرزها:

- مؤسسة جوفاني سيني (البنلقدية، ايطاليا)، وأبرز أعمالها مؤتمر الاسلام والحضارة الغربية، في ايلول ١٩٥٥.

- مؤسسة أديناور (بون، المانيا)، وأبرز أعمالها مؤتمر بون حول الدين والثقافة والحقوق السياسية، آذار ١٩٨١، ومؤتمر ياوندي (في الكاميرون) حول التنمية والتعاون بين الشعوب، في شباط ١٩٨٣، ومؤتمر مراكش حول التزية والقيم الدينية، في ايار ١٩٨٥، إضافة إلى مشاركتها في دعم مؤتمرات أخرى حول العالم.

- معهد روبرت شومان لأوروبا IRSG، أبرز أعماله مؤتمر حقوق الانسان والأديان في آذار ١٩٨٤.

- مؤسسة جوفاني أنيلي (تورينو، ايطاليا)، أبرز أعماله مؤتمر «المسلمون الاوروبيون»، ايار ١٩٨٩.

- مركز الجبل العالي Haut Mont (موفو، فرنسا)، ينظم مؤتمراً دورياً خلال شهر آذار من كل عام بدءاً من ١٩٨٢.

- مركز العيون Les Fontaines الثقافي (شانتيلي، فرنسا)، ينظم مؤتمراً دورياً كل سنتين بدءاً من ١٩٨٠، وبالتعاون احياناً مع جمعية الكتاب الفرنكوفونيين الناشطة في مجال الحوار.

- نادي باليرمو الثقافي المتوسطي (صقلية، ايطاليا)، ينظم مؤتمرات دورية أبرزها: في تشرين الاول ١٩٨٤ (الله، الانسان، الطبيعة)، في تشرين الاول ١٩٨٥ (الانسان ومصيره)، في تشرين الثاني ١٩٨٦ (العلم والتقدم والدين)، في تشرين الثاني ١٩٨٧ (العمل والتأمل بالمنظور الاسلامي والمسيحي).

- معهد حوار الحضارات، أسسه المفكر الفرنسي روجيه غارودي في ١٩٨٧ بعقد مؤتمر حول الإيمان الإبراهيمي.

- الجمعية الفرنسية للحوار الاسلامي-المسيحي ADIC، وقد أسسها الأب ميشال لولون ورأسها الدبلوماسي المصري عادل عامر، وبعد وفاته رأسها الدكتور علي السمّان، ونظمت مؤتمرات باريس ١٩٨٥، ١٩٨٧، ١٩٨٩، وستراسبورغ في كانون الاول ١٩٩٠، ورووان في ١٩٩٢.

- الحركة الايطالية «شركة وتحرير»



الكاردينال فرانسيس اريزي والشيخ فوزي فاضل الزفزاف يوقعان الاتفاق بين الفاتيكان والأزهر (٢٨ ايار ١٩٩٨)

مؤتمرات دورية منذ ١٩٨٤.
- كلية اللاهوت في جامعة القديس حبرائيل (مودلنغ، النمسا)، وتنظم مؤتمرات أبرزها في ١٩٧٥ و ١٩٧٧ حول الله في الاسلام والمسيحية.
- برنامج وستمنستر (بريطانيا) للتلاقي الديني، نظم سلسلة لقاءات، في ١٩٨٥، برعاية الكنيسة البريطانية.
- الجمعية الدينية الدولية (روما)، نظمت مؤتمر ٦-٣ ايلول ١٩٨٤ حول حرية الدين والعقيدة.
والجدير ذكره ان بعض الحكومات الاوروبية نظمت هي ايضاً مؤتمرات حوار في الفترة الأخيرة أبرزها مؤتمر أوسلو (النرويج) في ١٩٩٠، ومؤتمر فيينا (النمسا) في ١٩٩٣، ومؤتمر استوكهولم (السويد) في ١٩٩٥، وكذلك في الدانمارك في ١٩٩٦.

اتفاق تاريخي بين الفاتيكان والأزهر: في ٢٨ ايار ١٩٩٨، أُلّف الفاتيكان والأزهر، وللمرة الأولى في التاريخ، لجنة مختلطة إسلامية-مسيحية لمحاربة التعصب الديني والارهاب. ووقع الاتفاق في الفاتيكان الكاردينال النيجيري فرنسيس اريزي رئيس المجلس الأسقفي للحوار بين الأديان والشيخ فوزي فاضل الزفزاف رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية في الأزهر، وجاء تنويعاً لمفاوضات استغرقت أربع سنوات.

وتعهد الطرفان بموجب هذا الاتفاق أن «يكافحا معاً التعصب الديني باعتباره تعبيراً لرفض الآخر ومصدراً للحقد والعنف والارهاب... والسهر على أن تلعب الأديان دورها في المجتمعات الانسانية لإرساء الأخوة والتضامن

PISAI وهو أبرز مؤسسات الحوار قاطبة، يصدر نشرة شهرية Encounter منذ ١٩٧٤، ومجلة فصلية، دراسات عربية، منذ ١٩٦١ ومجلة سنوية، Islamo-Christiana منذ ١٩٧٥.

- معهد دراسات الأديان، جامعة أمستردام الحرة (هولندا)، يصدر، منذ ١٩٧٦، نشرة بيبلوغرافية توثيقية عن حوار الأديان وقضاياها.

- مركز الدراسات والتوثيق الاسلامي-المسيحي في فرانكفورت (المانيا) ويصدر نشرة دورية منذ ١٩٧٨. مجلس الكنائس البريطاني، قسم الحوار بين الأديان (لندن)، يصدر مجلة فصلية منذ ١٩٨٦.

- مركز التحقيق الاسباني-العربي (مدريد) يصدر نشرة شهرية منذ ١٩٧٢.

- جماعة سانت إيثيديو، وهي أبرز المجموعات الدينية الاوروبية ومركزها روما. وقد تأسست في ١٩٨٥ باسم جمعية الايمان والبشر، والتقت في أحد أحياء روما الشعبية في كنيسة سانت إيثيديو التي أصبحت مركزها. أطلقت على الحوار منذ «يوم الصلاة من أجل السلام» التي دعا له البابا بولس السادس وافتقدت في مدينة أسيزي (الاطالية، وبلدة القديس فرنسيس الأسيزي) في تشرين الاول ١٩٨٦، وحضره رجال دين من شتى الأديان في العالم، وأخذت هذه الجماعة بعقد المؤتمرات للحوار الديني؛ روما ١٩٨٧، أسيزي ١٩٨٨، وارسو ١٩٨٩، لوفان (بلجيكا) ١٩٩٠، مالطا ١٩٩١، بروكسيل ١٩٩٢، ميلانو ١٩٩٣، أسيزي ١٩٩٤ و ١٩٩٥ و ١٩٩٦.

- معهد تولوز (فرنسا) الكاثوليكي، ينظم

والتعاون والعدل والسلام، ولحل المشاكل المتصلة بغير البشرية جمعاء».

وعلى رأس مهمات اللجنة المختلطة التي ستجتمع سنوياً في القاهرة وروما مداورة «البحث عن القيم المشتركة، وتشجيع العدل والسلام واحترام الأديان، وتبادل المواضيع ذات الاهتمام المشترك مثل الدفاع عن كرامة الانسان وحقوقه، وتشجيع المعرفة والاحترام المتبادلين بين الكاثوليك والمسلمين عبر تبادل المعلومات اللازمة».

وبعد توقيع الاتفاق، استقبل البابا وفد الأزهر ومما قاله: «إن اللجنة المشتركة الجديدة للحوار أمامها الكثير من العمل. وأنا على ثقة بأنه إذا أعطى أعضاؤها أفضل ما عندهم بإخلاص وصدق فإننا ستمكن من تحقيق ما نشده من أهداف».

التجاوب الإسلامي: يبرز، من خلال معالم المسيرة الحوارية (من المجمع الفاتيكاني الثاني ١٩٦٤- ١٩٦٥ إلى اليوم) ان الموقف الإسلامي لم يرتق بعد إلى مستوى المبادرة ذات العمق والرخم الذي عرفته، وتعرفه، المبادرات المسيحية. صحيح ان الموقف الإسلامي انتقل من التحفظ إلى التجاوب، إلا انه يحتاج إلى مزيد من الانفتاح، وإلى المزيد من الإعداد، وإلى المزيد من مراجعة بعض المفاهيم والنظريات حتى ينتقل إلى المرحلة الأهم وهي مرحلة المبادرة. وقد تجسّد التجاوب الإسلامي الحواري ومبادراته الأولى، إلى الآن، بالخطوات التالية:

١- زيارة الكاردينال فاكينغ، في آذار ١٩٦٥، للقاهرة حيث كان أول مسيحي يلقي محاضرة من على منبر جامع الأزهر.

٢- خلال ثلاث سنوات (من حزيران ١٩٧٢ إلى نيسان ١٩٧٥) عاشت أندونيسيا على وقع مؤتمرات الحوار بين الاسلام والمسيحية والبوذية التي بلغ عددها خمسة عشر لقاء. ولا نجد اليوم تقريباً رسمياً لهذه المؤتمرات: كيف ولماذا بدأت؟ وكيف ولماذا توقفت؟ وما هي حصيلتها؟ أسئلة بقيت دون إجابة رغم ان عناوين المؤتمرات ونوعية الحضور أوحى بالأهمية والخطورة. ولعل الفكرة بدأت مع تعيين الدكتور مكّي علي وزيراً للشؤون الدينية في فترة حرجة كان فيها المسلمون ما زالوا يتعاطفون مع الرئيس أحمد سوكارنو ويعارضون خلفه الجنرال سوهارتو نظراً إلى ارتباط الأول بعبد الناصر والثورة العربية وارتباط الثاني بأميركا والغرب. كما ان الثورة الاسلامية في أشبه-سومطره بقيادة تنكو حسن دي تيرو كانت على أشدها. وفي الوقت نفسه، كان عمل الرساليات التبشيرية قد بدأ يخلق الاضطرابات في البلاد. كل ما نعرفه أن

أول لقاء جرى في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٧١ حين زار الوزير مكّي علي مقر انعقاد اجتماع الاساقفة الكاثوليك لجنوب شرقي آسيا وتجاوز معهم حول «حوار الأديان». تلا ذلك عقد أول مؤتمر في المعهد الدولي للشؤون الاسلامية في جاكرتا (٢٧-٢٨ حزيران ١٩٧٢) بعنوان «الدين عامل إيجابي». وكرّست سبعة اللقاءات بمعدل ٤ أو ٥ في السنة بعد ان شكلت وزارة الشؤون الدينية لجنة خاصة للحوار تولت هي تنظيم المؤتمرات. وكل شيء توقف بعد آخر مؤتمر انعقد في جاكرتا في نيسان ١٩٧٥، وكان عنوانه «هل نتابع الحوار؟».

٣- في ١٩٧٦، قام الكاردينال بينيديلي، أمين سر الأمانة العامة لشؤون الديانات غير المسيحية في الفاتيكان، بزيارة المملكة العربية السعودية حيث قابل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (وكان وقتها ولياً للعهد)، وردّا على هذه الزيارة قام وفد سعودي في تشرين الاول من العام نفسه، بزيارة للفاتيكان لمواصلة الحوار الاسلامي-المسيحي الذي بدأه الكاردينال بينيديلي. وفي نيسان ١٩٧٨، زار الكاردينال، رسمياً، جامع الأزهر.

٤- في ايلول ١٩٧٤، نظم لقاء إسلامي-مسيحي في تونس حول مشكلات التطور المعاصر.

٥- في شباط ١٩٧٦، صدرت وثيقة طرابلس (ليبيا) إثر ندوة إسلامية-مسيحية بين جمعية الدعوة العالمية والفاتيكان حول الأسس والمبادئ العامة للتفاهم بين الاسلام والمسيحية. وحضر الندوة حوالي ٥٠٠ شخص من ٥٥ بلدان أبرزهم كان الشيخ صبحي الصالح والطبران جورج خضر والدكتور اسماعيل الفاروقي والأب مورييس بورمانس. وإلى هذه الندوة (المؤتمر) وجّه الشيخ محمد مهدي شمس الدين رسالة أصبحت وثيقة تاريخية. وقد أراد العقيد القذافي المؤتمر برلماناً سياسياً لعرض أفكاره. ونشب خلاف في آخر يوم حول فقرات من البيان الختامي تناول الموقف من الكيان الصهيوني والقضية الفلسطينية.

٦- في آب ١٩٨٥، استقبل الملك الحسن الثاني، عاهل المغرب (الذي يتمتع بلقب أمير المؤمنين باعتباره من أهل البيت) البابا يوحنا بولس الثاني الذي قام بزيارة رسمية للمغرب (المسيحيون في المغرب أقل من واحد بالمائة) وألقى خطاباً في إحدى ساحات مدينة الدار البيضاء.

٧- في الولايات المتحدة الاميركية، فقد الإسلام، باستشهاد الدكتور اسماعيل الفاروقي وزوجته الدكتورة لمياء حين جرى قتلهاما بوحشية في منزلهما بفيلا دلفيا ليل ٢٤ ايار ١٩٨٦، علماً فكرياً وركناً محاوراً. وكان الدكتور اسماعيل قد تميز بنظريته حول الحوار الثلاثي

Dialogue بين الأديان الابراهيمية، وقد وضع لذلك منهجًا وكتب دراسات، وأسس مجموعة الدراسات الاسلامية في أكاديمية الاديان الاميركية، وكان نائبًا أول لرئيس جمع السلام بين الأديان الذي تحول في ١٩٧٤ إلى المؤتمر الاسلامي اليهودي المسيحي MJCC، وهذا المؤتمر- والجمع قبله- تأسس بفضل جهود المونسنيور الكاثوليكي الدكتور جوزف غريمليون (مدير قسم العدالة والسلام في الفاتيكان)، وهو عقد أول مؤتمراته في بيلاجيو (١٩٧٥) والثاني في ليشبونة (١٩٧٧) والثالث والأخير في ١٩٧٩. ومن هذا الجو الحواري ولد مركز التفاهم الاسلامي-المسيحي في جامعة جورجتاون بواشنطن، ومديره الدكتور جون أسبوزيتو، تلميذ الدكتور اسماعيل الفاروقي، وبخاتة في الشؤون الاسلامية وشؤون الحوار بين الأديان. وهو يرى، كما أسناده الفاروقي، ان الحوار في اميركا لا يستطيع إلا ان يكون ثلاثيًا نظرًا إلى حساسية المسألة اليهودية، ونظرًا إلى قوة الوجود اليهودي في الثقافة الاميركية وفي الحياة السياسية والاقتصادية والاعلامية للبلاد، ناهيك عن المنطلقات الدينية المبدئية في الحوار بين جميع البشر والحضارات والثقافات.

٨- اللجنة الوطنية للحوار الاسلامي-المسيحي في لبنان. وهي انطلقت بمبادرة من الامام الشيخ مهدي شمس الدين رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى، حين أسس الهيئة الاسلامية اللبنانية للحوار. وقد التقت هذه المبادرات مع الاعمال التحضيرية للسينودس من أجل لبنان، فكانت ولادة اللجنة الوطنية في ٢ آب ١٩٩٣ وإذاعة برنامج عملها في ٥ كانون الثاني ١٩٩٥.

٩- هيئة الحوار بين الأديان في السودان، وهي ولدت إثر انعقاد مؤتمرين عالميين كبيرين للحوار (١٩٩٢-١٩٩٤) بدعوة من جمعية التنمية والسلام وجمعية الصداقة الشعبية السودانية وبمشاركة عدد كبير من المفكرين ورجال الدين العاملين في قضايا الحوار والعدالة والسلام والذي ناف عدهم على الـ ٥٠ (في المؤتمر الثاني). وقد وضعت الهيئة برنامجًا وميثاقًا وانتخبت هيئة إدارية لها وهي تقوم بنشاط مميز على المستوى المحلي والعربي.

١٠- فريق العمل العربي للحوار الاسلامي-المسيحي، وهو تشكل بمبادرة من الهيئة الاسلامية اللبنانية للحوار (سعود المولى، محمد السمّك) وبالتنسيق مع مجلس كنائس الشرق الاوسط (غريال حبيب، جورج ناصيف، رياض جرجور، طارق متري) ومع هيئة مصغرة في القاهرة (محمد سليم العوا، طارق البشري) وعقدت عدة لقاءات

وندوات ومؤتمرات أبرزها المؤتمر العالمي الاسلامي-المسيحي حول القدس (ايار ١٩٩٦، القاهرة).

١١- الأكاديمية الملكية للحضارة الاسلامية، مؤسسة آل البيت-الاردن، ورئيسها هو الأمير حسن بن طلال، وهي نظمت عدة ملتقيات:

- لقاء قصر وندسور بالتنسيق مع الكنيسة الأنغليكانية البريطانية، ١٥-١٨ تشرين الثاني ١٩٨٤ وحضره ٣٥ شخصًا منهم، الكاردينال كونغ والكاردينال آرينزي وحاضرات يهود من بريطانيا.

- لقاء عمان، ٢٨-٣٠ ايلول ١٩٨٥، بحضور الكاردينال آرينزي من روما ومشاركة ٤٠ شخصًا (القيم المشتركة حول الأسرة).

- لقاء شاميزي، ١٧-١٩ تشرين الثاني ١٩٨٦ بالتنسيق مع الكنيسة الارثوذكسية: المطران جورج خضر، الدكتور أحمد صدقي الدجاني، المتروبوليت دامسكينوس (السلطة في المسيحية والاسلام).

- لقاء قصر وندسور بالتنسيق مع الكنيسة الأنغليكانية، ٢٩-٣١ ايار ١٩٨٧، بمشاركة ٣ يهود بريطانيين (الاخلاقيات وإدارة الاعمال).

- لقاء عمان، ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٧، بالتنسيق مع الكنيسة الأرثوذكسية (التعايش والقيم المشتركة).

- لقاء معان، ١٧-١٨ ايلول ١٩٨٨، مع الانغليكانية (ممارسة البتوك).

- لقاء شاميزي، ١٢-١٥ كانون الاول ١٩٨٨، مع الأرثوذكسية (السلام والعدالة).

- لقاء استنبول، ١١-١٣ ايلول ١٩٨٩، مع الأرثوذكسية (التعددية الدينية).

- لقاء وندسور، ٨-١٠ كانون الاول ١٩٨٩، مع الأنغليكانية (الأخلاقيات وإدارة الاعمال).

- لقاءات مشتركة مع متشدّي الفكر العربي (رئيسه أيضًا الامير حسن) ومركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.

- وفي ١٩٩٤، تأسس في الاردن «المعهد الملكي لدراسات حوار الأديان» Royal Institute for Inter Faith Studies، برعاية الامير حسن بن طلال وإدارة الدكتور كمال الصليبي.

مناقشة: «حوار على إيقاعين»: تحت العنوان الفرعي «ماذا بعد؟»، كتب الدكتور سعود المولى (عضو فريق العمل العربي للحوار الاسلامي-المسيحي، ومؤلف «الحوار الاسلامي-المسيحي، ضرورة المغامرة»، المرجع

المذكور في مطلع هذا الباب، ص ١٧٧-١٧٩):

منذ مطلع هذا القرن والحوار الاسلامي-المسيحي هو دائماً مبادرة مسيحية، المسلمون فيها ضيوف كرام، يفتارهم أصحاب الدعوة باعتبار توقع تعاونهم وتقاهمهم... وكان الضيوف يشعرون دائماً بأنهم ضيوف ويعرفون بأن المسلمين لم يفتاروهم، كما انهم هم ايضاً لم يعينوا أنفسهم أصلاً لهذه المهمة. أضف إلى ذلك أنهم كانوا يتغيرون في كل لقاء فلا يحضر نفس الشخص أكثر من لقاء أو اثنين ما يعني انعدام إمكانية الحوار الصادق الحي الموضوعي، فتأخذ المسألة طابع المشاركة المهرجانية. وبما ان هؤلاء المسلمين كانوا في الغالب من غير المختصين في هكذا موضوع، ومن غير المتفرغين له أصلاً، وبما انه لا يوجد مركز اسلامي واحد لدراسة المسيحية والعلاقات الاسلامية-المسيحية فإن هؤلاء المسلمين لم يملكوا إمكانية مراكمة المعارف والخبرات ودراسة وتحليل النشاطات واتخاذ القرارات وصياغة الإشكاليات. وتوافق ذلك مع غياب أي معرفة إسلامية معاصرة عن المسيحية وكنائسها وشيعها، وعن اللاهوت وتياراته، وعن الينيات المسيحية المتنوعة، وعن فاعلية وقدرات الكنائس.

وكان الغرب وما يزال هو الذي يطرح الموضوعات ويضع جدول أعمال المؤتمرات وعناوين وأولويات الحوار. ولقد تجدد الحوار في العالم العربي في السنوات الماضية بسبب ما أصاب العلاقات الاسلامية المسيحية من اضطراب وتشويش ومن تصوير لها بصورة العداء والسلبية. وقد استخدمت القوى الحاكمة والمحكمة، السلطات والمعارضات، ورقة الدين والخلاف الديني لترسيخ موقعها في الشارع.

وإذا كان من كلمة تقال في هذا المجال فهي ان الاسلاميين الحركيين لم يشعروا بخطر ترسيخ الفرة بين أهل الأديان، بل انغمسوا في هذا الأمر بحسابات تكتيكية انتهائية ضيقة الأفق تقوم على أساس تحريك الشارع والسيطرة عليه دون النظر إلى عواقب الأمور على الوحدة الوطنية وعلى الشخصية السياسية والثقافية للمواطن والمجتمع وعلى الدين نفسه... لقد تم استخدام الدين بوقاحة وبغلاء على مستوى الأنظمة كما على مستوى الجماعات وأنتج هذا الأمر ما نراه اليوم من أوضاع شاذة في عدد من البلدان.

أما الحوار، فقد انطلق من خارج الأنظمة والجماعات الاسلامية على السواء، وهو قام بين المهتمين بتطوير الحياة وإعمار الدنيا ذلك ان خط الإنفلاق والتطرف والعنف هو الوجه الآخر لخط الاشلال والفساد الذي تروج له الأنظمة. أما خط حفظ الحياة وتطويرها، فهو الخط العامل على وقاية

العلاقات وروابط العيش المشترك وأشكال التضامن الاجتماعي وأقنية التواصل بين الناس.

إذا نظرنا إلى المستقبل القريب في عالمنا العربي والاسلامي فإننا نرى ان هذا العالم يسير باتجاه القبول بالتعددية الدينية واتجاه البحث عن سبل حفظ هذا التنوع وحفظ العيش المشترك وتطوير الصيغة السياسية الملائمة له. إن هذا السير الحتمي باتجاه المستقبل التعددي التعايشي يتم علينا ان نبدأ منذ الآن في تنكس طريق الحوار وخوض غماره. فليد انتهى عهد الحروب والصراعات بين الأديان، وانتهى عهد الجحادات البيزنطية والاتهامات التكفيرية. وينبغي بداية تصفية العقول والقلوب من الأحكام المسبقة والافكار الخاطئة والسائدة بين ظهرانيها، وذلك من أجل التفكير المبدع في الإشكاليات والأسئلة الحقيقية. وأول ما ينبغي القيام به هو تصفية الحوار من الاتهامات والتغلب على روح التعصب والجحالة الجاهلة، وتقويم ما تم إنجازاه حتى الآن، ونقد الأخطاء ورؤية أسبابها والبحث عن أسباب تعثر الحوار وعدم الوصول حتى الآن إلى نتائج مرضية. وهذا يعني انه علينا ان نرسم توجهاً حوارياً هادفاً يقوم على إيقاعين (مقولة للصدیق الدكتور طارق مزي):

١- إيقاع بطيء قوامه عمل فكري هادى يدرس المشكلات ويوسع المساحات المشتركة ويضيّق مجالات البحث ويعين بدقة مجالات التعاون والتعايش.

٢- إيقاع سريع قوامه التصدي المشترك لما يصيب العلاقات من اضطراب ويأخذ مواقف مشتركة تلجم التعصب والتطرف وتكبح جنوح الغلاة من الطرفين.

إن بناء الحوار والعيش الواحد على قاعدة المعرفة والتضامن هو الضمانة الوحيدة للنجاح؛ معرفة الآخر واحترامه واحترام عقيدته وفكره وإنسانيته وحقوقه، والتضامن في شراكة الحياة والمصير. من هنا الدور المركزي والكبير للمسيحية العربية وبالشراكة مع المسلمين، في إطلاق هذا الحوار على أسس جديدة دون المرور عبر الوسيط الغربي. وهذا يقتضي من المسلمين إعادة وصل ما انقطع في ذاكرتهم وتاريخهم ووعيهم، وإعادة التأسيس المعرفية للحوار كأصل ومبدأ، كقيمة إنسانية ثابتة، وللتعايش ضمن التنوع والاختلاف كسنة إلهية... إن هذا يعني ضرورة الإنطلاق من الدين وليس من التاريخ السياسي أو القانوني للعلاقات الاسلامية المسيحية ضمن إطار منطق الدولة ونظامها... «إن جعل الدين منطلقاً للحوار لا موضوعاً له» (حسب ما يقول الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين) هو الكفيل بتجاوز العقبات وتحقيق الآمال.

العالم الثالث

إحالة

شملت هذه المادة، «العالم الثالث»، ٥٨ صفحة من الجزء الثاني من الموسوعة (ص ٣١-٨٩)، ولكنها وردت تحت إسم «آسيا... العالم الثالث»، وتناولت النقاط التالية:

— التعبير، «العالم الثالث»، ومحاولات تعريفه، وتصنيفه، والخصائص المشتركة لدوله، وما آل إليه نتيجة للعطورات الكبرى في السنوات الأخيرة.

— موضوعات عالميية، وتناولت:

* حوار الشمال-الجنوب.

* الأوبك (تأريخ، إنجازات، مناقشة).

* مستقبل «الجنوب» ودور الأمم المتحدة.

* قوات حفظ السلام الدولية.

* العالم الثالث بين معياري حقوق الانسان (الشرعة،

ملفوض سام لحقوق الانسان، منظمة العفو الدولية، «حزب فولتيري»-التقارير الأخيرة لمنظمة العفو الدولية-المؤتمر الدولي الثاني وأجوائه-مناقشة).

* التنمية البشرية.

* خريطة الأمية والعارف.

* خريطة العلم والعلميين (اليابان واسرائيل في المقدم،

الاهنياء والقراء، برامج التعاون العلمي، الاوضاع العربية).

* من الديمغرافيا في العالم الثالث.

* مؤتمر أكاديمي عالمي (ثورات سكانية، العلم عاجز،

تحليل الارض، تركيب السكان، حدود العلم وإمكالاته، المعارضة).

* مدن مهددة بالاندجار السكاني (وضعها، أحزمة

البؤس، المستقبل).

* قضية اللاجئين (مسؤولية الدول الصناعية، أمراض

العصر، بارقة أمل، لبنانيون وفلسطينيون).

* كثافة سكانية ومعدلات الاستعمال المالي.

* الأمن الغدائي في العالم الثالث.

* أوروبا الشرقية تأخذ محل العالم الثالث في المساعدات.

* الارهاب والعالم الثالث.

* حروب أهلية وميليشيات (أمن السلطة وأمن

الميليشيات، إفساد نظام الإختلاقيات، لهد مبدأ التسامح بين الجماعات).

وراجع كذلك مادة «العالم» في الجزء ١١، إذ إن مختلف

موضوعاتها متعلقة بـ«العالم الثالث»، والمواد: آسيا والريفيا واميركا اللاتينية في مواقعها من الموسوعة.

أما ما يمكن إضافته، استكمالاً لمادة «العالم

الثالث» (حتى اليوم، اواسط ١٩٩٨):

الأرقام أصدق التعريفات

أرقام ديمغرافية: إن أول مظاهر التخلف، الذي

يطبع العالم الثالث، هو المظهر الديمغرافي. فتعداد سكان

العالم الثالث في العام ٢٠٠٠ سيزيد على خمسة مليارات

نسمة، أي على إجمالي تعداد سكان العالم في مطلع

التسعينات. وإذا كان سكان العالم المتخلف يمثل ٦٩٪ من

سكان العالم في العام ١٩٠٠، و٧٧٪ في ١٩٩٠، فإنه

سيمثل ٨٠٪ في العام ٢٠٠٠، و٨٨٪ في العام ٢١٠٠.

ومن أصل كل ٩٥ مليون نسمة من سكان العالم الإضافيين

في كل سنة، فإن ٨٥ مليون نسمة منهم سيولدون في العالم الثالث.

وأهم ما يميز الزيادة السكانية في العالم الثالث انها

زيادة شابة. فمن لهم دون الرابعة عشرة من العمر يمثلون

فيه ٣٥٪ من السكان مقابل أقل من ٢٠٪ في العالم المتقدم.

تمثل خمس سكان المعبورة تنفق ٩٠٪ من إجمالي العالمي لتنفقات الصحة (وتتفق الولايات المتحدة وحدها ٤١٪)، بينما لا تتركس البلدان المتخلفة للصحة سوى واحد من ثلاثين مما تكرسه لها البلدان المتطورة. وقد لا يتعدى إجمالي الانفاق السنوي على الصحة، في العديد من بلدان افريقيا وآسيا ١٠ دولارات مقابل ٢٧٠٠ دولار في الولايات المتحدة (للشخص الواحد).

ومن هنا المعدلات العالمية لوفيات الاطفال في البلدان المتخلفة. ففي ١٩٩٠، مات ١٢،٤ مليون طفل ممن هم دون الخامسة في جملة بلدان العالم الثالث، ولو كانت توفرت لهم نفس الفرص الصحية لأطفال البلدان المتقدمة لما كان مات منهم سوى ١،١ مليون طفل. وهذا يصدق ايضاً على وباء فقدان الناعة. فأكثر من ٨٠٪ من المصابين بمرض الإيدز (قدر عددهم بـ ١٤ مليوناً في ١٩٩٢) يقيمون في بلدان العالم الثالث. ولكن في العام ٢٠٠٠، سيقترب هذا المعدل من ٩٥٪ من اصل الثلاثين مليون إصابة المتوقعة. وتسجل بلدان جنوبي الصحراء الافريقية أعلى نسب للإصابة: مصاب من أصل كل أربعين، بل واحد من كل ثلاثة في بعض المدن.

أرقام التمدرس (التردد إلى المدارس (Scolarisation): وهذا معيار ثالث لقياس التخلف. وهنا، يُلاحظ تقدم عام. فبين ١٩٥٦ و ١٩٧٥ سجلت معدلات التمدرس زيادة سنوية بمقدار ٥،٧٪، فيما زاد عدد المدارس الابتدائية وعدد المعلمين في فترة العشرين سنة تلك بمعدل ٦٠٪ و ٥٥٪ على التوالي. ولكن ظاهرة الصعود الديمغرافي للشباب، قد جعلت أكثر ميزانيات بلدان العالم الثالث تنوء تحت عبء تأمين العلم للجميع. فثمة ١١٠ ملايين طفل، أي زهاء خمس الفئة العمرية المعنية، لا يتلقون أي تعليم على الاطلاق. كما ان ٣٥٪ من راشدي العالم الثالث هم من الأميين. أضف إلى ذلك ان درجة التمدرس نظرية أكثر منها فعلية. فكثيرون من الاطفال الذين يدخلون المدرسة لا يتابعون تعليمهم إلى الدرجة التي تكفي نحو أميتهم فعلاً. وعلى هذا النحو فإن ما اصطلح المختصون التربويون على تسميته بـ «أجل الحياة المدرسي» لا يمتد في النيجر إلى أكثر من عامين، وفي بنغلادش إلى خمسة اعوام، وفي المغرب إلى ستة اعوام، مقابل ١٤ أو ١٥ عاماً في فرنسا. ثم ان بلدان العالم الثالث تتفاوت فيما بينها تفاوتاً كبيراً في درجة الأمية: فهي لا تزيد على ١٦٪ في أميركا اللاتينية وآسيا الجنوبية، لترتفع إلى ٢٤ في آسيا

وفي ١٩٨٧ كان تعداد الشبان، ممن هم دون الـ ١٥ سنة، واحداً (أي نحو ١١ مليون شاب) في كل من فرنسا وكولومبيا والجزائر، في حين أن إجمالي عدد سكان فرنسا كان ٤٥ مليون نسمة، وكولومبيا ٢٠ مليوناً، والجزائر ١٤ مليوناً.

وهذا لا يعني ان معدلات الخصوبة لم تسجل أي انخفاض في العالم الثالث. فإن معدل الانجاب للمرأة الواحدة قد انخفض، في ربع القرن الأخير من ٦،١ إلى ٣،٩، ومن المتوقع ان يوالي انخفاضه إلى ٣،٢ في العام ٢٠٠٠. ولكن التفاوتات في داخل العالم الثالث ما زالت، من زاوية معدلات الخصوبة، كبيرة للغاية. ففي البلدان الضعيفة المدخول أو القليلة السكان في منطقة الهيمالايا (مثل النيبال) أو في بلدان جنوبي الصحراء الافريقية (مثل أنغولا)، فإن معدل الخصوبة لم يسجل انخفاضاً، بل مال على العكس إلى الارتفاع بنسبة ١٢٪ في أنغولا، أو حتى ٢٩٪ في الغابون. وفي العديد من البلدان الاسلامية، التي ترفض «التخطيط العائلي»، بقي معدل الخصوبة أعلى من المعدل العام لسائر بلدان العالم الثالث كما في أفغانستان وإيران. وبالمقابل، فإن بلداناً اسلامية أخرى، ولا سيما البلدان المتوسطية، قد سجلت انخفاضاً يتراوح ما بين ٣٠ و ٥٠٪. ومن هذه البلدان المغرب الذي انخفض مؤشر الخصوبة فيه من ١٠٠ في ١٩٦٠ إلى ٦٣ في ١٩٩١، ومصر ٦٠، وتركيا ٥٦، وتونس ٥٠. ولكن قصب السبق في هذا المجال يعود بلا جدال إلى بلدان آسيا الشرقية والجنوبية التي قد لا يكون من الصدف انها سجلت في الوقت نفسه أعلى المعدلات للنمو الاقتصادي. فمؤشر الخصوبة قد تدنى في الفترة ما بين ١٩٦٠ و ١٩٩١ إلى ٤٠ في الصين و ٣٦ في تايلاند و ٣٢ في سنغافورة و ٣٠ في كوريا و ٢٨ في هونغ كونغ.

أرقام صحية: يقدم الإنفاق الصحي مؤشراً ثانياً لقراءة تخلف العالم الثالث. وصحيح ان هناك بالاجمال تقدماً عاماً، ولا سيما ما يتصل بالتحويلات السريعة الناجمة عن تدخلات خارجية مثل حملات التطعيم ضد الامراض السارية. فـ ٨٠٪ من اطفال العالم اليوم مطعمون ضد الامراض السارية الرئيسية، مقابل ٥٪ فقط في ١٩٧٧ و ٢٥٪ في ١٩٨٣. كما ان الجدي الذي كان لا يزال يقتل نحواً من مليون شخص ويعمي نحواً من نصف مليون شخص في ١٩٦٧ (وهو عام إطلاق برنامج منظمة الصحة العالمية لمكافحة الجدي) قد استوصل عملياً من الوجود منذ ١٩٧٧. ولكن بالمقابل لا تزال البلدان المتطورة التي

الشرقية و٤٥ في الشرق الاوسط و٧٠ في عشرة من بلدان افريقيا وآسيا الأشد فقرًا. ولكن مقياس التخلف هذا لا يُقرأ على حقيقته ما لم تأخذ بعين الاعتبار الواقعة الأكثر تميزًا للتدريس في البلدان المتخلفة: التفاوت التمييزي الهائل في التعليم لصالح الذكور. فثلثا الأطفال غير المتدربين هم من الإناث، ومستوى تعليم الإناث لا يمثل أكثر من ٥٠ أو ٦٠٪ من مستوى تعليم الذكور في الشرق الاوسط وافريقيا مقابل ٨٢٪ في آسيا الجنوبية الشرقية و٩٤٪ في اميركا اللاتينية.

أرقام البطالة، أو المقياس الرابع: تضرب البطالة بوجه خاص الإناث قبل الذكور، والشباب أكثر من الراشدين. فطبقًا لدراسة اجراها مكتب العمل الدولي في ٣٦ بلدًا في ١٩٩٣، فإن معدل البطالة بين الراشدين كان ٩،٨٪ لكنه تعدي ٣٥٪ بين الشباب. وتسجل قارات العالم الثالث تفاوتًا كبيرًا فيما بينها من هذا المنظور. فجنوب شرقي آسيا يعاني من فاقة في اليد العاملة (كان هذا قبل ١٩٩٥-١٩٩٦، أي قبل ان تبدأ الأزمة الاقتصادية تضرب بلدان «النمو الآسيوية»). ونسبة البطالة بين سكان المدن في اميركا اللاتينية تتخطى ٨٪، ولكن ترتفع في الهند والباكستان إلى ١٥٪، وفي بلدان جنوبي الصحراء الافريقية إلى ١٨٪. وفي تونس والمغرب تضرب البطالة كلا الجنسين بمعدل ١٧٪، ولكن هذا المعدل يتضاعف بالنسبة إلى الجزائر التي قدر عدد عاطلين فيها عن العمل في ١٩٩٣ بنحو ١،٧ مليون شخص. وزيادة سنوية لا تقل عن ٢٠٠ ألف. فمن أصل كل ٢٥٠ ألف قادم جديد إلى سوق العمل سنويًا لا تتوفر وظائف العمل إلا لخمسين ألفًا. وعلى هذا النحو وصلت نسبة البطالة في صفوف الشباب الذين هم في سن ١٥-١٩ سنة إلى ٥٨٪، وفي صفوف الشباب الذين هم في سن ١٩-٢٤ سنة إلى ٤٠٪. ومقابل ٣،٥ مليون امرأة لا عمل لمن إلا في البيوت والخدمة العائلية، فإن ١٠٠ ألف امرأة جزائرية فقط يتوفر هن عمل مأجور.

أرقام الفقر، أو المقياس الخامس: الفقراء، في تعريف البنك الدولي، هم من يتقاضون أقل من ٣٧٠ دولارًا في السنة، وعتبة الفقر الشديد هي ٢٧٥ دولارًا. عدد الفقراء في العالم الثالث قد زاد من مليار في ١٩٨٥، إلى مليار و٢٠٠ مليون في ١٩٩٤. ويتركز ٦٣٪ من فقراء العالم الثالث في آسيا الجنوبية وافريقيا جنوبي

الصحراء، اللتين لا تضمان مع ذلك سوى ٤١٪ من إجمالي سكان العالم الثالث. ولكن آسيا نفسها تنقسم إلى بلدان شديدة الفقر مثل بنغلادش والهند والنيبال، وإلى بلدان يمكن لها أن تخرز تقدمًا باهرًا في تخفيض معدلات الفقر خلال جيل واحد مثل تايلاند وماليزيا وأندونيسيا وسري لانكا التي انخفض فيها مؤشر الفقر من ٦٠ إلى ٢٠٪. وبالمقابل فإن عدد الفقراء قد ارتفع في بلدان جنوبي الصحراء الافريقية من ١٨٥ مليونًا في ١٩٨٥ إلى ٢٤٥ مليونًا في ١٩٩٤، ومن المقدّر ان يبلغ ٢٦٥ مليونًا في العام ٢٠٠٠.

وترتبط بالفقر ظاهرة سوء التغذية ونقص التغذية. وينشأ سوء التغذية من انخفاض عدد الحريرات الغذائية للشخص الواحد في اليوم الواحد إلى ما دون ٢٥٠٠ حريرة، ومن تدني مساهمة البروتينات الحيوانية إلى أقل من ٢٠ غرامًا. أما إذا قلّ عدد الحريرات عن ٢٠٠٠ وانخفض مقدار البروتينات الحيوانية إلى ١٠ غرامات، فتتسبب ظاهرة نقص التغذية. وهي تتحول إلى وضعية مجاعة إذا تدنت الحريرات إلى ١٥٠٠ والبروتينات الحيوانية إلى ٥ غرامات للشخص الواحد في اليوم الواحد. وتبعًا لأحصائيات ١٩٩٠ فإن العالم الثالث لا يزال يعد ٧٨٦ مليون جائع أو معان مزمن من سوء التغذية ونقص التغذية، وهو ما يعادل ٢٠٪ من سكانه و١٥٪ من سكان العالم. وفي حين ان عدد الجائعين انخفض من ٧٥١ مليونًا في آسيا عام ١٩٧٠ إلى ٥٢٨ مليونًا عام ١٩٩٠، فقد ارتفع في الفترة نفسها في افريقيا من ١٠٠ مليون إلى ١٧٠ مليونًا.

أرقام القلهور البيئي، أو المقياس السادس: أدى الضغط السكاني في المناطق المدارية بوجه خاص، وخلال نصف القرن الأخير، إلى ضياع ١،٢ مليار هكتار من الاراضي، أي ١١٪ من إجمالي الغطاء النباتي في الكرة الأرضية. وفي بنغلادش وحدها يؤدي الحت والضغط السكاني إلى ضياع آلاف الكيلومترات المربعة من الاراضي القابلة للزراعة سنويًا.

وهناك ٢٦ بلدًا في العالم الثالث يعاني من فاقة في موارد المياه، مما يجعل ٢٣٠ مليون نسمة يعيشون دون عتبة الألف متر مكعب الضرورية لكل إنسان سنويًا. وهناك مشكلة تلوث المياه. فثمة في العالم الثالث ١،٧ مليار إنسان لا يتوفر لهم حد أدنى من المياه الصحية. أما مشكلة تلوث الجو، فتتطلب منظمة الصحة العالمية ان أكثر من مليار إنسان من سكان المدن الكبرى في

العالم الثالث: جلدور ومآل أخير عبر القمة الأخيرة (١٩٩٨) لحركة عدم الانحياز:

«يجب أن يدرج ظهور البلدان النامية في عداد أهم الظواهر التي شهدتها القرن العشرون من أواسطه إلى أواخره، وهي البلدان التي يطلق عليها أيضًا «العالم الثالث» أو «الجنوب» في بعض الأحيان. ولئن كانت أي تسمية من هذه التسميات تعتبر كافية فإن العالم الثالث هو الاصطلاح المفضل، لأنه يتم على الأقل عن هوية أكثر وعيًا بذاتها، فضلًا عن أنه أكثر التسميات شيوعًا من بين التسميات التي اختارها أسم وشعوب إفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية والكاريبي لكي تطلقها على أنفسها...»

«... إن العالم الثالث، بمفهوم هذا اللفظ، لم يكن معروفًا في الأربعينات، ولم يكن هناك وجود في الخمسينات سواء لحركة عدم الانحياز أو لمجموعة الـ ٧٧...»

«... إن حركة عدم الانحياز، التي نشأت في ١٩٦١، هي التعبير السياسي الرئيسي عن العالم الثالث، ومجموعة الـ ٧٧ هي الأكبر حجمًا في وحدة التفاوض الاقتصادي الرئيسية للعالم الثالث. وإذا عرّف العالم الثالث بأنه يضم الدول المستقلة ذات الهوية الواعية بذاتها والمنتمية لإحدى هاتين المجموعتين أو لهما معًا، فإنه يشمل عندئذ جميع الدول الأفريقية، ما عدا جنوب إفريقيا، ومعظم الدول الواقعة في «منطقة آسيا-الشرق الأوسط- المحيط الهادي» (بما فيها قبرص، وهي عضو في كلتا المجموعتين، باستثناء الصين، وإسرائيل، واليابان، وتركيا، وأستراليا ونيوزيلندا)، وجميع دول أميركا اللاتينية والكاريبي، ودولاً أوروبية قليلة هي يوغوسلافيا ومالطة ورومانيا...»

«... وإزاء ذلك الوضع التاريخي فليس من المستغرب أنه قبل فترة طويلة من الاعتراف بوجود العالم الثالث، بمفهومه المعروف، كان بعض دوائر التجمع الإفريقي قد تنبأت بظهوره في نهاية المطاف بما يمثله من التحدي، كما حدث في مؤتمر التجمع الإفريقي الأول المعقد في لندن عام ١٩٠٠ الذي ورد في «خطابه الموجه إلى أمم العالم» في ما يلي: «وعلى أية حال، يجب أن يذكر العالم الحديث أنه في هذا العصر الذي تتقارب فيه أطراف العالم بهذا القدر الكبير، فإن ملايين السود في إفريقيا وأميركا وجزر البحار، ناهيك عن الأعداد التي لا تحصى من ذوي البشرة السمراء والبشرة الصفراء في غير ذلك من الأماكن، لا بد وأن يكون لهم- ولو بحكم الأعداد الغفيرة والتواصل المادي- تأثير عظيم على العالم في المستقبل...»

«ومن الشواهد المبكرة في هذا الصدد المؤتمر الذي عقد في بروكسيل في ١٩٢٧ بدعوة من رابطة مناهضة الامبريالية والاستعمار التي كان العديد من الوطنيين الآسيويين والأفارقة (من بينهم جواهر لال نهرو من الهند، وهو شفي منه من فيتام، ولامين سنغور من السنغال) مشتركين فيها. ومن الأمور ذات الدلالة الخاصة أن الرئيس الأندونيسي سوكارنو، في كلمته الافتتاحية في مؤتمر باندونغ لعام ١٩٥٥، ألح إلى مؤتمر بروكسيل هذا المعقد في ١٩٢٧ على أنه سلف من نوع ما...»
«كذلك نجد أيضًا، قبل عقد كامل من مؤتمر باندونغ، أن مؤتمر التجمع الإفريقي الخامس لعام ١٩٤٥، المعقد في مانشستر، انكلترا، لم يشير بظهور حركة العالم الثالث فحسب، وإنما صاغ أيضًا إيديولوجيات صارت في ما بعد مرتكزات للتحدي الذي يمثله العالم الثالث. وقد تجلّى ذلك في ما صدر عنه بعنوان «إعلان إلى شعوب المستعمرات في العالم»، وهو إعلان صاغه كوامي نكروما، الأمين السياسي المشارك للمؤتمر، ويخصّ فيه أهل المستعمرات من العمال والمزارعين والمفكرين والمهنيين في كل مكان على دحر الامبريالية، ويحث شعوب المستعمرات والشعوب الخاضعة في العالم أجمع على الاتحاد...»
«... وكان تشكيل المجموعة الآسيوية-الأفريقية في الأمم المتحدة في ١٩٥٠، وعقد مؤتمر باندونغ في ١٩٥٥، وإنشاء منظمة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية في ١٩٥٧، هي أهم السلائف والأسس الأفرو-آسيوية التي قامت عليها حركة العالم الثالث الأوسع نطاقًا في أوائل الستينات. إلا أن مؤتمر باندونغ هو، من بينها جميعًا، أنسب نقطة لبداية التحليل...» (مقتطفات من الفصل الثامن والعشرين من المجلد الثامن بعنوان «إفريقيا والمناطق النامية»، بقلم لوكسلي إدmondسن، من «تاريخ إفريقيا العام»، اليونيسكو، قيد الطبع معربًا، بيروت، ١٩٩٨).

قمة عدم الانحياز الأخيرة، الثانية عشرة، عقدت في دوربان بجنوب إفريقيا في أيلول ١٩٩٨ (القمة الأولى عقدت في بلغراد ١٩٦١ وكانت بدأت بـ ٢٩ عضوًا)، وشارك فيها ٦٠ رئيس دولة ومئة وزير خارجية من دول حركة عدم الانحياز (التممة ص ٦١)

قضية ديون العالم الثالث

خطوط عريضة: انها قضية بالغة الأهمية يتوقف عليها العديد من مسارات دول العالم الثالث ومصائرنا ويتشابك فيها السياسي بالاقتصادي والاجتماعي، وعقد، ويُعقد بشأنها العديد من المؤتمرات الدولية والإقليمية والوطنية المحلية، وتوضع الدراسات وتقدم المقترحات للحلول. ولكن القضية لا تزال شائكة وعالقة تورق حياة دول العالم الثالث وتقف على رأس لائحة معوقات تقدمها. يمكننا إنجاز الخطوط العريضة لقضية ديون العالم الثالث (حتى اوائل ١٩٩٨) بالنقاط التالية:

- ١- يبلغ إجمالي هذه الديون ٥٠٦ بلايين دولار.
- ٢- تشكل عجزاً في ٤٠ دولة الأفقر في العالم (تقديرات صندوق النقد الدولي).
- ٣- كفيلة، لوحدها، بأن تفاقم من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والعيشية في هذه الدول، بحيث تؤدي إلى وفاة ٢١ مليون طفل مع نهاية القرن إذا لم تبادر الدول الغنية المقرضة إلى تخفيف أعباء تلك الديون التي تحول دون إنفاق الدول الفقيرة مبالغ ديونها على حاجاتها الانسانية الأساسية كالصحة والرعاية الاجتماعية.
- ٤- قضية الديون إقتصادية بحتة في ظاهرها، سياسية-اقتصادية-اجتماعية (فساد وقرارات خاطئة وتبعية) في جوهرها (هكذا كانت هذه الديون تاريخياً: ديون مصر، إيران، وغيرهما... وهكذا لا تزال).
- ٥- شروط صندوق النقد الدولي (الشريك الكامل للبنك الدولي) الاقتصادية والمالية الصارمة على الدول المديونة للحصول على تسهيلات عاجلة. والمعروف ان غالبية الدائنين تتحكم بهاتين المؤسستين الماليين.
- ٦- مناخ إيجابي، بشأن الديون، بدأ مع لقاء الدول السبع الغنية في إطار الاجتماع السنوي لصندوق النقد والبنك الدوليين في ٢١ ايلول ١٩٩٧. ونقل عن هذا اللقاء انه بصدد تحرير بعض الدول من أعباء الديون، وتخفيفها عن البعض الآخر.
- ٧- مناخ آخر يبعث على التشاؤم، مرده إلى إصرار صندوق النقد الدولي على تسديد الديون كاملة حتى لا يتعرض إلى خسارة، وتمسكه بشروطه في تقديم القروض مثل ترسيخ حرية السوق وإطلاق الدول لحرية انتقال رأس المال وانسياب قروض الاستثمار خارج الدولة وبالعكس (حرية تجارة البضائع وحرية عبور رأس المال). وهذا أمر يزعج الكثيرين من السياسيين والاقتصاديين،

العالم الثالث يعيشون في اجواء ملوثة على مدى ٢٠٠ يوم في السنة، مع ان الحد الأعلى «المقبول» هو سبعة ايام في السنة حسب معايير منظمة الصحة العالمية. ومن هذه المدن بكين وكلكتا ونيودلهي وطهران ومكسيكو والقاهرة. والمدينتان الأخيرتان تضربان بعض الارقام القياسية. فمكسيكو، بالملايين الـ ١٨ من سكانها، هي المدينة الأكثر تلوثاً في العالم. فمن يعيش ويتنفس الهواء في مكسيكو كمن يدخن اربعين سيجارة في اليوم حسبما يقدّر الخبراء. ونظراً إلى ارتفاع المدينة (على علو ٢٣٠٠م)، فإن كمية الأوكسجين في جوها تقل أصلاً بمقدار ٣٠٪ عن المدن الواقعة عند سطح البحر. ونظراً ايضاً إلى ثلاثة ملايين سيارة فيها، فإن معدلات التلوث بالرصاص فيها ترتفع إلى ستة اضعافها في المدن الأخرى. وقد دلّ تحليل عينات الدم على ان ٧٠٪ من اطفالها في المنطقة الشمالية يموتون في دمائهم على أكثر من ٤٠ ملغ من الرصاص في كل عشرة ليترات، علماً بأن الحد الأعلى «المقبول» ينبغي ألا يتخطى عتبة ١٠ أو ١٥ ملغ. ولثة عامل آخر للتلوث في مكسيكو، وهو تفسخ المواد البرازية وما تنتشره من جراثيم عضوية في الجو. فقبل ١٠ سنوات قدر الخبراء ان مليونين من سكان مكسيكو يتغوطون في الهواء الطلق ويفرزون يومياً ٢٥٠ طناً من المواد العضوية الملوثة. ويفترض الآن ان تكون هذه الارقام قد تضاعفت ثلاث مرات. أما القاهرة فتضرب، مع أديس أبابا، رقماً قياسياً عالمياً في نسبة من يعيشون من سكانها في احياء غير صحية: فهو يصل إلى ٨٤٪ مقابل ٥٧ في بومباي و ٤٠ في مكسيكو. ولا تصل الكهرباء إلى ٢٠٪ من سكان القاهرة، ولا الماء الجاري إلى ٣٠٪ من سكانها. أما نقص المساكن فيها فيقدر بـ ٦٠٠ ألف. وأخيراً فإن مدن الهند تضرب مثلاً على تلوث من نوع آخر يمس البيئة البشرية نفسها. فموجب إحصاء جرى في ١٩٧٣، قدر عدد المتسولين في الهند بنحو ٥٥ مليون (أي ١٪ من إجمالي السكان آنذاك). منهم ١١٥ ألف طفل، و ٨٠٠ ألف أعمى، و ٣٠٠ ألف أصم وأخرس، و ١٥٠ ألف مصاب بالجنون، و ١٠٠ ألف معتوه. ومظهر آخر من مظاهر تلوث البيئة البشرية تقدمه بعض مدن جنوب شرقي آسيا: ففي بانكوك يقدر عدد البغاي بأكثر من ٢٠٠ ألف (بجمل هذا الموضوع، «الارقام أصدق التعريفات»، عن جورج طرايشي، عن كتاب جورج كازس وجان دومنغو: «العالم الثالث: زمن الانكسارات»-بالفرنسية- «الحياة»، العدد ١٢٠٤٨، تاريخ ١٨ شباط ١٩٩٦، ص ١٤).

(ثمة ص ٥٩)

التي أصبح عددها ١١٤ دولة بعد انضمام بيلاروسيا إليها أثناء القمة (وكانت الدولة المضيفة، جنوب أفريقيا، انضمت إليها في ١٩٩٥، أي بعد زوال النظام العنصري من البلاد).

لم يعد التمام قمة الدول غير المنحازة (وكذلك كل قمة أو مؤتمر لهذه الدول، أو مجموعة الـ ٧٧...) معلمًا يحظى بالهبة التي كانت له إبان نظام القطبية الثنائية حيث كان الاتحاد السوفياتي متعاطفًا مع الحركة ومناصرًا لأبرز القوى الفاعلة فيها (الهند، مصر ويوغوسلافيا)، في حين كانت الولايات المتحدة تبدي امتعاضًا شديدًا منها، وتمضي الآن، بعد زوال الاتحاد السوفياتي، في استتصال بواعث هذه الحركة وجرفها تحت جناحها في تيار العولمة التي تنادي به.

وصدر عن قمة دوربان إعلان جاء معظمه تكرارًا للاتحة طويلة (تضمنتها أيضًا القمم السابقة في جاكارتا وهراري وكولومبيا) من التمنيات والأمال بالقضاء على الفقر وإقرار السلام والأمن والتنمية. وقد أعرب أعضاء الحركة الذين يمثل بعضهم الدول الأكثر فقرًا، عن قلقهم من عولمة الاقتصاد «التي ترجمت بتهميش متزايد لغالبية الدول النامية». ودفعهم هذا الرضع إلى المطالبة باصلاح الهيئات المالية الرئيسية وتنظيم جديد للأسواق المالية. وأشاروا، وفقًا لرغبة جنوب أفريقيا، إلى ضرورة العمل جماعيًا من أجل شراكة مع الدول المتطورة وتحقيق تقدم في الحوار بين الشمال والجنوب، علمًا ان بعض دول مجموعة الثماني (الدول الصناعية)، ومن بينها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، دعيت للمرة الأولى إلى حضور أعمال قمة دول عدم الانحياز.

واتفق أعضاء الحركة، في قمة دوربان، على المطالبة بمؤتمر دولي في شأن الارهاب برعاية الأمم المتحدة من أجل «رد منسق من الأسرة الدولية» على هذه المشكلة. وعلى رغم التجارب النووية التي قام بها اثنان من أعضاء الحركة (الهند وباكستان) قبل ايام قليلة من انعقاد قمة دوربان، فقد كررت دول عدم الانحياز الدعوة إلى نزع السلاح الذي يشكل أحد اهتماماتها الأساسية منذ إنشائها.



رئيس جنوب أفريقيا

للسون ماندبلا (إلى اليسار)

والرئيس الكوبي فيديل كاسترو

لدى اختتام مؤتمر قمة دوربان (أيلول ١٩٩٨).

خصوصاً في الوقت الذي تزداد فيه الحساسيات بسبب انهيار الثقة وهروب اسرال الاستثمارات مثلما حصل في دول جنوب شرقي آسيا، لذلك يطالبون بتحديث نظام صندوق النقد الدولي.

٨- تحديث نظام هذا البنك يتطلب الحد من تدخله في طريقة إدارة الحكم في دول العالم الثالث، وتخفيف شروطه الاقتصادية والمالية. وأبرز معالم شروط الصندوق تدخله في السياسات العامة، وفي مجالات الوظائف وسوق العمالة والتجارة والزراعة والفساد.

نموذج دول «النمور الآسيوية» مع الديون: (راجع بشأن هذه الدول، وأعجوبتها الاقتصادية ج٢، ص ١٠١-١٠٤).

فوجيء العالم، منذ الشهور الأخيرة من ١٩٩٧، بالازمات المالية المتتالية لدول جنوب شرقي آسيا التي كانت، قبل هذا التاريخ وعلى مدار نحو عقدين من الزمن، مثار إعجابه وانبهاره باعتبارها المعجزة الآسيوية.

وفجأة اكتشف العالم ان تايلاند وكوريا وأندونيسيا وماليزيا على شفا الانهيار المالي. واهتزت البورصة وتدهورت أسعار الصرف لمعظم هذه الدول واضطر صندوق النقد الدولي إلى التدخل السريع بتوفير مليارات الدولارات لكل من تايلاند وكوريا الجنوبية وأندونيسيا، وخرج رئيس وزراء ماليزيا يتهم الغرب والمضاربين بالمؤامرة. وثار جدل كبير حول أسباب هذه الأزمة (الجدل ذكره انه قبل ذلك بعدة أعوام فوجيء صندوق النقد الدولي أيضاً بأزمة مشابهة هي أزمة المكسيك التي اقترحت من حافة الانحلال وكانت تقاريره عنها تشير إلى اعتبارها أحد النماذج للإصلاح الاقتصادي)، وحول دور صندوق النقد الدولي ومدى هشاشة ورقابة وكفاءة وفاعلية هذا الدور.

الرأي الغالب بين محللي هذه الأزمة التي أصابت، فجأة، النمور الآسيوية، هو القائل بأنها أزمة مالية بأكبر مما هي أزمة اقتصادية عينية، بمعنى ان القطاع المالي، وفي مقدمته القطاع المصرفي، يعاني من ضعف أصيل يتميز بالاسراف في منح الائتمان على أسس سياسية وشخصية (أي على أسس مصلحة سياسية وأسس شاملة شخصية) بعيداً عن الاعتبارات الاقتصادية الموضوعية. وبذلك، وجدت البنوك نفسها متورطة في قروض وتسهيلات بلا ضمانات حقيقية، مما فرض عليها أعباء مالية ضخمة أثرت في مراكزها المالية وهددتها بالانحلال. أضف إلى ذلك

اقتراض البنوك بضمائنات غير حقيقية والانكشاف الكبير أمام القروض الأجنبية... ومع هذا التدهور في الأوضاع المالية والمصرفية، وانعكاسه على المشروعات، تتجه التوظيفات الأجنبية للهروب.

ومع غلبة الثروة المالية (حقوق مالية، سندات، بورصة...)، في دول النمور الآسيوية، على الثروة العينية (مصانع، أدوات...)، تحول الاقتصاد إلى نوع من الاقتصاد الرمزي الذي تحركه رموز أو مؤشرات. فأصبح النشاط الاقتصادي شديد التأثير بأي تغيير في أسعار البورصات أو إحصاءات موازين المدفوعات أو أرقام البطالة ومعدلات ارتفاع الأسعار... وفي مثل هذه الأحوال تصبح اعتبارات الثقة والأحوال النفسية للمتعاملين في هذه الأصول المالية هي العامل الحاسم. وكثيراً ما قيل وصفاً عن نفسية المتعاملين في الأسواق المالية بأنهم يسكرون وفقاً لـ «غريزة القطيع». فأية إشاعة أو تردد أو إقبال من جانب عدد من المستثمرين لا بد وأن يعكس على الأسعار ويؤدي بالتالي إلى سلسلة متتابعة من ردود الأفعال.

«وأخيراً، فقد سبق أن أثارنا تجربة هذه النمور الآسيوية جديلاً واسعاً تناول مدى فاعلية الإصلاح الاقتصادي في غيبة إصلاح سياسي وتحقيق مزيد من الديمقراطية والمشاركة السياسية. فقد كان الرأي الغالب يرى ان الإصلاح الاقتصادي واستقرار نظام السوق يتطلب، وعلى التوازي، إصلاحاً سياسياً. فقد رأى الفكر التقليدي ان هناك تكاملاً بين اقتصاد السوق والديمقراطية السياسية. فالفكر الليبرالي يرى إلى الحرية السياسية والاقتصادية فرسَي رهان لا ينفصلان، ومع ذلك فقد جاءت تجربة هذه البلدان مؤكدة إمكان فصل الإصلاح الاقتصادي والإصلاح السياسي. فقد اعتمدت هذه الدول على نظام السوق والانفتاح على الاقتصاد العالمي في استراتيجية للتصدير، ولكنها خضعت بدرجات متفاوتة لنظم سياسية يصعب إدراجها في إطار الديمقراطية السياسية. وهكذا قدمت هذه الدول نموذجاً للنجاح الاقتصادي مع استمرار نظم سياسية بعيدة عن الديمقراطية والمشاركة السياسية. وقد كان النجاح الاقتصادي لهذه الدول حجة كافية لدعاة تأجيل الإصلاح السياسي في عديد من الدول النامية مع الدعوة إلى العمل فقط -على الأقل مرحلياً- على جبهة الاقتصاد. وجاءت الأزمة المالية الأخيرة لنمور جنوب شرقي آسيا لتطرح من جديد قضية الإصلاح السياسي وخاصة في ما يتعلق بقضايا الفساد واستغلال النفوذ في هذه الدول. فقد اتضح ان ضعف



«جبل الشمع الدائب»، أو أزمات النمر الآسيوية (خاصة الدولية) بعد سنوات من اعوجبتها الاقتصادية (لوموند ديبلوماتيك، عدد ايار ١٩٩٨، ص ٣).

التخطيط لها البنك الدولي والادارة الاميركية واليابان، تقوم على إنشاء صناديق لإطفاء الديون وجدولة بعضها وكشف الرديئة منها.

لكن، في حين تبدو جبهة انعكاسات الأزمة على الأوضاع الاجتماعية لا تزال هادئة نسبياً، خاصة بالنسبة إلى كوريا الجنوبية التي توصلت، في ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٨، إلى اتفاق مع مجموعة المصارف الدولية لاعادة جدولة ٢٤ بليون دولار من ديونها قصيرة الأجل من أصل ديونها الخارجية البالغة رسمياً ١٥٣ بليون دولار حتى نهاية ١٩٩٧، فإن المعالجات المشابهة التي توصلت إليها أندونيسيا لم تجنّبها الانعكاسات الاجتماعية العنيفة. ففي اواسط ايار ١٩٩٨، بدأت اضطرابات إجتماعية واسعة النطاق في جاكرتا (أعمال شغب، حرق متعمد ونهب وقتل - نحو ٢٠٠ قتيل في يوم واحد) في وقت أصيبت الأسواق المالية وأسواق السلع بحالة شلل فعلي. وكانت الروبية أكبر ضحية اقتصادية لهذه الأزمة في أندونيسيا، إذ انخفضت قيمتها بنسبة ٢٥٪ خلال أربعة ايام فقط (١٢ -

القطاع المالي في كثير من هذه الدول إنما ارتبط إلى حد بعيد بالفساد السياسي وإتراء الطبقات الحاكمة في غيبة المسؤولية والمساءلة. وهكذا يطرح من جديد التساؤل حول مدى إمكان استمرار نجاح اقتصاد السوق في غيبة دولة القانون وتداول السلطة والمساءلة. وهي قضايا لا تزال مطروحة على العديد من دول العالم الثالث، ولا يبدو أنها سوف تجد إجابات قاطعة في المستقبل القريب» (عن د. حازم الببلاوي، ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة، الأمين التنفيذي للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - إسكوا -، من محاضرة له ألقيت في «دار الندوة»، بيروت، ١٠ آذار ١٩٩٨، ونشرتها مجلة «المنابر»، العدد ٨٤، آذار ١٩٩٨، ص ٤٦-٥٢).

مضى ربيع ١٩٩٨ ودول النمر الآسيوية تحاول معالجة أزماتها المالية خاصة لجهة آثار الديون المستحقة عليها باعادة هيكله الديون الأجنبية قصيرة الأجل منها، وتحويلها إلى ديون طويلة الأجل وخاصة المملوكة منها للشركات الخاصة. وهناك اقتراحات وخطوات واجتهادات يتعاون في

١٥ ايار ١٩٩٨)، فبلغ سعرها ١١٥٠٠-١٢٥٠٠ مقابل الدولار الواحد. وأثيرت المخاوف من أن تمتد الانعكاسات الاجتماعية الحاصلة في اندونيسيا لأزمة مالية واقتصادية تطال «غور آسيا» إلى مناطق أخرى في هذه المنطقة.

وتبدو أندونيسيا «النشأ الحقيقي لهذا الخلل الاجتماعي». فانهيار العملة الوطنية فيها، ودوام التضخم المالي، أدّى إلى إفلاس العديد من الشركات. وبعد ٣٠ سنة من الحكم الحديدي، وفي ظل غياب وارث محتمل للرئيس سوهارتو، فإن الفساد المتأصل يفتك بالدورة الاقتصادية في القطاعين الخاص والعام. ومن سخريات القدر ان الثروة الشخصية لعائلة سوهارتو تقدر بـ ٤٠ مليار دولار، وهو المبلغ نفسه لمجموع الدين الخاص والعام المترتب على أندونيسيا وفق تقديرات الشبكات المصرفية الأجنبية المدعوة إلى المساعدة (...). ومع الاعلان عن موجات التسريع، وعن زيادة أسعار المواد الاستهلاكية انفجر الغضب الشعبي منساقاً للنزوات العنصرية ومستهدفاً، بعنف بلغ حد النهب الجماعي، الأقلية الصينية التي تمسك بمعظم الأعمال التجارية في الارخبيل، مما يعود بالذاكرة، وللأسف، إلى الاحداث المأسوية التي وقعت في ١٩٦٥» (جون إيفنز، الأمين العام للهيئة النقابية الاستشارية في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، باريس، «لوموند ديبلوماتيك»، عدد ايار ١٩٩٨، ص ٣).

حالة أميركا اللاتينية (مناقشة): يبدو ان اميركا

اللاتينية بصدد الدخول في طور من الرفاه. كل المؤشرات، سياسية أم اقتصادية تروحي بذلك. فالمنطقة خرجت من حروبها الأهلية ومن ثوراتها المزمنة وبدأت تنعم بسلام لم تشهد مثيلاً له منذ فجر الستينات. كما ان الديمقراطية ترسخت فيها، أو هي بصدد الترسخ، بحيث لم يبق بلد من بلدانها، ما عدا كوبا فيدل كاسترو، إلا ونظم انتخابات أجمع المراقبون على القول بأنها كانت ديمقراطية. وتحسنت أوضاع حقوق الإنسان في تلك البلدان على نحو ربما لم يسهل أن عرفته في تاريخها الحديث.

أما اقتصاد أميركا اللاتينية، فهو، وإن استرعى انتباه أقل من نظيره الآسيوي الأقصى، إلا انه واحد من أكثر اقتصادات العالم ديناميكية ونهوضاً، حيث حققت خلال الثماني سنوات الماضية نمواً ثابتاً ومستديماً، بلغت نسبته ٥% سنوياً، وذلك بعد ان نجحت بلدان القارة في استكمال انتقالها إلى اقتصاد السوق وفي تنفيذ الخصخصة. هكذا تبدو أميركا اللاتينية صاحبة أجمع تحارب

الانتقال إلى الديمقراطية واقتصاد السوق، وهو ما قد لا نجد مثيلاً له لا في بلدان آسيا القصوى ولا في بلدان الشرق الاوروبي التي كانت تحت ربة الشيوعية. فإذا كان الأداء الاقتصادي الآسيوي يبدو من حيث معدلات نموه الخارقة في بعض الحالات أكثر برهناً إلا أنه يبدو كذلك معرضاً لاهتزازات كبيرة ذات وقع مدمر على اقتصاد العالم برمتيه، كما دلت على ذلك الأزمة النقدية التي منيت بها بلدان تلك المنطقة خلال الأشهر الماضية.

أما الديمقراطية وحقوق الإنسان فهي نائية مماً عن مشاغل قادة تلك المنطقة ممن يتذرعون بما يسمونه «القيم الآسيوية» من أجل تجنب الخوض في أي شأن ديمقراطي، ومن يعتبرون أن الرفاه الذي يحققونه لشعوبهم يجعلهم في حل من أي تنازل في هذا الصدد.

وأما بلدان أوروبا الشرقية، وفي ما عدا بعض الحالات القليلة كجمهورية تشيكيا فهي في الغالب تجد صعوبات كبيرة في تحقيق انتقالها إلى الديمقراطية أو في إنجاز انتقالها إلى اقتصاد السوق أو في الأمرين معاً. وكل ذلك، بالمقارنة مع المنطقتين المذكورتين، يجعل أميركا اللاتينية تبدو بمثابة الحالة النموذجية في صدد النجاح في تحقيق التحولين، السياسي والاقتصادي، معاً وبدلاً بيد.

لذلك، فإنه لا يمكن لقمة الاسير كيتين، تلك التي افتتحت اعمالها في نهاية هذا الاسبوع (اواسط نيسان ١٩٩٨) في سانتياغو، عاصمة تشيلي أن تتعقد في ظروف أفضل من هذه. فتلك القمة، وهي الثانية من نوعها منذ تلك التي التأم في ١٩٩٤ وحضرها ٣٣ رئيس دولة من شمالي القارة (الولايات المتحدة وكندا) كما من جنوبيها، هي بمثابة الطقوس الاحتفالي بتلك النجاحات. فالولايات المتحدة هي التي دفعت دوماً وضغطت بالحاح (على الأقل منذ ان زال الخطر السوفياتي ولم تعد مضطرة إلى دعم دكتاتوريات شنيعة لا مزبة لها سوى مواجهة الحركات الثورية) باتجاه الديمقراطية واتجاه السوق. بل يمكن القول ان الولايات المتحدة نجحت ربما لأول مرة، والاستثناء الحالة الكورية الخاصة، في توحيد نصف الكرة الارضية الغربي، ذلك الذي رأت فيه دوماً خطراً الحيوي الذي لا يجب ان ينازعها فيه أحد، تحت قيادتها ووفق فلسفتها السياسية والاقتصادية، أو هي بصدد النجاح في ذلك (...).

قياساً إلى كل ذلك، تبدو قمة سانتياغو بالنسبة إلى الرئيس الاميركي، كلينتون، بمثابة اللقاء العائلي والمريح. ويكفي إشارة إلى ذلك جدول أعمال القمة المذكورة. فهذه الأخيرة انكبت على بحث قضايا الفقر والتجارة

والزبنة والمخدرات. وهذه كلها ملفات، على أهميتها، قطاعية أقرب إلى الصبغة التقنية، وهي على أية حال ليس بينها ما يتعلق بمسألة سياسية عريضة أو بخلاف حول نقطة استراتيجية كبيرة لا يمكنها ان تحسم على صعيد الخبراء.

غير ان هذه التحولات التي طرأت على القارة الاميركية الجنوبية وذلك الارتياح الذي تبديه واشنطن حيالها قد لا تكون مشرقة بالدرجة التي قد توحي بها ارقام نسب النمو والانتخابات الديمقراطية. ذلك ان التحولات لم تنعكس على الجميع رفاهاً بل إنها خلقت تفاوتات اجتماعية فادحة قد تصبح عامل اضطراب وزعزعة بالنسبة إلى الديمقراطيات الوليدة في تلك المنطقة. ففي بلدان مثل تشيلي أو المكسيك أو البرازيل أو غواتيمالا، يسيطر ٢٠٪ من السكان على ٦٠٪ من الدخل الوطني، هذا إلى جانب مظاهر الفساد والرشوة التي تستفحل في تلك البلدان، كما حدث قبل ايام مع رئيس فنزويلا السابق كارلوس أندريس بيريز الذي ألقي القبض عليه بتهمة الإثراء غير المشروع.

ثم ان المشكلة الأبرز التي تعاني منها مجتمعات اميركا اللاتينية، وهي ليست بعيدة عن مسألة التفاوت الاجتماعي، إنما تتمثل في انتشار الجريمة والعنف بشكل يبدو انه يفوق أي مكان آخر في العالم. ففي المدن الكبرى لتلك القارة، أصبحت أعمال الخطف والسطو والاعتداء وإنتاج وتهريب المخدرات... ممارسة يومية بالغة الشيوع. وقد ذهب بعض الخبراء إلى القول بأن الجريمة باتت «الحاجز الرئيسي في وجه التطور الاقتصادي للمنطقة»، وانها تكلف بلدانها ١٦٨ بليون دولار سنوياً أي ما يوازي

١٤٪ من دخلها القومي الخام. بل ان الخطف أصبح في بعض البلدان صناعة بحيث ما بات يكتفي باستهداف الأثرياء. ففي بيرو أصبح يجري اختطاف أي كان، على أن يخلى سبيله مقابل مئة قليلة من الدولارات. وبما ان الدولة عاجزة على فرض الأمن، أو بما أن الفساد ينخر أجهزتها الأمنية، تكاثرت الميليشيات ومجموعات الدفاع الخاصة.

وإذا كان من الصحيح ان العنف على السدوم ملمحاً ثقافياً ثابتاً في مجتمعات اميركا اللاتينية، إلا ان ذلك العنف كان يجد سبل التعبير عنه عبر قنوات الانتظام الايديولوجي أو ما شابهها من وسائل الضبط الجماعي. أما الآن فإنه يبدو عملاً فردياً أكثر فأكثر وازعه الربح وحده. وكأنما ذلك للوروث هو الذي استوعب اقتصاد السوق على ذلك النحو الاجرامي، وليس العكس، أي أنه كما لو أن اقتصاد السوق لا يأتي إلى المجتمعات التي ينغرس فيها بما لم يكن موجوداً فيها، بل هو يتلاءم معها استبداداً في آسيا وعنفاً تحول إلى الاجرام الصررف في اميركا اللاتينية... وهكذا.

قد تكون هذه نظيرة إلى الأمور لا تخلو من سرداوية، ولكنها مع ذلك تطرح سؤالاً ربما كان جديراً بأن يطرح. ففيما عدا الحالة اليابانية الخاصة، هذه هي المرة الاولى في التاريخ حيث تنتشر الرأسمالية خارج حدودها التاريخية ممثلة في العالم الغربي. ويقتضى من المهم ان نراقب بدقة كيف يمكن لذلك ان يجري وكيف تتعامل المجتمعات الأهلية مع هذا المستجد؟ (عن صالح بشير، «الحياة»، تيارات، العدد ١٢٨٢٩، تاريخ ١٩ نيسان ١٩٩٨).

العالم العربي

(الوطن العربي)

تعريفات ومقدمات تاريخية

الاسم: «العرب» و«العالم العربي»: ظهر اسم «العرب» مكتوباً في المصادر الآشورية خلال القرن التاسع ق.م. عندما أطلقوه على بعض بمالك شمالي الجزيرة. ولم يستعمل هذا الاسم في المصادر التاريخية للدلالة على كل سكان شبه الجزيرة العربية إلا منذ العصر الروماني. ويرجح كثيرون أن ثمة علاقة بين اسم «عرب» واسم «أسد»، حيث أن الأسد كان يعتبر رمزاً طوطمياً لقبائل شمالي شبه الجزيرة، وقد أعطوه أسماء عديدة في لغاتهم وردت في الكثير من أشعار الجاهليين الذين تغنوا بملك الحيوانات. ومن الأسماء القديمة للأسد: «عر» الذي منه تأتي كلمتا «عرين» و«ذعر»، وتكون «عرب» دلالة على انتماء هذه الأقوام إلى الأسد. وبعض المؤرخين القدماء يرجحون أن اسم «عرب» قد جاء من نشأة اسماعيل بن ابراهيم وبنيه، وسكانهم - وهم العرب العدنانيون - بمنطقة «عربة» في تهامة في شبه الجزيرة.

ولمة آراء كثيرة، لمؤرخين وعلماء آثار، عن بدايات الكتابة العربية وأصلها وعلاقتها بالفينيقية وكتابات شبه جزيرة سيناء. لكن الأكيد، والجمع عليه، أن ظهور الأبجدية العربية الحديثة كان في نهاية القرن الثالث الميلادي، وأن هذا الظهور ليس دليلاً على أن اللغة العربية نفسها بدأت في ذلك التاريخ، فقد كان العرب يتحدثون بهذه اللغة منذ مئات السنين قبل ذلك، وأن ظهور العربية الفصحى (الجامعة للأقوام العربية) لا بد وأن يرتبط بظهور الأبجدية العربية الحديثة.

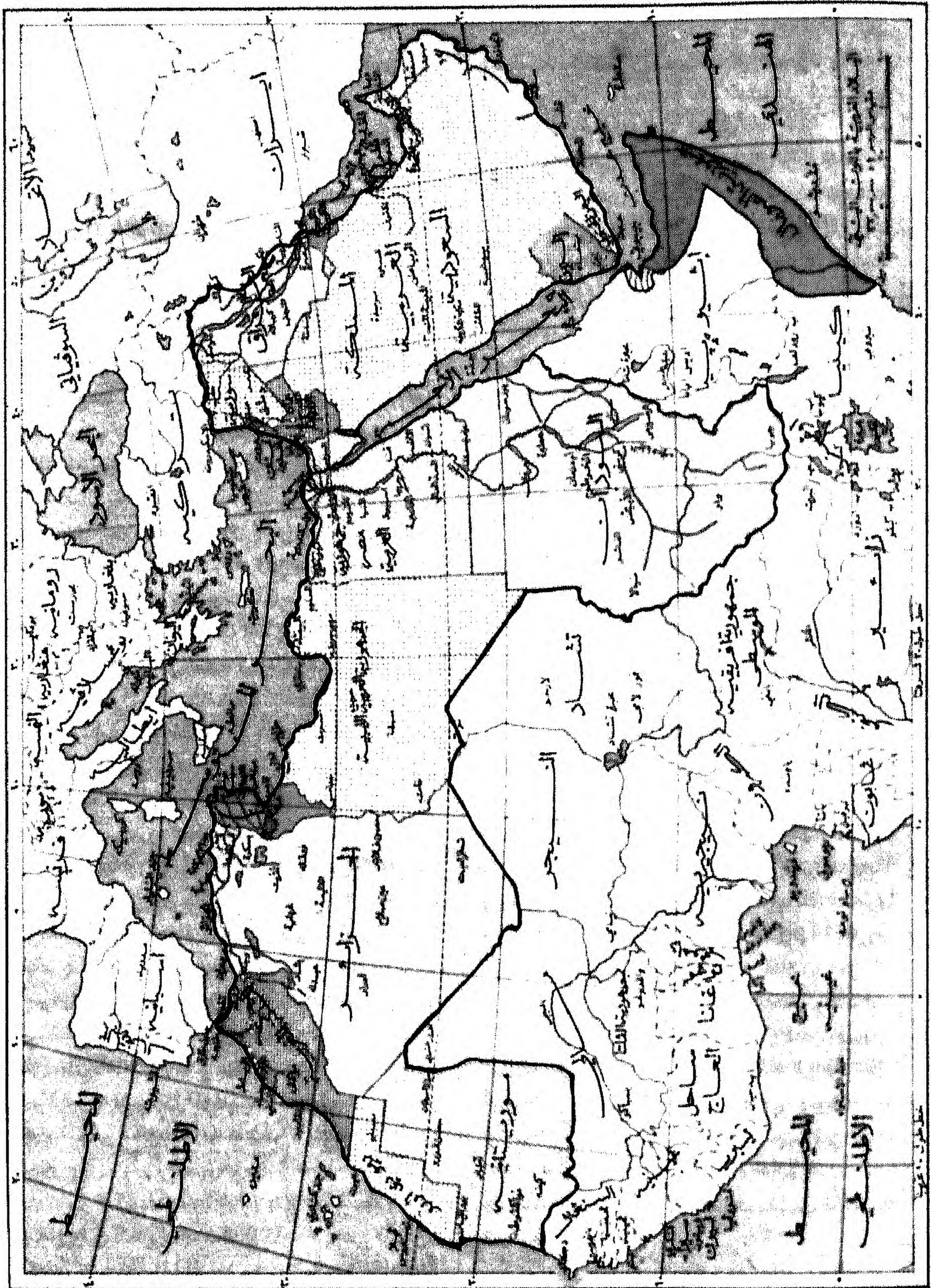
أما تسمية «العالم العربي» فمصطلح عربي شاع استخدامه في أعقاب الحرب العالمية الثانية للدلالة على الرقعة الجغرافية والمجموعة اللغوية التي تسكنها. وتضم هذه

الرقعة الحزام الاقليمي الممتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي (أكثر المراجع الأجنبية تسميه «الخليج الفارسي»، وبعضها يفضل استعمال مصطلح تسووي، فيقول «الخليج العربي-الفارسي») عبر قارتي آسيا وأفريقيا، أي ما يُعرف بالمغرب العربي والشرق العربي، وهي الرقعة التي تقطنها «شعوب الأمة العربية» التي تتكلم اللغة العربية.

القوميون العرب اعتبروا، منذ بدايات حركاتهم ومنظماتهم واحزابهم بعيد الحرب العالمية الثانية، أن غرض الغربيين من إطلاق كلمة «العالم» هو للدلالة على تعدده وتناثره بدلاً من وحدة أرضه وشعبه أو شعوبه، فاستعملوا مصطلح «الوطن العربي» الذي يتضمن مفهوم الوحدة القومية والذي يشكل مصدر خطر على المصالح الامبريالية. انتعش مصطلح «الوطن العربي»، وتقلص مصطلح «العالم العربي»، مع تنامي الحركات والاحزاب القومية العربية، وخاصة في الخمسينات والستينات. ثم جاءت أحداث الربع القرن الأخير، في المنطقة والعالم، لتقلص المصطلحين معاً لمصلحة أسماء إقليمية أضيق (مجلس التعاون العربي، الاتحاد المغاربي...)، كما جاء النظام العالمي الجديد (والعملة) بلغة سياسية واقتصادية أحلت، إلى حد كبير، مصطلح «الشرق الاوسط» محل المصطلحين، «العالم العربي»، و«الوطن العربي».

العرب: أمة من الناس، سامية الأصل، كانت نشأتها الأولى في شبه الجزيرة العربية. ويتفق الباحثون على أن من العرب أقواماً قد بادوا وانقرضوا، قديماً، وقبل عصور التدوين، ويسمونه «العرب البائدة» ويذكرون منهم: عرب عاد، وعرب ممدود (ورد ذكرهما في القرآن الكريم)، وطسم، وحديس.

والجيل العربي الذي يلي «العرب البائدة» هم القحطانيون، عرب الجنوب، بنو يعرب بن قحطان، —



العالم العربي

«الجاهلية» على عصر ما قبل الاسلام)، هبات قاومت ذلك النفوذ، من مثل تلك التي قادها سيف بن ذي يزن (٥١٦-٥٧٤م) وتلك التي واجهت زحف الحبشة على وسط شبه الجزيرة (مكة) عام الفيل سنة ٥٧١م.

وإذا كانت البداوة قد غلبت على عرب الجاهلية، فإن مناطق الاستقرار (الحواضر) قد عرفت التحضر والحضارة، بل إن العرب لا يسمون البدو «عرباً» وإنما يسمونهم «أعراباً»، و«العربي» هو من «تخضر»، أي أخذ بأسباب الحضارة، وأولها التوطن والاستقرار.

ومنذ زمن قديم، كانت شبه الجزيرة العربية طريق التجارة الدولية، ومن هنا كان دور العربي في التجارة قديماً، الأمر الذي ربطه بالحضارة في وقت مبكر. ف«تدمر» و«البثاء» و«بصرى» و«مكة» و«حلب» و«صحارى» مدن تجارية عربية ازدهرت بالتجارة والحضارة في الجاهلية. بل لقد أقاموا مراكز التجارة على الساحل الشرقي لأفريقيا، عندما هاجروا إليه في «لامور»، و«عبسة» و«زنجبار» و«موزمبيق»... وكانت لهم في البحر سفن ورحلات وخبرات...

وكذلك كانت للعرب «دول» قبل الدولة الواحدة التي أقامها الاسلام: ففي سبأ بالجنوب اشتهرت الدولة التي شاع الحديث عن ملكتها بلقيس (حوالي ٩٦٠ ق.م)، ودولة النبط التي شملت جنوبي فلسطين وسورية الجنوبية الشرقية وشرقي الاردن وشمال الجزيرة، وكانت عاصمتها، البثاء، على قدر من التحضر والرفاهية جعل من اوصافها في المصادر القديمة: إنها مدينة «حمراء، وردية اللون، وقديمة، يبلغ عمرها نصف عمر التاريخ»؛ ودولة تدمر قد شملت سورية وجزءاً من آسيا الصغرى وشمال شبه الجزيرة، ولقد اشتهرت بحضارتها التجارية، حتى لقد كان من تمثيلها بمثال «رئيس القافلة» و«رئيس السوق»، وكان بها «نقابة» لصاغة الذهب والفضة... وكانت ملكية الحكم، يعاون الملك «مجلس الشعب»، ومن أشهر ملوكها زنبيا (الزباء) التي قاومت الرومان حتى أسرت زمن الامبراطور أورليانوس (٢٧٢م)؛ ودولة المناذرة في حوض ما بين النهرين؛ ودولة الغساسنة التي شملت المساحة الممتدة من قرب البثاء إلى الرصافة شمالي تدمر، والبلقاء، والصفاء، وحران، وكانت بصرى عاصمتها التجارية والدينية.

وقبل النبي محمد، وغير اسماعيل، كان للعرب وفيهم أنبياء ورد ذكرهم في القرآن الكريم، منهم شعيب في أرض مدّين، وصالح الذي أرسل إلى لمود بناحية الحجر،

ويسمونه بـ«العرب العاربة» أي الخلفى عرقاً ونسباً. ولقد سُموا بذلك تمييزاً لهم عن «العرب المستعربة»، وهم العدنانيون، بنو اسماعيل بن ابراهيم الذي أقام في بيئة عربية وتزوج من عربية، فتعرب هو وبنوه، وكان منهم جيل العرب العدنانيين، أي عرب وسط شبه الجزيرة. ومنذ ذلك التاريخ وضح المحتوى الحضاري للعروبة؛ فاللغة والعادات والتقاليد والقيم العربية، والولاء لهذه المكونات الحضارية هي المعيار، وليس العرق والجنس والنسب. وهذا المعيار أحياه وأكدّه رسول الله محمد عندما خطب في الناس فقال: «أيها الناس، ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي».

ومنذ ما قبل الاسلام، بل والميلاد بشرون طويلة، عرف جنوب شبه الجزيرة العربية للعرب القحطانيون دولاً وحضارة، تعرفنا على تاريخ بعضها ولا تزال أكثر أخبارها طي الكتمان. فالقحطانيون قد انقسموا إلى حضرة، وهم حمير، وإلى بدو، وهم كهلان. ومن مواطنهم حدثت هجرات متعاقبة إلى الشمال والشرق والغرب، دفعت بها عوامل اقتصادية، مثل تصدع سد مأرب في اليمن (القرن الثالث الميلادي)، وبعض هذه الهجرات قد وصل مصر القديمة، وأثمرت آثاراً في لغتها المهر وغلغلية أثبتتها دارسون متخصصون. وأشهر هذه الهجرات تلك التي قام بها آل جفنة (الغساسنة) بعد تصدع سد مأرب، فاستوطنوا بلاد حوران وشرقي الاردن وفينيقيّا وفلسطين، واعتنقوا المسيحية بعد ان دخلت بلادهم في مناطق نفوذ الروم البيزنطيين، واستمروا كذلك حتى دخلوا الاسلام (أو دخل معظمهم الاسلام) وأسهموا في بناء الدولة العربية الاسلامية الموحدة.

ومن هجرات عرب اليمن الشهيرة كذلك هجرة اللخمين (المناذرة)، وهم إخوة قبيلة جذام وقبيلة عاملة، رحلوا إلى حيث استوطنوا في الشمال، وأقاموا دولتهم في الحيرة، واعتنقوا المسيحية، وأخضعهم الفرس لنفوذهم، حتى جاء الاسلام فأصبح ديانتهم، وبه أسهموا في بناء الدولة العربية الاسلامية الجديدة.

ومن هجرات عرب الجنوب كذلك هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب واستقرارهم بها.

وكما امتد نفوذ الروم على الغساسنة، ونفوذ الفرس على المناذرة، امتد نفوذ الأحباش على اليمن، وكذلك نفوذ فارس. وشهدت هذه البلاد، في جاهليتها (البعض، وفي مقدمتهم، وكما هو معروف، الكاتب والأديب المصري طه حسين، يرفضون هذه التسمية

و«شبه الجزيرة العربية»، و«الشرق الأوسط» في الجزء الحادي عشر؛ وراجع كذلك مختلف الدول العربية والإسلامية، كلاً في موقعها في الموسوعة تبعاً للترتيب الأبجدي لأسمائها).

عصر الانحطاط (مناقشة): من المؤرخين والدارسين من يُغلب، في أسباب الانحطاط بعد قرون عديدة من ازدهار جعل الحضارة العربية والإسلامية في مقدمة حضارات العالم، العوامل الموضوعية: بدء الهزائم والقراجم في الأندلس، حروب الصليبيين وسيطرتهم على الساحل الغربي (المتوسطي) لآسيا، غزوات المغول، انتقال الأهمية التجارية من البحر المتوسط إلى الأطلسي مع الاكتشافات البحرية...

ومن المؤرخين والدارسين من يُغلب العوامل الذاتية بمختلف جوانبها:

- الانقسامات السياسية-الدينية-اللاتينية التي، منذ بدايتها، كانت حادة جداً وتركت آثاراً مدمرة. فالرواية تقول أن آخر خلفاء الأمويين وقع على رسالة وجهها إبراهيم، شقيق «السفاح» الذي كان زعيماً للعباسيين، لزعيم الثورة، أبو مسلم الخراساني، «بأمره أن لا يدع خراسان عربياً إلا قتله... يأمره بقتل كل من يتكلم بالعربية خراسان» (الطبري، السادس، ٣٧)؛ «فمن يكن سائلاً عن دين قومهم فإن دينهم أن تقتل العرب» (البلخي، السادس، ٩٤)؛ «وهو الذي خص أعمالاً حوالية وأهمل العرب حتى أمرهم دثراً» (السيوطي، ٢٠٩)؛ «تصري على رحالك ثم قولي على الإسلام والعرب السلام» (ابن عبد ربه، «العقد الفريد»، الثالث، ١٩٦)....

- طبائع البداوة والقبائلية المتوارثة لدى العرب المسلمين التي أولاهما البعض (خاصة من الغربيين والمستشرقين) أهمية في أسباب الانحطاط الذاتية. أما الذروة التي بلغت الدولة العربية والمسلمة، حضارة وعلماً، فهي، برأيهم، نتاج إبداعات مسلمين غير عرب. وكتب التراث والتاريخ حافلة باستشهادات يلجأون إليها، على رأسها معالجة ابن خلدون لـ«انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة» في مقدمته الشهيرة، وأوصاف وأقوال ليس أقلها تلك العبارة المتناقلة على لسان الخليفة الأموي سليمان بن عبد الله: «عجبت لهؤلاء الأعاجم (الفرس والروم) ملكوا ألف سنة فلم يحتاجوا إلينا ساعة وملكنا مائة سنة لم نستغن عنهم ساعة» (رواها البنداري).

- العامل الديني المتمثل في الشريعة التي «غلّت

وهود الذي أرسل إلى عاد بالاحقاف من رمال اليمن. فهم، مع محمد وإسماعيل، خمسة أنبياء من العرب ذكرهم القرآن. وغير هؤلاء، كان للعرب حكماء ومتنبشون لم يذكرهم القرآن «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» (غافر: ٤٠) «ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك» (النساء: ١٦٤). ومصادر الأدب والتاريخ تذكر من هؤلاء: خالد بن سنان العبسي في نجد، وزيد بن عمرو بن نفيل في مكة، وقس بن ساعدة الإيادي في بحران، وأكثم بن صيفي من حميم.

أما ديوان العرب ووعاء فكرهم، في الجاهلية، فكان الشعر، أنشدوه بلغتهم الأدبية الواحدة، وبه تهيأت هذه اللغة لينزل بها القرآن، معجزة دينهم الحنيف. ولم يكن تحضر العرب، في الجاهلية، وقفاً على الرجل دون المرأة، وإن تفاوت نصيب كل منهما منه إلى حد كبير. فاشترك المرأة المسلمة في الغزوات بنىء عن دورها في الجاهلية. وقبادة سجاح بنت الحارث (٦٧٥م) لردة بني حميم وحرهم على دولة الخلافة الراشدة، في عهد أبي بكر الصديق، شاهد على مكان المرأة في تلك البيئة. ومكان عائشة، أم المؤمنين، في العلم والسياسة، بل والحرب، هو الآخر دليل على نصيب المرأة العربية من التحضر في ذلك التاريخ.

لكن الإسلام كان هو الثورة الكبرى والشاملة في حياة الجماعة العربية. فبعد الشتات الديني، الذي حسّده تعدد الآلهة، والذي كان تعبيراً عن ممزق الهوية القومية، جاء التوحيد الديني الإسلامي، في أرقى صوره وأنقاها، ليبنى ويدعم وحدة هوية هذه الجماعة في الاعتقاد. وبدلاً من «الدويلات» التي وقف نفوذها وسلطانها عند الحواضر، والتي صارعها وصارعها نفوذ الفرس والروم والأحباش، جاءت الدولة العربية الإسلامية الواحدة والموحدة، فضمت الحضر والبيد، وبها اكتشف العرب قدراتهم، فوحدوها، فكانت الفتوحات التي أزالوا بها نفوذ الفرس والروم عن العراق والشام، ثم تبّعوا ذلك النفوذ حتى حرّروا منه الشرق بأسره، وذلك عندما فتحوا في ثمانين عاماً أكثر مما فتحه الرومان في ثمانية قرون (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٤، ط ١، ١٩٩٠، ص ٧٠-٧٢).

الدولة العربية الإسلامية: راجع «العالم الإسلامي»، و«العربية السعودية، المملكة» في هذا الجزء؛

تبيان الانسان المسلم... وكبحت انطلاقة البحث العقلي والعقلانية... في حين بدأت أوروبا، في القرنين ١٢ و١٣، تعتبر العقل الأداة التي ميّزت الانسان ومكنت من البحث العقلي في كل الميادين، فأوجدت بذلك العلم الحديث، علماً ان كل مقومات وأسس هذا العلم كانت متوافرة في الحضارة العربية الإسلامية، وبفارق كبير عن سواها من الحضارات، الأوروبية وغيرها...» (توبي.أ.هاف، تابع ما يلي).

حول هذه النقطة الأخيرة (العلم، البحث العلمي وحرية، وأثر الشريعة في التركيب السوسولوجي...) من نقاط الأسباب الذاتية لجمود الحضارة العربية الإسلامية، ثم خلفها عن أوروبا، صدر، في ١٩٩٣، كتاب: *The Rise of Early Modern Science: Islam, China, and the West*, by Toby E. Huff, Cambridge University Press, 1993.

ترجمه وعلّق عليه د. أحمد محمود صبحي، وأسدرنه «سلسلة عالم المعرفة» الكويتية، بجزئين، نيسان ١٩٩٧، بعنوان «فجر العلم الحديث: الاسلام-الصين-الغرب».

والمؤلف، توبي.أ. هاف عضو هيئة التدريس، بجامعة ماساشوستس، دارتموث بالولايات المتحدة. مهمته بتعليم تخصصه بسوسولوجية العلم، أو العوامل الاجتماعية المؤدية إلى تقدم أو تدهور العلم في حضارة ما، ويركز على بيان أثر الأنظمة القانونية أو الشرعية في العلم. تلقى شهادات عن العلم العربي في جامعة هارفارد من الدكتور عبد الحميد صبرة، مما أتاح له معرفة جيدة بالحضارة الإسلامية والعلوم عند العرب.

أما المترجم فهو استاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب جامعة الاسكندرية، ودرس في عدة جامعات عربية.

عرّف الناشر (سلسلة عالم المعرفة) الكتاب بقوله: «هذه دراسة تجيب عن سؤال طال انتظار الإجابة عنه: لماذا نشأ العلم الحديث في الغرب دون حضارتي الاسلام والصين، بالرغم من أنهما كانتا في العصر الوسيط أكثر تقدماً من الناحية العلمية؟ لتفسير ذلك تناول المؤلف (توبي.أ.هاف) اختلاف الأنظمة الدينية والفلسفية والتشريعية في الحضارات الثلاث، مركّزاً على التصور القانوني للاختلاف الذي انفرد به الغرب، مما أتاح مناخاً محايداً وحرية في البحث، وهما تصوران يتكاملان مع العلم الحديث. ولئن كان يؤرخ عادة للحظة ميلاد العلم الحديث باكتشاف

كوبرنيكوس لمركزية الشمس، فإن الحضارة الإسلامية لم يكن ينقصها لتحقيق ذلك إلا «الرؤية الأخيرة»، فلماذا عجزت عنها، في حين تمكنت الحضارة الغربية من إجاب العلم الحديث؟ (...) فالحضارة الإسلامية-على سبيل المثال- سبقت أوروبا في علوم الرياضيات والفلك والطب والصيدلة وغيرها حتى القرن الثالث عشر، وهو أمر يعترف به حتى خصوم الحضارة الإسلامية، غير ان هذا السبق سرعان ما توقف لتتمكن أوروبا من اللحاق ثم القفز إلى دنيا العلم الحديث، محققة هذه الهوة الواسعة بينها وبين كل الحضارات الأخرى».

ونقتطف من الكتاب، في نسخته العربية، محاوره الرئيسية:

١- لطة بدء مهمة هي ان العلوم التي نسميها علومنا الطبيعية كان يسميها المسلمون علوم الأوائل، أي علوم أجنبية وذلك مقابل العلوم الإسلامية المتعلقة بدراسة القرآن والحديث والفقه والكلام والشعر واللغة العربية. أما الحساب، فأهميته ارتبطت لديهم بالحاجة لمواقيت الشعائر، والهندسة لابتكار حساب المثلثات لتحديد الاتجاه إلى مكة حيث القبلة للمصلي... أضف إلى ذلك جملة عوامل تبدأ من العوامل العرقية (والطائفية)، إلى سيطرة السّنة الدينية، إلى الطغيان السياسي... فضلاً عن إغتراف فلاسفة الطبيعة العرب في ان يطوروا ويستخدموا المنهج التجريبي (ج ١، ٧٦-٧٧).

٢- توحى الصياغة العامة للأثر السلبي للقوى الدينية على التقدم العلمي ما ظهر في القرنين ١٢ و١٣ من تصوف كحركة اجتماعية، وقد الفخ هذا تعصباً دينياً وبخاصة تجاه العلوم الطبيعية وإحلال العلوم السرية بدلاً من دراسة العلوم اليونانية العقلية (ج ١، ٧٧-٧٨).

٣- إن ثمة مقارنة ملصية وبالعلة الأهمية في تأخيرها لبدء الخطاط هذا، ولفزة هناك: إن نماذج الأجرام (في علم الكوكب) لابن الشاطر وكذلك تلك لدى كوبرنيكوس متماثلة تماماً مع اختلافات ضئيلة في بعض مقاييسها، ولكن الانتقال الميتافيزيقي قد أحدث بلا شك الشقاق فكرياً مع النظرة الإسلامية التقليدية إلى الكون كما كان يفهمه العلماء؛ أما التحول الكوبرنيكي فإنه قد خلج ثلاث حركات إلى الأرض جاعلاً الشمس في المركز نقله فكرياً أحدثت لندراً كبيراً من الصدام مع الدوائر الدينية والفكرية في الغرب (ج ١، ٨٢).

٤- إن مسيرة العلم، التي كانت دينية بادئ الأمر، قد أصبحت من أجل العلم ذاته في أوروبا منذ القرنين ١٢ و١٣، حين كان اللاهوت يشغل مركز القمة ثم تحول إلى دراسة للفلسفة والمنطق والعمل لذاته. أما في الحضارة العربية الإسلامية، فكانت

الحكمة الخالدة «عسى أن يجيبنا الله من علم لا ينفذ»، ثم هذا النفع محصوراً في الناحية الدينية، وهو ما جعل بعض العلوم الدينية كالمنطق والرياضيات والطب أن تدرس في المعاهد الدينية، وما سمح للملك أو المرشد أن يلحق بالمسجد. فكما يرى الدكتور صبرة ليس هذا تمييزاً للمعنى عاماً وإنما وجهة نظر خاصة قرلت البحث العلمي بمجال ضيق لا يسمح بالتقدم (ج ١، ١١٤-١١٥).

٥- من أولى المؤلفات: الطبيعة الشخصية للعلاقات الاجتماعية في العالم الشرقي في العصر الوسيط، ويتضح ذلك في سيطرة نظام الأسرة الكبيرة التي حالت دون قيام لغات واتحادات قائمة على عدم التحيز أو علاقات القرابة بين المهنيين. وكذلك الأمر في التدريب الفكري وانتقال المعرفة القائم على السلطة الشخصية فيما يعرف بنظام الإجازة: سلطة فردية-لاستاذ-في تدريس وثيقة خاصة أو كتاب، لا تضمن تجسيد الآراء السلمية من أجل نظريات علمية، لأن الآراء آنذاك كانت صادرة من فقهاء ومفتية بتأييد سلطة دينية. كما لم تكن هناك آلية تسمح باختيار الأحسن ورفض الأسوأ، وقد أدى هذا إلى نشأة أربع مدارس في التشريع حيث يجد المرء عدة آراء شرعية في القضية الواحدة ليختار منه ما يناسبه. وفي مجال العلم فإن إنجازاً مهماً كإنجاز ابن الشاطر قد لقي آذاناً صمّاً لأنه لم يكن ضمن مقررات النظام التعليمي (ولم يكن لابن الشاطر تلميذ يكمل رسالته العلمية في الملك)، فضلاً عن أن إنجازاً أصيلاً لمدرسة مراغة (أكبر مدن أذربيجان فيها نشأ نصير الدين الطوسي) وأنشأ مرصداً من أشهر المراصد وأدقها يبدو كما لو كان عملاً شخصياً وناتجاً لنظام القرابة. أما الطوسي الذي درّب التلاميذ في مرصد مراغة فقد كان سعيد الحظ حين صادف تلميذاً موهوباً له هو قطب الدين الشيرازي (ج ٢، ١١٦، ١١٧، ١١٨).

٦- يمكن القول، بالمعنى الواسع، إن مصادر العقل والعقلانية في أي حضارة إنما تلتصق في الدين والفلسفة والقانون. فتخيل الصورة الميتافيزيقية تجري من خلالها الحائط التوجه؛ فإما أن تطلق قدراته العقلية وإما أن تكبحها. فلسفي الحضارة العربية الإسلامية رفض منظرو الكلام والتشريع فكرة وجود عامل عقلائي بين لدى الناس جميعاً، مؤثرين على ذلك أن على المسلم أن يتبع طريق السنة أو التقليد، وألا يحاول الكشف عن أسرار الطبيعة الخارجية أو معرفة أسرار النص المنزل، وقد تبنى كل من المتكلمين والفقهاء فكرة أن حكمة الله وإجماع العلماء أهمى من العقل، وعزفوا عن الموافقة على اعتبار العقل الإنساني مصدراً للتشريع أو الأخلاق، وهذه النقطة صلبة بفكرة منطق القصد التي لم تتطور في القانون الإسلامي، والقرب فكر إسلامي أمكنه من تطوير منظور عقلائي في مؤلفات العقلانيين إنما يوجد لدى المعتزلة، ولكن ليس لديهم الوازع الإنساني القادر على الابتكار سواء في الدين أو في

الفكر الأخلاقي.

وفي المقابل، صحيح أن المسيحية (والغرب) لم تكن مبراة من الخوف من ابتكار يوصف بالهرطقة، لكن ما إن شرع الأوروبيون، في القرن ١٢، في استخدام قضايا تتعلق بالعالم الطبيعي حتى قامت قوة جديدة ومساحة أكثر استقلالاً من حرية الفكر. وأصبح العقل، في نظرهم، هو الأداة التي ميزت الإنسان ومكنت من البحث العقلي في كل الميادين. وباعتبار أن الإنسان كائن عقلي يمكنه أن يستخدم قواه العقلية في الفعل الخلق. وقلّم الأوروبيون، في العصر الوسيط، صورة عن الإنسان ملغمة بالعقل والعقلانية (ج ٢، ١٦٢-١٦٥).

٧- مع ثلاثة تطورات كبرى (في القرنين ١٢ و ١٣) ولدت أوروبا الحديثة ثم المعاصرة: في القانون، والتمثيل الجماعي (نزوح النقابات...)، والمعاهد والجامعات المستقلة بشؤونها إلى حد كبير.

فالعرب، مقارنة مع الشرق العربي الإسلامي، مارس في المصور الوسطى ثورة قانونية وفكرية واجتماعية عميقة غيرت طبيعة العلاقات الاجتماعية، ولقد أوجدت الثورة القانونية مجموعة أشكال جديدة من علاقات اجتماعية ومجالات جديدة من الاستغلال الفكري والسياسي. ومن منظور نشأة العلم الحديث فإن أهم الأحداث هي تلك التي سمحت بتشكيل مؤسسات مستقلة من التعليم العالي.

وحينما طورت الجامعات مقرراتها في القرنين ١٢ و ١٣، فإنها تحركت مستزيدة نحو قراءات ومحاضرات هي في أساسها علمي، وأكثر الاشارات دلالة على الاتجاه العلمي الأهمية الكبرى التي أعطيت للمؤلفات أرسطو التي كانت في صميم المقررات. فالتنظيم الفكري في الجامعات تشعب إلى أربع كليات (الآداب والقانون واللاهوت والطب). وفي تنفيذ كل هذه الإصلاحات كان أوروبيو العصر الوسيط قد أوجدوا استقلالاً ومؤسسات للتعليم العالي تدير شؤونها بنفسها.

وقد شكل أرسطو في وضعه الجديد تحدياً هائلاً لللاهوت المسيحي، مفاده أن الإنسان كائن عاقل حاصل على العقل والضمير، وأنه بهذه القدرات فهو قادر على الفهم ولك رموز أسرار الطبيعة بعون أو دون عون من الإنجيل.

بالعساؤل عن تركيب العالم، وبنظام الامتحانات العامة في الجامعة، وبأساتذة الكلية، وبمحاضرات العامة حيث مشروعية النقاش وعلنية المحاضرات، وبوضع الطباعة في خدمة النشر العلمي (على خلاف ما كان في الدولة العربية الإسلامية أو في الصين)، خرج الأوروبيون من لطاق التقليد الذي استمر في الشرق العربي الإسلامي، وكذلك لطاق التقليد البيروقراطي المفروض من الدولة في الصين.



الفرغاني الذي وصلت علوم الفلك
الاسلامية على يده الى ذروتها والذي
عرفته أوروبا منذ القرن الثاني عشر.
في الصورة الفرغاني
(باللاتينية Alfraganus)
والراهب هرميتا (Heremita)
، وهو من أسرة مشهورة
في إيطاليا، وغلى من ماله تكاليف
ترجمة كتاب «سوامع علم النجوم»
للفرغاني، اول كتاب ترجم
من العربية الى اللاتينية، وهو الكتاب
الذي أصبح في ما بعد اساساً مهماً
للعديد من الاكتشافات التي ظهرت
في مؤلفات العلماء المتأخرين
في علم الفلك (مكتبة بودليان
في جامعة أوكسفورد).

واختيار طالب له، ودراسة موضوع معين، والاختيار الشخصي
للاستاذ. ولتفهم طبيعة رفض الطريق الفلسفي والعلمي علينا ان
نقرأ حجاج الغزالي القاطعة ضد الفلاسفة اليونانيين أو الاسلاميين
المشايخين لأرسطو. ومن الواضح ان الفلسفة الطبيعية كانت معروفة
على نطاق واسع في العالم الاسلامي، فضلاً عن ان المركز الكبير
لمرصد مراغة قد زال من المسرح في العقد الأول من القرن ١٤، بل
لقد زال منه دون الر بعد عامي ١٣٠٤-١٣٠٥م بعد حياة
قصيرة لم تدم أكثر من ٤٥ إلى ٥٥ عامًا، والذي كان يشكل محاولة
لتطبيع البحث في الثقافة الاسلامية، ولم يكن له نظير في دلالة
الفكرية، ومن ثم كان التطبيع قصير العمر كالمركب، ولم تنشأ
للأسف مؤسسات تعليمية في العالم الاسلامي بصدد المعرفة الطبيعية
حتى القرن العشرين (ج٢، ١٨٦-١٩٣).

وسرعان ما أجبر البحث غير المنحاز الدارسين على
الدخول سريعاً في صراع مع أصحاب المصالح من رجال الدين
التقليديين الأوروبيين. وكان فلاسفة الجامعات يكدون حقهم في
الاستمرار في أمثالهم على أسس أخرى ليس ألقها البحث عن
الحقيقة لذاتها، وأن مشروعية مثل هذا البحث إنما يوجد ليس في
أرسطو وشراحه لحسب، بل في الأجيل نفسه، وهكذا تعدلت
المصادر (الفلسفية والدينية) في أوروبا من اجل وضع أساس لدراسة
العالم الطبيعي وتحتدي الكتب المقدسة كسلطة وحيدة لوضع تصور
عن العالم.

لم يكن هناك نظير لذلك في مدارس العالم الاسلامي لأنه لم
تكن هناك كليات، ما دام غلط التعليم والشهادة قائماً على استاذ

معالم النهوض: في هذه السنة، ١٩٩٨، تمر على الدول والشعوب العربية والاسلامية الذكرى المئوية الثانية لحملة نابوليون بوناپرت على مصر. وتحاول دوائر المعنيين الثقافيين والبروين والاعلاميين، وكذلك أوساط المثقفين (خاصة في مصر) لتحويل المناسبة إلى نقاش مفتوح على التاريخ، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، نقاش يتناول مختلف جوانب حياة العرب والمسلمين، نقاش عساه يتمتع بعمق العلمية والجرأة من جانب المشاركين المثقفين، ومن جانب المسؤولين في الأنظمة على حد سواء. فحين نتطلع إلى عالم المستقبل وعما إذا كان سيتمتع بنهضة عربية وإسلامية سليمة فإننا لا نراها من دون مشاركة كاملة للمواطنين في مجالات العقل والعلم والسياسة والأدب والفن ورفع الحواجز أمام حرية الفكر والتعبير وإعطاء الأولوية للاستثمارات العلمية التي سيكون من نتائجها المباشرة والسريعة إنتاج اليات وقف نزف الأدمغة والطاقات البشرية.

استغرق هبوط الحضارة العربية-الاسلامية من القمة إلى القعر أكثر من ٢٠٠ سنة (من القرن الثاني عشر- الثالث عشر إلى أواخر القرن الخامس عشر)، وها هو العدد نفسه من السنوات تقريبًا ينقضي على بدء معاودة الصعود من الهاوية على إيقاع مدافع بوناپرت المصحوبة بالمطابع والعلماء، وقد استمر هذان القرنان يعرفان الصعود، وإن متباطئًا ومتلعثمًا، في ما عُرف بـ«عصر النهضة»، وعلى إيقاع مدافع الأوروبيين كذلك وأفكار علمائهم ومبشرهم. وخشية من أن يتفلس العرب، في صعودهم، من الإقاعات المحسوبة والضوابط المرسومة، فيعيدون إنتاج حضارتهم التي درسها الأوروبيون جيدًا، كان المشروع الأوروبي-الصهيوني (إقامة إسرائيل) الذي سرعان ما تلقف فائدته الجانب الغربي الآخر (الولايات المتحدة الاميركية).

ففي المائة سنة الاولى كانت محاولات النهوض العربي-الاسلامي تتم على إيقاعات مدفعية اوروبية مصحوبة بمطابع وإرساليات ومدارس وأفكار قومية ومبادئ الحرية والديمقراطية. وفي الفترة الممتدة بين نهاية الحرب العالمية الاولى ونهاية الحرب العالمية الثانية وقبام إسرائيل، جرى تطعيم المدفع الأوروبي والمبادئ الأوروبية بمبدأ أميركي رفع لواءه الرئيس ولسن ويقضي بـ«حق الشعوب في تقرير مصيرها»، ومعه جرّت سبحة الاستقلالات. وبعد نحو أربعين سنة من قيام إسرائيل، بدأ يدوي، في المنطقة، ولأول مرة، المدفع الأميركي على وقع

لغة سياسية واقتصادية وعلمية-تكنولوجية عناوينها الكبرى: العولمة، النظام العالمي الجديد، الشرق أوسطية (في تقسيم للعمل السياسي والاقتصادي العالمي)، التجارة الحرة والسوق الحرة، حقوق الانسان، الثورة العلمية-التكنولوجية الهائلة (خاصة في مجال الاتصالات) التي جعلت من العالم «قرية عالمية».

فالنهوض العربي-الاسلامي الذي بدأ منذ نحو قرنين في السياسي والديني أساسًا، وفي الاقتصاد والاجتماع والعلم والتكنولوجيا فرعًا، يبدو ان استمراره (النهوض)، في إطار المرحلة الراهنة التي تعنونها اللغة الاميركية-العالمية الجديدة، رهنٌ بقلب هذه المعادلة، فيحلّ الاقتصاد والاجتماع والعلم والتكنولوجيا في الموقع الأساس، ويكون السياسي والديني (بالتشريعات والشرائع ومختلف المؤسسات والادوات...) إطارًا مسؤولاً عن استنهاض العملية السوسيولوجية برمتها.

وفي عودة إلى التاريخ فإننا نستجلي، وبإيجاز شديد، أهم معالم الصعود النهضوي العربي وفق المحطات الرئيسية التالية:

١- الحملة الفرنسية على مصر: يجمع المؤرخون على أنها الحملة الاستعمارية الأولى على المنطقة في العصر الحديث، كما أنهم يجمعون على أنها، بالقدر الذي شكلت فيه صدمة دينية وسياسية وقومية لشعوب المنطقة التي كانت تغط في سبات عميق وتعاني من جهل واشغاط شديدين (على أرض تعج بآثار تحكي عن مجد ضائع)، فإنها تركت، بالمقابل، أثرًا علميًا وفكريًا دفع بالمؤرخين إلى اعتبارها بداية إرساء قواعد النهضة العربية الحديثة. إذ اصططحت معها هذه الحملة بعثة علمية مؤلفة من ١٤٢ عضوًا يتوزعون على الشكل التالي: ١١ مهندسًا، ٤ فلكيين، ١٢ ميكانيكيًا، ٧ كيميائيين، ٤ علماء بالمعادن، ٣ علماء بالنبات، ٣ متخصصين بعلم الحيوان، ٨ جراحين، ٣ مصورين، ٥ رسامين، ١٩ مهندسًا للجسور والطرق، ١٦ مهندسًا جغرافيًا، ٣ مهندسين بحريين، مهندس بعلم الميكانيك المائي، مهندس رياضيات، موسيقيان، ٧ طلاب في مدرسة البوليتكنيك، ٦ مترجمين، ٥ عمال مطابع و٧ مستشرقين. وقد أنشأ نابوليون بوناپرت ما سمي بـ«الجمع العلمي»، وتنص لائحته (مؤلفة من ٢٦ مادة) في مادتها الاولى على أن الجمع أنشئ تحقيقًا للأغراض التالية: النهوض بالعلوم في مصر ونشرها، بحث ودراسة ونشر المعلومات الطبيعية والصناعية والتاريخية عن مصر، إبداء الرأي في مختلف المسائل التي تطلب فيها الحكومة المشورة.

ففي هذا القرن برز الملك عبد العزيز الاول بن سعود، ملك نجد، ورفيقه النجدي المصلح محمد بن عبد الوهاب، ثم، في اوائل القرن التاسع عشر، ظهر العاهل سعود الكبير، ابن عبد العزيز الاول. وفي اوائل القرن العشرين، قامت الجزيرة العربية بدور فعال ضد السيطرة التركية العثمانية على الشرق العربي، ممثلة، من جهة نجد، بالملك عبد العزيز الثالث بن سعود، أمير نجد، ثم ملك المملكة العربية السعودية، ومن جهة الحجاز، بالشريف حسين بن علي، شريف مكة، ثم ملك الحجاز. فهؤلاء الأمراء والملوك العرب قاوموا، في عهودهم، بقوة السلاح، سيطرة الاتراك العثمانيين على الشرق العربي، وساهموا في ان يحرروا من يدهم بلدان الشرق العربي.

القوميون العرب ما بعد الحرب العالمية الثانية: جميعهم تقريباً يدخلون، أو يُعتبرون، ضمن الأطر التنظيمية أو شبه التنظيمية الثلاثة الكبرى: حزب البعث العربي الاشتراكي، حركة القوميين العرب والحركة الناصرية (نسبة إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر). وجميعهم يُعتبرون نتاجاً لعصر النهضة العربية الذي توجته فترة ما بين الحربين العالميتين بأفكارها وحركاتها وثوراتها، والذي تأثر إلى أقصى حدود التأثير بالأفكار والحركات السياسية والقومية الأوروبية، سواء لجهة الليبرالي منها أو الاشتراكي. فاستمر هذا الثنائي: «الليبرالي» و«الاشتراكي» أو «الماركسي»، حياً في صفوفهم وأكثر الموضوعات المطروحة في مناقشاتهم وأكبر العوامل الفكرية التي أدت إلى إضعافهم وبعثرة صفوفهم.

شكلت فترة بداية الأربعينات-اواسط الستينات فترة ازدهار للقوميين العرب لجهتي الحيوية والمدّ الشعبي والسلطة. وبعدها، بدأت فترة الأفول مع اعلان «حركة القوميين العرب» إلغاء نفسها بالانتقال إلى مواقع الماركسية في اواخر ١٩٦٨، ثم، بعد سنتين، ازدادت الناصرية ضعفاً وتشردت مع وفاة الرئيس جمال عبد الناصر. أما حزب البعث العربي الاشتراكي فقد وجد نفسه، في جناحيه، السوري والعراقي، ونتيجة لهجمة دولية على المنطقة قلّما وجدت مثيلاً لها في التاريخ، حبيس لغة الدولة والنظام الغالبة، بما لا يُقاس، على اللغة القومية العربية.

إن المحصلة الأخيرة للمناقشات الدائرة حول مآل القوميين العرب (والقومية العربية)، بمختلف تنظيماتهم واتجاهاتهم، منذ بدء أفول نجمهم في هذا الربع الأخير من

وأنشأ المجمع مكتبة في قصر حسن كاشف (أحد قادة المماليك) وانتقى لها نابوليون بنفسه أهم المؤلفات الصادرة في أوروبا، وأشرف بنفسه أيضاً على تزويد الحملة بالمطابع مزوّدة بأحرف لاتينية وعربية وسريانية، والأرجح انه اصطحب معه أيضاً مطبعة تركية وأخرى يونانية. وأسدرت الحملة ثلاث مجلات: «أنباء مصر» Le Courrier de l'Égypte، «العشرة المصرية» La Décade Égyptienne، و«الإنذار» l'Avertissement.

٢- الحملة المصرية على سورية (محمد علي): منذ توليه مصر (١٨٠٥) بدأ محمد علي يستعين بالاوروبيين، وخاصة الفرنسيين، في بناء دولة جديدة على أسس من تنظيم حديث. واقتضاه ذلك فتح المدارس الحديثة وإقامة المصانع وإرسال البعثات إلى أوروبا، وأصلح نظام الري وأعاد تقسيم الأراضي. فكانت كل هذه الاصلاحات هي الأساس في إقامة مصر الحديثة.

بموازاة ذلك كان ابنه ابراهيم باشا ينفذ سياسة ابيه محمد علي إبان حملته على سورية وحكمه للمشرق العربي، وقد تميز بشعوره العربي ودعواته القومية. فشكل مع أبيه أول محاولة جادة لتوحيد مصر والمشرق وشبه الجزيرة العربية في دولة تلمح لأن تكون دولة عربية. وكان لذلك أثره الكبير على رواد الحركة القومية العربية.

٣- على هذين الأساسين الكبيرين، أو الحدثين المفصلين الطباغيين (الحملة الفرنسية والحملة المصرية) نشأت المدارس الاجنبية المختصة بالارساليات وغيرها من المدارس الوطنية، وكلها عصرية مبنية على المنهاج الحديثة؛ وانتشرت الطباعة في المنطقة؛ واهتم أبناء البلاد بالصحافة والتأليف؛ وتأسست الجمعيات الخيرية والأدبية والعلمية والأندية؛ ونهضت الجمعيات والاحزاب السياسية؛ وأنشئت المكتبات العمومية والخصوصية؛ وبدأ المستشرقون يشتغلون بالأدب العربية وعلومها؛ ونهض فن التمثيل المسرحي؛ وبدأت هجرة الشبيبة إلى الديار الغربية. وتفاصيل كل هذه النقاط النهضة الحديثة تظهر أمراً جلياً وجمعاً عليه من المؤرخين والدارسين، العرب والأجانب والمستشرقين، ويختص بالدور الريادي، في هذه النهضة الحديثة، لجبل لبنان في عهد المتصرفية.

٤- هناك معلم تاريخي مهم على صعيد النهوض السياسي-الديني الذي يكاد يكون خارجاً عن المؤثرات الغربية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية) ويتعلق بأحداث شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر وما تلاه.

جماعي وسياسي واجتماعي، فكان لمة تعلق بأفلاك قومية من دون جسم وطني ومجتمعي، وكان السعي إلى أقصر الطرق نحو السلطة هو السعي الطاغوي على ما عداه من أفعال قومية عميقة وحقيقية (راجع الدول العربية، كلاً في موقعها في الموسوعة).

القرن وعلى وقع أحداث إقليمية ودولية هائلة (الثورة الإسلامية في إيران، انهيار الاتحاد السوفياتي، النظام العالمي الجديد والعرة...) مفادها، نقلاً تقويمياً، انه كان هناك قوميون عرب وليس حركة قومية عربية، وانه كان هناك مسار يتمثل كسيرة للرواد والقادة بأكثر مما هو مسار

جامعة الدول العربية

مقدمات التأسيس: جاء إنشاء الجامعة العربية تنوُّجاً لمسار عربي نهضوي مشترك بدأ تنظيمياً، أي بعد بدايات نهوض فكري خاصة، في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وتميز بأحداث ومشاريع وجمعيات وأحزاب ومؤتمرات شعبية، موضوعها الأساسي التعاون العربي المشترك ضد الحكم التركي العثماني، أهمها المؤتمر العربي السوري (١٩١٣) والجمعيات العربية السورية قبل الحرب العالمية الأولى التي شكل قادتها في ما بعد حزب الاستقلال العربي (١٩١٨)، والثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين (١٩١٦)، والمؤتمر الاسلامي في القاهرة الذي ناقش الفدرالية العربية (١٩٢٢-١٩٢٣)، والمؤتمر الاسلامي الشامل في القدس (١٩٣١)، والمؤتمر القومي العربي في سورية (١٩٣٧)، واقتراح الدولة العربية الواحدة بزعامة عبد العزيز آل سعود (١٩٤١)، وثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١)، وكتاب نوري سعيد الازرق حول الوحدة العربية (١٩٤٣).

دور بريطانيا: يجدر القول، بادىء ذي بدء، انه، ونتيجة لهذا الدور إلى حد كبير، ولدت الجامعة وهي مثقلة بالقيود والعقد والحساسيات ووسط حملات تشكيك واتهامات وشائعات وشبهات تقوم حول العرب الحقيقي للجامعة، وهو بريطانيا التي كانت تستعمر نصف العالم

العربي، خاصة وان وزير خارجيتها أنتوني إيدن وغيره من المسؤولين البريطانيين كانوا يدعون منذ بداية الاربعينات إلى إقامة تنظيم عربي واحد يجمع شمل الدول العربية كبديل عن الوحدة العربية التي كانت مطلباً قومياً عربياً منذ مطلع القرن وانهيار الامبراطورية العثمانية وقيام الثورة العربية الكبرى.

بصدد هذا الدور لبريطانيا، يقول الدكتور محمد المحنوب («التنظيم الدولي»، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣١٨-٣١٩):

في العام ١٩٤١، كانت بريطانيا في مأزق لا تحسد عليه: أصدقاؤها الفرنسيون استسلموا، وأصحابها الاميركيون لم يقرروا بعد خوض الحرب، والسوفييات كانوا مرتبطين بمعاهدة عدم اعتداء مع المانيا، وجيوش المحور كانت تزحف باتجاه مصر، والمجهود الحربي البريطاني كان على وشك الانهيار. كانت بريطانيا بحاجة ماسة إلى استقرار في المنطقة العربية وإلى تعاون وثيق بين الحكومات والشعوب العربية، فهداها دهاؤها إلى تقديم اقتراح يضمن لها تنفيذ استراتيجيتها ويلاقي هوى في نفوس العرب. ففي ٢٩ ايار ١٩٤١، وفي نفس اليوم تقريباً الذي كانت فيه ثورة رشيد عالي الكيلاني على الحكم البريطاني في العراق تلفظ آخر أنفاسها، وقف أنتوني إيدن، وزير خارجية بريطانيا، في مجلس العموم وأدلى بتصريح مفعم بالمغالطات قال فيه:

«لبريطانيا تقاليد طويلة من الصداقة مع العرب. وهي صداقة قد أثبتتها الأعمال وليست الاقوال وحدها.

شرق الاردن بتأييد من نوري السعيد، ويدعو إلى وحدة تتكون من سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين العربية، أو إلى تكوين دولة واحدة سميت «سورية الكبرى».

- الاتجاه الثاني تبناه قادة العراق وبعض ساسة سورية المناصرين للنظام الملكي والبيت الهاشمي، ودعوا إلى تكوين «دولة موحدة» تضم مجموعة دول سورية الكبرى أو بعض دولها والعراق باستثناء لبنان. وعرف هذا الاتجاه باسم «الهلل الخصب» باعتبار ان مثل هذه الدولة الموحدة سيكون من الناحية الجغرافية على شكل هلل، وهو من الناحية الاقتصادية يشمل أرضاً زراعية خصبة.

- الاتجاه الثالث يدعو أصحابه إلى نوع أعم وأشمل من الوحدة تضم البلاد التي يشملها الهلال الخصيب (سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين والعراق) ومصر والسعودية واليمن، وانقسموا على شكل هذه الوحدة ودرجة الرابطة التي تجمع دولها إلى فريقين: فريق ينادي باتجاه فدرالي أو كونفدرالي بين هذه الدول أو نوع من الاتحاد يسمح بقيام سلطة عليا تفرض ارادتها على الدول الاعضاء، وفريق آخر ينادي بشكل يتميز بأنه وحدوي يجمع بين رحابه الدول العربية ويدعم التعاون بينها في سائر المجالات، ويحافظ في الوقت نفسه لكل منها على سيادتها واستقلالها (عن طلعت حامد، رئيس وحدة الاتصالات الصحافية والناطق الاعلامي للجامعة العربية، «الوسط»، العدد ١٦٤، تاريخ ٢٠ آذار ١٩٩٥، ص ٢٣-٢٤).

التأسيس والميثاق: في أعقاب المناقشات الثنائية-التمهيدية، دعت مصر القادة العرب إلى مؤتمر في الاسكندرية بدأت أعماله في ٢٥ ايلول ١٩٤٤، وشاركت فيه الدول العربية المستقلة آنذاك وهي مصر وسورية والاردن والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن، وانتهت أعماله في ٧ تشرين الاول من العام نفسه بتوقيع بروتوكول الاسكندرية الذي جاء بمثابة إطار لفهم مبدئي بين الدول الموقعة عليه، ونص على عقد مؤتمر عربي عام لوضع ميثاق للجامعة يراعي احترام سيادة الدول العربية المستقلة، وينص على فتح باب الانضمام إلى الجامعة أمام الدول الأخرى فور استقلالها، ولم يأخذ بفكرة ان تكون الجامعة بمثابة «سلطة عليا» فوق الدول الاعضاء. ذلك انه اختار الاقتراح الثالث، أي «جامعة تضم الدول العربية المستقلة»، وكان الاقتراحان الأخريان المعروضان في الاجتماع: «وحدة عربية وحكومة مركزية» و«اتحاد فدرالي».

ولنا بين العرب عدد لا يحصى ممن يرجون لنا الخير، كما ان لهم هنا أصدقاء كثيرين... إن العالم العربي قد خطا خطوات واسعة بعد الحرب العالمية الاولى في طريق الاستقرار السياسي والثقارب القومي. وكثير من مفكري العرب يريدون السير خطوات أخرى في سبيل الاتحاد. وإن العرب ليتطلعون إلى نيل تأييدنا في مساعيهم نحو هذا الهدف، ولا ينبغي أن ندع هذا النداء دون جواب. ويبدو لي ان توثيق العلاقات الاقتصادية والثقافية، وكذلك السياسية، فيما بينهم هو مطلب طبيعي لهم فيه كل الحق. وحكومة صاحب الجلالة، من ناحيتها، سوف تدعم كل مشروع أو خطة يتفقون عليها للوصول إلى هذا الهدف».

غير ان تصريح إيدن لم تتبعه جهود جدية من جانب القادة العرب. ولعل للظروف الدولية التي كانت سائدة آنذاك أثراً في ذلك. إن هؤلاء القادة لم يتحركوا إلا بعد انتصار الحلفاء في معركة العلمين، ونيل بعض الدول العربية استقلالها، ورجحان كفة الدول الحليفة في الحرب. فما بين العام ١٩٤٢ والعام ١٩٤٤، جرت عدة اجتماعات وعُقدت عدة مؤتمرات أكدت للحكومات العربية رغبة الشعوب العربية في توثيق التعاون فيما بينها بشكل يُسفر عن قيام إتحاد عربي، أو على الأقل تقارب أقوى وتنسيق أشد للشؤون العربية.

اتجاهات وحدوية ومحادثات ثنائية: بدأت فكرة

الجامعة العربية في تموز ١٩٤٣، بمشاورات ثنائية بين مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية ونوري السعيد باشا رئيس وزراء العراق أثناء زيارة الأخير لمصر تلبية لدعوة رئيس وزرائها لاستطلاع رأيه في سبل قيام الوحدة العربية. وكان نوري السعيد زار لبنان وسورية وفلسطين وشرق الاردن وبحث مع المسؤولين فيها في «شؤون الوحدة العربية».

وبدأت مصر باستطلاع بقية الحكومات العربية رأيها، فدعت في منتصف آب ١٩٤٣ حكومات سورية ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن وشرق الاردن والعراق إلى إيفاد مندوبين لتبادل الآراء في موضوع الوحدة، واتسع نطاق المشاورات التمهيدية الثنائية ليشمل كل الدول العربية المستقلة آنذاك.

وتناولت المناقشات الثنائية التي عقدت باسم «مباحثات الوحدة العربية» اتجاهات مختلفة ومتمايزة حول سبل تحقيق هذه الوحدة تلخصت في ثلاثة رئيسية:

- الاتجاه الاول تبناه الامير عبد الله بن الحسين في

على ما يلي: «تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق. ولكل دولة عربية مستقلة الحق في ان تنضم إلى الجامعة، فإذا رغبت في الانضمام قدمت طلباً بذلك يودع لدى الامانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس في أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب».

ونارت بعض الخلافات حول الاجراءات الشكلية للعضوية (مدى صلاحية المجلس في قبول طلب الانضمام أو رفضه، أو البت النهائي بمسألة القبول)، إلى ان جرى الاتفاق على حل توفيقي يعترف بحق كل دولة عربية مستقلة في الانضمام إلى الجامعة، ولكنه يعترف كذلك، وفي الوقت ذاته، بحق المجلس في قبول طلب الدولة أو رفضه، على ان تنحصر صلاحياته في التحقق من توافر شرطين فقط في الدولة المرشحة للعضوية: استقلالها وعروبته.

واضافة إلى الدول السبع المؤسسة، انضمت (ووقعت على الميثاق) تباعاً: ليبيا (٢٨ شباط ١٩٥٣)، السودان (٩ كانون الثاني ١٩٥٦)، تونس والمغرب (أول تشرين الاول ١٩٥٨)، الكويت (٢٠ تموز ١٩٦١)، الجزائر واليمن الجنوبي (١٢ كانون الاول ١٩٦٧)، قطر والبحرين (١١ ايلول ١٩٧١)، سلطنة عُمان (٢٩ ايلول ١٩٧١)، الامارات (٦ كانون الاول ١٩٧١)، موريتانيا والصومال (١٤ شباط ١٩٧٤)، جيبوتي (٤ ايلول ١٩٧٧)، وجزر القمر (١٩٩٣). وكانت منظمة التحرير الفلسطينية احتلت مقعداً كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، بموجب قرار قمة الرباط ١٩٧٤، بدءاً من ١٩ ايلول ١٩٧٦، وتحول إلى مقعد «دولة فلسطين» بعد إعلان الدولة في تشرين الثاني ١٩٨٨.

أجهزة الجامعة الأساسية: تتكون الجامعة من أجهزة أساسية ثلاثة: المجلس، اللجان الخاصة، والأمانة العامة.

١- مجلس الجامعة: هو الهيئة العليا والأداة الفعالة التي تشرف على الجامعة وتسيّرهما. ويتألف من ممثلي الدول الاعضاء. ولكل دولة عضو صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها. ويجتمع المجلس في دورات عادية مرتين في السنة (في آذار وايلول)، وبإمكانه عقد دورات غير عادية كلما دعت الحاجة إلى ذلك وبناء على طلب دولتين من أعضائه. ويتناوب ممثلو الدول الاعضاء رئاسته في كل دورة عادية. ويكون انعقاد المجلس صحيحاً إذا حضره ممثلو أغلبية الدول الاعضاء. والقاهرة هي المقر الدائم للجامعة (مخرجت منها

وفي آذار ١٩٤٥، عقد في القاهرة مؤتمر ضم ممثلين عن الدول المؤسسة السبع (المذكورة أعلاه). وبعد إدخال بعض التعديلات على بروتوكول الاسكندرية، وفي غمرة من الابتهاج، أعلن المؤتمرون (٢٢ آذار) تأسيس جامعة الدول العربية ووقعوا ميثاقها الذي يقع في دياجعة وعشرين مادة وثلاثة ملاحق خاصة:

الأول متعلق بفلسطين، ويعلن فيه بمجلس الجامعة توليه أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله حتى يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً. وظلّ الحال كذلك حتى تقدمت مصر، في ايلول ١٩٧٦، باقتراح إلى المجلس لقبول منظمة التحرير الفلسطينية عضواً في الجامعة تتمتع بكل حقوق الاعضاء الآخرين بعدما كان لها فقط حق الاشتراك في المناقشات التي تتعلق بقضية فلسطين.

الملحق الثاني متعلق بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة. وأخذ نطاق هذا الملحق يتقلص باستقلال الدول العربية وانضمامها تباعاً إلى الجامعة.

الملحق الثالث يتناول تعيين أول أمين عام للجامعة، عبد الرحمن عزام لمدة سنتين. وظل العمل بهذا الملحق حتى عدلت المدة من سنتين إلى خمس في عهد الأمين العام الثاني محمد عبد الخالق حسونة.

وأضيف على البروتوكول قرار خاص بلبنان يقضي باحترام سيادة لبنان واستقلاله.

أما الدياجعة فتشير إلى ان زعماء الدول العربية المؤسسة (سورية، شرق الاردن، العراق، السعودية، لبنان، مصر واليمن) وافقوا على هذا الميثاق باعتباره تهيئة للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة بين الدول العربية، وحرصاً على هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها، وتوجيهها لجهدها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وإصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانها وأمانها واستجابة للرأي العام في كل الأقطار العربية.

وأما مواد الميثاق العشرون فتناولت ضرورة تحقيق: صيانة استقلال الدول العربية، المحافظة على الأمن العربي بمنع الحروب بين الدول العربية، تحقيق التعاون بينها وتوثيقه في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمالية، وشؤون المواصلات، وشؤون الجنسية والجوازات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين...

العضوية والاعضاء: نصت المادة الاولى من الميثاق

إلى تونس إثر زيارة الرئيس المصري، السادات، إسرائيل، ثم عادت إليها بعيد بدء المفاوضات العربية-الإسرائيلية). وللمجلس أن يجتمع في أي مكان آخر يعينه.

ويشترط الميثاق، كقاعدة عامة، صدور قرارات المجلس بالاجماع لكسي تكون ملزمة لجميع الاعضاء. أما القرارات التي يتخذها المجلس بالأكثرية فلا تكون ملزمة إلا للدول التي تقبلها. وفي الحالات تنفذ قرارات المجلس في كل دولة وفقاً لنظمها الأساسية. وهناك حالات لا يمكن للمجلس فيها إلا أن يصدر قراراته بالاجماع، مثل: اتخاذ التدابير لدفع اعتداء وقع على دولة عضو، واعتبار أية دولة عضو لا تقوم بواجبات الميثاق منفصلة عن الجامعة.

وفي حالات أخرى يكفي أن تصدر القرارات بالأغلبية كي تلزم بقية الدول الاعضاء، مثل: تعديل الميثاق الذي يمكن أن يتم بموافقة ثلثي الاعضاء، والدولة التي لا تقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذه. واتخاذ قرارات نافذة في شؤون الموظفين وإقرار الموازنة ووضع الانظمة الداخلية للمجلس واللجان والأمانة...

٢- اللجان الخاصة: ينص الميثاق على أن تولف لكل من الشؤون التي تدخل في نشاط الجامعة لجنة خاصة تمثل فيها دول الجامعة. وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه وصياغتها في شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها مهيئاً لعرضها على الدول الاعضاء. ويجوز أن يشترك في اللجان أفراد يمثلون بلاداً عربية لم تنضم بعد إلى الجامعة.

٣- الأمانة العامة: هي الهيئة الإدارية الدائمة للجامعة. تتكون من أمين عام بدرجة سفير، وأمناء مساعدين بدرجة وزراء مفوضين، ومن عدد كاف من الموظفين. والمجلس هو الذي يعين الأمين العام بأغلبية الثلثين. ويقوم الأمين العام بتعيين الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسيين بموافقة المجلس. وتسهر الأمانة العامة على تحضير أعمال المجلس واللجان وتنفيذ ما يصدر من قرارات وتوصيات. ويتولى الأمين العام دعوة المجلس إلى الانعقاد، ويعد مشروع موازنة الجامعة ويعرضه على المجلس لإقراره قبل بدء السنة المالية. وتودع الدول الاعضاء الأمانة العامة نسخاً من جميع المعاهدات والاتفاقات التي عقدها أو تعهدها مع أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها (عن د. محمد الجذوب، مرجع مذكور آنفاً، ص ٣٢٩-٣٣١).

وتعاقب، حتى الآن، خمسة على منصب الأمين العام للجامعة العربية، وهم:

- عبد الرحمن عزام: من ٢٠ ايار ١٩٤٥ حتى

استقالته في ١٤ ايلول ١٩٥٢.

- عبد الخالق حسونة: من ١٤ ايلول ١٩٥٢ حتى أول حزيران ١٩٧٢، كان وزيراً للخارجية المصرية، جدد له أميناً عاماً ٣ مرات، ثم لمدة ستة شهور جددت لسته أخرى ثم لسنة إلى أن وافق مجلس الجامعة (في أول حزيران ١٩٧٢) على طلبه التنحي.

- محمود رياض: وافق مجلس الجامعة بالاجماع، في أول حزيران ١٩٧٢، على تعيينه أميناً عاماً لخمس سنوات، وكان مستشاراً للرئيس المصري ووزيراً للخارجية. جدد له خمس سنوات، واستقال في ٣١ آذار ١٩٧٩.

- الشاذلي القليبي: وافق مجلس الجامعة على مستوى وزراء الخارجية، في ٢٦ آذار ١٩٧٩، على تعيينه أميناً عاماً، وأعيد انتخابه لخمس سنوات في ٩ آذار ١٩٨٤، ثم أعيد انتخابه لفترة مماثلة في آذار ١٩٨٨ حتى استقال في ٣ ايلول ١٩٩٠.

- عصمت عبد الجيد: اختير بالاجماع، بعد قرار عودة الجامعة إلى مقرها في القاهرة، في جلسة مجلس الجامعة في ١٥ ايار ١٩٩١، وانتهت ولايته الأولى في ١٩٩٦، وجرّد له لولاية ثانية.

تعديل ميثاق الجامعة والمتغيرات الدولية: تأثر ميثاق الجامعة، وعملها، بما اعتمد في عصبة الأمم التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة في الحرب العالمية الثانية، كما تأثرا (الميثاق والعمل) بما اتبع في هيئة الأمم المتحدة. والدليل على أثر ميثاق هاتين المنظمتين الدوليتين يأتي مما أعرب عنه زعماء الدول العربية في بروتوكول الاسكندرية عن الأمل بأن «توفّق البلاد العربية في المستقبل إلى خطوات أخرى» لتدعيم ميثاق جامعة الدول العربية و«تصويب» عملها إذا برزت هناك حاجة إلى ذلك. وبالفعل، نصّ ميثاق الجامعة على انه «يبرز بموافقة ثلثي دول الجامعة تعديل هذا الميثاق خصوصاً لجعل الروابط بينها أمن وأوثق وإنشاء محكمة عدل عربية، ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التي قد تنشأ في المستقبل لكفالة الأمن والسلام».

حول مسار التعديلات على الميثاق، في ضوء الحاجة إليها، كتب محمد عبد الوهاب الساكت، مدير الإدارة العربية في الجامعة العربية («الوسط»، العدد ١٦٤، تاريخ ٢٠ آذار ١٩٩٥، ص ٢٥-٢٦):

«تطبيقاً لنص الميثاق (إجازة التعديل في ضوء الضرورة) عرضت الدول العربية، منذ السنوات الأولى لإنشاء الجامعة، اقتراحات لتعديل الميثاق، أخذت في الاعتبار

تطور وظائف الجامعة وتجارب العمل في المنظمات الدولية. فأنشئ العديد من المنظمات العربية المتخصصة التي تغطي كل مجالات العمل العربي المشترك. وتم تشجيع المئات من المنظمات العربية غير الحكومية لتغطي شبكة واسعة من العلاقات العربية-العربية. وبدأ التعاون بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية في تشرين الثاني ١٩٥٠ حين طلبت الجمعية العامة للأمم المتحدة من الأمين العام لهذه المنظمة الدولية ان يدعو الأمين العام للجامعة العربية إلى حضور دورات الجمعية العامة بصفة مراقب. وأسفر تبادل الرسائل بين الأمانة العامة للجامعة والأمانة العامة للأمم المتحدة في كانون الاول ١٩٦٠ عن اتفاق على المبادئ التوجيهية للتعاون في ميادين تبادل الرأي والمعلومات والرئاسات والتثيل والاتصال المتبادل. وتؤكد هذا التعاون بموجب قرار الجمعية العامة في تشرين الثاني ١٩٨١ الذي دعا الجامعة إلى الاشتراك في دورات الجمعية العامة واعمالها وهيئاتها الفرعية بصفة مراقب. وتكرست منذ العام ١٩٩٠ ستة مجالات للتعاون بين المنظمين، هي: السلم والأمن الدوليان، الأغذية والزراعة، القوى العاملة والتجارة، الصناعة والبيئة، الشؤون الاجتماعية، التربية والعلوم والثقافة والاتصالات.

وتجاوبت الجامعة مع خطة السلام التي أعلنها الأمين العام للأمم المتحدة عملاً بالبيان الذي أصدره اجتماع القمة لمجلس الأمن في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٢ وأعلن فيه «ان العمل الاقليمي من قبيل اللامركزية والتفويض للسلطة والتعاون مع جهود الأمم المتحدة، يستطيع المساهمة في زيادة تعميق الاحساس بالمشاركة، وتوافق الآراء وإضفاء الطابع الديمقراطي في الشؤون الدولية».

إن تطوير عمل الجامعة العربية أصبح ضرورة ملحة بعد مرور ٥٠ سنة على إنشائها، وذلك بحجارة للحياة في سيرها الدائب وتجددها المتصل، بعدما استكملت الجامعة المشاريع المقترحة لذلك، التي تتعلق بتعديل بعض مراد الميثاق أو إنشاء أجهزة جديدة كمحكمة العدل العربية أو هيكلية الأمانة العامة للجامعة، وهو أمر بادرت إليه الجامعة في الفترات الحاسمة من تاريخها، وأولها بعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨. إذ وقعت معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة التي أنشأت مجلس الدفاع المشترك والمجلس الاقتصادي العربي، وبعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ طور عمل المجلس الاقتصادي ليصبح مجلساً اقتصادياً واجتماعياً يشرف على إنشاء

المنظمات العربية المتخصصة وعلى أداء عملها. يدعم هذا الاتجاه ما تردّد عن مشاريع للتعاون في منطقة الشرق الاوسط وصدور تصريحات عن بعض كبار المسؤولين في الدول العربية تطالب بتطوير أداء الجامعة كسي تراكب المتغيرات العربية والاقليمية والدولية، مع إعلان ممسك الدول العربية ببقاء الجامعة واستمرارها باعتبارها مظلة حيوية للعمل المشترك».

نظرة على أهم أعمال مجلس الجامعة عبر دوراته الأخيرة وفي أجواء جهود الجامعة وضياها: في دورته المنعقدة خلال شهر ايلول ١٩٩٤، قرّر مجلس الجامعة إنشاء محكمة عدل عربية لفض الخلافات والنزاعات القانونية التي قد تنشأ بين الدول العربية. ولهذا القرار أساس يعود إلى المادة الخامسة من ميثاق الجامعة التي تنص على انه «لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة...»، وإلى المادة ١٩ التي تنص على إنشاء محكمة عربية لحل الخلافات أسوة بمحكمة العدل الدولية. إلا ان المحكمة لم تبصر النور بعد رغم ان الميثاق الخاص بها جاهز ومعرض الآن على جميع الدول العربية (السؤال المتعلق بـ«لماذا لم تبصر النور بعد» فتح الباب واسعاً أمام سيل من تعليقات وتحليلات استنتجت أن «الخلاف وتعميقه هما المطروران» وليس «الوفاق» ولا «إيجاد آلية لحل الخلافات»... راجع، في ما يلي، «تقويم، مناقشات»).

وفي افتتاح الدورة ١٠٣ لمجلس الجامعة (آذار ١٩٩٥) التي تزامنت مع مراسم الاحتفال بمرور ٥٠ عاماً على إنشاء الجامعة، ألقى الرئيس المصري حسني مبارك بوصفه رئيس الدولة المضيغة في حضور وزراء الخارجية العرب وفي غياب الملوك والرؤساء كلاً ركزت على مسيرة العمل العربي المشترك ومستقبله وسبل دعم الجامعة وتطويرها. واعتبر الأمين العام للجامعة عصمت عبد المجيد ان محاولات تهميش الجامعة هي محاولات لتهميش دور الدول العربية ذاتها، وشدد على انه «لا يمكن التفريط» بكيان هذه الجامعة، ودعا إلى تعديل ميثاقها، رافضاً ان «يتطور العالم من حولنا ونقف نحن خلك سر». أما مجلس الجامعة (وزراء الخارجية-الدورة ١٠٣) فقد طغت على أعماله قضية معاهدة الانتشار النووي، والدعوة إلى مصالحة عربية. وقد اتخذ المجلس قراراً يربط الموافقة العربية على تمديد العمل بمعاهدة الانتشار النووي بانضمام اسرائيل إليها

أو تعهدها بمثل هذه الخطوة. واجتمع الوزراء العرب على الانضمام إلى الموقف المصري من معاهدة الانتشار النووي (تم إبرام هذه المعاهدة في ١٩٦٨). وأما الدعوة إلى مصالحة عربية، فقد رأى الوزراء «أن الظروف معيقة لها وقد تتأخر بعض الوقت».

وفي دورته ١٠٧ (نيسان ١٩٩٧)، على مستوى وزراء الخارجية، دعا مجلس الجامعة، في رد على الحكومة الاسرائيلية المتشددة برئاسة بنيامين نتانياهو، إلى وقف «التطبيع» مع اسرائيل، وإلى استمرار التزام المقاطعة الاقتصادية من الدرجة الاولى للدولة العربية وتعليق المشاركة العربية في المفاوضات المتعددة الطرف من اجل «إرغام» اسرائيل على العودة إلى التزام صيغة مؤتمر مدريد الذي انطلقت منه عملية السلام، خصوصاً ان هذه العملية وصلت الآن إلى الطريق المسدود في ضوء القرار الاسرائيلي ببناء مستوطنة جديدة على جبل ابو غنيم (هار حوما بالعبرية) في القدس الشرقية، مما أدى إلى توقف المفاوضات على المسار الفلسطيني بعدما كانت توقفت على المسارين اللبناني والسوري منذ شباط ١٩٩٦. وقد انتقدت واشنطن هذا القرار للجامعة، وذهب نتانياهو إلى حد انه سخر منه. أما أمين عام الجامعة، عصمت عبد الجيد، فقد وصفه بـ«التاريخي» إثر تساؤلات حول مدى فاعلية هذا القرار خصوصاً انه لم يتضمن آلية للتنفيذ ولم يحدد الدول الملتزمة وقف «التطبيع».

وفي دورته ١٠٨ (ايلول ١٩٩٧)، عجز مجلس الجامعة العربية عن إقرار خمسة مشاريع مهمة بسبب تحفظات سجلتها دول الجامعة الاعضاء على كل منها. وكانت ثلاثة من هذه المشاريع أحالتها القمة العربية الأخيرة (القاهرة، حزيران ١٩٩٦).

وتتضمن المشاريع: ميثاق الشرف العربي للأمن والتعاون (اقترحه مصر) وإنشاء آلية لفض المنازعات بالطرق السلمية (تونس)، والاتحاد العربي (ليبيا)، والاتفاقية الاقليمية لنزع السلاح النووي (مصر)، والنظام الأساسي لمحكمة العدل العربية.

لم يقر المجلس أيًا من المشاريع الخمسة، واكتفى بيانه الختامي لأعمال دورته الرقم ١٠٨ بإدانة الممارسات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة وإغلاق المدن الفلسطينية ومواصلة مصادرة الاراضي. وشدد على استمرار عملية السلام المستندة إلى قرارات الشرعية الدولية، ومبدأ الارض مقابل السلام، واستئناف المفاوضات على كل المسارات... ودعا إلى التجاوب مع ليبيا في أزمة

لوكربي وتقديم الدعم لاعمار لبنان، وحضّ ايران على التجاوب مع المواقف الايجابية للامارات لحل الخلافات في شأن الجزر الثلاث بالطرق السلمية وفق الميثاق الدولية وقبول اللجوء إلى محكمة العدل الدولية لحل النزاع.

المقاطعة العربية لاسرائيل: راجع باب «قضايا وموضوعات».

الميثاق العربي لحقوق الانسان: راجع باب «قضايا وموضوعات».

الاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب: راجع باب «قضايا وموضوعات».

القمم العربية: أول اجتماع لقمة عربية، استضافته مصر في ٢٨ و ٢٩ ايار ١٩٤٦ في أنشاص بالقرب من القاهرة بمشاركة الدول السبع التي وقعت على بروتوكول الاسكندرية، وهي مصر وسورية والعراق والاردن واليمن ولبنان والسعودية. وجاء في بيانه الختامي ان القضية الفلسطينية هي قضية العرب جميعاً. ولم يحضر عامان على هذا الاجتماع حتى جاءت نكبة فلسطين.

ثاني اجتماع لقمة عربية، عقد في بيروت في ١٣ و ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٦، وكان أهم موضوعاته مناصرة مصر ضد العدوان الثلاثي وتأييد نضال الشعب الجزائري.

ثالث اجتماع لقمة عربية، اعتبر هذا الاجتماع بمثابة «القمة العربية الأولى» أو «مؤتمر القمة العربية الاولى» لأهميتها من حيث عدد الدول المشاركة، والظروف المحيطة بها، وطبيعة المواضيع في جدول أعمالها. عقدت في القاهرة في ١٣-١٧ كانون الثاني ١٩٦٤، وناقشت إنشاء قيادة عربية موحدة لمواجهة اسرائيل ومحاولتها تحويل بحرى نهر الاردن وجعل اجتماعات القمة بمثابة «مؤسسة» (راجع العنوان الفرعي التالي).

القمة العربية الثانية، عقدت في الاسكندرية في ٥-١١ ايلول ١٩٦٤ تنفيذاً لقرار القمة السابقة، وبحث وضع خطة عمل عربي لتحرير فلسطين واعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني.

القمة العربية الثالثة، عقدت في الدار البيضاء في ١٣-١٧ ايلول ١٩٦٥، وبحث في التضامن العربي ومساندة الفلسطينيين.

القمة الرابعة (الخرطوم، ٢٩ آب-أول ايلول

١٩٦٧)، جاءت في أعقاب هزيمة ١٩٦٧، وبحثت في أسبابها وكيفية إزالة أسبابها، وعرفت بـ«مؤتمر اللاءات الثلاث» (لا صلح، لا تفاوض، لا اعتراف).

القمة الخامسة (الرباط، ٢٠-٢٣ كانون الاول ١٩٦٩)، عقدت في أعقاب حريق المسجد الأقصى، وبحثت في أوضاع دول المواجهة مع اسرائيل وكيفية مساندتها.

القمة السادسة (القاهرة، ٢٦-٢٨ ايلول ١٩٧٠)، لمناقشة الاوضاع بين الفلسطينيين والاردن في أعقاب ما عُرف بمذابح ايلول الاسود.

القمة السابعة (الجزائر، ٢٦-٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٣)، في أعقاب حرب تشرين الاول، وصدر عنها قرار عقد القمة دورياً (ولم ينفذ القرار)، وبحثت كيفية دعم الجبهة العربية عسكرياً ومادياً.

القمة الثامنة (الرباط، تشرين الثاني ١٩٧٤)، بحثت في تعديل ميثاق الجامعة العربية ودعم العلاقات الاقتصادية العربية، وصدر عنها قرار اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

القمة التاسعة (الرياض، ٢٥ و ٢٦ تشرين الاول ١٩٧٦) ناقشت قضية غزو اسرائيل لجنوبي لبنان والاضاع في لبنان وإنشاء قوات ردع عربية. وسميت هذه القمة بـ«المؤتمر السداسي» الذي انعقد بمبادرة من السعودية والكويت، وحضره الرؤساء أنور السادات (مصر) وحافظ الأسد (سورية) والياس سركيس (لبنان) وياسر عرفات (منظمة التحرير الفلسطينية) والشيخ صباح سالم الصباح (الكويت) والملك المضيف خالد بن عبد العزيز آل سعود، وخصص للبحث في الأزمة اللبنانية. أما تسمية القمة التاسعة فقد أعطيت لقمة القاهرة (بعد اسبوع من المؤتمر السداسي) بهدف وضع حد نهائي للحرب في لبنان وإعادة اعمارها.

القمة العاشرة (بغداد، تشرين الثاني ١٩٧٨) بحثت في تأثيرات زيارة الرئيس السادات لاسرائيل، وأقرت عدم الموافقة على توقيع مصر لمعاهدة السلام مع اسرائيل وتعليق عضوية مصر في الجامعة العربية. وأنشئت في أعقابها «جبهة الصمود والتصدي».

القمة الحادية عشرة (تونس، تشرين الثاني

آخر قمة عربية جرت في اطار الجامعة العربية.



١٩٧٩) عقدت تنفيذًا لمقررات القمة السابقة في بغداد، وبعد نقل مقر الجامعة من القاهرة إلى تونس، وأقرت تطبيق احكام المقاطعة العربية على مصر.

القمة الثانية عشرة (عمان، ٢٥-٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٠) ناقشت استراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك.

القمة الثالثة عشرة (فاس، تشرين الثاني ١٩٨١) بحثت في وضع استراتيجية شاملة لمنع اسرائيل من العدوان على جنوبي لبنان، وتبنت مشروع الامير فهد (ولي العهد آنذاك) للسلام.

القمة الرابعة عشرة (الدار البيضاء، آب ١٩٨٥) بحثت في وضع الحرب بين العراق وايران وتنقية الأجواء العربية.

القمة الخامسة عشرة (عمان، تشرين الثاني ١٩٨٧) وأطلق عليها اسم «قمة الوفاق والاتفاق»، وتبنت عودة مصر إلى الجامعة العربية.

القمة السادسة عشرة (الجزائر، ايلول ١٩٨٨) تناولت كيفية دعم الانتفاضة الفلسطينية في قطاعي غزة والضفة الغربية.

القمة السابعة عشرة (الدار البيضاء، ٢٣-٢٦ ايار ١٩٨٩) وأقرت عودة مصر إلى الجامعة وعودة مقر الجامعة إلى القاهرة.

القمة الثامنة عشرة (بغداد، ٢٨-٣٠ ايار ١٩٩٠).

القمة التاسعة عشرة (القاهرة، ٩-١٠ آب ١٩٩٠) دانت «الغزو العراقي للكويت».

القمة العشرون (القاهرة، ٢١-٢٣ حزيران ١٩٩٦)، بعد انقطاع عن القمة لمدة ست سنوات أظهرت عمق أزمة النظام العربي وعمق أزمت العلاقات العربية-العربية. عقدت إثر توقف مفاوضات السلام بين الفلسطينيين واسرائيل وبين سوريا واسرائيل (شباط ١٩٩٦) و«لإعطاء فرصة لتأنيها»، رئيس وزراء اسرائيل.

واستمرت الازمة بعد هذه القمة، ولم تعقد بعد (ونحن الآن في اوائل صيف ١٩٩٨) قمة أخرى. وعمق هذه الأزمة المستمرة عكسه رد أمين عام الجامعة العربية الدكتور عصمت عبد المجيد على سؤال بخصوص عقد قمة عربية بعد قمة القاهرة في ١٩٩٦، إذ قال: «عقد القمة من صلاحيات القادة العرب، وهناك لقاءات ثنائية مستمرة بينهم ومنها لقاء الرئيسين حسني مبارك وحافظ الأسد،

ومن قبلها لقاء الرئيس مبارك والعاقل الاردني الملك حسين (...). أما القمة الموسعة فستصطدم بموضوع العراق، وقرارات القمة الماضية لا تزال سارية وصالحة ولا مجال للقمة في الوقت الراهن» («الحياة»، العدد ١٢٨٢٧، تاريخ ١٧ نيسان ١٩٩٨، ص ٥). وكذلك ربط أمين عام مجلس التعاون الخليجي، جميل الحجيلان، عقد قمة عربية موسعة «إزالة المشاعر التي أفرزها الغزو العراقي للكويت» (في تصريح له في ٢ ايار ١٩٩٨). وفي ٥ تموز ١٩٩٨، عقد لقاء في القاهرة، ضم الرئيسين مبارك وعرفات والملك حسين، وُصف بأنه «بداية طيبة لتحرك عربي شامل، ومهيئ لعقد قمة أوسع لحاجة الأمة إليها».

مؤسسة القمة العربية: إن فكرة المؤتمرات العربية الدورية ولدت في مطلع الستينات، وبمبادرة من الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وذلك إزاء تفجر الصراع على نهر الاردن وبحيرة طبريا بين اسرائيل والبلدان العربية واتخاذها بعدًا دوليًا خطيرًا من خلال التدخل السياسي-التقني الاميركي فيما عُرف آنذاك باسم «مشروع تحويل مياه نهر الاردن». وبدا من الضروري قيام العرب بالتحرك الجماعي السريع لمواجهة هذا التحدي بمشروع مضاد يتطلب قرارًا سياسيًا على أعلى مستوى، في حين انه لم يكن هذا كله في قدرة مجلس الجامعة.

وبالفعل، انعقدت أول قمة نظامية في مصر (١٩٦٤). وتكرر بعد ذلك عقد مثل هذه المؤتمرات بدعوة من عدد من الملوك والرؤساء العرب عند اندلاع أزمت حادة في أكثر من بلد عربي. وانعقد، منذ ١٩٦٤، حتى المؤتمر الأخير (في القاهرة، ١٩٩٦) ١٢ مؤتمر قمة عادي، و٧ مؤتمرات قمة غير عادي.

وأخذت تجربة مؤتمرات القمة (العادية وغير العادية) تبلور باعتبارها جهازًا لا غنى عنه يفرضه واقع الحال العربي. وإذا كان لم يجر تقنيته في نظام الجامعة، إلا انه اكتسب قوة العرف، وذلك منذ صدر في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٣، عن مؤتمر قمة الجزائر، القرار رقم ٥٨ ونص للمرة الاولى على ان «تتعقد اجتماعات دورية لمؤتمر القمة العربي في نيسان من كل عام. كما تعقد دورات استثنائية إذا اقتضت الضرورة ذلك بموافقة أغلبية الدول الاعضاء، وبناء على طلب دولة أو أكثر من الدول الاعضاء أو الأمين العام».

وجرى تأكيد هذا القرار (الذي وضع أساسًا لمؤسسة القمة) بقرارات أخرى اتخذتها كل من مؤتمر قمة

فاس (أيلول ١٩٨٢) بالقرار رقم ١٦١، ومؤتمر القمة غير العادي الذي انعقد في بغداد (أيار ١٩٩٠) بالقرار رقم ١٩٢.

من هنا، اتجه مشروع تعديل ميثاق جامعة الدول العربية إلى تحويل «العرف» بالنسبة إلى القمة إلى «حكم قانوني»، وذلك في الدورة ٩٦ لمجلس الجامعة (نيسان ١٩٩٢). لكن قراراً صدر عن الدورة نفسها يقضي بتأجيل النظر في المشروع، ولا يزال مؤجلاً.

تقويم (مناقشات)

إبعاد الجامعة عن التطلعات الوجودية: تبين ذلك من خلال الكيفية التي اتبعت لتطبيق مبادئ الجامعة الواردة في ميثاقها ومدى التزامها بها. فالانخفاق كان السمة البارزة لجامعة الدول العربية.

فلدى استعراض مبادئ الميثاق نجد ان عدم التنفيذ، أو عدم الالتزام، كان السمة الملائمة لتصرفات الجامعة. وهذا يتجلى في الأمور التالية:

أ- إن المساواة التامة بين الاعضاء لم تتحقق بسبب التفاوت في حجم القدرة والثروة والمستوى الاجتماعي وقيام المحاور المتناحرة والاستعاضة عن مجلس الجامعة بمؤتمرات القمة العربية.

ب- إن مفهوم السيادة أصبح، لدى الدول الاعضاء، هدفاً استراتيجياً ثابتاً يقف بالمرصاد لكل محاولة توحيدية.

ج- إن صيانة استقلال الدول الاعضاء بقيت أمنية بعيدة المنال، وأثبتت عجزاً كاملاً من الجامعة العربية: فلسطين، العدوان الثلاثي على مصر، احتلال جنوب لبنان في ١٩٧٨ ونصف لبنان في ١٩٨٢ والاعتداءات الاسرائيلية اليومية عليه، تدمير المفاعل النووي العراقي، العقوبات المفروضة على العراق وليبيا والسودان...

د- إن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاعضاء، أو مبدأ احترام نظام الحكم القائم فيها، لم يحظَ بأي احترام. وسجلت العلاقات العربية حافل بالتدخلات المتبادلة، العلنية والسرية.

هـ- إن مبدأ التعاون وتنسيق الخطى في كل المجالات بين الدول الاعضاء لم يبدأ العمل به حتى الآن. ففي الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمالية وقعت اتفاقيات ولم تُنفذ.

و- إن مبدأ حظر اللجوء إلى استعمال القوة أو

التهديد بها، وهو المبدأ الذي يتجسد في أسلوب تسوية الخلافات والمنازعات بالطرق السلمية، لم يطبق: لم تلجأ الجامعة يوماً إلى إصدار حكم واحد يدين أي طرف في أي نزاع واتسم عملها دائماً بالزرد والتلكؤ، واتخذت، في معظم الاحيان، موقف اللامبالاة من بعض المنازعات العربية وفضلت غالبية الدول العربية اللجوء إلى دولة أو منظمة أجنبية لحل خلافاتها، وقد ترافق عجز الجامعة عن تسوية المنازعات بين أعضائها مع عجزها عن رد العدوان الأجنبي عنهم. وقد تعرضت أكثر من دولة عربية لاعتداءات فلم تحرك الجامعة أو دولها ساكنة. والأغرب من ذلك أن دولاً عربية شاركت، دون الرجوع إلى مجلس الجامعة، في حروب ومعارك شنت على دول عربية أخرى، فلم يصدر عن الجامعة استنكار أو احتجاج.

فالجامعة ابتعدت، منذ تأسيسها، عن الطموح العربي الوجودي. وعناصر هذا الطموح لا يمكن ان تتوفر إلا في قدرة أعضائها على تحقيق التضامن والتلاحم وفي ما تملكه الأنظمة السياسية الحاكمة من نضج أو وعي أو حس قومي رفيع. لقد تعرضت الجامعة، منذ تأسيسها، لسلسلة طويلة من العجز، ولم تعد، بوضعها الراهن، صالحة أو مؤهلة لتحقيق النهضة العربية إلى الوحدة أو الاتحاد. لقد حكمت الجامعة، أو حكمتها الأنظمة العربية السياسية، بنوع من «ثنائيات» كانت في أساس تعطيل دورها الوجودي أو حتى التضامني:

النوع الاول: ثنائية المقاصد والرسائل، حيث يُلاحظ أن جميع الأنظمة العربية تتغنى بالوحدة، وتفاخر بها في تشريعاتها وتظهر بالعمل من أجلها. ولكن صيغ الوحدة والرسائل الكفيلة ببلوغها هي موضوع عرقلة دائمة. فتجد الشعوب صعوبة في التمييز بين المثالية (الوحدة كفكرة وكمطلب) والواقع التقسيمي، أو بين منطق القول القادر على التحليق في أجواء المطلق ومنطق الفعل المرتبط بنسبية الواقع.

النوع الثاني: ثنائية الأمة والدولة، أو ثنائية القومية والقطرية.

النوع الثالث: ثنائية الثورة والثروة. فالثورة العربية، بمعناها الشامل، هي التي تحركت وحركت وحررت. وجميع الاقطار العربية التي استقلت مدينة لروح هذه الثورة بالخلاص من نير الاستعمار. صحيح ان الثورات كانت مخيلة، إلا ان هدفها كان واحداً، هو العودة إلى أحضان الأمة. وعندما تفجّر النفط في الارض العربية وامتلك العرب ثروة خيالية خيّل إلينا ان اقتران الثورة

بالثروة سيجزع الأعاجيب ويرتفع بالأمة إلى أعلى عليين. ولكن الرجاء سرعان ما خاب، ولم تساند الثروة الثورة، بل طمست معالمها.

الخلاصة ان الجامعة العربية، كمنظمة إقليمية، تحتاج إلى تطوير كبير يتناول المفاهيم والهيكليات والأجهزة والميثاق وأساليب العمل. صحيح انها ما زالت، عند البعض، محط الآمال المتبقية لأمة تبحث عن أمال، وانها استطاعت، رغم الاغصير التي هبت عليها من الداخل والخارج، ان تحافظ على وجودها، وان فكرة الانسحاب منها أو المطالبة بإلغائها لم تطرح من جانب أي عضو فيها، إلا ان إصرارها على اتباع النهج الذي التزمته حتى الآن سيؤدي إلى إعلان فشلها التام. ولعل قيام بعض التجمعات الإقليمية العربية، على هامش الجامعة، دليل واضح على ضعف الثقة بها (عن الدكتور محمد المنذوب، «التنظيم الدولي»، الدار الجامعية، ١٩٨٨، ص ٣٣٥-٣٤٣).

رغم فشل الجامعة «لم يبق لنا سواها»: لا بد ان نعترف بأن الجامعة العربية مؤسسة غير فاعلة في نظر معظم الناس خصوصاً الجماهير قبل الحكام. إذ ارتبط اسمها في ذهن المواطن العربي بالنكسات والحن التي تعرضت لها الأمة العربية خلال خمسة عقود وما رافق ذلك من إحباط ويأس. ومن سوء الطالع ان نكبة فلسطين حلت عام ١٩٤٨ والجامعة العربية لا تزال طفلاً يحبو في عامه الثالث. ومع ذلك فقد دينت الجامعة العربية وحملت أوزار تلك الكارثة. وفي هزيمة ١٩٦٧ دينت الجامعة العربية مرة أخرى بسبب غيابها عن المسرح السياسي، الذي ظهرت عليه فقط بعد الهزيمة وفي قمة الخرطوم. وفي ١٩٧٨، نجحت الجامعة العربية في قمة بغداد في بلورة موقف عربي موحد تجاه تفرد الرئيس السادات بزيارة اسرائيل واتفاقيتي كامب دافيد. ومع ذلك دينت الجامعة العربية لأنها عجزت عن توفير بديل لكاسب دافيد ما أدى إلى انعقاد مؤتمرات العمود والتصدي خارج نطاق الجامعة العربية. وفي ١٩٩٠، تعرضت الجامعة العربية لأقصى الاحكام والانتهاكات لأنها عجزت عن تم شمل العرب في قمة القاهرة وتوفير حل عربي لمشكلة احتلال العراق للكويت ما نتج عنه مجيء القوات الاجنبية. وفي ١٩٩٣، لم تسلم الجامعة العربية من المسؤولية عندما وقع الطرف الفلسطيني اتفاقية اعلان المبادئ مع اسرائيل. فقد اعتبرت الجماهير العربية ان تلك الاتفاقية بشروطها الجائرة والظالمة هي وليدة حالة العجز العربي التي تمثلها الجامعة العربية والنظام العربي. وخلال

تلك الادانات لم يتم تحديد أو تعريف ما هو المقصود بالجامعة العربية: المبنى أم النظام الداخلي أو شخص الأمين العام أو الدول الاعضاء.

وبسبب تلك الغترات والنكسات تحولت الجامعة العربية، في ذهن المواطن، إلى ضريح يضم رفات العروبة والوحدة العربية والقومية العربية. ولهذا السبب يكاد الحديث اليوم عن العروبة يصبح من نسج الخيال وضرباً من ضروب الأساطير، وذلك تحت وطأة الاستسلام والاهواء والتفسيخ والضياح والتفوق العربي والمرولة نحو اسرائيل. وبلغ الأمر بالمستشرق اليهودي الشهير برنارد لويس ان كتب بحثاً في مجلة «فورين أفيرز» الفصلية البارزة نعى فيه وإلى الأبد القومية العربية وذرف الدموع على العروبة التي انتهت في رأيه بعد ان جرفتها وقضت عليها ذبول احتلال الكويت ومضاعفاته. ومن المؤسف ان بعض الكتاب والمثقفين العرب اعتبروا هذا النمط من الكتابة حادثة في التفكير وواقعية في التحليل وكأن عروبتنا، وهي واقع ومسير لا فكاك منه، عبارة عن ثياب نلبسها ونخلعها حسب موضحة العصر وتطورات الأمور.

وهنا يطرح السؤال التالي: هل ظهر خلال عمر الجامعة العربية بديل لها كأداة تقرير وتوحيد وماذا كانت النتيجة؟

الجواب هو ان العالم العربي عايش أنماطاً من الأدوات التوحيدية عبر خمسين عاماً. فقد شهدنا مرحلة «الزعيم» كأداة توحيدية ممثلاً بجمال عبد الناصر. ومرّ العالم العربي قبل عبد الناصر وبعده بمرحلة «الحزب» كأداة توحيدية ممثلاً بحزب البعث العربي الاشتراكي. كذلك شهدنا مرحلة «العائلة» كأداة توحيدية ممثلة بالهاشميين في كل من الاردن والعراق. وعاصر العالم العربي ايضاً مرحلة «النظام» كأداة توحيدية ممثلاً بالجماهيرية الليبية التي سعت على مدى عقدين من دون كلل أو ملل لتحقيق الوحدة الاعلانية مع أكثر من قطر عربي. والنتيجة الاجمالية ان جميع المحاولات الوحدوية من جانب الزعيم والحزب والعائلة والنظام باءت بالفشل لأن بعضها ولد ميتاً بينما رفض الجسم السياسي العربي استيعاب البعض الآخر فمات في مهده. وبالإضافة إلى ذلك، برزت في السنوات الأخيرة فكرة المجالس الإقليمية التي تستهدف التعاون والتنسيق مثل مجلس التعاون العربي الذي انهار بعد احتلال الكويت والاتحاد المغاربي الذي لم يثبت وجوده ومجلس التعاون لدول الخليج الذي لا يزال صامداً رغم الخلافات الحدودية التي تعصف به.

والخسيلة النهائية لهذا المشوار من عمر الجامعة العربية هي ان العالم العربي قد عاد اليوم بعد تجارب خمسين عاماً إلى المربع الرقم واحد الذي كان فيه يوم قامت الجامعة العربية. وهذه حقيقة تبعث على الأمل والأسى. فالمنطقة العربية اليوم يسودها منطق الكيانات السياسية المنكفئة على نفسها داخلياً لعدم ثقتها بمن حولها. والعمل العربي المشترك اليوم عبارة عن نشاط شكلي وتجميلي (كوزميتيك) لرفع العتب ولا لون له ولا طعم ولا رائحة ناهيك عن فاعليته. وأزمة احتلال الكويت ما زالت تلقي بظلالها المقيتة على بحمل العلاقات العربية نبذاً وحقدًا وانسلاخاً. وفوق ذلك كله فقد قامت اسرائيل خلال هذه السنين كإسفين دقّ قسراً وعنوة في قلب الوطن العربي ثم راحت تثبت نفسها شرعيةً واعتزافاً وامتداداً داخل الدول العربية تحت دعوى التكامل الاقتصادي والتعاون الشرق أوسطي مع الاستمرار في التوسع الاستيطاني وقضم الارض تطبيقاً لسياسة الأمر الواقع.

واضح من السياق انه في ظل الاوضاع الراهنة لم يبق لنا سوى الجامعة العربية كمظلة عربية ومنظمة للحد الأدنى من العمل العربي المشترك. وصحيح أن كل إناء بما فيه ينضح وان الجامعة العربية مرآة تعكس ما هو قائم ومباح في الدول الاعضاء. ولكن هذا لا يعني بأي حال من الاحوال ان تبقى الجامعة العربية على حالها.

فالجامعة العربية لا تبدأ من الصفر. إذ إن أدراجها مليئة بالاتفاقات والمشاريع الحيوية والأساسية منها ما خرج إلى النور ومنها ما ينتظر التنفيذ. وعلى سبيل المثال هناك اتفاقية الجامعة العربية الثقافية لعام ١٩٤٧، وميثاق الدفاع المشترك لعام ١٩٥٠، واتفاقية التجارة والترزات لعام ١٩٥٣، وبنود مشروع معاهدة لإنشاء مصرف التنمية العربي لعام ١٩٥٧، واتفاقية الاتحاد البريدي العربي لعام ١٩٥٨، وتشكيل المجلس الاقتصادي العربي لعام ١٩٦٠، وتشكيل قوة دفاع خاصة بالجامعة العربية لعام ١٩٦١ (لحماية الكويت من تهديدات عبد الكريم قاسم)، واتفاقية الوحدة الاقتصادية في حزيران ١٩٦٢. هذه الاتفاقات والمشاريع، وهناك الكثير غيرها، تشكل عماد العمل العربي المشترك الذي نقترح إحياءه من خلال بحث دور الجامعة العربية وتنشيطه. وبمعنى آخر فإن آليات العمل العربي المشترك موجودة إذا توافرت النية للعمل بها والالتزام بمقرراتها.

فلا بد من إعادة النظر في ميثاق الجامعة العربية ونظامها الداخلي وأجهزتها المتخصصة بحيث تتحول إلى

أداة مبادرة وفاعلة. وعلى سبيل المثال لا بد من خلق جهاز له صلاحيات بجلس الأمن ولا مناص من تقوية سلطات الأمين العام وصلاحياته لتصبح شبيهة بسلطات الأمين العام للأمم المتحدة. وإذا كان ظهور منظمة التجارة الدولية كعلامة بارزة في النظام الدولي الجديد قد دفع الأمم المتحدة إلى إعادة النظر في بعض أجهزتها المتخصصة أفلا تدفعنا دعوة شيمون بيريز إلى تحويل الجامعة العربية إلى منظمة شرق أوسطية تضم اسرائيل إلى إعادة النظر في هذه المنظمة الإقليمية العربية تركيياً وتحديثاً وتحدياً؟

إن العالم العربي، وهو يقف على مشارف القرن الواحد والعشرين ويواجه تحديات اسرائيلية وأمنية واقتصادية وسياسية واجتماعية لا حدود لها، بحاجة إلى:

- قيادة مستنيرة تكون الجامعة العربية أليتها.
- ومصالحة حقيقية تكون الجامعة العربية أدواتها.
- وتنمية اقتصادية تكون الجامعة العربية بوتقتها.
- ونهضة شاملة تكون الجامعة العربية وعاءها.

وعن هذه النهضة فيكفي ان نقرر هنا الحقيقة المرعبة وهي ان ثلث العالم العربي يعيش تحت حزام الفقر على رغم ثرواته الهائلة، وان نصف العرب يعيشون حالة بطالة ظاهرة أو مستترة مما يخلق من حولنا مظاهر التمليل والارهاب والتطرف. والنهضة الشاملة تعني التصدي لهذا الواقع المرير من خلال إعادة نظر جذرية في تحمل أوضاعنا الاجتماعية والسياسية والثقافية والانتاجية والعلمية والتربوية من خلال خطط وبرامج تأخذ بالحديث من المدنية من دون التفريط بالقديم من تراثنا وقيمنا، وتوفير الفرص للعمل والانتاج والابداع لأبناء المجتمع على أساس متكافئ (عن باسل أمين عقل، مفكر فلسطيني عضو المجلس الوطني المركزي، «الحياة»، ٢٢ آذار ١٩٩٥).

جامعة الدول العربية في عصر العولمة: هناك أسباب عدة تدعو إلى التركيز على فاعلية دور جامعة الدول العربية في الحقبة المقبلة. ولعل أهمها على الإطلاق أن كل المؤسسات الإقليمية لا بد لها أن تعيد صوغ أهدافها وتحديث وسائلها، أخذاً في الاعتبار التغيرات الكبرى التي حدثت في العالم في العقد الأخير. وليس هناك من شك في أن أبرز هذه التغيرات هي العولمة بتجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاتصالية.

ومن هنا يمكن القول إن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية كان موفقاً حين اختار موضوع «مستقبل الوطن العربي ودور جامعة الدول العربية» ليكون موضوع

وشبوع ظاهرة التكتلات الاقتصادية وبروز التعاون الدولي في مجال معالجة بعض المشكلات البيئية والاقتصادية.

تحديات العولمة: وفي تقديرنا أن أهم سمة من سمات النظام العالمي الجديد هي العولمة بتجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاتصالية. ونريد أن نركز في مجال تفعيل دور جامعة الدول العربية-على أبعاد العولمة السياسية لأنها في تقديرنا هي التي تحمل خطاير شديدة على الأمن القومي العربي، بل وللسنا مغالين في ذلك-على الوجود العربي ذاته، وعلى وحدة أراضي الدول العربية.

ونحن في حديثنا عن العولمة السياسية نقصد شعارات الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان والتي أصبحت اليوم المعايير التي تقاس على أساسها شرعية النظم السياسية. غير أن أهم ما في اعتبار هذه الشعارات معايير عالمية هي أن الولايات المتحدة الأميركية-باعتبارها المهيمنة في الوقت الراهن على النظام الدولي-تريد أن تفرض جزاءات سياسية واقتصادية على الدول التي ترى هي، ومن منظورها الخاص، أنها خالفت معايير الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولعل الحالة النموذجية لذلك هي خلافاتها السياسية العميقة مع الصين على أساس أنها تخالف معايير حقوق الإنسان وعصروها بعد حوادث قمع ثورة الطلبة المشهورة (١٩٨٩).

هنا تبرز الولايات المتحدة وكأنها شرطي العالم المنوط به حفظ النظام على المستوى الكوني، بل وأبعد من ذلك كما لو كانت هي القاضي الأعظم الذي يصدر أحكامه على المتخالفين للمعايير الدولية من دون تفويض من أحد.

وإذا كانت قضية حقوق الإنسان بكل جوانبها المعقدة، وأبرزها مشكلة ازدواجية المعايير التي تطبقها الولايات المتحدة وعصروها تجاهلها المتعمد للمخالفات الاجرامية لحقوق الإنسان التي ترتكبها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والشعب اللبناني، هي من التجليات البارزة للعولمة السياسية، إلا أن أخطرها على وجه الإطلاق في تقديرنا هي الممارسات المتسفة لما يطلق عليه حق التدخل، والذي بناءً عليه استطاعت الولايات المتحدة وبيا للأسف أن تهيمن على مجلس الأمن الدولي، وأن تستصدر قرارات باسم الشرعية الدولية، وبناءً عليها تم حصار الشعب العراقي والشعب الليبي.

حصار الشعب العربي: إذا أرادت جامعة الدول

المؤتمر الذي يعقد في أبو ظبي عاصمة دولة الامارات العربية المتحدة خلال الفترة من ٢ إلى ٤ تشرين الثاني ١٩٩٧.

وموضوع تفعيل دور جامعة الدول العربية مطروح على الساحة الفكرية العربية منذ سنوات، وإن كان ازداد الاهتمام به بعد كارثة حرب الخليج، فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن جامعة الدول العربية عاجزة عن التصدي بفاعلية للنزاع العراقي-الكويتي، وحله بطريقة سلمية، مما فتح الباب بعد ذلك للتدخلات الأجنبية، بكل تداعياتها السياسية والاقتصادية المعروفة.

نظرة إلى المستقبل: ومن الأهمية بمكان في مجال تفعيل دور جامعة الدول العربية أن نحلل نظرة الجامعة إلى المستقبل من خلال كلمة الدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية والتي ألقيت بالنيابة عنه في الجلسة الافتتاحية للحلقة النقاشية التي عقدت في القاهرة عن «تفعيل دور جامعة الدول العربية» وذلك يوم ١١-١٢ تشرين الاول ١٩٩٧.

وفي نظر الدكتور عصمت عبد المجيد ان الاهداف التي لا خلاف عليها للاستراتيجية العربية العليا هي: «- صون الأمن القومي بمعناه الشامل وبكل أشكاله وجوانبه، ورعاية المصالح العليا والمشاركة للأمة العربية.

- الحفاظ على الهوية الحضارية والقومية المميزة للأمة العربية.

- تحقيق أعلى معدلات ممكنة للتنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية.

- ضمان التكامل الداخلي بين عناصر القوة الاستراتيجية (العناصر الاقتصادية والسياسية والمعنوية والاجتماعية).

- ضمان القدرة على تحقيق الاهداف المرحلية». وعلى رغم تعدد المشاريع التي بادرت الأمانة العامة للجامعة إلى صوغها وطرحها للنقاش تحقيقاً لهذه الأهداف، إلا أنه يبقى السؤال قائماً حول فاعلية كثير من هذه الخطط والمشاريع السياسية والاقتصادية، والعقبات التي تحول دون نجاحها في تحقيق أهدافها.

ولعله مما يحمد للأمين العام أنه-وهو بصوب نظراته إلى المستقبل-التفت بدقة إلى تحديات النظام العالمي الجديد الذي يتشكل في الوقت الراهن، وإن لم يتحدد معالمه بعد، وهو يرى أن له سمات أربع ظاهرة، هي العولمة، واعتبار القوة الاقتصادية المؤشر الرئيسي لمعيار قوة الدول،

الأقباط، وأخطر من ذلك مشروع القانون الذي يعده الكونغرس لمعاقبة الدول التي تخرق مبدأ حرية العقيدة.

ولو تأملنا التحليلات البالغة الخطورة للعولمة في الوقت الراهن، وهيمنة الولايات المتحدة على إدارتها، في إطار التخاذل القبيح للدول الكبرى، وبخصوص أصحاب العضوية الدائمة في مجلس الأمن، لأدركنا أن هناك شبكة متكاملة تهدف إلى حصار الشعب العربي من خلال مجموعة مراقبة من القواعد والإجراءات والسياسات أبرزها إعداد قائمة للدول أو المنظمات التي تشجع الإرهاب وإدراج بعض الدول العربية فيها وبينها سورية. وثانيها استخدام ورقة حقوق الإنسان لتهديد أي دولة عربية بزعم مخالفتها هذه الحقوق، كنوع من أنواع الابتزاز السياسي. وثالثها التهديد بعقاب أي دولة عربية لا تفتح الباب من دون أي قيود أمام حملات التبشير الدينية للقضاء على خصوصية الكنائس العربية، وذلك باسم حرية العقيدة. ورابعها وأخطرها فرض الحصار على بعض الدول العربية، لتحقيق الأهداف الاستراتيجية الأميركية، وأهمها منع أي دولة عربية، أو الدول العربية مجتمعة من امتلاك الأسلحة المتطورة التي يمكن أن تجعلها في موقف الند بإزاء إسرائيل وما تمثله من تهديد جسيم للأمن القومي العربي. وهناك في هذا الصدد تصريحات أميركية رسمية عن أن سياسة الولايات المتحدة هي أن تجعل إسرائيل على الدوام أقوى عسكرياً من كل الدول العربية مجتمعة.

وهكذا يمكن القول إنه على رغم وجود كثير من السبلات في أداء جامعة الدول العربية، وفي الوقت نفسه، هناك وفرة في المقترحات والمشاريع المقدمة من أطراف شتى لتفعيل دورها، فإنه إن لم تتصد الجامعة للخطة المتكاملة التي تهدف إلى حصار الشعب العربي فإنها في الواقع ستفقد مبرر وجودها.

بعبارة مختصرة المواجهة الفاعلة للحصار هي مدخل الجامعة الصحيح لتكون معبرة عن الشعب العربي من المحيط إلى الخليج (عن السيد يسين، باحث مصري، نشرت في «النهار» البيروتية و«الاهرام» القاهرية في اليوم نفسه، ٧ تشرين الثاني ١٩٩٧).

العربية أن تفعل دورها في المستقبل فليس أمامها سوى إعادة النظر في نطاقها وهيكلها ومؤسساتها وطريقة عملها، وعلاقتها بالمجتمع المدني العربي، حتى تكون مؤهلة لمواجهة الخطة الاستعمارية الجديدة التي تهدف إلى حصار الشعب العربي ومنعه من تحقيق التنمية الشاملة التي تجعله جديراً بدخول حلبة المنافسة العالمية ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين.

ونبادر بالقول إن الأخطاء السياسية لكل من القيادة العراقية وخصوصاً في قرارها المعيب والخطيء لغزو الكويت، والقيادة الليبية في ما يتعلق بسلوكها الدولي غير المنضبط، لا تعطي لا الأمم المتحدة ولا مجلس الأمن الحق في إصدار قرارات الشعب العراقي أو الشعب الليبي.

إن القرارات التي صدرت باسم الشرعية الدولية المزعومة والتي أشرفت على إصدارها الولايات المتحدة بناءً على الضغوط الشديدة التي تمارسها على الدول أعضاء مجلس الأمن، والتي ترتب عليها حصار الشعب العراقي ومنع الغذاء والدواء عنه، تعد جريمة متكاملة الأركان من جرائم الإبادة الإنسانية التي أتمتها المعاهدات الدولية.

والحقيقة أن جامعة الدول العربية، لأسباب شتى، لم تقم بدور بارز في مقاومة هذا الحصار الظالم، ولم تضع من الخطط السياسية والاقتصادية ما يكفل تخفيفه، لفتح الطريق أمام الشعب العراقي لكي يعيش بكرامة كما تعيش بقية الشعوب. ونعرف يقيناً أنه لتحقيق هذا الهدف لا بد من تشوير جامعة الدول العربية لتصبح المعبر الحقيقي ليس عن الحكومات العربية فقط ولكن عن الشعب العربي نفسه تأكيداً لحقه في الوجود وللعيش بكرامة في إطار أسرة الأمم المعاصرة. وإذا كانت إسرائيل تحاصر الشعب الفلسطيني، والولايات المتحدة تحاصر الشعب العراقي والشعب الليبي، ليس هذا مؤشراً بالغ الخطورة على خطة أميركية متكاملة تهدف إلى تحطيم الوجود العربي ذاته؟.

وحتى لا ننهم بالمبالغة في التأكيد على الخطة الأميركية وأهدافها يكفي أن نشير إلى الحملة الأميركية الأخيرة على بعض الأمور المصرية في ما يتعلق بوضع

قضايا وموضوعات

في السياسي

خريطة التطرف والارهاب (مناقشة): بعد زوال الخطر الشيوعي (المترافق مع دخول منظمة التحرير الفلسطينية مفاوضات السلام مع اسرائيل)، اعتبرت الحركات الاسلامية الناشطة مصدر تهديد استراتيجي ضد الغرب من جهة وضد الأنظمة العربية (والاسلامية) المناهضة أو غير المتحالفة من جهة أخرى.

على أن أي تحليل جدي لهذا «التهديد الاسلامي» المزعوم لا بد وأن يظهر عدم مصداقيته وبعده عن الواقع. فعلى رغم حركة «إعادة الأسلمة» التي شهدتها العالم الاسلامي بعد انحسار الايديولوجية القومية والعلمانية وحلول الاسلام كبديل وحيد في مواجهة الازمات الاقتصادية والاجتماعية الراهنة في بعض الدول العربية والاسلامية، لا تبدو الحركات الراديكالية الاسلامية الحالية قادرة على تغيير المعطيات الجيوسياسية على المدى المنظور. فالأنظمة العربية والاسلامية (باستثناء ايران بدءاً من ثورتها الاسلامية في ١٩٧٩) لم تخضع لتحولات بشكل عام. على ان هذا الأمر، إضافة إلى عجز الحركات الاصولية عن توحيد استراتيجيتها في الوقت الراهن، لا يعنيان انعدام الظروف الملائمة لعمل هذه الحركات، سيما وان استمرار الأزمات الاقتصادية والاجتماعية في الدول العربية والاسلامية توفر أرضية مواتية للمعارضة المنظمة (بمختلف منطلقاتها: دينية أو سياسية، أو قومية...) التي تركز تقدماً ملموساً على الرغم من إجراءات القمع التي تتعرض لها.

النقاط التالية توضح الافكار العامة لهذه المقدمة:

١- عجز الحركات الاسلامية الاصولية عن طرح

بديل سياسي:

استراتيجيًا، عجزت هذه الحركات عن تجاوز الأطر الوطنية، وفشلت في التخلص من النزاعات القومية أو العرقية أو القبلية أو الطبقية. وهي، في الأساس، لم تطرح نفسها كبديل عن الأنظمة السياسية الراهنة:

فحركة «حماس» لم تطرح نفسها كبديل لمنظمة التحرير الفلسطينية على قاعدة أطروحات اسلامية، بل على أساس تحذير المطالب الوطنية الفلسطينية الدائرة حاليًا مع الاسرائيليين.

والجبهة الاسلامية للانقاذ (في الجزائر) لم تتهم جبهة التحرير الوطنية بالانتماء عن الاسلام بقدر اتهامها لها بخيانة مبادئ حزب جبهة التحرير الجزائرية وبالتحول إلى «حزب فرنسا».

والاحزاب الاسلامية العربية اختلفت ردود فعلها إزاء حرب الخليج باختلاف مواقع دولها الجيوسياسية. فالأخوان المسلمون في الاردن دعموا العراق، بينما دانه الإخوان في الكويت. وفي السودان عبر الاسلام عن تقييد ركائز النظام المركزي تجاه ثورات الجنوب المسيحية وضد المصريين. وفي تركيا، لم تتعد مطالب حزب الرفاه الاسلامي دائرة النظام السياسي الدستوري القائم.

٢- عجز ايران عن تصدير الثورة الاسلامية:

سرعان ما أظهرت الحرب مع العراق عجز دعوة الثورة الايرانية (في سنواتها الاولى) إلى «تصدير الثورة». فالعالم السني وقف برمته إلى جانب العراق، فيما ظل الدعم الشيعي (في العالمين العربي والاسلامي) لايران حزينًا ومتفرقًا. وفيما عدا الخطابات العقائدية العالمية الشاملة، لم تتعد الزعامة الايرانية بعض المجموعات الخارجية المرسومة بـ«المتطرفة» في إطار سياسة تنوعى إرساء سلطتها الاقليمية أكثر مما تبغى تصدير الثورة الاسلامية. وهذا ما بدأ، على سبيل المثال، عقب غزلي طهران عن الأخوان المسلمين السوريين في ١٩٨٢ باسم الالتقاء الاستراتيجي بين ايران وسورية، وما دلت عليه اللامبالاة التي أظهرها نظام الثورة الاسلامية الايراني إثر سحق صدام حسين لانتفاضات الشيعة في النجف وكربلاء عام ١٩٩١ وتبرير موقفه السلمي باسم رفض تقسيم العراق. أضف إلى ذلك ان الثورة الاسلامية تبدو أحيانًا، ورغم أوجه الاختلاف، نسخة معدلة للرؤية الاستراتيجية القومية التي ميزت عهد الشاه بين ١٩٥٣ و١٩٧٩. فلقد عمد النظام الايراني إلى تأسيس جيش تقليدي قروي والسيطرة على الخليج الفارسي واستيعاب بعض الأنظمة العربية بواسطة دعم الاقليات الشيعية فيها.

٣- حركات اسلامية مناهضة للتطرف، وأخرى

مستوعبة من الأنظمة:

على رأس هذه الحركات تقف منظمة المؤتمر الاسلامي التي تمثل الأنظمة (٥٢ دولة إلى جانب منظمة التحرير الفلسطينية) والتي أصدرت خلال اجتماعها في الدار البيضاء (١٩٩٥) شرعة خاصة تدعو إلى الاعتدال، وتدين «الداعين إلى شق الأمة الاسلامية وتشجيع الارهاب». وبعد أشهر، دعا السيد حسن الزاهي، في رد على المنظمة،



منذ سنوات والمجازر التي يرتكبها الارهابيون في الجزائر يومية او شبه يومية، وذهبت بارواح الآلاف من السكان المدنيين الابرياء. الصورة لامرأة جزائرية في غم شديد خارج مستشفى زموري في بقطاحة في ضواحي الجزائر بعد المجزرة التي قضت على اولادها الثمانية. وهذه الصورة التقطها المصور الجزائري هوسين من «وكالة الصحافة الفرنسية»، ومنحتها لجنة التحكيم الدولية لجوائز مسابقة التصوير العالمية الجائزة الاساسية لـ «صورة العام ١٩٩٧».

- في الجزائر: لم تخرج الجزائر بعد من دوامة العنف التي اندلعت بعد تعليق نتائج الدورة الأولى للانتخابات النيابية التي فازت خلالها الجبهة الاسلامية للانقاذ بـ ١٨٨ مقعداً من أصل ٤٣٠، في ٢٦ كانون الاول ١٩٩١. ووصل «العنف الجزائري» إلى مستوى من الإحرام يثير الرعب.

- من أفغانستان إلى الفيليبين: بعد انسحاب الاتحاد السوفياتي من أفغانستان، واصل «الأفغان العرب» «دعوتهم المقدسة» في مقاتلة «قوى الشر» في العالم: في البوسنة والهرسك، في طاجيكستان، في كشمير، في الفيليبين. كما طالت عملياتهم عواصم غربية وعربية (عرفت الرياض إحدى أعنف العمليات الارهابية عند انفجار سيارة مفخخة أمام مقر البعثة الاميركية؛ كما تم تفجير فندق أطلس في مراكش، واكتشفت الأجهزة الأمنية المغربية شبكات تهريب أسلحة عبر الحدود لصالح المجموعات الاسلامية في الجزائر).

٥- مسؤولية الغرب: يتحمل الغرب مسؤولية كبيرة في تشجيع هذه التيارات من خلال تمويلها وتدريبها وغرض النظر عن تجاوزاتها (وفتح ابواب عواصمه لزعمائها). الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي قال (في تصريح له في ٢٦ ايلول ١٩٩٤): «إن الأمم المتحدة لا تملك الرغبة ولا القدرة لفرض السلام في أفغانستان». لقد حصل المجاهدون (ضد الهيمنة السوفياتية) على دعم غير محدود من واشنطن وباريس ولندن وطهران وحتى تل أبيب. ولما لم تتوقف نشاطاتهم بعد الانسحاب السوفياتي، وتحولوا إلى حرب أهلية، تحول الغرب منهم ومن الحرب الأهلية إلى عدم الاكتراث بسبب فقدان أفغانستان، على ما يقول المحللون، لأهميتها الاستراتيجية،

خلال المؤتمر الاسلامي (الخرطوم، آذار ١٩٩٦) إلى «توحيد الجهود الاسلامية ضد النظام العالمي الجديد».

ولممة أنظمة أعطت الاسلاميين حرية التحرك في إطار اللعبة السياسية، كالاردن الذي يضم اسلاميين في برلمانه إلى جانب العلمانيين، وتركيا التي شهدت (وربما تشهد) صعود حزب الرفاه الاسلامي الذي نجح في الانتخابات البلدية ثم البرلمانية (١٩٩٥) وتكليف زعيمه نجم الدين أربكان تشكيل حكومة ائتلافية في كانون الثاني ١٩٩٦، وفشله في ذلك.

كما تمكنت بعض الأنظمة من السيطرة على جماعاتها المتطرفة، أو استيعابها، كما حصل في تونس حيث تمكن النظام من السيطرة على حزب النهضة الاسلامية، والمغرب حيث استطاع الملك الحسن الثاني، رغم بعض الصعوبات، من استيعاب الاسلاميين المتشددين ومجاهبة ادعاءاتهم الاصولية بفرض شرعية قيادته الدينية.

٤- خريطة التطرف الاصولي:

- في مصر: بدت «الجماعة الاسلامية» و«تنظيم الجهاد» أهم الحركات المتطرفة. ويرتفع عدد التنظيمات الاصولية الاسلامية وفق تقديرات الشرطة المصرية إلى حوالي ٢٠ تنظيمًا منتشرًا على الأخص في الاوساط الجامعية، وتأخذ على حركة الإخوان المسلمين ميوها لعقد تسويات مع النظام. إلا ان هذه التنظيمات، رغم نموها السريع وتمكنها من تسديد ضربات موجعة للنظام، أخفقت في القضاء على النظام أو أقله في هز أركانه، إضافة إلى انها تعاني من الخلافات الداخلية العقائدية والصراع على السلطة والنزاعات التكتيكية. ويبدو هذا الخلاف واضحاً بين اسلاميي «الداخل» والاسلاميين «الأفغان» الذين يمثلون التيار الأكثر عنفاً.

الحدود، وتعهد الدول الموقعة على عدم تنظيم أو تمويل أو ارتكاب الأعمال الإرهابية أو الاشتراك فيها بأي صورة من الصور وإن تعمل على الحؤول دون اتخاذ أراضيها مسرحاً لتخطيط أو تنظيم أو تنفيذ الجرائم الإرهابية أو الشروع أو الاشتراك فيها بأي شكل من الأشكال، بما في ذلك منع تسلل العناصر الإرهابية إليها أو إقامتها على أراضيها فرادى أو جماعات أو استقبالها أو إيوائها أو تدريبها أو تسليحها أو تمويلها أو تقديم أي تسهيلات إليها. وكذلك القبض على مرتكبي الجرائم الإرهابية ومحاكمتهم وفقاً للقانون الوطني أو تسليمهم وفقاً لآطار الاتفاق أو الاتفاقات الثنائية بين الدولتين الطالبة والمطلوب إليها التسليم. وبمقتضى تبادل المعلومات حول أنشطة الجماعات الإرهابية وجرائمها وقيادتها وعناصرها، والمساعدة في القبض على المتهمين.

الميثاق العربي لحقوق الإنسان: بعد زهاء نصف قرن على نشأة جامعة الدول العربية، وبعد ١٥ عاماً من الحوارات الداخلية والنقاشات الممتدة، أقر مجلس الجامعة، في دورته ١٠٢ (أيلول ١٩٩٤) هذا الميثاق الذي بقي مجرد مشروع مطروح على جدول أعمال الجامعة منذ مطلع الثمانينات. واللائق أن هذا القرار جرى بما يشبه الكتمان وبدون أن يصاحبه أي احتفال، وكأن الجامعة (والأصح، كان الدول العربية) سبقت إليه سراً، أو كأنها تعبر عن عدم جدية مضجرة إزاء تطبيق ميثاق ينص حقوق الإنسان. ثمة مؤثرات أربعة دفعت باتجاه إقرار هذا الميثاق: الأول، يتمثل بلجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة التي حضرت الجامعة العربية على الانشغال بحقوق الإنسان العربي بعد أن ثبت غياب هذا المجال عند صياغة ميثاق الجامعة. وبناء على ذلك أنشأت الجامعة لجنة لحقوق الإنسان، في ١٩٦٨، عملت في كنف الاشراف الحكومي. الثاني، جهود المثقفين العرب التي أثمرت استجابة من الأمانة العامة، فكلفت لجنة خبراء لوضع مشروع هذا الميثاق، وتم لها ذلك في تشرين الثاني ١٩٨٢. ومن هذه الجهود المستمرة والملفتة والداعية لتشجيع «العرب والمسلمين على الإقبال على ثقافة حقوق الإنسان» الرسالة التي وجهها المفكر السوري جورج جبرور (حاضر في جامعة حلب ومستشار الحكومة السورية) إلى المفوضة السامية لحقوق الإنسان الرئيسة الأيرلندية ماري روهنسن (أيلول ١٩٩٧) دعا فيها إلى اعتبار «حلف الفضول أول أو من أوائل التنظيمات المدنية للدفاع عن حقوق الإنسان: «كل أملي أن الحفاوة بذكرى ١٤٠٠ سنة لحلف الفضول

بالإضافة إلى تمكن الدول الكبيرة المحيطة بها من الحؤول دون انتشار وباء الإرهاب ومنع تأثيره على التوازن الإقليمي. على أن ما لم يحسب الغرب حسابه هو إمكان تصدير هذه الحرب إلى بقاع الأرض عبر المجاهدين الأفغان الذين تحولوا إلى «إرهابيين» في عدد من الدول، غربية كانت أم إسلامية أم عربية (والأصح القول إن البعض يرى أن الغرب لم يحسب هذا الحساب، في حين أن البعض الآخر يرى أن الغرب حسب هذا الحساب ولكنه سمح به وربما شجعه ودعمه) (عن مارسيل عقل، «الحياة»، العدد ١٢٠٨٢، تاريخ ٢٤ آذار ١٩٩٦، ص ١٣).

(استكمالاً للموضوع، راجع ج ٢، ص ٨١-٨٢، و ص ١٩١-١٩٢، و ص ٢٨٥-٢٩٢ و ج ٥، ص ٤٤-٥٠، و ج ٧، ص ١١٤، و ص ٢٢٧-٢٣١، و ص ٣٦٠، و ج ١٠، ص ١٢٥، و ١٣٢ و ج ١١، ص ١٦٤-١٦٧، و ٣٣٩-٣٤٢).

الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب: وقع وزراء الداخلية والعدل العرب (٢٥ وزيراً) في مقر الجامعة العربية، في ٢٢ نيسان ١٩٩٨، «الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب»، وتعاهدوا على «سرعة المصادقة عليها للبدء في مرحلة تعاون عربي جديد في مواجهة الإرهاب»، فقد نصت الاتفاقية على دخولها حيز التنفيذ بعد ٣٠ يوماً من إيداع سبع دول وثائق التصديق عليها لدى الجامعة العربية. وأصدرت الأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب بياناً، في مناسبة الاجتماع المشترك (وزراء داخلية وعدل) للاتفاقية، أكدت فيه أن المجلس «تجاوز مرحلة التهديد والشجب إلى التحرك العملي ومكافحة الإرهاب». كما جاء في البيان أن «إسرائيل تشكل أحد المصادر الرئيسية للإرهاب في المنطقة العربية، فهي قامت على الإرهاب وتعيش عليه، وفي وقت تدعي فيه الديمقراطية والمساواة تستخدم دعوة مكافحة الإرهاب لتحقيق أهداف توسعية في العالم العربي وتشويه سمعة المواطن العربي وإنها تنعت المسلمين بالتطرف والإرهاب وتضليل الرأي العام العالمي وتحويل أنظاره عن الغارات الجوية التي تشنها بين الحين والآخر على جنوبي لبنان وتغلف عشرات القتلى من الأطفال والنساء والشيوخ والرجال».

أما الاتفاقية فتتضمن ٤٣ بنداً تتعلق بالإجراءات القضائية وطرق تسليم المتهمين والمحكوم عليهم في قضايا، وأساليب التنسيق بين أجهزة الأمن في الدول العربية وتبادل المعلومات واتخاذ الإجراءات لمنع عمليات التسلل عبر

شكاوى من الاشخاص الطبيعيين أو الاعتباريين، وأحال تشكيلها إلى الدول العربية. كما ان الميثاق لم ينشئ «محكمة عربية لحقوق الانسان» على غرار النموذجين الاوروبي والاميركي بهدف السهر على التطبيق.

المقاطعة العربية لاسرائيل: بعد إنشاء جامعة الدول العربية قرر مجلس الجامعة في دورته الثانية في جلسته المنعقدة في ٢ كانون الاول ١٩٤٥ مقاطعة المنتجات والمصنوعات اليهودية في فلسطين وإصدار توصية بهذه المقاطعة. وتم تشكيل لجنة دائمة للمقاطعة بدأت نشاطها في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٦، ثم ارتؤي تكوين مكتب دائم للمقاطعة في فلسطين يكون بمثابة مرشد عن الصناعات والمنتجات اليهودية في فلسطين. وفي حزيران ١٩٤٦ أنشأ مجلس الجامعة العربية لجان مقاطعة في كل من فلسطين والدول العربية، وذلك لمراقبة وتنفيذ سياسة المقاطعة.

وبعد حرب ١٩٤٨ اتخذ مجلس الجامعة العربية في ايار ١٩٥١ قراراً شاملاً بإنشاء مكاتب للمقاطعة في كل دولة عربية تحت إشراف مكتب رئيسي للمقاطعة يكون مقره في دمشق. وتتولى كل دولة عربية تعيين موظفي مكبتها، ويرتبط المكتب بالجهة الرسمية التي تعينه (وزارة الاقتصاد، أو وزارة المالية أو وزارة الدفاع).

وتقوم المقاطعة بعملها مستندة على جهاز مركزي تابع لجامعة الدول العربية هو المكتب الرئيسي لمقاطعة اسرائيل. وينسق المكتب الرئيسي العمل بينه وبين المكاتب الاقليمية كافة. ويرأس المكتب الرئيسي مفوض عام يعينه الأمين العام للجامعة.

بعد حرب الخليج الثانية، ومؤتمر مدريد، وعادئثات أوسلو، وما استتبعها من مفاوضات السلام العربية الاسرائيلية، وفي إطار مظلة الشرق أوسطية وما انعقد تحتها من مؤتمرات اقتصادية (راجع «الشرق الاوسط»، ج ١)، أخذ عمل المقاطعة يتلاشى، وإن بدرجات متفاوتة وفقاً لكل دولة عربية وموقفها السياسي العام. وآخر ضربة سدقها اسرائيل للمقاطعة العربية جاءت في إطار أعم من «الشرق الاوسط» أو «الشرق أوسطية»، وهو إطار الأسم المتحدة، وذلك في سياق جهودها الهادفة إلى تطبيع علاقاتها مع الأمم المتحدة. ففي حزيران ١٩٩٨ وقع في جنيف روبنز ريكويرو الأمين العام لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (أونكتاد) مذكرة تفاهم مع حكومة اسرائيل لإقامة برنامج مشترك للدعم الفني للدول النامية المستفيدة حالياً من المساعدات الفنية لـ «أونكتاد» بما

ستعطي العرب والمسلمين دفعة حماسية قوية لمزيد من الاقبال على ثقافة حقوق الانسان». و«حلف الفضول» تأسس في نهاية القرن السادس الميلادي واستمر في هيئة اخلاقية وتنظيمية مدة تزيد عن ٦٥ سنة. وكتب جورج جبور أكثر من دراسة عنه، مظهراً أنه ولد قبل الاسلام، ورغم ذلك فإنه «حظي بمباركة النبي العربي الذي أبطل أحلاف الجاهلية عدا». وفيه أن الحاضرين يتعاهدون على أن «لا يدعوا في بطن مكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم إلا وكانوا معه ضد ظالمه»، وقد سجل التاريخ «دفاع الحلف مرات عدة عن مظلومين».

الثالث، مشروع «ميثاق حقوق الانسان والشعب في الوطن العربي» الذي اصدره «مؤتمر أساتذة القانون العرب» في منتصف الثمانينات. وقد تضمن المشروع تفاصيل الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما تضمن مشروع إنشاء محكمة عربية لحقوق الانسان، مهتدياً في كل ذلك بالميثاقين الاوروبي والاميركي لحقوق الانسان.

المؤثر الرابع، المناخ العالمي الذي تتصاعد فيه، وتزايد وتكثف وتضغط، لغة حقوق الانسان، وبخاصة من جانب الخطاب السياسي الغربي، إضافة إلى تشكيل الكثير من المنظمات والجمعيات واللجان المعنية بحقوق الانسان في كل بقاع الارض، فضلاً عن تشكيل الكثير من اللجان والمنظمات العربية غير الحكومية لحقوق الانسان. وكل ذلك كان من حقه ان يثير اللغط والشك، بل الاتهام، في وجه الأنظمة العربية وسياستها إزاء حقوق الانسان، مما أدى إلى اقتناع دول النظام العربي بأن القضية ما عادت تشتمل التأجيل أو المراوغة.

يهندي الميثاق العربي لحقوق الانسان (الذي أقر في ١٩٩٤ في ظروف أشبه بالكتمان الشديد)، في كثير من نقاطه، بمواثيق حقوق الانسان الصادرة، عن منظمات دولية وإقليمية. لكنه ينطوي، في مضمونه، على نقائص توقف كسل مفاعيله. إذ إنه اشار إلى حق الحكومات في التحلل من كل الحقوقي المنصوص عليها في «حالات الطوارئ»، وأكد على «حق المشروع الوطني» في تقييد هذه الحقوق لضرورة «حماية النظام العام أو الأمن أو الاقتصاد والصحة العامة أو الاخلاق العامة وحريات الآخرين». كما ان الميثاق لم ينص على ان الحق في الحياة من الحقوق التي يجب عدم المساس بها حتى في حالات الطوارئ. وأنشأ الميثاق «لجنة خبراء» لتلقي تقارير دورية عن التنفيذ، لكنه لم يتطرق إلى حق هذه اللجنة في تلقي

فيها الدول العربية والاسلامية.

ولم يعلن عن أي موقف عربي أو إسلامي بهذا الشأن (حتى الآن، أواخر آب ١٩٩٨). وهذه ليست المرة الأولى التي تحاول إحدى هيئات الأمم المتحدة إبرام مثل هذا الاتفاق «الفني» بعد جهود حثيثة من إسرائيل لاختراق جدار مقاطعتها. إذ قبل عشر سنوات اضطرت برنامج الأمم المتحدة الإنمائي سحب مذكرة مماثلة تحت ضغوط عربية، قادها رئيس الدائرة الاقتصادية لمنظمة التحرير وقتذاك، أحمد قريع (أبو علاء) الذي يشغل حاليًا رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني.

أول تجمع في نوعه: «تحالف عربي-إسرائيلي من أجل السلام» (إعلان كوبنهاغن، ١٩٩٧): أحد أبرز الذين نشطوا وقادوا خطوات هذا التجمع الكاتب المصري لطفي الخولي الذي كتب في «الحياة» (العدد ١٦٤١٦، تاريخ ٢٥ شباط ١٩٩٧، ص ١٧) مقالاً مطولاً بعنوان «كوبنهاغن: الفكرة... الاعلان... الحركة».

يقول الخولي إن إعلان كوبنهاغن «يعني أنه بعد ما يقرب من نصف قرن من المواجهة العسكرية والسياسية الفادحة الثمن لأطراف الصراع الإسرائيلي، إقليمياً ودولياً، وتعثُر الوصول إلى تسوية سياسية شاملة وعادلة، بادرت مجموعات من المثقفين ينتمون إلى مصر وفلسطين والاردن وإسرائيل، في رحاب زملاء أوروبيين، إلى الاقدام، انطلاقاً من مسؤولياتهم الشخصية، على فعل ثقافي سياسي شعبي، يكسر الدائرة المفرغة الراهنة».

وأشار الخولي إلى أن التجمع والاعلان جاءا تنويرياً لسلسلة من الحوارات، وأن فكرتهما «نبئت» على مستويين: مستوى الفكرة «الخام» الذي «يعود إلى الثمانينات، بعد اتفاقات كامب دافيد وإبرام معاهدة السلام المصرية-الإسرائيلية، وتكوين ما سمي بحركة «السلام الآن» بإسرائيل... ولم يتجاوب معها من مصر والعالم العربي وقتذاك إلا صوت واحد هو صوت استاذنا نجيب محفوظ وكان وحيداً في البرية، أو يمثل أقلية ضئيلة للغاية. وكانت الغالبية الساحقة، وأنا منهم، تقف في الخندق المضاد تماماً. غير أنه مع عاصفة المتغيرات الدولية والإقليمية التي سقط معها الاتحاد السوفياتي، وتفجير حرب الخليج الثانية، وانعقاد مؤتمر مدريد في ١٩٩١، والوصول إلى اتفاقية أوسلو في ١٩٩٣، شرع قطاع من المثقفين المصريين والعرب، وأنا منهم، يتجه نحو تفكير جديد في رؤية الصراع ومساراته الواقعية والمستقبلية. وفي هذا الاطار

نشطت مؤسسات ومراكز دراسات اوروية واميركية تدعو إلى اجتماعات غير معلنة لحوارات بين مثقفين عرب ومصريين في الأساس، وبين مثقفين إسرائيليين، تستكشف امكانات دور مشترك للرفع ودعم تسوية الصراع سياسياً وسلمياً...».

أما المستوى الثاني من الفكرة، يتابع الخولي، «فقد بدأ مع مبادرة المثقفين الاوروبيين، الدانماركيين بصفة خاصة ابراهيم هربرت بونديك... وقامت وزارة الخارجية الدانماركية برعاية ودعم مبادرة بونديك والمثقفين الاوروبيين مادياً وسياسياً».

ثم روى الخولي كيف انطلقت المبادرة منذ اوائل ١٩٩٥ بزيارات متكررة إلى القاهرة قام بها بونديك والتقى عدداً من المثقفين. وكان يصطحبه أحياناً الدبلوماسي الدانماركي تورين بريل، أو الكاتب الاسرائيلي أموس ألون أحد مؤسسي وقادة حركة السلام الآن، أو دافيد كيمحي رئيس مجلس العلاقات الدولية، وهي مؤسسة دراسات غير حكومية، وكان من قبل السكرتير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية بعد أن ترك منصباً قيادياً في الموساد (المخابرات الاسرائيلية). وجرى أول اجتماع حوار، على مسؤولية المثقفين المصريين الشخصية، بمقر متحف لوزيانا قرب العاصمة كوبنهاغن في ٢٩ ايلول-٢ تشرين الاول ١٩٩٥، وكانت وزارة الخارجية الدانماركية قد وجهت الدعوة لهذا الاجتماع إلى كل من محمد سيد أحمد وأحمد فخر ومنى مكرم عبيد ولطفي الخولي للقاء وحوار كل من أموس ألون ودافيد كيمحي وأفيشاي مارجلت استاذ الفلسفة وأشر ساسر استاذ التاريخ ومدير معهد دايان. وظهر في الاجتماع، على رغم اتفاق الحوارين على نهج التسوية السلمية بدلاً عن الحرب، أن هناك فجوة واسعة حول المفاهيم والرؤى والوسائل والاهداف بين الفريقين.

الدورة الثانية في الحوار (شباط ١٩٩٦) شارك فيها من الجانب المصري كلاً من الدكتور محمد السيد سعيد نائب رئيس مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، والدكتور جمال عبد الجواد الباحث بالمركز والدكتورة سميحة فوزي استاذة الاقتصاد في جامعة القاهرة ولطفي الخولي. ومن الجانب الاسرائيلي الكاتبة شولاميت هاريفي، ويوناثان ليرنر الباحث والخبير في الشؤون السياسية والاستراتيجية، ودافيد كيمحي، والدكتور دان ميردور رجل القانون ووزير العدل السابق وعضو ليكود والذي أصبح أخيراً وزيراً للمال في حكومة نتنياهو. وتقرر

انعقاد الدورة الثالثة من الحوار في الاسبوع الثاني من حزيران ١٩٩٦.

لكن هذه الدورة لم تعقد في موعدها. والسبب (الرواية لا تزال بقلم لطفي الخولي) «ان شهر ايار (الحقيقة هو شهر نيسان) شهد على نحو مفاجيء عدواناً عسكرياً اسرائيلياً شاملاً ووحشياً ضد الشعب اللبناني...». وقد «حدثت، خلال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك في نفس الفترة، ان التقى وزير الخارجية الدانماركي بالاستاذ عمرو موسى وزير الخارجية المصري، وحدثه بشأن مبادرة لوزيانا واهتمام اوروبا بها، وما حدث لها من انتكاسة نتيجة موقف المثقفين المصريين، ورجاه ان يتدخل لدى المثقفين المصريين للعدول عن موقفهم ومتابعة جلسات الحوار. وكانت هذه أول مرة يطلع فيها الاستاذ عمرو موسى على مبادرة لوزيانا التي رحب بها (...) ولكنه في نفس الوقت، اعتذر عن عدم إمكان تدخله بوصفه وزيراً للخارجية في شأن مواقف المثقفين المصريين من المشاركة أو عدم المشاركة في الدورة الثالثة من مبادرة لوزيانا...».

كانت هذه أهم النقاط الواردة في رواية لطفي الخولي حول «إعلان كوبنهاغن» والتجمع الذي أطلق عليه اسم «تحالف عربي-اسرائيلي من أجل السلام». وقد توقفت، في الترتيب الزمني لأحداثها، عند الموعد المؤجل للدورة الثالثة من جلسات الحوار (أي حزيران ١٩٩٦). أما ما حصل بعد ذلك وحتى توقيع الاعلان في آخر كانون الثاني ١٩٩٧ فتوضحه النقاط البارزة التالية (عن متابعة يومية للصحف):

- مع دخول المفاوضات الفلسطينية-الاسرائيلية مرحلة «اتفاق الخليل» برعاية اميركية، استأنف بونديك اتصالاته، وتم الاتفاق على استئناف الاجتماع في القاهرة يوم ٢٠ كانون الاول ١٩٩٦ في مقر السفارة الدانماركية.

- حضر الاجتماع بونديك وثلاثة من ممثلي الخارجية الدانماركية، وأربعة من الشخصيات المصرية، هم: لطفي الخولي وأحمد فخر والدكتور عبد المنعم سعيد والمحامي علي الشلقاني، وأربعة من الشخصيات الفلسطينية، هم: الدكتور سري نسيه رئيس جامعة القدس ورياض المالكي أحد قيادات الجبهة الشعبية في الداخل وكان استقال من قيادة الجبهة وأعلن تأييده لعملية التسوية، وحنا سنيورة أحد قيادات الانتفاضة ورئيس تحرير جريدة «المعراج»، ومروان البرغوثي أحد قيادات الانتفاضة الذي أمضى في السجون الاسرائيلية ٧ سنوات وأُفْرِج عنه قبل

سنة فقط وأصبح عضواً منتخباً في المجلس التشريعي الفلسطيني (كان بونديك قد اتصل بهذه الشخصيات الفلسطينية إبان تحضيره لاجتماع الدورة الثالثة)، وأربعة من الشخصيات الاسرائيلية، هم: دافيد كيمحي وشلومي بن عامي ويهودا لينكري وناحوم نوفال.

- بين الاجتماعين، الثاني والثالث، أي في صيف وخريف ١٩٩٦، شغل السؤال عما يمكن عمله من جانب قوى وشخصيات سياسية غير حكومية ومثقفين مصريين وعرب بعد السياسات التي جاء بها نتنياهو والتي هدّدت عملية التسوية بالانهيار. وجرت لقاءات كان أهمها في ايلول ١٩٩٦ في القاهرة بين أكاديميين وصحافيين مصريين ومثقفين فلسطينيين حيث طرحت أفكار مشتركة حول ضرورة وجود قوة تأثير عربية-اسرائيلية غير حكومية للضغط من أجل مواصلة عملية السلام. واتفق المشاركون على إعداد مشروع ورقة يتم على أساسها مفاصلة الشخصيات والقوى غير الحكومية المؤيدة للتسوية على أساس صيغة مدريد واتفاق أوسلو. وجرت بالفعل كتابة مشروع الورقة بعنوان «تحالف من أجل السلام». وطرحها الجانب المصري في اجتماع ٢٠ كانون الاول ١٩٩٦.

- شدّد الاعلان على ضرورة «أن تمسك الشعوب بزماد عملية السلام بنفسها، وان تتضمن (الموقعون على الاعلان) مع بعضنا، ومع كل الشعوب المحبة للسلام في المنطقة وخارجها، وأن نضاعف جهودنا لاقامة الآليات المناسبة لتدشين تحالف من أجل السلام يعمل بلا كلل للاسراع بعملية السلام حتى تصل إلى نتائجها النهائية»، وأعطى أهمية خاصة للمسار الفلسطيني، ودعا إلى «الاسراع بالتطبيق الكامل والأمين للاتفاقات وإلى إنجاز حل عادل ومتكافئ لقضايا الوضع النهائي في موعد ١٦ يتجاوز ٥ ايار ١٩٩٩ حتى يسمح هذا الحل للشعب الفلسطيني بممارسة الحق في تقرير المصير طبقاً للقانون الدولي». واعتبر الاعلان ان أسس التسوية على المسارين السوري واللبناني هي قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ و٤٢٥ التي وصفها بأنها «القرارات المستندة إلى قاعدة الارض مقابل السلام».

- انفجرت في وجه الاعلان، وموقعيه، عاصفة من المعارضة مثلّت الغالبية الساحقة من المثقفين والصحافيين المصريين والعرب، ووصلت إلى حد «تفويتهم»، وأول المستهدفين كان لطفي الخولي الذي ردّ على الانتقادات بقوله (في حديث له من القاهرة لـ«النهار»، أول آذار ١٩٩٧): «إذا كان المنتقدون يقولون إن ما نقوم به تطبيع،

أعلاه). وسارعت الحركة الجديدة إلى إعلان تأييدها لقيام دولة فلسطينية، وانسحاب الجيش الاسرائيلي من الجولان، ووجهت انتقادات حادة إلى حكومة بنيامين نتانياهو.

اعتبر الاسراييليون (في ردود فعلهم وتعليقاتهم التي ظهرت في الصحف الاسرائيلية، منها «جهرزاليه بوست»، ٢٣ نيسان ١٩٩٨) ان الاعلان المصري عن قيام هذه الحركة مؤشر إيجابي قد يؤدي إلى حدوث تحول فعلي في نظرة المثقفين المصريين والشعب المصري الذي رفض حتى الآن التطبيع مع اسرائيل، وان الأمر الذي يدعوا إلى الثقة كون الحركة الجديدة في القاهرة ليست مجرد تطور مفاجيء وعفوي لإعادة تفكير جماعي، إذ تدل هوية مؤسسي الحركة، وبينهم سفراء وصحافيون وقضاة ينتمون إلى المؤسسة الرسمية الحاكمة، على أن هذه المجموعة قد تكونت بموافقة الطبقة الحاكمة في القاهرة، إن لم يكن بطلب منها (عن رندة حيدر، باحثة في الشؤون الاسرائيلية، «النهار»، ٢٩ نيسان ١٩٩٨).

وبعد نحو شهرين من قيام حركة «السلام الآن» المصرية، عقد ممثلوها وممثلو حركة «السلام الآن» الاسرائيلية مؤتمراً صحافياً في القاهرة (٨ حزيران ١٩٩٨) في أعقاب بيان مشترك اعتبر أن «عملية السلام باتت متوقفة منذ تولي رئيس الوزراء الاسرائيلي نتانياهو الحكومة بسبب سياسته غير السلمية». وتحدث عن الجانب المصري لطفي الخولي، وعن الجانب الاسرائيلي الجنرال موردخاي بار أون الذي أعلن عن موافقة حركة السلام الآن الاسرائيلية على قيام دولة فلسطينية وفقاً لمحدود ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ تكون عاصمتها القدس العربية، وتحقيق

ماذا يمكن ان يسموا ٢٩ حواراً بين شخصيات عربية واسرائيلية تمت جميعها في السر منذ عام ١٩٨٩، وحضرها اسلاميون من أمثال الكاتب المصري فهمي هويدي والزعيم الاسلامي السوداني حسن الترابي، ويساريون مثل الكاتب المصري محمد سيد أحمد والسوري من حزب البعث عزيز شكري (...). والتحالف هو لمصلحة كل القوى العربية، لأنه للمرة الأولى ينشأ واقع ثقافي جديد يضغط على الحكومة الاسرائيلية التي تراوغ وتمتنع عن تطبيق مبدأ الارض في مقابل السلام (...). وهذه المرة الأولى بشكل فيها تحالف شبيه للتحالف الذي أدى إلى وقف الحرب الجزائرية في الخمسينات، والتحالف الذي أوقف الحرب في فيتنام. وكلاهما قام به مثقفون من جانبي الصراع.

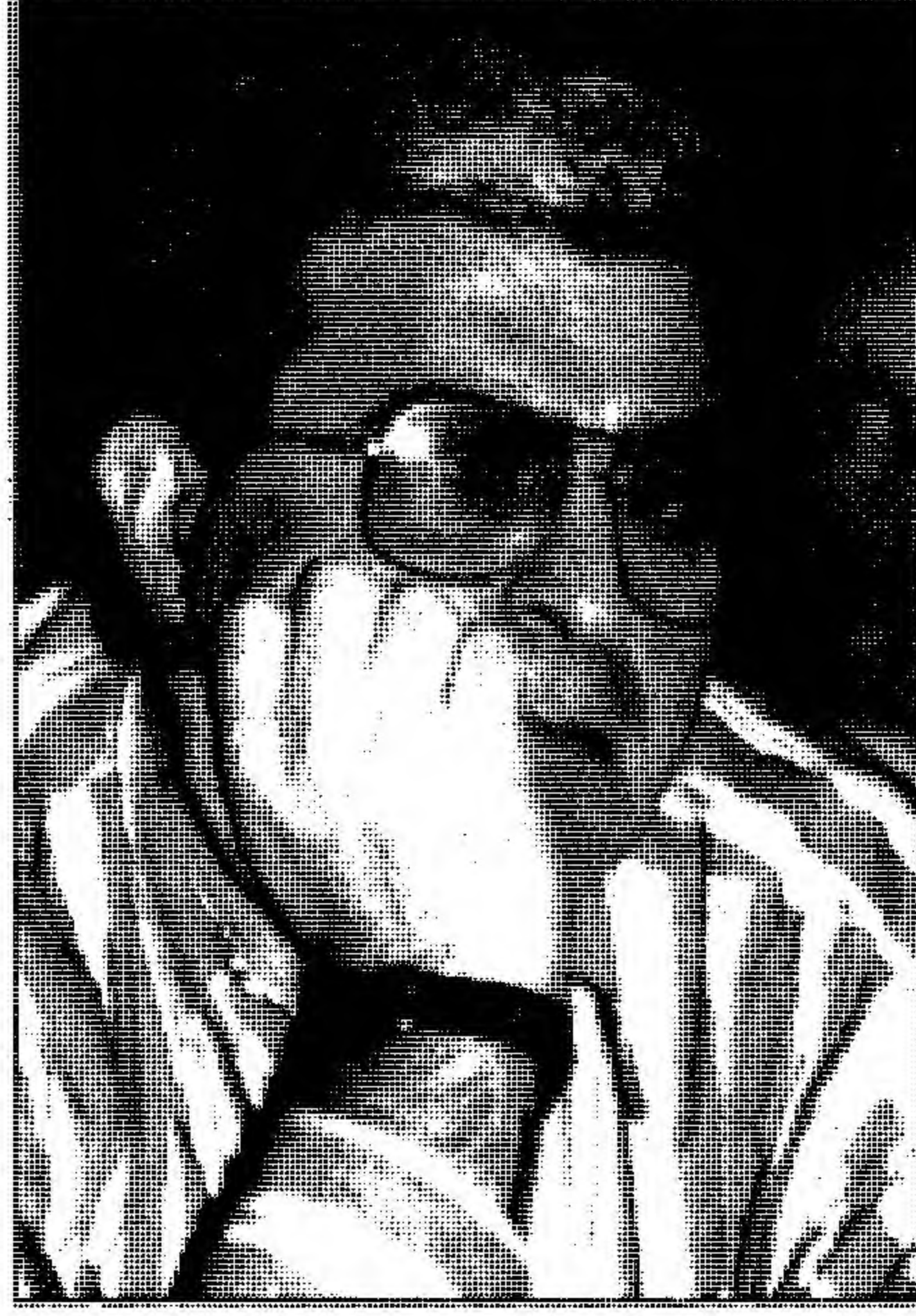
وعلى أنقاض هذا «التحالف»، أعلن عن قيام حركة أخرى مشابهة باسم «حركة السلام» المصرية (راجع التالي).

«حركة السلام» المصرية: أعلن، رسمياً، وبترخيص رسمي، في القاهرة، في نيسان ١٩٩٨ وقبل أيام من الذكرى الخمسين لإنشاء اسرائيل، عن قيام هذه الحركة وهي الأولى في نوعها في العالم العربي. تضم في صفوفها عدداً من السفراء السابقين مثل أمينها العام صلاح بسيوني الذي شغل منصب سفير مصر في الولايات المتحدة (١٩٩٧)، إلى جانب ٣٠ شخصية مصرية عامة من صحافيين وعلماء وقضاة.

وهذه الحركة هي حصيلة اللقاءات التي سبق ان عقدت العام الفائت (١٩٩٧) في كوتنهاغن (راجع

الرئيس المصري حسني مبارك مستقبلاً موردخاي بار أون (الي يمين الصورة) ممثلاً حركة «السلام الآن» الاسرائيلية، ولطفي الخولي ممثلاً حركة «السلام الآن» المصرية (حزيران ١٩٩٨).





إلياس خوري.

الموجهة إلى المثقفين العرب اليهود من غير إسقاط المحاور التي كانوا سيتحدثون فيها. وقد جرى تفضيل هذا الحل أمام تأكيدات من كثيرين بالحضور، خصوصاً من جانب الشاعر محمود درويش الذي أراد أن تكون بيروت محطة الأولى بعد شفائه من عملية جراحية أجراها قبل أيام. كما تمّ الإبقاء على أهم أغراض ومحاور البرنامج، وفي طليعتها عرض نتائج ثقافية فلسطينية شاملة، أو عربية معنية بالقضية الفلسطينية (مسرح، ملصق، سينما، شعر، أدب، موسيقى...)، ويكفي استعراض الأسماء المشاركة مباشرة أو بواسطة أعمال لها أو منها للتأكد من ذلك: حبيب صادق، شفيق الحوت، عبد الرحمن منيف، توفيق صالح، غسان كنفاني، مارسيل خليفة، ألان غريش، كميل منصور، السيد يسن، فؤاد مغربي، أنيس صايغ، جورج فرح، برهان غليون، محمود أمين العالم، أحمد خليفة، إبراهيم أبو لغد، بول سالم، محمد علي الخالدي، سعد الله ونوس، جواد الأسدي، جان جينييه، حيدر عبد الشافي، مارك أليس، سمير قصير، إقبال أحمد، إريك رولر، غسان تويني، إدوارد سعيد، ربيع مروة، ضياء العزاوي، حليمة بكار، أدونيس، سعدي يوسف، محمود درويش، وغيرهم. كما تمّ التأكيد على أهم أغراض الندوة، وهو الاهتمام بضخ عنصر نقدي في هذه المراجعة الشاملة يتناول موضوعين: الأول، المسؤولية العربية في مسدّ الكيان

السلام مع سورية ولبنان على خلفية القرارات الدولية، واستناداً إلى مفهوم الانسحاب الكامل مقابل السلام الكامل.

ندوة بيروت الخاصة بـ«اليهود العرب: الجذور والتهجير» (مناقشة): هي ندوة من ندوات أو برنامج حوارى نظمه مثقفون لبنانيون، في طليعتهم إلياس خوري، فواز طرابلسي، ومحمد سويد، بالتعاون مع جريدة «النهار» ومع «دار الآداب»، يمتد من ٨ نيسان حتى مطلع تموز ١٩٩٨ واختاروا له شعار «خمسون سنة نكبة ومقاومة» (شكلت بيروت العاصمة العربية الوحيدة التي دعت إلى إحياء ذكرى النكبة بتدريسها وأخذ العبر منها). ولقد دُعي إلى هذه الندوة، أي الندوة الخاصة بـ«اليهود العرب: الجذور والتهجير»، كتاب ومفكرون يهود ولدوا وعاشوا في البلاد العربية ومحتفظون بجنسية هذه البلاد: سليم نصيب (لبنان)، جاك حسّون (مصر)، إبراهيم صرافاتي وادمون عمران المليح (المغرب). وهؤلاء المفكرون الذين تقرّر أن يشاركوا في الندوة لا يمثلون «الآخر» وتاريخهم يؤكد ذلك. وحضورهم إلى العاصمة اللبنانية كان تحديداً لتبيان هذه الحقيقة، وكشف المساومات التي جرت على حسابهم عشية النكبة، وخلال السنوات التي تلتها حين لم تزدد حكومات عربية في «بيعهم» إلى الكيان الصهيوني، حسب تعبير الكاتب اليهودي العراقي سمير نقاش.

وسرعان ما هبت في وجه الندوة المقررة معارضة شديدة تميزت بنبرة التهديد والوعيد والارهاب وتخوين منظمي الندوة (علمًا أنهم من أصحاب المواقف الحاسمة في الدفاع عن القضايا الوطنية والقومية)، وكان المبادر في هذه الحملة الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كتب رئيس مجلس العمدة فيه -جناح الطوارىء، انطوان غريّب، مقالة بعنوان «إلياس خوري، نأسف لمنحك جنسيتنا». ثم انضمت إلى هذا الحزب «حركة فتح-المجلس الثوري» (أبو نضال) الذي ذكر أحد مسؤوليه «كيف كانت بوابات اتصالات عرفات مع اليهود تحت غطاء اللقاءات مع يهود يساريين وتقدميين، وكانت النتيجة أنها جرّت إلى أو سُلر» (علمًا أن المفكرين اليهود المدعويين إلى الندوة هم يهود عرب معادون لإسرائيل والصهيونية، ولم يتمكن أصحاب حملة معارضة الندوة وتهديد منظميها من الاتيان ببرهان واحد-بعبارة واحدة مثلاً كتبها هؤلاء المفكرون أو أدلوا بها- يُثبت أي ارتباط لهم بإسرائيل أو الصهيونية، سوى أنهم يهود دينًا). وكانت النتيجة أنه تمّ سحب الدعوة

المسلم وتبيده لمجرد كونه مسلماً، وهذا «الموقف» الذي ينبذ اليهودي لمجرد كونه يهودياً؟ ولماذا إذن تفاجأ وتحتج، عندما يُرفض العربي أو يُنبذ، في الدوائر العنصرية الغربية، لمجرد كونه عربياً؟».

(مراجع هذه المادة الفرعية: حواران أجرتهما «الوسط»، العدد ٣٢٦، تاريخ ٢٧ نيسان ١٩٩٨ مع أنطوان غريب والياس خوري؛ ومقالة أدونيس في «الحياة»، العدد ١٢٨٥٤، تاريخ ١٤ ايار ١٩٩٨؛ متابعة المؤلف لجريبات أمور الندوة بما فيها حضوره ندوة كلية الآداب، الفرع الاول-الجامعة اللبنانية، تحت عنوان «فلسطين في موضوعات النهوض العربي» التي اشترك فيها محمد سويد، أحد منظمي ندوة بيروت، إلى جانب السيد محمد حسن الأمين والدكتور أحمد بر ملحهم).

الحوار العربي-الاوروبي: في ٦ تشرين الثاني ١٩٧٣، بادرت الدول الاوربية التسع الاعضاء في السوق الاوربية المشتركة (أصبح عددها ١٥ دولة بدءاً من ١٩٩٥ في ما أصبح يعرف بـ«المجموعة الاوربية» أو «الاتحاد الاوروبي»، راجع «اوروبا»، ج٣) إلى إصدار إعلان حول رغبتها في قيام حوار عربي-اوروبي. فبعد أن عدّد هذا الاعلان النقاط الرئيسية الواجب توافرها في أي حل لأزمة الشرق الاوسط، وأبرزها ضرورة «الاعتراف بالحقوق المشروعة للفلسطينيين في أية عملية إقامة سلام عادل ودائم»، و«عدم جواز ضم الاراضي بالقوة»، اشار في فقرته الخامسة إلى ان حكومات دول المجموعة الاوربية التسع تذكر بمختلف العلاقات التي تربط، عبر تاريخ طويل بلدان الضفة الجنوبية من البحر المتوسط ببلدان الضفة الشرقية، وتؤكد ان المجموعة الاوربية مصممة على التفاوض مع هذه البلدان (أي البلدان العربية) من أجل التوصل إلى اتفاقيات مشتركة معها في إطار شامل ومتوازن.

وقد ردّ مؤتمر القمة العربية السادس في الجزائر (تشرين الثاني ١٩٧٣) على هذه البادرة ببيان خاص موجه إلى اوروبا سجل فيه المؤتمرون اهتمامهم بالبوادر الاولى التي أظهرتها دول اوروبا الغربية نحو تفهم أفضل للقضية العربية. وقد شدّد بيان القمة على ان اوروبا متصلة بالبلدان العربية، عبر البحر الابيض المتوسط، بروابط حضارية ومصالح حيوية لا يمكن لها ان تتطور وتنمو إلا في إطار تعاون قائم على الثقة والمنفعة المتبادلة.

غوريون في مذكراته ان دولة اسرائيل حين نشوئها كان فيها ٦٠٠ ألف يهودي، أما التأسيس الثاني لدولة اسرائيل فتمّ عبر تهجير اليهود العرب إلى اسرائيل. لذا أحببنا طرح السؤال الكبير بواسطة هؤلاء المفكرين. ولماذا أكثر من نصف سكان اسرائيل هم حالياً يهود عرب؟ لماذا غدّى العالم العربي الآلة العسكرية الاسرائيلية بهذا الكم الهائل الذي يفترض ان تستوعبه مجتمعاتنا القائمة على تعدد الأديان منذ أيام الرسول، ولم تكن فيها أقليات دينية عملنا على تصفيتها كما فعلت أوروبا عند نشوء الدولة القومية. إن الفكرة الكامنة وراء هذه الندوة وكل ندوات البرنامج، هي ان الفكرة الصهيونية فكرة عنصرية دينية، وإذا تقبلت مجتمعاتنا العربية تقليد النموذج الاسرائيلي ساعته ندمر مجتمعاتنا، وعملية تقديم نموذج مضاد جوهرياً للنموذج الاسرائيلي، وهي الطريقة الوحيدة للوقوف في وجه الاحتلال الاسرائيلي العنصري والمجهز والمتطور عسكرياً وبملك أكثر من مئة قنبلة نووية! هكذا كانت فكرتنا عن الندوة، لكن فرجت بالافكار التي طرحت وما حملته من عنصرية. ولعل الندوة التي ستعقد كشفت خللاً كبيراً في الثقافة العربية، إذ يفترض بنا ان نعي أخطار بقايا الفكر الفاشي المتغلغل في رؤوسنا والذي لن يودي بنا إلا إلى الهاوية».

أما أدونيس فكتب («الحياة»، العدد ١٢٨٥٤، ١٤ ايار ١٩٩٨، ص ١٩) يقول: «إن أصحاب هذا «الضغط» (أي الذين حملوا علي ندوة بيروت وتوصلوا إلى منعها) لا يتوقفون، ولو قليلاً، للتأمل، والتساؤل، ولا يأبهون للمفارقة التي يُوقعهم فيها موقفهم هذا. فهم يرسمون خط الصراع مع اسرائيل في مستوى ديني، لا في مستوى قومي. بل إنهم، في ذلك، يحجبون المستوى الفكري الوطني-القومي للصراع، بحيث توضع القضية برمتها في إطار صراع الأديان، وتصبح استمراراً للصراع الديني-المسيحي-اليهودي الذي عرفته اوروبا، وتحملنا نحن نتائجه، ودفعتنا منه. بل إن «منطقهم» يقودهم إلى تسريح الصهيونية نفسها، وإلى إعطائها الشرعية والمصدقية. فلنكن كنا لا نعترف لكل يهودي بانتمائه إلى الجنسية التي يحملها، والبلد الذي ينتمي إليه بالولادة، ونصر على ان نأهيه باسرائيل، أفلا يقودنا ذلك إلى النظر لكل يهودي بوصفه اسرائيلياً؟ وإلى النظر إلى اسرائيل بوصفها وطناً لكل يهودي؟ أفلا ندعم بذلك الصهيونية التي نقاومها... وهي التي تقوم على هذه الافكار التي تشكل نواتها النظرية (...). أخيراً، ما الفرق بين موقف الميليشيات الصربية التي تنبذ

بعد هذا التبادل العلني في المواقف والنوايا، بدأت الاجتماعات المشتركة لتجسيد الحوار العربي الأوروبي في أطر وقنوات مؤسساتية. ففي أثناء انعقاد مؤتمر القمة الأوروبية في كوبنهاغن (١٠-١٤ كانون الأول ١٩٧٣)، اجتمع وفد عربي من أربعة وزراء عرب كان مؤتمر قمة الجزائر قد أوفدهم بغرض بدء الحوار، برئيس المجموعة الأوروبية. وقد تمّ في هذا الاجتماع الاتفاق على تنمية التعاون المالي والتكنولوجي والاقتصادي والثقافي البعيد المدى بين أوروبا والعالم العربي. وفي ١٤ شباط ١٩٧٤، صادق مجلس المجموعة الأوروبية على مبدأ الحوار العربي الأوروبي. وقد تمّ أول اجتماع رسمي على المستوى الوزاري في باريس في تموز ١٩٧٤ بين وزير خارجية الكويت والأمين العام للجامعة الدول العربية من جهة، ورئيس لجنة المجموعة الأوروبية ورئيس السوق الأوروبية المشتركة من جهة ثانية. وتمّ في ذلك الاجتماع وضع الأسس التنظيمية والاجرائية للحوار. وقد تبع ذلك عدة اجتماعات، إلا أنها كانت تصطبغ جميعها برفض الأوروبيين دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في الحوار، فتوقف الحوار مؤقتاً. ثم اتفق في اجتماع لاحق عقد في دبلن على أن يشترك في الحوار وفدان فقط، أحدهما عربي والآخر أوروبي، دون تحديد لجنسية الأعضاء ولا لصفة التمثيل. وقد قبلت الجامعة العربية ذلك في ٢٦ نيسان ١٩٧٥، وطلبت من الأمين العام للجامعة العربية ومن الدول العربية ومن منظمة التحرير الفلسطينية تعيين خرائها في الوفد العربي الموحد. وقد عقد أول اجتماع عربي-أوروبي للحوار على مستوى الخبراء في القاهرة (١٠-١٤ حزيران ١٩٧٥)، ثم تبعه اجتماع روما (٢٢-٢٥ تموز ١٩٧٥)، ثم اجتماع أبو ظبي (٢٢-٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٥). بعد ذلك، بدأت الاجتماعات على المستوى السياسي، فعقد أول اجتماع لـ«اللجنة العامة للحوار العربي الأوروبي» في لوكسمبورغ في ١٨-٢٠ أيار ١٩٧٦، ثم تبعه اجتماع آخر في دمشق في ٩-١١ كانون الأول ١٩٧٨. إلا أن كل هذه الاجتماعات لم تؤد إلى حوار مثمر، لا بل إن الحوار بدأ شبه متوقف رغم الاجتماعات الروتينية التي استمرت تعقد بين حين وآخر، منها اجتماع روما، شباط ١٩٨٠ (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٢، ط ١، ١٩٨١، ص ٥٩١-٥٩٢).

إن السبب الأساسي الكامن في شلل هذا الحوار هو أن انطلاقته، وكذلك موضوعات مساره، كان الجانب

الأوروبي يركز فيها على الاقتصادي، وخاصة البترول، ذلك أن هدف الأوروبيين كان الحد من حركة ارتفاع سعر البترول وضمان الحصول عليه. وفي ظل حال الكساد التي شهدتها الدول الأوروبية خلال سنوات ١٩٧٥-١٩٧٧ (عقب ارتفاع أسعار البترول في ١٩٧٤) وما ترتب عليها من ثبات الطلب على البترول خلال السنوات المذكورة، ولجوء هذه الدول إلى التنسيق فيما بينها في إطار وكالة الطاقة الدولية، كل هذه العوامل دفعت الدول الأوروبية إلى رفض الاستجابة لمطالب دول العالم الثالث، وخاصة الدول البترولية. هذا إضافة إلى أن مضمون الحوار العربي الأوروبي لم يهتم جميع الأطراف العربية بالقدر نفسه. فالدول العربية البترولية كانت أكثر من سواها حماساً لهذا الحوار، ما يفسر اللقاءات المتعددة، منذ توقف الحوار العربي الأوروبي، بين هيئات أوروبية ومجلس التعاون الخليجي، آخرها اجتماع الاتحاد الأوروبي وهذا المجلس في لندن في ٢٩ نيسان ١٩٩٨. وقد مثل الاتحاد الأوروبي، في الاجتماع، وزير الخارجية البريطاني روبن كوك الذي تتولى بلاده الرئاسة الدورية للاتحاد. وهدف الاجتماع إلى تعزيز العلاقات بين التجمعين الإقليميين، إلى البحث في عدد من القضايا ذات الاهتمام المشترك مثل إيران والعراق وعملية السلام في الشرق الأوسط.

والجدير ذكره أن استمرار شلل الحوار العربي الأوروبي (وتوقفه دون الاعلان عن ذلك) أدت إليه جملة المتغيرات الدولية الكبرى بدءاً من أواسط الثمانينات. فحلّت في الحوار تجمعات إقليمية محل تجمع «العالم العربي» وعلى حسابه، مثل «الخليجي»، أو «المغاربي»، أو «المتوسطي» أو «الشرق أوسطي» (راجع هذه المواد في مواضعها من الموسوعة)، خصوصاً وأن الاتحاد الأوروبي لم يضع إطاراً آخر للعلاقة مع الدول العربية منذ توقيع اتفاقية التعاون المشترك مع دول مجلس التعاون الخليجي في ١٩٨٨، إذ باتت العلاقات الأوروبية مع الدول العربية تنضوي تحت ما يعرف باسم «سياسة الاتحاد الأوروبي في البحر المتوسط»، التي أعيد بلورتها في المؤتمر الأوروبي-المتوسطي الذي انعقد في مدينة برشلونة الأسبانية في تشرين الثاني ١٩٩٥، إضافة إلى اتفاقات الشراكة التي تعقدتها مع كل دولة عربية على حدة على رغم أن الهدف المعلن منها هو إقامة منطقة إزدهار اقتصادي مشتركة على ضفتي المتوسط.

لكن كل هذا لا يعني أن الحوار العربي الأوروبي قد توقف أو انقطع تماماً. فاستمراره في مدينة طليطلة

نزع شامل للسلحاح النووي وان تضع حدًا لكل التجارب النووية (البند السادس).

- ونصت المعاهدة، التي حددت فترة سريانها بـ ٢٥ عامًا، على انه بحلول العام ١٩٩٥ سيترتب على الدول الاعضاء ان تقرر ما اذا كانت ستمدد العمل بها إلى أجل غير محدد أو إلى فترة محددة. ويمكن ان يتخذ القرار بالاجماع أو بغالبية الاصوات.

ومع انقضاء المهلة، نظمت الأمم المتحدة مؤتمراً حول المعاهدة بين ١٧ نيسان و١٢ ايار ١٩٩٥، ولم يكن هناك أي تأييد في المؤتمر لإلغاء المعاهدة، ومدد العمل بها. قبيل المؤتمر، وأثناءه، قادت مصر موقفاً عربياً (وعالمياً) إلى حد ما إزاء رفض تجديد المعاهدة، وعقد اجتماع قمة ثلاثي ضم مصر وسورية والسعودية، ثم تلتها خطوة أخرى في اجتماع وزراء خارجية دول «إعلان دمشق»، وموافقتهم على الاقتراح المصري الذي يربط بين التوقيع العربي على المعاهدة وتوقيع اسرائيل، وتلت ذلك موافقة علنية من السودان والعراق وليبيا ولبنان واليمن والاردن.

أما الجامعة العربية فقد أكد أمينها العام الدكتور عصمت عبد المجيد ان الجامعة تؤيد الموقف المصري، وان هذه المسألة مسألة عربية. لذلك تقرر تشكيل لجنة فرعية لاعداد تقرير لجعل منطقة الشرق الاوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل بتأييد عربي، وبتأكيد رفض جامعة الدول العربية استثناء اسرائيل من التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية لأن الترسانة النووية الاسرائيلية تهدد استقلال العرب وأمنهم، ومطالبتها (الجامعة العربية) بضرورة إخضاع اسرائيل للتفتيش حرصاً على السلام في المنطقة.

ازدادت، خلال نحو أربعة شهور وفي أجواء مؤتمر الأمم المتحدة والتوقيع على تجديد المعاهدة، الضغوط الاميركية على مصر والدول العربية التي تعرضت لحملة عنيفة من الاعلام الاميركي أثّرت في خضمها ثلاث أوراق: ورقة استمرار العلاقات المصرية-الليبية واعتبار الأمر خرقاً من مصر لقرارات مجلس الأمن؛ والثانية ورقة عدم جدوى استمرار المعونة الاميركية لمصر طالما أن هذه الأخيرة على موقفها من مسألة المعاهدة النووية؛ والورقة الثالثة متعلقة بإثارة الدوائر الرسمية الاميركية لقضية حقوق الانسان من خلال إلقاء الضوء على ما يحدث في مصر من تجاوزات حسب تقرير الخارجية الاميركية السنوي. وبدأ التراجع في الموقف يُتلمس من خلال الدورة

(توليد) الاسبانية، وبالشكل الذي يستمر به، دلّ على انه انتقل من النطاق الرسمي إلى النطاق شبه الرسمي والخاص. ذلك ان المدينة تشهد سنوياً ومنذ ١٩٩٢ دورات للحوار العربي الاوروبي تنظمها جامعة «كاستيلا لا مانتشا» بالاشتراك مع مدرسة المترجمين في طليطلة. وهذه الدورات تعتبر، حالياً، الاطار الوحيد الذي يقوم بمهمة قناة التفاهم بين ثقافتين مختلفتين، بل وفي كثير من الاحيان متناقضتين. فأهمية هذا اللقاء الحواري المستمر في شكل ثقافي باعتباره القناة الوحيدة التي تتعامل مع العرب ككل، أي كبلدان منضوية تحت لواء ومسمى واحد هو جامعة الدول العربية. ودورة طليطلة الخامسة عقدت في ٢٣ و ٢٤ تشرين الاول ١٩٩٧، وظهرت فيها هوة واسعة بين ما يهدف إليه العرب وما تبحث عنه اوروبا في هذا الحوار، حين ركز الجانب الاوروبي، الذي يمثله اسبانيا، على أهمية التعاون الاقتصادي والسياسي والأمني بين اوروبا والدول العربية، مشدداً على أهمية التنسيق الأمني مع الدول العربية المطلة على البحر المتوسط باعتبارها المنفذ الخطر الذي يهدد الدول الاوروبية بعد انتشار المجرمة غير الشرعية عبر منافذ معروفة في شمال افريقيا (الشواطئ المغربية المطلة على مضيق جبل طارق). وكان الجانب العربي يبحث في تعاون أبعد من «التنسيق الأمني» المغلف بشعارات التعاون الاقتصادي والسياسي الذي تحاول اوروبا فرضه دائماً على الجانب العربي». وكان محور حديث ممثل الجامعة العربية محمد العربي الداودي التركيز على أهمية القضية الفلسطينية التي تعتبر القضية المحورية للعالم العربي.

الموقف العربي من «معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية»: دخلت هذه المعاهدة حيّز التنفيذ في ٥ آذار ١٩٧٠ لمدة ٢٥ سنة، وبلغ عدد الدول التي وقعت وصادقت عليها ١٧٨ دولة. وبين الدول التي لم تنضم إليها اسرائيل والهند وباكستان.

تلتزم المعاهدة كل الدول الاعضاء، باستثناء القوى النووية الخمس، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي (روسيا حالياً) وبريطانيا وفرنسا والصين، ان تمتنع عن حيازة الاسلحة النووية (البندان الاول والثاني)، وان تقبل إجراءات الرقابة على كل المنشآت النووية من قبل وكالة الطاقة النووية (البند الثالث)، وتضمن للدول التي لا تملك أسلحة نووية إمكان استخدام التكنولوجيا النووية لأغراض سلمية (البندان الاول والخامس)، في حين تلتزم الدول المالكة للأسلحة النووية ان تتفاوض بـ «حسن نية» لتحقيق

١٠٣ مجلس الجامعة العربية (٢٣ آذار ١٩٩٥) بقرار يعكس «التمسك بثوابت ومبادئ محددة في ما يتعلق بمد سريان المعاهدة الدولية لخطر انتشار السلاح النووي من دون تحديد موقف بشأن قبول الدول العربية التوقيع أو عدم التوقيع على التجديد للمعاهدة في حال استمر الرفض الاسرائيلي للاتضمام إلى هذه المعاهدة». فكانت النتيجة أن وقعت غالبية الدول التي كانت وقعت على المعاهدة في الأساس، بما فيها الدول العربية، واستثنيت اسرائيل من التوقيع، علماً أن هذه الأخيرة تمتلك سلاحاً نووياً أكدته مراكز البحث الدولية المتخصصة ونشرت عنه في دورياتها سواء في لندن أو في السويد، وأصبحت هذه المعلومات على درجة عالية من اليقين. وتؤكد هذه المصادر أن حجم ما لدى اسرائيل من قنابل نووية يتراوح ما بين ١٠٠-٢٠٠ قنبلة، إلى وجود قدرات التصنيع ومواد الخام الماهرة لمزيد من الصنع، إلى إنتاجها أسلحة كيميائية وبيولوجية وأسلحة استراتيجية أخرى تستطيع بها أن تصل إلى معظم العواصم العربية.

موضوعات في العلم والتكنولوجيا

الوضع الحالي للجامعات العربية: عن تقرير يحمل عنوان The Higher Education System in The Arab States صادر عن المكتب الاقليمي العربي للأونيسكو (١٩٩٦)، ومقره في القاهرة:

- عدد الجامعات العربية تضاعف ١٥ مرة في أقل من نصف قرن، فأصبح ١٣٢ جامعة تضم ٩٥٧ كلية في علوم الطبيعة والهندسة والعلوم الانسانية والاجتماعية. وثلاث عدد الجامعات نشأ خلال الـ ١٥ سنة الماضية (١٩٨١-١٩٩٦)، ونصف الكليات خلال العقد الماضي. فيما ارتفع عدد المعاهد التقنية العالية إلى ٣٥٩ معهداً. وأهم المشكلات التي تعاني منها هذه الجامعات: الاكتظاظ بالطلاب، شحة المراجع، فقر المكتبات، تداعي المعدات المختبرية وانعدام التفاعل مع الجامعات والمراكز العلمية العالمية. فبقاء هذه الجامعات العربية كمراكز تعليمية فعالة، في عصر الثورة التكنولوجية التي انتجت تقنيات الكمبيوتر والأنترنت، يتوقف على تجهيزها بهذه التقنيات.

- شهد نظام تعليم العلوم والهندسة خلال ١٩٨٠-١٩٩٣ تطورات إيجابية عدة، لكنه كشف عن جوانب ضعف خطيرة. ومع أن عدد أقسام العلوم

والتكنولوجيا في الكليات تضاعف مرتين خلال هذه الفترة، إلا أن هذا النمو الذي جرى في أقسام ثلاثة هي العلوم الأساسية والهندسة والزراعة اتجه نحو التماثل وليس التنوع. - بلغ مجموع الطلاب الجامعيين (في السنة الدراسية ١٩٩١-١٩٩٢) نحو ٢,٥ مليون طالب، وبلغت نسبة طلاب المعاهد والكليات التقنية بينهم ١٦٪. الزيادة في عدد الطلاب بين ١٩٨٠ و ١٩٩٣ بلغت نسبة ٧٪ في حين ازداد الانفاق على التعليم العالي بمعدل ٥٪ سنوياً. ولا تزال المعاهد التقنية تجتذب عدداً قليلاً من الطلاب لا تزيد نسبتهم عن ١٥٪ من مجموع الطلاب العام. ولا تزال نسبة طلاب الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه أقل من ٦٪. ومع أن تحسينات عدة طرأت على الهيئات التدريسية في الجامعات العربية فإن البحث العلمي فيها تقلص من ٧٪ عام ١٩٨٥ إلى ٥٪ عام ١٩٩٢ (من المفيد جداً أن نشير هنا، كم أن النسبتين الأخيرتين اللتين وردتا في تقرير المكتب الاقليمي لليونسكو والمتعلقين بتقلص البحث العلمي-والتأليف- من ٧٪ في ١٩٨٥ إلى ٥٪ في ١٩٩٢، سليتان وخطيرتان. «إذ نكتشف، بالارقام، كم أن تقصيرنا كبير في مجال البحث والتأليف- الدراسات وإصدار الكتب-فإنناج العناوين الجديدة الذي بلغ العام ١٩٩٦ في بريطانيا ٩٥٠١٥ كتاباً، وفي فرنسا ٤٥٣١١ كتاباً، وفي اسبانيا ٤٤٢١٦ كتاباً، وفي هولندا ٣٤٠٦٧ كتاباً، وفي بلجيكا ١٣٩١٣ كتاباً، لم يبلغ في مجمل البلدان العربية سوى ٨١٧١ كتاباً. أي أن مجموع العناوين الجديدة التي انتجها العالم العربي بأسره هي أقل بكثير مما أنتجه أصغر بلد أوروبي لوحده»، عن فردريك معنوق، «الحياة»، العدد ١٢٧١٥، تاريخ ٢٢ كانون الاول ١٩٩٧، ص ٩).

التكنولوجيا والبحث العلمي (مقارنة مع اسرائيل): شهد عقدا الثمانينات والتسعينات طفرة هائلة في انتشار أجهزة الكمبيوتر وتطبيقاتها الميسرة في البلاد العربية. وهذا الانتشار بدأ بشكل مطرد منذ مطلع الستينات، وتزايد مع زيادة الفوائض النفطية. وفي بداية التسعينات شكلت الدول العربية سوقاً كبيرة لتجهيزات الكمبيوتر وبرامجه، وتزايد الطلب على الكمبيوتر الشخصي. وقدّر سوق الكمبيوتر العربية بنحو ٨٤٠ مليون دولار سنوياً.

التكنولوجيا العربية، عموماً، ما زالت في فترة حضارة. فباستثناء بعض الصناعات الخفيفة والنفطية والكيمائية المحدودة، تستورد الدول العربية كل ما تحتاجه

القوة تضم غريجي الجامعات المتخصصة كما ان عدد العلماء والمهندسين بين كل ١٠ آلاف من افراد تلك القوة يبلغ ضعف عددهم في كل من الولايات المتحدة واليابان. وزادت هجرة أكثر من ١٠٥ مليون من اليهود «السوفيات» إلى اسرائيل (بين ١٩٩٠ و ١٩٩٥) من مكائنها التكنولوجية. ففي بداية هذا العقد (أي في ١٩٩٠) كان حوالي ٥٠ ألف أكاديمي يعملون في مجال البحوث والتطوير. وبحسب اليهود السوفيات زاد العدد أكثر من ١٠ آلاف، لأن عدد العلماء بين كل ١٠٠ ألف مهاجر كان يزيد على ١٥٠٠ (٠٠٠) ونجحت اسرائيل، أكثر من غيرها من البلدان (بما فيها الولايات المتحدة) في الانتقال الصعب من التكنولوجيا الدفاعية إلى المنتجات المدنية... («الوسط»، العدد ١٧٠، تاريخ أول ايار ١٩٩٥، ص ١٢).

العلماء والتكنولوجيون العرب في الخارج: منذ

عقود عدة والعالم العربي يعاني من استمرار هجرة الأدمغة وتفاقمها، بحيث باتت تبدو كهجرة جماعية للنخبة، وقسرية بالنسبة إلى الغالبية العظمى منها نتيجة للاوضاع السياسية أو الضغوط الاجتماعية والاقتصادية الخائفة، وأكثر من ٩٥٪ من العلماء والناخبين والباحثين والمتخصصين العرب يقصدون للعمل والاقامة في الولايات المتحدة وأوروبا. وفيما يلاحظ حرص اسرائيل واهتمامها البالغ على استقطاب العلماء والخبراء والناخبين اليهود المنتشرين في العالم، يلاحظ، في المقابل، عدم الاكتراث العربي بتزايد هجرة الأدمغة العربية واستقرارها في الخارج هرباً من البطالة والفقر وضيق الأفق العلمي والثقافي، لا بل من سوء المعاملة إلى حدّ الاهانة التي باتت يستشعرها العالم والخبير والباحث والثقاف في تفاصيل حياته اليومية وهو في مجتمعه. منذ أكثر من عقدين والدراسات الجلادة المدعومة باحصاءات دقيقة عن وضعية الادمغة العربية المهاجرة غائبة. أما الدراسات والاحصاءات التي لا يزال يُعتمدُ بها ويتكرر نشرها في أغلب الأحيان فتعود إلى الفترة ١٩٦٢-١٩٧٦، وأشهرها تلك التي وضعها الخبير الدكتور أنطون زحلان («السكان والتنمية في الشرق الاوسط»، بغداد، قسم التنمية الاجتماعية والسكان، اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا-الأمم المتحدة، ١٩٨٤)، ومنها الاحصائية المثبتة في سياق هذا الكلام التي تبين أن ٢٣٠٩٥ كفاءة عربية موزعة على أخصائيين وفنيين ومهندسين وعلماء طبيعة وأطباء هاجروا إلى الولايات المتحدة في الفترة ١٩٦٢-١٩٧٦.

من تكنولوجيا متقدمة، وحاجتها إليها تزداد يومياً، في حين أن إنفاقها على البحث العلمي لا يزيد على واحد في الألف من دخلها القومي.

التكنولوجيا والبحث العلمي في اسرائيل تبدو معاكسة تماماً للصورة العربية، والفجوة بين الصورتين تزداد اتساعاً، خاصة مع مسار مفاوضات السلام والتطبيع. إذ سيوفر هذا المسار لاسرائيل البلايين من الدولارات التي كانت تنفقها على البرامج العسكرية لانفاقها على تطوير صناعاتها التكنولوجية وتحويلها إلى منتجات استهلاكية.

«إن مصادر القوة والثروة هذه الأيام عالمية أكثر منها قومية، وفكرية أكثر منها مادية. إذ إن حجم الأراضي وعدد الناس وثروة المواد الخام لم تعد تقرر مصير الأمة، لأن مدى التعليم واستخدام التكنولوجيا والمعلومات الحديثة هي العوامل التي تحدث الفارق...» إن العلوم لا تعرف حدوداً جغرافية والتكنولوجيا لا تحمل رايات وطنية...» إذ حلت موهبة الابداع والبناء محل استراتيجيات الدمار وأصبحت أجهزة الكمبيوتر لا البنادق هي التي تحدث الفارق...» (من خطاب شيمون بيريز، وزير خارجية اسرائيل، أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، دورة خريف ١٩٩٥).

ونظراً إلى ان الاسواق الاقليمية كانت مغلقة في وجه اسرائيل، اضطرت إلى التنافس مع التكنولوجيا الغربية. ولو انها لم تستطع التصدير إلى الغرب لما أمكنها أن تطور أي صناعة. وكان عليها ايضاً ان تصل إلى مستوى تكنولوجي متقدم كي تستطيع منافسة التكنولوجيا الغربية في الاسواق العالمية. كانت هذه القوة الدافعة الأساسية وراء صناعات التكنولوجيا الاسرائيلية المتقدمة. ولكن اسرائيل لم تستطع تعبئة الاموال الضخمة ورؤوس الاموال اللازمة لقوتها العاملة التي كانت على مستوى جيد من التعليم إلا بعد حرب حزيران ١٩٦٧، حين بدأت المساعدات العسكرية والاقتصادية الأميركية تتدفق عليها بكميات ضخمة.

تنفق اسرائيل «على البحوث والتطوير ٣٪ من حجم إنتاجها (الدول العربية واحد بالألف) وهي نسبة أكبر مما تنفق أي دولة في العالم بما في ذلك الولايات المتحدة واليابان. ويأتي إنفاقها على التعليم في المرتبة الثالثة بعد الدفاع وتسديد الديون...» وساعدت في تطوير صناعة التكنولوجيا الاسرائيلية المتقدمة-من ٤٠٠ مليون دولار في ١٩٧٥ إلى أكثر من ٤ مليارات دولار في ١٩٩٥- القوة العاملة فيها. إذ إن نسبة ١٥٪ من هذه



منير نايفة (الى اليمين) والطوان زحلان واسامة الخولي.

العلماء العرب في حقل الفيزياء النووية والليزر في الولايات المتحدة، أجاب «الوسط» (العدد ١٨٨، تاريخ ٤ ايلول ١٩٩٥، ص ٣٥-٣٧) بالتالي:

«فكرة الشبكة نشأت العام ١٩٨٩ في لقاء مصغر عقدته في مدينة القاهرة مجموعة من العلماء العرب، وأبرزهم الدكتور علي عطية عبد الله، والدكتور ابراهيم بدران، وتحدثنا عن كيفية الاستفادة من خبرات والكفاءات العربية، فخرجنا بفكرة القيام بنشاط نحدد من خلاله تلك الكفاءات.

وبدأنا نفكر في الدولة العربية التي يمكن ان نبدأ بها هذا النشاط ورأينا ان الاردن قد يكون بلدًا وسطًا من ناحية جغرافية، وفيه مناخ علمي جيد إلى حد ما، وكانت الدولة قد بدأت سياسة وطنية تجاه العلم والعلماء، ولقينا ترحابًا مشجعًا خلال زيارة قمنا بها إلى عمان. وقابلنا هناك الدكتور هاني الملكي، والدكتور عبد الله طوقان اللذين أبديا اهتمامًا بالموضوع. فتلورت الفكرة على ان نقوم بمؤتمر عام ندعو إليه بعض العلماء العرب الموجودين في الخارج للتباحث والتشاور. وهكذا عقد المؤتمر الاول للعلماء العرب خلال ١٧-١٩ آب ١٩٩٠. وكان المؤتمر غير متخصص في حقل ما، إذ حضره علماء في الهندسة

أما الدراسة الأحدث حول إنتشار الأدمغة العربية في الخارج فهي الدراسة التي وضعتها «شبكة العلماء والتكنولوجيين العرب في الخارج» ASTA، واكتفت بإحصاء هؤلاء في معظم جامعات أميركا وكندا خلال ١٩٩٥، وتوصلت إلى النتيجة التالية:

- في الهندسة والعلوم التطبيقية: إجمالي الجامعات المحصية في أميركا وكندا ١١٨ جامعة، إجمالي عدد الأساتذة العرب ٤١٤.

- في العلوم الحياتية والزراعية: ١٥٠ جامعة، ١٧٩ استاذًا عربيًا.

- في الصحة: ٢٥ جامعة، ٥٢ استاذًا عربيًا.

- في العلوم والرياضيات: ٢٠٠ جامعة، ١٢٥ استاذًا عربيًا.

- في الاقتصاد وإدارة الاعمال والحاسبة والتسويق والمصارف والدعاية والاعلام والتجارة العالمية...: ١٥٣ جامعة، ١٠٦ استاذًا عربيًا.

وما هي «شبكة العلماء والتكنولوجيين العرب في الخارج» التي باشرت اعمالها رسميًا منذ ١٩٩٣؟ رئيسها الدكتور منير نايفه (مولود ١٩٤٥ في قرية شويكة، قضاء طولكرم في فلسطين) الذي يُعدّ من ألمع

جانب من المشاركين في الندوة «العرب والعولمة»،

بيروت ١٩٩٧، وبدا الى أقصى اليسار

النائب اللبناني عصام نعمان.



- لم يحقق العالم العربي خلال الـ ١٥ سنة الماضية أي نمو اقتصادي حقيقي على رغم ان حجم التوظيفات العربية زاد عن تريليوني دولار (الزليون يعادل ألف بليون أو ألف مليار). ويعود سبب عدم الحصول على مردود لهذا المبلغ الجسيم إلى افتقار جميع البلدان العربية إلى منظومة وطنية للعلوم والتكنولوجيا. وعدم وجود هذه المنظومة يعطل الاستفادة من القدرات العلمية والمهنية.

لكن ممّ تتكون هذه المنظومة وما دورها؟

- تتكون المنظومة العلمية التكنولوجية من شبكات وعمليات متنوعة تدعم وتدمج أعمال البحث والتطوير، وتنشئ المؤسسات الاستشارية الوطنية للهندسة والتصميم، وتطور المنظومة العلمية التكنولوجية لخدمات المعلومات والمقاييس والمواصفات، وتضع الأطر القانونية اللازمة لدعم النشاط الذهني العلمي، وتقيم المنظومة العلائق التي تدمج شبكات الجمعيات المهنية والعلماء الافراد بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية، وتحمي الملكية الذهنية للمخترعين، وتدافع في الوقت نفسه عن مصالح المستهلكين الذين قد يقعون ضحايا السلوك الاحتكاري والانتهاكات التكنولوجية. ويستحيل الاستفادة من العلوم والتكنولوجيا من دون بناء منظومة فعالة بهذا الصدد، ومكونات العلوم والتكنولوجيا لا تحقق النتائج المطلوبة لو تركت منعزلة إحداهما عن الأخرى، فالمنظومة هي التي تدمج نظام التعليم وعالم العمل والاقتصاد وتوفر فرص التدريب والتعلم أثناء العمل لوقف تدهور مهارات القوة العاملة البشرية.

- إن حجم للمهارات الهندسية والعلمية في العالم العربي يزيد على ٢٠ بليون دولار. هذه المهارات التي أنشأتها الثورة التعليمية العربية في الثلاثين عامًا الماضية يمكن أن تحسّن الأداء الاقتصادي العربي وترفع الانتاج الوطني وتقلل التبعية التكنولوجية وتزيد العمالة وتساعد على إنشاء سوق دولية للخدمات التكنولوجية العربية. وتملك الدول العربية، على رغم نزوح الأدمغة، ما يكفي من الجامعات والقدرات المهنية لتحقيق هذه الأهداف. فالقوة العاملة العربية تتكون من ٨٤ مليون شخص، بينهم ١٠ ملايين خريج جامعي. وتبلغ نسبة خريجي الفروع العلمية والتطبيقية نحو ٣٥٪، ويزيد عدد حاملي شهادات الدكتوراه في العلوم التطبيقية عن ٥٠ ألفًا. وقد تجاوز العالم العربي منذ فترة النقص الحرج في إعداد المهنيين. وحدثت قفزة في عدد الجامعات العربية من ١٠ جامعات فقط عام ١٩٥٠ إلى ١٧٥ جامعة عام ١٩٩٥. وفي ١٩٩٦ بلغ عدد المتحقيين بالجامعات العربية ٣ ملايين و ٢٠٠ ألف

والعلوم والطب، ومعظم التخصصات العلمية والتكنولوجية الأخرى. وانبثقت خلال هذا المؤتمر فكرة إنشاء شبكة للعلماء والتكنولوجيين العرب سجلت في الولايات المتحدة. واقترح ان يكون لها فرع أو مركز في الدول العربية. وبالفعل، وقع الاختيار على عمان إثر الاقتراح، وتقرر ان يستضيفها (أي الشبكة) المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا، على ان تكون هناك نقاط اتصال في الدول العربية الأخرى لتسهيل أعمال الشبكة.

أما عن كيفية الاتصال بالشبكة، فهناك مجلس أمناء مكون من ٩ أعضاء لهم تفصصات مختلفة ويوجدون في مواقع مختلفة في اميركا وكندا. ويمكن الاتصال بأي شخص منهم حسب جهة الاختصاص المطلوبة. أما المركز الدائم للمجلس فهو بالقرب من جامعة إيلينوي (في الولايات المتحدة) حيث يعمل الدكتور ابراهيم الحاج وشخصي.

العولمة تقدم فرصًا جديدة لتقدم العلوم والتكنولوجيا في العالم العربي: في كانون الاول ١٩٩٧، عقدت في بيروت «ندوة العرب والعولمة» (نظمها مركز دراسات الوحدة العربية) نوقشت فيها أبحاث ساهم فيها نحو ٨٠ من أبرز الخبراء العرب في السياسة والاقتصاد والثقافة، ووضعت أسس تعريف للعولمة معتبرة إياها «سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع والاموال والأفكار بين مختلف الدول على نطاق الكرة الأرضية». من الاوراق المقدمة كانت ورقة العالم المصري الدكتور أسامة أمين الخولي الذي يعد من أبرز الخبراء العرب في سياسات العلوم والتكنولوجيا. وقد استهل الخولي ورقته بقوله: «الأمر الذي يقلقني وأجد نفسي حائرًا في شأنه، وقد طعن بي السن وعشت عقودًا من الحديث والاستماع والقراءة والكتابة في هذا الموضوع، وهو لماذا وقفنا عند التشخيص وعقد المقارنات ولم ينجح جيل في حفز الرأي العام وأصحاب القرار لاتخاذ أي من الاجراءات التي ظللنا- وانطوان زحلان على رأسنا- ننادي بأهميتها وجدواها في الخروج من مأزق التعلف التقني».

أما بحث انطوان زحلان (باحث فلسطيني وخبير قضايا العلم والتكنولوجيا في العالم العربي) ساهم في تأسيس مراكز للعلوم والتكنولوجيا في بلدان عربية عدة، ومعروف عالميًا بكتبه عن أوضاع العلوم والتكنولوجيا في العالم العربي، وعمل استاذًا للفيزياء في الجامعة الأميركية في بيروت فترة عشرين سنة) فقد تضمن النقاط الرئيسية التالية:

المتوسط إلى ٢,٥٪ مقارنة مع معدل متوسط قدره ١,٨٪ للدول النامية و ٠,٤٪ للدول الصناعية.

وتشير الإحصائيات إلى أن عدد سكان العالم العربي كان في العام ١٩٠٠ نحو ٣٦ مليون نسمة، وأصبح في ١٩٥٠ نحو ٧٥ مليوناً، ونحو ١٦٤ مليوناً في ١٩٨٠، وخطى الـ ٢٣٧ مليوناً في ١٩٩٢.

توقع تقرير «وضع السكان العالمي ١٩٩٤» الذي يصدر عن صندوق الأمم المتحدة للسكان أن يبلغ عدد سكان العالم، في العام ٢٠٢٥، نحو ٨ بلايين و ٥٠٠ مليون، وعدد سكان المنطقة العربية نحو نصف بليون، أي أن واحداً تقريباً من كل ١٧ شخصاً في العالم سيكون عربياً. وسيحتل المصريون الذين سيبلغ عددهم ٩٣ مليوناً المرتبة الأولى في العالم العربي (سيكون واحد من كل خمسة عرب مصرياً)، يليهم السودانيون (٦٠ مليوناً)، ثم الجزائريون (٥١ مليوناً)، ثم المغريبيون (٤٧ مليوناً)، والعراقيون (٤٦ مليوناً)، فالسعوديون (٤٠ مليوناً)، فالسوريون (٣٥ مليوناً)، فاليمينيون (٣٤ مليوناً)، فالتونسيون (١٢ مليوناً)، فالاردنيون (١٠ ملايين)، فالصوماليون (٩ ملايين)، فيما سيتساوى تقريباً عدد سكان كل من ليبيا وموريتانيا (٥ ملايين)، وكل من لبنان وعمان (٤ ملايين)، والامارات والكويت (أقل من ٣ ملايين)، والبحرين وجيبوتي (مليون واحد)، ويأتي سكان قطر في آخر القائمة (نحو ٧٠٠ ألف).

وذكر التقرير (الذي عرض على المؤتمر الدولي للسكان في القاهرة، راجع «العالم»، ج ١١)، أن نساء اليمن تحتل المرتبة الأولى في معدلات الانجاب التي تبلغ ٧,٢ طفل للمرأة الواحدة (وهو معدل عالمي احتلت به اليمنيات المرتبة الثالثة في العالم بعد نساء مالاي ٧,٦، وأوغندا ٧,٣). ومعدلات المرأة الواحدة في الصومال ٧ أطفال، وفي عُمان ٦,٧، وفي جيبوتي ٦,٦، وموريتانيا ٦,٥، فيما تتساوى في الانجاب نساء السعودية وليبيا ٦,٤، وبعدهن تأتي السوريات ٦,١، والسودانيات ٦، كما تتعادل نساء العراق والاردن ٥,٧، ونساء الامارات ٤,٥، ونساء المغرب وقطر ٤,٤، ومصر ٤,١، والكويت ٣,٧، وتونس ٣,٤، بينما تعتبر نساء لبنان أقل العربيات انجاباً (٣,١) للمرأة الواحدة).

وأشار التقرير إلى أن الكويت احتلت المرتبة الأولى بين البلدان العربية في قلة معدلات الوفيات وبلغ ٢ بالألف، وتأتي بعدها كل من البحرين وقطر والامارات (٤ بالألف)، ثم الاردن وعمان والسعودية (٥ بالألف)، ثم

طالب. وارتفع الاتفاق على التعليم العالي في العالم العربي من ٤ بلايين دولار في ١٩٩١ إلى نحو ٧ بلايين دولار في ١٩٩٦ (يلاحظ أن هذه الأرقام الواردة في بحث د. أنطون زحلان تزيد عن الأرقام التي أعطاها المكتب الإقليمي العربي للأونيسكو في القاهرة حول عدد الجامعات والطلاب الجامعيين).

- إن العولمة المقبلة على العالم العربي تقدم فرصاً جديدة لبناء منظومة العلوم والتكنولوجيا الخاصة بالمنطقة. وتكمن أكبر هذه الفرص في النشاطات التكنولوجية العربية في قطاعات الهندسة والإنشاءات والنفط والغاز والزراعة. في قطاع الإنشاءات العربية وحده يمكن استرجاع ثلاثة أرباع المبلغ الذي يذهب خارج المنطقة ويزيد عن ١٣٠ بليون دولار سنوياً. وتستطيع القدرات التكنولوجية العربية في هذا القطاع استحداث ٧ ملايين فرصة عمل جديدة سنوياً وتوسيع وإغناء القطاع المالي العربي، وتحويل الكفاءات العلمية إلى نشاطات اقتصادية منتجة ومبدعة تنتقل بالبلدان العربية من مجتمعات زراعية وريعية إلى مجتمعات صناعية عاملة. هذه الفرص لا تأتي من الخارج بل من نشاطات تكنولوجية داخلية في قطاعات الهندسة والإنشاءات والزراعة. والعالم العربي أكبر مصدر للنفط والفوسفات، ومنتج أساسي للأسمنت والأنسجة. وتقدم هذه الصناعات كما وسعاً من الخدمات التقنية والمنتجات الخاصة بإدامة الصناعات. لكن السياسات العربية تتجه نحو استقدام خبرات من الخارج. ففي قطاع النفط والغاز وحده يبلغ حجم العمالة التي يفسرها العالم العربي نحو مليوني مهندس وتقني تستقدمهم البلدان العربية من الخارج. في حين تستطيع البلدان العربية المنتجة للنفط أن تنشئ سوقاً عربية محلية تتسع لعدد كبير من الخدمات التقنية والمنتجات المطلوبة في هذه الصناعات. وتستطيع البلدان العربية اجتذاب شركات الخدمات الهندسية الأجنبية للانتقال إلى البلدان العربية أو إقامة مشاريع مشتركة معها.

موضوعات في الاجتماع والاقتصاد والبيئة

عدد السكان: أظهر تقرير «مجلس الوحدة الاقتصادية العربية» (وضع في أواخر ١٩٩٦) أن عدد السكان في العالم العربي وصل، عام ١٩٩٥، إلى ٢٥٢ مليون نسمة، وتوقع أن يصل إلى ٢٩٠ مليوناً في العام ٢٠٠٠. واعتبر التقرير أن معدل النمو السكاني العربي من بين أعلى المعدلات في العالم، إذ تصل نسبته السنوية في

تونس وسورية (٦ بالألف)، ثم الجزائر والعراق ولبنان (٧ بالألف).

كما لاحظ التقرير ان الكويتيين أطول عمراً، إذ بلغ معدل توقعات العمر للكويتيين في سنوات ١٩٩٠-١٩٩٥ نحو ٧٥ سنة. وجاء بعدهم سكان البحرين والامارات (٧١ سنة)، ثم القطريون والعُمانيون (٧٠ سنة)، وتساوى اللبنانيون والسعوديون (٦٩ سنة)، وبعدهم يأتي التونسيون (٦٨ سنة)، ثم السوريون (٦٧)، وتساوى الجزائريون والعراقيون والاردنيون (٦٦).

وحقق البحرينيون أفضل النتائج في قلة عدد وفيات الاطفال الرضع (١٢ بالألف بين ١٩٩٠ و١٩٩٥). وجاء بعدهم الكويتيون (١٤)، والاماراتيون (٢٢)، والقطريون (٢٦)، والعُمانيون (٣٠)، والسعوديون (٣١)، واللبنانيون (٣٤)، والاردنيون (٣٦). وأدى الحظر الاقتصادي على العراق إلى زيادة كبيرة في معدل وفيات الاطفال الرضع (٥٨ بالألف). ويبلغ المعدل في اليمن ١٠٦ بالألف، وفي موريتانيا ١٢٢ بالألف.

وأظهر التقرير، أخيراً، ان الكويتيين أكثر العرب تمدينًا، إذ يشكل سكان المدن نسبة ٩٣٪ من سكان البلاد، ما يمكن معه اعتبار الكويت من الدول-المدن الرئيسية في العالم، وتحتل المرتبة الرابعة بعد سنغافورة التي يعيش جميع سكانها في المدينة (١٠٠٪)، ثم بلجيكا (٩٦٪ يعيشون في المدن)، وهونغ كونغ (٩٤٪).

الأمية: في دراسة لمنظمة العمل العربية، نشرت في حزيران ١٩٩٧، وأشرف عليها أمينها العام الدكتور بكر رسول، ان هناك حالة من القلق في الاوساط التعليمية العربية بسبب انتشار الأمية في العالم العربي. فهناك نصف سكان الأمة العربية من الأميين، و ٦٠٪ من النساء العربيات فوق سن الـ ١٥ سنة أميات، ما يستحيل معه الوصول إلى مستويات تنمية بشرية واقتصادية أفضل في ظل تلك الأمية واستمرارها. وفي الدراسة ايضًا ان ٥٣٪ فقط في العالم العربي قادرون على القراءة.

وبحسب دراسة أخرى قدمت إلى مؤتمر النمو في العالم العربي الذي عقد في ايار ١٩٩٧ في صنعاء فإن نسبة الإلمام بالقراءة والكتابة ارتفعت من ٣٠٪ عام ١٩٦٠ إلى ٥٥٪ في ١٩٩٤، وان ٦٠ مليوناً من العرب البالغين أميون. ومقارنة مع كوريا الجنوبية، تبين أنه في ١٩٦٠ كانت نسبة الأميين في كوريا الجنوبية ٣٠٪، فيما كان نصف البالغين من العرب أميين. وهذا يعني ان كوريا

الجنوبية بدأت نحاسها التنموي بموارد بشرية أعظم من المنطقة العربية.

إحصائيات مقارنة قدمها المؤتمر القومي (القاهرة، نيسان ١٩٩٨) الذي أكد، في تقريره السنوي عن «حالة الأمة العربية في العام ١٩٩٧»، ان معدلات الأمية في الدول العربية في تزايد، وان عدد الأميين في سن الخامسة عشرة فأكثر كان ٥٥،٨ مليون شخص في العام ١٩٨٠، وانه ارتفع إلى ٦٥،٥ مليون شخص في العام ١٩٩٥. وجاء في التقرير ان الأمية بلغت حدها الأقصى في موريتانيا بواقع ٦٢،٣٪ من إجمالي السكان، ووصلت حدها الأدنى في لبنان بواقع ٧،٦٪، والسودان ٩،٥٣٪، أما في مصر فهي ٤٨،٦٪، والعراق ٤٢٪، والجزائر ٣٨،٤٪. وأضاف التقرير أن تفشي الأمية في الدول العربية لا يعود إلى تدني الانفاق على التعليم كنسبة من الناتج القومي، لكنه يرتبط في جوهره بمجمل الظروف والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

الفقر والدخل الفردي والتنمية البشرية: وبحسب الدراسات المقدمة إلى مؤتمر النمو في العالم العربي (المشار إليه أعلاه) تظهر حاجة ماسة لإحصائيات علمية عن الفقر وتحليل وضع الفقراء في العالم العربي كي لا تبقى السياسات التنموية بمنأى عن الفهم الحقيقي لمشكلة الفقر في المنطقة. إذ إن تفاوت الاحصائيات عن الفقر يكاد يشبه التفاوت في الدخل في العالم العربي حيث يبلغ متوسط الدخل السنوي للفرد في اليمن ٢٨٠ دولاراً فيما يبلغ في دولة الامارات العربية والكويت أكثر من ٢٠ ألف دولار. ومع تسجيل عقد التسعينات للعالم العربي جموداً اقتصادياً وانخفاضاً في دخل الفرد بحوالي ٤،٥٪ سنوياً (وهذه نسبة فاقت نسبة الانخفاض في مختلف مناطق العالم، بما في ذلك بلدان جنوبي الصحراء الافريقية) أوصى تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بإجراءات لمكافحة الفقر، بينها الأخذ بالسياسات التي يكون محورها الانسان، والعمل على إتاحة الفرص المتساوية للرجال والنساء، كهدف تهيئة بيئة سياسية مؤاتية تتيح للفقراء والمجتمعات المحلية التعبير عن أنفسهم بدلاً من كبهم. فتكلفة إجراءات مكافحة الفقر ضئيلة قياساً إلى كلفة نمو الفقر في بيئة منازعات سياسية.

وفي وثائق القمة العالمية للتنمية الاجتماعية (٦ آذار ١٩٩٥، كوبنهاغن)، انطلقاً من معيار ان التقدم الاجتماعي للسكان لا يقتصر على معدل الدخل الفردي بل يأخذ بالاعتبار مؤشرات أخرى منها معدل وفيات

الاطفال وطول عمر السكان ونسبة المتعلمين ومعدل الالتحاق بالمدراس، أن ثلث سكان العالم العربي فقراء وأن نسبة الفقراء العرب ستظل ثابتة حتى العام ٢٠٠٠.

وأشارت وثائق القمة إلى أن البلدان العربية حققت قفزات اجتماعية كبيرة خلال ثلاثين عاماً الأخيرة، وإن هذه الظاهرة هي جزء من ظاهرة شملت العالم النامي (الثالث) برمتها (ارتفاع معدل توقعات العمر، ارتفاع نسبة الاتفاق على التعليم، تضاعف معدل الدخل الحقيقي...). لكن، رغم ذلك، لا تزال أكثر الدول العربية تقدماً، وهي الكويت، تأتي في المرتبة ٢٦ بين دول العالم بعد جميع أقطار أوروبا الغربية وبعد تشيكيا واسرائيل وكوبا والامارات العربية (المرتبة ٤١) بعد بلغاريا وتشيلي وأوروغوي... وحتى بعد سري لانكا والاردن (المرتبة ٥٠) بعد جمهوريات سوفياتية سابقة؛ وسلطنة عُمان (المرتبة ٥٢) بعد جورجيا وتونس (المرتبة ٥٩) بعد رومانيا وتايلند وأرمينيا والمملكة العربية السعودية (المرتبة ٦١)، وبعدها مباشرة سورية ولبنان...

أما تقرير الأمم المتحدة عن «التنمية البشرية، ١٩٩٦» (وهو تقرير بدأ يصدر سنوياً منذ ١٩٩٠) فقد بين تراجعاً في الدخل الفردي في جميع البلدان العربية باستثناء عُمان وتونس. وذكر أن الدخل الفردي في بعض البلدان مثل العراق والكويت والسودان لا يزال على مستواه الذي كان عليه في أعوام ما قبل الستينات، فيما بقي دخل الفرد في ليبيا والسعودية على مستواه في الستينات، وما يزال في الجزائر والبحرين والامارات على مستواه في السبعينات، وفي مصر والاردن والمغرب وسورية على مستواه في الثمانينات. البلدان العربيان الوحيدان اللذان حققا للفرد في التسعينات أعلى مستوى دخل من أي وقت سابق هما عُمان وتونس.

ويخصي التقرير ٨٩ بلداً تدهور اقتصادها مقارنة بما كان عليه قبل ١٠ سنوات، معتبراً أن هذا الأمر يؤدي إلى انشطار العالم إلى فئتين من الناحية الاقتصادية سواء بين البلدان أو داخل البلدان: الأغنياء جداً يزدادون غنى، والفقراء يزدادون فقراً. ويكشف التقرير أن أموال ٣٥٨ بليونيراً في العالم تفوق حالياً مجموع الدخول السنوية لنصف سكان الكرة الأرضية. وإذا استمر الاتجاه الحالي فإن «الفوارق الاقتصادية بين الدول الصناعية والنامية ستتقل من حالة اللامساواة إلى حالة اللاإنسانية».

لكن الدخل الفردي ليس كل شيء في دليل التنمية البشرية الذي يحدد تسلسل الدول على أساس

توقعات عمر السكان والمستوى التعليمي لهم، والنفقات على التعليم والصحة... والقوة الشرائية الأساسية. فعلى هذا الأساس، تكون بلدان عدة مثل اليونان وكوستاريكا وباربادوس قد تقدمت مراتب كثيرة على بلدان عربية تفوقها كثيراً في حجم الدخل الفردي، مثل البحرين وقطر والامارات والكويت والسعودية.

على النطاق العربي، تعتبر البحرين أكثر البلدان العربية تقدماً في التنمية البشرية، وتأتي بعدها الامارات ثم قطر والكويت. ومعظم البلدان العربية تحتل المرتبة المتوسطة في سلم التنمية البشرية، وفق التسلسل التالي: ليبيا والسعودية والجزائر والاردن وتونس وعُمان وسورية ولبنان ومصر والعراق والمغرب، وترد البلدان العربية الباقية في المرتبة المنخفضة وفق التسلسل التالي: اليمن والسودان وموريتانيا وجيبوتي والصومال.

وحققت البلدان العربية، خلال سنوات ١٩٨٠-١٩٩٠ أعلى معدل للنمو الزراعي في العالم الثالث وبلغ نحو ٥٪ سنوياً. مقابل ذلك، لا يزال نحو ٧٣ مليون عربي يعيشون دون مستوى الفقر وأكثر من ١٠ ملايين لا يحصلون على قوت كاف، ونصف السكان في المناطق الريفية خرومين من الماء النقي، وثلثهم فقط يحصل على خدمات صحية أساسية. ورغم ما حققته البلدان العربية على صعيد تعليم الإناث، فإن النساء العربيات لا يشكلن حالياً (١٩٩٦) سوى ٢٥٪ من قوة العمل بالمقارنة مع ٣٩٪ في بلدان العالم الثالث.

أخيراً، يسير الدخل الفردي والتنمية البشرية في اتجاهين متعاكسين أحياناً، فيتصاعد أحدهما وينخفض الآخر. والمثال النموذجي على ذلك المملكة العربية السعودية التي انخفض دخلها الفردي، لكن تنميتها البشرية واصلت الارتفاع. وثمة مثل آخر يأتي من المقارنة بين المغرب والأكوادور. فمعدل الدخل الفردي فيهما متساو تقريباً ويبلغ نحو ألف دولار سنوياً؛ إلا أن الأكوادور تأتي في المرتبة ٦٤ في سلم التنمية البشرية فيما تتأخر المغرب عنها نحو ٦٠ مرتبة وتأتي في المرتبة ١٣٣. ويظهر عمق الفجوة بينهما واضحاً جداً في تعليم الراشدين، حيث تبلغ نسبة المتعلمين في الأكوادور ٨٩٪ وفي المغرب ٤٢٪. لذلك كثيراً ما يذكر التقرير السنوي للتنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة بأن «حياة الناس لا تقاس بالدخل الفردي فقط، وإن الثروة وحدها لا تحقق حياة أفضل، والفقير لا يعني نقص الدخل فقط». وعلى خلاف وجهة

النظر الاقتصادية التقليدية، يعتبر تقرير الأمم المتحدة للتنمية الاقتصادية وسيلة وتنمية الانسان هو الهدف. فالانسان وليس إجمالي الانتاج القومي هو المهم، والهدف من النمو هو إثراء حياة الناس.

السكان والموارد الزراعية: يبلغ إجمالي المساحة التي يعيش سكان العالم العربي في كنفها نحو ١٤ مليون كلم م. غير ان غالبية المساحة صحراوية. ويتركز القسم الساحق من السكان في المناطق المحاذية للأنهار، وعلى السواحل، وفي المناطق الكثيفة الامطار والتي تتوافر لها إمدادات كافية من المياه.

وتباين الدول العربية في مواردها الطبيعية تبايناً كبيراً. فالدول النفطية منها تحتفظ بنحو ٦١٪ من الاحتياطي النفطي العالمي و٢٣٪ من احتياطي الغاز الطبيعي. في حين تقسم البلدان غير المنتجة للنفط والتي تعتمد على المصادر الزراعية بشححة مصادرها وصعوباتها الاقتصادية. وينعكس هذا الأمر تبايناً في مستويات دخل السكان في العالم العربي.

وتمثل مساحة الاراضي الزراعية وتلك المزروعة بمحاصيل دائمة ٤٪ فقط من مجموع المساحة وتغطي المراعي الدائمة ٢٢،٨٪، في حين لا تشمل الغابات والاراضي المشجرة سوى ٦،٦٪. والمشكلة الأكبر، هنا، هي في تدهور الاراضي الزراعية والمراعي واحتشات الغابات، ما يؤدي إلى التصحر. ويقدر في المتوسط ان نحو ٤٠٪ من الاراضي المروية و٧٥٪ من الاراضي البعلية و٨٠٪ من المراعي في المنطقة العربية تعاني من أخطار التصحر.

يشغل سكان الريف نصف سكان العالم العربي تقريباً. ومن المتوقع ان تهبط نسبتهم حتى نهاية القرن الحالي إلى حوالي ٤٤٪ من مجموع السكان. وتعتبر البلدان العربية ذات الدخل المتوسط والبلدان المنخفضة الدخل ريفية أساساً. وتعد نسبة سكان الريف منخفضة إجمالاً في البلدان العربية المنتجة للنفط ومرتفعة في البلدان التي يمكن اعتبارها زراعية، حيث يشكل سكان الريف نحو ٧٦٪ من سكان كل من مصر وسورية والجزائر وموريتانيا والمغرب على التوالي. وغالبية السكان الريفيين ذات دخول متدنية وتعيش في ظروف يئيفة سيئة هي محصلة السياسات غير الملائمة في ميدان التنمية الريفية.

لقد أهملت غالبية البلدان العربية العلاقة القائمة بين الزراعة والتنمية الريفية والنمو الاقتصادي والسكاني،

في حين شهدت العقود الثلاثة الأخيرة جهوداً مركزة على تنمية المدن الرئيسية والسعي لتحديثها من خلال تركيز ثقل الخدمات فيها، ويؤدي ذلك إلى إهمال الريف وانخفاض المعدل العمري لسكانه، وارتفاع معدل وفيات الرضع والاطفال ومعدل الامية لدى الكبار قياساً إلى سكان المناطق الحضرية. إلا ان بعض البلدان العربية، كالمغرب وتونس والمملكة العربية السعودية، حقق نجاحاً ملموساً في التنمية الريفية، انعكس نسيباً في انخفاض معدلات الهجرة فيها وتحسين مدخلات الانتاج الزراعي بشكل نسبي.

الماء والتصحر: تبلغ كميات المياه السطحية المستمرة في العالم العربي نحو ١٤٠ بليون متر مكعب. أما استثمار المياه الجوفية فقد بلغ نحو ٢٣ بليون متر مكعب. ومن أهم المخاطر التي تواجه هذه المنطقة ان منابع مواردها المائية تقع خارج حدودها، وهذه الحالة تجعل مشكلة المياه من المشاكل الضاغطة لنزاعات إقليمية مخوفة بالمخاطر. فتنطور حاجات شعوب المنطقة قد تجعل أهمية المياه توازي أهمية النفط، بل ربما أكثر منها أهمية في تحديد مصير أمنها الغذائي القومي.

وتشير مختلف الدراسات المختصة (خاصة منها الصادرة عن منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، «فاو») ان نصيب الفرد العربي، في العام ٢٠٠٠، أقل من جميع سكان العالم. وباستثناء العراق ولبنان وموريتانيا ستقل حصة الفرد في جميع البلدان العربية الأخرى عن الحد الأدنى البالغ ألف متر مكعب سنوياً. وفي حين لم يكن يعاني من شح المياه في العالم العربي سنة ١٩٥٥ سوى البحرين والكويت والاردن وجيبوتي، فإن شحها تهدد الآن الجزائر والسعودية والامارات وقطر واليمن والصومال، وستواجه المشكلة نفسها، بعد سنوات قليلة، مصر وليبيا وعمان وسورية.

ويتعرض الأمن الغذائي القومي ايضاً لمخاطر أخرى نتيجة لازدياد ظاهرة التصحر، بسبب زحف الصحراء (راجع «العالم»، ج ١١) عبر الاحزمة الخضراء والاراضي الخصبة وتحويلها إلى ارض قاحلة جدهاء. إن الأضرار الناتجة عن التصحر غيفة لأنها تحدث تغييراً شاملاً في المنطقة ويبتها، لنقص الغطاء النباتي، ما يضطر السكان المحليون إلى النزوح عن الارض المتضررة إلى مراكز وأماكن أخرى كلاجئين جياع يعولون على خيرات الآخرين.

يميل «المكتب الاقليمي لبرنامج الأمم المتحدة



ان نحو ٣٥٧ ألف كلم م. ستضيع تحت تأثير التصحر في غضون سنوات قليلة (أي أربع أو خمس سنوات تفصل بين دراسة الفاو ونهاية القرن الحالي).

استنهاض العالم العربي يبدؤه الانسان العربي (مناقشة)

(عن هادي مفيد أبو مراد (توفي ١٩٩٣) في كتابه «المسائل الشرقية الجديدة» الصادر بالفرنسية عن «دفاتر الشرق». وهايدي مفيد أبو مراد كان خبيراً لدى الاتحاد الاوروبي، ورئيس دائرة الشرق الاوسط في مصلحة الدروس الاقتصادية لدى الشركة العامة المصرفية في باريس، ثم التحق بالشركة العامة اللبنانية الاوروبية المصرفية في لبنان حيث كان رئيس «جمعية الاقتصاديين من أجل لبنان». والجزء المختار، هنا، مقتطع من الصفحات ٢٣١-٢٣٦ من كتابه المذكور الذي صدر في أواخر ١٩٩٣).

لقد استنفد العالم العربي، خلال العقود الثلاثة المنصرمة، ثلاثة مسارب:

١- مسرب القطيعة مع المنظومة الرأسمالية، أو اقتصاد السوق، ومع موقع التبعية بإزاء الاقتصاد القائم في العالم، وذلك باعتماد التنمية المركزية المنطوية على الذات.

للبيئة» (يونيب) إلى تحديد أسباب التصحر والتدهور البيئي المنتشر في العالم العربي بالجفاف التربة بالرياح والماء، وبالرعي الجائر والتوسع الزراعي في الاراضي الهامشية وتدمير الغابات، إضافة إلى تملح الارض وانخفاض مستوى المياه الجوفية. ويعتقد ان تدمير الغابات لعب دوراً أساسياً في انتشار التصحر في السودان وتونس، في حين أدى إلى ذلك استنزاف المياه الجوفية في سلطنة عمان والامارات والسعودية.

يعد التصحر المشكلة البيئية الاولى في العالم العربي حيث تقدر المساحة المتصحرة بنحو ٩,٧ مليون كلم م. أو ما يعادل ٦٨٪ من المساحة الكلية للعالم العربي، إضافة إلى نحو ٢,٨ مليون كلم م. معرضة للتصحّر. وينتشر التصحر في كل البلدان العربية، لكنه يأخذ مدى واسعاً ومدمراً في تونس والسودان والمغرب وموريتانيا.

وأكثر ما يخيف في موضوع التصحر انه حصل، في مساحات واسعة، وانه يحصل في سرعة زمنية قياسية. وتشير تقارير الامم المتحدة إلى ان المناطق على أطراف الصحراء الافريقية الكبرى (مصر، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا والبلاد المجاورة) قد تحول جزء كبير منها من اراض منتجة إلى اراض جدهاء خلال خمسين سنة فقط. وأظهرت دراسات منظمة الأغذية والزراعة الدولية (فاو)

٢- مسرب تبريع خطى التنمية وتدارك التخلف من خلال توظيفات مالية كثيفة (شراء مصانع جاهزة وإقامة مشروعات طموحة).

٣- وأخيراً مسرب الانفتاح والليبرالية الاقتصادية، والسعي إلى أوسع اندماج ممكن في الاقتصاد العالمي. وفي الواقع، تندرج هذه المسارب تحت لواء ثلاث فلسفات:

٠ فلسفة التبعية (نظرية المركز في مقابل الأطراف، التي نادى بها سمير أمين وغونار فرانك وعمانويل برايش ومن جرى مجراهم).

٠ فلسفة رسم التخلف بأنه تأخر اللحاق بالركب (روستوف والنظرية المرحلية).

٠ ثم الفلسفة المبنية على غطل التدخل الحكومي في مجريات الاقتصاد، هذا التدخل الميعق للمبادرة وللترافقات العفوية الناجمة (المنهج المرتكز إلى السياسة النفاية لـ «مدرسة شيكاغو»).

يهد أن هذه الفلسفات مصابة كلها بعيب مشترك هو اغفال الإنسان بوصفه قطب الرحى في التنمية الاقتصادية.

وأنا نؤكد هنا، في أعقاب تحليلنا هذا للمحاولات والنسارب العربية العائرة، وللمؤشرات الاقتصادية والاجتماعية المتصلة بواقع الإنسان العربي ومعاناته الشديدة، ونعلن أن علة العلل، والثفيرة الرئيسية التي أحبطت كل مساعي الاستنهاض في الوطن العربي، تكمن في إهمال الإنسان العربي. أي في إغفال تربيته، وإعداده تقنياً، ونشجيع روحه المبدعة والخلقة، وفي التغافل عن أخذ الواقع التاريخي والاجتماعي للمنطقة العربية بالحسبان الجدي، لدى إقامة الخطط الثقافية والتعليمية للمستقبل المرتقى. ولا شك أن تجاهل الجسور الثقافية والمعيشية للسكان يكمن في خلفية الفشل الذي أصاب مشروعات الانتاح، والعجز عن استثارة روح الخلق والاعتماد على الذات، والمبادرة، وهو ما اشرف سياسة الاستنهاض الانتاحي شعر سياسة الاقتصاد الدوراني أو التسليم بالاحباط.

هذا الاحباط العميق الذي أصاب شعبنا العربي دفع الأمة في اتجاه حلين هرويين، فيما الحاجة باقية إلى حل تاريخي يعيد إلى هذه الأمة «بحر أمة أعرجت للناس» سويتها ودورها العظيم، من خلال تنمية الإنسان تنمية حقة، واستنهاضاً سليماً وشجاعاً (...).

فالمطلوب، على أبواب القرن الحادي والعشرين،

أن تخطط الأمة العربية لنفسها حلاً ثالثاً (لا استيراد كل التجهيز المتقدم ولا اليد العاملة المهيأة، ولا امتصاص اليد العاملة المحلية ذات الكفاءة المتواضعة من خلال صناعات تتطلب يدًا عاملة كثيرة)، حلاً يرتكز إلى الجمع بين «إعادة صنع البنى ومضاعفة إنتاجية العمل الاقتصادي، مع أخذ الفوارق في الواقع القائم وفي الغاليات بعين الاعتبار».

لذا كانت الأولوية المطلقة في المستقبل المنظور، تنحصر باستنقاذ رأس المال البشري العربي. وتشند هذه الحاجة ضغطاً عندما نتذكر محدودية الاحتياطي النقدي، لا على المستوى العربي فقط بل على الصعيد العام كله، بعدما تفتحت شهية الدول، النامية والصناعية على السواء، إلى التمويل.

ومن بعد إخماء الرأسمال البشري، تظهر أولويات ثانوية كالاتي:

٠ تنشيط الادخار الشعبي، وبخاصة منه الريفي، نوسلاً لحفض المديرنية على المستوى الوطني، وإتاحة المجال أمام التطبيقات جميعاً أن تسهم في التنمية العامة.

٠ تشجيع قيام المؤسسات الانتاحية الصغيرة والمتوسطة، في مجالي الاعمال والصناعة، في القطاع الخاص، على أن يقتصر تدخل الدولة فيها على اسداء النصح والمعلومات (المتعلقة بحال الاسواق وبحالات التصدير) وعلى خفض الرسوم الحكومية والبلدية، وتأمين القروض الميسرة في مرحلة الاقلاع. فمثل هذه المنشآت المنتجة مؤهلة للانتشار فوق الزاب الوطني كله، لأي قطر، وفي هذا للانتشار والاستنهاض الشعبي أسلوب عملي لحفض الفروقات الاقتصادية والاجتماعية.

٠ ترشيد استخدام المياه، بوصفها مادة نادرة الوجود في دنيا العرب، والمنطلق الأساسي للإثماء الزراعي، كما لرقية الوضع الصحي في المدن. فليكن شعار المرحلة القادمة «الماء لكل الناس» (وجعلنا من الماء كل شيء حي).

٠ تدعيم الاعداد التكنولوجي والمهني، في الزراعة كما في الصناعة والخدمات، وبخاصة في إدارة الاعمال.

٠ توجيه الاستهلاك الغذائي نحو السلع ذات المغنوى العالي من البروتين، المنتجة محلياً وذات الكلفة المنخفضة من مثل الاسماك في موريتانيا، والذرة البيضاء في الصومال، والبقليات في مصر (الفول، الحمص....). فمثل هذا التوجيه يخفض الحاجة إلى الاستيراد الغذائي ويسهم في تحسين الوضع التغذوي.

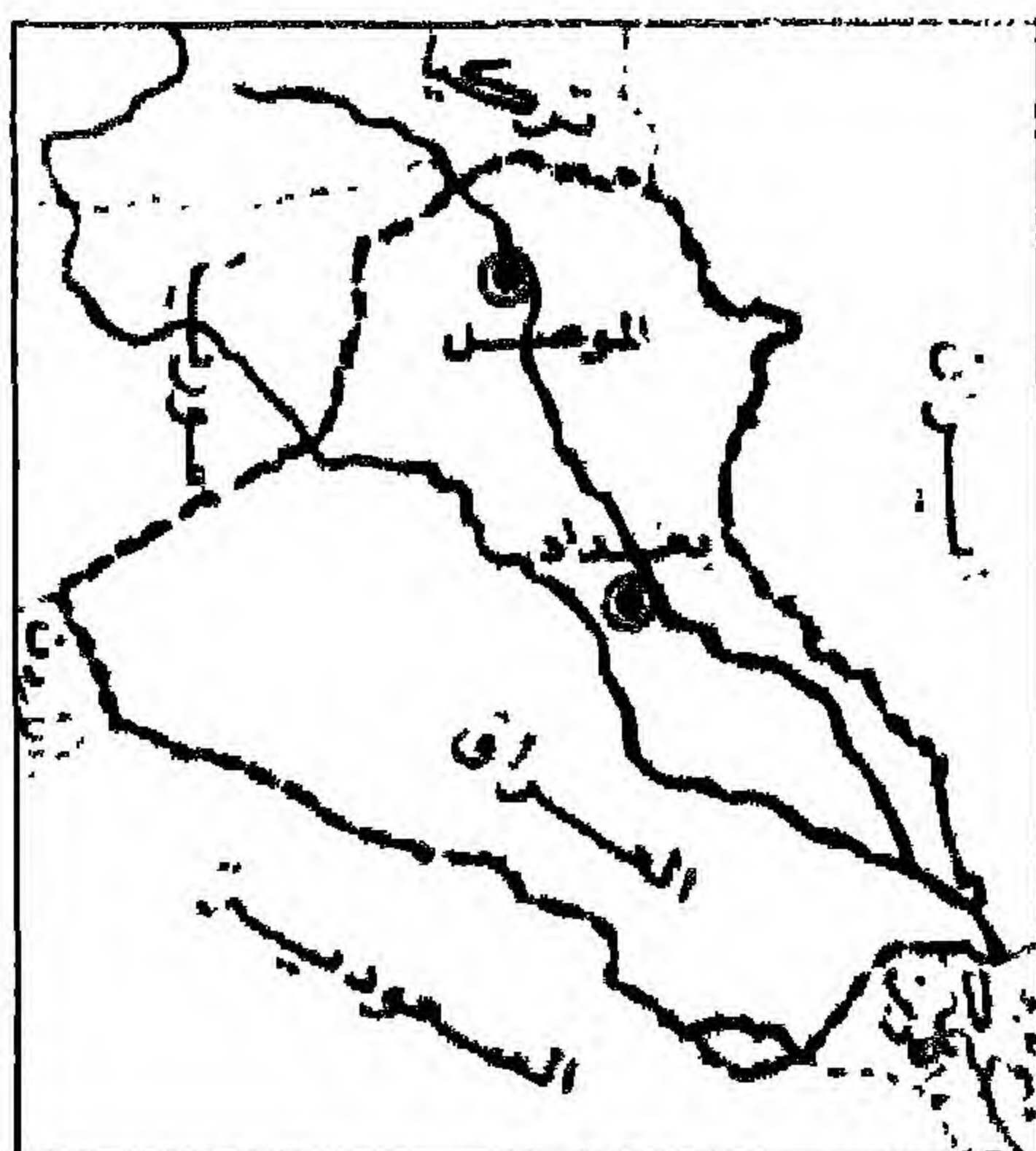
وعلى شعر مواز للسعي المنشود إلى حل المسائل

للسياسية والنزاعات (فلسطين ولبنان والسودان وكردستان
تخصيصاً) يقتضي مباشرة استراتيجيتين:

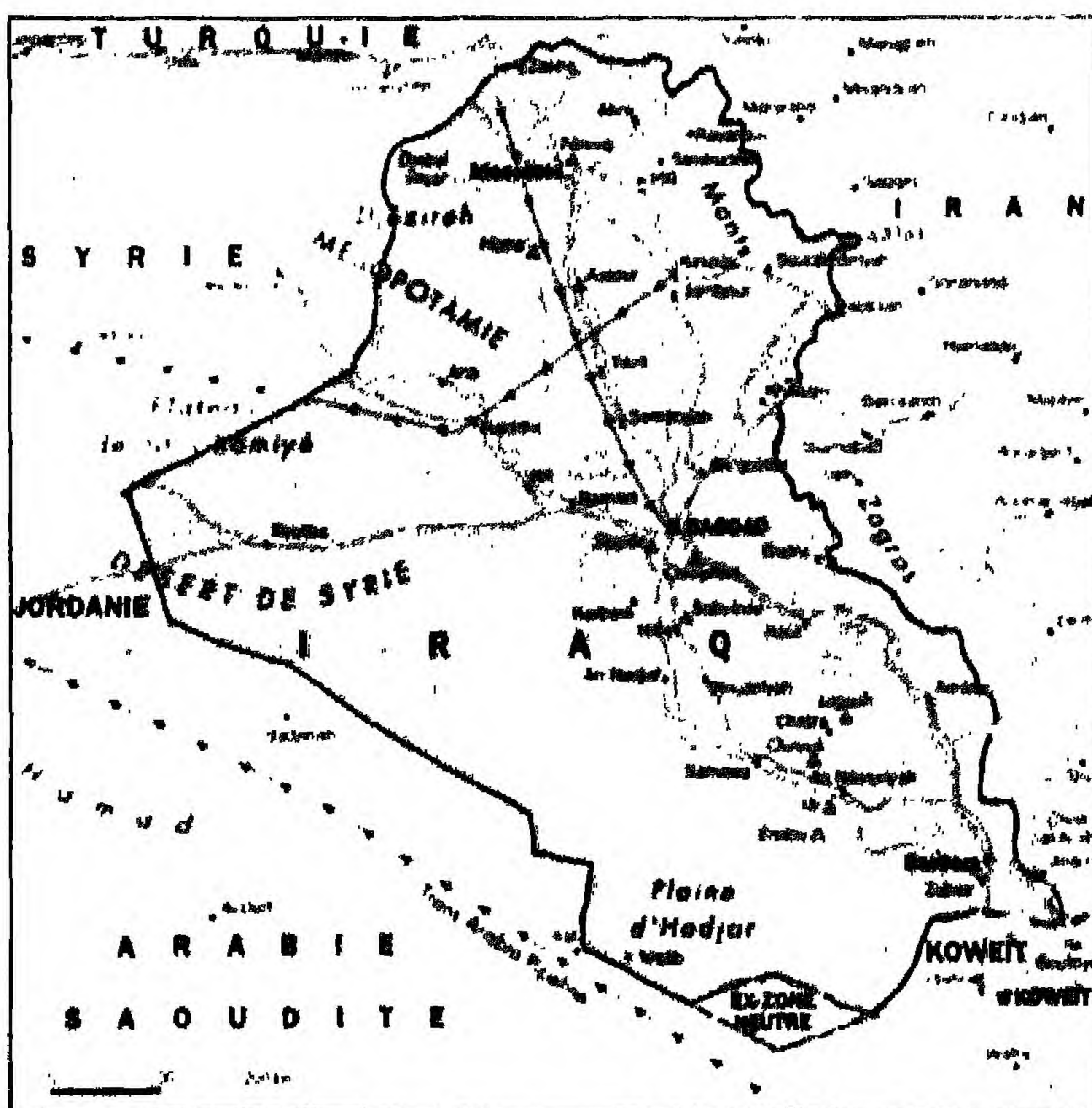
- إقامة حوار حقيقي بين منتجي النفط
ومستهلكيه، نشداناً لتأمين الاستقرار في الاسعار النفطية،
وتشجيع التوظيف الانتاجي، وضمان دخول ثابتة للاقطار
المصدرة للنفط.

- التفاوض بشأن برنامج واسع لخفض الديون،

على غرار ما وقعتته مصر من اتفاقات في ١٩٩١/٥/٢٥،
ولتحويل الديون المتبقية إلى أقساط مريحة، وبخاصة منها
الديون العربية على أقطار عربية أخرى. وبهذا لا تقلل
الديون الخارجية حافزاً للرفض والثورات الشعبية، لأن
التكامل العربي يعطيها منحى إيجابياً. وهذا ما ييسر التحول
شعر التخصصات التي بوشر بها بجدية تامة (في المغرب
والاردن وتونس...)، أو التي يخططون لها (من مصر حتى
الجزائر وسورية وليبيا...).



العراق



بطاقة تعريف

الاسم: «أرض الرافدين» هي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات. كان أهلها الاصليون يطلقون عليها إسم «كلام» في السومرية، و«ماتو» في الأكديّة بمعنى «الأرض». وأطلق عليها المصريون القدماء إسم «نهرينا»، بينما سماها الاغريق «ميزوبوتوميا» واصبحت تعرف باسم «العراق» منذ العصر الاسلامي (راجع «ما يريده الغرب من هذه التسميات: «بلاد ما بين النهرين» و«الشرق الاوسط» و«الشرق الأدنى» في باب «مدن ومعالم»).

الموقع: العراق أكبر دول الشرق العربي الواقع غربي آسيا. يحده من الشمال تركيا وطول حدوده معها ٣٠٥ كلم، ومن الشرق ايران (١٥١٥ كلم)، ومن الجنوب الخليج (طول الشاطئ ٦٠ كلم)، والكويت (٢٥٤ كلم) والسعودية (٨٩٥ كلم)، ومن الغرب سورية (٦٠٣ كلم)، والاردن (١٤٧ كلم)، وبذلك يبلغ طول حدود العراق ٣٧٧٩ كلم.

المساحة: ٤٣٨٤٤٦ كلم م..

العاصمة: بغداد (نحو ٤،٥ مليون نسمة)، أهم المدن: البصرة، الموصل، كركوك، وغيرها (راجع باب «مدن ومعالم»).

اللغات: العربية (الرسمية)، ولغات الأقليات (راجع باب «أقليات»).

الحكم: بعد دستور ١٩٦٨ المؤقت، صدر عن مجلس قيادة الثورة في ١٩٧٠ دستور جديد (وكذلك في ١٩٩٠ من دون أن يحمل تعديلات جوهرية على دستور ١٩٧٠) حدد فيه هوية النظام السياسي، وجاء في مادته الأولى: «العراق جمهورية ديمقراطية شعبية ذات سيادة، هدفها

الأساسي تحقيق الدولة العربية الواحدة وإقامة النظام الاشتراكي». وجاء في الدستور أيضًا ان الشعب العراقي يتكون من قوميتين رئيسيتين هما العربية والكردية، وأقر بحقوق الشعب الكردي والحقوق المشروعة للأقليات كافة ضمن وحدة الدولة العراقية. وبذلك فقد صدر قانون الحكم الذاتي في ١٩٧٤ في المنطقة الشمالية ضمن إطار الوحدة القانونية والسياسية والاقتصادية للجمهورية العراقية. ونصّ هذا القانون أيضًا على إقامة مجلس تشريعي منتخب في منطقة الحكم الذاتي، ونصت المادة ١٨ على إنشاء مجلس تنفيذي يدير الحكم الذاتي في المنطقة. أما على نطاق كامل الجمهورية، فقد انتخب عن طريق الاقتراع المباشر في ٢٠ حزيران ١٩٨٠ المجلس الوطني (البرلمان)، وهو أول سلطة تشريعية تقام في البلاد منذ ١٩٥٨. ويتألف هذا المجلس من ٣٠٠ عضو من بينهم ٥٠ عضوًا يمثلون منطقة الحكم الذاتي ويجري انتخاب أعضائه كل أربع سنوات. أما السلطة التنفيذية فيد مجلس قيادة الثورة (٩ أعضاء)، وتخضع الحكومة لتوجيهاته، ورئيسه (صدام حسين) هو رئيس الجمهورية والدولة.

السكان: بلغ عددهم، بموجب إحصاء ١٩٩٠ نحو ١٨،٧٨ مليون نسمة. وتشير التقديرات إلى ان عددهم حاليًا (١٩٩٨) نحو ٢٣ مليون نسمة. يشكل العرب منهم نحو ٧٠٪، والأكراد ١٥٪ والأقليات الأخرى ١٥٪. المسلمون ٩٥٪ من إجمالي السكان ويتوزعون على نحو ٤٠٪ من السنة ونحو ٦٠٪ من الشيعة.

الاقتصاد: «ثلاثة عوامل قوة مترابطة: عدد

ومنحت هذه التعاونيات سلفاً مالية ومساعدات لتطوير الأساليب الزراعية.

أولت ثورة ١٩٥٨ عناية خاصة بالصناعة، وخصصت للصناعة في الخطة الاقتصادية التي وضعتها لسنة ١٩٦١، حوالي ١٦٠ مليون دينار من مجموع ٥٥٦،٣ مليون دينار مخصصة لمختلف القطاعات الاقتصادية، وأصدرت قانون التنمية الصناعية، وأعفت المشاريع الصناعية الناشئة من الرسوم الجمركية، ووقعت اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني مع الاتحاد السوفياتي (تضمنت من جملة ما تضمنته إنشاء ١٣ مشروعاً صناعياً و ١٢ مشروعاً زراعياً). إلا أن تنفيذ الخطة كان بطيئاً ولم تعد الصناعة تحتل المرتبة الأولى في الاهتمام إلا مع نظام ١٩٦٨ الذي قرر «بناء قاعدة صناعية وطنية حديثة واسعة ومتنوعة»، وذلك بإقامة الصناعات البتروكيماوية والتعدينية والصناعات التي تعتمد على المواد الزراعية والصناعات التي تمد النفط والمعادن وقطاع الزراعة بما تحتاجه من لوازم ومعدات. وأنشأت الدولة عدة مؤسسات عامة للإشراف على مختلف الفروع الصناعية، مثل المؤسسة العامة للصناعات الهندسية التي أحييت وأنجزت مشروع معمل المعدات والآلات الزراعية المعتبر نواة الصناعة الثقيلة في العراق، وقد تطور في ما بعد ليصبح مجمّعاً متكاملاً للصناعات الثقيلة ألحق به معهد للتدريب المهني، يعتبر أحدث معهد من نوعه في الشرق الأوسط. وكثرت سبحة المعامل والمصانع الحديثة التي طاولت مختلف مجالات الصناعة والطاقة (النفط خاصة) حتى أصبح العراق من الدول النادرة في العالم الثالث التي ولجت ميدان التصنيع بقوة، وأخذت الاوساط الدولية تصف خطة التنمية العراقية بأنها أضخم خطة تنمية في بلدان العالم الثالث، خاصة بعد أن دخل العراق، في ١٩٧٨، ميداناً

السكان (أكبر دول الشرق العربي)، كمية الانتاج النفطي (ثاني منتج عربي والخامس على المستوى العالمي)، وسلطة قوية (سلطة صدام حسين زعيم حزب البعث الحاكم) جعلت من العراق قبل حرب الخليج ١٩٩٠-١٩٩١ إحدى أقوى دول الشرق الأوسط» (القاموس الجيوبوليتيكي للدول، بالفرنسية، إيف لاكوسست، فلاماريون، باريس، ١٩٩٤، ص ٣٠٢).

تتوزع اليد العاملة: ٤٠٪ في الزراعة (التي تساهم بـ ١٥٪ من الدخل العام)، في الصناعة ٢٢٪ (١٥٪ من الدخل)، في التجارة والخدمات ٣٤٪ (٤٥٪)، في المناجم ٤٪ (٢٥٪).

تتوزع اراضي العراق إلى نحو ١٦٧ ألف كلم م. صحاري، ٧٥ ألف كلم م. اراضي صالحة للزراعة، و ١٧ ألف كلم م. غابات، و ٩ آلاف كلم م. مراعي. أهم المزروعات القمح والشعير والبطيخ والتمر (العراق أغنى دول العالم بشجر النخيل) والرز والذرة والقطن والتبغ.

العراق بين أغنى الدول العالمية بالنفط إنتاجاً واحتياطاً. يبلغ احتياطيها من الغاز ٢٦٩٠ مليار متر مكعب. والعراق غني بالكبريت وبمواد منجمية أخرى.

السياحة قطاع مهم في العراق، وأهم الأماكن السياحية: الأماكن المقدسة الشيعية، المساجد التاريخية ومدن حضاراتها القديمة. بلغ عدد السياح في العام ١٩٨٢ أكثر من مليوني سائح.

بلغ مجموع الاراضي الموزعة والموجرة (موجب قوانين الاصلاح الزراعي) في ١٩٧٣ ما يزيد على ١٥ مليون دونم من أصل ٢٥،٧ مليون دونم صالحة للزراعة كان لا يزرع منها حتى هذه السنة سوى ٦،٥ ملايين دونم. وأنشئت مزارع الدولة ومزارع جماعية ومشتركة،

المتزف وماتح المساعدات إلى المحتاج بل الجائع وطالب الغذاء: كان متوسط سعر الدينار العراقي الواحد بين ١٩٨٠ واول ١٩٩٠ يساوي ٣,٢ دولار اميركي؛ بينما أصبح متوسط سعر الدولار الاميركي الواحد ٢٢٠٠ دينار عراقي خلال الاعوام ١٩٩١-١٩٩٦.

في كانون الثاني ١٩٩٦، سُمح للعراق بتصدير كميات من نفطه في إطار معادلة «النفط مقابل الغذاء». واثرت في وجه العراق، وفي الوقت نفسه، مسألة تسديده تعويضات متضرري حرب الخليج الثانية (من عرب وغيرهم) التي قيل إنها تصل إلى نحو ٢٠٠ مليار دولار، وإن العراق يحتاج إلى ٢٠ سنة لتسديدها.

جديداً من ميادين الطاقة كان محرمًا على الدول النامية وحتى على بعض الدول المتقدمة صناعيًا، ألا وهو ميدان الطاقة النووية باستخدامها للأغراض السلمية، الأمر الذي أثار حفيظة اسرائيل فاقدمت في ٧ حزيران ١٩٨١ على قصف المفاعل النووي العراقي «تموز». واللافت في الجهود التنموية العراقية، الصناعية خاصة، أن الحرب العراقية-الايرائية (حرب الخليج الاولى) لم تخفف منها في سنواتها الاولى، ولم تبدأ هذه الجهود تتعرقل فعلاً إلا بعد ١٩٨٢ حين منعت سورية مرور النفط العراقي عبر اراضيها. أما الضربة الكبرى للصناعة العراقية ولحمل الاقتصاد العراقي فجاءت في حرب الخليج الثانية وما ترتب عليها من نتائج خاصة لجهة الحصار الدولي على العراق، وحوّلت المواطن العراقي من

نبذة تاريخية

التكنولوجية الأولى التي أدت إلى ظهور الزراعة، ودلت الآثار على حصول أول عمليات تدجين الحيوانات وانتقال الانسان من الكهوف إلى بناء أول القرى والمستوطنات الزراعية قبل نحو ٧ آلاف سنة. ثم قبل نحو ٥ آلاف سنة تبدأ الحضارات المتعاقبة مع السومريين أولاً الذين أسسوا أول المدن-الدول ووضعوا الكتابة وعلوم الرياضيات والفلك والقوانين. وأعقب ذلك قيام الحضارتين البابلية والآشورية قبل نحو ٤ آلاف سنة واللتين أنشأتا أول الامبراطوريات العالمية واشتهرتا بالمعمار الذي لا يزال يثير الدهشة، وبوضع أول التشريعات القانونية، وإنشاء أول السدود وشبكات الري، وازدهار الفنون والصناعات، والاعتناء بالدين والأدب، وازدهار الطب والرياضيات. فكان

قديماً: يتفق المؤرخون أن التاريخ القديم لحضارة بلاد ما بين النهرين يبدأ مع بدايات نشوء الحضارة الانسانية في عصور ما قبل الكتابة وينتهي في العام ٥٣٩ ق.م. عندما سقطت بابل، عاصمة الامبراطورية البابلية الحديثة بيد الملك الفارسي قورش الثاني. فدخلت بلاد الرافدين بالتالي، ومن ثم بلدان الشرق الادنى القديم كلها، مرحلة جديدة من تاريخها هي مرحلة الاحتلال الفارسي. قبل ٥٣٩ ق.م. ارتسم الخط الحضاري في بلاد ما بين النهرين عبر المخطات الحضارية الكبرى التالية: قبل نحو ١٠ آلاف سنة حدثت الثورة

(داريوس الكبير) التي كانت تشمل سورية ومصر لكي يكون لهم منفذ على البحر الأسود في الشمال وعلى البحر الأبيض المتوسط في الجنوب. واعتمد الساسانيون في حكمهم على بلاد ما بين النهرين على قبيلة تنوخ العربية، فاختاروا منها أسرة بني لخم (اللخميون)، بينما اختار البيزنطيون الغساسنة لحكم سورية (عرب لخميون تحت وصاية الساسانيين في العراق، عرب غساسنة تحت وصاية البيزنطيين في سورية).

استمر اللخميون يحكمون العراق حتى وفاة الملك اللخمي النعمان الثالث، فأعاد الساسانيون سيطرتهم المباشرة على العراق إلى أن قضت عليهم الدولة العربية الإسلامية في معركة القادسية.

معركة القادسية ٦٣٧: تحركات عسكرية عربية إسلامية باتجاه العراق سبقت معركة القادسية الفاصلة بنحو أربع سنوات.

في ٦٣٣، حقق خالد بن الوليد أول محاولة اجتياز القوات العربية الإسلامية حدود جزيرة العرب، وتوصل إلى محاصرة الحيرة عاصمة اللخمين الذين دفعوا له الجزية، وواصل هو زحفه لمساعدة أبي عبيدة في فتح الشام. وفي ٦٣٤، وقعت معركة بين العرب المسلمين بقيادة أبي عبيدة الثقفي وبين الساسانيين سميت «غزوة الجسر» قتل فيها أبو عبيدة وتراجعت قواته. وفي ٦٣٥، وقعت «غزوة البويب» قرب الكوفة انتصر فيها العرب المسلمون. كل ذلك أشّر إلى أن معركة فاصلة لا بدّ آتية، فزاد الفريقان من استعداداتهما.

عين الخليفة عمر بن الخطاب القائد سعد ابن أبي وقاص قائداً عاماً للجيش العربية الإسلامية التي كانت قد تمكنت من مناطق في العراق بين ٦٣٣ و٦٣٦، وعين الفرس الساسانيون أشهر قادتهم العسكريين، رستم، قائداً لجيوشهم في العراق. والتقى الجيشان، في حزيران ٦٣٧، على

الكلدانين-البابليين أول من جزّوا الواحد الصحيح إلى ٦٠ جزءاً، وقسموا اليوم إلى ٢٤ ساعة، والساعة إلى ٦٠ دقيقة، والدقيقة إلى ٦٠ ثانية. فكانت بابل في عهد نبوخذنصر (٦٠٥-٥٦٢ ق.م.)، أي قبل نحو ربع قرن من سقوطها في أيدي الفرس الأخمينيين أعظم مدينة في العالم، واستمرت تحتفظ بهذه الأهمية حتى العام ٦٤ ق.م.

(للقوف على أبرز معالم حضارة أرض الرافدين، راجع باب «مدن ومعالم»).

الحكم الفارسي ثم الهليني ثم الروماني (٥٣٩ ق.م. - ٦٣٧ م.م.): احتل الملك الفارسي قورش الأخميني في ٥٣٩ ق.م. مدينة بابل وجعلها عاصمة ملكه بعد أن قضى على الامبراطورية البابلية الثانية التي تميز ملوكها، بعد نبوخذنصر، بالضعف. ودام حكم الفرس إلى ٣٣١ ق.م. أي إلى الغزو الهليني الذي قاده الاسكندر المقدوني، واتخذ بدوره بابل عاصمة له ومات فيها. وفي ٣٢١ ق.م. حكمتها السلالة السلوقية المقدونية التي حافظت بابل في عهدها على أهميتها، ولم تبدأ بفقد هذه الأهمية كمركز حضاري واقتصادي مهم إلا في حوالي العام ٦٤ ق.م. عندما حلّ الرومان محل السلوقيين وتحول طريق التجارة عنها.

فالخط التاريخي لانطفاء بابل بدأ تدريجياً مع الاحتلال الأخميني (٥٣٩ ق.م.)، وتّم مع الاحتلال الروماني (٦٤ ق.م.)، وكان آخر نص بالخط المسماري عثر عليه يعود إلى ٧٥ م. وتحولت الانظار من بابل إلى ستيصيفون (المداين) التي أصبحت عاصمة اليونانيين ثم الساسانيين الفرس الذين حلّوا محل اليونانيين في القرن الثالث وفرضوا سيطرتهم على بلاد وادي ما بين النهرين بينما فرضت بيزنطية هيمنتها على بلاد الشام. وأخذت الدولتان الساسانية والبيزنطية تتنافسان. فالفرس كانوا يريدون إعادة مجد امبراطورية سلفهم داريا

الضفة الغربية لنهر الفرات في موقع يدعى القادسية. وفي اليوم الرابع من المعركة انضمت إلى المسلمين جيوش من سورية. اندحر الساسانيون وقتل قائدهم رستم، وتقدم المسلمون نحو المدائن (ستيسيفون) على نهر دجلة التي كان الساسانيون قد اتخذوها عاصمة شتوية لهم، ثم واصلت زحفها في عربستان (خوزستان) واحتلت عاصمته الأهواز (٦٣٩)، واستمرت في تقدمها متوغلة في بلاد فارس التي دانت للمسلمين في أعقاب معركة النهوند (وراء جبال زاغروس) ٦٤٢. لذلك سميت «غزوة نهوند» بـ«فتح الفتوح».

بعد مقتل الخليفة عمر تولى الخلافة عثمان، ولكنه قتل هو ايضاً في ٦٥٦. وبعده بايع الأنصار علي بن ابي طالب صهر الرسول وابن عمه على الخلافة، ولكن معاوية بن ابي سفيان رفض مبايعته، وكذلك قسم من القريشيين في مكة، لذلك نقل علي مركز الخلافة من المدينة إلى الكوفة في العراق للاحتماء بأهلها من المؤامرات التي قد تحاك ضده في الحجاز أو في سورية. فتحوّلت الأنظار إلى العراق (الكوفة خاصة) الذي أصبح مركز الخلافة إلى ان استشهد الامام علي في مسجد الكوفة بطعنة خنجر وجهها له عبد الرحمن ابن ملجم الخارجي في ٦٦١. وبذلك انتهى عهد الخلفاء الراشدين وانتقل الحكم إلى معاوية مؤسس الدولة العربية الأموية. وفي ٦٨٠، حاول الحسين ابن الامام علي استرجاع الحكم بعد موت معاوية، إلا انه استشهد ومن معه من شيعة في واحات كربلاء، وانفرد الأمويون بالحكم إلى قيام الثورة العباسية في ٧٥٠.

الخلافة العباسية (٧٥٠-١٢٥٨): بعد

انتصار الثورة العباسية في ٧٥٠ انتقل مركز الخلافة من سورية إلى العراق. فكان في بداية الأمر في الهاشمية الواقعة على الضفة الشرقية لنهر الفرات التي اختارها أبو العباس عاصمة له، وظلت الكوفة

عاصمة إدارية. ثم انتقلت العاصمة في ٧٥٢ إلى الأنبار. ودشن هذا الخليفة عهده بـ«غزوة تالاس» في أوزبكستان الحالية، وانتصر على الصينيين في ٧٥١، وأدخل الاسلام إلى تلك الأصقاع. وعندما تولى أخوه أبو جعفر المنصور الخلافة في ٧٥٤ بنى من حجارة ستيسيفون (المدائن) مدينة جديدة على الضفة الغربية لنهر دجلة سمّاها «مدينة السلام»، جعلها ابتداء من ٧٦٢ عاصمة الخلافة العباسية، وهي مدينة بغداد الحالية، (راجع «مدن ومعالم»).

ساعد تحدر العباسيين من عائلات ذات تقاليد تجارية وزراعية وحرفية في ازدهار الاقتصاد وجعل بغداد أكبر الأسواق العالمية. فاقاموا مشاريع الري لزيادة المساحات الزراعية، وبلغت شحاصيل الحبوب المختلفة والرز والتمور مردوداً كبيراً لم تشهده البلاد من قبل. كما تطورت صناعة المعادن، إلا ان صناعة النسيج ظلت تحتل المكانة الاولى، خاصة عندما أدخلت زراعة القطن، الأمر الذي جعل العراق أهم مركز لصناعة النسيج في كامل الامبراطورية الاسلامية. كما أدخل العباسيون صناعة الورق. وتطورت حركة التجارة مع اوروبا والشرق الاقصى... حتى ان التجارة العربية امتدت إلى الصين من جهة، وإلى البلطيق وافريقيا من جهة أخرى. واصبحت بغداد مركزاً مصرفياً له فروع متعددة في أرجاء الامبراطورية. إذ عرفت منذ ذلك التاريخ الصكوك المصرفية والسفاتيح (جمع سُفْتَحَة: كلمة فارسية معناها ان تدفع مالاً لانسان مقابل كتاب منه يتيح لك استرداد ذلك المال من عميل له في بلد آخر) ورسائل الاعتماد.

واصبحت بغداد، بالاضافة إلى مركزها السياسي والاقتصادي العالمي، مركزاً مهماً وعالمياً في ميدان الفنون الجميلة والثقافة والعلوم والفكر، خاصة في عهد المأمون بن الرشيد (٨١٣-٨٣٣) الذي كان ذا ثقافة واسعة ومحباً للعلم. فتطور الجدل الفلسفي وعلم الكلام، ونشأت المذاهب

استطاع أحد فروعها الاستيلاء على البحرين وتأسيس دولة شيعية أصبحت قاعدة انطلاق لاحتلال اليمن في ٩٠١، ولاقت نجاحاً عظيماً في تونس حيث أسس عبيد الله الفاطمي الدولة العبيدية أو الفاطمية في ٩٠٨ التي استقلت عن الخلافة العباسية ووسعت نفوذها إلى كامل شمالي أفريقيا وصقلية ومصر وسورية والجزء الغربي من الجزيرة العربية. وبذلك تفككت الوحدة السياسية للخلافة العباسية.

تفككت في الأطراف، وأصبحت السلطة بيد القادة العسكريين والاداريين الاتراك داخل العراق نفسه. فالخليفة لم يعد له سوى الإشراف النظري أو الإسمي على «امبراطوريته».

حتى ٩٠٨، كان أمر النفوذ التركي لا يزال محاضراً لنوع من الجدل، أو انه لم يكن واضحاً تماماً للعامة من الناس. أما في هذا التاريخ فقد تأكد الأمر بصورة واضحة، وذلك عندما نصب القائد التركي مؤنس الخليفة المقتدر الذي لم يتجاوز من العمر ١٣ سنة (سن الرشد آنذاك)، ومُنح لقب «أمير الامراء» الذي كان في البداية يعني القائد العام للجيش، ولكن امام ضعف الخليفة، استخدم مؤنس ذلك اللقب للتسلط على الادارة إضافة إلى الجيش وأصبح هو الملك الفعلي. فاحتل الأمن وانتشرت الفوضى والجماعة في بغداد. والأدهى من كل ذلك أن الخليفة

المستكفي (٩٤٤-٩٤٦) لما أراد التفتت من قبضة القادة العسكريين الاتراك لم يرَ أمامه إلا أسرة البويهيين الديلمية، فاستعان بها لتحل محل الاتراك، واستمرت توجه سياسة الدولة إلى ١٠٥٥، أي حتى عودة عنصر تركي آخر ممثلاً بالسلاجقة التركمان الذين نجحوا بهجومهم على ايران، ثم على سواد العراق، حيث اضطرت الخليفة القائم بأمر الله (١٠٣١-١٠٧٥) بعد إعلان القائد السلجوقي طغرل بك ولاءه له إلى الاعتماد على السلاجقة الذين دخلوا بغداد في موكب مهيب في

الفقهية الاربعة، وتبنى المأمون مذهب المعتزلة، وأنشأ بيت الحكمة، وهو مركز لترجمة الكتب العلمية والفلسفية الاجنبية سواء من اللغة الفارسية أو السنسكريتية أو اليونانية.

إلا ان فترة قمة هذا الازدهار لم تخل من اضطرابات سياسية خطيرة: ثورة البرامكة، ثورة الزيديين في الكوفة والبصرة، ثورة الخوارج... ومواصلة الحروب ضد الدولة البيزنطية.

وأما بدايات النهاية، أو بدايات التراجع التدريجي فجاءت بعد نحو قرن واحد من تأسيس الخلافة العباسية، أي مع الخليفة المعتصم الذي وإن لم يكن أول من استخدم الاتراك في جيشه وإدارته إلا انه بالغ في الاعتماد عليهم حتى ان نفوذهم أصبح واضحاً في عهد ابنه الواثق (٨٤٢-٨٤٦) الذي وصل إلى حد تعيين أحدهم خلفاً له على العرش مدة غيابه عن العاصمة.

خلف المتوكل (٨٤٦-٨٦١) أخاه الواثق بقرشيح من القادة الاتراك. فأدرك خطر هؤلاء وعمل على محاصرة نفوذهم، وذهب إلى حد نقل العاصمة من سامراء إلى دمشق (٨٥٨) ليكون شاطئاً بالعرب وقريةً من ساحة المعارك ضد البيزنطيين. إلا ان عدم ارتياح أهل الشام للعباسيين جعله يرجع ثانية إلى سامراء ويوكل لأبنائه حكم المناطق الشرقية والغربية والشمالية لتعزيز سلطة الأسرة العباسية تجاه الاتراك، واستمر في محاولاته للقضاء على القادة العسكريين إلا انهم كانوا اسرع منه، فقتلوه مستخدمين في ذلك ابنه المنتصر في ٨٦١. ومن بين أربعة خلفاء توالوا على الحكم بعد المتوكل ثلاثة منهم قتلوا على يد الاتراك، على رأسهم المنتصر نفسه.

وإضافة إلى وضعهم هذا البالغ الضعف والدقة، واجه العباسيون ثورة الزنج التي اندلعت في سواد العراق في ٨٦٩ واستمرت إلى ٨٨٣ فاحتلوا واسط واخذوا يهددون البصرة وبغداد. وبعدها اندلعت ثورة القرامطة، وهي ثورة إسماعيلية

الشهر التالي (شباط)، استسلم الخليفة إلى هولاكو الذي أسرع إلى تجريد السكان من السلاح، ثم عمل فيهم تقيلاً فكانت مذبحه لم يشهد تاريخ العراق مثيلاً لها، وحرق بغداد ومكتباتها، وحطم معالمها الحضارية، كما قتل المستعصم بعد خمسة أيام من استسلامه.

هكذا، انهارت الخلافة العباسية بعدما غرقت في بحر من الدماء. وانهارت المشاريع الاقتصادية المختلفة التي كانت قائمة آنذاك، خاصة في ميدان الري. ودخل العراق مرحلة انحطاط تراجعت فيها العلاقات التجارية التي كانت قائمة مع أوروبا والشرق الأقصى.

وعلى الصعيد السياسي، أصبحت البلاد عرضة لتغيرات سريعة، إذ كانت الحكومات المغولية، ثم التركمانية، تتوالى بشكل مذهل، كما قسمت البلاد إلى منطقتين إداريتين هما المنطقة الجنوبية وكانت تابعة لبغداد، والمنطقة الشمالية التابعة للموصل. وعلى رأس المنطقتين حاكمان مغوليان ومساعدان من التركمان أو من أهل البلاد المواليين. ودامت الحالة على هذا النحو إلى أن سيطرت سلالة تيمور المغولية على البلاد بين ١٣٩٣ و ١٤٠١، ووجه قائدها تيمورلنك ضربة قاسية جديدة إلى العراق، ونهب بغداد التي كان قبل ذلك قد اتخذها عاصمه له، ثم انسحب تاركاً مقاليد الحكم لعصابات تركمانية أمعن في تخريب البلاد بسبب تناحر حكام بغداد والموصل على السيطرة، إلى أن تسلمت سلالة تركمانية أخرى تمت بصلة قرابة مع الصفويين الحكم في ١٥٠٨ التي حلّ محلها العثمانيون في ١٥٣٤. وغني عن القول إن العراق كان أثناء كل تلك الفترة في منتهى الضعف مما جعله يفقد ذلك المركز الحضاري الذي دان له العالم قروناً طويلة. ومما زاد في ضعفه وضياعه لشأنه السابق اكتشاف رأس الرجاء الصالح في ١٤٩٨ الذي فتح طرقاً جديدة للتجارة الدولية نحو الهند على حساب الخليج.

١٠٥٥ ومنح طغرل بك لقب «ملك أمراء المشرق والمغرب» ولقب «سلطان». وتمكن السلاجقة من إعادة توسيع الخلافة (مبقيين على الاسم: «الخلافة العباسية») التي أصبحت في عهدهم تشمل، بالإضافة إلى العراق، قسماً من بلاد فارس وبلاد الأناضول وكذلك سورية وفلسطين. ولإضفاء صفة الشرعية على سلطتهم الفعلية تركوا للخليفة العباسي السلطة الظاهرية، واستمر العراق وعاصمته بغداد عاصمة الخلافة العباسية بكاملها تحت سيطرة السلالات التركية المتتالية حتى هجوم المغول في ١٢٥٨.

وقد ترافقت هذه التطورات الداخلية مع الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا على مدى قرنين من الزمن (١٠٩٦-١٢٩١). وأمام هذا الخطر زاد اعتماد الخلافة العربية على الجند المسلمين غير العرب سواء من خلال الدولة الزنكية أو الأيوبية أو المماليك. ولقد أحدثت هذه الدول العسكرية أعظم الانتصارات على جبهتي الخطر الصليبي القادم من الغرب والخطر التتري القادم من الشرق، لكن ثمن ذلك الصمود العسكري ثم الانتصار العسكري كان باهظاً جداً، إذ إن هذه الدول العسكرية، لمحافظتها الفكرية ولعجمتها الغالبة، أحدثت السكون والموت على الجبهة الفكرية، فتحول في ظلها ذلك التوقف والجمود الذي كان بدأ يدب في أوصال الخلافة العباسية بعد نحو قرن من ولادتها إلى تدهور. وما إن جاء العثمانيون وورثوا المماليك حتى تحول هذا التدهور، على أيديهم وفي ظل حكمهم، إلى انحطاط شديد.

جاءت الضربة البليغة من المغول. فالقائد المغولي هولاكو اجتاز الأموداريا واحتل خراسان، ثم اتصل بالخليفة العباسي مبدئياً رغبته في تعويض السلاجقة الأتراك كقوة حامية له، وأمام رفض المستعصم (١٢٤٢-١٢٥٨) توجه المغول نحو بغداد التي حاصروها في كانون الثاني ١٢٥٨، وفي

إنشاء خط برلين-بغداد، راجع باب المعالم التاريخية).

في أيام ثورة تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقي (من ١٩٠٨)، كان الوالي العثماني على العراق ناظم باشا الذي كان معارضاً للاتحاديين ويطبق في ولايته سياسة محافظة ويقمع أي محاولة تحررية، من ذلك اضطهاده للشاعر العراقي الكبير جميل صدقي الزهاوي الذي كان ينادي بتحرير المرأة وبإدخال الكثير من الإصلاحات. وفي ١٩١١، أقالت الحكومة الاتحادية ذلك الوالي (ناظم باشا) وعينت مكانه والياً جديداً هو جمال باشا (الملقب بـ«السفاح») الذي أشرف على انتخاب مندوبي العراق إلى مجلس «المبعوثان» العثماني بعد أن حل المجلس السابق. وكان المندوبون العراقيون في المجلس الذكور، وعلى رأسهم الزهاوي، ما انفكوا يطالبون الحكومة المركزية العثمانية بإجراء الإصلاحات، إلى أن توقفت أعمال المجلس بسبب إعلان الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤.

التغلغل البريطاني إبان الحكم العثماني:
الشركة البريطانية الشهيرة «شركة الهند الشرقية» أسست في ١٦٤٣ أول معمل لها في البصرة وأقامت فيها أحد فروعها. وفي الثلث الأخير من القرن الثامن عشر كانت هذه المدينة قد أصبحت سوقاً تجارية بريطانية نشيطة. وفي ١٧٩٨، أي في السنة نفسها التي وجهت فيها فرنسا حملة بقيادة نابليون بونابرت على مصر، عينت بريطانيا مندوباً دائماً لها في البصرة. وزاد اهتمام بريطانيا بالعراق بعد تدشين قناة السويس في ١٨٦٩، وخاصة بعد أن أصبحت بريطانيا، في ١٨٧٥، أكبر مساهم في شركة القناة إذ بدأت تفكر في إقامة خط حديدي يربط حيفا على البحر الأبيض المتوسط بالبصرة على الخليج لمنافسة ألمانيا التي حصلت على امتياز خط برلين-بغداد (راجع المعالم

وهكذا لم يعد العراق همزة وصل بين أوروبا والشرق الأقصى، وتراجع أسلوب إنتاجه من أسلوب الانتاج التجاري إلى أسلوب الانتاج الاقطاعي الذي يعتمد أساساً على الزراعة.

الحكم العثماني (١٥٣٤-١٩١٨):

تمكن الاتراك العثمانيون من طرد المماليك التركمان ومن احتلال بغداد في ١٥٣٤. لكن انتفاضات التركمان استمرت واستمر معها نفوذهم بحيث كان العراق خاضعاً نظرياً للحكومة العثمانية المركزية، أما عملياً فكان الولاية الاتراك (وجلهم من التركمان)، في احيان كثيرة، إما يعلنون انفصالهم وإما يتحالفون مع الفرس. ولم يقض على حكم المماليك التركمان في العراق إلا في ١٨٣١ عندما انتصر عليهم السلطان العثماني محمود الثاني الذي كان شديد التأثير بالتقاليد الغربية وأراد إدخال بعض الإصلاحات، لكن التيار المحافظ في السلطنة اعترض سبيله وتمكن من قتله.

السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) نقل تركيا إلى مرحلة «التنظيمات» التي جعلت كل الرعايا العثمانيين سواسية امام القانون. ولكن بقي قسم من تلك التنظيمات أو الإصلاحات طي النسيان نظراً إلى قوة التيار المحافظ، إلى أن جاء السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦) وخطا خطوات حاسمة في ميدان الإصلاح. وأثناء هذه الفترة عمل مدحت باشا، الوالي العثماني على العراق، من ١٨٦٩ إلى ١٨٧٢، على تطبيق قانون الولايات والقانون العقاري وغيرها من القوانين التي اقتبستها الامبراطورية العثمانية عن الغرب.

وكانت الحكومة العثمانية قد أولت اهتمامها بميدان المواصلات. فأدخلت العمل بالنقل النهري الحديث في دجلة والفرات وروافدهما، وأنشأت خطاً تلغرافياً بين بغداد واسطنبول في ١٨٦١، كما باشرت في إنشاء خط حديدي، وأنجزت خط بغداد-سامراء (بعد ذلك عملت على

العراق خاضعاً مباشرة للاستعمار البريطاني الذي اتبع سياسة الترهيب والتزغيب لإحكام قبضته على البلاد.

بدأت نقمة الوطنيين والقوميين العراقيين (بموازاة نقمة الوطنيين والقوميين في باقي الاقطار العربية) ضد الانكليز مع نشر الثورة البولشفية لاتفاقية سايكس-بيكو، ومع الاعلان عن وعد بلفور، إضافة إلى الممارسات الداعلية خاصة في مجال الضرائب. وانفجرت هذه النقمة ثورة عارمة معروفة باسم «الثورة العراقية الكبرى» أو «ثورة العشرين» (١٩٢٠).

من الثورة العراقية الكبرى إلى ١٩٨٠:

راجع، حول مختلف موضوعات هذه الفترة وأحداثها، الأبواب التالية: «الاحزاب»، «معالم تاريخية»، «زعماء، رجال دولة وسياسة»، «أقليات»، «کردستان العراق».

حرب الخليج الاولى (العراقية-

الايروانية): راجع حول النزاع الحدودي «شط العرب» في باب «معالم تاريخية»؛ و«حرب العراق-ايران» في مادة «ايران»، ج٤، ص١٤٩-١٥١.

التاريخية). وفي ١٩١١، كانت بريطانيا وراء إنشاء شركة النفط التركية. فقامت بارسال البعثات للقيام بالدراسات التفصيلية ورفع التقارير. ومن الذين ارسلتهم إلى العراق ضابط الاستخبارات البريطانية الشهير لورانس، ورجلاً آخر هو غرتروودبل الذي لعبت تقاريره دوراً مهماً في توجيه السياسة البريطانية الاستعمارية. وقبل تغلغل بريطانيا في كامل انحاء العراق كانت قد بسطت هيمنتها على الخليج بعد ان طردت البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين، ودافعها إلى ذلك حماية طرق المواصلات إلى مستعمراتها في الهند، والتطلع إلى الوصول إلى العراق وسورية وموانئ البحر الأبيض المتوسط.

السيطرة البريطانية المباشرة، الاحتلال ثم

الانتداب؛ بدأت مرحلة التنفيذ الفعلي للسيطرة على العراق بعد اعلان الحرب العالمية الاولى بأيام قليلة، إذ استولت بريطانيا على البصرة في ١٩١٤، فقصت بذلك على عطة الالمان في إيصال خط الحديد برلين-بغداد إلى الخليج. ومن البصرة أخذت القوات البريطانية تتجه شمالاً وتحتل المدن العراقية الواحدة تلو الأخرى، إلى ان احتلت بغداد في ١٩١٧، والموصل في ١٩١٨، وبذلك أصبح

النفطية؛ ٥- رغبة الدول الغربية في الاحتفاظ بالتوازن القائم في المنطقة (العراق، سورية، إيران) والذي بات صدام حسين عامل تهديد له؛ ٦- الخوف من قوة العراق المثنائية التي قد تجعله مالكا للسلاح النووي؛ ٧- ضغوطات «اللوبي اليهودي» في العالم، إذ ان العراق هو البلد الذي يشكل أكبر خطر على إسرائيل.

١٩٩٠: ٢٤ شباط، صدام حسين في قمة مجلس التعاون الخليجي، في عمان، يحذر من خطر السيطرة الكاملة للولايات المتحدة على الخليج بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، ويدعو العرب إلى رص الصفوف.

١٧ تموز، صدام حسين يتهم بعض بلدان الخليج بالوقوف وراء خفض أسعار البترول لمصلحة النواير الاميرالية والصهيونية، ويعلن ان «الحروب يمكن ان تنشأ لأسباب اقتصادية». وفي اليوم التالي، أجرى ملك السعودية وملك الاردن وأمير الكويت ورئيس اليمن مشاورات حول الأوضاع المستجدة. العراق يصعد ويطالب الكويت بـ ٢,٤ مليار دولار كتعويض عن النفط «المسروق» منذ ١٩٨٠ من آبار روم الله (على الحدود)، والمجلس الوطني الكويتي، رفض هذه الاتهامات، والحكومة الكويتية ترسل مبعوثين إلى البلدان العربية وإلى أمين عام الجامعة العربية لشرح موقف الكويت واقتراح تشكيل «لجنة عربية» لحل مشكلة الحدود بين الكويت والعراق، وتبعث كذلك برسالة إلى أمين عام الامم المتحدة لاعلامه بالوضع. والعراق يتهم الكويت برفض الحل العربي وتسهيل التدخل الاجنبي من خلال اتصالها بالامم المتحدة.

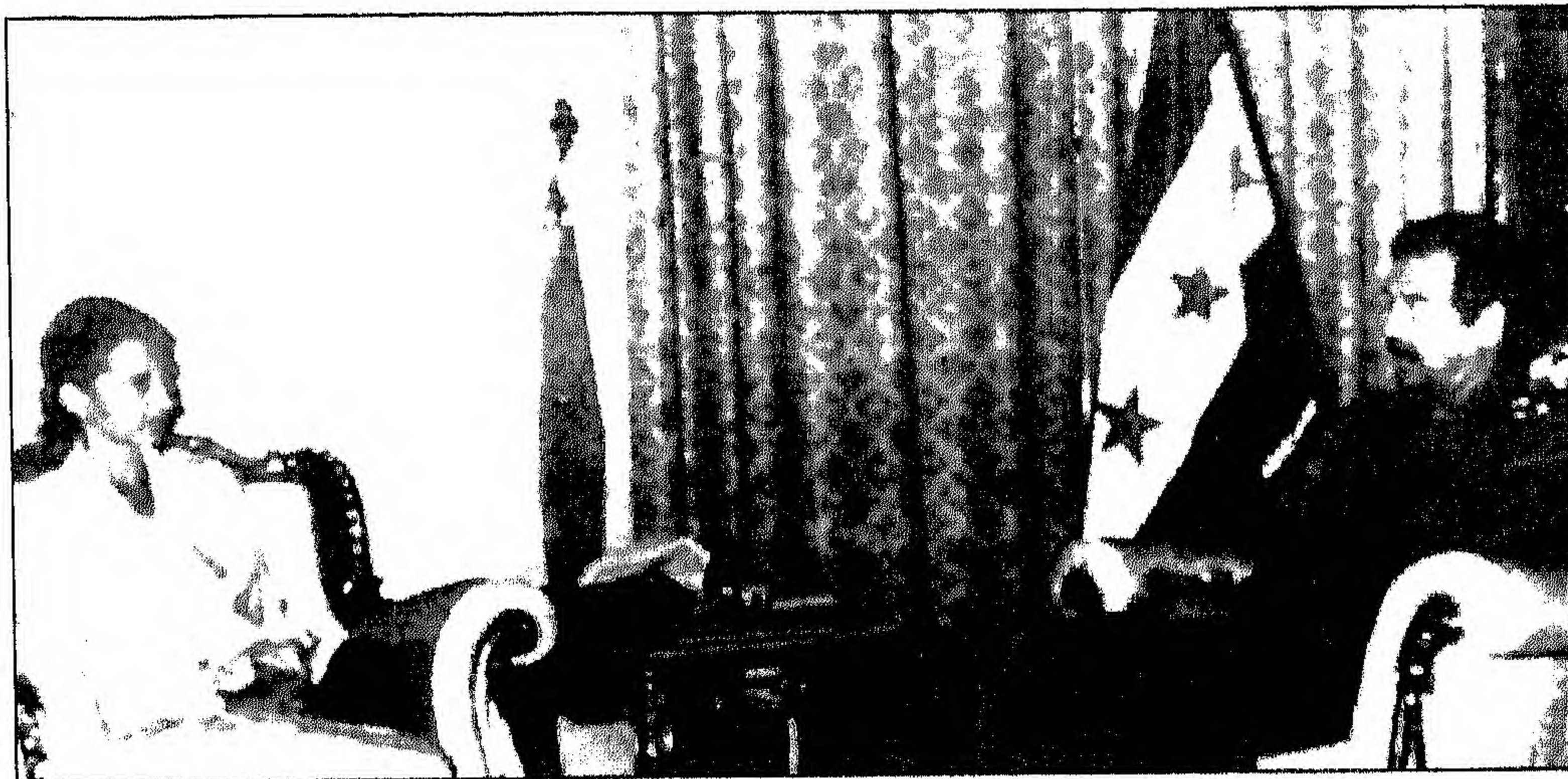
٢١-٢٨ تموز، وساطتان مصرية وسعودية لحل النزاع، والرئيس المصري حسني مبارك يستقبل وزير خارجية العراق طارق عزيز في الاسكندرية، ويقوم بحملة مساع حميدة إلى بغداد والكويت وحدة، وصدام حسين يؤكد بأن لا نية لديه بمهاجمة الكويت. لكن العراق يرفض اقتراحاً كويتياً حول تشكيل لجنة عربية لحل النزاع بحجة ان المشكلة ثنائية، ويحشد ٣٠ ألف جندي على الحدود. وصدام حسين يستدعي سفيرة الولايات المتحدة، أبريل غلاسي، التي تعلمه بأن لا نية لدى الولايات المتحدة بالتدخل في النزاع ولا باعلان حرب اقتصادية ضد العراق. واجتماع لدول الأوبك في جنيف حيث تخضع الكويت والعربية السعودية لضغوطات العراق وتقبل بزيادة سعر النفط ٣ دولارات، فيصبح سعر البرميل ٢١ دولاراً (كان العراق يطالب بأن يصبح ٢٥ دولاراً). والاستخبارات

حرب الخليج الثانية (العراقية-الاميركية أساساً والدولية فرعاً)

(المراجع: الكتاب السنوي الفرنسي «كيد» للعام ١٩٩٤، ص ١٠٣٦-١٠٣٨، مع الإشارة إلى ان المادة وردت بصورة ثبت كرونولوجي).

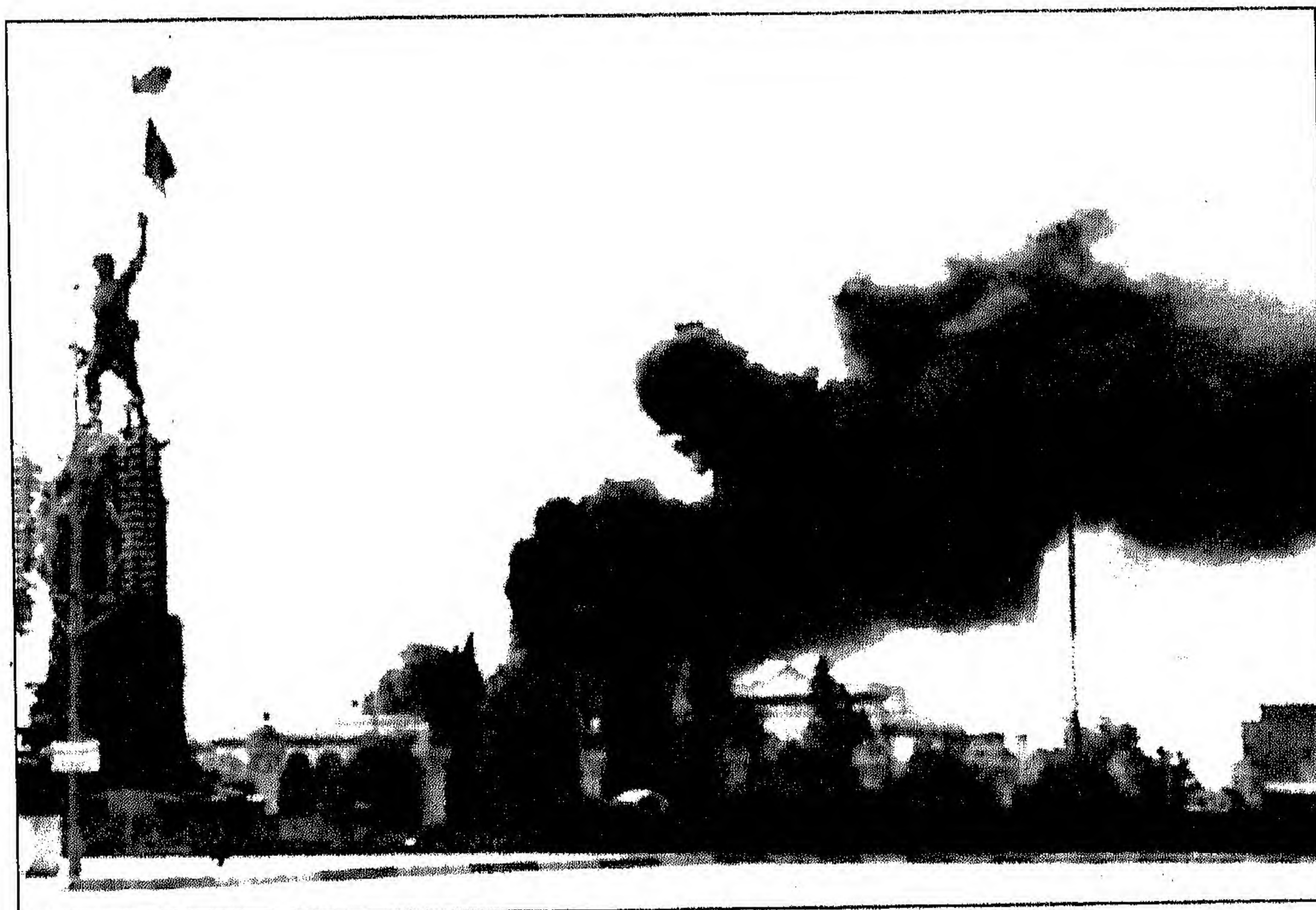
أسباب بعيدة: رفض العراق الاعتراف باستقلال الكويت معتبراً ان هذه الأخيرة كانت جزءاً من ولاية البصرة إبان الحكم العثماني. وعندما حصل العراق على استقلاله (١٩٣٢) بدأ يطالب بالكويت كجزء لا يتجزأ من ترابه الوطني في حين ان الكويت كانت لا تزال محمية بريطانية. وفي ١٩٦١، أعلن عن استقلال الكويت، فسارع العراق إلى إرسال قواته إلى الحدود معها (راجع «عبد الكريم قاسم» في باب زعماء). والمعروف ان ليس للعراق سوى واجهة بحرية على الخليج لا يزيد طولها عن ١٩ كلم، وان جزر وره ورويان الواقعة عند منفذ الخليج كانت قد منحت للكويت. وفي ١٩٣٨، رفض البريطانيون طلباً عراقياً يقضي ببناء مرفأ في خليج الكويت يجري ربطه بالمناطق الداخلية من العراق بواسطة خط سكة حديد. وكذلك طالب العراق الكويت بحق استثمار حقل نفطي في روم الله الحدودية.

أسباب مباشرة: ١- مطامح الرئيس العراقي صدام حسين؛ ٢- دين العراق الخارجي البالغ بين ٣٠ و ٤٠ مليار دولار، ورفض أمير الكويت جابر الصباح إلغاء ما كان يتوجب على العراق من ديون عليها للكويت (١٥ مليار دولار) إبان حرب العراق-إيران، واعتبار صدام حسين انه كان يدافع في هذه الحرب عن المصالح العربية في وجه التوسع الإيراني، وطالب باعتماد إضافي قدره ١٠ مليارات دولار؛ ٣- اتهام العراق السياسة النفطية للكويت ودولة الامارات بأنها مسؤولة عن هبوط أسعار النفط وحرمان العراق من قسم مهم من عائداته النفطية والتسبب في انهياره الاقتصادي في اوائل ١٩٩٠ (الدين المدني والعسكري أصبح يفوق ميزانية الدولة، بطالة متزايدة خاصة بعد تسريح ٢٠٠ ألف جندي، والتخفيض مفاجيء في منسوب مياه الفرات وتقليص في الاراضي المزروعة بعد تنفيذ سد أتاتورك في تركيا، جنوب شرقي الأناضول)؛ ٤- رغبة الولايات المتحدة في الاحتفاظ باشرافها على الثروات



الرئيس صدام حسين مستقبلاً سفيرة الولايات المتحدة أبريل فلاسبي (تموز ١٩٩٠).

دخان القصف يتصاعد من أحد أحياء بغداد خلال حرب الخليج الثانية.



حلول يوم ٢٤ من الشهر، وتغلق الحدود امام الأجانب. ومؤتمر في القاهرة: ١٤ عاجلاً ورئيس دولة من الجامعة العربية إضافة إلى عرفات وخمسة وفود حكومية وصدام حسين نفسه ومندوب عن الحكومة الكويتية في المنفى (الطائف، السعودية)، وتغيب تونس.

١٠-١٢ آب، ٢١ عضواً رفضوا ضم الكويت ووافقوا على الحظر على العراق وعلى إرسال جيوش إلى السعودية، وثلاثة أعضاء (العراق، ليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية) صوتوا ضد هذه القرارات، وتغيب الجزائر واليمن، ولم يشترك الأردن في التصويت. وصدام حسين يدعو إلى «الجهاد المقدس» لإنقاذ مكة والأماكن المقدسة من الاحتلال الأجنبي، ويعلن أن حل الأزمة مرتبط بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة، والانسحاب السوري من لبنان.

١٥ آب، العراق يقبل توقيع معاهدة سلام مع ايران وفقاً لشروط هذه الاخيرة وتقسيم شط العرب الذي كان قد تسبب في حرب بين البلدين دامت ثماني سنوات.

١٨ آب، العراق يعلن عن رغبته في حجز «رعايا الدول العدوانية» الموجودين في الكويت والعراق، واعتبارهم «ضيوف السلام». وجرى تجميع بعضهم في مواقع استراتيجية ليشكلوا «دروعاً بشرية».

٢١ آب، مؤتمر صحفي للرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران: «إننا نعيش في دائرة منطق الحرب». وفرنسا ترسل مفتشين و ٢٠٠ مظلي إلى ابو ظبي، ودعوة لانعقاد البرلمان الفرنسي في ٢٧ الشهر (آب) في دورة استثنائية.

٢٢ آب، الرئيس الاميركي، جورج بوش، يستدعي ٤٠ ألفاً من جنود الاحتياط.

٢٥ آب، مجلس الأمن الدولي يميز استعمال القوة لفرض احترام احكام الحظر على العراق.

٢٨ آب، العراق يعلن ان الكويت أصبحت المقاطعة العراقية التاسعة عشرة.

٣١ آب، الأمين العام للأمم المتحدة، بيريز دو كويلار، يبدأ مساعيه الحميدة.

أول ايلول، أعلن في العراق ان نحو ٧٠٠ امرأة وولد من البريطانيين والفرنسيين والاميركيين واليابانيين يمكنهم مغادرة العراق، وان ٣ آلاف أجنبي يمكنهم المغادرة حتى ٢٢ من الشهر (ايلول) في ما عدا الرجال الذين جرى إرسال ٥٠٠ منهم إلى الأمكنة الاستراتيجية.

٢٣ ايلول، فرنسوا ميتران يقترح في الاسم للتحدة خطة سلام وحل شامل لنزاعات الشرق الاوسط.

الاميركية تنقل إلى البيت الابيض صوراً عن الاقمار الصناعية تكشف عن تمرکز جيش عراقي على الحدود.

٢٨-٣١ تموز، عرفات والحسين ملك الاردن ينضمان إلى المساعي الحميدة. الأمير جابر الصباح يرفض، أثناء استقباله عرفات، الدخول في موضوع الـ ١٠ مليارات دولار التي يطالب بها العراق كتعويض عن حقول روم الله. ومحادثات ثنائية بين العراق والكويت في جدة.

أول آب، قطع المحادثات، والوفد العراقي يغادر جدة معلناً ان الكويت لم تقدم أية اقتراحات جديدة.

غزو الكويت: ٢ آب، الساعة الثانية، الجيوش العراقية تغزو الكويت، عشرات القتلى (منهم الشيخ فهد، شقيق الامير جابر)، ولا امكانية للمقاومة بعد أقل من ساعتين. في الساعة السادسة، طلبت الولايات المتحدة والكويت عقد اجتماع عاجل وطارئ لمجلس الأمن الدولي الذي أصدر بالاجماع القرار ٦٦٠ المتضمن «الانسحاب الفوري وغير المشروط» للعراق. تجميد الحسابات المالية للعراقيين والكويتيين في الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا. وفي موسكو، اعلان مشترك لوزيري خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يدعو إلى تعليق كل شحنات السلاح إلى العراق. وجامعة الدول العربية تدين الاعتداء العراقي وتطلب الانسحاب الفوري وغير المشروط للجيش العراقي من الكويت (صوت ضد هذا القرار: منظمة التحرير الفلسطينية، الاردن، السودان واليمن). وبغداد تعلن تشكيل «حكومة كويتية مؤقتة».

٥ آب، وصول إلى الكويت الدفعة الأولى من عناصر الجيش الشعبي العراقي.

٦ آب، مجلس الأمن الدولي يقرر الحظر الشامل على العراق، وإقفال انابيب النفط العراقية التي تصل إلى تركيا (يومورتاليك) والعربية السعودية (ينبع)، وحكومة الكويت المؤقتة تعلن قيام «جمهورية الكويت الحرة»، ونزوح مئات الآلاف من العمال العرب وغيرهم من الكويت والعراق.

٨ آب، بدء عملية «درع الصحراء» وجيوش ومعدات تصل إلى ظهران على متن حاملات طائرات اميركية، وبريطانيا تلتحق بالقوات المتعددة الجنسية في الخليج.

٩ آب، فرنسا ترسل حاملة طائرات «كليمينسو» من دون ان تشترك بالقوة الدولية. وبغداد تقرر ان على السفارات الاجنبية في الكويت ان تنتقل إلى بغداد قبل

٢٥ في مجلس الشيوخ).

القوات المتواجدة في ساحة المعركة والمواقف الدولية: إيران: بقيت على الحياد، وكانت قد تسلمت، في ١٥ آب ١٩٩٠، قبول صدام حسين باتفاق الجزائر الحدودي (١٩٧٥)، وكان صدام حسين قد أعلن إلغاءه بعد انتصاره في حرب العراق-إيران، لكنها رفضت تسليم العراق الطائرات العراقية التي لجأت إليها (١١٥ طائرة بحسب المصادر العراقية، ١٣٧ بحسب المصادر الأميركية)، واستقبلت، في نهاية الحرب، مئات الآلاف من الشيعة الهاربين من العراق.

اسرائيل: رفضت أي ربط بين الأزمة الناشئة وبين القضية الفلسطينية، ونمت عدم توريطها في النزاع، ولكنها ضاعفت من استعداداتها في مواجهة الخطر العراقي، كما عملت بالنصائح الأميركية في أن تبقى بعيدة عن الواجهة وأملت في الحصول على مزيد من الضمانات في مرحلة ما بعد الحرب.

الفلسطينيون: كان توزعهم، في تموز ١٩٩٠، وفق الخريطة التالية: مليون و٦٨٠ ألفاً في الأردن، ٨٠٠ ألف في الأراضي المحتلة، ٤٠٠ ألف في الكويت، ١٨٠ ألفاً في العربية السعودية، ٧٠ ألفاً في الامارات، و٥٠ ألفاً في العراق. ووقفت منظمة التحرير الفلسطينية، بمبادرة من عرفات وتحت ضغط الجماهير الفلسطينية إلى جانب العراق على الرغم من أن دعمها المالي يأتي بالدرجة الاولى من دول الخليج (٧٠٪ من ميزانيات المدارس والمستشفيات الفلسطينية). وكانت الأزمة قد كلفت الفلسطينيين، نتيجة هذا الموقف وحتى ١٥ كانون الثاني ١٩٩١، نحو ١٠ مليارات دولار، إضافة إلى أن البلدان العربية أوقفت ضخ حصصها لدعم الانتفاضة في الأراضي المحتلة.

دول التحالف: ضم هذا التحالف ٢٨ بلدًا: العربية السعودية (٦٧٥٠٠ جندي مجهزين بعناد حربي من مختلف الاسلحة المتطورة، إضافة إلى ٤ آلاف جندي كويتي و ١٠ آلاف من مختلف دول مجلس التعاون الخليجي المتمركزين في السعودية)، الأرجنتين (٣٠٠ جندي)، أستراليا (٦٠٠)، البحرين، بنغلادش (٢٠٠٠)، بلجيكا (٤٠٠)، كندا (١٨٣٠)، كوريا الجنوبية (١٥٠)، الدانمارك، مصر (٣٥٦٠٠)، أفنى شيخ الأزهر بواجب

آخر ايلول، نحو نصف سكان الكويت يفرون إلى الخارج.

١٧ تشرين الاول، أكثر من ٢٠٠ ألف جندي اميركي في الخليج.

٢٩ تشرين الاول، العراق يعلن تحرير ٣٢٧ فرنسيًا كانوا لا يزالون محتجزين في العراق والكويت.

٨ تشرين الثاني، ٢٠٠ ألف جندي اميركي في حالة استعداد عسكري تام.

١٨ تشرين الثاني، العراق يعلن تحرير كل الرهائن بين ٢٥ كانون الاول ١٩٩٠ و ٢٥ كانون الثاني ١٩٩١.

٢٩ تشرين الثاني، مجلس الأمن الدولي يمجيز لجميع الدول المتحالفة مع الكويت استعمال القوة ضد العراق إذا لم ينسحب من الكويت قبل ١٥ كانون الثاني ١٩٩١.

٦ كانون الاول، العراق يحرر الدفعة الأخيرة من المحتجزين.

١٦ كانون الاول، بوش يعيد تأكيد استعمال القوة في حال عدم انسحاب العراق في الموعد المحدد (١٥ كانون الثاني ١٩٩١).

٢٤ كانون الاول، صدام حسين يكرر قوله في ان اسرائيل ستكون الهدف الاول للضربات العراقية.

١٩٩١: ٢ كانون الثاني، صدام حسين يستقبل في بغداد ميشال فوزيل رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان الفرنسي.

٥ كانون الثاني، العراق يرفض دعوة المجموعة الأوروبية زيارة لوكسمبورغ.

٩ كانون الثاني، فشل اللقاء بين جيمس بايكر (وزير خارجية الولايات المتحدة) وطارق عزيز (وزير خارجية العراق) في جنيف. والكونغرس الاميركي يمجيز للرئيس بوش استعمال القوة (٥٢ صوتًا ضد ٤٧ في مجلس الشيوخ، ٢٥٠ صوتًا ضد ١٨٣ في مجلس النواب).

١٤ كانون الثاني، في مجلس الأمن الدولي، الولايات المتحدة ترفض خطة السلام الفرنسية التي تدعو إلى عقد مؤتمر دولي حول القضية الفلسطينية ومختلف مشكلات وقضايا الشرق الاوسط.

١٥ كانون الثاني، الساعة صفر (بحسب التوقيت الاميركي) انتهاء مهلة الانذار المحددة لانسحاب العراق من الكويت.

١٦ كانون الثاني، البرلمان الفرنسي، في دورة استثنائية، يوافق على موقف الرئيس ميتران من الازمة (٥٧٤ صوتًا ضد ٤٣ في مجلس النواب، و ٢٩٠ صوتًا ضد

١٩ كانون الثاني، الولايات المتحدة تسلم اسرائيل
مريضين مدغية باتريوت المضادة للصواريخ إضافة إلى
مريضين آخرين كانت قد تسلمتهم اسرائيل قبل بدء
المعركة.

٢١ كانون الثاني، الولايات المتحدة تستدعي ٢٠
ألف احتياطي إضافي.

٢٢ كانون الثاني، إطلاق صواريخ سكود على
العربية السعودية وعلى اسرائيل. واسرائيل تهدد بالرد.

٢٣ كانون الثاني، أول اشتباك بري بين العراقيين
والاميركيين.

٣١ كانون الثاني، بعد ١٥ يومًا من المعارك
(وبحسب ما أعلنه الجنرال الاميركي شوارزكوبف، القائد
العام لعملية «عاصفة الصحراء»): ٣٠ ألف طلعة للطيران
الحربي الحليف، منها ٥٣٥ طلعة استهدفت ٣١ هدفًا
عراقيًا نوويًا وكيميائيًا أو بيولوجيًا، و ٥٠٪ من الأهداف
جرى تدميرها أو إلحاق الضرر بها، كما جرى تدمير ١١
مخزنًا و ٣ معامل للمنتوجات الكيميائية، و ٢٥٪ من طاقة
الانتاج الكهربائي، و ٢٣ جسرًا من أصل ٣٣، و ٢٥ مخزنًا
للدخائر، و ٤٥ مدرج طيران حربي، و ٢٥ طائرة عراقية
(٨٩ طائرة لجأت إلى إيران). وفي البحر، أطلقت حاملات
الطائرات ٣٥٠٠ طلعة جوية و ٢١٦ صاروخ تومهورك،
وأغرقت ٤٦ سفينة حربية عراقية.

أول شباط، فرنسا تجيز للطائرات البريطانية عبور
أجوائها، واسبانيا تجيز للولايات المتحدة استعمال القواعد
الاميركية على اراضيها للاغارة على العراق.

٦ شباط، غارات جوية على بغداد، وطائرات
عراقية تلجأ إلى إيران، و ١٧ ألفًا من المارينز يتجهون إلى
الخليج.

٧ شباط، العراقيون يشعلون النار بعدة آبار نفطية
في الكويت.

٢٤-٢٨ شباط: هجوم بري اميركي، وتوغل في
الاراضي الكويتية إلى ٨٠ كلم في اليوم الاول (٢٤ شباط)،
وهجوم اميركي-بريطاني على جبهة الجنوب. المارينز عند
ابواب العاصمة الكويت (٢٥ شباط)، ثم تصبح على بعد
٢٨٠ كلم من بغداد. والعراقيون يعلنون انسحاب قواتهم
«إلى المواقع المحتلة قبل أول آب ١٩٩٠». وفي الساعة
الرابعة من فجر ٢٧ شباط، قوات كويتية تدخل مدينة
الكويت (العاصمة). وفي الساعة الثالثة من ٢٨ شباط،
برش يعلن إيقاف العمليات الهجومية لدول الحلف. والعراق
يعلن عن أمر صدر للقوات المسلحة بوقف إطلاق النار.

دخول المسلمين المعركة ضد العراق وبأن الاستعداد
بالقوات الأجنبية لا يخالف الشريعة، وقيام مظاهرات
ضخمة في مصر مؤيدة للعراق نظمها الاخوان المسلمون
والتجمع الوطني التقدمي الوحدوي، الامارات العربية
المتحدة (٤٠ ألفًا)، الولايات المتحدة (٥١٥ ألفًا)، فرنسا
(١٩ ألفًا)، بريطانيا (٣٦ ألفًا)، اليونان (٢٠٠)، هنغاريا
(٣٧ رجلًا، فريق طبي)، ايطاليا (١٣٠٠)، المغرب
(١٢٠٠ إضافة إلى ٥ آلاف في أبو ظبي)، النيجر (٥٠٠)،
نيوزيلندا (فريق طبي من ٤٠ رجلًا)، عُمان (٢٥ ألفًا)،
باكستان (١٠ آلاف)، هولندا (٤٠٠)، بولندا (١٣٠)،
قطر، رومانيا (٣٦٠)، السنغال (٥٠٠)، سيراليون
(٢٠٠)، السويد (٥٢٥)، سورية (٢٠ ألفًا و ٨٠٠)،
لكنها هدّدت بترك ساحة المعركة إذا تدخلت اسرائيل
عسكريًا، واصبحت، لدى هزيمة العراق، القوة العسكرية
الأساسية في المنطقة وحصلت على وعد بإطلاق يدها في
لبنان، وتشيكوسلوفاكيا (٢٠٠). وغالبية هذه القوات،
خاصة منها الاميركية والبريطانية والفرنسية، كانت مزودة
بمختلف الاسلحة الأكثر تطورًا، البرية والجوية والبحرية.

بالمقابل، كان عديد القوات المسلحة العراقية ٧٠٠
ألف رجل (جيش نظامي، جيش احتياطي وميليشيا ٥٤٥
ألفًا، الحرس الجمهوري ١٤٠ ألفًا) مزودين بـ ٥٦٠٠٠ عربة
ومدرعة، و ١٩٠٠٠ مريض مدغية، وصواريخ سكود
ارض-ارض وصواريخ «الحسين»، وصواريخ ارض-جو
سام سوفياتية الصنع، وصواريخ كروتال الفرنسية وهوك
الاميركية، وصواريخ فروغ-٧ أرض-أرض متحركة
بمحمولات كيميائية، و ٧٠٠ طائرة حربية، بما فيها ٢٠٠
طائرة هليكوبتر، إضافة إلى ترسانة من السلاح الكيميائي.
أطلق العراق، في ايام المعركة، ٨٦ صاروخ سكود (٤٧
باتجاه السعودية، ٣٩ على اسرائيل).

العمليات العسكرية: في ١٦ كانون الثاني
(١٩٩١)، من الساعة التاسعة مساء حتى نصف الليل، ١٠
طائرات هليكوبتر اميركية تدمر موقعي رادار قرب بغداد.
وبعد ساعات قليلة، صبيحة ١٧ كانون الثاني، تبدأ عملية
«عاصفة الصحراء»، والرئيس الاميركي جورج بوش يأمر
بقصف المواقع الاستراتيجية العراقية، والقوات الجوية الحليفة
تبدأ أيضًا غاراتها.

١٨ كانون الثاني، البرلمان التركي يميز (٢٥٠
صوتًا ضد ١٤٨) للاميركيين استعمال القواعد الجوية
التركية. وإطلاق أول صاروخ سكود عراقي على اسرائيل.

الخسائر: لدى الحلفاء: البشرية، ٣٠ قتيلًا، منهم ٤ خلال الهجوم البري، و٢٤٣ جريحًا؛ و٢٨ قتيلًا و٩٧ جريحًا في معسكر طهران الذي كان هدفًا لصاروخ عراقي؛ و٦ قتلى و٦ جرحى بريطانيين؛ وقتيلان و٢٧ جريحًا فرنسيين. و١٣ قتيلًا و٤٣ جريحًا من الجيوش العربية؛ و١٨ قتيلًا من السعودية، بينهم ١٣ خلال الهجوم البري، و٢٠ جريحًا؛ و٨ جرحى من السنغاليين. من المفقودين ٤٣ أميركيًا، و١٠ سعوديين، و٨ بريطانيين، وإيطالي واحد، وكويتي واحد. والأسرى ٩ جنود أميركيين، وبريطانيين، وإيطالي واحد، وكويتي واحد. الخسائر المادية: ٤٢ طائرة منها ٣١ طائرة أميركية، و٧ بريطانية، وطائرتان سعوديتان وطائرة إيطالية وطائرة كويتية، إضافة إلى ١٥ طائرة هليكوبتر أميركية.

لدى العراق: بحسب المصادر العراقية ٢٠ ألف قتيل و٦٠ ألف جريح. بحسب مصادر الحلفاء أكثر من ١٠٠ ألف قتيل. الأسرى ١٧٥ ألفًا. الخسائر المادية: ١٣٩ طائرة (أكثر من ١١٥ لجأت إلى إيران)، ٨ طائرات هليكوبتر، ٧٤ سفينة حربية، ٢٠٨٥ عربة ومدعة (٤٠٠ خلال الهجوم البري)، ٨٥٦ ناقلة جند، ٢١٤٠ مدفعًا.

التلوث: يقع سوداء في مياه الخليج بسبب فتح العراقيين أنابيب النفط في ميناء الأحمدى، فتسربت وانتشرت في المياه كمية من النفط الخام قدرت بـ ١٠٠ ألف طن. وبقعة أخرى انتشرت من ميناء البكر وقدرت مساحتها بـ ٥٠×١٥ كلم، لتعود وتتجزأ عند الشواطئ السعودية والكويتية والإيرانية. واتخذت إجراءات للحد من أضرارها خاصة وأن الخليج مقلل وقليل العمق (٢٥-٣٠ م).

٧٣٢ بئرًا نفطيًا في الكويت (من أصل ١٠٨٠ بئرًا) أحرقت خلال الحرب، فغطى الدخان الأسود ثلث ربع مساحة الكويت، وشوهت آثار الدخان الأسود على تلوج جبال هيمالايا. واستمرت عمليات إطفاء حرائق هذه الآبار حتى ٦ تشرين الثاني ١٩٩١.

قرارات الأمم المتحدة في ١٩٩٠-١٩٩١:

١٦ قرارًا متعلقًا بالعراق خلال ١٤ شهرًا، من ٢ آب ١٩٩٠ إلى ٢ تشرين الأول ١٩٩١:

القرار ٦٦٠ (٢ آب ١٩٩٠): ١٤ صوتًا، اليمن لم تصوت: يدين غزو الكويت ويفرض انسحابًا فوريًا للعراق.

القرار ٦٦١ (٦ آب ١٩٩٠): ١٣ صوتًا، غياب كوبا واليمن: عقوبات اقتصادية على العراق (حظر مالي، تجاري وعسكري)، باستثناء الشحنات الطبية وبعض المنتوجات الغذائية.

القرار ٦٦٢ (٩ آب ١٩٩٠): إجماع الأصوات: إعلان العراق ضم الكويت لاغ ولا مفاعيل له.

القرار ٦٦٤ (١٨ آب ١٩٩٠): بالاجماع: يفرض الإفراج عن الرهائن.

القرار ٦٦٥ (٢٥ آب ١٩٩٠): ١٣ صوتًا، غياب كوبا واليمن: يجيز اللجوء إلى القوات البحرية لفرض الحظر.

القرار ٦٦٦ (١٤ ايلول ١٩٩٠): ١٣ صوتًا، وصوتا كوبا واليمن ضد: المساعدة الغذائية المرسلة إلى العراق أو الكويت يجب ان تشرف على إرسالها وتوزيعها الأمم المتحدة أو أي منظمة دولية أخرى.

القرار ٦٦٧ (١٦ ايلول ١٩٩٠): بالاجماع: يدين انتهاك حرمة السفارات ويطالب بتحرير الأجانب الذين حُطِفوا من المقرات الدبلوماسية.

القرار ٦٦٩ (٢٤ ايلول ١٩٩٠): بالاجماع: يطلب من «لجنة العقوبات» فحص طلبات المساعدة التي تقدم بها البلدان التي تعاني من صعوبات اقتصادية وفقًا لاحترامها قواعد الحظر على العراق.

القرار ٦٧٠ (٢٥ ايلول ١٩٩٠): ١٤ صوتًا، كوبا ضد: توسيع نطاق الحظر ليشمل التجارة الجوية.

القرار ٦٧٤ (٢٩ تشرين الأول ١٩٩٠): ١٣ صوتًا، غياب كوبا واليمن: يذكّر العراق بمسؤوليته، وفقًا للقانون الدولي، عن كل الاضرار الملحقه بالكويت وبأي دولة أخرى نتيجة لاحتلاله غير المشروع للكويت.

القرار ٦٧٧ (٢٨ تشرين الثاني ١٩٩٠): بالاجماع: يدين محاولات العراق تعديل الوضع الديمغرافي في الكويت، ويوصي الأمم المتحدة بالاحتفاظ بنسخة عن سجل الاحوال الشخصية لهذا البلد.

القرار ٦٧٨ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٩٠): ١٢ صوتًا، كوبا واليمن ضد، وغياب الصين: يفرض على العراق الامتثال للقرار ٦٦٠ ويجيز للدول المتعاونة مع الكويت استعمال كل الوسائل الضرورية لاجبار العراق على احترامه إذا لم ينسحب من الكويت في مهلة أقصاها ١٥ كانون الثاني ١٩٩١.

القرار ٦٨٦ (٢ آذار ١٩٩١): ١١ صوتًا، كوبا ضد، وغياب الصين والهند واليمن: بعد قبول العراق (في



خريطة الخطر الجوي التي فرضت
على العراق في أعقاب
حرب الخليج الثانية.

القرار ٧٠٦ (١٥ آب ١٩٩١): ١٣ صوتاً، صوت واحد ضد، وغياب صوت: يسمح للعراق ببيع كمية من النفط بقيمة ١,٦ مليار دولار خلال مدة ٦ أشهر ليتسنى له شراء غذاء وأدوية ودفع ٣٠٪ من هذه المبالغ كتعويضات حرب.

القرار ٧٧٨ (٢ تشرين الأول ١٩٩١): حجز جزئي لأموال العراقيين في الخارج. (هنا تنتهي كرونولوجيا «حرب الخليج الثانية» المترجمة عن الكتاب السنوي الفرنسي «كيد»، المرجع المذكور في مطلع الموضوع).

حرب الخليج الثانية «حرب معلومات خادعة» (مناقشة): بعد انقضاء نحو ست سنوات على هذه الحرب عقد في أبو ظبي في ٥-٧ كانون الثاني ١٩٩٧ مؤتمر «ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها في المجتمع والدولة في العالم العربي»، نظمه «مركز الامارات للدراسات والبحوث والاستراتيجية» اشترك فيه اختصاصيون في الاقتصاد والاجتماع والسياسة من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وبلدان الخليج العربية، وعرض تحليلات وتقويمات ميدانية للبرامج التلفزيونية في دول الخليج العربية وتأثير المعلومات على طلابها وعلى المجتمع والدولة في

٢٧ شباط الامتثال للقرار ٦٦٠ ولباقي القرارات الدولية دون شروط، يحدد هذا القرار الجديد شروط نهاية العمليات الحربية. فتصبح جميع القرارات الدولية مطبقة، ويكون على العراق العودة عن كل قراراته المترتبة على ضم الكويت، واحترام مسؤوليته حيال الاضرار الملحقه بالكويت وبكل دولة أخرى، وإطلاق سراح جميع رعايا الكويت أو أي دولة أخرى متعاونة معها، وإعادة جميع ممتلكات الكويتيين، وإطلاق جميع سجناء الحرب فوراً، ووضع نهاية لكل عمل عدائي، وتقديم كل المعلومات الكفيلة بتحديد أماكن الأنفخاخ وكل آلة أو سلاح كيميائي في الكويت أو في المناطق العراقية أو المياه الإقليمية وحيثما كان مسرح عمليات قوات التحالف.

القرار ٦٨٧ (٣ نيسان ١٩٩١): يفرض على بغداد تدمير كل سلاح لديها غير خاضع للاتفاقيات الدولية، وكذلك جميع الصواريخ متوسطة وطويلة المدى التي تمتلكها.

القرار ٦٨٨ (٥ نيسان ١٩٩١): ١٠ أصوات، كوبا واليمن وزيمبابوي ضد، وغياب الصين والهند: يدين قمع السلطات العراقية الأهالي العراقيين، ويلجأ في السماح للمنظمات الانسانية الوصول إلى الأهالي الذين يحتاجون إلى المساعدة.

٢٤ تشرين الاول، العراق يرفض القرارين الدوليين ٧٠٦ و ٧١٢.

تشرين الثاني، إقالة حسين كامل حسن، صهر صدام حسين ووزير الدفاع منذ ٦ نيسان ١٩٩١، وتعيين علي حسن ماجد (الملقب بـ«جزار كردستان») مكانه، وكذلك تعيين واطبان ابراهيم الحسن (أخ شقيق لصدام حسين) وزيراً للدخالية.

١٩٩٢: ١٥ ايار، انتخابات نيابية في كردستان (١٠٥ اعضاء، لولاية ثلاث سنوات: ١٠٠ مقعد للأكراد موزعة على الحزبين الأساسيين: مسعود برزاني وجلال الدين الطالباني، و٤ مقاعد للحركة الديمقراطية الأشرورية، ومقعد واحد لشعب كردستان المسيحي).

٦ تموز، زوجة الرئيس الفرنسي ميژان في زيارة كردستان، وتعرضت أثناءها لمحاولة اغتيال. ٢٥ تموز، إعدام ٤٢ تاجراً عراقياً بتهمة الإثراء غير المشروع.

٢٦ تموز، العراق يقبل بخبراء دوليين، لكن من دول محايدة.

٢٦ آب، فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة تقيم منطقة حظر جوي جنوبي خط العرض ٣٢ لحماية السكان الشيعة. والرئيس الاميركي، بوش، يعطي العراق ٢٤ ساعة لوقف الضربات الجوية ضد الشيعة.

٢٧ آب، بدء سريان مفعول قطاع حظر الطيران وإرسال دوريات جوية اميركية وبريطانية.

تشرين الاول، اقتتال كردي-كردي وسقوط نحو ألف قتيل، ومعارك بين الشيعة في الجنوب (٢٦٦ قتيل).

٧ كانون الاول، إطلاق مشروع ضخ: النهر الصناعي (نهر صدام حسين) بين دجلة والفرات (٥٦٥ كلم) للملاحة والري (١٢٥٠٠ هكتار) وتخفيف المستنقعات في الجنوب (الأهوار، حيث المتمرّدون، راجع «الأهوار» في باب مدن ومعالم).

٢٧ كانون الاول، إسقاط ١٢ طائرة عراقية في منطقة الحظر الجوي الدولي.

١٩٩٣: ٤ كانون الثاني، العراق يحرك صواريخ أرض-جو إلى قطاع الحظر الجوي، وفي ٦، اميركا والحلفاء يعطون بغداد ٤٨ ساعة لإزالة الصواريخ أو مواجهة اعمال عسكرية. وفي ٨، بغداد ترفض إنذار الحلفاء. وفي ١٠، ٢٠٠ عراقي مسلح يمتازون الحدود الكويتية ويزيلون ٤

الاردن، وبلدان المغرب العربي، وايران، واستطلاعات الرأي العام في فلسطين، ودور الاعلام في حرب الخليج الثانية.

من الاستنتاجات الخطيرة للمؤتمر:

- ان حروب المعلومات تجري الآن بشكل مستمر حول العالم العربي، وانها ستلعب دوراً متزايداً في نشوء وتطور الانظمة السياسية العربية.

- وان تكنولوجيا الاتصالات خلعت ملايين المشاهدين في حرب الخليج، وان الاطار التصوري السائد اليوم في النظام العام العالمي هو نتاج الصورة المفركة التي صنعتها حرب الخليج والتدفق الحر للمعلومات التي تستهدف أول ما تستهدف الرأي العام برمته. فحرب الخليج قدمت مثلاً عملياً لحرب المعلومات. هذه الحرب سجلت «انتصار الصورة الاعلامية على الحقيقة والمنطق» وفق الدراسة التي قدمها في المؤتمر الدكتور حامد مولانا (استاذ العلاقات الدولية في جامعة واشنطن) وعرض فيها كيف خلعت تكنولوجيا الاتصالات ملايين المشاهدين في أنحاء العالم كافة الذين انبهروا بالصور الاعلامية لها وخيل لهم انهم يتابعون الحرب خطوة بخطوة في حين ان كل ما قدمته لهم كان صورة مصطبعة للواقع (راجع «الخليج العربي»، ج ٨).

ما بعد الحرب: العراق تحت الحصار الدولي

١٩٩١: أول آذار، انتفاضة في البصرة والنجف وكربلاء تلبية لنداء المجلس الأعلى للثورة الاسلامية (راجع باب الاحزاب)؛ وانتفاضة كردية في كردستان العراق.

٢٣ آذار، تعيين سعدون حمادي رئيساً للوزراء (بقي في منصبه هذا حتى ١٣ ايلول ١٩٩١).

١٨ حزيران، إعدام ١٨ ضابطاً اتهموا بالتآمر. وفي هذا الشهر، أعلن مسعود برزاني عن اتفاق حول الاستقلال الذاتي لكردستان العراق (لم يتم تصديق الاتفاق).

٦ تموز، تدمير آخر الأسلحة الباليستية. واتفاق حول تدخل الامم المتحدة في ما يتعلق باللاجئين لمهلة ٦ أشهر (تنتهي في ٣١ كانون الاول ١٩٩١).

١٧ ايلول، سماح محدود بتعدد الاحزاب. ٣ تشرين الاول، الاعلان عن محاولة انقلابية وإعدام ٧٦ ضابطاً. تعيين محمد حمزه زبيدي رئيساً للوزراء.



امراة عراقية تحمل طفلها الرضيع. ان حوالي « ١.٤ مليون طفل عراقي تولوا بسبب انعكاسات العقوبات على العراق»، منذ ان بدأ الحصار الدولي على العراق في ١٩٩١ وحتى صيف ١٩٩٨.

الدول المتحضرة» هو «من خلال العمليات الديمقراطية واحترام حقوق الانسان والمساواة في معاملة شعبه والتقيّد بالقواعد الرئيسية في السلوك الدولي». الحكومة العراقية واللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة المكلفة إزالة أسلحة الدمار الشامل العراقية توقعان وثيقة تعيّن اللجنة الخاصة والوكالة الدولية للطاقة الذرية تقديم تقرير إلى مجلس الأمن يعكس رأيهما في ان العراق نفذ كل التزاماته بموجب الفقرة س من القرار ٦٨٧ الذي يتضمن شروط وقف النار في الخليج.

١٩٩٤: في ايار، مجلس الأمن يجدد العقوبات على العراق للمرة الثانية منذ فرض الحظر. بيان لمجلس قيادة الثورة الذي قرر «إعفاء رئيس مجلس الوزراء (أحمد حسين السامرائي) ونائبه والوزراء من مناصبهم»، وبسبب «ظروف الحصار وما يتطلبه الوضع من اهتمام استثنائي بالشؤون الاقتصادية ومعيشة المواطنين» قرّر «ان يتولى الرئيس صدام حسين مباشرة رئاسة مجلس الوزراء»، لمعالجة انعكاسات الحظر الاقتصادي وانهيار قيمة الدينار وتدني المستوى المعيشي للعراقيين إلى حد دفع الأمم المتحدة إلى التحذير من مجاعة في العراق.

آخر آب، وقع وفد تركي في بغداد بروتوكولاً للتعاون التجاري والاقتصادي والصناعي يقضي بتشكيل غرفة تجارة عراقية-تركية. وكان الرئيس التركي سليمان ديميريل، قبل ايام قليلة، دعا في مؤتمر صحافي مع الملك حسين عقده في عمان إلى رفع الحظر الدولي على العراق في أقرب وقت ممكن.

تشرين الاول، أذيع في بغداد بيان بعد اجتماع مشترك لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث رأسه صدام حسين هدد بـ«موقف حديد (...) يخرج شعب العراق من الخنّة»، وهاجم بشدة رالف أكيوس (رئيس اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة المكلفة نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية) و«أصحاب الغرض السيء» الذين «يسعون إلى إطالة الحصار» الدولي المفروض على العراق.

أتبعت بغداد هذا البيان بخشد عسكري على الحدود مع الكويت وبتهديتها إسقاط الحظر عن طريق التذكير بقدرتها على زعزعة الاستقرار. وعادت إلى المنطقة أجواء توتر شديد، وحدثت احتمالات المواجهة. اضطدمت المحاولة العراقية بحزم خليجي ودولي، وسارعت الولايات المتحدة وبريطانيا إلى إرسال قوة ردع برية وبحرية وجوية.



رالف اكيوس.

صواريخ «سيلكويرم» خلفتها قواتهم في حرب الخليج. وفي ١٢، العراقيون يجتازون الحدود الكويتية مرتين أخريين ليزيلوا معدات ومواد تركوها وراءهم، وبغداد تحرك بطاريات مضادة للطائرات في قطاعي حظر الطيران الشمالي والجنوبي.

في ١٣ كانون الثاني، غارات جوية للحلفاء استهدفت مواقع صواريخ في تليل والسماوة والتجف، ومواقع صواريخ سام في منطقتي البصرة وتليل.

٢٦-٢٧ حزيران، البحرية الاميركية تقصف مقر الاستخبارات العراقية في شارع المنصور في بغداد (٦ قتلى)، والرئيس الاميركي، بيل كلينتون، يعتبر ان السلطات الاميركية توصلت إلى «أدلة دامغة» تثبت تورط الحكومة العراقية في تدبير محاولة اغتيال الرئيس الاميركي جورج بوش أثناء زيارته للكويت في نيسان. وأيدت الكويت هذه الضربة، وكذلك موسكو، وتفهمت باريس دوافعها، وشدّدت لندن على ضرورة استئصال إرهاب الدولة العراقية.

١٦ تشرين الثاني، بعثة الأمم المتحدة المكلفة مراقبة الحدود الكويتية-العراقية تعلن عن أن مئات العراقيين عبروا الحدود ورفعوا العلم العراقي داخل اراضي الكويت. وتصعيد اعلامي وأجواء توتر.

٣٠ تشرين الثاني، الرئيس الاميركي، كلينتون، يصرح بأن الطريق الوحيد لعودة العراق إلى «بمجموعة

وسياسيًا، أدت هذه الاكتشافات إلى تلاشي أصوات دولية نافذة، كروسيا وفرنسا، كانت تسعى إلى تخفيف العقوبات عن العراق. وفاقم الوضع مصادرة السلطات الأردنية مواد ومعدات كيميائية تستخدم في إنتاج صواريخ مخططور على بغداد امتلاكها كانت في طريقها إلى العراق، وحدثت تدهور خطير في العلاقات بين عمان وبغداد، خصوصًا بعدما أعلن الملك حسين مبادرة هدفها توحيد المعارضة العراقية عبر مؤتمر لها تستضيفه عمان للبحث في مستقبل العراق عبر إطارات عدة منها التفكير بحل فدرالي على أساس «مصالحة وطنية» بين السنة والشيعة والأكراد، وهم العناصر الرئيسية التي تشكل المجتمع العراقي.

١٥ تشرين الأول، أول استفتاء في نوعه نظم في العراق يقضي بتسليم ولاية رئيس الجمهورية (صدام حسين) سبع سنوات، وكانت نتيجته ٩٩،٩٦٪ من الأصوات المؤيدة لتمديد ولايته.

٢١ تشرين الأول، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يطلق دعوته إلى «التسامح ورفع الحصار والمعاناة عن الشعب العراقي»، فيما أعلنت اليمن عن «تأييدها المطلق» لدعوة الشيخ زايد. أواخر كانون الأول، صدام حسين يتخذ قراراتين، الأول يقضي بزيادة رسوم الاعفاء من اداء الخدمة العسكرية، والثاني باعتماد سياسة اقتصادية أكثر تقشفًا خلال العام الجديد (١٩٩٦) في مسعى إلى وقف تدهور الدينار العراقي (أصبح الدولار الأميركي يساوي ٢٥٠٠ دينار).

١٩٩٦: في شباط، وقعت بحزرة وسط بغداد راح ضحيتها صهرا الرئيس العراقي صدام حسين، حسين كامل حسن المجيد وشقيقه صدام (وآخرين من اقربائهما)، اللذين كانا فرًا إلى الاردن. وصدر عن بغداد رسميًا أن افرادًا من عائلتهما قتلوه «غسلًا لعار خيانتهم»، كما أوضحت وزارة الداخلية ان اثنين من المهاجمين، ثائر عبد القادر سليمان المجيد وأحمد عبد الغفور سليمان المجيد «استشهدا أثناء المحرم»؛ في حين تناقلت مصادر، إعلامية ودبلوماسية، ان عدي ابن الرئيس صدام حسين هو الذي رتب عملية استدراج صهره من عمان وقاد عملية قتلها مع افراد من عائلتهما في بغداد.

في ايار، وقع العراق والامم المتحدة نص مذكرة التفاهم («النفط في مقابل الغذاء») في شأن تنفيذ القرار

في ذروة الازمة أعلن العراق سحب قواته من منطقة الحدود مع الكويت، وتركزت الجهود الاميركية على ضمان «عدم تمكن صدام من تكرار مناورات». ومع تراجع فكرة إقامة منطقة حظر بري في جنوبي العراق تابعت الولايات المتحدة نشر قواتها. عارضت فرنسا منطقة الحظر وأرسلت روسيا وزير خارجيتها، أندريه كوزيريف، إلى العراق والكويت والمنطقة وحرص قبل بدء جولته على تأكيد وجود بعض التباين بين موقفي موسكو وواشنطن.

١٠ تشرين الثاني، الرئيس صدام حسين يوقع على بيان لمجلس قيادة الثورة (أعلى هيئة سياسية) في العراق يعترف بسيادة الكويت واستقلالها، وبترسيم حدودها الذي ابنته الأمم المتحدة وضمنه مجلس الأمن بموجب القرار ٨٣٣. بذلك تطوي بغداد ملف ما سمته «الحفاظة التاسعة عشرة». وجاء هذا القرار ثمرة لمبادرة أطلقها وزير الخارجية الروسي كوزيريف الذي حضر جلسة المجلس الوطني العراقي التي خصصت لهذا الاعتراف.

١٩٩٥: كانون الثاني-تشرين الأول، بارقة أمل داعبت العراقيين بأن المجتمع الدولي قد يوافق على تخفيف العقوبات المفروضة على العراق إذا واصل تعاونه مع مجلس الأمن في إزالة ما يملكه من أسلحة الدمار الشامل ويقبل تنفيذ القرار ٩٨٦ الخاص ببيع النفط في مقابل الغذاء. وكان العام ١٩٩٥ بدأ بزيارة نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز باريس (٦ كانون الثاني) التي أعلنت عن فتح قسم لرعاية المصالح في العراق، لكن مع تأكيدها ان هذه المبادرة ليست سياسية بل إنها إجراء تقني. وفي ١٤ نيسان، تبنى مجلس الأمن بالاجماع قرارًا يسمح للعراق ببيع ما قيمته بليون دولار من النفط كل ٩٠ يومًا لتغطية الحاجات الانسانية لمواطنيه، وكانت رعت تقديم مشروع القرار كل من الارجلتين ورواندا وعمان وبريطانيا وايرلندا الشمالية والولايات المتحدة.

إلا ان هذا الأمل تلاشى نهائيًا إثر لجوء الفريق الأول حسين كامل، صهر الرئيس العراقي صدام حسين، إلى الاردن (في آب)، ذلك ان حسين كامل كان المسؤول الأول عن البرامج السرية لأسلحة الدمار الشامل، وأدى لجوءه إلى الاردن إلى اضطراب بغداد ان تكشف لرئيس اللجنة الدولية الخاصة بنزع السلاح، رالف أكيوس، وثائق خطيرة عن هذه البرامج أظهرت ان العراقيين كانوا على وشك انتاج قنبلة ذرية وعن امتلاكهم كميات هائلة لمواد بيولوجية مخرقة «كافية لإبادة جميع سكان العالم» حسب قول أكيوس.

أسفرت عن استعادة مدينة أربيل من قوات الاتحاد الوطني الكردستاني (زعامة جلال طالباني)، وتسليمها إلى قوات خصمه الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود برزاني (راجع باب «كردستان العراق»).

في ١٠ كانون الأول، ضغط صدام حسين على زر التشغيل في محطة الضخ الأولى في كركوك معلناً عودة ضخ النفط العراقي إلى الاسواق العالمية بعد انقطاع استمر ست سنوات.

في منتصف كانون الأول، تعرض عدي، نجل الرئيس العراقي، لمحاولة اغتيال باطلاق النار على سيارته في حي المنصور غربي بغداد. فأصيب عدي بجروح بليغة، ولم يعلن عن هوية المهاجمين أو دوافعهم.

١٩٩٧: كان هذا العام عام التصعيد بين العراق من جهة، والولايات المتحدة ومجلس الأمن الدولي من جهة

٩٨٦. لكن بغداد استمرت تماطل في التوصل إلى اتفاق مع المنظمة الدولية في شأن آلية توزيع المواد الغذائية، خصوصاً في المناطق الكردية غير الخاضعة لسلطة الحكومة المركزية، وغيرها من التفاصيل الأخرى. لكن الحال الكردية ظلت السبب الرئيسي للماطلة التي استمرت حتى نجحت بغداد في قلب الاوضاع في كردستان العراق بطريقة أدت عملياً إلى إفراغ الشق المتعلق بالاكرد في القرار ٩٨٦ من محتواه. ولم توافق بغداد على «خطة التوزيع» للمواد الغذائية والطبية إلا بعدما أحدثت تغييراً جوهرياً في ميزان القوى الكردية لمصلحتها.

في ٣١ آب، بعد تحركات وحشود عسكرية عراقية في ظل الاقتتال الكردي والمعارك الضارية في الشمال (كردستان العراق)، اقتحمت قوات الحرس الجمهوري العراقية المنطقة الكردية التي ظلت قوات السلطات العراقية خارجها طوال خمس سنوات. وهذه العملية العسكرية



وزير الخارجية الروسي كوزيريف
وطارق عزيزي في البرلمان العراقي
(١٠ تشرين الثاني ١٩٩٤).

وزير الخارجية الروسي
بريماكوف وطارق عزيزي
خلال مؤتمر صحافي
في موسكو
(٥ آذار ١٩٩٧)



قوات برزاني في قتال ضار وصل إلى تخوم الحدود مع إيران. واضطرت قوات أوجلان إلى إخلاء مناطق برزاني. وفي الشهر نفسه (أيار)، وفي إطار الوضع العام في الشرق الأوسط وجمود عملية السلام، انتهت سورية نحو تطبيع حدود لعلاقتها مع العراق. فزارها وفد من اتحاد غرف التجارة العراقية للمرة الأولى منذ إغلاق الحدود بين البلدين في الثمانينات. وتبع ذلك تبادل زيارات لوفود تجارية أخرى.

في تشرين الأول، أعلنت بغداد طرد المفتشين الأميركيين العاملين مع الفرق الدولية المكلفة نزع أسلحة الدمار الشامل في العراق (أونسكوم)، وحرصت في الوقت نفسه على التعامل مع «أونسكوم» طالما أنها لن تضم أميركيين. وكشفت الازمة الجديدة عزماً روسياً على تفعيل دور موسكو والوقوف بحزم، مع فرنسا، إلى جانب بغداد ومنع الولايات المتحدة من اتخاذ أي إجراء عسكري ضد العراق، وهو إجراء أعلنت دول المنطقة أيضاً معارضته.

في تشرين الثاني، نجح رئيس الدبلوماسية الروسية، يفغيني بريماكوف، في احتواء الموقف الأميركي، ما أجبر واشنطن على التشديد على الخطرات الدبلوماسية مع التلويح باستخدام القوة. وموسكو أصرت على ضرورة أن ترى بغداد نوراً في نهاية نفق الخطر الدولي كي تستجيب للتعاون مع أونسكوم. ووافق العراق على عودة المفتشين الأميركيين مقابل اتفاق مع موسكو التي تعهدت بالعمل لرفع الخطر. ورغم هذه التطورات امتدت الازمة إلى آخر ١٩٩٧، وبدا أن رفض بغداد دخول فرق التفتيش «المواقع الحساسة» وقصور الرئاسة قد يفجر الوضع مجدداً.

وفي الشهر نفسه، نفذت تركيا عملية أخرى في شمالي العراق (كردستان العراق) لضمان عدم عودة مقاتلي أوجلان قبل حلول موسم الشتاء، وأجبرت قوات طالباني على العودة إلى خطوط وقف النار، واتخذت الولايات المتحدة موقفاً كان من الواضح أنه لم يعارض التدخل التركي، إذ لم تنشط لوقف نار جديد إلا بعدما انسحبت قوات طالباني إلى مواقعها السابقة.

وايضاً في تشرين الثاني، بلغت الاتصالات السياسية بين سورية والعراق ذروتها حين استقبلت دمشق نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز الذي أصبح المسؤول الأرفع مستوى الذي يزور دمشق بعد قطيعة استمرت منذ ١٩٨٠.

١٩٩٨: في ١٢ كانون الثاني، قررت بغداد منع

أخرى، وبرز الدور الروسي (وزير الخارجية الروسي، بريماكوف، المعروف بصداقته الشخصية لصدام حسين)، وبدرجة أقل الدور الفرنسي في حماية العراق من أي ضربة عسكرية ربما فكرت واشنطن في تنفيذها ردّاً على طرد بغداد المفتشين الأميركيين من البعثة الدولية العاملة في العراق والتحدي المتزايد الذي أظهرته بغداد تجاه واشنطن. كما يميز هذا العام بنوع من الاختراقات الدبلوماسية على صعيد علاقات بغداد بالعواصم العربية خاصة دمشق.

في كانون الثاني، وصل إلى بغداد المدير العام للموانئ والجمارك في دبي، سلطان أحمد بن سليم، في أول زيارة لمسؤول إماراتي إلى العراق منذ حرب الخليج (وبحلول نهاية السنة كانت دولة الإمارات أكثر الدول العربية اندفاعاً للدعوة إلى طي صفحة الماضي وتطبيع العلاقات العربية مع العراق).

في آذار، وصلت إلى العراق، عبر تركيا، أول شحنة من المواد الغذائية في إطار تطبيق قرار مجلس الأمن ٩٨٦: النفط مقابل الغذاء. وعادت إسبانيا فتحت سفارتها في بغداد بعدما بقيت موصدة طوال سبعة أعوام. وزار العديد من رجال الأعمال الإسبان بغداد منذ ١٩٩٦ لدرس إمكانات الاستثمار في السوق العراقية، وتوقيع صفقات في إطار اتفاق «النفط للغذاء».

في نيسان، بدأت بغداد أول حلقة من سلسلة تحدياتها للخطر الدولي. إذ هبطت في السعودية طائرة ركاب عراقية تحمل حجاجاً حلقت عبر الأجواء الأردنية منتهكة الخطر الجوي. وعلى رغم الجهود الأميركية في مجلس الأمن لاصدار قرار يدين العراق، فشل أعضاء المجلس في التوصل إلى اتفاق بسبب المعارضة الروسية والفرنسية والصينية، ما شجع بغداد على انتهاك الخطر الجوي مجدداً بعد أيام ونقلت بطائرات هليكوبتر من منطقة الحدود حجاجاً عائدين من السعودية. ومرة أخرى فشلت واشنطن في حمل مجلس الأمن على اتخاذ أي إجراء ضد العراق.

في أيار، وفيما كانت الأوضاع تزداد توتراً منذ قبل أسابيع، نفذت القوات التركية أكبر عملية لها في كردستان العراق (شمال العراق) منذ ١٩٩٥، وهذه المرة بتنسيق واضح مع الحزب الديمقراطي الكردستاني (مسعود برزاني). وجاءت هذه العملية بعدما انتهكت قوات الاتحاد الوطني الكردستاني (جلال طالباني) وقف النار وتقدمت في عمليات مشتركة مع مقاتلي حزب العمال الكردستاني (عبد الله أوجلان) في اتجاه مواقع استراتيجية يسيطر عليها برزاني. القوات التركية توغلت مسافة طويلة ودعمت



طارق عزيز و كوفي أنان
يوقعان اتفاق شباط ١٩٩٨.

من تلك التي استخدمتها عندما شنت هجماتها في ١٩٩٣ و١٩٩٦، لكنها بقيت ثقل كبيراً عما استخدمته في ١٩٩٠-١٩٩١. وبرزت روسيا في مقدمة الدول المعارضة لهذه العملية حتى أنها لوّحت بالعودة إلى الحرب الباردة، ودعت كوفي أنان إلى زيارة عاجلة لبغداد.

في ٢٠ شباط، وصل أنان إلى بغداد في محاولة لتجنب العراق ضربة عسكرية أميركية يصعب التكهن بما يمكن أن ترتبه داخل العراق وانعكاسات ذلك على المنطقة والعلاقات الدولية. فكانت مهمته واحدة من أكثر المهمات خطورة وتعقيداً، ذلك أن الرئيس العراقي ذهب بعيداً في لعبة التصعيد ويصعب عليه التراجع من دون الحصول على شيء ما لانقاذ ماء الوجه، وذهب الرئيس الأميركي بعيداً في التلويح بالقوة العسكرية ويصعب عليه القبول بخروج الرئيس صدام من الأزمة في صورة من نجح في تسجيل نقاط. ففي هذا الهامش الضيق كان أنان يتحرك لضمان تنفيذ قرارات الأمم المتحدة. وسارع مجلس الأمن إلى تبني قرار برفع قيمة النفط المسموح لبغداد ببيعه إلى ٥،٢ بليون دولار لفترة ١٨٠ يوماً، وذلك قبل ساعات من موعد اجتماع أنان مع الرئيس صدام حسين.

وفي اليوم الثالث من الزيارة توصل أنان إلى توقيع اتفاق (مذكرة تفاهم) مع القيادة العراقية لقي ترحيباً عراقياً وعربياً ودولياً. ويتيح الاتفاق لـ«فريق خاص» تفتيش المواقع الرئاسية من دون التقيد بأي مهلة زمنية، ويسجل آخر بنوده اهتمام العراق برفع العقوبات وإنهاء الحصار، ويراعي اعتبارات السيادة وخصوصية المواقع الرئاسية، وينص على تشكيل فريق خاص لتفتيش هذه المواقع يشكله الأمين العام ويضم دبلوماسيين وخبراء من اللجنة الخاصة

عمليات التفتيش التي يقوم بها فريق للمفتشين لأنه بقيادة أميركي، واعتبرت الولايات المتحدة هذا الإجراء خرقاً للقرارات الدولية. وقبل أربعة أيام فقط، كانت صحيفة واشنطن تلتمز نقلت عن تقرير لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (سي.آي.إي) يحمل عبارة «سري» أن سورية والعراق يسعيان إلى تشكيل تحالف ضد الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وهذا المسعى كان بدأ منذ تشرين الثاني ١٩٩٧. وفي غضون ذلك كانت تجري مناورات بحرية تركية-إسرائيلية-أميركية تنفيذاً لخطة مشتركة وصفت بأنها «إنسانية تتعلق بتدريبات على انقاذ سفن صيد» (انتهت هذه المناورات في ٩ كانون الثاني).

في شباط، جدد الرئيس الأميركي بيل كلينتون تحذيره الرئيس صدام حسين بأنه سيواجه القوة العسكرية ما لم يسمح للمفتشين الدوليين بالعمل بحرية وفي كل المواقع. وبدأت الولايات المتحدة استعداداتها العسكرية في حشد عسكري لا مثيل له منذ حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١)، وقرنتها بمحملات دبلوماسية لكسب التأيد العالمي، فجالت وزيرة الخارجية الأميركية أولبرايت على عدد من الدول بينها دول عربية. وردّت بغداد بمحملة دبلوماسية مضادة، أهم عناوينها زيارة وزير الخارجية العراقي محمد سعيد الصباح دمشق ولقاؤه الرئيس حافظ الأسد، واعتبرت هذه الزيارة أكثر أهمية من زيارة طارق عزيز للعاصمة السورية قبل أشهر قليلة (تشرين الثاني ١٩٩٧). وفيما كان كوفي أنان، الأمين العام للأمم المتحدة، يقوم بمفاوضات اللحظة الأخيرة لتجنب حرب جديدة، كانت الولايات المتحدة تستكمل انتشارها العسكري في الخليج، فأصبحت قواتها هناك أقوى بكثير



الرئيس صدام حسين (الى اليمين) مستقبلاً كوفي امان (شباط ١٩٩٨).

بيلر (الى اليسار) يطلع كوفي امان على نتائج محادثاته في بغداد (آب ١٩٩٨).



وأكد الصحاف للسفراء والمندوبين العرب في الأمم المتحدة ان العراق ملتزم مذكرة التفاهم التي وقعها مع كوفي أنان. لكن رئيس لجنة «أونسكوم»، ريتشارد بتلر، أشار في تقريره نصف السنوي الذي طرح امام مجلس الأمن (٢٧ نيسان) ان العراق لم يحقق خلال الشهور الستة الماضية أي تقدم عملي في عملية نزع سلاحه. ووصف السعدي، كبير مسؤولي الفريق العراقي المتفاوض للجنة الخاصة التقرير بأنه «الأسوأ على الاطلاق ومتطرف ومشبوه ويخدم الاغراض السياسية لادارة الاميركية وبريطانيا منذ بدء مهمات اللجنة بعد حرب الخليج».

في ايار، زار نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز باريس واجتمع بالرئيس الفرنسي جاك شيراك والأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان، كما زار الفاتيكان والتقى البابا وطلب منه دعم جهود العراق لرفع الحظر (بعد ايام، أعلن الكاردينال روجيه أتشيغاري ان البابا يرغب في زيارة العراق). وفي الشهر نفسه، قام وزير الخارجية العراقي محمد سعيد الصحاف بجولة إلى دول عربية وأفريقية. وجاء هذا النشاط الدبلوماسي العراقي إثر مخاوف من فشل اجتماعات لندن (٤ ايار) بين وزيرة الخارجية الاميركية مادلين أولبرايت وكل من ياسر عرفات وبنيامين نتانياه، ما يفسر ادراك بغداد لارتباط الموضوعين: قضيتها المباشرة وقضية الشرق الاوسط.

في الاسبوع الاول من حزيران، أعلنت بغداد انها استكملت الترتيبات النهائية لجعل خط أنابيب النفط العراقي-السوري جاهزاً لنقل النفط العراقي. وفي ٢٤ حزيران، انعقد مجلس الأمن للاستماع إلى رئيس اللجنة المكلفة إزالة اسلحة الدمار الشامل العراقية (أونسكوم) ريتشارد بتلر الذي عليه ان يثبت ان بغداد زودت، قبل حرب الخليج، رؤوس صواريخ غاز الأعصاب «في إكس» القاتل، الأمر الذي نفته بغداد مجدداً. وقرر المجلس الابقاء على العقوبات المفروضة على العراق لمدة ستين يوماً جديدة. ووافق بتلر، في ظل تساؤلات داخل مجلس الأمن، على إجراء اختبارات إضافية على عينات صواريخ عراقية مدمرة في مختبرات فرنسية وسويسرية بعدما أكدت مختبرات اميركية انها حوت غاز الأعصاب «في إكس».

وفي ٣٠ حزيران، أعلنت وزارة الدفاع الاميركية أن إحدى طائراتها أطلقت صاروخاً على موقع رادار عراقي قرب البصرة «رصد طائرات بريطانية كانت تحلق فوق جنوبي العراق»، وان الولايات المتحدة ستواصل



السفير ريتشارد بتلر لدى وصوله الى بغداد في ٢ آب ١٩٩٨.

المكلفة إزالة الاسلحة المحظورة (أونسكوم). ونص الاتفاق (مذكرة التفاهم) على سبع نقاط ووقعها كوفي أنان ونائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز.

في ليل ٢-٣ آذار، وافق مجلس الأمن الدولي على مشروع القرار البريطاني-الياباني المتعلق بتنفيذ اتفاق بغداد (مذكرة التفاهم)، وأصدر القرار ١١٥٤ الذي اشاد «بالمبادرة التي قام بها الأمين العام للحصول على تعهدات من حكومة العراق في شأن الوفاء بالتزاماتها بموجب القرارات ذات الصلة، وفي هذا الصدد يقر مذكرة التفاهم الموقعة بين نائب رئيس وزراء العراق والأمين العام في ٢٣ شباط ١٩٩٨ ويتطلع إلى تنفيذها الكامل من دون إبطاء». وفي ٥ آذار، عين أنان ممثلاً خاصاً له في بغداد هو براكاش شاه (هندي). وفي ٢٣ آذار أنهى فريق تفتيش دولي ودبلوماسيون أول عملية في إطار تفتيش القصور الرئاسية العراقية، وتزامنت هذه العملية مع مغادرة ريتشارد بتلر، رئيس اللجنة الخاصة المكلفة نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية بغداد وتأكيده ارتياحه إلى «التعاون العراقي».

في نيسان، وللمرة الاولى منذ حرب الخليج الثانية اجتمع وزير عراقي (هو وزير الخارجية محمد سعيد الصحاف) بالجموعة العربية لدى الأمم المتحدة لاحاطة السفراء العرب بالمواقف والطروحات العراقية، وللمرة الاولى ايضاً يحضر مندوب الكويت اجتماعاً للمجموعة العربية طلب العراق عقده، وكان خالياً من أي «تشنج».

الحظر يستهدف الشعب العراقي نفسه غير فرض التجويع عليه، ليس على صعيد الغذاء وإنما على صعيد الصحة والدواء حتى يأتي جيلان عراقيان وربما أكثر أنهكهما المرض، فلا تعود لهما قدرة على العمل والانتاج. وما ينطبق على الصحة ينطبق على العلم والثقافة. وإلا ما معنى حظر الورق والبعثات العلمية وملاحقة علماء العراق ووضعهم على لوائح سوداء تمنعهم من الاطلاع على كل جديد في ميادينهم؟ ويرى العراقيون الذين لم يقطعوا حبال قوميتهم على رغم الألم الذي يتحدثون به، أن الهدف الآخر بعد التجويع بجميع صوره وأشكاله، هو فصل العراق عن محيطه، ودفعه إلى العزلة والانعزال بحيث يتحول إلى مساحة جغرافية محدودة من دون دور يمنحه حجمًا يستحقه من خلال التفاعل والممارسة» («الوسط»، العدد ٣٤١، تاريخ ١٠ آب ١٩٩٨، ص ١٥).

القضايا المركزية في قرارات مجلس الأمن:
الحصار، الحدود، العسكرية والتعويضات:

- قضية الحصار، القرار ٦٦١:
جاء في الفقرة الثالثة: يقرر مجلس الأمن أن يمنع جميع الدول ما يلي:
أ: استيراد أي من السلع والمنتجات التي يكون مصدرها العراق أو الكويت وتكون مصدرة منهما إلى أقاليمها.

ب: أي أنشطة يقوم بها رعاياها يكون من شأنها تعزيز التصدير أو الشحن أو السفن التي ترفع علمها.
ج: أي عمليات توريد أو بيع بما في ذلك الأسلحة.

- قضية الحدود، القرار ٦٨٧:
الفقرة ألف:

٣: يطلب مجلس الأمن إلى الأمين العام أن يساعد في اتخاذ الترتيبات اللازمة مع العراق والكويت لتخطيط الحدود بينهما، مستعينًا بالموارد المناسبة، بما في ذلك الخريطة الواردة في وثيقة مجلس الأمن رقم ٢٢٤١٢.
الفقرة باء:

٥: يطلب إلى الأمين العام أن يقدم إلى مجلس الأمن للموافقة، خطة للانتشار الفوري لوحدة مراقبة تابعة للأمم المتحدة لمراقبة خور عبد الله ومنطقة منزوعة السلاح تمتد مسافة عشرة كيلومترات داخل العراق وخمسة كيلومترات داخل الكويت من الحدود المشار إليها في محضر

عمليات فرض الحظر الجوي، وانها «ستتخذ عملاً حاسماً» ردًا على أي «عمل عدائي عراقي». واعتبرت بغداد أن الهجوم الأميركي ربما كان خطوة نحو «عدوان جديد شامل على العراق».

في أواسط تموز، أعلن وزير النفط، العراقي والسوري، إعادة فتح أنبوب النفط المشترك (مغلق بينهما منذ ١٩٨٢). فيكون البلدان بذلك قد حققا أبرز خطوة منذ انطلاق التطبيع بينهما في أيار ١٩٩٧. ومع طهران، استمرت بغداد تحسّن علاقاتها معها، وتُوج هذا التحسن بعبور قافلة إيرانية من زوار العبوات المقدسة الشيعية في العراق نقطة المنذرية الحدودية للمرة الأولى (١٥ آب ١٩٩٨) منذ ١٨ سنة، واستقبلها العراقيون بحفاوة.

في ٢١ تموز، وقبل عشرة أيام من زيارة ريتشارد بتلر رئيس اللجنة الخاصة المكلفة نزع أسلحة الدمار الشامل (أونسكوم)، شدد بيان صدر بعد اجتماع مشترك رأسه صدام حسين لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث الحاكم على أن «ما أئخره العراق خلال أكثر من سبع سنوات من متطلبات قرار مجلس الأمن الرقم ٦٨٧ يستدعي المباشرة فوراً برفع الحصار».

في ٣ آب، شن نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز، بعد محادثات بينه وبين بتلر، هجومًا عنيفًا على المفتشين الدوليين، ووصف بتلر بأنه «يخدم السياسة الأميركية».

في ٥ آب، أوصى المجلس الوطني (البرلمان العراقي) القيادة العراقية بوقف فوري للتعاون مع لجنة المفتشين الدوليين. وفي اليوم التالي اجتاحت بغداد تظاهرات شعبية هددت بطرد خبراء اللجنة الخاصة، في حين كان بتلر يطلع أمين عام الأمم المتحدة كوفي أنان على رفض طارق عزيز «تسليمه وثيقة تتعلق بنزع الأسلحة الكيميائية العراقية، كانت اللجنة الخاصة أكدت العثور عليها في مقر قيادة القوات الجوية العراقية». فبدأ أنان يوجه اتهامه للعراق بـ «انتهاك قرارات مجلس الأمن»، وعدم الالتزام بالاتفاق الذي وقعه مع طارق عزيز في ٢٣ شباط ١٩٩٨. وفي غضون ذلك أعلن وزير الصحة العراقي أن حوالي ١٤٤ مليون طفل عراقي توفوا بسبب انعكاسات العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة على العراق. أما الكونغرس الأميركي فقد سارع إلى تبني قرار يعتبر أن العراق لا يزال ينتهك قرار مجلس الأمن ٦٨٧، في حين واصلت الإدارة الأميركية تهديدها للعراق.

وأما العراقيون «فيسود بينهم اعتقاد شبه عام بأن

٤ تشرين الأول ١٩٦٣ بين العراق والكويت (المحضر أو البروتوكول المشار إليه من العام ١٩٦٣ لم يكن مصدقاً عليه من قبل الحكومة العراقية).

القرار ٧٧٣:

الفقرة الثالثة: يرحب مجلس الأمن بقرار اللجنة (مراقبة الحدود) ان تنظر في الجزء الشرقي من الحدود الذي يشمل الحدود البحرية، ويحث اللجنة على ان تخطط هذا الجزء من الحدود في أقرب وقت ممكن.

الفقرة ٥: يرحب مجلس الأمن باعتراف الأمين العام ان يجري إعادة تخطيط المنطقة المنزوعة السلاح لكي تتوافق مع الحدود الدولية التي خططتها اللجنة مع ما يترتب على ذلك من إزالة مراكز الشرطة العراقية.

- القضايا العسكرية:

القرار ٦٨٧:

المادة جيم:

٨: يقرر مجلس الأمن ان يقبل العراق، دون أي شرط، القيام، تحت إشراف دولي، بتدمير ما يلي أو إزالته أو جعله عديم الضرر:
ألف: جميع الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وجميع ما يتصل بهما من مرافق البحث والتطوير والدعم والتصنيع.

باء: جميع الصواريخ البالستية التي يزيد مداها عن ١٥٠ كلم والقطع الرئيسية المتصلة بها، ومرافق اصلاحيها وإنتاجها.

٩: ألف: يقدم العراق بياناً بمواقع وكميات وأنواع جميع المواد المحددة في الفقرة ٨ ويوافق على إجراء تفتيش عاجل في المواقع على النحو المحدد أدناه: تشكيل لجنة تقوم بأعمال التفتيش في المواقع على قدرات العراق البيولوجية والكيميائية

١٢: يقرر مجلس الأمن ان يوافق العراق دون أي شرط على عدم حيازة أو إنتاج أسلحة نووية أو مواد يمكن استعمالها للأسلحة النووية أو أي مرافق بحث أو تطوير تتصل بما ذكر أعلاه. وان يخضع جميع ما لديه من مواد يمكن استخدامها في الأسلحة النووية للرقابة الحصرية للوكالة الدولية للطاقة الذرية، والقيام بتفتيش عاجل للمواقع.

- قضايا التعويضات:

القرار ٦٨٧:

المادة هاء:

١٦: يؤكد مجلس الأمن ان العراق مسؤول بمقتضى القانون الدولي عن أي خسارة مباشرة أو ضرر مباشر، بما في ذلك الضرر اللاحق بالبيئة واستنفاد الموارد الطبيعية، أو ضرر وقع على الحكومات الأجنبية أو رعاياها أو شركاتها، نتيجة لغزو العراق للكويت.

١٨: يقرر مجلس الأمن إنشاء صندوق للدفع التعويضات المتعلقة بالمطالبات التي تدخل في نطاق الفقرة ١٦، وإنشاء لجنة لإدارة الصندوق.

القرار ٧٠٥:

٢: يقرر مجلس الأمن وفقاً للاقتراح الذي قدمه الأمين العام، ألا تتجاوز التعويضات التي يتعين على العراق دفعها (الناشئة عن القرار ٦٨٧) ٣٠٪ من القيمة السنوية لصادرات النفط ومنتجاته من العراق.

القرار ٨٩٩:

ان مجلس الأمن وقد نظّر في رسالة الأمين العام المتعلقة بمسألة المواطنين العراقيين وما لهم من ممتلكات أصبحت على الأراضي الكويتية في أعقاب تخطيط الحدود الدولية الجديدة بين العراق والكويت يرحب بالترتيبات المبينة في هذه الرسالة.

العلاقات العراقية-الخليجية: يتمتع العراق بثالث أكبر مساحة بين الدول الخليجية الثماني، بعد المملكة العربية السعودية وإيران. ومع ذلك لا تتجاوز سواحله المطلّة على الخليج العشرة أميال، أي ما نسبته ٠,٤٪ من إجمالي سواحل الخليج، في حين تمتلك البحرين التي تعد الأصغر مساحة في الخليج ساحلاً يصل طوله إلى ٦٨ ميلاً، وفي المقابل تمتلك إيران ساحلاً خليجياً طوله ٦٣٥ ميلاً، أي ما نسبته ٣,٣٪ من طول سواحل الخليج، و تمتلك المملكة العربية السعودية ساحلاً خليجياً طوله ٢٩٦ ميلاً، أي ما نسبته ١٦,٥٪ من سواحل الخليج.

على هذه الخلفية كان النزاع الحدودي الأهم بين العراق وإيران (شط العرب)، وبينه وبين الكويت ليتسنى له المزيد من الاطلالة على الخليج. وفي تموز ١٩٨١، تقدم العراق بطلب رسمي إلى الكويت لتأجير جزءاً من جزيرة بوبيان لمدة ٩٩ عاماً، وقال الرئيس العراقي يومها إن الهدف من ذلك «إقامة قاعدة بحرية للدفاع عن أمن العراق والكويت»، ولكن الكويت رفضت هذا الطلب.

العراقية التي جرى التوقيع عليها في ٢٧ كانون الاول ١٩٨١.

مع دخول العراق في حرب طويلة مع ايران، وجدت دول الخليج العربية نفسها في وضع شديد التعقيد، وبدأت تعاني من نزف مالي بسبب دعمها للعراق الذي استمر مع استمرار الحرب.

أما العلاقات العراقية-الخليجية بدءاً من انتهاء حرب الخليج الثانية فيمكن رصدتها عبر النقاط التالية:

مع عُمان، ذكرت صحيفة «الجمهورية» العراقية، في ٢١ ايار ١٩٩١، ان سلطنة عُمان قد أعادت فتح سفارتها في بغداد لتكون بذلك أول دولة خليجية تقدم على هذه الخطوة بعد الحرب. كذلك كانت عُمان الدولة الخليجية الوحيدة التي استقبلت، بعد هذه الحرب، وفوداً رسمية عراقية، كان أبرزها زيارة وزير الخارجية العراقي محمد سعيد الصحاف (في آذار ١٩٩٥) الذي زار أيضاً الدوحة (قطر).

مع قطر، بدأت العلاقات تسجل تطوراً لافتاً في نهاية تشرين الاول ١٩٩٢، حينما أعلن في الدوحة وبغداد عن تسلم الرئيس العراقي رسالة من القيادة القطرية. وفي آذار ١٩٩٣، كشف وزير الخارجية القطري حمد بن جاسم بن جابر آل ثاني عن وساطة قطرية بين العراق والكويت لاطلاق سراح المحتجزين الكويتيين في العراق. وفي تموز ١٩٩٣، وافقت قطر على إرسال فريق رياضي لكرة القدم إلى بغداد لخوض مباراة ودية مع إحدى الفرق الرياضية العراقية. فرفعت بذلك قطر الحظر الرياضي المفروض على العراق. وفي اواخر نيسان ١٩٩٤، افتتح في الدوحة اسبوع ثقافي عراقي شمل معرضاً للكتاب وآخر للفنون التشكيلية.

مع دولة الامارات العربية المتحدة، فقد أطلقت هذه الدولة، منذ ١٩٩٥، عدة دعوات رسمية لرفع الحصار عن العراق. ففي كانون الثاني ١٩٩٥، دعا الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، وزير الدفاع الاماراتي، في أول تصريح في نوعه لوزير خليجي، الكويت لمد «جسور المحبة» مع الشعب العراقي «لأن قدر العراق ان يكون دولة عربية مسلمة جارة للكويت وكذلك الكويت»، وقال «إن الامارات شاركت في الدفاع عن الشعب الكويتي عندما كان يعاني ولا يجوز ان تتواصل معاناة الشعب العراقي الآن»، معتبراً «ان العراق قام بمعظم ما طلب منه المجتمع الدولي». وفي تشرين الاول ١٩٩٥، دعا الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الامارات، إلى رفع الحصار

وفي ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٤، اعترف العراق رسمياً بسيادة الكويت وحدودها كما رسمتها اللجنة الدولية الخاصة المنبثقة عن الأمم المتحدة بموجب قرار مجلس الأمن ٦٨٧.

وقد اعتمدت هذه اللجنة، في ترسيمها للحدود العراقية-الكويتية، بروتوكول ١٩٦٣ (بعد سقوط حكم قاسم، واتجاه حكم عارف للمصالحة مع الخليجيين) الذي كان اعتمد، بدوره، على تعريف ١٩٣٢ للحدود بين العراق والكويت، والمبني هو الآخر على اتفاق ١٩٢٣ المستند إلى اتفاقية الخط الأزرق لعام ١٩١٣ بين بريطانيا والدولة العثمانية والتي لم يصادق عليها بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى.

رفض العراق، في ١٩٤٠، التفسير البريطاني للحدود المقدم في العام ١٩٣٢. وبقي رافضاً ومتصاعداً في اللهجة حتى وصل الأمر إلى تحريك قواته على الحدود في ١٩٦١ بقصد ضم الكويت إليه. لكن بعد شح عامين، قبل صراحة بحدود بروتوكول ١٩٦٣ بينه وبين الكويت.

لكن، بعد سقوط نظام عبد الرحمن عارف إثر حركة ١٧ تموز ١٩٦٨ توترت العلاقات العراقية-الخليجية:

مع السعودية، شعر العراق بأن الرياض قد ورثت القاهرة في مقولة الامساك بزمام المبادرة العربية، في حين كانت بغداد تصير جاهدة للاضطلاع بهذا الدور.

مع البحرين، سعت بغداد للاستفادة من خصوصية المناخ الثقافي والاجتماعي للساحة البحرينية، فمدت الجسور مع بعض فئات المجتمع البحريني، وفي ١٩٧٦ اتهمت المنامة بصورة ضمنية بغداد بالوقوف خلف أحداث «ماسة بالأمن الوطني»، واتخذت وزارة التربية قراراً بمنع إيفاد الطلبة البحرينيين للدراسة في الجامعات العراقية.

مع عُمان، دعمت بغداد الحركة المسلحة في إقليم ظفار، وقادت حملة للتنديد بالتدخل البريطاني والايراني في عُمان.

إثر سقوط شاه ايران، صعد العراق من تهويله بـ«الخطر» الايراني على الدول العربية الخليجية، وانتهج سياسة تقارب مع السعودية والدول العربية الخليجية، مستفيداً من مبدأ الفصل الاميركي بين أمن الخليج وقضية النزاع العربي-الاسرائيلي. وأمضى عزت الدوري، وزير الداخلية العراقي، سبعة ايام في المملكة العربية السعودية (شباط ١٩٧٩) ووقع مع الرياض اتفاقية تعاون أمني. وقد مهدت هذه الاتفاقية إلى معاهدة ترسيم الحدود السعودية-



متظاهرون عراقيون يطالبون برفع العقوبات ويؤكدون دعمهم سياسة الرئيس العراقي.

دروز سوريون يتظاهرون في مجدل شمس (١٠ شباط ١٩٩٨) حاملين
صور الرئيسين حافظ الاسد وصدام حسين احتجاجا على خطط ضرب العراق.



عائق النظام العراقي الذي استمر في مماطلته وتسويفه لإزاء تنفيذ القرارات الرقم ٧٠٦ و ٧١٢ و ٩٨٦ المتعلقة بمعالجة الاحتياجات الانسانية للشعب العراقي». وفي شباط ١٩٩٧، أكد وزير الدفاع السعودي الامير سلطان بن عبد العزيز في حديث أدلى به في واشنطن بعد اجتماع ضمّه الرئيس الاميركي بيل كلينتون ان على العراق تنفيذ قرارات مجلس الأمن «حتى يرى الشعب العراقي المضطهد نعمة الأمن والاستقرار والاستقلالية ويعيش حياة كريمة بين أخوته الشعوب العربية».

وأما مع الكويت، فقد استمرت هذه الدولة متشددة، وقد بدا ذلك واضحاً في كافة تفاصيل خطابها الرسمي والشعبي. وحين اصدرت بغداد قراراً اعترفت فيه بالكويت وحدودها اكتفى مجلس الوزراء الكويتي باصدار بيان اعتبر فيه ان الاجراء العراقي «خطوة في الاتجاه الصحيح»، لكن المطلوب اتخاذ خطوات اخرى لتنفيذ كل قرارات مجلس الأمن المتعلقة بحرب الخليج «ليثبت العراق نواياه السلمية»، وناشدت القيادة الكويتية «الدول الاعضاء في مجلس الأمن الاستمرار في مواقفها الحازمة في إلزام العراق بالإفراج عن أسرى الكويت». وحين دعا الشيخ زايد لرفع الحصار عن العراق، بثت إذاعة الكويت تعليقاً جاء فيه «ان ما أحدثه الغزو العراقي للكويت لا يمكن ان يُنسى. فالجرح الناجم عن تلك الطعنة الغادرة لا يزال ينزف...». وفي آذار ١٩٩٧، قال رئيس مجلس الأمة الكويتي أحمد السعدون خلال افتتاحه اجتماع الأمناء العامين لمجالس «الشورى الوطني والامة» في دول مجلس التعاون الخليجي، ان نظام الرئيس العراقي صدام حسين «لا يزال سائراً في إصراره على عدم الامتثال التام لتنفيذ كل قرارات مجلس الأمن ذات الصلة بهذا العدوان مما يستدعي استمرار ممارسة الضغط عليه بكل السبل حتى يعدل عن صلفه وبقيء إلى صوت الحق». لكن هذا الموقف المتشدد للكويت بدأ يعرف بعض الليونة منذ نيسان ١٩٩٨ عندما حضر مندوب الكويت للمرة الاولى اجتماعاً للمجموعة العربية لدى الامم المتحدة طلب العراق عقده، وكان خالياً من أي تشنج، وجاء بعد توقيع العراق مع كوفي أنان «مذكرة التفاهم». (للمزيد، راجع «الخليج العربي»، ج ٨، ص ١٠٦-١٢٩).

عن الشعب العراقي، وقال لدى استقباله عدداً من السفراء الجدد في أبو ظبي «إن رفع الحصار والمعاناة عن الشعب العراقي أصبح واجباً، كما ان وقت المصالحة العربية قد حان». وفي شباط ١٩٩٦، ارسلت دولة الامارات سفينة عمّلة بنحو ٤ آلاف طن من الأغذية والادوية إلى ميناء أم قصر العراقي، وهي بذلك ثالث دولة عربية تقدم على هذه الخطوة بعد عُمان وقطر. وبعد قبول العراق قرار مجلس الأمن ٩٨٦ المعروف بقرار «النفط مقابل الغذاء»، شهدت أسواق دبي حركة تصدير نشطة إلى الاسواق العراقية، حيث أبرم تجار محليون مع تجار عراقيين عدداً كبيراً من الصفقات تناولت مواداً غذائية وأدوية. وفي كانون الاول ١٩٩٦، قدّرت أوساط تجارية حجم المشتريات العراقية بين ٥ و ٧ ملايين دولار يومياً، وهي تركز على السكر والرز وزيت الطعام والحبوب والادوية، ويتم شحنها إلى العراق عن طريق ميناء الحميرة في دبي. وفي كانون الثاني ١٩٩٧، وصل إلى بغداد المدير العام للدائرة المواسية والجمارك في دبي كارول مسؤول خليجي يزور العراق منذ حرب الخليج الثانية. وطيلة ١٩٩٧ وحتى اليوم (اواسط ١٩٩٨) والامارات تصدر الدول العربية الداعية لرفع الحظر عن العراق وإجراء المصالحة العربية الشاملة معه.

مع البحرين، كانت العلاقات متقاربة مما كانت عليه مع الامارات من حيث الدعوة إلى رفع الحصار عن العراق. وقد ركزت صحف البحرين على هذه القضية بشكل مسهب ودائم. وفي مطلع تشرين الاول ١٩٩٦، وفي خطوة لافتة، حضر القائم بالاعمال العراقي في البحرين حفل افتتاح الدورة الخامسة لانعقاد مجلس الشورى البحرين. وفي وقت لاحق زار بغداد وفد تجاري بحريني لدراسة آفاق التعاون التجاري بين البحرين والعراق وسبل المساهمة في رفع المعاناة عن الشعب العراقي.

مع المملكة العربية السعودية، فقد استمر الموقف السعودي من العراق قريباً جداً من موقف الكويت (١٩٩١-١٩٩٨). ففي كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الاول ١٩٩٥، أكد وزير الخارجية السعودي الامير سعود الفيصل، تعاطف بلاده مع شعب العراق، إلا انه حمل بغداد مسؤولية استمرار معاناته، وقال «إن المجتمع الدولي يعلم ان المسؤولية في ذلك تقع على

الاحزاب

في العهد الملكي ١٩٢١-١٩٥٨

١- الحزب الوطني العراقي:

أول الاحزاب العراقية بالمفهوم الحديث للحزب. أسس رسميًا في آب ١٩٢٢ برئاسة محمد جعفر أبو التمن. وتعود جذوره إلى ١٩٢١ عندما عقد مجموعة من الزعماء السياسيين العراقيين اجتماعات لمناقشة الموقف في البلاد قيل تنويع فيصل بن الحسين ملكًا على العراق. ويدو ان معارضة الانكليز، وفيصل في بادئ الأمر، حالت دون الاجماع على تأليف الحزب، ولكن بعض السياسيين أصرّ على المضي في تأليف الحزب ولو بصورة سرية، فألفوا جمعيته «الحزب الوطني العراقي» و«جمعية النهضة العراقية» للتعبير عن آراء الحركة الوطنية ومعارضة التسلط البريطاني. وقد اضطرت الحكومة، بعد ماطلة، إلى السماح للجمعتين بالعمل العلني. إلا ان السلطات البريطانية اغتصمت فرصة تقديمهما عريضة مشتركة لمناسبة مرور عام على تنويع الملك فيصل في ٢٢ آب ١٩٢٢ لفتتا فيها النظر إلى ضرورة وقف التدخل البريطاني في الامور الداخلية للعراق وإجراء انتخابات حرة، للتشكيل بالجمعتين المذكورتين وتعطيل جريدتي «المفيد» و«الرافدين» وإبعاد مديريهما وإرسال طائرات للاغارة على بيوت القبائل المؤيدة لهما والايحاز لنجل عبد الرحمن النقيب بتأسيس «الحزب الحر العراقي» لمتاوتهما. وقد استعاد الحزب الوطني العراقي انفاسه في ١٩٣٠ واتفق مع حزب الاخاء الوطني على التآلف للعمل ضد وزارة نوري السعيد وسياستها. وانفطر عقد هذا التحالف في ١٩٣٣ بعد تولي رشيد عالي الكيلاني رئاسة الوزارة. وفي ١٩٣٦، قام جعفر أبو التمن وكامل الجادرجي بتأسيس جمعية الاصلاح الشعبي.

٢- الحزب الحر العراقي:

أسسه، في ايلول ١٩٢٢، محمود النقيب بايعاز من الانكليز ولدعم وزارة أبيه عبد الرحمن النقيب بعد أن اقدمت السلطات البريطانية على قمع العناصر الوطنية في الحزب الوطني العراقي وجمعية النهضة العراقية. وسرعان ما استنفذ الانكليز الاهداف المتوخاة من تأليف هذا التجمع بعد عقد المعاهدة البريطانية-العراقية في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ والمتضمنة بنود الانتداب البريطاني على العراق.

وبعد استقالة الوزارة النقيب في تشرين الثاني ١٩٢٢، اضمحل الحزب تلقائيًا، أي انه لم يعيش لأكثر من شهرين تمّ خلالها عقد المعاهدة وضرب الحزب الوطني العراقي.

٣- حزب الأمة:

تجمع ليبرالي عراقي أسسه ناجي السويدي ومحمد جعفر الشيبسي في آب ١٩٢٤. اقتضت مطالبه على الاسراع في إنجاز الدستور وانتهاج الحياة النيابية في السياسة، ولم يكن له كبير اثر في مجريات الامور.

٤- حزب الاستقلال الوطني:

تشكل في ايلول ١٩٢٤ برئاسة عبد الله العمري، ومركزه الموصل، وهدف للدفاع عن المصالح الوطنية في قضية الحدود والنزاع على ولاية الموصل بين العراق وتركيا. وقد بذل هذا الحزب جهودًا كبيرة للدفاع عن عروبة الموصل، وأصدر في ١٩٢٥ جريدة «العهد».

٥- حزب التقدم:

أول تجمع نيابي عراقي موال للانكليز، أسسه عبد المحسن السعدون في صيف ١٩٢٥. وبالرغم من انتماء أكثرية اعضاء المجلس النيابي إلى صفوفه. فلان مرشح المعارضة رشيد عالي الكيلاني لرئاسة المجلس فاز على مرشح التقدم حكمت سليمان، الأمر الذي اضطر السعدون إلى تقديم استقالته. وقد ساند السعدون وزارة جعفر العسكري الذي خلفه. وعندما دعي السعدون إلى تأليف الوزارة للمرة الثالثة في مطلع ١٩٢٨، استصدر إرادة ملكية لحل المجلس النيابي منتقداً الاحزاب الموجودة في المجلس. وعندما تولي نوري السعيد الوزارة في ١٩٣٠ شكل حزبًا له وحل المجلس النيابي، فاضمحل حزب التقدم وبرزت تجمعات سياسية جديدة.

٦- حزب الشعب العراقي:

حزب يساري تم تشكيله في نيسان ١٩٤٦ برئاسة عزيز شريف، واقدمت على حله وزارة صالح جبر في ايلول ١٩٤٧.

٧- حزب العهد العراقي:

ألفه نوري السعيد على اثر توليه رئاسة الوزارة في ١٩٣٠ وعقده للمعاهدة مع بريطانيا في العام نفسه واقدمه على حل المجلس النيابي بقصد السيطرة على المجلس النيابي

الجديد وتمير المعاهدة الجديدة. وقد اضمحل هذا الحزب بعد استقالته في ٢٧ تشرين الاول ١٩٣٢ وتولي ناجي شوكت رئاسة وزارة انتقالية حلت المجلس النيابي.

٨- حزب الانحاء الوطني:

أسسه ياسين الهاشمي وناجي السويدي ورشيد عالي الكيلاني في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٠، وحله ياسين الهاشمي نفسه عندما تولى الحكم، كما حل بقية الاحزاب في آذار ١٩٣٥. تضمن المنهاج السياسي لهذا الحزب العمل على تشجيع الصناعة الوطنية.

٩- جمعية الاصلاح الشعبي:

انبثقت، في تشرين الثاني ١٩٣٦، عن جماعة الاهالي ممثلة بمجهر أبو التمن وكامل الجادرجي، وكانت ذات ميول وطنية. اهدت التقارب بين البلاد العربية وتقوية الصلات مع الهيئات الشعبية فيها، وإفساح المجال لإبداء الآراء والحريات الديمقراطية التقدمية، وإلغاء القوانين الزراعية الجائرة وقيام الحكومة بالمشاريع الصناعية. ويدور ان اللهجة التقدمية التي تميزت بها هذه الجمعية دفعت الطبقة السياسية الحاكمة للقضاء عليها بسرعة.

١٠- احزاب نيسان ١٩٤٦: هي أربعة احزاب أعطيت ترخيصاً في نيسان ١٩٤٦:

- حزب الاتحاد الوطني: سياسي يساري، ضم عبد الفتاح ابراهيم الذي ترأس لجنته السياسية، وناظم الزهاوي وجميل كبه وناصر الكيلاني وعبد الاله مسعود ومحمد صالح بحر العلوم ومحمد مهدي الجواهري وكاظم الدجيلي. وقد أصدر جريدة ناطقة باسمه هي «السياسة» ثم «صوت السياسة»، إلا ان وزارة صالح جبر سحبت ترخيصه في ٢٧ ايلول ١٩٤٧.

- حزب الشعب العراقي: حزب يساري، تزعمه عزيز شريف. حلت وزارة صالح جبر في ايلول ١٩٤٧.

- حزب الاحرار: تجمع يميني، هيئته المؤسسة: داخل الشعلان وعلي ممتاز وعبد الوهاب محمود. أما الشخصية الفعلية المحركة له فكان سعد صالح. أصدر جريدة ناطقة باسمه هي «صوت الاحرار». سحب ترخيصه في ١٩٤٨، وأغلقت جريدته في العام التالي.

- حزب الاستقلال: رئيسه محمد مهدي كبه، وجريدته «لواء الاستقلال»، وألغي امتيازها في ١٩٥٤. عارض النظام الملكي، ونادى بالوحدة العربية والدفاع عن

فلسطين وتقوية الجيش وبالاصلاحيات الاجتماعية والقضائية والتربوية. شارك بشخص رئيسه في حكومة محمد الصدر التي تشكلت بعد وثبة كانون الثاني ١٩٤٨. لجأ إلى العمل السري وحاول الاشتراك في تأليف حزب سياسي باسم المؤتمر الوطني، وذلك بالتعاون مع الحزب الوطني الديمقراطي ولكنه لم ينجح في ذلك. انضم في ١٩٥٦ للجهة الوطنية وكانت له مواقف وطنية وقومية مشهودة. وعلى الرغم من نظراته الاصلاحية لم يستطع الحزب ان يتطور مع الاحداث في ما يتعلق بالمفاهيم الاجتماعية الثورية، ومع بداية توسع حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في النصف الاول من الخمسينات أخذ عنصر الشباب المتحمس في صفوفه يتجه نحو حزب البعث بحيث أصبح حزب الاستقلال مجرد تجمع سياسي لوجوه سياسية قومية أدركها التقاعد في أواخر الخمسينات والستينات.

١١- حزب الأمة الاشتراكي:

حزب يميني، تأسس في ١٩٥١ برئاسة صالح جبر وضم العديد من الاقطاعيين والرأسماليين الذين انشقوا عن نوري السعيد وحزبه، حزب الاتحاد الدستوري، دون ان يخالفوه الموالاة للغرب وللنظام الملكي القائم. وكان لحزب الأمة الاشتراكي جريدة ناطقة باسمه تدعى «الامة». ألغي هذا الحزب بعد انتفاضة ١٩٥٢ التي وقعت عندما أعلنت وزارة نور الدين محمود الاحكام العرفية.

١٢- حزب الاتحاد الدستوري:

حزب يميني أسسه وترأسه نوري السعيد في ١٩٥١. ضم في صفوفه العناصر الاقطاعية والرأسمالية من أنصار نوري السعيد، أمثال عبد الوهاب مرجان وخليل كنه وضياء جعفر وجميل الأورفلي. وأصدر الحزب جريدة «الاتحاد الدستوري» الناطقة باسمه، وأخرى في الموصل باسم «الدستور». ألغي الحزب بعد انتفاضة ١٩٥٢، وتسلم نور الدين محمود رئيس اركان الجيش رئاسة الوزارة وإقدامه على إلغاء الاحزاب وإعلان الاحكام العرفية.

١٣- الجبهة الشعبية المتحدة:

تكتل سياسي عراقي معارض تكون في ١٩٥١ من مجموعات من الجبهة الدستورية البرلمانية وجبهة المعارضة البرلمانية والحزب الوطني الديمقراطي وبعض أعضاء حزب الاحرار برئاسة طه الهاشمي. وكانت أهداف التكتل

الحزب الشيوعي العراقي: نشأت الحركة الشيوعية في العراق في ١٩٣٤، وكانت متأخرة بالنسبة إلى مثيلاتها في البلدان العربية الأخرى (١٩٢٠ في مصر، ١٩٢٤ في لبنان وسورية، و١٩١٩ في فلسطين).

ففي ٣١ آذار ١٩٣٤ اجتمع ممثلون عن «الحلقات الماركسية» في بغداد وأعلنوا عن تشكيل «لجنة مكافحة الاستعمار والاستغلال»، وانتخبوا عاصم فليح أميناً عاماً لها. وفي ١٩٣٥، غيّرت اللجنة اسمها فأصبحت «الحزب الشيوعي العراقي»، وأصدرت جريدة سرية (أول جريدة سرية في العراق) باسم «كفاح الشعب». وسرعان ما انكشف أمر الحزب، فوجهت السلطات إليه في أواخر ١٩٣٥ ضربة أليمة، إذ اعتقلت أمنه العام وعدداً من كوادره، وعطلت صحيفته، وفرّ كثيرون إلى خارج البلاد (البحرين، سورية، لبنان، فرنسا...). حيث اختلط بعضهم في العمل الحزبي الشيوعي داخل هذه البلدان، منهم يوسف سلمان (الملقب «فهد») الذي كان أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب يوم تأسيسه، والذي غادر إلى سورية ولبنان حيث أقام علاقات وثيقة مع القيادة الشيوعية فيهما التي كانت تشرف آنذاك على شؤون الحزب الشيوعي العراقي. ثم سافر إلى فرنسا حيث نشط في صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي الذي أوفده إلى موسكو للدراسة في «الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق» التابعة للكونغرس فتلقى فيها مبادئ الماركسية-اللينينية.

في ١٩٣٨، عاد يوسف سلمان (فهد) إلى بغداد حيث عمل على إعادة تأسيس الحزب الشيوعي العراقي فشكل لجنة مركزية جديدة غاب عنها معظم أعضاء اللجنة السابقة، وتميزت بغلبة الشيوعيين المتحدرين من الأقليات الدينية (أشوريين ويهود) وهيمنة المثقفين وغياب العناصر البروليتارية. ولم يتبن الحزب الجديد أي نظام داخلي عند تأسيسه إلى أن تصبح الظروف السياسية أكثر ملاءمة، ما أدّى إلى انشقاقات عديدة، أولها انشقاق ذي النون أيوب ويعقوب كوهين؛ ثم انشقاق عبد الله مسعود القرهني (١٩٤٢) الذي تمكن من عقد مؤتمر تم فيه طرد فهد (كان يحضر مؤتمر الكومنترن في موسكو) وجماعته؛ ثم انشقاق داود صايغ وتأسيسه «رابطة الشيوعيين العراقيين» وصحيفة «العمل» التي شنّت من خلالها حملة عنيفة ضد قيادة فهد. لكن مع اعتقال الصايغ في ١٩٤٧، انهارت هذه الرابطة وانضم أعضاءها إلى قيادة فهد. هذا إضافة إلى عدد من مجموعات شيوعية صغيرة، بينها من سيطر عليها يهود عراقيون. لكن الحزب الشيوعي العراقي برزعة فهد

إبعاد العراق عن التكتلات الدولية، أي انتهاج سياسة الحياد الإيجابي، وتحقيق نظام ديمقراطي دستوري والتعاون العربي واستكمال سيادة العراق واستقلاله. وأصدر التكتل جريدة «الجبهة الشعبية المتحدة» وجريدة «الدفاع». وتعرضت الجبهة للاهتزاز بسبب استئثار بعض قادتها وأعلن رئيس الهيئة الإدارية محمد رضا الشبيبي، في صيف ١٩٥٤، نهاية حياة الجبهة لإتاحة المجال لأعضائها بالمشاركة بالانتخابات. وعندما شكل مجلس الإعمار عين طه الهاشمي رئيس الجبهة رئيساً له.

١٤ - جبهة الاتحاد الوطني:

جبهة وطنية تشكلت من الأحزاب المناهضة للحكم الملكي والاحلاف العسكرية في ١٩٥٦. ضمت حزب البعث والحزب الشيوعي وحزب الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي. وجاء قيام الجبهة تجارياً مع تصاعد التيارات الجماهيرية التحررية والقومية في سورية ومصر والتي وجدت ترجمة لها في العراق إبان المظاهرات التي اندلعت في بغداد تأييداً لتأميم قناة السويس واستنكاراً للعدوان الثلاثي على مصر.

ألقت الجبهة لجنة عليا وفروعاً في مختلف أنحاء العراق وأصدرت بيانها الأول في ٩ آذار ١٩٥٧ الذي لخص مطالب الجبهة وأهدافها بما يلي:

- «- معارضة الجبهة للحكم الرجعي السعدي (نوري السعيد) وحل المجلس النيابي المزيف.
- معارضة حلف بغداد والانسجام مع سياسة الاقطار العربية المتحررة والتنسيق معها.
- مقاومة النفوذ الاستعماري وانتهاج سياسة عربية مستقلة وتبني سياسة الحياد الإيجابي.
- إطلاق الحريات الديمقراطية.
- إطلاق سراح السجناء والمعتقلين والموقوفين السياسيين وإلغاء الإدارة العرفية للبلاد» (موسوعة السياسة، ج ٢، ط ١، ١٩٨١، ص ٣٠).

وقد مهد قيام الجبهة ونشاطها لاندلاع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وبعد نجاح هذه الثورة، انضم إلى الجبهة الحزب الديمقراطي الكردستاني.

١٥ - تنظيم الضباط الاحرار: راجع باب «معالم تاريخية».

حزب البعث العربي الاشتراكي: راجع «سورية»، ج ١٠، والنبرة التاريخية.

(وزارة نوري السعيد) على فهد ومعاونيه الرئيسيين واتهمتهم بتلقي مساعدات مادية من قوى اجنبية والاتصال بها (الاتحاد السوفياتي، حزب توده الايراني والحزب الشيوعي السوري)، وبمحاولة إثارة الشغب والتغلغل إلى صفوف الجيش. واستمر فهد يقود الحزب من زنزانته من خلال يهودا الصديق ومالك سيف اللذين كانا يتنازعان قيادة الحزب في غياب فهد. وقد تحالف الحزب في هذا الوقت مع الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الشعب والوطنيين الديمقراطيين، وشارك في وثبة ١٩٤٨ التي زادت في توسيع قاعدته.

إلا ان كل هذه المكاسب بدت، في ١٩٤٨، وكأنها تبخرت بسبب موقف الحزب المؤيد لتقسيم فلسطين. وقبض على عدد كبير من قادته، وأعيدت محاكمة فهد ورفاقه وحكم عليهم بالاعدام، ونفذ الحكم في ١٤ و ١٥ شباط ١٩٤٩، بفهد وزكي باسيم ومحمد الشيبسي. في مطلع الخمسينات، أعاد الحزب تشكيل خلاياه بقيادة بهاء الدين النوري (كردي) الذي وجه كل جهود الحزب نحو المنطقة الشمالية (كردستان العراق) والبصرة. في ١٩٥٣، قبض عليه، فألقت القيادة إلى عبد الكريم الداود (كردي) الذي استند إلى دعم حامد عثمان (كردي أيضاً) الذي تميزت قيادته بالتهور والدعوة لاتباع أسلوب الاضرابات العامة والكفاح المسلح، متأثراً بذلك بفكر ماو تسي تونغ، وذلك في وقت لم يكن الحزب قادراً على ذلك، لا بل إنه عجز حتى عن الدخول في تحالفات جديدة مع القوى الوطنية والقومية والديمقراطية لإفشال حلف بغداد. وقد تميزت فترة ١٩٤٩-١٩٥٥ بارتفاع دور الأكراد في الحزب، إذ كان معظم القادة من الأكراد، كما شكلوا ٣١،٣٪ من أعضاء اللجان المركزية.

في حزيران ١٩٥٥، انتقلت قيادة الحزب من حامد عثمان إلى حسين الرضي (سلام عادل). وقد أدى هذا التغيير إلى وضع حد لهيمنة الأكراد على الحزب. فتحالف مع القوميين العرب والقوى الوطنية، وذلك تطبيقاً للخط السوفياتي الجديد الذي دعا إلى الانفتاح على الحركات التحررية والوطنية في العالم الثالث. وابتداء من ١٩٥٦، وعلى أثر العدوان الثلاثي على مصر وموقف الاتحاد السوفياتي المؤيد بقوة لمصر، أخذت الأحزاب الشيوعية العربية تستعيد بعض قوتها التي كانت قد خسرتها بسبب موقفها من القضية الفلسطينية.

في شباط ١٩٥٧، نشأت جبهة اتحاد وطني، كان الشيوعيون أعضاء فيها إلى جانب البعثيين وحزب

(يوسف سلمان) كان الأقوى بسبب شخصية فهد نفسه من جهة والتأييد المعنوي والمادي الذي كانت تمنحه إياه الحركة الشيوعية العالمية. فقد نجح، بين ١٩٤١ و ١٩٤٧ في تحويل الحزب إلى جهاز فعال ومنظمة شعبية.

إلا ان أول أزمة فكرية وسياسية حقيقية واجهت الحزب كانت في مطلع الحرب العالمية الثانية. ففي ١٩٤١، عندما اندلعت في العراق ثورة رشيد عالي الكيلاني التي كانت حركة وطنية عراقية وقومية عربية موجهة أساساً ضد الاستعمار البريطاني، والتي تحالفت تكتيكياً مع دول المحور التي كانت مرتبطة آنذاك مع الاتحاد السوفياتي بمعاهدة عدم اعتداء، وقف الشيوعيون العراقيون في البداية موقف الحياد من هذه الثورة، وعندما نشبت معارك بين الانكليز والثورة (ايار ١٩٤١) وقف الشيوعيون إلى جانبها، ولكن بتحفظ، إذ طلبوا من الكيلاني توقيف الحملات ضد اليهود وعدم الانجراف في تأييد دول المحور وعدم طلب قوات المانية مقابل تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفياتي. وقد ردّ الكيلاني باطلاق سراح بعض الشيوعيين العراقيين وإقامة علاقات دبلوماسية مع موسكو أملاً في تلقي المساعدة العسكرية ضد الانكليز. وفي ١٢ ايار ١٩٤١، اعترف الاتحاد السوفياتي بالنظام الثوري الجديد في العراق (أي بحكومة الكيلاني التي كانت تقاتل الجيش الانكليزي طيلة شهر ايار). إلا ان الغزو الألماني للاتحاد السوفياتي وانهيار الثورة تحت ضربات الانكليز غير المعطيات السياسية في البلاد. وإزاء ذلك واجه الحزب الشيوعي العراقي انتقادات من أعضائه اليهود لتأييده حركة الكيلاني التي وصفها زوراً بأنها «حركة نازية». وفي السنين اللاحقة (١٩٤٣-١٩٤٤)، أعلن الحزب الشيوعي العراقي ان تأييده لحركة الكيلاني كانت «غلطة سياسية تكتيكية».

في فترة ١٩٤١-١٩٤٧، عرف الحزب الشيوعي العراقي نمواً ملحوظاً، وتعود أسباب ذلك إلى ان قيادته كانت عربية الطابع (لم تكن قد سيطرت على قيادته بعد العناصر الكردية واليهودية)، وتغلب عليها البورجوازية الصغيرة، وإلى ان السلطات البريطانية دفعت السلطات الحكومية إلى غض الطرف عن نشاطاته للتأييد الذي كان يديه لدول الحلفاء في حربها ضد النازية، إضافة إلى انه لم يصل في معارضته للحكومة العراقية إلى حد المطالبة بالغاء المعاهدة البريطانية-العراقية التي كانت معظم القوى الوطنية تطالب بنقضها.

وفي كانون الثاني ١٩٤٧، قبضت السلطات

مدى يومين كاملين. ومن التبريرات التي ساقها الشيوعيون لتورطهم في مجازر كركوك، ما قاله سكرتيرهم العام عزيز عماد: «أنا واثق بأن أي باحث جدي ونزيه سينصفنا إذا بحث هذا الحدث بتجرد عن الدوافع السياسية التي دفعت أوساطاً سياسية عدة من شركات النفط إلى عبد الكريم قاسم، مروراً بتقصوه من القوميين وجهاز الدعاية الضخم أيام المرحوم عبد الناصر، الذين رأوا في هذه الأحداث المفجعة وأحداث الموصل ومساهماتها في قمع مؤامرة الشواف وميل تصفية حسابات مع حزبنا»، «الوسط»، العدد ٢٨٨، تاريخ ٤ آب ١٩٩٧، ص ٣٣.

أخذت العزلة تحيط بالحزب الشيوعي العراقي فبدأت مراكزه تتعرض للهجمات وقيادوه للتصفية على يد القوى المعارضة للنظام. وربما لهذا السبب زاد الحزب الشيوعي من ارتباطه بنظام عبد الكريم قاسم بالرغم من ابتعاده هر عنه. فبدأ الشيوعيون العراقيون وكأنهم ربطوا مصيرهم بمصيره. وهكذا فعندما قام حزب البعث العربي الاشتراكي، في شباط ١٩٦٣، بالقضاء على حكم قاسم، كان الشيوعيون أول وآخر من دافع عنه بالسلح فعرضوا أنفسهم للملاحقة والتصفية ووجهت إليهم ضربة قاضية. فقد اعتقل زعيمهم (حسين الرضي) ومات في سجنه، كما وجهت ضربات متلاحقة إلى الكادرات الرئيسية وإلى عدد كبير من الأعضاء العاديين (بمخيت شكلت هذه الضربات «الخزرة» الثالثة، لكن هذه المرة بحق الشيوعيين) أصبح الحزب الشيوعي على أثرها في وضع شبيه بالوضع الذي كان عليه بعد إعدام فهد في ١٩٤٩. وانقسم الحزب إلى «الحزب الشيوعي-اللجنة المركزية» (وهو الأساسي، وقاده بهاء الدين النوري وعامر عبد الله) وإلى «الحزب الشيوعي-القيادة المركزية» (بقيادة عزيز الحاج)، وكلاهما دعا إلى المقاومة المسلحة ضد النظام، مما عرض الشيوعيين إلى مزيد من التصفيات. فانتكفأت فلولهم من بغداد إلى المناطق الكردية حيث أقام حزبهم علاقات تنظيمية وعسكرية مع الثمردين الأكراد. وكان من نتيجة ذلك أن هيمن الأكراد على قيادة الحزب خاصة مع وصول عزيز عماد (راجع باب الزعماء) إلى قيادة الحزب في ١٩٦٤، وبقي في هذا المنصب حتى ١٩٩٣.

في ظل الحكم العارفي، أعاد الشيوعيون تنظيم أنفسهم، وأخذوا يفكرون مجدداً في قلب نظام الحكم، وطرحوا أفكاراً يسارية متطرفة (خاصة الجناح الذي كان يتزعمه عزيز الحاج علي حيدر) بالرغم من ضغط الاتحاد السوفياتي عليهم لانتهاج سياسة متروية. وفي ايلول

الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي، رفعت شعارات إسقاط نوري السعيد وانسحاب العراق من حلف بغداد والتزام سياسة الحياد الايجابي وإطلاق الحريات. وانفتحت هذه الجبهة على حركة الضباط الاحرار ونسقت معهم.

تعرض النظام الجديد، الذي قام على أساس ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ومنذ بزوغه، إلى تناقضات داخلية كان أبرزها التناقض بين التيار القومي الوحدوي الذي نادى به آنذاك عبد السلام عارف ودفع باتجاهه حزب البعث والقرى القومية، وبين التيار المناهض للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ومثله عبد الكريم قاسم مدعوماً من الحزب الشيوعي العراقي وبعض الضباط الأكراد والتركمان. وكان كلما اشتد التناقض بين قاسم والتيار الوحدوي كان الشيوعيون يدعمون قاسم. فكانوا بذلك يعملون، موضوعياً وربما على غفلة منهم، على تقوية اتجاهه للاستبداد بالحكم.

ولم تمر أيام قليلة على نجاح الثورة، أي في ايلول آب ١٩٥٨، حتى سمح قاسم بإنشاء فرق مقاومة شعبية سيطر عليها الشيوعيون، وافرغ عن الشيوعيين المعتقلين وجعلهم يسيطرون على النقابات وسلمهم مراكز حساسة. ووافق كل ذلك ازدياد في التوتر بين قاسم والجمهورية العربية المتحدة ومؤيديها من قوى قومية وحنوية. وقد بلغ هذا التوتر ذروته في انتفاضة الموصل في آذار ١٩٥٩ التي قام بها الضباط القومي عبد الوهاب الشواف (راجع باب الزعماء). وقد اعتمد قاسم في القضاء على هذه الانتفاضة على الشيوعيين العراقيين بشكل أساسي. فعند هؤلاء إلى ارتكاب مجازر كبيرة ضد معارضتهم ذهب ضحيتها مئات الثنلى وترك أثرها البالغ في مستقبل العلاقات بين القوى الشيوعية والقومية في البلاد.

بدأ من ايار ١٩٥٩، أظهر قاسم انفتاحاً على القرى القومية المعادية للشيوعيين، وعهد إلى تقليص نفوذ هؤلاء في الجيش، وأبقى على حقائب وزارية ثانوية في يدهم. ثم وقعت مجازر كركوك (١٤-١٦ تموز ١٩٥٩) التي تورط الشيوعيون فيها، فاعتقل قاسم العديد منهم وحد من نشاط النقابات التي يشرفون عليها. ووجد الشيوعيون أنفسهم أمام مأزق شعبي وإدانة وطنية وتاريخية خطيرة. إذ ظهروا مسؤولين عن مجزرتين كبيرتين تفصل بينهما شهور قليلة (الموصل في آذار، وكركوك في تموز ١٩٥٩) ومجازر كركوك وقعت ضد التركمان الذين ارادوا الاحتفال بالذكرى السنوية الأولى للثورة بموكب منفرد وخاص بهم، فعرض موكبهم لاطلاق نار ثم لأعمال تصفية بحقهم على

١٩٦٧، وآثار هزيمة حزيران ما زالت تتفاعل شعبياً، عمد عزيز الحاج إلى الانفصال رسمياً عن الحزب معلناً حياده في الصراع الأيديولوجي بين الصين والاتحاد السوفياتي، وداعياً إلى تسليح الجماهير ومنذاً بمواقف الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية العربية من القضية الفلسطينية.

وبعد أقل من شهرين من استلام البعث للسلطة في العراق (ثورة تموز ١٩٦٨)، أي في ايلول ١٩٦٨، تمّ الافراج عن جميع المعتقلين السياسيين. فبادر جناح عزيز الحاج إلى رفض التعاون مع البعث وأعلن العصيان المسلح، إلا ان السلطات ألقت القبض عليه (شباط ١٩٦٩)، فأعلن انتهاء حركته وانضمامه إلى تأييد الحكم. أما الجناح الآخر (اللجنة المركزية، بقيادة عزيز محمد) فقد آيد الحكم الجديد بحفظ، ثم أخذ يتقرب منه كلما كان الحكم يدعم علاقاته بالدول الاشتراكية. وفي ١٤ ايار ١٩٧٢، دخل الشيوعيون الحكومة بشخص مكرم الطالبياني وعامر عبد الله. وفي ١٧ تموز ١٩٧٣، وقع البعث والشيوعي ميثاق عمل وطني نصّ على إنشاء جبهة وطنية وقومية تقدمية تضمهما إلى جانب الحزب الديمقراطي الكردستاني في إطار جبهوي واحد. ونتيجة لذلك سُمح للحزب الشيوعي باصدار جريدة ناطقة باسمه هي «طريق الشعب» طبع منها في ١٩٧٥ نحو ٦٠٧ مليون نسخة. وقد اعترف الحزب الشيوعي العراقي، بانضمامه إلى الجبهة، بحزب البعث العربي الاشتراكي كالحزب القائد، إذ جاء في ميثاق العمل الوطني ان حزب البعث «يحتل موقعاً متميزاً في قيادة الجبهة وفي هيئاتها ويقود السلطة السياسية في الدولة كما يقود مؤسساتها الدستورية». كما قبل الشيوعيون بعدم العمل داخل الجيش تحت طائلة الاعدام. وبالفعل اعتقلت السلطات، في ١٩٧٤، مجموعة من العسكريين الشيوعيين وأصدقاءهم.

وفي ٤-٦ ايار ١٩٧٦، عقد الحزب الشيوعي مؤتمره الثالث في بغداد وأعاد انتخاب عزيز محمد سكرتيراً أولاً للجنة المركزية. وقد تبني المؤتمر تقريراً يشتمل على أبرز المقولات الشيوعية العالمية التي كانت سائدة وقتذاك لدى معظم الاحزاب الشيوعية العربية والاحزاب الشيوعية في كثير من البلدان والتي تعتبر موسكو «قاعدة الاشتراكية في العالم»، وأدان الخط الصيني ومقولة الشيوعية الأوروبية. واتخذ المؤتمر موقفاً مؤيداً لقرارات مجلس الأمن ومؤتمر جنيف، وهو موقف متعارض مع موقف حزب البعث الحاكم الرافض لكل هذه القرارات والحلول.

ولكن العلاقة بين الحكم والشيوعيين سرعان ما

ساءت. فتم، في ١٩٧٨، تنفيذ حكم الاعدام بعدد من العسكريين الشيوعيين المعتقلين. وجاء ذلك في نطاق حملة ضد الحزب طالت الآلاف من اعضائه. وكانت هذه الحملة أشد تأثيراً في المناطق العربية منها في المناطق الكردية حيث أفلح عدد كبير من الشيوعيين في الالتحاق بالجبل. ومع ذلك استمر الحزب الشيوعي عضواً في الجبهة إلى ما بعد ١٩٧٨، ذلك «أننا تعاملنا مع هذه القضية بحذر شديد. ولم نحاول خلق ضجة لئلا نستفزهم خوفاً من ان يؤدي الاستفزاز إلى مزيد من تنفيذ احكام الاعدام برفاقنا (...)» احتفظنا ببعض المظاهر كغطاء للتراجع. اتخذ الحزب قراراً بأن أبقى في الخارج وراحت العناصر القيادية تغادر تدريجياً، إلى بيروت وغيرها (...) في النهاية لم يكن هناك خيار غير الافتراق. عقدنا اجتماعاً في الخارج في تموز ١٩٧٩ وخرجنا بشعار إنهاء الدكتاتورية (...) كيف نستطيع ان نقبل بأن يمرروا حنازات الشيوعيين أمام مقرات الحزب ويتظاهروا بالعلاقات مع قياديه؟» (عزيز محمد، «الوسط»، العدد ٢٨٨، تاريخ ٤ آب ١٩٩٧، ص ٢٩-٣٠).

وعن وضع الحزب الشيوعي العراقي ومختلف مواقفه بدءاً من اندلاع الحرب الايرانية-العراقية، وعلى لسان سكرتيره العام عزيز محمد («الوسط»، العدد ٢٨٩، تاريخ ١١ آب ١٩٩٧، ص ٣٥-٣٧):

إزاء الحرب مع ايران:

«كانت لدينا بعض المقرات والقواعد في جبال كردستان، إضافة إلى وجودنا في المدن العراقية باعداد قليلة. هذه المقرات والقواعد كانت تشكل بدايات العمل الانتصاري المسلح. وكانت هناك اعداد غير قليلة من رفاقنا ذهبوا إلى اليمن الديمقراطية وسورية ولبنان بالتعاون مع المقاومة الفلسطينية وبلدان اشتراكية (...) عارضنا الحرب العراقية-الايرانية بشدة منذ البداية، وقلنا إنها أعلنت نيابة عن الامبريالية... وطالبنا بوقفها فوراً واتسحاب القوات العراقية من الاراضي الايرانية. وبقينا نطالب بوقفها طيلة المراحل اللاحقة، عندما انتقلت معاركها إلى الاراضي العراقية (وعن تعاطي مسلحي الحزب في الشمال مع القوات الايرانية، أنكر عزيز محمد ذلك وقال) أبداً، وبالعكس فقد صدرت تعليمات مشددة لمقاتلينا بتجنب أي تعاطي مع القوات الايرانية».

إزاء حرب الخليج الثانية (غزو الكويت):

«موقفنا يشرف حزبنا. لقد طالب عبد الكريم قاسم بالكويت وأصدر قراراً يجعلها قضاء من أفضية

البصرة. وقفنا ضد هذا الاتجاه وحذرنا قاسم من هذه المغامرة. وعندما غزا صدام الكويت أدنا هذا الغزو في يومه الاول وتضامنا مع الشعب الكويتي وطالبنا بانسحاب القوات العراقية وحذرنا من الكارثة التي سيجلبها لشعبنا وللمنطقة».

إزاء العلاقة مع سورية:

«كنا على علاقات معها حتى حين كنا في الجبهة مع الحزب الحاكم في العراق. وكنا نرفض ادعاءات النظام ضد سورية، ونؤكد أهمية التحالف الاستراتيجي معها. سورية احتضنت المعارضة العراقية بكل فصائلها... واستقبلت الألوف من أبناء شعبنا. وقبل انتقال حزبنا إلى المعارضة جرى نقاش في موضوع الميثاق الوحدوي مع سورية عام ١٩٧٨ في قيادة الجبهة، قلنا فيه: إذا كانت الوحدة التي ندعو لها نحن متعذرة لأسباب ما، فلماذا لا نبلور صيغة أقل من الوحدة، وإذا ما نجحت نظورها لاحقاً. فردت قيادة النظام يومذاك: إما غرام وهيام وإما سباب واحتراب».

إزاء مشاركة الشيوعيين في انتفاضة ما بعد حرب الخليج الثانية:

«نعم، شارك الشيوعيون في كل اماكن وجودهم... صدام سُمي محافظة الأنبار التي تضم الرمادي والفلوجة وثلاث محافظات أخرى بالمحافظات البيضاء. هذا اعتراف بان الانتفاضة عمت المحافظات الأربع عشرة الأخرى كلها، وحتى محافظة الأنبار لم تبق بيضاء في نظري فقد شهدت غضبة شديدة إثر إعدام عدد من ابنائها الضباط (...). كان الشيوعيون موجودين في المقرات المشتركة للمتفضين مع التنظيمات الأخرى وفي مقرات خاصة بهم. أما في كردستان فكان دور الشيوعيين واضحاً جداً».

إزاء ما يطرح من مشروع تقسيم العراق إلى ثلاث فيدراليات كردية وسنية وشیعية:

«نحن لسنا مع اية صيغة فدرالية تعتمد على ارضية طائفية. الشعب الكردي شعب متميز، وله خصوصيته وموضوعه مختلف. ونحن نعتقد، وهذا حصيلة التجربة التاريخية، انه كلما حصل الشعب الكردي على حقوقه القومية في ظل الديمقراطية انجذب إلى المركز أكثر».

إزاء وضع الحزب الشيوعي العراقي وسط انهيار المنظومة الاشتراكية في العالم:

«ما من شك في ان التراجعات التي حصلت في الحركة الشيوعية العالمية، بانهيار المنظومة الاشتراكية

وتفكك الاتحاد السوفياتي لها تأثيرات سلبية على كل الاحزاب بدرجات متفاوتة. وبسبب من انغماس الشعب العراقي في مواجهة الدكتاتورية فإن الاسئلة الجديدة لم تقفز إلى الواجهة بعد، ذلك ان الأولوية لا تزال لإسقاط النظام. وهناك جبهة واسعة من أبناء شعبنا تثق بجبهة الحزب في النضال من اجل هذا الهدف. ولذلك تلتف حوله».

وعن الوضع الحالي للحزب، قال سكرتيره العام الحالي، حميد مجيد موسى (انتخبه لهذا المنصب مؤتمر الحزب الخامس في ١٩٩٣، وهو في العقد الخامس من عمره ومن مدينة الحلة) إن الحزب «موجود في كل مكان من مدن العراق. أنتم تسمعون عن نشاطاتنا وتوزيع بياناتنا في البصرة، الموصل، بغداد، في الجامعات، المعامل. نحن ننشر ذلك باستمرار عما يقوم به الشيوعيون وأصدقائهم. موجودون خارج الوطن حيث أكثر من مليونين من أبناء الجالية العراقية موزعون على بلدان العالم. موجودون في كردستان كقوة سياسية مشهود لها بحفظ الخير والنزعة السلمية والطموح لعودة التقاليد الديمقراطية في التعامل وإعادة المعارضة إلى كردستان» («الحياة»، العدد ١٢٧٣٣، تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩٩٨، ص ١٣).

(مراجع هذه المادة الفرعية: «الحزب الشيوعي العراقي»، «موسوعة السياسة»، ج ٢، ط ١، ١٩٨١، ص ٤٠١-٤٠٦ و«الوسط»، الاعداد ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، تواريخ ٢٨ تموز، ٤ و ١١ آب ١٩٩٧ و«الحياة»، العدد ١٢٧٣٣، تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩٩٨، ص ١٣).

الجبهة الوطنية والقومية التقدمية: في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧١، اصدر حزب البعث الحاكم «ميثاق العمل الوطني» لاقامة جبهة بين القوى الوطنية والقومية التقدمية. وفي ١٩٧٢، وقعت معاهدة الصداقة بين العراق والاتحاد السوفياتي، الأمر الذي جعل الحزب الشيوعي العراقي يدخل بجبهة في مفاوضات مع الحزب الحاكم من أجل إقامة تلك الجبهة. وفي ١٧ تموز أعلن عن توقيع البيان المشترك بين حزب البعث والحزب الشيوعي، وبذلك برزت الجبهة التي اكتملت في ما بعد بانضمام الحزب الديمقراطي الكردستاني (بارتي) والقوميين والمستقلين إليها. وبعد انكشاف أمر تنظيم شيوعي سري في الجيش (رغم ما كان وقع عليه الحزب الشيوعي العراقي من وثيقة تتضمن قبوله عدم إقامة مثل هذا التنظيم في الجيش) تم القضاء عليه، وانسحب الشيوعيون من الجبهة (راجع «الحزب الشيوعي

العراقي» و«أحزاب المعارضة» في هذا الباب، وكذلك النبذة التاريخية).

الاحزاب والحركات الاسلامية: مع ان العراق شهد في العهد الملكي جواً نسبياً من الديمقراطية وحرية تأسيس الاحزاب، لكنه لم يشهد ولادة حزب علني يقوم على أساس الاسلام. وكان أول طلب لتأسيس حزب اسلامي وقع في العهد الجمهوري أيام حكم عبد الكريم قاسم، وذلك بعد صدور قانون الجمعيات في أول كانون الثاني ١٩٦٠ حيث تقدمت مجموعة من الاسلاميين الذين ينتمون إلى جماعة «الاخوان المسلمين» بقيادة نعمان السامرائي بطلب تأسيس «الحزب الاسلامي العراقي» في شباط ١٩٦٠، وأجازت محكمة التمييز الطلب بعد رفض وزارة الداخلية، واستطاع الحزب ان يستقطب انصاراً كثيرين في أوساط السنة والشيعة على السواء. لكن السلطات العراقية حلت الحزب واعتقلت قيادته بعد اقل من سنة على إنشائه، كما اعتقلت الشيخ عبد العزيز البدر الذي تقدم بطلب إنشاء حزب اسلامي آخر هو «حزب التحرير» من دون ان يحصل على ترخيص.

ومنذ ذلك الحين والاحزاب الاسلامية متنوعة في العراق، ويُعاقب أي عضو في القوات المسلحة ينتمي لغير حزب البعث الحاكم، كما يتعرض أي مواطن عراقي ينتمي لأي حزب اسلامي لعقوبة السجن والاعدام. لذلك لجأت الحركات الاسلامية إلى السرية، وإضافة إلى «الاخوان المسلمين» و«حزب التحرير» تأسس «حزب الشباب المسلم العقائدي» بزعامة الشيخ عبد الكريم الخزازي، وحزب «الدعوة الاسلامية» بقيادة السيد محمد باقر الصدر، كما تأسست في كربلاء الحركة المرجعية بقيادة السيد محمد الشيرازي الذي رفض الصيغة الحزبية في العمل وأكد الصيغة المرجعية وولاية الفقيه.

والتزمت الحركات الاسلامية جميعاً بالعمل الثقافي والسياسي السلمي ولم تعتمد على العمل العسكري في مواجهة النظام، واعتمدت في عملها على مؤسسات دينية كمؤسسة المرجعية التي كان يتزعمها في الستينات السيد حسن الحكيم (توفي في ١٩٧٠) ثم السيد أبو القاسم الخوئي الذي توفي في ١٩٩٢ (راجع «المرجعية الشيعية» و«ولاية الفقيه»، و«الخوئي، السيد أبو القاسم» في «إيران»، ج ٤، ص ١٩٠، ١٩٢ و ٢١٩)، وهي مؤسسة دينية تتجنب العمل السياسي المباشر والاصطدام بالسلطة. وقد حاول السيد محمد باقر الصدر، المرجع الديني والمفكر الاسلامي

المعروف والاستاذ في الحوزة الدينية في النجف الذي تنفق الروايات على ان السلطات العراقية قتلت في ١٩٨٠، أن ينأى بنفسه وبطلبته عن المواجهة مع النظام العراقي في السبعينات فطلب منهم الانسحاب من حزب الدعوة، لكن ذلك لم يخفف من المواجهة بين النظام والحركة الاسلامية التي انفجرت بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران في ١٩٧٩، وأدت إلى قتل السيد الصدر مع عدد كبير من رجال الدين وأعضاء الحركة الاسلامية. ودفع هذا الوضع بعض الشباب المتحمس خصوصاً في الحركة المرجعية التي أصبحت منذ ١٩٧٩ تحمل اسم «منظمة العمل الاسلامي» إلى محاولة اغتيال عدد من رموز النظام وتفجير بعض المراكز الحساسة. وعلى الرغم من إنشاء أجنحة عسكرية في حزب الدعوة أو منظمة العمل الاسلامي أو غيرهما من الحركات الاسلامية، إلا انها لم تقم بعمليات منظمة وكبيرة، إذ غلب الطابع الفردي والمحلي على نشاطاتها.

وبعد نشوب الحرب بين العراق وايران أسس عدد من الحركات الاسلامية العراقية في طهران «الجيش الاسلامي الثوري لتحرير العراق» الذي تحول في ما بعد إلى «المجلس الاسلامي الاعلى للثورة الاسلامية في العراق» بقيادة السيد محمد باقر الحكيم، وشارك أعضاء هذا المجلس في الحرب إلى جانب ايران ضد القوات العراقية، وحملوا مع القيادة الايرانية التي كانت ترفع شعار إسقاط الرئيس صدام حسين، كما أعلنوا إيمانهم بعبداً ولاية الفقيه والعمل من اجل تأسيس جمهورية اسلامية في العراق.

ولكن الأمل الذي عقدته المعارضة الاسلامية العراقية تلاشى مع قبول الإمام الخميني بوقف الحرب العراقية الايرانية في ١٩٨٨، مما أدى إلى فتور العلاقة بين الحركات الاسلامية العراقية والجمهورية الاسلامية، وكانت العلاقة قد تدهورت من قبل بين منظمة العمل الاسلامي والحكومة الايرانية بسبب خلاف زعيم المنظمة المرجع الديني السيد محمد الشيرازي مع الامام الخميني وكذلك بسبب تحالف قائد المنظمة السيد محمد تقى المدرسي مع السيد مهدي الهاشمي القريب من الشيخ حسين منتظري ومسؤول وحدة حركات التحرير في الحرس الثوري الايراني، الذي اختلف مع قادة النظام وأعدم بعد ذلك، مما أثر في علاقة المنظمة مع المسؤولين الايرانيين وأدى بها إلى الهجرة من ايران.

أما حزب الدعوة الذي ظل يحتفظ بعلاقات أكثر رسوخاً مع ايران خلال الحرب في الثمانينات فقد تعرضت علاقته هذه للاهتزاز بسبب رفضه الخضوع التام لولاية

الفقيه، الأمر الذي أدى إلى انشقاق مجموعة بقيادة السيد كاظم الحائري تحت إسم خط الولاية، وتوزع الباقيون بين مباحث للمرشد علي خامنئي -مجموعة الشيخ الأصفي الذي استقال من الحزب أخيراً، ومؤيد للسيد محمد حسين فضل الله كمرجع أعلى للحزب (مجموعة لندن).

وقد نجحت إيران في كسب ولاء حركة «جند الإمام» التي أسسها السيد سامي البدري وبتزعمها حالياً الشيخ عبد اللطيف الخفاجي، وكذلك ولاء السيد محمد باقر الحكيم الذي يقود «قوات بدر» الخاضعة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية العراقية وهي قوات تخضع لقيادة ضباط من الحرس الثوري الإيراني.

وقد تدخلت هذه القوات جزئياً في انتفاضة آذار ١٩٩١ في جنوبي العراق بعد هزيمة القوات العراقية في الكويت، ودأبت خلال السنوات الماضية على إعلان قيام قواتها بشن هجمات مسلحة في الأهوار ومناطق عراقية أخرى.

كما أنشأت منظمة العمل وحزب الدعوة مقرات عسكرية في كردستان العراق لكنها انسحبت منها بعد اقتتال الأحزاب الكردية وتقدم القوات العراقية إلى الشمال في ١٩٩٦.

وبينما كانت الحركات الإسلامية الشيعية تصعد من مواجهتها للنظام في الثمانينيات أثرت جماعة الإخوان المسلمين (أو الحزب العراقي الإسلامي) العمل الثقافي وإعادة بناء قواعدها بهدوء حتى نهاية الحرب العراقية الإيرانية حيث أسس أحد القياديين السابقين وهو فلاح السامرائي مع الشيخ محمد الألوسي تنظيم «الكتلة الإسلامية». وأعلن الدكتور أسامة التكريتي الذي استقر في لندن ظهور الحزب الإسلامي من جديد وأخذ منذ ١٩٩١ يصدر مجلة شهرية باسم «دار السلام».

وكان جناح من الحزب القديم بقيادة الشيخ عثمان عبد العزيز قد أعلن ولادة «الحركة الإسلامية الكردية» وتحالف مع إيران ونجح في «تحرير مدينة حلبجة من القوات العراقية التي عادت فقصفتها بالقنابل الكيميائية في ١٩٨٨». وأعلنت مجموعة أخرى ولادة «الاتحاد الإسلامي في كردستان» العراق.

إلا أن جميع هذه الحركات ممنوعة من العمل بشكل رسمي أو علني ما عدا حركة سلفية تنشط بشكل واسع في مختلف المدن العراقية وتحظى بقبول السلطة لأنها تبتعد عن السياسة. ويتزدد ان نائب الرئيس العراقي عزت الدوري يقوم بدعم بعض الحركات الصوفية ويحضر بعض جلساتهم.

وتسمح السلطات العراقية لبعض المراجع الدينية في النجف بممارسة التدريس والفتوى وبعض النشاطات الأخرى. كما تقوم باستضافة رجال دين لإلقاء محاضراتهم في التلفزيون، وتقوم الحكومة العراقية باطلاق ما يسمى بالحملات الإيمانية ومضاعفة دروس الدين في المدارس وإصدار الأوامر لأعضاء حزب البعث بالانخراط في صفوف الحركة الدينية المتنامية في العراق وإقامة الصلوات في المساجد. وهذا ما أدهش كثيرين من المراقبين ودفعهم للتساؤل عن السر الكامن وراء سياسة النظام الإسلامية، هل هو الخوف من تحدي المد الإسلامي الشعبي، أم محاولة لركوبه، أم توجيهه بعيداً عن السياسة؟ (عن أحمد الكاتب، «الوسط»، العدد ٣٣٠، تاريخ ٢٥ أيار ١٩٩٨، ص ٢٦).

وقد وضع مهدي السعيد، كاتب وصحافي عراقي مقيم في بريطانيا، لائحة بعشرين حزباً وحركة إسلامية ظهرت منذ ١٩٥٧ («الحياة»، العدد ١٢٠٩٢ تاريخ ٣ نيسان ١٩٩٦، ص ١٨):

١- حزب الدعوة الإسلامية: تأسس ١٩٥٧ على يد السيد محمد باقر الصدر، رموزه الحالبون الشيخ محمد مهدي الأصفي والدكتور إبراهيم الجعفري في لندن والحاج علي الأديب في إيران والحاج جواد المالكي. له علاقات جيدة مع إيران وسورية (يشكل هذا الحزب الفصيل الأكبر والأقدم في ساحة العمل الإسلامي في العراق، وهو يواجه الحكومة العراقية منذ حوالي ٢٠ سنة، وتعرض منذ قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى سلسلة ضغوط ودعوات للاندماج بإيران والخضوع التام لولاية الفقيه، كانت آخرها دعوة الناطق الرسمي السابق باسمه الشيخ محمد مهدي الأصفي لإعلان التبعية لخامنئي -«الوسط»، العدد ٣٣٨، تاريخ ٢٠ تموز ١٩٩٨، ص ٢٢).

٢- المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق: تأسس ١٩٨٢ وتزعمه السيد محمد باقر الحكيم، وتلقى دعماً من إيران وله علاقات جيدة بسورية وبعض البلدان العربية.

٣- منظمة العمل الإسلامي: تأسست ١٩٧٦ بزعامة السيد محمد تقي المدرسي والشيخ محسن الحسيني والسيد كمال الحيدري، وتعتبر الصحيفة السياسية التي تطورت من الحركة الشيوعية في العراق، وكانت سابقاً تسمى بأسماء أخرى منها «حركة المرجعية» وهي تتلقى دعماً إيرانياً أيضاً.

٤- حركة جند الإمام: تأسست ١٩٦٩ بزعامة السيد سامي البدري الذي انشق عن حزب الدعوة، ومن

١٥- حركة الضباط الاسلاميين العراقيين: تأسست ١٩٩١.

١٦- حركة المسلمين الأكراد الفيليين: تأسست ١٩٩١ ورئيسها عبد الجليل الفيلي واندجنت مع «التجمع الاسلامي للأكراد الفيليين» ١٩٩٢ والتحقت بالحزب الديمقراطي الكردستاني في ١٩٩٣.

١٧- الحركة الاسلامية في كردستان العراق: تأسست ١٩٨٧ في شمالي العراق وهي من الحركات السنية ولها علاقات جيدة مع بعض الدول الاقليمية.

١٨- الكتلة الاسلامية: تأسست ١٩٨٣ في ايران بقيادة محمد خالد البرزاني.

١٩- الاتحاد الاسلامي لتركمان العراق: تأسس ١٩٩١ (شيعي) ومن رموزه عباس البياتي (الأمين العام) والمهندس محمد الشمالي.

٢٠- الحركة الاسلامية في كردستان العراق: وهي تطوير لحركة الاخوان المسلمين، ومن رموزها الشيخ عثمان عبد العزيز المرشد العام للحركة ولديها علاقات ودية مع ايران وسورية.

احزاب المعارضة قبل حرب الخليج الثانية (١٩٨٠-١٩٩٠): انتهت الجبهة الوطنية والقومية والتقدمية بانسحاب الشيوعيين منها في ١٩٧٩ وانتقلهم إلى كردستان العراق ومباشرتهم مع الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الاتحاد الديمقراطي الكردستاني العمل المسلح ضد النظام الذي استمر حتى انتفاضة آذار ١٩٩١ حين سيطر الأكراد على كردستان وأعلنوا عن تحريرها. تشكلت المعارضة، بين ١٩٨٠ و ١٩٩٠، إلى الشيوعي، من:

١- حزب البعث-قيادة قطر العراق، منشق عن حزب البعث الحاكم في منتصف الستينات في ما اعتبر آنذاك انشقاق اليمين واليسار داخل هذا الحزب.

٢- الحزب الاشتراكي العراقي المعتبر أبرز قوة سياسية في التيار القومي بعد البعث، وقد تأسس في أول تشرين الاول ١٩٦٦. وبعد حركة ١٩٦٨، وجهت له ضربة قوية وأعدم أربعة من قياديه.

٣- الاتحاد الوطني الكردستاني الذي أسسه جلال الطالباني في سورية في ١٩٧٥، بعد فشل الثورة الكردية، وانضم هذا الاتحاد إلى التجمع الوطني العراقي. وكذلك احزاب وفصائل وتجمعات كردية عديدة، غالبيتها منشقة عن الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة البرزاني.

رموزها الشيخ عبد اللطيف الخفاجي وعزت الشاهندر وتصدر جريدة «البديل الاسلامي» في دمشق.

٥- حركة المجاهدين العراقيين: تأسست ١٩٨٠ في دمشق وكانت تصرح بأنها الجناح العسكري لحزب الدعوة الاسلامية، ومن قادتها السيد عبد العزيز الحكيم وقد اندجنت بالجلس الاسلامي الاعلى لاحقاً.

٦- جماعة العلماء المجاهدين في العراق: تأسست ١٩٥٧ وكان رئيسها مرتضى آل ياسين. وفي ١٩٨٠ شكل السيد محمد باقر الحكيم في طهران حركة جماعة العلماء المجاهدين في العراق من جديد ولها مؤسسات ثقافية واعلامية وتتلقي مساعدات كبيرة من ايران.

٧- الدعوة الاسلامية: مجموعة من المنشقين عن حزب الدعوة الأصلي، أسسوا حزبهم في ١٩٨٠، من رموزها عبد الزهرة عثمان وأبو صفا البصري وعبد الأمير علي نعان.

٨- الكوادر الاسلامية: تنظيم منشق عن حزب الدعوة الأصلي ويضم نخبة من كوادر الدعوة من المثقفين ومن أبرزهم محمد عبد الجبار رئيس تحرير جريدة المؤتمر حالياً.

٩- التجمع الاسلامي العراقي: تأسس نهاية الثمانينات في لندن كمثير سياسي ضم علي تحسين ومحمد الوكيل والسيد محمد بحر العلوم.

١٠- حركة مجاهدي الثورة الاسلامية في العراق: تأسس ١٩٩١ في ايران من قبل مهدي عبد مهدي، وقد شكل قوة عسكرية أثناء الحرب العراقية الايرانية لمساعدة القوات الايرانية في شمالي العراق.

١١- الحركة الاسلامية في العراق «الخالصيون»: تأسست ١٩٧٨ وهي امتداد لحركة الخالصي (الأب) في الكاظمية ولها علاقات جيدة مع سورية.

١٢- حركة الوفاق الاسلامي «المجاهدين سابقاً»: تأسست ١٩٨٠ في ايران ومن رموزها الشيخ جمال الوكيل وكمال رضوي.

١٣- تنظيم الحركة الاسلامية في العراق «العقائديون»: تأسست تحت اسم جديد «الاسلام رسالة الشعب» في دمشق ١٩٩١ من أهم رموزها السيد أكرم الحكيم والمهندس عبد الله نجف.

١٤- المجلس الأعلى للعشائر العراقية ذات الاتجاه الاسلامي: تأسس ١٩٩١ في دمشق، ومن رموزه حامد بزيغ من رؤساء عشيرة البدور، ومناور الحبيب، ويصدر نشرة «صوت العشائر».

٤- الحركة الاشتراكية العربية، وجناح عبد الله النصراني، إضافة إلى الضباط الوجوديين بزعامة عرفان عبد القادر.

٥- شخصيات سياسية وأعضاء في إتحادات مهنية متعاطفة مع هذا أو ذاك من الأحزاب الرئيسية.

٦- أحزاب وحركات اسلامية (راجع العنوان الفرعي السابق).

اتخذت احزاب المعارضة من دمشق مقراً لها منذ ان بدأت تعقد لقاءات بينها في ١٩٨٠. وأسفرت هذه اللقاءات عن نية إقامة جبهة معارضة، وبخاصة بعد اندلاع حرب الخليج الأولى للاستفادة من ظروف الحرب في تعزيز التمرد في كردستان، وانهاء النظام في داخل العراق. لكن هذه الاحلام اصطدمت بمعارضة الاتحاد السوفياتي الذي كان غير راض في الأساس لانسحاب الشيوعيين من الجبهة الوطنية والقومية التقدمية في العراق، وكذلك بمساندة الدول الغربية للعراق في حربه ضد ايران، وإيران نفسها فتحت جبهة داخلية ضد الأكراد الإيرانيين.

لكن لقاءات اطراف المعارضة استمرت في دمشق وأسفرت، في ١٦ تشرين الأول ١٩٨٠، عن الاعلان عن جبهة ضمت حزب البعث-قيادة قطر العراق، والاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي والحركة الاشتراكية العربية (عبد الله النصراني) والحزب الاشتراكي في العراق (د. حيدر الوسي). وكانت أبرز نواقص هذه الجبهة أنها وضعت، بناء على طلب جلال الطالباني، فيتو على دخول الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البرزاني الذي كان قد تمكن من إعادة بناء حزبه من جديد. وكان هذا الأمر في أساس الخلافات بين اطراف الجبهة، وخاصة وأن اطرافاً تمثل احزاباً وحركات اسلامية، سواء في الجانب العربي من العراق أو في جانبه الكردي، أخذت العلاقة معها تشكل موضوع خلاف إضافي.

في أجواء خلافاتها السياسية هذه، دخل على خطها (المعارضة العراقية) الزعيم الليبي معمر القذافي الذي أعلن، في ١٩٨٣، انخيازه إلى الأكراد، وادعى انه سيوجه المعارضة العراقية ويحل أزمته. وافقت المعارضة، برعايته، على توقيع «ميثاق طرابلس»، وفيه عدة نقاط منها ان هذا الميثاق هو أساس عمل المعارضة العراقية الموحدة في المستقبل. وما إن عاد قادة المعارضة من طرابلس الغرب حتى عادت الخلافات بينهم من جديد. فتدخلوا بين ليلة وضحاها عن بند الاتفاق. وجرت الخلافات بين القوى

الكردية إلى اصططاف جديد. فقد انحاز الحزب الشيوعي إلى الديمقراطي الكردستاني والاشتراكي الكردستاني واحزاب كردية أخرى، مما أثار حفيظة جلال الطالباني الذي كان آنذاك قد عزز مواقفه في كردستان، فوجه ضربة قاصمة للشيوعيين في «بهشت أشان»، ولمرتين متتاليتين، ابتداء من ١٩٨٣، حيث اباد عشرات المقاتلين.

ولمعة عنصر آخر كان له دوره أيضاً في توسيع رقعة الخلاف بين اطراف المعارضة. ففي ايران بدأ محمد باقر الحكيم ينظم قواه من بين الهاريين والمهجرين العراقيين، ووجه ضربات إلى القوات العراقية في الأهوار والحدود الايرانية-العراقية ابتداء من منتصف الثمانينات. ثم شكل قوات بدر التي عملت لسنوات تحت أمرته وضمت معات الجنود العراقيين من الهاريين أو الأسرى.

استمرت حالة المواجهة بين النظام وقوى المعارضة في كردستان العراق، وتصاعدت ابتداء من ظهور «الجبهة الكردستانية» التي تشكلت من ثمانية احزاب كردية في ١٣ آذار ١٩٨٨، الرئيسية منها: الديمقراطي الكردستاني (البرزاني)، والاتحاد الوطني الكردستاني (الطالباني)، والحزب الشيوعي-اقلهم كردستان. وقد انتهت هذه الجبهة بانطلاق انتفاضة آذار ١٩٩١، مباشرة في أعقاب حرب الخليج الثانية.

احزاب المعارضة بعد حرب الخليج الثانية (١٩٩١-١٩٩٨): أكثر من ٧٠ حزباً وتجمعاً سياسياً ظهر منذ حرب الخليج الثانية، وكل منها تقريباً أصدر صحيفة أو أقله نشرة داخلية، ومعظمها (تجمعات ونشرات) سرعان ما اختفى لهشاشة تركيبها التنظيمي، لانقطاع شريان التحويلات المالية، للخلافات الداخلية... بحيث بدت تجمعات مطيئة من أشخاص همهم اصطبياد الطرف القاسي على البلاد واستعطاء الدعم من القوى الخارجية.

انتهاء حرب الخليج الثانية (أواخر ١٩٩٠-اوائل ١٩٩١)، كان معظم قادة المعارضة في سورية وبلدان أوروبا الغربية، وكانوا مستغرقين في مناقشات ومفاوضات وصراعات عديدة حول الموقف من الاوضاع العراقية. وقد أدت هذه الاوضاع إلى تراجع الاحزاب التقليدية. وفرضت قيام احزاب وقوى جديدة وجدت لها دعماً مالياً من جهات دولية وعربية.

وعندما اندلعت انتفاضة آذار ١٩٩١ (مباشرة في أعقاب الحرب) كان قادة المعارضة جميعاً في الخارج،

عربية وكردية وشيعية، ثم التشكيلات المؤسسة حديثاً). وفي ١١-١٣ آذار ١٩٩١، عقدت المعارضة العراقية مؤتمراً لها في بيروت، شارك فيه ٥٠٠ شخصية معارضة من مختلف القوى والاحزاب العراقية، واسفر عن فشل ذريع، إذ لم يخرج بأي قرار سوى توصية بعقد مؤتمر ثان في غضون أشهر قليلة. وتشكلت لجنة تحضيرية من حزب الدعوة الاسلامية، والمجلس الأعلى للشورى الاسلامية في العراق، والاتحاد الوطني الكردستاني، وشخصيات من التيارات القومية المستقلة، وقررت اللجنة عقد المؤتمر في فيينا.

وانعقد المؤتمر في فيينا (١٦-١٩ حزيران ١٩٩٢)، وسمي «المؤتمر الوطني العراقي»، وشارك فيه أكثر من ٢٠٠ شخصية عراقية وقاطعه التيار الاسلامي الممثل بحزب الدعوة الاسلامية والمجلس الأعلى ومنظمة العمل الاسلامي، كما قاطعه حزب البعث-قيادة قطر العراق، وكذلك الحزب الشيوعي العراقي.

واستمرت الحوارات (وكذلك الخلافات) بين أطراف المعارضة، إلى ان تقرر عقد مؤتمر عام للمعارضة في كردستان العراق في تشرين الاول ١٩٩٢، وأضيفت كلمة «الموحد» على اسم المؤتمر فأصبح اسمه «المؤتمر الوطني العراقي الموحد». وعقد هذا المؤتمر في موعده في مدينة صلاح الدين (كردستان العراق)، وقاطعه كل من التيار القومي والمجلس العراقي الحر وتجمع الوفاق الوطني الديمقراطي العراقي (صلاح عمر العلي) وبعض الحركات الصغيرة. ولكنه مع ذلك اعتبر أكبر تشكيلة تجمع قوى المعارضة. إلا أن هذه التشكيلة عجزت عن إيقاف الخلافات الداخلية المزججة ممارسات يومية، وكانت العلة في عمل معظم هذه القوى باتجاه المصالح الذاتية. ولم يكن شيء يوحد هذه المعارضة، على مدى السنوات اللاحقة لانعقاد مؤتمر صلاح الدين، سوى ضرورة الاطاحة بصدام حسين. أما مرحلة ما بعد إطاحته، فكان لكل من اطراف المعارضة بصدها أفكاره الخاصة، هذا عدا عن تشتت قادة المعارضة في أوروبا والشرق الأوسط، وبينهم الشيوعيون والاسلاميون (سنيون وشيعية) وأكراد وعرب ساعطون وبعثيون ومسؤولون حكوميون سابقون... حتى أتت الضربة القاتلة للمعارضة في ١٩٩٦.

ففي آب ١٩٩٦، طلب مسعود برزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني تدخل الرئيس العراقي صدام حسين عسكرياً في صراعه المستمر منذ فترة طويلة مع

وكانوا يكتفون بالتصريحات والبيانات. وفي حين هزمت الانتفاضة، وبسرعة، في الجنوب، كان مسعود البرزاني وآخرين في قيادة الاحزاب الكردية يوسعون دائرة نفوذهم في الشمال أثناء الحرب، ولم يتخطوا الشمال بعد هذه الحرب لصدور قرار دولي يعتبر منطقة كردستان «حيياً آمناً» يجب ان لا تتدخل دولي يمنع سلطات النظام العراقي من استخدام القوة العسكرية ضده ومن تعليق الطائرات في الجنوب.

وأهم الاحزاب والتجمعات المعارضة التي تشكلت

منذ ١٩٩١:

- التجمع الوحدوي الناصري (١٩٩١)، نوري البحراني)، -التجمع القومي الديمقراطي «التنظيم الناصري» (١٩٩١)، عبد الحميد الشريف)، -الهيئة العراقية المستقلة (١٩٩١)، حسن النقيب)، -حزب الخافضون (١٩٩٢)، قومي كردي، خورشيد شوكت)، -اتحاد الديمقراطيين العراقيين (١٩٩٠)، بعض كوادره كانوا في الحزب الشيوعي)، -الحزب الديمقراطي العراقي (١٩٩٣)، انشق عن اتحاد الديمقراطيين العراقيين)، -التجمع العراقي المستقل (١٩٩٢)، صادق بحر العلوم)، -التجمع الديمقراطي لانقاذ العراق (١٩٩٢)، مشعان ركاض الجبوري)، -الوفاق الديمقراطي العراقي (١٩٩٢)، صلاح عمر العلي)، -حركة الاصلاح الوطني (١٩٩١)، سامي عزارة المعجون)، -المجلس العراقي الحر (١٩٩١)، سعد صالح جبر)، -دعاة الملكية (١٩٩١)، مجموعة قليلة تروج للامير علي بن حسين كبديل للملك فيصل الثاني، راجع «الهاشميون...» في باب معالم تاريخية)، -الحزب الوطني التركماني العراقي (١٩٩١)، مظفر ارسلان وعزيز قادر)، -المنظمة الآشورية الديمقراطية (١٩٩٣). أضف إليها شخصيات سياسية من مختلف التيارات على الساحة العراقية.

هكذا يتضح انه في فترة زمنية لا تتعدى السنتين أو ثلاثاً تشكلت احزاباً ومجموعات عديدة، صغيرة وعائمة، انطلقت أساساً من القوى الرئيسية (القومية والاسلامية والعلمانية العربية أو الكردية)، أو انها دارت في فلكها.

في ٢٧ شباط ١٩٩٠، تشكلت في دمشق «لجنة العمل المشترك لقوى المعارضة العراقية» التي ضمت التيار الاسلامي والكردي والقومي العربي والديمقراطي، وتشكل بعد ذلك فرع لها في لندن. وفي ٣٠ تموز ١٩٩١، انضم إليها ست حركات أخرى فأصبح مجموع اطراف اللجنة ٢٣ حزباً وحركة (أساسها احزاب المعارضة الرئيسية،

عراقية معارضة في الشهور التي تزامنت وأعقبت حرب الخليج الثانية وعمليات فرار مسؤولين عسكريين وسياسيين، والعدد اليوم مئات المعارضين العراقيين لا يتفق واحد منهم مع واحد آخر».

الأحزاب الكردية: راجع باب «كردستان العراق» .

القوات الكردية المنافسة بقيادة جلال الطالباني رئيس الاتحاد الوطني الكردستاني. فرحت القوات العراقية على مدينة أربيل والمناطق الأخرى، وأنهت وجود المراكز والمكاتب والتجمعات العراقية المعارضة. وأصبح يصح في المعارضة، بعد صيف ١٩٩٦ وحتى اليوم (صيف ١٩٩٨) القول المتكرر: «قبل حرب الخليج الثانية كانت هناك ٢٠ جماعة عراقية معارضة، وارتفع العدد إلى ١٠٠ جماعة

أقليات

تمهيد («عناصر ووحدة العراق أقوى»): في أعقاب حرب الخليج الثانية أصبح يُسمع ويُكتب، بين حين وآخر، وخاصة بعد كل أزمة أو عملية عسكرية، داخلية أو ذات بعد شرق أوسطي أو دولي، عن مشاريع تقسيمية للعراق، علمًا أن آيًا من الأطراف الداخلية المعارضة أعلن عن رغبة في الانفصال عن مركز السلطة في بغداد، بل بالعكس كان يُبرز تشديده على وحدة العراق.

نبيل ياسين، كاتب عراقي مقيم في بريطانيا، نشر في «الحياة» (العدد ١٢٧٧٢، تاريخ ٢٠ شباط ١٩٩٨، ص ١٨) دراسة مكثفة أظهر فيها أن «عناصر وحدة العراق أقوى من مخططات التقسيم». منها هذه المقتطفات التي نعهد بها لباب «أقليات» الذي استبعدنا منه الأكراد لورود باب خاص بهم هو «كردستان العراق».

- منذ حرب الخليج الثانية تشيع مفاهيم وتداول مصطلحات مثل الشيعة والسنة والأكراد وكأنها ثلاث أمم في ثلاث أراضٍ موحدة قسراً منذ نشأة الدولة العراقية الحديثة في مطلع العشرينات. وتطرح بين فترة وأخرى أطروحة أن ضمان الأمن والاستقرار في المنطقة وضمن حقوق الإنسان تكمن في فك هذه الوحدة القسرية. كما يطرح في الوقت نفسه ترابطاً بين سقوط صدام حسين وتقسيم العراق. غير أن الواقع السياسي والديمقراطي غير ذلك تماماً.

- إذا قلنا أن الدولة العراقية الحديثة ظهرت إلى الوجود في مطلع العشرينات فإن هذا يعني خروجه من تبعيته للسلطنة العثمانية التي حكمت دولاً في آسيا وأفريقيا وأوروبا كان وضعها مثل وضعية العراق في تبعيته للعثمانيين. والعراق، حتى في هذا المعنى، سبق قيام تركيا الحديثة بأربع سنوات، وسبق قيام إسرائيل بربع قرن، فهل تكون وحدة العراق أهش من وحدة إسرائيل ووحدة تركيا؟.

- لقد تم التعامل مع العراق كوحدة سياسية وجغرافية وبشرية منذ الدويلات-المدن. وتعززت هذه الوحدة في الامبراطوريات الكبرى، البابلية والأكديّة على وجه الخصوص.

- وإذا وصلنا إلى الفتح الإسلامي نجد أن التعامل مع العراق كوحدة سياسية وجغرافية وسكانية كان أمراً واقعاً إذ تذكر كتب المؤرخين أن فتح العراق تم في ثلاث مراحل بعد معركة القادسية، وأن الفاتحين المسلمين حافظوا على التركيبة السكانية للعراق وعززوا من التلاحم بينها في إطار الدين الجديد، وتعاملوا مع العراق كما عرفوه في عصورهم الجاهلية والذي كان يتردد فيها باسمه الحسلي (في الأشعار والخطب والتجارة). وحينما أراد عمر بن الخطاب مسح العراق «طلب من له بصر وعقل يضع الأرض مواضعها» فأجمع الصحابة على عثمان بن حنيف فولاه مسح العراق. ومسح عثمان المنطقة الواقعة بين الخابور شمالاً وحلوان (بعد خائقين وجلولاء على الحدود الإيرانية) شرقاً، والعذيب (فوق السماوة قرب الحدود مع المملكة العربية السعودية) غرباً، والخليج العربي جنوباً. وبلغت



المصدر: «الحياة»، العدد ١٢٧٧٢، ٢٠ شباط ١٩٩٨، ص. ١٨.

مساحة الارض ضمن هذه الحدود ٣٦ مليون جريب (والجريب يساوي ١٩٥٢ متراً مربعاً) وهي مساحة تزيد قليلاً عن المساحة الحالية للعراق ببضعة عشرات الكيلومترات. وعلى هذه المساحة احتسب خراج العراق وتم التعامل مع الولاة من الناحية السياسية والاقتصادية على أساس المساحة والحدود هذه. وظلت اقتصاديات العراق خاضعة لهذا الوضع على مرّ السنين والتغيرات.

- استعصت وحدة العراق على التقسيم حتى تحت ضربات أعشى الامبراطوريات والجيوش الغازية منذ تاريخه القديم مروراً بالمغول والعثمانيين وانتهاء بالبريطانيين. فاضطر العثمانيون إلى تنظيم إداري يتيح لهم قمع التمردات القبلية البعيدة عن مركزهم فوضعوا ولاية بغداد على رأس ثلاث ولايات هي الأعمدة الرئيسية لوحدة العراق السكانية والحضارية والاقتصادية لإتاحة الفرصة لبغداد حتى لا تسقط فيسقط العراق كله من يد الدولة العثمانية. فحولوا الموصل والبصرة إلى إيلات أو سناجق أو متصرفيات تحت سلطة بغداد.

- بعد ان يظهر الكاتب تداخل التوزيع السكاني بحسب تركيبة معقدة قومياً ومذهبياً ودينياً في منطقة واحدة تقع فوق خط ٣٦ حتى ليبدو خط ٣٦ بالنسبة إلى الوضع الديمغرافي للعراق خطاً وهمياً لم تقصد القبائل والمذاهب والاديان ان تتخذ قبل عشرات القرون خطاً لسكنها كما افترضت ذلك الولايات المتحدة عام ١٩٩٢ وقسمت العراق جويّاً بموجبها، يقول إن الموقع الطبيعي للعراق وتضاريسه ومصادر المياه والخصوبة فرضت وضعا مركباً للسكان فيه، جعلت التداخل غير منفصل بمحدود طبيعية. فهذه الوضعية السكانية والقومية والمذهبية والدينية المتداخلة والمعقدة تجعل من مشروع التقسيم مشروعاً يقترب من الخيال أكثر مما هو واقع.

اليهود: لم يعودوا يشكلون أقلية منذ السنوات التي شهدت قيام اسرائيل، حيث أخذ عددهم يتناقص بسرعة إلى أن أصبح «٨٠ يهودياً عراقياً يعيشون حياة هادئة ويعاملون معاملة حسنة». وآخر عملية هجرة لليهود العراقيين جرت خلال السنوات الثلاث الأولى التي أعقبت حرب الخليج الثانية، وذلك عندما «سمحت الحكومة العراقية لنحو ٧٠ يهودياً عراقياً بمغادرة وطنهم والتوجه إلى دول اوروية» («الحياة»، نقلاً عن صحيفة «معاريف» الاسرائيلية، ٧ كانون الثاني ١٩٩٥).

الطائفة اليهودية في العراق من أقدم الطوائف

باللهجة المحلية البغدادية تعني النهب والسلب). وقد أدت هذه الأحداث إلى صدور قانون إسقاط الجنسية عن يهود العراق، ما دفع إلى هجرتهم إلى فلسطين وبلدان أخرى عدة. وبعد هذه الأحداث لم تعد أحوال اليهود العراقيين المتبقين إلى التحسن. بل أن ثمة أقوالاً كثيرة (لا تزال موضوع دراسات ومناقشات) على أن السلطات العراقية الصديقة للانكليز كانت تشجع، في الأربعينات، وتعمل على إخراج اليهود من العراق معتمدة وسيلة ترميهم والضغط عليهم (راجع «نادوة بيروت» في مادة «العالم العربي» في هذا الجزء).

بعد قيام إسرائيل (١٩٤٨)، لم تخف الحكومة الإسرائيلية، لا اهتمامها بمسألة السماح لليهود العراقيين بالرحيل إلى إسرائيل ولا حاجتها إلى الكادر البشري اليهودي العربي باعتباره أكثر دراية بالمنطقة من الكادر اليهودي الأوروبي، فازداد حماس جمعيات الهجرة اليهودية المتوزعة على بقاع الأرض خصوصاً تلك الموجودة في الولايات المتحدة.

في النصف الأول من السبعينات، وعلى أثر إعلان الحكومة العراقية عن اكتشاف شبكات تجسس إسرائيلية وإعدام بعض المتهمين، نشطت جمعيات الهجرة اليهودية لتهريب من بقي من اليهود العراقيين. وألحقت الصحف وقتها، وتعيد الدراسات اليوم التأكيد على أن عمليات هذا التهريب سلكت طريق شمالي العراق ثم إيران وبمساعدة من سلطات شاه إيران، ونجحت بنقل نحو ١٥٠٠ يهودي عراقي، وقالت أنه لم يبق وقتها سوى نحو ٣ آلاف يهودي.

الصابئة (المندائيون): أقلية دينية يبلغ تعدادها نحو ٧٠ ألفاً في العراق، ومكان تجمعها الأساسي في جنوبي العراق على ضفاف دجلة والفرات، ومنها الأقلية الأخرى في إيران حيث تتواجد على ضفاف نهر الكارون في أهواز إيران. واختيارهم هذين المكانين يعود إلى وفرة المياه طيلة أيام السنة نظراً إلى أهمية هذا العنصر الحياتي في طقوسهم ومعتقداتهم الروحية. نزح منهم عدد إلى بغداد، وعدد أقل إلى مدن عراقية أخرى مثل العمارة والبصرة والناصرية وحتى الموصل في الأربعينات بسبب النهضة الصناعية؛ وأكبر موجة من نزوح الصابئة في اتجاه العاصمة حدثت خلال السنوات العشر الأخيرة بسبب حرب الخليج، كما هاجر عدد منهم إلى أوروبا وأميركا وأستراليا. أما الذين بقوا في بغداد، فأخذوا يعودون إلى النهر بسبب الحظر

اليهودية في العالم. وأقدم وجود لليهود في العراق يعود إلى القرن الثامن ق.م، أي في فترة الحكم الآشوري. وأخذت أعدادهم بالازدياد بشكل كبير في العصر البابلي الحديث بعد الحملة التي قادها نبوخذ نصر الثاني في ٥٩٨ ق.م. إلى فلسطين وقضائه على تمردهم، ونقله معه إلى بابل ألفاً من اليهود أسكنهم في جوار المدن والقرى البابلية، ما ساعدهم على التجمع في المنفى والاستمرار في ممارسة تقاليدهم وطقوسهم الدينية.

في الدولة الإسلامية، عمل اليهود معاملة جيدة باعتبارهم «أهل الكتاب»، وبعضهم ارتقى إلى مناصب عليا في الدولة العباسية، وقدّر عددهم في عهد الخليفة المستنجد عند زيارة الرحالة اليهودي بنيامين التيطلي لبغداد سنة ١١٧٠ بأربعين ألفاً في بغداد وحدها.

ساعت أحوال اليهود، كما كل العراقيين، بدءاً من الغزو المغولي. ثم عادت وتحسنت مع مجيء العثمانيين. وفي ١٨٧٦، كان مناحيم دانيال أحد الممثلين الاثنين عن بغداد في «مجلس المبعوثان»، وبعده انتخب ساسون حسقيل لدورات عدة، كما كان مستشاراً لوزارة التجارة في الحكومة العثمانية وعضواً في جمعية الاتحاد والترقي.

أخذت النظرة الودية نحو اليهود تتغير بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال (١٨٩٧) وأصبحوا حط الشكوك والريب، إلى أن وقع انقلاب ١٩٠٨-١٩٠٩ الذي قاده حزب «تركيا الفتاة» والذي كان عدد من قاداته من اليهود الذين أسلموا (الدوغة) كجاويد باشا وطلعت باشا. فسهل النشاط الصهيوني وأخذت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تزداد.

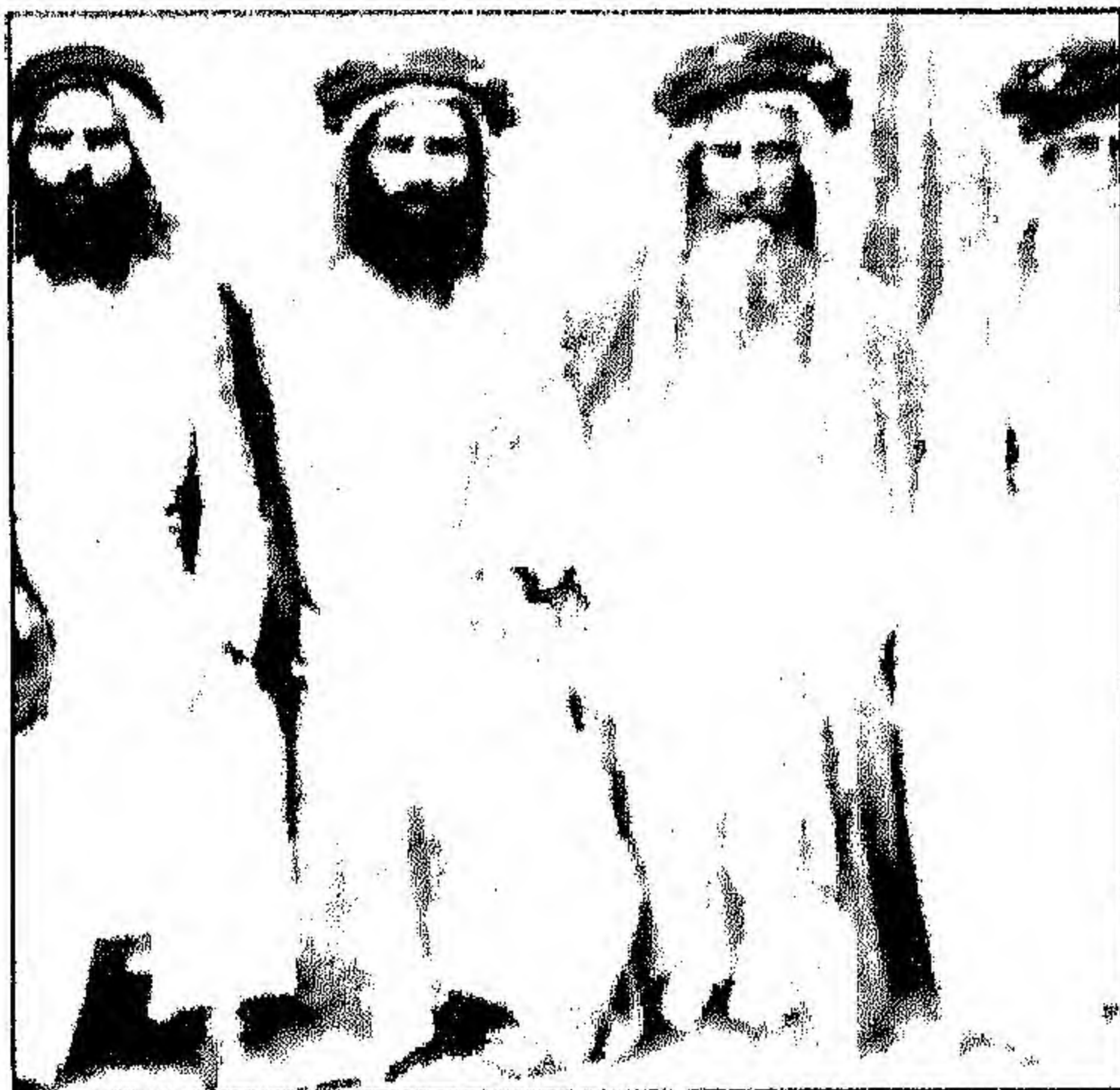
طيلة الوجود الانكليزي في العراق (الاحتلال والانتداب)، وفي مرحلة ما بعد الاستقلال (١٩٣٢)، لعب اليهود العراقيين دوراً بارزاً في حقل الخدمات الحكومية وحقل التجارة، وتواجدوا في الوزارة والبرلمان (ساسون حسقيل عين وزيراً للمالية في وزارات متتالية في العشرينات؛ ويوسف رزق الله غنيمية عين كذلك وزيراً للمالية في ست وزارات آخرها في ١٩٤٧، ووزيراً للتموين في ١٩٤٤). أما عددهم في العشرينات والثلاثينات فيقول جورج انطونيوس («يقظة العرب»، ص ٤٨٦) بصده: «وفي العراق جماعة يهودية يبلغ عددها ٨٠ ألفاً تقريباً ومعظمهم يقطن في بغداد».

أوجد ضرب ثورة الكيلاني (إيسار ١٩٤١) وتصفيته حالة من الفوضى اتسمت بوقوع أحداث في بغداد (حزيران ١٩٤١) عرفت بأحداث «الفرهود» (كلمة



طقس عماد صابني.

رجال دين من الصابئة.



المفروض على العراق منذ ١٩٩٠، إذ لم يعد هناك ضغط لا يصلح المياه إلى المسيح الذي كان يوفر لهم الماء لممارسة طقوسهم. كتابهم المقدس هو «كنزه ربه»، أو الكنز الكبير، المكتوب بالمندائية، وهي لهجة آرامية، ولا يجيد اليوم قراءة هذا الكتاب إلا عدد قليل من الصابئة. وفي تحديد مناسباتهم الدينية يستخدم الصابئة المندائيون التقويم البابلي. وأهم مناسباتهم الدينية هو «العماد» حيث يقوم الرهبان الصابئة، والمؤمنون، بترتيل أناشيد باللغة الآرامية أثناء تعميد المؤمن في مياه نهر دجلة، مرتدين ملابس تشبه ملابس مرحلة يوحنا المعمدان وبالطريقة نفسها التي عمّد بها يوحنا المعمدان السيد يسوع المسيح.

عُرف الصابئة المندائيون بامتهان صناعة القوارب والحداثة وخاصة صياغة الذهب والفضة منذ أيام العباسيين، كما اشتهروا بالعلم والفن والمواهب العقلية التي قرّبتهم من السلطات في كل العصور، وجنبتهم الاضطهاد وحاجة التحصن في الجبال كما تفعل الأقليات أحياناً، وشهرة هي قوله المأمون فيهم معللاً سبب البقاء عليهم: «لولا مزاياهم العقلية»، إضافة إلى ذكرهم في القرآن الكريم، وقد وفر هذا الذكر خلافاً بين الفقهاء بصددهم كانت نتائجه لصالحهم في أغلب الأحوال.

وردت تسميتهم في ثلاث سور قرآنية، منها سورة البقرة ٦٣: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون». وورد ذكرهم في غالبية أمهات الكتب الإسلامية في صدر الإسلام وبعده، وذكرهم الشافعي في كتابه الفقهي حيث يعتبرهم فرقة من الفرق المسيحية: «من دان دين اليهود والنصارى من الصابئين والسافرة أكلت ذبيحته وحل نسأؤه». ولا موقف ديني حتى اليوم لمرجعيات المذاهب المسيحية الكبرى من الصابئة، واكتفى الفاتيكان بذكرهم، في ١٩٥٣، في وثيقة بعنوان «حوران الداخلية».

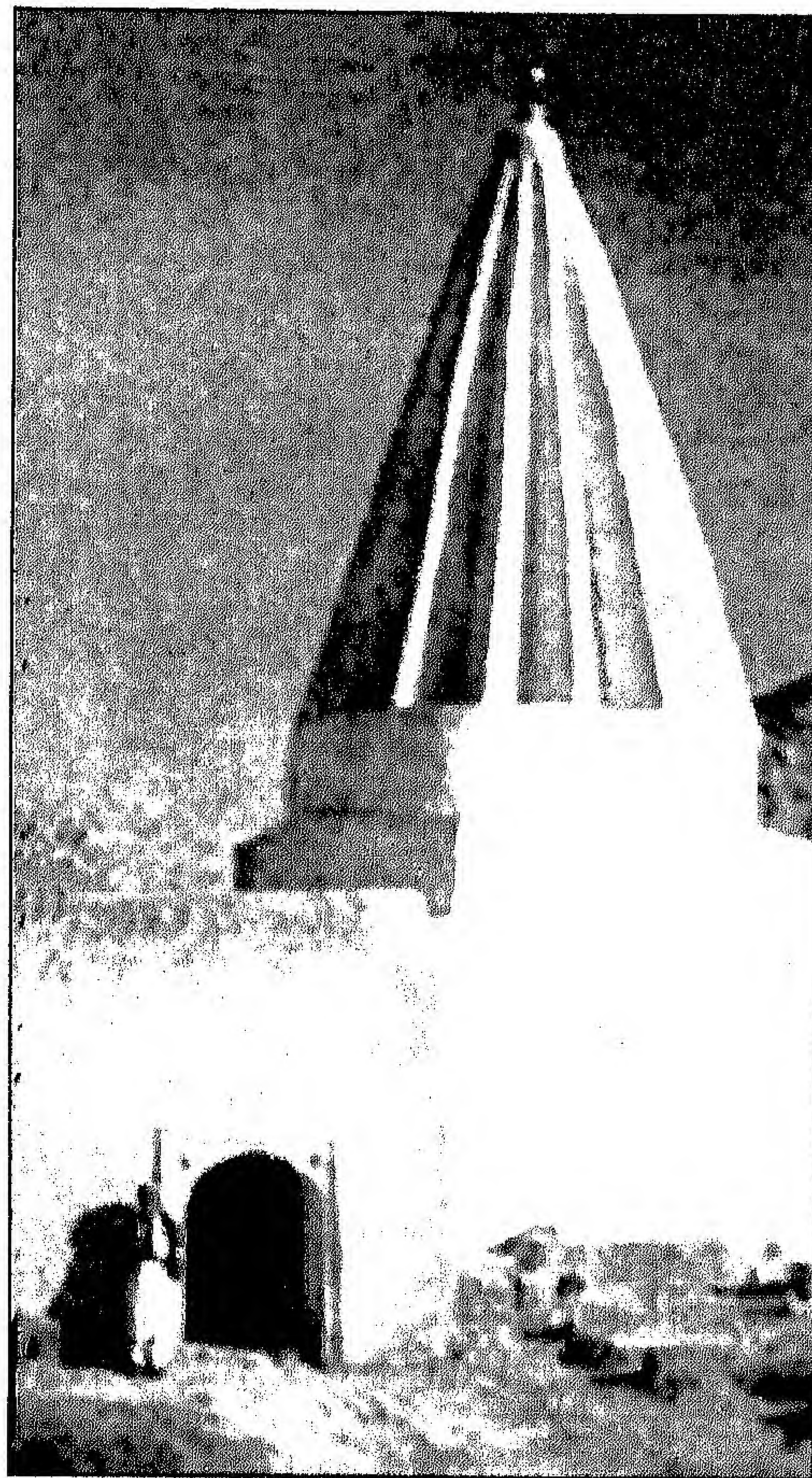
وضع عدد كبير من الدراسات والكتب حول الصابئة. لكن أهمها كتاب The Mandeans of Iraq and Iran الذي صدر في ١٩٣٧، للمستشرق البريطاني ليدي درور (١٨٧٩-١٩٧٢) الذي ترجمه إلى العربية الصابئان المندائيان غضبان الرومي ونعيم بدوي. وكانت درور زوجة السير درور الذي عمل مستشاراً في وزارة العدل العراقية للفترة ١٩٢٢-١٩٤٦، فقامت بدراسة الصابئة عن قرب وعاشت بينهم وتعلمت لغتهم وجمعت كل النصوص المندائية الأساسية وترجمت العديد منها.

نحو ٢٤ ألف شخص يزیدی في سنجار و٣ آلاف في سورية. وفي ١٩٤٩، أعطى داملوجي Damloogi الأرقام نفسها بالنسبة إلى تعدادهم في سنجار، لكن بالنسبة إلى منطقتي شيخان والموصل فإنه أحصى ٥٦ قرية. وأثناء رحلته في القفقاس عام ١٩١٠، أحصى الأمير اسماعيل تشول ٧٢ قرية فيها ٣٥٠٠ منزل. وفي مقال في الجريدة الكردية «رزغاري»، ترجم إلى العربية ونشرته صحيفة «الحرية» البيروتية (العدد ٤١ تاريخ ١٣ نيسان ١٩٥٩)، وكتبه حيدري، جاء أن هناك ٤٠ ألف كردي في كل من أرمينيا وأذربيجان وجورجيا، وأنهم يشكلون بصورة خاصة في تيفليس وباتوم، وأنهم بغالبيتهم من اليزيديين. لكن الإحصاء الرسمي الذي أجراه الاتحاد السوفياتي في ١٩٣٩ أشار إلى أن هناك ٤٥٨٦٦ كردياً، بينهم ١٥ ألف يزیدی. وإذا كان التقدير يشير إلى وجود ٣٠ ألف كردي في العراق، و٣ آلاف في سورية، وبعض الآلاف في تركيا، ونحو ١٥ ألفاً في الاتحاد السوفياتي، فيكون أن عدد اليزيديين لا يمكن أن يتجاوز الخمسين ألفاً» (Thomas Bois, O.P., «Les Yézidis», imp. Catholique, Beyrouth, 1961, p.221)

من النظريات البارزة حول أصل اليزيديين نظرية الأكاديمي السوفياتي ن. ج. مار N.J. Marr الذي تقدم بها منذ ١٩١١، وتعتبر أن اليزيديين طائفة كردية (وهذا يعني أنهم من الشعوب الهندو-أوروبية) فقدت الكثير من خصوصيات معتقداتها الدينية مع دخول الأكراد في الإسلام. فاليزيديون، تبعاً لهذه النظرية، هم الأكراد الذين استمروا على دينهم الأصلي.

ليس لدى اليزيديين تاريخ مكتوب، فاعتمدوا «علم الصدر»، أي الحفظ والرواية الشفهية، تاركين لغبرهم أن يقول فيهم ما يشاء. وحتى وقت قريب كان يحرم على اليزيدي تعلم القراءة والكتابة، واختلطت عليهم أمور عقائدهم. لكن تصوفهم الفطري وتكشفهم في أمور الدنيا وتوقهم إلى عالم الأرواح الطاهر وكرهم للعن والإيذاء جذبت إليهم المتصوفة.

وبخصوص تسميتهم باليزيديين، اختلفت الآراء حولها، فمنها ما ينسبهم إلى يزيد بن معاوية، أو يزيد بن أنيسة أو يزيد بن عذرة؛ ومنها ما لا ينسبهم إلى أي يزيد بل إلى كلمة «يزدان» التي تعني في الزرادشتية الإله المقدس، و«الفعل يزد معناه يعبد ويضحى»، والاسم «اليزيدي» يعني «الخليق بالعبادة». ومن الآراء ما يعيد التسمية إلى مدينة تدعى «يزدم» على مقربة من حدباب (وهي الموصل



مكان يزیدی مقدس (بعشية، الموصل).

اليزيديون (الأيديون): التقديرات الحالية لعدددهم تتراوح بين ٦٥-٨٠ ألفاً. أماكن تواجدهم الرئيسية في أودية شيخان وجبال سنجار في العراق. وهناك يزيديون في سورية حيث تتوزع قراهم في الجزيرة وفي جبل سمعان. وكان هناك بعض الآلاف منهم، في المرحلة السابقة على قيام الاتحاد السوفياتي، في تيفلس (جورجيا) ويريفان (أرمينيا)، والباقيون هناك ما لبثت أن ضاعت هويتهم الدينية بعد قيام الاتحاد السوفياتي. ثمة إحصاءات أخرى تعطي فكرة عن تطور عددهم:

«ليس هناك من إحصاءات حادة حول اليزيديين. في القرن السابع عشر، قدر فيبر Febvre عددهم بـ ٢٥٠ ألفاً. وعشية الحرب العالمية الأولى، قدره ويغرام Wigram بما لا يتعدى ١٢٠ ألفاً. وفي ١٩٣٧، أحصى ر. ليكوت R. Lescot ٤ آلاف منزل يزیدی في جبل سنجار، و ٤٠٠ في جبل سمعان و ٢٧٠ في الجزيرة السورية، أي ما يعادل

أعلاه؛ المنجد؛ دراسات ميدانية قيمة كتبها الصديق الكاتب والصحافي السوري نبيل فياض، ونشرت بعضاً منها جريدة «الديار»، ١٩٨٩، ومقالة رشيد البندر، باحث عراقي، «الحياة»، العدد ١٢٠٠٤، تاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٩٦، ص ٢١).

الأشوريون (والكلدان): يعتبر كثيرون، لا بل الجميع ربما، أن أهم الكتب المؤرخة للعرب في عصر النهضة، وخاصة في فترة مرحلة الانتداب والاستعمار في العشرينات والثلاثينات، هو «يقظة العرب» لجورج انطونيوس. فماذا في هذا الكتاب عن الأشوريين في العراق في العشرينات والثلاثينات (ص ٤٨٧-٤٩٠)؟

«أما الأشوريون الذين تردّد ذكرهم كثيراً في السنوات الأخيرة (أي في اواسط الثلاثينات) فإلّهم يشكلون مجموعة أخرى متميزة غير عربية، وهم كالأكراد يحتشدون في الموصل وكان تعدادهم يبلغ ٣٥ ألف نسمة (سكان العراق كانوا يزيدون قليلاً عن ٣ ملايين)، وهم ينتمون إلى الكنيسة النسطورية. وقد خلق وجود هاتين الاقليتين (المقصود بالأقلية الثانية الأكراد) وغيرهما ووجود عدد كبير من السكان في حال البداوة مشكلات ذات طابع سياسي وإداري عوّقت مهمة البناء (المقصود بناء الدولة) بل كانت أحياناً تهددها بالانتكاس. وربما كانت القبائل البدوية هي أخطر الصعوبات جميعاً فالقبائل دائماً مشكلة في إقامة حكومة نظامية غير أن أمرها في العراق أعسر لعوامل محلية متنوعة مثل الأرض والماء والدين (...). وكان أكثر الأشوريين مهاجرين من جنوب شرقي الأناضول هربوا من ظلم الترك خلال الحرب، ولجأوا إلى العراق، ودخلوا تحت جناح القيادة العسكرية البريطانية، وكان عدد كبير منهم قد سلكوا أنفسهم في خدمتها. ولم يكن بينهم وبين العرب (بل وغير العرب) من سكان العراق أية روابط مشتركة. وما زاد في انكماشهم أنهم منذ الايام الاولى انحازوا-علنياً-إلى جانب الدولة المحتلة. وكانت المشكلة التي خلقها وجودهم في العراق من بعد فريدة من عدة وجوه، إلا أن صعوبتها لم تنشأ من أعدادهم أو فقرهم أو احتياجاتهم الخاصة، وإنما نشأت من الأثر النفسي الناجم عن موالاتهم للدولة المنتدبة طوال عهد الانتداب، فكانت تلك الموالات حاجزاً آخر بينهم وبين الشعب الذي التجأوا إليه، وكما أنها زادت من شعورهم بالانكماش والعزلة، طمست إحساسهم بالتناسب وجنحت بهم إلى الاسراف في الآمال وإلى اعتمادهم المردّي على خصائصهم الحربية

نفسها) أوردها مؤرخ يوناني عاش في القرن السابع. والجديد في البحث حول أصل التسمية أنها نسبة إلى كلمة سومرية وجدت مكتوبة بالخط المسماري، كشف عنها أحد خبراء الآثار واللغات القديمة الألمان، وهي A-zi-da وتعني الروح الخيرة وغير الملوّثين والذين يمشون على الطريق الصحيح. وبالفعل وردت هذه الكلمة في القاموس السومري (جامعة بنسلفانيا، الولايات المتحدة، ١٩٩٤). بمعنى عدة ومتقاربة. ومقارنة بما يقوله اليزيديون (أو الأيزيديون) الحاليون: «نحن على دين الحق، بيضاء ملاسنا، الجنة مكاننا»، تكون هذه النسبة مؤشراً ربما يؤدي للكشف عن صلة بين هذه الديانة وما عرفه السومريون من عبادات.

أما بخصوص تسميتهم بـ«عبدة الشيطان» الذي يمثلهم للطاوس، فيكاد الدارسون يجمعون اليوم على أنهم يكرّمون الشيطان الذي كان يُدعى لجمالهم «طاووس الملائكة» قبل أن يطرده الله من الجنة لأنه رفض الخضوع لأدم، الأمر الذي يذكر بـ«زعيم الملائكة» عند المسيحيين الذي كان يدعى «لوسيفر» أي «حامل النور» وبـ«إبليس»، في بعض الروايات الإسلامية، الذي توسّل الطاووس، وليس الأفعى، باعتبار الطاووس أكثر جمالاً وفتنة، لكي يوقع بأجدادنا الأول (الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت Kant قول يوجز هذه الرواية الدينية: «لطاووس بهاء الملاك، مشية السارق وصوت الشيطان»). فاليزيديون يعون بوضوح المخطّور والمسموح، الخير والشر، ويعبدون الله. وهذا واضح في صلواتهم: «الله هو الواحد الذي لا شريك له ولا خليل هو الواحد الأقهار». وأما تقديسهم وإجلالهم للشمس ونورها فينبع من أهمية هذا الكوكب في الحياة والضياء. وهذا التقديس له علاقة بعقائد قديمة، منها الزرادشتية والشمسية وربما أقدم منهما. يفتس اليزيديون في العراق مقاماً باسم الشيخ «عدي» ولهم كتاب ديني يُسمى «الجلوة».

والتسمية (عبدة الشيطان) تعود إلى قرون من الاضطهاد الذي تعرّض له اليزيديون. وفي ١٧٩١، أطلق عليهم الوزير العثماني في العراق أحمد باشا هذه التسمية بعد أن قتل منهم مجموعة وبعث برؤوسهم المقطوعة إلى اسطنبول. أما أكثر الكتاب الذين أشاعوا هذه التسمية في التاريخ المعاصر فكان الأب أنستاس الكرمللي (١٨٦٦-١٩٤٧)، لغوي وأديب وصاحب مجلة «لغة العرب»، وعضو الجمع العلمي العربي، ومن مؤلفاته «خلاصة تاريخ بغداد» (مراجع هذا الموضوع: الكتاب الفرنسي المذكور

(...). كان الملك فيصل وحكومته أكثر نجاحًا في معالجة أمور الاقليات. ذلك لأن مشكلة الأقليات كانت مما يمارس به زعماء العرب وخبروه لاتصالها بنفس الامور التي كانوا يتجادلون هم والأتراك حولها من قبل، وكانت السياسة التي اختاروها تعتمد على حسن الادراك والتسامح. فقد أدركوا أهمية القيم الثقافية والحرية الطائفية--لأنهم كانوا يحسونها إحساسًا عميقًا-- لذلك كانت الامتيازات التي منحوها للأقليات سخية مشمولة بالحكمة. ونجت عن ذلك سلسلة من التشريعات والإجراءات الخاصة، توصلوا إليها بالاتفاق مع زعماء كل أقلية، وبرهنت على انها قابلة للتطبيق، ولم تشذ عن ذلك إلا الأقلية الآشورية. وقد ذهبت حكومة العراق في معالجة مشكلة الآشوريين إلى أقصى حد تستطيعه في تقديم الامتيازات غير ان المطالب المسرفة التي تقدم بها البطريرك الآشوري وجماعة شرسة من زعماء تلك الطائفة جعلت الاتفاق مستحيلًا. نعم لا شيء يسوِّغ الاعمال الوحشية التي أنزلت بالآشوريين بعد ثورتهم المسلحة في صيف ١٩٣٣، كما ان المذبحة التي جرت هنالك وصمة معيبة في صفحات التاريخ العربي، ولكن هذا لا يغير شيئًا من الحقيقة: وهي ان حكومة العراق قبل تلك الحادثة لم توفر جهدًا لكي تحقق كل

الرغبات التي أفصح عنها الآشوريون، وان العروض التي تقدمت بها الحكومة لم تكن منصفة فحسب بل كانت سخية كذلك. غير ان الاخفاق في الوصول إلى اتفاق نجم في الدرجة الاولى عن عناد الآشوريين وعن الموقف الفائل الذي وقفه بعض زعمائهم. ويقع جانب من المسؤولية على عاتق البريطانيين ايضًا: أولاً لأن زعماء الآشوريين ظنوا المحاباة العلنية التي أبدتها السلطات العسكرية البريطانية وبعض الأساقفة الانجليكانيين نحوهم تعني مقدارًا كبيرًا من المساعدة أكثر من حقيقتها، وثانيًا لأن دولة الانتداب لم تصنع سمعها إلى الانذارات التي تنحدرت عن الاضطرابات، وقد ظل الموظفون البريطانيون في العراق يرسلونها إلى وزارة المستعمرات طوال السنوات التي سبقت اندلاعها. آشوريو اليوم هم أحفاد الآشوريين أصحاب الحضارة المعروفة في بلاد ما بين النهرين؛ حافظوا على تقاليدهم المميزة، وخاصة على لغتهم التي ما زالوا ينطقون بها، وهي تعود في أصولها إلى مزيج من اللغات الآشورية والآرامية والبابلية القديمة. احتتموا بجبال شمالي العراق ولم يختلطوا بالشعوب التي غزت بلادهم. في القرن الأول الميلادي، اعتنق الآشوريون المسيحية على أيدي رسل القديس توما. ومنذ ذلك الوقت

رابطة الكلدان من ذوي الاصل العراقي في ديترويت (الولايات المتحدة، ١٩٤٧).



الثلاثة نتج عنه قيام الأكراد والعرب لاحقاً (أي في ١٩٣٣) بالانتقام منهم في معارك ضارية، أخذت طابع المذابح الجماعية وأسفرت عن فرار عشرات الآلاف منهم إلى سورية وقيام الحكومة العراقية بفرض الإقامة الجبرية على زعيمهم السياسي والروحي البطريرك مار شمعون في بغداد، قبل أن تجرده من جنسيته وتسمح له بالهجرة إلى أميركا. وطوال ثلاثين سنة استمر النزاع والاقتتال بين الأكراد والأشوريين خصوصاً بعد أن عزز الأكراد ثورتهم المسلحة، نظراً إلى أن النزاع بين الجانبين بات يدور حول أرض واحدة يعتبرها كل منهما أرضاً قومية له ويسعى لإقامة كيان سياسي عليها. ودُمغ الأشوريون بالعمالة للأجنبي. وقد تكررت المحنة في سورية، حيث استقبلت سلطات الانتداب الفرنسي عشرين ألفاً منهم بعد نزوحهم من تركيا والعراق ووطنهم في شمالي سورية (محافظة الحسكة). ودأبت فرنسا إحلامهم القومية لكنها في النتيجة لم تفعل سوى ما فعلته بريطانيا، إذ استخدمتهم كمقاتلين أشداء لتدعيم احتلالها وسخت عليهم بامتيازات مادية، وحين استقلت سورية تمّ تجريد الأشوريين من تلك الامتيازات، مما دفعهم إلى الهجرة الواسعة إلى أميركا وأوروبا.

في مطلع السبعينات، بدأت صفحة جديدة في المسألة الآشورية. ففي ١٦ نيسان ١٩٧٢، اتخذت السلطات العراقية مجموعة قرارات لصالح الأقلية الآشورية (بما فيهم الأقلية الكلدانية). فاعترفت بحقوقهم الثقافية، حيث سمحت لهم بتدريس لغتهم في المدارس الابتدائية والمتوسطة، وتدريس العربية كلغة ثانية، وافتتحت في جامعة بغداد قسم للغة والآداب الآشورية، وتأسست أكاديمية للغة الآشورية، وقسم خاص بهم في اتحاد كتاب العراق، والتزمت الدولة بتقديم المساعدات المادية والمعنوية للكتاب والفنانين الآشوريين، وأعيدت الجنسية العراقية للبطريرك الآشوري مار شمعون الثالث المبعد عن العراق منذ ١٩٣٣. لكن قبل هذه الاجراءات، أي في ١٩٦٨، عقد في باريس المؤتمر الآشوري الاول الذي اسفر عن تأسيس «الاتحاد الآشوري العالمي» كمنظمة عالمية للدفاع عن حقوق الآشوريين وتوحيد صفوفهم حيثما كانوا في العراق أو تركيا أو إيران أو سورية أو الاتحاد السوفياتي أو قبرص أو الولايات المتحدة وأوروبا. وسرعان ما ظهرت في هذه المنظمة تيارات متباينة حول الاهداف: تيار يطالب بالكفاح لإقامة دولة مستقلة في مناطق حضورهم التاريخي (شمالي العراق، شمال شرقي سورية، جنوب شرقي تركيا وغرب

ارتبط تاريخهم بتاريخ المسيحية. وفي مطلع القرن الخامس برز منهم البطريرك نسطور الذي عارض فكرة ألوهة المسيح وقال إنه ذو طبيعة مزدوجة. وعلى رغم أن نسطور عوقب ونفي إلى ليبيا، فإن الآشوريين لمسكوا بملهبه وأصبح هذا المذهب صفة قومية.

قدم الآشوريون مساعدة للفاتحين المسلمين، وساهموا في عهود الحضارة العربية في ادارة الدولة وفي ثقافتها سيما في مجال ترجمة العلوم والفنون عن اللغات الأجنبية التي كانوا يتقنونها بفضل صلاتهم العريقة مع الشعوب المجاورة. وفي بعض الفترات، تعرّض الآشوريون للاضطهاد فهاجر قسم كبير منهم إلى أنحاء متفرقة، ولا سيما إلى الصين وأذربيجان وروسيا.

في ١٨٤٥، اعترفت بهم اسطنبول كملة مستقلة من الملل العثمانية. ومع موجة قدوم المبشرين الغربيين (والارسلالات) إلى المنطقة، قاومهم الآشوريون بقوة ولم يعتنق المذاهب الغربية (الكاثوليكية والبروتستانتية) سوى عدد قليل منهم.

عن فترة ما بين الحربين العالميتين، الاولى والثانية، كتب محمد خليفة، كاتب وصحافي سوري («الحياة»، ١١ آب ١٩٩٣): «إبان الحرب العالمية الاولى ثار الآشوريون على الاتراك وقاتلوا بضراوة على أمل ان تمنحهم الدول الأوروبية المتحالفة بعد هزيمة تركيا حق تقرير المصير وتسمح لهم بتأسيس وطن قومي، خصوصاً ان الروس والانكليز دغدغوا هذه الاماني في نفوسهم. غير ان الاحداث لم تسفر سوى عن مأساة، فقد تراجعت الدول الأوروبية بعد الحرب عن تعهداتها الغامضة لهم واكتفت بمناقشة قضيتهم مراراً وتكراراً في عصبة الأمم، وطالبت الدول التي يعيشون بها بمنحهم حقوقهم الثقافية. إلا ان تركيا عاقبتهم بقسوة، فنزح عشرات الالوف منهم (من جنوب شرقي الاناضول) وانضموا إلى اخوانهم في العراق، وقامت إيران أيضاً باضطهادهم وتهجيرهم، فتجمع العدد الأكبر منهم في العراق وسورية. وأقامت بريطانيا لهم معسكرات تحت حمايتها بإشراف عصبة الأمم (نحو ٣ آلاف هاجروا، في ١٩١٥، إلى روسيا، واصبح عددهم اليوم نحو ٤٥ ألفاً، ١٠ آلاف في العاصمة موسكو). وواصل الآشوريون محاولاتهم إلى استزاع دعم الدول الأوروبية لإقامة دولة في شمالي العراق، لكن الانكليز الذين كانوا يحتلون العراق استغلّوهم لمصالحهم، فشكّلوا منهم «كتائب عسكرية» اعتمدوا عليها في قمع انتفاضة الأكراد والعرب، مما أحدث جرحاً عميقاً في العلاقات بين العناصر

وكذلك بعض القرى التابعة لمحافظة كركوك.

أما تعدادهم بحسب ما ورد في إحصاء ١٩٤٧ هو ٢٨١٣٠ تركماناً من أصل ٣ ملايين و٤٦٨ ألفاً هو إجمالي عدد سكان العراق. وفي إحصاء ١٩٥٧، كان العدد ٥٦٧ ألف تركماني (٦ ملايين و٣٧٦ ألفاً مجموع عدد سكان العراق). ونتيجة لإحصاء ١٩٨٧ (١٨ مليوناً مجموع عدد سكان العراق) ذكرت التقديرات ان التركمان أصبح عددهم يناهز ١،٥-٢ مليون نسمة. مسلمون باستثناء بضع مئات من الكاثوليك في قلعة كركوك.

يعود التركمان إلى الأصول التركية، كما يعود وجودهم في العراق إلى نحو ألف سنة، وقد زاولوا الحكم فيه قبل العثمانيين بنحو قرنين من الزمن. بدأ استيطانهم أرض العراق منذ الامويين. وفي العهد العباسي، شكل الخليفة المنصور، والخليفة هارون وحدات عسكرية منهم بغية لإيجاد توازن مع الفرس في جيشهما، في حين اعتمد المعتصم كلياً عليهم واسكنهم سامراء. وكثر عددهم في أيام البويهيين ثم الصفويين ثم السلجوقيين. وفي عهد هؤلاء تأسست عدة إمارات تركمانية في الموصل وكركوك وأربيل... وامتدت فترة حكم الامارات-الدول التركمانية ١٩٦ عاماً.

وفي العهد العثماني، رافقت عشائر من التركمان الحملات العثمانية، أهمها حملة السلطان سليمان القانوني (١٥٣٤)، وحملة السلطان مراد الرابع (١٦٣٨) الذي استزد فيها بغداد من أيدي الصفويين. وكان العثمانيون يُسكنون هؤلاء التركمان المشتركين معهم في الحملات العسكرية في المواقع والحاميات المكلفة حماية «الطريق السلطاني العظيم»، أي المنطقة التي يسكنها التركمان في الوقت الحاضر. ولأنهم كانوا معتادين على الحكم والادارة والحياة المدنية، فقد زودوا الدول العثمانية بالموظفين والاداريين ونخب في الصناعة والتجارة.

مع الاحتلال الانكليزي للعراق ثم مع الانتداب وبداية قيام الدولة العراقية، بدأ التركمان ينكفئون عن مواكبة الأحداث، وفُسّرت السلطات، بما فيها الوطنية، موقفهم بالسلبية استناداً إلى الخلفية التاريخية، فزاد هذا الأمر من انكفاءهم وتخلّفهم، خاصة وان التركمان تعرّضوا في ١٩٢٤ إلى مجزرة بتدبير من الانكليز وبواسطة جنود «الليفي» من الأتوريين.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، رأى بعض قادة التركمان أن الوقت حان للخروج من العزلة، وربما من التخلّف. فأرسلوا برقيات تأييد للزعيم عبد الكريم قاسم،

شمالى إيران، وهي المناطق نفسها التي يعتبرها الأكراد وطنهم القومي)، وتيار يكتفي بالمطالبة بحكم ذاتي في مناطق كثافتهم السكانية، وثالث يقلص المطالب إلى حكم اداري واعتراف بالحقوق الثقافية. وكان أقصى ما تمكنت منظمة الاتحاد الآشوري العالمي من تحقيقه هو الانضمام إلى منظمة الشعوب التي ليس لها حكومات ودول (U.N.P.O) وتضم نحو ثلاثين شعباً، منهم الأكراد والتركمان والهنود الحمر وسكان أوستراليا الاصليين...

وفي أعقاب حرب الخليج الثانية، ظهرت احزاب ومنظمات سياسية للأشوريين، أهمها «الحركة الديمقراطية الآشورية» التي دخلت عضواً في «الجبهة القومية الكردستانية»، وهي طرف من أطراف المعارضة العراقية الحالية. وتقول هذه الحركة إنها لا تطالب بالانفصال، ولكنها تسعى للاعتراف بالقومية الآشورية.

أما بالنسبة إلى الكلدان، فإن مسارهم التاريخي واحد تقريباً مع الأشوريين، وهم مثلهم يتحدرون من الكلدان والبابليين والآشوريين أصحاب الحضارة التاريخية العريقة في بلاد ما بين النهرين. كان الكلدان أكثر انفتاحاً على المبشرين (والارسلالات) الغربيين، فتشكلت فيهم كنيسة كاثوليكية، كما منهم عدد من البروتستانت. تاريخهم السياسي الحديث، بما فيه الهجرات (خاصة إلى الولايات المتحدة)، مندمج إلى حد كبير بتاريخ الآشوريين، ويفضل الكلدان تسمية «الحركة الديمقراطية الآشورية» باسم «الحركة المسيحية»، كما ويلفغون باتجاه تعاون كردي-مسيحي على ان تحترم الأكراد الكردية مشاعر الأقلية المسيحية وحقوقها. جالية الكلدان ناشطة في الولايات المتحدة، وتعمل على إقناع الجالية الآشورية هناك على ان يتسجل أفراد الجاليتين هناك باسم مشترك هو «كلد-آشور» في الاحصاء المقبل لسكان الولايات المتحدة المقرر إجراؤه في العام ٢٠٠٠، ذلك انه إذا كان عدد المسجلين ١٠٠ ألف فأكثر يصبح بإمكانهم الحصول على امتيازات ومنافع تقرّ بها السلطات الفدرالية هناك. وكذلك، تجري الكنيسة الكلدانية مفاوضات مع الكنيسة النسطورية (الآشورية) لتوحيد الكنيستين.

التركمان: أماكن تجمعهم الأساسية هي المنطقة السهلية الفاصلة بين المنطقة الجبلية الكردية من تلعفر في الشمال الغربي من العراق إلى مندي في الجنوب الشرقي منه. وأهم مراكزهم السكنية: قرى قضاء تلعفر التابعة لمحافظة الموصل، مدينة أربيل وبعض القرى التابعة لها،

وبدأت تتخذ إجراءات في مناطق الشمال، خاصة في محافظة كركوك، على أساس هذا المرسوم، لا سيما في ما يتعلق بالعقارات والأسماء.

لم يحمل التركمان السلاح منذ قيام دولة العراق الحديث (بعد الحرب العالمية الأولى) ولا شاركوا في الأحداث السياسية، بل حُمل السلاح ضدهم وجاءت الأحداث لتطبق عليهم العزلة. لكن حرب الخليج الثانية غيرت من المشهد المعروف عن التركمان، فشاركت بعض تشكيلاتهم في انتفاضة آذار ١٩٩١ الفاشلة، ثم بدأ بعضهم ينظم في حركات وتجمعات سياسية داخل جبهات المعارضة. وكان لتصريحات الرئيسين التركيين، أوزال وديميريل، حول «إعادة النظر في الحدود» (توقف الحديث عنها منذ أواخر ١٩٩٥) أن أعادت البحث على نطاق واسع في وضع التركمان كأقلية قومية (راجع «مسألة الموصل» في باب معالم تاريخية).

وأظهروا قدرًا كبيرًا من الفرح والتأييد المطلق للثورة في عيدها الأول (١٩٥٩). لكن ذلك لم يرح بعض الاطراف، ف وقعت مجزرة بشعة بحقهم ذهبت بأرواح خيرة من شبابهم أثناء الاحتفال في مدينة الموصل (راجع «الحزب الشيوعي» في باب الاحزاب). فكانت صدمة عنيفة جدًا احجم بعدها التركمان من جديد عن التفاعل مع الأحداث، ولم ترتفع عنهم الضغوط والملاحقات بعض الشيء إلا في عهد عبد الرحمن عارف.

في ١٩٧٣، نص الدستور العراقي الموقت، وكذلك الدستور الذي أعلن عنه في ١٩٩٠، على ان الشعب العراقي يتألف من العرب والأكراد. وفي تعداد ١٩٧٧ و١٩٧٨، ارغم التركمان على تحديد أصولهم العربية أو الكردية في استمارة الاحصاء، وصدر مرسوم جمهوري عشية الاحصاء اعتبر التركمان عربًا رسميًا،

كردستان العراق

(لخريطة توزع الأكراد على العراق وتركيا وإيران وسورية، راجع ج٦، ص٢٤١. وراجع «كردستان إيران»، ج٤، ص١٧٢-١٧٩ و«كردستان تركيا»، ج٦، ص٢٤١-٢٥٥).

نظرة عامة: يشكل الأكراد، عمومًا، وحدة قومية خاصة. يدينون بالاسلام في ما عدا أقلية صغيرة يزيديّة وأقلية أصغر مسيحية، كما ان هناك أقلية يهودية (راجع «يهود كردستان وعلاقات كردية-اسرائيلية» في هذا الباب). المذهبان الرئيسيان هما السنة والشيعة. فالأكراد الذين يعيشون في كردستان العراق (المناطق الشمالية) وكردستان إيران في غربي أذربيجان إضافة إلى ثلثي أكراد تركيا هم على المذهب السني، فيما الآخرون على المذهب الشيعي. وللأكراد لغتهم القومية التي تنتمي إلى مجموعة

اللغات الايرانية التي تمثل فرعًا من مجموعة اللغات الهندو-اوروبية. ولكنها لغة نقية لها مميزاتها الخاصة وتطوراتها القديمة والمعاصرة. ويتوزع الأكراد سكانيًا وجغرافيًا على الحدود العراقية-السورية والعراقية-التركية والعراقية-الايرانية والايرانية-الأذربيجانية والايرانية-الأرمنية. أي ان الأكراد يعيشون على حدود العراق وتركيا وإيران وسورية وأذربيجان وأرمينيا، ولكن تواجههم الفعلي والذي رسخ نتيجة العديد من العوامل التاريخية والجغرافية والسياسية جعلهم يتركزون في شمالي العراق، حيث ينطلقون من هناك لإثارة الاضطرابات مع الدول المجاورة أو مع العراق نفسه، ولعل ذلك ما جعل العراق الدولة الوحيدة التي عانت بشدة من بين الدول السابقة الذكر من تحركات الأكراد. وعلى الرغم من ان تقدير عدد الأكراد يمثل إشكالية كبيرة بفعل تضارب الاحصائيات وتنوعها، إلا انه مؤخرًا بات هناك إجماع على انهم لا يقلون عن ٢٠ مليون كردي، موزعون كالآتي: ١٢ مليونًا في تركيا، ٤ ملايين في العراق، مليونان في إيران، والباقي موزعون في سورية وأذربيجان وأرمينيا،

«تعتبر كردستان من أحسن الاراضي العثمانية»، ويعني بذلك الموارد الطبيعية. بعد هذا تناول عهد الاستعمار الغربي، فلقد زرع مارك سايكس الانكليزي كردستان شبراً شبراً ووضع خرائط مفصلة عام ١٩٠٨ ثم تجاهل كل شيء حول واقع الشعب الكردي ووطنه واتفق مع جورج بيكو الفرنسي على تقسيم كردستان في معاهدة سايكس-بيكو (١٩١٦). في الوقت نفسه كتب مينورسكي الروسي دراسة «الأكراد: دراسات وانطباعات» في ١٩١٥ يحدد فيها المنطقة الكردية، وينطبق التحديد هذا إلى حد كبير مع ما سبق ذكره من دراسات. خلاصة القول إن الأكراد شعب عريق كالعرب، كما تؤكد المصادر التاريخية التي يرجع بعضها إلى ثلاثة آلاف عام أو أكثر.

بالنسبة إلى تدوين تاريخ الأكراد، ننقل ما ذكره الكاتب الكردي حسين أحمد الجاف («حكايات تراثية كردية»، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار النشر والثقافة الكردية، ١٩٨٨، ص ٣-٤):

«... فالذي يقرأ حكاياتنا الشعبية الكردية التي تنوقلت شفاهاً من عصور سحيقة في القدم إلى اواسط القرن الثامن عشر حيث قيض لبعضها أن يُدون ببراع بعض المستشرقين حيث ظل تراث الشعب الكردي الذي أُنجب قادة عظاماً مثل كاوة الحداد داحر الظلم ومخطم اسطورة الطاغية ضحاك ومنجب صلاح الدين الايوبي حرر القدس من براثن الصليبية الغازية ومنجب مفكرين عظاماً وكتاباً كباراً أمثال ابن خلكان (صاحب فييات الاعيان) وابن النذير والدينوري والحزري والقاضي الشهرزوري (فقيه دمشق وقاضيها الشهير) وعشرات القادة والمفكرين الآخرين الذين خدموا الحضارة العربية الاسلامية والفكر الانساني بسوفهم أو اقلامهم... أقول ظل تراث هذا الشعب العريق الذي ورد ذكره تحت إسم «كوردراها» أو «كودراها» في أقدم المدونات السومرية كما يقول كيرزن (عن كتاب Anthropology of Iran and Iraq للعلامة هنري فيلد) والذي ذكره زينفيون تحت «كوردوكي» أو «كوردي ليو» في كتابه «أناباسيس» من ان شعباً تحت إسم «كوردوكيو» قاوم حملة العشرة آلاف فارس التي قادها زينفيون (عن مفكرة بيره ميرد الكردية، للاستاذ نرمان لعام ١٩٨١) بالذات عبر بلاد الكرد وفارس سنة ٤٠١ ق.م. قاوم الكرد تلك الحملة بشجاعة واستبسال نادرين... ظل تراث هذا الشعب شأنه شأن لغته الكردية نفسها مهملاً... وبدون تدوين لقرون طويلة».

ويتابع حسين أحمد جاف (المرجع المذكور أعلاه،

كما ان تواجداً رمزياً لهم في بعض الدول العربية مثل مصر والاردن. وتعتبر أهم قبائل الأكراد في العراق هي: برزان، الطالبانية، البابان، الجاف، واليزيديون. وعبر التاريخ الكردي في العراق، كان هناك العديد من الفصائل والجمعيات والاحزاب، ويمكن ان نقول إنها مرتت بمرحلة فرز سياسي وصراعي أسفرت عن بقاء فصيلين رئيسيين تتجمع حولهما بقية الفصائل الكردية وهما الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البرزاني، والاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة جلال الطالباني (عن مجلة «السياسة الدولية»، العدد ١٢٦، تشرين الاول ١٩٩٦، ص ١٣٣-١٣٤).

نهضة تاريخية: يوجز محمود عثمان (أقرب السياسيين الأكراد للملا مصطفى البرزاني، وشارك في جميع الوفود الكردية التي تفاوضت مع بغداد وآخرها في ١٩٩١) تاريخ الأكراد بقوله (مطلع كلمته في اللقاء العربي-الكردي الذي نظمته في القاهرة، في حزيران ١٩٩٨، اللجنة المصرية لمنظمة التضامن الأفرو-آسيوي، «الحياة»، العدد ١٢٨٩٧، تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٩٨، ص ١٦):

«عاش الأكراد في وطنهم كردستان، وحسب الحقائق الجغرافية والتاريخية، منذ آلاف السنين. والأدلة والبحوث والدلالات على ذلك كثيرة، قبل الميلاد وقبل التوثيق العربي، كما ورد في زمن زينوفون اليوناني الذي مرّ من كردستان في القرن الرابع ق.م. وذكر عن مسيرته الشاقة هذه، إضافة إلى ما هو معلوم عن كردية الحوريين والمثانيين والميديين وغيرهم، ثم يأتي التوثيق العربي (ابن الأثير والمسعودي وغيرهما). وهذه الدراسات تؤكد أيضاً الانتشار الجغرافي للأكراد خلال القرون العشرة الاولى من الفترحات في موطنهم كردستان. وبعد القرن السادس عشر تبدأ الدلائل والوثائق العثمانية، كما ورد في ما كتبه «أولياجلي» في القرن السابع عشر، بعد رحلته في المنطقة، عن وجود الأكراد في مناطق سكنهم في الامبراطورية العثمانية، وكذلك في كتاب «الشرفنامه» للمؤرخ الكردي البديسي (القرن ١٦)، وللإستمرار في التسلسل التاريخي نأخذ ما كتبه الفرنسي بيار جوبير في ١٨٢١ (رحلة إلى أرمينيا وبلاد فارس) الذي يذكر ان كردستان تمتد من جبال آارات شمالاً وحتى جبل حميرين جنوباً، ومن أورمية ووان شرقاً حتى نهر دجلة غرباً. ثم نأتي إلى الأب أبوجي اليسوعي ١٨٨٦ الذي يؤكد هذه الحقائق، ومن ثم يقول

في مطلع القرن العشرين قاد ثورة الأكراد ضد السلطات العثمانية الشيخ عبد السلام البرزاني، وخاصة في ١٩٠٧، واستمرت حتى سلّمه أكراد «تائبون» لوالي الموصل العثماني الذي أعدمه.

بعد الحرب العالمية الاولى: لذلك، ولأن الامبراطورية العثمانية كانت رازحة بكل ثقلها وقمعها على صدر شعوب الشرق وتمنع عليهم أي تطلع للتحرر، جاءت هزيمتها، وجاءت الوعود الغربية، فرصة لانبعاث التطلعات التحررية الدفينة عند تلك الشعوب، منهم الأكراد.

«يذكر الحاكم العسكري البريطاني في العراق الكولونيل أرنولد ويلسون، في مذكراته حول تلك الفترة انه حين زار الزعيم الكردي الشيخ محمود الحفيد في مستشفى بغداد حيث كان يعالج من آثار جراح أصيب بها في قتال ضد القوات البريطانية عام ١٩١٩: ذكرني الشيخ محمود بنود ويلسون الاربعة عشر وقرأها لي حين أخرج القرآن وفي داخله بنود الرئيس الاميركي مترجمة إلى اللغة الكردية مع نص البيان الذي كانت بريطانيا وفرنسا

الملا مصطفى البرزاني.



ص ٦): «ومما يجب ان لا يفوتنا ذكره هنا هو أن أول صحيفة كردية هي «كردستان» التي صدر عددها الاول في ٢٢ نيسان عام ١٨٩٨ في القاهرة التي كانت يومئذ أهم عاصمة عربية من قبل مقداد وعبد الرحمن بدرخان. وفي ظهورها على تلك الارض العربية من المدلولات العميقة التي تتضمن فيما تتضمن تسامح العرب تجاه انتشار ثقافة أشقائهم الكرد في تلك الفترة التي كانت سياسة التزكيت سيئة الصيت على أشدها في باقي أرجاء الدولة العثمانية بينما فتحت القاهرة صدرها لتستقبل الوليد الصحفي الكردي الاول بكل تقدير واحترام (تقول مراجع أخرى ان هذه الجريدة استمر صدورها حتى شباط ١٩٠٢، وصدر منها ٣١ عددًا، وتوجد مجموعة أعدادها في مكتبة هامبورغ في ألمانيا). ومن جهة الكرد كشف ظهور الجريدة في القاهرة عمق ما يعتمل في نفوس الكرد من حب تجاه أشقائهم العرب. واليوم في عراق الحضارة والانتصار ومنذ بيان الحادي عشر من آذار التاريخي عام ١٩٧٠ أخذت الثقافة الكردية تخطو خطوات واسعة جدًا على طريق الرسوخ والتطور والنمو بحيث صار العراق أهم مركز إشعاع ثقافي كردي في العالم بما تخطى به المؤسسات الثقافية الكردية من دعم الدولة ورعايتها المستمرة» (وبالفعل، وقف مؤلف هذه الموسوعة، أثناء مشاركته في مهرجان الربيع، صيف ١٩٨٨، في بغداد، على عشرات المؤلفات الكردية بالعربية والكردية والصادرة جميعًا في السبعينات-بعد بيان آذار ١٩٧٠-والثمانينات، لكن كلها عن دار النشر والثقافة الكردية التابعة لوزارة الثقافة والاعلام العراقية).

ربما كان العام ١٥١٤ هو العام الذي يشكل البداية البعيدة لما يسمّى اليوم «القضية الكردية»، أو لما يمكن اعتباره بداية للتاريخ الحديث والمعاصر للأكراد، سواء في العراق أو إيران أو تركيا أو سورية أو في أماكن تواجد مجموعات لهم في أرمينيا وغيرها. ففي ذلك العام عمدت الامبراطوريتان المتصارعتان، الفارسية والعثمانية، إلى تقسيم ارض الأكراد في ما بينهما. ولم يعرف الأكراد لهم دولة موحدة. وقد ظهرت النزعة القومية عندهم في مرحلة متأخرة، أي عند بلوغ الوعي القومي أوجه على إيقاع الثقافة السياسية الغربية، أثناء الحرب العالمية الاولى وبعيدها خاصة على إيقاع الوعود التي أغدقتها الدول الأوروبية للشعوب الخاضعة للسلطنة العثمانية، ومبادئ الرئيس الاميركي، ويلسون، الاربعة عشر الخاصة بحق شعوب الشرق في تقرير مصيرها بأنفسها.

قد اصدرته ونشرته عام ١٩١٨ حول حقوق الأقليات» (سامي شورش، كاتب كردي من العراق، «الحياة»، ٧ تشرين الثاني ١٩٩٤).

في ١٩١٩، والدولة العراقية الحديثة لم تعلن بعد، قاد الشيخ محمود البرزاني ثورة أخرى فاشلة تلاها رفض الشيخ أحمد البرزاني الانضمام للدولة العراقية. لكن الأكراد نجحوا في إرسال مندوب عنهم إلى مؤتمر الصلح في باريس للمطالبة بحقهم في كيان كردي. وفي ١٩٢٠، افلحوا في إقناع المجتمع الدولي بضرورة تضمين اتفاقية سيفر ثلاثة بنود خاصة بحق الأكراد في إقامة ادارتهم الذاتية المستقلة. كذلك استطاعوا في ١٩٢٢، من إقامة مملكة كردية حازت على اعتراف الحكومتين العراقية والبريطانية عبر بيانها المشترك الصادر في ٢٢ كانون الاول ١٩٢٢. وكانت هذه المملكة، وعاصمتها السليمانية، تقاد من قبل مليكها الشيخ محمود، ولها رئيس ومجلس للوزراء (٧ وزراء) وجيش وطابع بريدي وصحافة. لكن هذا الكيان الكردي لم يدم سوى اشهر قليلة (عمرت تقريباً على قدر ما عمّر العهد الملكي الفيصلي العربي في سورية)، وسقط إثر هجوم عسكري مدعوم بالطائرات وبصورة متزامنة مع معاهدة لوزان (١٩٢٣) التي خلت من أي ذكر للشعب الكردي. وألحق الأكراد (بمناطقهم شمالي العراق، «کردستان العراق») بالدولة العراقية التي قامت أساساً على ركيزتين اساسيتين: وطنية عراقية وقومية عربية. وكلاهما عمل على صهر العراقيين في بوتقة واحدة.

«في الواقع، مارست بريطانيا دوراً حاداً في تذكير الحكومة العراقية بأهمية احترام رغبات السكان الأكراد في التعليم بلغتهم المحلية واستخدامها في المحاكم والأمور الادارية، إضافة إلى تعيين الموظفين والمستخدمين في المنطقة من أبناء القومية الكردية. لأنها كانت تعرف ان تخلخل العلاقة بين الدولة العراقية ومواطنيها الأكراد (حوالي ٢٣٪ من مجموع السكان) إنما يتسبب في مشكلات كبيرة ربما تعوق تطورها السياسي. لكن الدولة العراقية لم تلتفت بجدية لتنفيذ تلك النقطة. وإمعاناً في تلك السياسة ألغت الدولة عام ١٩٢٧ دائرة معارف كردستان كانت أقرتها عام ١٩٢٥ للإشراف على النشاطات التربوية والتعليمية بين الأكراد. وبدأت في السنوات اللاحقة بتكثيف تواجد موظفيها من خارج القومية الكردية في كردستان العراق. إضافة إلى بدئها بوضع اللغات الأولى لسياسة تعريب المناطق النفطية في كركوك وخانقين مع ازدياد عمليات استخراج النفط منذ ١٩٢٧. إلى ذلك بدأت بشن حملات عسكرية خاصة بعد نيل العراق استقلاله السياسي (١٩٣٢) وتعاضم شركة الجيش العراقي آنذاك، استهدفت تجريد عشائهم (الأكراد) من سلاحها ومواقعها الاقتصادية. ثم لم يمض وقت طويل حتى ألغت قانوناً لاستخدام اللغات المحلية في المدارس والمحاكم كانت أقرتها عام ١٩٣٧. وإلى ذلك لم تسمح للمنظمات والاحزاب السياسية الكردية ممارسة أي نشاط علني مرخص» (سامي شورش، المرجع المذكور أعلاه).

الملا مصطفى البرزاني (الى اليسار) مع عبد الكريم قاسم في ١٩٥٨.



صهر الشعب الكردي في البوتقة العربية». وشعر الملا مصطفى البرزاني بالخطر وغادر بغداد إلى مسقط رأسه «برزان» في شمالي العراق. وبوجوده هناك وقعت اضطرابات عشائرية وأعمال تمرد على السلطة المركزية. فاستغلت الحكومة هذه الأعمال وأرسلت طائراتها لتلك منطقة برزان في ١١ أيلول ١٩٦١، ما دعا الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة الملا مصطفى إلى إعلان المقاومة المسلحة ضد بغداد. فكانت هذه بداية صراع دموي طويل خاضه البرزاني مع الحكومات العراقية المتعاقبة من أجل تحقيق هدف الأكراد في العراق أي الحكم الذاتي، وذلك حتى وفاته في ١٩٧٩. وأما الضربة الكبرى التي أصابت زعامته خلال هذا الصراع، فجاءت من انشقاق كتلة إبراهيم أحمد وجلال الطالباني عن الحزب الديمقراطي، والتحاق الطالباني في ١٩٦٥ بالحكومة العراقية وحمله السلاح بين ١٩٦٦ و ١٩٧٠ إلى جانب الجيش العراقي لضرب الحزب الديمقراطي والبرزانيين.

بيان ١١ آذار ١٩٧٠ و«اتفاق الجزائر» ١٩٧٥: عملت الحكومة على حل المشكلة الكردية التي باتت تتفاقم وتهدد أمن العراق ووحدته وتفتح الباب واسعاً أمام مختلف التدخلات الأجنبية، القريبة (إيران وتركيا) والبعيدة (الولايات المتحدة واسرائيل والاتحاد السوفياتي...). فأصدرت بيان ١١ آذار ١٩٧٠ الذي حدّد الصيغة المتكاملة من النواحي النظرية والسياسية والعملية لحل تلك المشكلة حلاً سلمياً يضمن الحقوق القومية للأكراد، أي منح الحكم الذاتي للمنطقة الشمالية (كردستان العراق) ابتداء من ١١ آذار ١٩٧٤ ضمن نطاق الجمهورية العراقية وحسب المواد التي تضمنها قانون الحكم الذاتي الذي يجعل من أربيل عاصمة المنطقة ويعتمد على مجلس تنفيذي. كما جرى تعديل الدستور العراقي الموقت ليكون منسجماً مع ذلك القانون.

وقد نص قانون الحكم الذاتي في مادتيه الأولين:
«المادة الأولى:

أ- تتمتع منطقة كردستان بالحكم الذاتي وتسمى المنطقة حيثما وردت في هذا القانون.

ب- تتحدد المنطقة حيث يكوّن الأكراد غالبية سكانها ويثبت الإحصاء العام حدود المنطقة وفقاً لما جاء في بيان ١١ آذار (١٩٧٠). وتعتبر قيود إحصاء عام ١٩٥٧ أساساً لتحديد الطبيعة القومية للأغلبية السكانية المطلقة في الأماكن التي سيجري فيها الإحصاء العام.

من الأربعينات إلى ١٩٧٠: فترة من تاريخ أكراد العراق متصلة مباشرة بزعامة كردية يمثلها مصطفى البرزاني (١٩٠٠-١٩٧٩) الذي عاش يحلم بنولة للأكراد. وفي ١٩٤٥، قررت الحكومة العراقية اجتياح منطقة برزان لوضع حد للأعمال المخلة بالأمن التي يقوم بها رجال مصطفى البرزاني. وبرزان قرية هي مركز المشيخة التي كان استقر فيها الجدد الأول للبرزانيين وأقام فيها تكية جذبت إليها المريدين والاتباع. وانتقلت مقاليدها في ما بين الأبناء والأحفاد حتى وصلت إلى الشيخ محمد البرزاني الذي توفي في ١٩٠٣، وخلف خمسة أولاد هم: عبد السلام، الشيخ أحمد، محمد صديق، بابو، والملا مصطفى.

اندحر البرزانيون أمام الحملة الحكومية وفرّ أحمد البرزاني وأخوه الملا مصطفى ورجاهما إلى إيران فدخلوها في ١١ تشرين الأول ١٩٤٥. وحين انتهزت الدولة الكردية الأولى في التاريخ وهي دولة «مهاباد» في كردستان إيران في ١٩٤٦ (راجع «إيران»، ج ٤)، لجأ الرجل وأتباعه إلى الاتحاد السوفياتي على اعتبار أنه معاد للامبريالية. وعاش هناك لمدة ١٢ سنة، أي إلى أن قامت ثورة ١٩٥٨ في العراق التي أطاحت الملكية. وبعد الدور الذي أداه وهو يتزعم الحركة الكردية طيلة نحو عشرين سنة، عاد الملا مصطفى البرزاني ليهرب من العراق حينما اشتدت عليه وطأة الضغط العسكري العراقي عام ١٩٧٥، لكن هذه المرة إلى الولايات المتحدة التي استقبلته في شيوخوخته ومرضه، ولغظ أنفاسه في مستشفى البحرية الأميركية في ٢ آذار ١٩٧٩.

قبل زعماء ثورة ١٩٥٨ عودة الملا مصطفى ورجاله من المنفى السوفياتي إلى العراق. فغادروا موسكو وتوجهوا إلى رومانيا ثم إلى تشيكوسلوفاكيا، ومن هناك أرسل برقية إلى عبد الكريم قاسم وصفه فيها بـ«فخامة قائدنا المحبوب الزعيم الركن عبد الكريم قاسم بطل الثورة العراقية المجيدة». وقد وصل البرزاني إلى العراق في ٧ تشرين الأول ١٩٥٨ (وكان النقيض، في طريق عودته، الرئيس المصري جمال عبد الناصر)، حيث وجد أن لمة توجهات ديمقراطية بدأها قاسم: أحيزت الأحزاب السياسية وضمنها الحزب الديمقراطي الكردستاني، وأعلن الدستور الموقت أن الشعب العراقي يتكون من قوميتين رئيسيتين العرب والكرد.

لكن بحلول ١٩٦٠، توترت الأجواء بين البرزاني وحكومة قاسم التي بدأت «تسلك سياسات تستهدف

وانهارت مقاومة الأكراد في ١٩٧٥، في أعقاب اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران التي أبرمت أثناء مؤتمر أوبيك في الجزائر في ذلك العام (راجع «شط العرب» في باب معالم تاريخية).

أثناء حرب الخليج الأولى: لفهم وضع أكراد المنطقة الشمالية من العراق (كردستان العراق) أثناء هذه الحرب يجب الإشارة إلى أن الحزبين الكرديين الأساسيين: الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، تعود جذور خلافهما إلى بداية الستينات حين انشقت جماعة بزعامة جلال الطالباني وإبراهيم أحمد عن الحزب الديمقراطي الذي كان يتزعمه مصطفى البرزاني، والد زعيمه الحالي مسعود البرزاني. آنذاك اعتبر جلال الطالباني وإبراهيم أحمد أن الحزب مجرد أداة بيد البرزاني ورجال العشائر الذين لا يهمهم سوى تعزيز مواقفهم الاقطاعية وانتزاع مكاسب شخصية على حساب المحتوى الفعلي لمطالب الأكراد القومية والسياسية والثقافية. ووقف جناح الطالباني وأحمد إلى جانب حكومة بغداد ودعا إلى حل سلمي للقضية الكردية في العراق وندد باصرار البرزاني على استمرار القتال وتحويله إلى «أداة في يد الامبريالية الأميركية وشاه إيران».

وبعد الهزيمة الساحقة التي تعرضت لها الحركة الكردية في ١٩٧٥، أُلقيت المسؤولية على كاهل البرزاني الذي ألقى السلاح وغادر إلى الولايات المتحدة وبعد ذلك، أعلن جلال الطالباني، في دمشق، عن تأسيس الاتحاد الوطني الكردستاني وجمع أنصاره للعودة إلى كردستان العراق واستئناف القتال. أما الحزب الديمقراطي الكردستاني فقد انتقلت قيادته إلى ابني مصطفى البرزاني إدريس ومسعود (ثم إلى مسعود بعد وفاة إدريس) اللذين أعلنوا بدورهما مواصلة الكفاح المسلح ضد حكومة البعث العراقية. ورغم اتفاق الحزبين على مقاتلة بغداد أثناء حرب الخليج الأولى فقد بقي كل منهما ينظر إلى الآخر بعين الريبة والحنق معتبراً الطرف الآخر «خائناً» للقضية الكردية. أثناء حرب الخليج الأولى (العراقية-الایرانية)، ورغم تبدل النظام الإيراني من جهة، واتفاق الحزبين على مقاتلة الجيش العراقي من جهة ثانية، فإن نظام الجمهورية الإسلامية في إيران لم يبتن قضية الأكراد السياسية، واكتفى، أثناء الحرب، بتقديم مساعدات للحركة الكردية العراقية وفق شروط قيام الحزبين الكرديين بعمليات مشتركة داخل العراق ومع القوات الإيرانية. وقد تمت فعلاً هذه العمليات.

ج- تعتبر المنطقة وحدة إدارية واحدة لها شخصية معنوية تتمتع بالحكم الذاتي في إطار الوحدة القانونية والسياسية والاقتصادية للجمهورية العراقية.
د- المنطقة جزء لا يتجزأ من أرض العراق، وشعبها جزء لا يتجزأ من شعب العراق.

المادة الثانية:

أ- تكون اللغة الكردية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية في المنطقة.
ب- تكون اللغة الكردية لغة التعليم للأكراد ويكون تدريس اللغة العربية إلزامياً في جميع مراحل التعليم ومراقفه.

ج- يخضع التعليم في جميع مراحلها، في المنطقة، للسياسة التربوية والتعليمية العامة للدولة.

إلا أن قيادة الحركة الكردية (البرزاني) رفضت تطبيق ذلك القانون عندما حل موعد تطبيقه في ١١ آذار ١٩٧٤، ورجعت إلى التمرد من جديد، علماً أن العراق هو البلد الوحيد الذي دأب على الاعتراف بالهوية الكردية منذ أيام الملكية، فمنحهم حقوقاً ثقافية وإدارية ازدادت باضطراب حتى وصلت إلى الاعتراف بالحكم الذاتي. والحقيقة أن الدول المجاورة للعراق شعرت بـ«رعب» من تلك الخطوة العراقية التاريخية، فاستنفرت قواها لإحباط ذلك المشروع وإجهاض الحكم الذاتي. وفي حين ضغطت تركيا على الحكومة العراقية كي لا تمضي قدماً في تنفيذ بيان ١١ آذار، عمدت إيران الشاه، ومعها الولايات المتحدة الأميركية إلى الضغط على القيادات الكردية لإبعادها عن كل اتفاق مع الحكومة المركزية العراقية. ولم يمر وقت طويل حتى انهيار الاتفاق وعاد كل طرف إلى سلاحه. ووقفت إيران والولايات المتحدة وإسرائيل إلى جانب البرزاني وامتدته بالسلاح والمال لمقاتلة الجيش العراقي (أثناءها غلب على اللغة السياسية والقومية العربية في العراق والعالم العربي الخطاب الذي يتهم البرزاني بحلفه مع هذه الاطراف، ثم جاءت الوثائق واعترافات القادة الأكراد بعد حرب الخليج الثانية لتؤكد هذا الخطاب-راجع «يهود كردستان وعلاقات كردية-إسرائيلية» في هذا الباب)، في حين لم تزدد سورية وتركيا في الوقوف إلى جانب العراق وتطويق الأكراد ومحاصرتهم عبر الحدود، لا بل المشاركة في ضرب الأكراد وقصف مواقعهم (عملية تنسيق بين الجيش العراقي والجيشين السوري والتركي سميت «عملية دجلة»). وضاع الزعماء الأكراد في خضم الصراعات الاقليمية وتحولوا إلى أوراق بيد هذه الجهة أو تلك.



مسعود البرزالي.



جلال الطالباني.

«الاحزاب» المدعومة من ايران أو سورية أو السعودية عارضت منذ ١٩٩١، وتحديدًا منذ انتفاضة آذار ١٩٩١، أية صيغة فدرالية للحكم في العراق باعتبارها تشكل بلقنة للعراق، واكتفت بالدعوة لاحترام آمال وتطلعات الأكراد (سحق الجيش العراقي هذه الانتفاضة، وبلغت مئات الآلاف من الأكراد إلى خارج الحدود). و«عندما أعلن البرلمان الكردستاني الفدرالية في ٤ تشرين الأول ١٩٩٢ نظر إليها في كثير من الاوساط العربية والاسلامية بشكل سلبي وبادرت ايران وتركيا إلى مواجهة الاعلان ومعه الكيان الكردي الاقليمي بشتى الاساليب، وربط البعض هذا الاعلان بالحماية الاميركية لكردستان العراق وبناء المنطقة

وبعد انتصار العراق في هذه الحرب، اتخذت الحكومة العراقية من هذا الموقف «الكردي الخياني» ذريعة لاعتماد سياسة الارض المحروقة مع الأكراد وتطبيق عمليات «الأنفال» (عمليات تقضي بإفراغ المنطقة الكردية، والإسم «الأنفال»، من آية في القرآن الكريم تسمح للمؤمنين التصرف بغنائم الكفار والخونة المهزومين)، ثم ارتكاب مجزرة حلبجة بالاسلحة الكيماوية في ١٦ آذار ١٩٨٨، حيث قُتل وجرح الآلاف بحسب ما تناقلته وسائل الاعلام العالمية. وحلبجة مدينة كردية عراقية يبلغ تعداد سكانها نحو ١٧٠ ألف نسمة.

ولمواجهة هذه الضربات الساحقة للجيش العراقي، أقام الحزبان اللودوان جبهة مشتركة سارت على نحو وفاقي حتى ايار ١٩٩١ حين أقيمت الحكومة المحلية في أربيل.

في أعقاب حرب الخليج الثانية: كرونولوجيا أهم أحداث ١٩٩١-١٩٩٨: «وفي السبعينات والثمانينات وحتى في مفاوضات ١٩٩١ (بين الاطراف الكردية العراقية والحكومة العراقية) التي جاءت بعد حرب الخليج الثانية وتأسيس المنطقة الآمنة عندنا (أي في كردستان العراق) واشتركت فيها الجبهة الكردستانية العراقية (الحزب الديمقراطي والاتحاد الوطني-مسعود البرزاني وجلال الطالباني)، لم يطالب الأكراد بأكثر من الحكم الذاتي (...) إلا ان الذي لمسناه في ١٩٩١ كان تراجعًا واضحًا عما اتفق عليه في ١٩٧٠ (أي في بيان ١١ آذار وقانون الحكم الذاتي) من بنود علنية وسرية خصوصًا في ما يتعلق بتحديد المنطقة الكردية، ووقف تغيير معالمها القومية، ومسألة الأمن والاستخبارات والعمل الحزبي للأكراد داخل القوات المسلحة (...) كما ان الحكم العراقي لم يوافق على صلاحيات تشريعية لمجلس كردستان الاقليمي ولا على مشاركة الأكراد في القيادة الحقيقية أي في صنع القرار العراقي (...) أدت هذه العقبات المهمة إلى عدم الاتفاق بيننا (أي بين الاطراف الكردية) علمًا ان القيادة الكردية تحلت في ١٩٩١ بمرونة في جولات مفاوضاتنا مع الحكومة العراقية» (محمود عثمان، سياسي كردي عراقي، «الحياة»، العدد ١٢٨٩٧، تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٩٨، ص ١٦). والجدير ذكره ان مجلس الأمن الدولي كان قد اتخذ، بصدد المشكلة الكردية في شمالي العراق، القرار ٦٨٨ لسنة ١٩٩١ الذي يدعو إلى حل المشكلة عن طريق الحوار وبالطرق السلمية.

الاحزاب الاسلامية والقومية المعارضة (راجع باب

الآمنة، والربط ليس صحيحاً فالمنطقة الكردية لم تكن آمنة ولا محمية كما يجب وكانت تعاني، ولا تزال، من مشاكل جغرافية وسياسية واقتصادية لا يراها الآخرون من بعيد، كما لا يرون معاناة شعبنا من القرارات الدولية التي أتت بوحى من مصالح الشعب الكردي بالطبع. وساء الوضع كثيراً (نتيجة هذا الاعلان في كردستان العراق بعد الاقتتال الداخلي الذي خلق انطباعاً سلبياً واسعاً) (عمود عثمان، المرجع المذكور أعلاه).

قبل إعلان الفدرالية (٤ تشرين الاول ١٩٩٢)، جرت انتخابات في مناطق كردستان العراق في ايار ١٩٩٢، وافتتح البرلمان في ٤ حزيران ١٩٩٢، كما بدأت ادارة الحكم الذاتي تنفذ بعض الاجراءات الادارية مثل اصدار الطوابع البريدية. وكان المؤتمر الوطني العراقي المعارض عقد مؤتمراً في فيينا (حزيران ١٩٩٢) وذهب إلى الاقرار بمبدأ حق تقرير المصير للشعب الكردي (وهذا المؤتمر كانت تهيمن عليه الاحزاب الكردية). وقد جاء هذا الحق مقيداً بعبارة «دون الانفصال» في إحدى الفقرات، ومن دون قيود في فقرتين أخريين. أما الاجتماع التمهيدي لقوى المعارضة في صلاح الدين - شقلاوة (ايلول ١٩٩٢) فقد اتخذ قراراً بتأييد صيغة حق تقرير المصير ضمن «عراق ديمقراطي موحد». وكانت بغداد تفرض حصاراً اقتصادياً شاملاً على كردستان العراق منذ تشرين الاول ١٩٩١. وفي اوائل ١٩٩٣، بدأ إقليم كردستان العراقي «أشبه ببلد مستقل»، تحميه عسكرياً وسياسياً قوات التحالف الدولي وقرارات مجلس الأمن الدولي، وتقوم فيه «حكومة كردية» و«برلمان كردي» و«سلطة كردية»، ولكنه في الوقت نفسه يتحدث بخوف عن تهديد وزير الدفاع العراقي الفريق علي حسن المجيد (اواسط كانون الثاني ١٩٩٣) بشن هجوم عسكري على منطقة الأكراد: «إن الجيش العراقي على أهبة الاستعداد حالياً لاستعادة سيطرة الدولة على مناطق الشمال والجنوب».

في اواسط ايار ١٩٩٤، اندلعت اشتباكات بين الحزبين الكرديين الرئيسيين: الديمقراطي (البرزاني) والاتحاد الوطني (الطالباني)، اعتبرت الأسوأ منذ قبل ٣٠ عاماً. وكان الحزبان يتقاسمان السلطة نتيجة انتخابات ايار ١٩٩٢، وكان تفاههما عاملاً مهماً من اجل استمرار الحماية الغربية. لكنهما توصلا، في تشرين الثاني ١٩٩٤، إلى اتفاق على تشكيل حكومة جديدة للإقليم تضم ممثلي خمسة احزاب أخرى أقل شأنًا منهما، ليعودا إلى الاقتتال في اواخر كانون الاول ١٩٩٤.

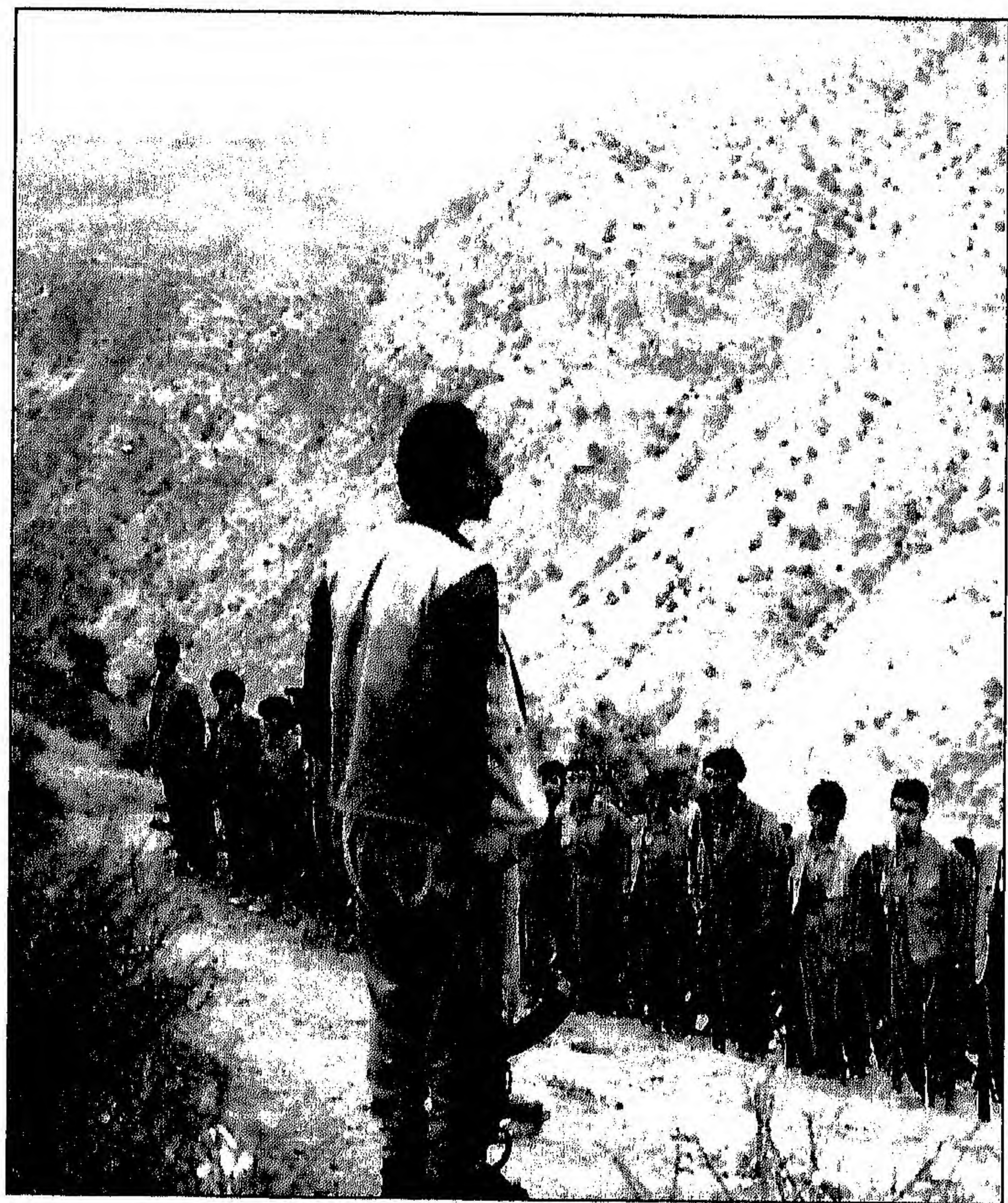
تواصلت معارك الحزبين في كانون الثاني ١٩٩٥، وشملت كل مناطق كردستان العراق تقريباً وخاصة مدينتي أربيل والسليمانية، وأعلن رئيس حكومة الاقليم، رسول علي، ان مصير الحكومة والادارة الكردية في شمالي العراق «مجهول»، وان الادارة غير موجودة عملياً، وان البنك المركزي مفلس. وقد تبادل الحزبان المتقاتلان «تهمة التنسيق مع بغداد» التي كانت تعلن عن سقوط آلاف القتلى بين الأكراد وتتهم التحالف الغربي بتسليح الأكراد.

في ايار ١٩٩٥، مرّ عام على حرب الحزبين (الحرب الأهلية) المستمرة. وفي اواخر هذا الشهر، اتفق الحزبان على هدنة بينهما، لكن المعارك عادت في ١٣ تموز ١٩٩٥. وضغطت واشنطن لعقد لقاء كردي، فعقد في دروغيدا على مقربة من دبلن (ايرلندا، ٩-١١ آب ١٩٩٥)، وقد تضمن بندين أساسيين: تجريد مقاتلي أربيل من السلاح باشراف مراقبين، يليه بعد ٤٨ ساعة تحويل العائدات الحمركية التي يستوفيهما الحزبان الديمقراطي في مركز ابراهيم الخليل على مقربة من زاخو إلى حساب مصرفي باسم حكومة أربيل الكردية (حوالي ٣ ملايين دولار شهرياً). وفشل اللقاء، وأفرز تداعيات، أخطرها بنظر الولايات المتحدة، وصول زعماء الحزبين إلى ايران للتباحث تحت رعاية طهران، وازدياد تعقيدات الوضع الكردي بعد الهجوم الشامل الذي شنه مقاتلو حزب العمال الكردستاني (أوجلان، راجع «تركيا»، ج ٦) على مواقع الحزب الديمقراطي خصوصاً في بادينان في ٢٦ آب ١٩٩٥. فأصبح الصراع الكردي ثلاثياً بعد أن كان ثنائياً.

في لوائل ايار ١٩٩٦، وصف تقرير مسؤول الامم المتحدة في المنطقة الكردية الجنرال بول دال الوضع في المنطقة بأنه «لا سلم ولا حرب». وبعد ايام قليلة من الاعلان عن هذا التقرير، بثت وكالة «الاناضول» للأخبار التركية ان ١٢٠٠ جندي تركي شاركوا في عمليات ضد حزب العمال الكردستاني (حزب كردي في كردستان تركيا برعاية عبد الله أوجلان) في مناطق متاخمة للحدود في شمالي العراق (وكان نحو ٣٠ ألف عسكري تركي شاركوا في عمليات ضخمة في شمالي العراق ربيع ١٩٩٥ في عملية استهلكت «سحق قواعد حزب العمال». وفي اواخر حزيران ١٩٩٦، باشر الاثراك عملية جديدة (٦ آلاف جندي) داخل اراضي الشمال العراقي لطاردة حزب العمال، استمرت لأسابيع. وبعد انتهائها بأيام قليلة، أي في اواخر تموز، هاجمت قوات ايرانية مواقع الحزب الديمقراطي الكردستاني الايراني في مناطق الاتحاد الوطني الكردستاني من شمالي العراق.



مقاتلون أكراد.



مضى شهر آب ١٩٩٦ على اقتتال كردي-كردي وتدخل عسكري تركي وايراني مباشر. لكن اليوم الأخير منه، شهد حدثاً تاريخياً ومصرياً بالنسبة لكردستان العراق وللعراق. إذ دخل الجيش العراقي (قوات الحرس الجمهوري) مدينة أربيل واستعادها بعد خمس سنوات على انسحاب القوات العراقية من أربيل ومدن كردية أخرى. وأكدت بغداد انها عملية «محدودة» هدفها مساعدة الحزب الديمقراطي الكردستاني (مسعود البرزاني) ضد الاتحاد الوطني الكردستاني (جلال الطالباني). وبعد ايام قليلة، رفع الرئيس صدام حسين الحصار الاقتصادي عن المناطق الكردية الذي كان يفرضه منذ تشرين الاول ١٩٩١، ما أدى إلى تحسن فوري لسعر الدينار، إذ ارتفع من ١٣٥٠ إلى ألف مقابل الدولار.

بعد أسبوعين على دخول الجيش العراقي أربيل، أي في ١٥ ايلول ١٩٩٦، برز مسعود البرزاني طلبه الدعم العسكري من بغداد بأن ايران كانت أقامت قواعد عسكرية في جومان وقسري وكلاله في شمالي العراق في إطار اتفاق بين طهران وجلال الطالباني، وقال إن «الطريق الطبيعي لحل المسألة الكردية سيكون مع الحكومة المركزية في بغداد». وكان مسعود البرزاني أكد، قبل ايام، سيطرة حزبه على معظم المناطق الكردية بعد سقوط السليمانية في يده، معلناً استسلام آلاف المقاتلين من حزب الاتحاد الوطني (الطالباني)، والبرلمان الكردي عين، في ١٦ ايلول، رئيس وزراء للأقليم جديداً هو روح نوري شاويس (من الحزب الديمقراطي) خلفاً للكوسرت رسول علي (من الاتحاد الوطني). ونزح آلاف الأكراد إلى ايران. لكن معارك متفرقة استمرت بين الحزبين، وأعلن الاتحاد الوطني، في ١٣ تشرين الاول (١٩٩٦) استعادة مدينة السليمانية.

عودة الطالباني إلى السليمانية مكنته من الجلوس مجدداً على طاولة المفاوضات مع غريمه البرزاني. فاتفقا على هدنة ووقف للنار، ثم باسرا، في آخر تشرين الاول ١٩٩٦، مفاوضات مباشرة في أنقرة برعاية الوسيط الاميركي روبرت بلليتز (مساعد وزير الخارجية الاميركي لشؤون الشرق الادنى)، وحضرها ممثلون عن الحكومتين التركية والبريطانية. وللمرة الاولى شارك في المحادثات بين الحزبين الكرديين الرئيسيين ممثلون عن التركمان استجابة لطلب تركيا التي كانت أصرت على «حماية حقوقهم». وانتهت الجولة الاولى من هذه المفاوضات في ٣١ تشرين الاول ١٩٩٦.

واستمرت الهدنة، وعقدت جولة ثانية من

المفاوضات، ثم ثالثة (منتصف كانون الثاني ١٩٩٧) بين حزبي البرزاني والطالباني. وبدأت واشنطن وأنقرة ولندن كعواصم حامية للأكراد في كردستان العراق بعد انسحاب باريس من التزاماتها بهذا الخصوص. كما بدأ البرزاني متمسكاً بجهوده لإبقاء أفضل الصلات مع حكومة بغداد، والطالباني لإبقاء علاقاته الوطيدة مع ايران.

في ١٤ ايار ١٩٩٧، نفذت تركيا عملية عسكرية أخرى (٥٠ ألف جندي) داخل اراضي شمال العراق ضد «جماعة حزب العمال الكردستاني»، ساعدتها فيها الحزب الديمقراطي الكردستاني (البرزاني)، وتميزت بأن بعض عملياتها حدثت في مناطق حدودية قريبة من ايران، مما حدا بايران إلى تعزيز وحداتها العسكرية في المناطق الحدودية المتاخمة لتركيا. كما كان لافتاً ان هذه العملية تزامنت مع حديث تعمق الحلف التركي-الاسرائيلي، وحديث ضرورة تصفية مناطق شمالي العراق من أي دور لايران، وحديث الضغط التركي على سورية أولاً والموقف العربي بشكل عام ثانياً.

في ايار ١٩٩٨، ثار جدل عراقي-مصري بسبب استضافة القاهرة حواراً عربياً-كردياً عراقياً، دعت إلى عقده في ٢٧ و ٢٨ ايار (١٩٩٨) «اللجنة العصرية للتضامن» (منظمة غير حكومية).

يهود كردستان وعلاقات كردية-اسرائيلية: لقد أشار رحالة وباحثون زاروا كردستان بين القرنين الثاني عشر والعشرين إلى وجود يهود بين المسلمين الأكراد يشاركونهم أنماط حياتهم. وكانت العادات الدينية فقط تميز اليهود عن المسلمين والمسيحيين في كردستان. ومنذ مطلع القرن الثامن عشر تعززت الصلات بين يهود كردستان والمراكز اليهودية في فلسطين. وفي ١٨١٢، هاجرت جماعة من يهود كردستان إلى فلسطين وأقامت في القدس.

ومنذ بداية القرن العشرين هاجر عدد من يهود كردستان إلى فلسطين، وقبل تأسيس الدولة اليهودية في ١٩٤٨ كان في فلسطين نحو ٢٠ ألف يهودي كردي. وبين ١٩٥٠ و ١٩٥١ هاجر إليها نحو ٤٠ ألف يهودي آخرين من كردستان ايران والعراق خلال ما عرف بمجملتي «عزرا» و«نيحيميا». وبين ١٩٧٠ و ١٩٧٣ ساعد الأكراد نحو ٣ آلاف يهودي كانوا ظلوا في بغداد على الفرار عبر كردستان إلى ايران، ومنها سافروا إلى اسرائيل. ويقدر عدد يهود كردستان في اسرائيل، حالياً، بنحو ١٠٠ ألف،

العربي المليء بمختلف تهمة العلاقة مع اسرائيل والصهيونية وايران والشاه الموجهة للأكراد سعيًا للاتصال ولضرب وحدة العراق وحركة التحرر العربية. وبقي هذا الخطاب عاجزًا عن تقديم البراهين الحسية والوثائق الدامغة بسبب الطابع السري والاستخباراتي الذي دمج هذه العلاقة من جهة، والنفي الدائم الذي عكف القادة الأكراد على تأكيده في كل مرة يُسألون عنها من جهة أخرى. حتى كانت سنوات ما بعد حرب الخليج الثانية، فانهالت اثنائها (خاصة في ١٩٩٦ و ١٩٩٧) المؤلفات والأبحاث والدراسات والمقالات والتتريجات والاعترافات، وغالبيتها كتبها ونشرها أو تكلم عليها قادة أكراد أو مسؤولون اسرائيليون شاركوا مباشرة في هذه العلاقات، وكثيرًا ما جاءت مدعومة بوثائق وصور. من جملة ما نُشر كتاب الصحفي الأميركي جوناثان راندل «أمة في شقاق: دروب كردستان كما سلكتها»، عزبه فادي حمود، ونشرته «دار النهار» في ايلول ١٩٩٧، و«مذكرات»، حوار مع محمود عثمان، المنشور الأول للملا مصطفى البرزاني، وكان رافقه في زيارته لاسرائيل في ١٩٦٨ و ١٩٧٣ («الوسط»، العددان ٢٩٨ و ٢٩٩، تاريخ ١٣ و ٢٠ تشرين الاول ١٩٩٧)، والحلقات التي نشرتها الصحيفة الاسرائيلية «يديعوت أحرونوت» في كانون الاول ١٩٩٦، وتناولت تاريخ الاتصالات الاسرائيلية الكردية التي بدأت منذ منتصف الستينات وعلى لسان خمسة مديريين سابقين للاستخبارات الاسرائيلية (موساد)، وكذلك على لسان الكولونيل تسوري ساغوي الذي قال إنه قاد بالفعل في مناسبتين مقاتلين أكرادًا في ١٩٦٦ و ١٩٧٤، أدتا إلى سقوط قوات عراقية كبيرة في مكن وانه أشرف على تدريب المقاتلين على استخدام أسلحة اسرائيلية.

تمت أول محاولة لاقامة اتصال بين اسرائيل والحركة الكردية في العراق في ١٩٦٣ بحسب ما رواه محمود عثمان، وذلك عندما التقى جلال الطالباني (وكان آنذاك عضوًا في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي ومبعوثًا شخصيًا للملا مصطفى) شيمون بيريز في باريس (وكان آنذ وكيل وزير دفاع اسرائيل). وجرى لقاء آخر في ١٩٦٣ عبر الشخصية الكردية المعروفة الامير كامران بدرخان الذي كان استاذ الدراسات الكردية في جامعة السوربون في باريس. وقتئذ أوفد الملا مصطفى البرزاني سكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني آنذاك ابراهيم أحمد إلى باريس حتى التقى سرًا دبلوماسيًا اسرائيليًا. لكن اللقاء لم يتبعه إقامة علاقات بين الطرفين حتى ١٩٦٥ عندما قام

غالبيتهم من كردستان العراق، منهم ٣٥ ألفًا في القدس و٥ آلاف في طبريا و ٧ آلاف في حيفا ومحور ٢٠ ألفًا في مستوطنات، والبقية في أنحاء مختلفة من اسرائيل. وبرز عدد من يهود كردستان في الحياة السياسية والعامية، منهم نواب واعضاء بارزون في الاحزاب السياسية ومجالس البلديات. وكان حبيب شيموني، الرئيس الحالي لمنظمة يهود كردستان المولود في مدينة عقرة الكردية العراقية، نائبًا في الكنيست عن حزب العمل. ولعل أبرز يهودي كردي هو الجنرال اسحق موردخاي وهو من مواليد عقرة ايضًا.

أما بالنسبة إلى تاريخ تواجده اليهود القديم في كردستان، فالارجح انهم وصلوا إلى هذه المنطقة في عهد المعبد الأول. ويعتقد بعضهم انهم احفاد القبائل العشر من اليهود الذين سباهم الآشوريون بعدما دمروا مملكة اسرائيل في ٧٢٠ ق.م. وانضم إليهم يهود السبي البابلي بعد ذلك بـ ١٥٠ عامًا. ومنذ ذلك الحين نشأت في المنطقة مستوطنات يهودية سرعان ما انقطعت صلتها لأسباب جغرافية بالمراكز اليهودية التي كانت موجودة في بابل. ولكن على رغم هذه العزلة استطاع يهود كردستان ان يحافظوا على خصوصيتهم الدينية. وفي القرن الثاني عشر ظهرت بين يهود كردستان حركة مسيحية قاده «مسيحان» كاذبان هما ميعيم بن شلومو ابن روجي ودافيد الروي الذي اطلق اليهود اسمه على أول مستوطنة في كردستان.

وفي القرن الثالث عشر اجتاحت المغول العراق وفرّ عدد كبير من اليهود إلى جبال كردستان حيث بنوا مستوطنات في مناطق منيعة. وقتل يهود كثيرون من عدم الاستقرار القومي المستمر منذ مئات السنين نتيجة للصراع بين الأكراد والعثمانيين، ولكن اليهود لم يتعرضوا لأي اضطهاد ديني من جانب الأكراد المسلمين. وكان على اليهود الراغبين في دراسة اليهودية الانتقال إلى بغداد نظرًا إلى عدم وجود مدرسة دينية (يشيفوت) في كردستان. ولم استطع سوى عدد قليل من يهود كردستان العراق، ممن أقاموا في الموصل وكركوك، أن يوفروا لأطفالهم تعليمًا أوروبيًا بعد الاحتلال البريطاني للعراق (عن كامران قره داغي، «الحياة»، العدد ١١٣٣٣، تاريخ ٢٥ شباط ١٩٩٤، ص ١٨).

أما بالنسبة إلى علاقات أكراد العراق (كردستان العراق) بالدولة اليهودية (اسرائيل)، فيذكر، دون شك، جميع المعاصرين للاحداث الكردية منذ إعلان تمردهم في بداية الستينات، ذلك الخطاب الوطني العراقي والقومي

دافيد كيمحي (الذي تدرج لاحقاً في مناصب دبلوماسية حتى أصبح مديراً عاماً لشؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية، ثم شغل في ١٩٩٦ و ١٩٩٧ رئيس المجلس الاسرائيلي للعلاقات الخارجية) بأول زيارة سرية إلى كردستان العراق والتقى الملا مصطفى. وهذه الزيارة أدت إلى إقامة علاقات بين اسرائيل والملا مصطفى استمرت حتى انهيار الحركة الكردية المسلحة في آذار ١٩٧٥.

وإضافة إلى ما رواه كيمحي، روى ايضاً عضو الكنيست، إلياف، كيف بدأت البعثات الاسرائيلية، منذ ١٩٦٦، بزيارة البرزاني بصورة مستتية، وكيف ساعدته على تنظيم جهاز استخباراته، وأشرفت على تدريب الثوار الأكراد. وشغل الكولونيل موردخان هود منصب المنسق للاتصالات بين الايرانيين والاسرائيليين والأكراد. وفي ١٩٧٢، نشرت صحيفة «هيرالد تريبون» مقالاً ورد فيه ان اسرائيل كانت ترسل شهرياً إلى الملا الكردي مساعدة مالية قدرها خمسون ألف دولار، كان يعملها عبر ايران إلى منطقة حاج عمران ضابط اسرائيل في شعبة المخابرات. وتكتفت الاتصالات الكردية-الاسرائيلية عقب صاوير قانون الحكم الذاتي لمنطقة كردستان، وبعد إبرام معاهدة التعاون والصداقة بين العراق والاتحاد السوفياتي (١٩٧٢). وفي ١٩٧٣، عند نشوب حرب تشرين الاول، طلبت اسرائيل من البرزاني شن هجوم واسع في العراق من شأنه إبعاد العراق عن الجبهة الشرقية، لكن الايرانيين والاميركيين رفضوا الاقتراح. فالايرانيون تخوفوا من ان يحقق الأكراد مكاسب كبيرة تنعكس سلباً من منظور ايران على أكرادها، والاميركيون لأسباب كشف عنها هنري كيسنجر في مذكراته فقال إنه خاف ان يؤدي تسخير جبهة العراق الشمالي إلى التأثير على خطته للتفاوض في حال خسر العرب الحرب عام ١٩٧٣. فهو لم يسمح للأكراد بالاستفادة من الفرصة لتعزيز قدرتهم على المساومة مع العراق بتوسيع الجبهة شمالاً في الوقت الذي كانت الدول العربية في حرب مع اسرائيل.

وبعد اتفاق الجزائر الذي وقعت عليه العراق وايران في ١٩٧٥ لتسوية خلافات الحدود بينهما (شط العرب)، قامت ايران بسحب الوحدات الايرانية التي كانت تحارب في الاراضي الكردية شمالي العراق مع كامل أسلحتها. ويروي دافيد كيمحي في كتابه «الخيار الأخير»: «شاهد قائد القوات الكردية والاسرائيليون بدهشة انسحاب حلفائهم الايرانيين من ميدان المعركة وبرر القادة الايرانيون موقفهم بأن ما يحصل إجراء روتيني لتبديل

القوات وذلك بعد ان أخرجهم قول الحقيقة. وبعد يوم واحد استدعي الممثل الاسرائيلي في طهران إلى مكتب أحد الرسميين الايرانيين وأعلم بالاتفاق الجديد. هكذا واجه الأكراد في الليل بمفردهم الجيش العراقي. وسعت اسرائيل إلى الاستمرار في تقديم المساعدة، بيد ان مساعيها باءت بالفشل بسبب الحدود الايرانية المقفلة. فلم يعد بوسعنا الوصول إلى الأكراد».

في كانون الثاني ١٩٧٧، أصدرت «اللجنة التحضيرية» للاتحاد الديمقراطي الكردستاني (جلال الطالباني) كراساً بعنوان: «تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها»، ورد في الصفحة ٨٤ منه ما نصه: «وأما موضوع العلاقات مع اسرائيل والدوائر الصهيونية والتي تكونت من خلال تلك الجهات الامبريالية والرجعية وبالرغم من انها لم تكن موجهة ضد الأمة العربية بقدر ما يتعلق الأمر بالثورة الكردية إلا انه كان يجب إدانتها بشكل قاطع وصريح باعتبارها خطيئة كبرى بالنسبة لحركة شعبنا الكردي».

في ١٩٧٩، وبمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الملا مصطفى البرزاني، أقامت رئاسة الأركان حفلاً تأييداً له في نادي الضباط في تل أبيب حضره كبار مسؤولي ورئيس الأركان آنذاك، اسحق راين.

وتكررت الحال نفسها في الثمانينات عندما أقدم الأكراد على معارضة حلفاء الأمم الايرانيين في حربهم ضد العراق (حرب الخليج الاولى). لكنهم ما لبثوا ان تحولوا ضحية للجيش العراقي بعد توقيع الهدنة في ١٩٨٨ بين ايران والعراق، وقد هال هذا الجيش تصرف الأكراد وإغفالهم في التمرد والثورة وانهك العراق الذي منحهم من الحقوق القومية قدرًا لا مجال لأن تقاس به أوضاعهم السياسية والقومية في ايران أو تركيا أو أي بلد يتواجدون فيه. والتفسير الذي تلتقي عنده مختلف المصادر والمراجع، بما فيها الاسرائيلية نفسها، ان رأس العراق القوي والعربي والأكثر عداء لاسرائيل هو المطلوب.

في أعقاب حرب الخليج الثانية، برزت اتصالات اسرائيل-كردية مجدداً، وأشارت عدة مصادر إلى استمرار وجود علاقات بين الموساد وجماعات كردية عراقية. ومنذ ظهور منطقة الادارة الكردية في كردستان العراق في أعقاب انتفاضة آذار ١٩٩١، قيل الكثير عن وجود اسرائيل في المنطقة، إلا ان القادة الأكراد نفوا ذلك من دون ان ينفوا «احتمال ان يكون لاسرائيل وجود غير مباشر من خلال العاملين في المنظمات الانسانية في كردستان».

«الحياة» (٢٩ حزيران ١٩٩٧) عن مصادر كردية تأكيداً وجود «ضباط وخبراء اسرائيليين» في شمالي العراق، وإن مهمتهم الآن المساهمة في «تنظيم قوات من المرتزقة تريد تركيا أن تنشرها في كردستان العراق». وسارع الحزب الديمقراطي الكردستاني (زعامة مسعود البرزاني) إلى نفي هذه الأنباء: «نؤكد لجميع المعنيين أن اسرائيل أو أية دولة أخرى لم تشارك في هذه العمليات إطلاقاً». ومثل هذا النفي لم يكن جديداً، إذ كان زعماء هذا الحزب يكررونه منذ ثمر خمسة عقود. ولعل زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني، جلال الطالباني، خرج عن قاعدة النفي هذا عندما تساءل في لقاء له مع «محطة الجزيرة» (١٩ حزيران ١٩٩٧): «لماذا يستنكر البعض على الأكراد علاقتهم مع اسرائيل على فرض وجودها- وإن بعض الدول العربية لديها علاقات معها؟ وهل يعقل أن يكون الكردي أكثر فلسطينية من ياسر عرفات؟».

وفي آب ١٩٩٧، تناقلت الأنباء أن وفدًا اسرائيلياً ضم ثلاثة ضباط وعدداً من المرافقين قام بعملية مسح جوي وميداني لمنطقة الحدود التركية-العراقية في إطار تعاون مشترك بين اسرائيل وتركيا لإنشاء «منطقة أمنية عازلة»، كما أنهم زاروا قاعدة الزاب العسكرية عند الحدود. وقبل ذلك بنحو شهرين، تناقلت الأنباء أيضاً أن لجنة عسكرية اسرائيلية-تركية كشفت في توصياتها عن دور اللجنة «المباشر في الاشراف على الهجوم التركي الواسع ضد الأكراد الأتراك في شمالي العراق». كما كشف النقاب أيضاً عن وجود اتصالات تنسيقية بين الإدارة الأميركية واسرائيل والقيادة العسكرية التركية بخصوص أحداث كردستان العراق.

ونقل رئيس «المجلس الاسلامي الاعلى» في العراق، ومقره طهران، السيد محمد باقر الحكيم إلى صحيفة

معالم تاريخية

فإن النظام الملكي في العراق استمر يعلن رفضه الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة.

وعلى رغم إعلان اتفاق الاتحاد العربي الهاشمي اقتضاره على النظامين الملكيين الهاشميين، فقد طالب رئيس الوزراء العراقي، نوري السعيد، بريطانيا بإعلان استقلال الكويت تمهيداً لضمها إلى الاتحاد والاستفادة من عائلاتها النفطية لتدعيم الاتحاد دون المس بوضعها المشيخي والداخلي. إلا أن هذه المسألة بقيت معلقة حتى انفراط الاتحاد بقيام ثورة ١٩٥٨ التي أطاحت النظام الملكي في العراق.

جاء دستور الاتحاد، رغم حرصه على الظهور بمظهر وحدوي، أقرب إلى الصيغة الكونفدرالية في مسألة

□ الاتحاد العربي الهاشمي: اتفاق اتحادي يضم النظامين الملكيين الهاشميين في العراق والاردن أعلن في ١٤ شباط ١٩٥٨، أي بعد أقل من اسبوعين فقط من قيام الوحدة بين مصر وسورية (الجمهورية العربية المتحدة)، فاعتبر متسرعاً ورد فعل على ما أطلقتها الوحدة من حماس جماهيري عربي في طول العالم العربي وعرضه. وعلى رغم الموقف الودي الذي أبداه رئيس الجمهورية العربية المتحدة، الرئيس المصري جمال عبد الناصر، إزاء «الاتحاد الهاشمي» كما إزاء «أية خطوة على طريق الاتحاد والوحدة القومية»

الإبقاء على السيادة الإقليمية واحتفاظ كل دولة بشخصيتها الدولية المستقلة، ويعلمها وينظم الحكم فيها والتمسك بالتزاماتها الموثيق والمعاهدات الخاصة.

ونصّب هذا الدستور (أعلن في ١٣ ايار ١٩٥٨) ملك العراق رئيساً للاتحاد، وجعل عاصمة دولة الاتحاد متناوبة بين بغداد وعمان، وأقام العديد من الأجهزة والمؤسسات الاتحادية.

□ الآشوريون اليوم: راجع باب الأقليات.

□ الثورات العراقية: أبرز هذه الثورات ثلاث:

ثورة العشرين (راجع هذا الباب)، وثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١)، وثورة ١٩٥٨ التي قضت على النظام الملكي وأقامت «الجمهورية العراقية» (راجع، بصدد الثورتين الأخيرتين، أبواب «النبهة التاريخية» و«الاحزاب» و«زعماء رجال دولة وسياسة»). أما الحركات «الثورية» الأخرى، وفي مقدمتها حركة ٨ شباط ١٩٦٣، وحركة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٣، وحركة الشواف (في الموصل) فقد وصفها البعض بـ«ثورة» والبعض الآخر بـ«انتفاضة»، وآخرون بـ«إنقلاب» (راجع بصدها أبواب «النبهة التاريخية»، و«الاحزاب»، و«زعماء رجال دولة وسياسة»).

أما حركة كانون الثاني ١٩٤٨ فعرفت بـ«وثبة ١٩٤٨» وقامت على أثر توقيع صالح جبر رئيس الوزارة بتوقيع معاهدة بورتسموث مع وزير خارجية بريطانيا أرنست بيغن. ومثلت الوثبة بالمظاهرات الشعبية العنيفة التي عارضت المعاهدة وطالبت بالاستقلال التام وتصفية النفوذ الاستعماري البريطاني. وعندما تصدت السلطة للمظاهرات وقعت مصادمات (معركة الجسر) قتل فيها عدد من المتظاهرين (٢٧ و ٢٨ كانون الثاني)، وسقطت الحكومة وفر رئيسها صالح جبر إلى خارج العراق وغاب مدة غير قصيرة، وتشكلت وزارة جديدة برئاسة محمد الصدر. لكن هذه الوزارة بقيت مدة قصيرة عاد بعدها نوري السعيد إلى الحكم.

□ ثورة العشرين (١٩٢٠): ثورة شعبية نشبت

ضد الاحتلال البريطاني للعراق. وجاءت واحدة في سلسلة الثورات التي شهدتها البلدان العربية (سورية، لبنان، فلسطين، مصر) ابتداء من ١٩١٩ كتعبير عن رفض العرب للاستعمار ولوضع مقررات سايكس-بيكو وسان ريمو موضع التنفيذ.

اندلعت الثورة على أثر إعلان بريطانيا عن نيتها فرض الانتداب تنفيذاً لمقررات مؤتمر سان ريمو. فعقد، في ٢٤ ايار ١٩٢٠، أول اجتماع وطني كبير في منطقة الميدان، وقرر المجتمعون خوض النضال ضد المحتلين الانكليز حتى تحرير البلاد. ولدى اعتقال سلطات الانتداب أحد الخطباء، اجتاحت أنحاء العراق ثورة واسعة، وشرع الثوار يعدمون الضباط والجنود الانكليز ويلصقون على جثثهم مذكرات تطالب بالاستقلال التام للعراق. واتصل قادة الثورة بالمرجع الديني الكبير، في النجف، الامام الشيرازي الذي اصدر فتواه الشهيرة «المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم» (٢٧ ايار ١٩٢٠). وردّت السلطات البريطانية على الإمام الشيرازي باعتقال مجلّه مع عدد من العلماء والقادة وفتهم إلى جزيرة هنجام في الخليج.

في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، انطلقت الرصاصات الأولى للثورة المنظمة (بعد ان كانت عفوية) في الرميثة والتارنجية، ثم تبعتها بقية المدن والقرى العراقية وعلى رأسها مدينة النجف التي كانت القاعدة الأساسية لثورة العشرين. وأنشئ «مكتب الثورة» الذي ضم مختلف القوى السياسية المناهضة للانكليز، وأشرف على تنظيم التحركات الثورية في مختلف أنحاء العراق، وإقامة الادارات المؤقتة لتصريف شؤون المناطق المحررة. وقد امتدت الثورة إلى معظم مدن الفرات الاوسط وقراه، وإلى بغداد والموصل والمنطقة الشمالية.

وفي مواجهة الثورة، حشد المحتلون اعداداً ضخمة من الجنود المجهزين بأحدث الاسلحة، وقد زاد عددهم على ١٥٠ ألفاً، ونتيجة لهذا التفاوت في حجم القوى ومستوى تدريبها وتجهيزها، وبرز بعض الاقطاعية والعشائرية التي راحت تساوّم الانكليز، استطاعت القوات البريطانية القضاء على مراكز الثورة الرئيسية خاصة بعد ان لجأت إلى ضرب المدن والقرى بالطائرات.

كانت النتائج السياسية لهذه الثورة (حزيران-تشرين الاول ١٩٢٠) مهمة للغاية، وذلك على رغم هزيمتها العسكرية، فالمؤرخون يجمعون على أنها:

- ١- اضطرت بريطانيا لتغيير سياستها التي كانت ترمي إلى ضم العراق إلى إدارتها الاستعمارية في الهند.
- ٢- اضطرتها كذلك لتقديم بعض التنازلات منها إقامة حكومة مؤقتة من عناصر تحظى بثقة العراقيين (برئاسة عبد الرحمن الكيلاني) بعد ان تأكد لبريطانيا انها لن

على ان الوعي العربي القومي كان قوة يحسب حسابها».

□ حلف بغداد (السنن): إتفاقية تعاون

عسكري أبرمت (شباط ١٩٥٥)، أول الأمر، بين العراق وتركيا بتأييد قوي من الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة وبريطانيا، ثم انضمت إليها كل من بريطانيا وباكستان وإيران في العام نفسه (١٩٥٥)، واتخذت بغداد مقراً لها. وأنشأت الاتفاقية مجالس وزارية ولجاناً عسكرية واقتصادية، وقد انضمت الولايات المتحدة إلى عضوية اللجان العسكرية والاقتصادية. وقد استهدف الغرب من هذا الحلف منع انتشار النفوذ السوفييتي والشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية، وحماية الأنظمة الصديقة له في المنطقة خشية تنامي حركة التحرر العربي التي أخذت تقوى وتشتد في الخمسينات وتشكل تهديداً كبيراً لمصالحه النفطية المتزايدة ولإسرائيل. وقد كانت سياسة الرئيس المصري جمال عبد الناصر التي توجت بتأميم قناة السويس وسياسة سورية التحررية موضع حقد اطراف هذا الحلف. فكان العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦)، والتحرش التركي بسورية في النصف الثاني من الخمسينات، وأبدى العرب عداً شديداً لهذا الحلف. فاستطاع الاردنيون إسقاط محاولات ضم الاردن للحلف، وقام العراقيون بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فسددوا ضربة قوية للحلف. فانسحب العراق من عضويته رسمياً في آذار ١٩٥٩، الأمر الذي أجبر أعضاء الحلف الآخرين على نقل مقره إلى أنقرة وتغيير اسمه ، في آب ١٩٥٩، إلى «حلف المعاهدة المركزية». وبعد إطاحة حكم الشاه في إيران (مطلع ١٩٧٩) انسحبت الحكومة الإيرانية الجديدة من الحلف، ثم تبعتها باكستان، وبعدها تركيا، ولم يبق فيه سوى بريطانيا، فاعتبر بحكم المنتهي.

□ سكة حديد برلين-بغداد: ان ما يجدر إضافته

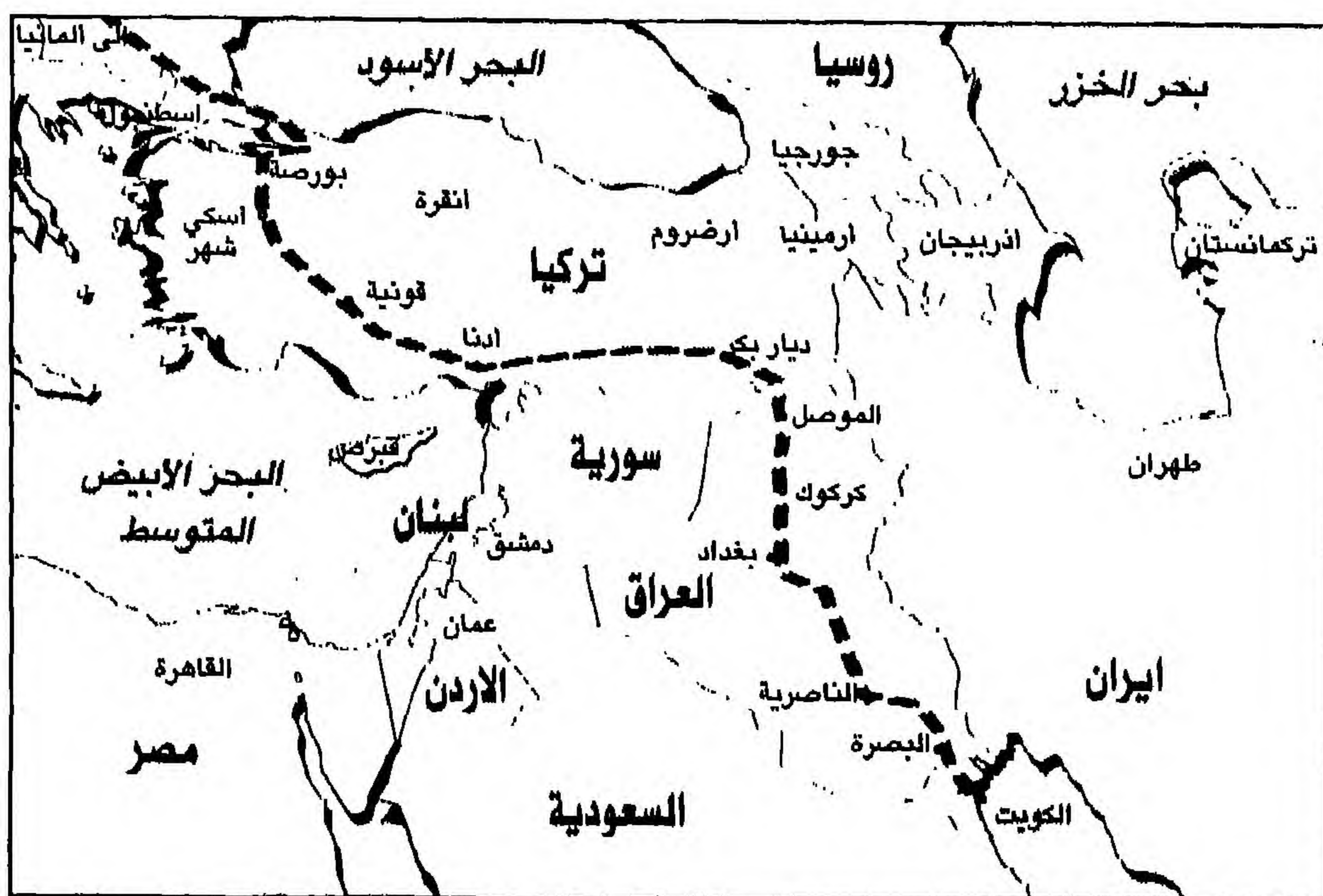
على ما ورد في مادة «المانيا» (ج٣، ص ١٠٠-١٠١) انه في العام ١٩٩٥، وبمناسبة مرور ١٢٥ عاماً على تأسيس البنك الألماني Deutsche Bank، كلف البنك مؤرخين وعلماء تأليف كتاب عن مشاريعه. وقد تضمن الكتاب، في الفصل الثالث، وثيقة خاصة ببناء «خط بغداد». ومما جاء فيها (ترجمة نجم والي، «الحياة»، العدد ٣ ايار ١٩٩٥): «ليس من المبالغة القول إن أكثر التزامات البنك الألماني قوة في الخارج كان مشاركته القائدة في بناء ما أطلق عليه إسم «خط بغداد». ونتيجة لذلك وقع البنك في تشابهات دبلوماسية في البلقان، واصبح حقيقة واقعة

تستطيع بأي حال من الاحوال حكم العراق بشكل مباشر. فاتجهت من جديد إلى الهاشميين، وإلى عائلة الشريف حسين بالذات. وكان فيصل اضطر لمخادرة سورية في ٢٧ تموز ١٩٢٠، أي بعد نحو شهر واحد من اندلاع ثورة العشرين في العراق. وفي آذار ١٩٢١ قرر مؤتمر القاهرة الذي عقده تشرشل لحل مشاكل الشرق الاوسط تعيين فيصل ملكاً على العراق، وعبد الله أميراً على شرقي الاردن.

٣- وثمة نتيجة أخرى لثورة العشرين لا تقل أهمية عن بقية النتائج، وهي في ما اظهرته الثورة من وحدة في صفوف الشعب العراقي حيث وقف العرب والأكراد، السنة والشيعة، صفاً واحداً في مواجهة الاحتلال رغم المحاولات البريطانية التي كانت تعمل جاهدة على تغذية كل ما من شأنه إحداث الفرقة.

أخيراً، ربما كان تقويم جورج أنطونيوس لنتائج هذه الثورة، الذي عاصرها وأرخ لها بمثل ما أرخ لعقود من النهضة العربية حتى الحرب العالمية الثانية، لا يزال التقويم الأساس الذي يستند إليه المؤرخون. فهو يقول («بمقظة العرب»، ط ٢، مترجم إلى العربية، بيروت-نيويورك، ١٩٦٦، ص ٤٨٠-٤٨١):

«وقد يصح القول إن ثورة العراق حققت هدفها الكبير ترواً إذا اعتبرناها ثورة ضد إملاءات الدول المتحالفة، ومضت إثنتا عشر سنة أخرى قبل ان يلغى الانتداب ويتم الاعتراف الرسمي في جنيف بأن البلاد (العراق) أصبحت في منزلة دولة مستقلة ذات سيادة. غير ان البذرة غرست عام ١٩٢٠ عندما قررت الحكومة البريطانية، إزاء الثمن المروع الذي كلفتها إياه الثورة (آلاف القتلى الانكليز)، ان تغير سياستها أو أن تغير خططها العسكرية-في أقل تقدير- وقالت الحكومة إن سياستها الجديدة محض استمرار للسياسة القديمة، وهذه هي الحال عندما تدعن دولة كبيرة لعنف شعب خاضع لها، وفسترت ذلك بقولها، إن غاية الحكومة البريطانية كانت دائماً-وما تزال- إنشاء حكومة عربية في العراق وتنظيم علاقات البريطانيين بتلك الحكومة عن طريق معاهدة تحالف. أما في الظاهر فإن التغير بلغ حد تغيير في المنهج إذ ظلت العلاقة الانتدابية قائمة على ان تنظم بواسطة معاهدة لا بأي وثيقة أخرى تصنعها بريطانيا حسب مزاجها. وكان التغير أساسياً من الناحية العملية لأنه أحيا المبدأ المهم، مبدأ «موافقة المحكومين». ونص على ان موافقة العراق ستكون شرطاً في أي تدبير، وان بريطانيا العظمى ستحاول، في المستقبل، ان تبلغ غاياتها بالمفاوضة بدلاً من الإملاء كما حدث في سان ريمو. وقد دلت الثورة



«سكة حديد برلين-بغداد» تعتبر من أكبر أسباب الحرب العالمية الأولى، ويعود ذلك إلى أنها كانت ستربط أقطار أوروبا والشرق العربي وبلدان الخليج وشبه القارة الهندية في شبكة اقتصادية وصناعية لا مثيل لها. بدأ بناء الشبكة في مطلع القرن العشرين لكن العمل فيها توقف بسبب الحرب العالمية الأولى ولم تستكمل إلا في ١٩٤٠ وتم تدميرها خلال القصف الجوي للعراق في حرب الخليج ١٩٩١ (الخريطة وكلامها من «الحياة»، العدد ١١٦٨٤، ١٠ كانون الثاني ١٩٩٥، ص ١٢).

١٥ آب ١٨٨٨ يستعلم فيها عن المشروع. ولدهشة البنك وصله الجواب من المستشار الألماني بسمارك شخصياً يقول فيه أن حكومة الرايخ ليس لديها اعتراض وانها على استعداد لدعم المشروع دبلوماسياً (...). (ونفذ البنك المشروع حتى مدينة قونيا. وبعدها، توقف المشروع سنوات إذ كانت سياسة بسمارك في الاصل دفاعية وتتبع توازنات في أوروبا، بينما انتهج فلهم الثاني سياسة هجومية في ظل شعار الدعوة إلى «مكان تحت الشمس». وعلى أساس هذه الدعوة اكتسب بناء الخط الحديدي ثقلًا أكبر) فإنه كلما امتد الخط باتجاه بغداد كلما أثار شكوك القوى الأوروبية الكبرى، ولكن السلطان العثماني كان يراهن بالضبط على هذه النقطة (...). وفي ليلة عيد الميلاد من العام ١٨٩٩، أرسل سيمنز برقية إلى زملائه في إدارة البنك في برلين تقول: «اليوم وقع اتفاق بغداد» (...).

ويتفق المؤرخون، اليوم، على أن سكة حديد برلين-بغداد تعتبر من أكبر أسباب الحرب العالمية الأولى،

وكجزء من مساعي الرايخ الألماني لأن يكون قوة عالمية نافذة. ولفت حجم المشروع وحده الانتظار لأن خط سكة الحديد الذي كان قدّر له في الاول ان يربط فقط اسطنبول بأنقرة أصبح تباعاً أكبر مما رُسم له، إذ امتد في النهاية ليمر ببغداد ويصل حتى البصرة. ومنذ البداية أثار المشروع رغبة دولية لأنه ممول من قبل يوت المال الألمانية، ولأن القوى الكبرى في أوروبا، فرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا، كانت تتابع سلفاً مصالح مالية، اقتصادية وسياسية ذات وقع استراتيجي (...). في البداية لم يكن البنك الألماني متحمساً للمشروع، حتى أن الصيغة التجارية للمشروع لم تأت تباعاً من المتحدث باسم البنك الألماني إنما من قبل عضو الهيئة الادارية للبنك ألفريد كارلا الذي كان في بداية ١٨٨٨ في اسطنبول من اجل التباحث لبيع أسلحة للإمبراطورية العثمانية، إذ تعرف على ممثل الحكومة التركية الذي فاتحه بأمله في أن يمول البنك الألماني الخط الحديدي (...). وجه البنك رسالة إلى مكتب الخارجية الألمانية في

والاحصاء والفكاهة والهزل. وحين اضطربت الحياة الصحفية في العراق بسبب كثرة المخاصمات بين أربابها فقد أصدرت حكومة الآستانة أمرها إلى والي بغداد بإسقاط امتياز اية جريدة أو مجلة نال صاحبها امتيازاً بها ولم ينشرها حتى ١٥ آذار ١٩١١، أو نشر أصحابها بضعة أعداد منها ثم توقفوا عن ذلك حتى صدور هذا الأمر.

أما الجرائد والمجلات التي صدرت قبل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها، بالإضافة إلى الزوراء والموصل والبصرة، فقد وصل عددها إلى نحو سبعين، وأهمها: «بغداد»، سياسية، بالعربية والتركية، أصدرها مراد بك سليمان في آب ١٩٠٨، ونشرت آراء جمعية الاتحاد والترقي، وتوقفت عن الصدور في مطلع عامها الثاني. و«العراق»، سياسية عربية أصدرها عبد الجبار باشا الخياط (١٩٠٩). و«الدستور» (١٩١٢)، أنشأها في البصرة عبد الله أفندي الزهير لتكون لسان حال جمعية الإصلاح التي أسسها في البصرة طالب النقيب. و«صدى الدستور» (١٩١٣)، أصدرها عبد الوهاب الطباطبائي بمناسبة انتخابه عضواً في مجلس المبعوثان. و«النهضة» (١٩١٣)، أنشأها مراحم أمين الباجه جي وإبراهيم حلمي العمر بعد تزايد النزعة القومية في العراق على أثر انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس، وعطلتها الحكومة بعد ظهور عددها الحادي عشر فهرب صاحبها إلى البصرة والتجأ إلى طالب النقيب. وأما الجرائد والمجلات التي صدرت بعد الاحتلال البريطاني للبصرة في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٤ حتى نهاية ١٩٣٣، وكانت سياسية، فقد وصل عددها إلى ٦١ جريدة ومجلة. منها: «الرافدان» (صدرت في أيلول ١٩٢١ لصاحبها سامي خورندي، واشتهرت بكتاباتاتها الوطنية الصارمة، وعطلها المندوب السامي وأبعد صاحبها إلى جزيرة هنجام في الخليج)، و«الأمل» (صاحبها الشاعر معروف الرصافي)، و«العالم العربي» (اشتهرت بانتصاراتها لقضايا الشعب ومكافحتها للصهيونية وبتراجمها لكل ما يكتب عن العراق بالانكليزية والفرنسية)، و«نداء الشعب» (١٩٢٦)، لسان حال حزب الشعب الذي ألفه ياسين الهاشمي، وعرفت بمعارضتها الشديدة للمعاهدة العراقية-البريطانية)، وتوالى صدور الجرائد الناطقة باسم الأحزاب التي كانت تتشكل، الموالية منها أو المعارضة، منها «صدى العهد» (لسان حال حزب العهد الذي ألفه نوري السعيد في ١٩٣٠)، و«صدى الاستقلال» (١٩٣١)، لسان حال الحزب الوطني العراقي). أما الصحف غير السياسية التي عابلت قضايا اجتماعية وأدبية وفنية وعلمية والتي صدرت في الفترة

ويعود ذلك إلى أنها كانت ستربط أقطار أوروبا والشرق العربي وبلدان الخليج وشبه القارة الهندية في شبكة اقتصادية وصناعية لا مثيل لها. وبدأ بناؤها (أي استكمالها من قونيا باتجاه بغداد) في ١٩٠٣ عندما حصلت على هذه الصلاحية «شركة خط بغداد» التي تأسست في العام نفسه، وتحددت مدة ثماني سنوات للانتهاء من أعمال البناء بتكاليف قدرها ٤٥٠ مليون فرنك. لكن العمل استلزم مدة أطول من ثماني سنوات، ثم توقف بسبب الحرب العالمية الأولى، ولم يُستكمل إلا في ١٩٤٠. وقد تم تدمير خطوط السكة خلال القصف الجوي للعراق في حرب الخليج الثانية ١٩٩١.

□ الصحافة في العراق: ورد على لسان بعض

الرحالة الاجانب تلميحات وإشارات إلى ان أول صحيفة ظهرت في العراق كانت تعرف باسم «جورنال العراق» التي أنشأها داود باشا الكرجي عندما تسلم منصب الولاية في ١٨١٦، وكانت تطبع في مطبعة حجرية، وتنتشر في اللغتين العربية والتركية، ويُذاع فيها وقائع القبائل وأخبار الدولة العثمانية وقوانين البلاد.

إلا أن أغلبية المؤرخين يؤكدون انه لم يكن في العراق، قبل إعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨، غير ثلاث صحف كانت تنشرها الحكومة العثمانية في اللغتين العربية والتركية مرة في كل اسبوع، وذلك في الولايات الثلاث: بغداد والبصرة والموصل. أما هذه الصحف فهي: - «الزوراء» التي أنشأها الوالي مدحت باشا في بغداد وجلب لها مطبعة آلية من باريس سماها مطبعة الولايات، وقد صدر عددها الأول في ١٦ حزيران ١٨٦٩ واستمرت تصدر بانتظام مدة ٤٩ عاماً، أي إلى ان احتل الجيش البريطاني مدينة بغداد فجر ١١ آذار ١٩١٧. - «الموصل»، وصدرت في الموصل عام ١٨٨٥ واحتجبت قبل إعلان هدنة مونروس في اواخر تشرين الأول ١٩١٨. - «البصرة»، وظهرت في ١٨٨٩ باسم عماد علي المعروف بـ جلي زاده، وفي ١٨٩٥ تولت الحكومة إصدارها، واحتجبت بعد احتلال الانكليز البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤. فمع هذه الصحف الثلاث بدأ عهد العراقيين بالصحافة في تاريخهم الحديث.

ولما أعلن الدستور العثماني (١٩٠٨)، أقدم المفكرون في العراق على إصدار سلسلة طويلة من الجرائد والمجلات حتى بلغ عددها في سنة واحدة نيفاً وخمسين صحيفة في مختلف الموضوعات: في السياسة والعلم والأدب

نفسها (١٩١٤-١٩٣٣) فقد بلغ عددها نحو ٨٦ صحيفة. ومن أبرز كتاب المقال السياسي الذين شاركوا في التحرير والكتابة طيلة فترة ما بعد ثورة العشرين حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية: باقر السبيسي وعبد الغفور البدري وسامي نخوندي ومحمد عبد الحسين وفهمي المدرس وابراهيم صالح شكر وابراهيم حلمي العمر وروفايل بطي وعثمان قاسم وسليم حسون وعبد رضا الشبيبي وعبد اللطيف الفلاحوي ويوسف رجب وجعفر أبو التمن، وغيرهم.

أما في سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٤-١٩٣٩) لم يُكتب عن الصحافة العراقية شيء يذكر حتى كانت ثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١). ويعبر التصريح الذي أدلى به الوصي طه الهاشمي المكلف تشكيل الوزارة في ٦ شباط ١٩٤١ عن وضع الصحافة العراقية في هذه السنوات السابقة للثورة: «إن الصحافة حرة، غير أن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم، والتي لا بد للعراق أن يجتازها بسلامة، تتطلب اليقظة، فقد أصدرت الحكومة عدة مراسيم في بدء نشوب الحرب، وفيها أحكام للسيطرة على الصحافة، وقد أصبح من حق الحكومة، استناداً على تلك المراسيم، أن توقف كل صحيفة عند حلها إذا خرجت عن الخطة المرسومة...».

كانت معظم الصحف العراقية، إذاً، قبيل ثورة ١٩٤١ تحاول البقاء ضمن التوازن بين الأحداث، وكانت جرأة الصحف الوطنية مقصورة على التلميحات، بحيث لا تستثير السلطة والسفارة البريطانية. ومع قيام الثورة وتكليف الكيلاني برئاسة حكومة الدفاع الوطني، وقفت أكثرية الصحف إلى جانبها. وبعد فشل هذه الثورة، توقف بعضها عن الصدور كجريدة «الجهاد»، وجريدة «اليوم»، وانقلب البعض الآخر وأصبح بوقاً للسلطة الحاكمة حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، كجريدة «العراق» و«الأخبار» و«صوت الحق». ومع ذلك، تمكنت الصحف الصادرة عن الحزب الوطني الديمقراطي (الاهالي، صوت الاهالي، صدى الاهالي، نداء الاهالي) وحزب الاستقلال (نواء الاستقلال، صدى الاستقلال)، وحزب الاحرار (الاحرار)، وحزب الاتحاد الوطني (السياسة، صوت السياسة)، وحزب الشعب (الوطن)، أن تعبر بأسلوب جديد امتاز بتضمينه مفاهيم سياسية جديدة فرضت تعابير جديدة كانت معدومة في صحافة ما قبل الحرب العالمية الثانية. إلا أن هذه الصحف ألغى معظمها إثر تجميد النشاط الحزبي في ١٩٤٧.

بعد ثورة تموز ١٩٥٨، صدرت «البلاد»، و«الأخبار»، و«الحرية»، و«اليقظة»، و«الجمهورية»، و«صوت الاحرار»، و«الثورة»، و«الزمان»، و«اتحاد الشعب»، و«الاهالي» و«نخبة بات»، وذلك في الأشهر الأولى من الثورة، وأدخل الصحفيون لأول مرة نوعاً جديداً من المقال ويعرف بالتحقيق الصحفي أو الريبورتاج. وشهد العام ١٩٦٧ ولادة القطاع العام في الصحافة، حيث أعلن عن قيام المؤسسة العامة للصحافة والطباعة (قانون رقم ١٤٥ للعام ١٩٦٧ الصادر عن مجلس قيادة الثورة). وصدرت عدة صحف عن المؤسسة، أبرزها: «الجمهورية»، و«الثورة العربية»، و«المواطن»، و«المساء»، و«بغداد أوبرفر» (بالانكليزية)، إضافة إلى مجلة «ألف باء». وبعد ١٩٦٨، أعيد تنظيم الصحافة والمؤسسات الصحفية، فأسست أكثر من دار صحفية، منها: دار الجماهير للصحافة، ودار الثورة، وسمح للأحزاب السياسية ضمن الجبهة الوطنية بقيادة حزب البعث بإصدار صحف خاصة مثل جريدة «التأخي»، و«العراق حاليًا» التي نطقت باسم القوى الوطنية الكردية، و«طريق الشعب» بلسان الحزب الشيوعي العراقي، إضافة إلى عدد من المجلات الدورية الأسبوعية والشهرية (من دراسة بعنوان «الصحافة العربية» كتبها مؤلف هذه الموسوعة في ١٩٨١ و١٩٨٢، إبان عمله في «موسوعة السياسة» التي وردت في جزئها الثالث، ط ١، ١٩٨٣، ص ٦٠٤-٦٠٨).

وقبيل اندلاع حرب الخليج الثانية (١٩٩٠)، كانت أهم الصحف اليومية الصادرة في العراق: «الثورة» (جريدة حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم)، و«الجمهورية»، و«العراق» (ناطقة باسم الأكراد)، و«بغداد أوبرفر» (بالانكليزية). وكان هناك عدد كبير من المجلات والصحف الأسبوعية المختصة. فالمجلات الأدبية والفكرية بلغ عددها خمسين بالعربية، وواحدة بالكردية، والفنية واحدة، والمهنية إثنان، والعلمية واحدة، والرياضية إثنان، والمختصة للأطفال واحدة. أما الصحف والمجلات الدورية: الأدبية والفكرية العربية ٤٧، والكردية ٤، والتركمانية واحدة، والسريانية واحدة. والصحف المهنية ١٤، والعلمية ٢٤، وهناك ٢ للرياضة، وكلها بالعربية.

□ الضباط الاحرار (العراقي): تنظيم عسكري ثوري وطني سري عراقي، دفعت إليه جملة أسباب: المراقبة المقرّبة على إخماد ثورة ١٩٤١ وإعدام قادتها، تخاذل الحكومة في حرب فلسطين (١٩٤٨)، استخدام الجيش

بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة في حال تعرض الثورة إلى تدخل مناوئ من دول حلف بغداد. وسنحت فرصة تفجير الثورة عندما أقدمت قيادة الجيش على نقل بعض القطعات العسكرية التي يسيطر عليها الضباط الاحرار باشراف قاسم وعارف إلى الاردن عبر بغداد عشية ١٣-١٤ تموز ١٩٥٨. وقد تولى عبد السلام عارف صباح ١٤ تموز عملية الاستيلاء على المرافق الحساسة وإذاعة البيان رقم واحد من الاذاعة. ومن ثم توجهت وحدة صغيرة لاحتلال القصر الجمهوري. ولما كانت الاحزاب الوطنية على علم بالثورة، راح مؤيدوها والجموع يتدفقون على الشوارع ويساندون حركة القوات المسلحة، ما أضفى على هذه الحركة طابع الثورة الشعبية.

□ الضباط الشريفيون: مجموعة من الضباط

العرب (العراقيين) الذين كانوا في الجيش العثماني والتحقروا من خلال جمعية العهد العسكرية السرية بالثورة العربية الكبرى (١٩١٦)، وانتقلوا مع الأمير (ثم الملك) فيصل إلى سورية، ثم إلى العراق حيث شكلوا ركنية نظام الملك فيصل. فمنهم من أصبح رئيساً للوزراء، مثل جعفر العسكري ونوري السعيد وجهل المدفعي وعلي جودت الايوبي (راجع باب «زعماء»). ويقدر مجموعهم بنحو ٣٠٠ ضابط، معظمهم من مناطق بغداد والحجاز، ويتمون إلى الطبقات المتوسطة أو ما دونها. وكان توجههم السياسي والاداري متأثراً بنموذج تركيا الفتاة وبالرغبة في التشبه بالطريقة الاوروية والقومية العلمانية. لذلك، اصطدموا بالعائلات والعشائر والقوى التقليدية. وقفوا إلى جانب الملك فيصل عندما أخذ يطالب الانكليز، بعد ستة أشهر من تنصيبه ملكاً (١٩٢١) بالصدقة والتحالف عوضاً عن التبعية الاستعمارية والانتداب، فكانوا في صف العناصر الوطنية وعلماء الشيعة. وتكرر الموقف نفسه بالنسبة إلى مسألة تقوية الجيش العراقي في ١٩٢٩. وعندما شكل نوري السعيد وزارته الاولى (١٩٣٠) احتل الضباط الشريفيون خمسة من أصل ستة مناصب وزارية.

غير ان محيي نوري السعيد إلى رئاسة الوزارة قرّبه من الانكليز، فأخذ الملك فيصل بعد سنتين من توليه الوزارة يراقب بحذر نمو سلطة نوري السعيد الذي توسع في تطهير الجيش والادارات الكبرى لصالح تقوية نفسه والمقرين منه. وعندما خلف الملك غازي الملك فيصل ضعف نفوذ القصر في البلاد وبدأ الجيش والضباط الشريفيون يتدخلون بالسياسة بشكل سافر، الأمر الذي أثر على وحدتهم

ضد المتظاهرين في بغداد، دخول العراق حلف بغداد، تحالف الحكم مع بريطانيا والغرب في العدوان الثلاثي على مصر، وانطلاق أفكار وتيارات التحرر والعروبة والوحدة ونمو الحركات الوطنية والسياسية.

في ١٩٥٢، بدأ الضباط رفعت الحاج سري نشاطه عن طريق تنظيم رفاقه من سلاح الهندسة، وأصر على اعتماد استقلالية الحلقات وسريتها. وخلال سنوات قليلة استطاع هو ورجب عبد المجيد تنظيم العديد من الحلقات السرية واستقطاب بعض الضباط الشباب من أمثال ناجي طالب (أمر المدرسة العسكرية) ومحسن حسين الحبيب أمر المدفعية الثقيلة في معسكر الرشاش. وفي اواخر ١٩٥٦ تكاثرت عدد الضباط المنتمين إلى حلقات التنظيم (وخصوصاً بعد تأميم قناة السويس والعدوان على مصر)، الأمر الذي استوجب تسمية لجنة عليا ضمت محي الدين عبد الحميد (رئيساً) وناجي طالب وطارح يحيى ورجب عبد المجيد وعبد الكريم فرحان ووصفي طالب وصبيح علي غالب ومحمد سبع ورفعت الحاج سري. وقد شكلت اللجنة العليا لجنة عسكرية لاعداد الخطط الضرورية للقيام بالثورة، وأخرى سياسية لدراسة الاوضاع الداخلية والدولية وجمع المعلومات التي تساعد على وضع الحلول للمشاكل السياسية والاقتصادية التي سوف تواجه الثورة عند نجاحها.

ويلاحظ انه حتى تاريخ تكوين اللجنة العليا لم يكن كل من عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، اللذين لعبا دوراً قيادياً رئيسياً في ما بعد، قد انضموا لقيادة تنظيم الضباط الاحرار لوجود وحدتهما التابعة للفرقة الثالثة في المفرق (الاردن). ولكنهما انضموا إلى التنظيم في ١٩٥٦، وبعد شهور قليلة، انضمت مجموعة تضم نحو ٨٠ ضابطاً من ذوي الرتب الصغيرة. وبدأ التعاون (١٩٥٧) بين الضباط الاحرار وجبهة الاتحاد الوطني التي ضمت الاحزاب الوطنية والاشتراكية المعارضة. وكان الضباط البعثيون انضموا إلى الضباط الاحرار بقرار من الحزب.

في شباط ١٩٥٨، أوفدت اللجنة العليا، تمسحاً منها لامكانية تدخل حلف بغداد، صديق شنشل، رئيس حزب الاستقلال وعضو جبهة الاتحاد الوطني (وهي الجبهة التي تضم اللجنة العسكرية وأعضاء من الاحزاب الوطنية والاشتراكية المعارضة)، إلى القاهرة ومفاتيح الرئيس جمال عبد الناصر والسوفييات في الأمر. وحصل شنشل على وعد من الرئيس جمال عبد الناصر والسفير السوفيياتي بالدعم والمساندة، الأمر الذي دفع اللجنة العليا لاتخاذ قرار

زراعية بالغة لانه يسقي أهم منطقة لبساتين النخيل في العالم (٧ ملايين نخلة مشمرة). وقد شقت حوله آلاف الجداول منذ الفتح الاسلامي. وكذلك، لشط العرب أهمية عسكرية وتجارية مرتبطة بالمنافذ الخارجية.

أنشأ البرتغاليون (وهم السباقون في غزو الخليج) وكالة تجارية في البصرة ١٦٢٢. وبعدهم، وصل الهولنديون إلى الخليج وشط العرب ودخلوا البصرة وأنشأوا وكالة تجارية ١٧٣٠ وبقيوا هناك حتى ١٧٥٣. ثم سارع الفرنسيون والانكليز لأخذ حصصهم من المنطقة وكانوا يصطدمون بسيادة الاتراك على العراق حتى اوائل القرن العشرين. لكن إمارة عربية، هي إمارة الحويزة، ظلت تسيطر على شط العرب حتى بعد ان افتتح الاتراك العراق في ١٤٥٣. فكانت السفن تدفع الضريبة إلى أمير الحويزة. وكانت الضفة اليمنى من شط العرب تخضع لسيطرة العرب منذ عهد الجلائريين في العراق حتى استيلاء العثمانيين على البصرة وتحويلها إلى ولاية عثمانية ١٥٤٦. وفي معاهدة «قصر شيرين» بين تركيا وفارس في ١٦٣٩، لم ترد أي إشارة إلى شط العرب، ذلك انه كان يخضع للسيادة العربية الخارجة عن نفوذ الفرس والاتراك معاً. فالفرس كانوا منذ عهد الصفويين يطلقون إسم «عربستان» على كامل اقليم الأهواز، وهو اعتراف صريح منهم بعروبة هذا الاقليم. وعندما ظهرت قبائل «بنو كعب» في منطقة شط العرب والأهواز واستقرت فيها (منذ اوائل القرن الثامن عشر) تعاضمت المقاومة العربية في وجه الاتراك والفرس وضد الحملات الانكليزية، خاصة أيام الشيخ سلمان بن سلطان (١٧٣٧-١٧٦٧).

راحت بريطانيا، مع تعاضم نفوذها في القرن الثامن عشر، تتدخل في قضايا الحدود بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية بشكل يؤمن لها الهيمنة على الطرق المائية، بينها شط العرب. فأوعزت إلى أحد دعاتها، أوسن هنري لايمارد، الرحالة والدبلوماسي ومنقّب الآثار في نينوى (راجع «آثار العراق» في باب مدن ومعالم)، بوضع مشروع تحديد الحدود العثمانية-الفارسية في شط العرب. وكان مما تضمنه ذلك المشروع ان تكون منطقة شط العرب والأحمر تابعة للدولة العثمانية، وان يُعطى نهر بهمنشير إلى ايران. وهذا النهر هو فرع من نهر كارون يصب في الخليج وليس في شط العرب. ولقد نشر لايمارد مشروعه ذاك في المجلد السادس عشر من مجلة الجمعية الجغرافية الملكية في لندن ١٨٤٨ بعنوان «وصف ولاية خوزستان». وتتابع بعد ذلك الاتفاقات والمعاهدات

ونماسكهم. ذلك ان بكر صدقي وعبد اللطيف نوري قائدَي انقلاب ١٩٣٦ كانا ينسبان لهذه المجموعة، وكذلك صلاح الدين الصباغ ورفاقه قادة ثورة ١٩٤١. وعندما وقع انقلاب بكر صدقي التجأ نوري السعيد إلى السفارة البريطانية ومن ثم ذهب إلى مصر. وبعد القضاء على الانقلاب عاد نوري السعيد وبدأ في ١٩٣٨ يحاول إقناع صلاح الدين الصباغ بفرض سلطة الجيش على حكومة جميل المدفعي. وفي اواخر ١٩٣٨، عاد نوري السعيد إلى رئاسة الوزارة وأخذ يتآمر على الملك غازي الذي كان يميل إلى رشيد عالي الكيلاني، الأمر الذي قرّبه من الأمير عبد الله. وقد ايد تحالف نوري وعبد الله بعض الضباط الشريفيين، وعُين الأخير وصياً على العرش نظراً إلى صغر سن ابن غازي (الملك فيصل الثاني). ولكن هؤلاء الضباط انقلبوا على هذا التحالف فضعف نوري السعيد وعبد الله وهربا من العراق إبان ثورة ١٩٤١ ولم يعودا إلا بعد التدخل البريطاني العسكري المباشر. وفي الفترة التي تلت عودة نوري السعيد تحول الكثير من الضباط الشريفيين الذين استمروا في الحكومة والجيش إلى الطبقات العليا المالكة في المجتمع عن طريق المخصصات التي كانت تأتيهم من الشركات الكبرى والملاكين الكبار. وفي الخمسينات بدأت مجموعة الضباط الاحرار تتكون كاستمرارية للاتجاهات الوطنية عند الضباط الشريفيين الذين قاموا بثورة ١٩٤١ (عن «موسوعة السياسة»، ج٣، ط١، ١٩٨٣، ص٧٢٩-٧٣٠).

□ مجازر كركوك (١٩٥٩): راجع «الحزب

الشيوعي العراقي» في باب الاحزاب.

□ مجازر الموصل (١٩٥٩): راجع «عبد

الروهاب الشواف» في باب الزعماء.

□ مسألة شط العرب: بالتقاء مياه دجلة

والفرات تكونت مياه شط العرب الذي يصب في الخليج والذي يبلغ طوله ٢٠٤ كلم، ويتفاوت عرضه من كيلومترين عند المصب إلى كلم واحد عند البصرة. والملاحة صالحة فيه للبواخر البحرية ذات المغطس ٣٢ قدماً، وذلك من مصبه في الخليج حتى ميناء المعقل قرب البصرة لأن عمق المياه في هذه المسافة يتراوح بين ٩-١٨ م. ويعود جزء كبير من أهمية الخليج العربي الدولية إلى شط العرب كمدخل إلى العراق. وله كذلك أهمية

ظلت مسألة الحدود بين الحكومة العراقية وفارس عابئة ومثار خلاف، إلى أن عرض العراق الأمر على عصبة الأمم التي أوصت في ٢١ كانون الثاني ١٩٣٥، بعد مناقشات طويلة، بحل النزاع عن طريق المفاوضات المباشرة. وقد كانت نتيجة ذلك عقد معاهدة ١٩٣٧ (وهي المستند أو الوثيقة القانونية الرابعة والأهم) التي أصبحت نافذة المفعول في ١٩٣٨ بعد أن صدقها الطرفان (العراقي والبريطاني) وفق الأحكام الدستورية لكل من البلدين وتبادلا وثائق الإبرام (عن عباس عبود عباس، كتاب «أزمة شط العرب»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٧٣).

«أعلنت هذه المعاهدة، في مقدمتها، على الرغبة في تمثيل أواصر الصداقة الأخوية بين العراق وإيران، وحددت الغرض من عقدها بوضع حد حاسم لمشكلة حدودهما المشتركة. أما بالنسبة إلى الوثائق السابقة فقد اعتبرت المعاهدة أن بروتوكول القسطنطينية لسنة ١٩١٣ ومحاضر جلسات لجنة تحديد الحدود المؤرخة عام ١٩١٤ ووثائق شرعية وملزمة للطرفين (مادة ١). ولكن المعاهدة عدلت خط الحدود في شط العرب، فحصلت إيران بذلك على مكسب جديد بموافقة العراق، على أن يكون هذا الخط هو خط الشالوج لمسافة ٧ كلم تقريباً مقابل عبادان. ومن تفحص بمجمل الأحكام الواردة في نص هذه الوثائق يتأكد أن شط العرب موضوع ثقت سيادة العراق من مصبه حتى نقطة تكونه باستثناء حوالي ١٤ كلم يشترك البلدان في السيادة عليها، سبعة منها مقابل ميناء عبادان حيث خط الشالوج هو خط الحدود، وسبعة أخرى مقابل ميناء الحمرة حيث يكون خط الحدود هو منتصف مجرى المياه» (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٣، ط ١، ١٩٨٣، ص ٤٧٩).

في ١٩ نيسان ١٩٦٩، انفجرت أزمة حدود جديدة بين العراق وإيران عندما أعلن وكيل وزارة الخارجية الإيرانية أمام مجلس الشيوخ الإيراني نقض إيران لمعاهدة ١٩٣٧. وبعد أشهر (١٩٧٠)، أعلن شاه إيران عن إلغائها من جانب واحد. وقد صاحبت ذلك، وعلى مدى شهور طويلة، تهديدات ومطالب من جانب إيران تتعلق بالملاحاة في شط العرب وبإعادة تعيين الحدود المشتركة. وكانت الولايات المتحدة الأميركية قد توصلت إلى وضع يدها على أكثر من ٨٠٪ من النفط الإيراني.

«في ١٩٧٥، عقد إتفاق جديد بين العراق وإيران في الجزائر، وتألف من ثلاث مواد: ١- انسحاب القوات الإيرانية

الخاصة بالحدود بين الدولة العثمانية وفارس حتى سنة ١٩١٣ عندما تم التوقيع على بروتوكول الأستانة (القسطنطينية).

وما لبث أن دخل في أواخر القرن التاسع عشر عامل مهم للغاية على مسار المفاوضات والاتفاقيات، وهو اكتشاف النفط واستعماله كأداة رئيسية للطاقة، وما نجم عن ذلك من تنافس بين الدول الاستعمارية.

فحين استطاع وليم نو كس دارسي، انكليزي من أستراليا، أن يحصل على امتياز للتنقيب عن النفط في إيران، عملت بريطانيا ما بوسعها لأن تنتزع الامتياز من وليم دارسي. وتمكن أحد رجال مخابراتها، وهو اليهودي سلمي روز نبلوم من خداع وليم دارسي وحمله على التنازل عن امتياز له لجمعية تبشيرية مسيحية وهمية. وهكذا استأثرت بريطانيا وحدها بمنابع النفط الإيراني. فتضاعفت لديها أهمية شط العرب، طريق نقل النفط الإيراني إلى الخليج ثم إلى أوروبا. فظلت تضغط باستمرار على الحكومة العراقية في العهد الملكي حتى حملتها على عقد معاهدة ١٩٣٧.

وقبل تبيان أهم ما ورد في هذه المعاهدة (١٩٣٧) بخصوص الحدود، وشط العرب خاصة، نذكر أنها استندت على وضع قانوني يعود، بصورة خاصة، إلى معاهدة أرضروم الثانية في ١٨٤٧، المعقودة بين الدولة العثمانية وفارس بواسطة كل من روسيا وبريطانيا، والتي وضعت تحت السيادة الفارسية مدينة الحمرة ومينائها وجزيرة الخضر (عبادان) والأراضي التي تقع على الضفة الشرقية لشط العرب، كما نصت على حرية الملاحة للسفن الإيرانية في الشط من مصبه حتى التقاء حدود البلدين. لكن تنفيذ هذه المعاهدة اصطدم بتعنت الجانبين (العثماني والفارسي) في تفسير نصوصها، وباندلاع حرب القرم الثانية.

أما المستند الثاني لمعاهدة ١٩٣٧ فهو بروتوكول طهران لعام ١٩١١ الذي عاد الطرفان (العثماني والفارسي) إلى الاتفاق على تأليف لجنة مشتركة لوضع خط الحدود بين البلدين على أساس معاهدة أرضروم (١٨٤٧).

ومع المستند الثالث، بروتوكول القسطنطينية لعام ١٩١٣-١٩١٤ الذي دخل في تفاصيل دقيقة (٨٧ محضراً)، استمرت الخلافات على التطبيق، إضافة إلى أن وضعاً مستجلاً مما قد طرأ على الوضع برمته: الحرب العالمية الأولى، هزيمة الدولة العثمانية، الاحتلال البريطاني للعراق، ثم العهد الملكي العراقي وتأليف حكومات وطنية عراقية.

من الاراضي العراقية المحتلة (كانت قوات ايرانية دخلت اراض عراقية في الشمال لموازرة المتمردين الأكراد) ٢- وقف الدعم الايراني لجماعة البرزاني ٣- تقسيم شط العرب. كانت كل مادة من هذه المواد مكتملة للأخرى. فخرق الواحدة يعني خرقاً للاتفاق برمته. وقد نفذ الجانب الايراني البنود المتعلقة بشط العرب وبايقاف الدعم للمتمردين الأكراد، لكن نظام الشاه كان قد أطيح به قبل تنفيذ البند المتعلق بالنسحاب القوات الايرانية من الاراضي العراقية. وقد أعلن الخميني رفضه لهذا الاتفاق حتى قبل وصوله إلى السلطة وهو في باريس، ووصفه بأنه اتفاق إمبريالي يرفضه الايرانيون. وبعودته إلى ايران، سارع إلى دعوة الانفصاليين الأكراد إلى استئناف ممردهم في شمالي العراق وعمل على تسليحهم. وعندما طلب العراق انسحاب القوات الايرانية من اراضيه، رفض الخميني هذا الطلب مدعياً انها اراض ايرانية وانه غير معني باحترام اتفاق معقود مع الشاه. وعندما بعث العراق برسالة إلى النظام الايراني لمعرفة ما إذا كانت طهران لا تزال تعتبر الاتفاق (اتفاق الجزائر) قائماً، لم يتلق جواباً. وهكذا، لم يحترم نظام طهران إلا بنداً واحداً من الاتفاق، البند المتعلق بتقسيم شط العرب» (عن مجلة «بغداد» الصادرة باللغة الفرنسية، العدد ٢٧٩، تشرين الاول ١٩٨٨، ص ٢٠ راجع كذلك «النبهة التاريخية»).

□ مسألة الموصل: مسألة جرى الحديث عنها،

ووقعت بصددتها خلافات بعد الاعلان عن انتهاء الحرب العالمية الاولى وتوقيع هدنة مودروس (أو موندروس) في الساعة الحادية عشرة من يوم ١١ تشرين الثاني ١٩١٨، وأقل ملفها بعد تأسيس الدولة العراقية في ١٩٢٠ وتثبيت حدودها في ١٩٢٦. وأعاد الزعماء الاتراك، أخصهم الرئيس التركي سليمان دميريل، فتح ملف هذه المسألة منذ أواخر الثمانينات، وخاصة في أعقاب حرب الخليج الثانية وفي أجواء الظروف الفائقة الصعوبة التي عاشها، ولا يزال، العراق نتيجة لهذه الحرب.

بعد هدنة مودروس التي أنهت الحرب بين الحلفاء والدولة العثمانية، تحركت القوات البريطانية المحتلة للعراق (وكانت بدأت احتلاله منذ ١٩١٤ بدءاً بالبصرة) تجاه الموصل، التي كانت لا تزال خاضعة للعثمانيين، واحتلتها في ٥ تشرين الثاني ١٩١٨ بعدما انسحب منها القائد التركي علي إحسان باشا، والجدير ذكره ان قبل هذا التاريخ كانت لمة معاهدات واتفاقيات عقدت بين الدول الحلفاء، كمعاهدة لندن في ١٩١٥ واتفاقية سان جان دو مودريان في ١٩١٧ تضمنت اقتسام أملاك الدولة العثمانية وذكرت

بعضها ولاية الموصل تحديداً كاتفاقية سايكس-بيكو (١٩١٦) بين فرنسا وبريطانيا. وحسب المذكرات الدبلوماسية التي تبودلت في لندن يومي ٩ و ١٦ ايار ١٩١٦ (في إطار الاتفاق الشهير، سايكس-بيكو) كانت الموصل من نصيب فرنسا. لكن ثمة خلافات ومساومات حول المحاصصة في بلدان المشرق العربي نشبت بين بريطانيا وفرنسا. فـ«صحيح ان اتفاقية سايكس-بيكو نصت على تقسيم العراق إلى منطقتي نفوذ: فرنسية وبريطانية ولكن حين انعقد مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠) لم تعد فرنسا طرفاً في المطالبة به (أي بحصتها في العراق). ومع ان المفاوضات التي بدأت في لندن في كانون الاول ١٩١٨ (حين طلب المستر لويد جورج إلى كليمنصو ان يوافق على ضم شمال العراق وفلسطين إلى منطقة النفوذ البريطاني) لم تؤد إلى تسوية نهائية حيث إن اتفاقية عقدت بعد سقوط كليمنصو في كانون الثاني ١٩٢٠ وتنازلت فرنسا بموجبه عن كل مطامعها الإقليمية في العراق مقابل إطلاق يدها في سورية واعطائها حصة كبيرة من زيت الموصل. وقد تمت المساومة الفرنسية البريطانية فعلاً في سان ريمو، والمؤتمر منعقد، ولما أبرم أمر تلك الصفقة (تم ذلك في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ في اتفاق عنوانه «مذكرة اتفاق بين الميسور فيليب برتلو والسير جون كادمان») منح المجلس الأعلى رسمياً حق الانتخاب على العراق كله لبريطانيا» (جورج انطونيوس، «يقظة العرب»، ص ٤٧٤-٤٧٥).

طوي الخلاف، إذ، بين بريطانيا وفرنسا، حول الموصل الواقعة ضمن الحدود الطبيعية للعراق كما حددها خط بروكسيل، ليبدأ فصل من الخلاف، حول الموصل، بين بريطانيا وتركيا. وولاية الموصل التي هي موضوع الخلاف البريطاني-التركي هي غير محافظة الموصل العراقية الحالية. فالولاية كانت تضم شمال العراق بأسره وتشمل في الوقت الحاضر محافظات الموصل ودهوك وكركوك واربيل والسليمانية.

لم يكن بمقدور الاتراك الدخول في نزاع عسكري مع بريطانيا المنتدبة على العراق بسبب الموصل. لذا التجأت دبلوماسيتهم إلى لعب ورقة أقليات منطقة الموصل، وخاصة الأكراد. إلا ان وزير خارجية بريطانيا اللورد كيرزون واجه هذه الورقة بقوة لقناعته بأن «ضياح الموصل يمر إلى ضياح بغداد والعراق كله، مما يعني الفشل النهائي للسياسة البريطانية في الشرق».

وفي نهاية كانون الثاني واول شباط ١٩٢٣، وفي أجواء رغبة تركيا في إشجاح مؤتمر لوزان، فقد قبلت شطب مسألة الموصل من معاهدة الصلح هذه وإبقائها

الكردستاني من تلك المنطقة». ومفاد هذا الطرح ان يتم تصحيح الحدود التركية-العراقية، بحيث يعد خطها الجديد عن قمم الجبال الفاصلة بين البلدين لينزل إلى سفح الجبلين من الاراضي العراقية، وهو ما يعني توسيعاً جغرافياً للارض التركية على حساب الاراضي العراقية، وتحديدًا في ما يخص ضم ولاية الموصل. وكان العراق يرد بعنف على هذه الدعوات التركية الصادرة عن «الانكشاري المريض»، ويحذر من «لعبة التقسيم»، ومن أن «بلور التقسيم في تركيا أكثر». ولوحظ ان الاوساط السياسية ووسائل الاعلام في تركيا توقفت، منذ اواسط ايار ١٩٩٥، عن تداول موضوع الحدود (راجع «مسألة الموصل» في تركيا، ج٦، ص ٢٧٦-٢٧٧).

□ المعاهدات العراقية-البريطانية: سبع معاهدات

عقدت خمس منها إبان الحكم الملكي الفيصلي في ظل الانتداب البريطاني.

الاول (تشرين الاول ١٩٢٢): جاءت في أعقاب الثورة العراقية الكبرى المعروفة بثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني الذي بدأ أثناء الحرب العالمية الاولى ونقض بريطانيا لوعودها السابقة لحق العرب في التحرر والاستقلال والوحدة مقابل دخولهم الحرب ضد العثمانيين وحلفائهم في دول المحور. فجاءت هذه المعاهدة، التي حوّلت صيغة الاحتلال إلى صيغة الانتداب، كأهم نتيجة للثورة. ومع ذلك، قوبلت المعاهدة برد فعل سلبي شديد لدى عديد من الهيئات والاحزاب التي رأت إليها تقييداً للسيادة الوطنية العراقية.

الثانية (كانون الثاني ١٩٢٦): فرضت من جانب بريطانيا لتعديل المعاهدة الاولى وتحديدًا لمدة ٢٥ سنة، مع إقرارها (بريطانيا) لشرط ان المعاهدة لا تعود نافذة إذا نال العراق عضوية عصبة الامم. واستمرت مفاوضات الملك وحكومته مع الانكليز لمعاهدة تخلو من القيود والعراقيل الموجودة في المعاهدتين الاولين.

الثالثة (كانون الثاني ١٩٢٧): تضمنت اعتراف الحكومة البريطانية الصريح باستقلال العراق وسيادته وتعهدا بدعم العراق لدخول عصبة الامم في ١٩٣٢. ولكن الانتداب استمر وكذلك الوجود العسكري البريطاني ووجود مستشارين انكليز في الوزارات والتدخل الانكليزي في تعيين المسؤولين في المناطق الكردية.

الرابعة (تموز ١٩٣٠): عقدت بعد مفاوضات تولتها عدة وزارات كانت تستقيل كلما تعثرت المفاوضات إلى ان

مطروحة على الحكومتين اللتين لم تتوصلا إلى حل، ما حدا بمجلس عصبة الامم ان يقرر في ٣٠ ايلول ١٩٢٤ تأليف لجنة تحقيق حول الموصل وتقديم توصية لحلها إلى المجلس.

زارت اللجنة كلاً من لندن وأنقرة وبغداد والموصل. وأبرز تقريرها (الذي قدمته في ١٦ تموز ١٩٢٥) خلافات كثيرة حول ادعاءات تاريخية وعرقية واقتصادية واستراتيجية، وارتأت «ان الحجج المهمة لا سيما الاقتصادية والجغرافية وعواطف اكثرية السكان تميل لتأييد ضم جميع الاراضي الواقعة جنوبي خط بروكسيل إلى العراق وذلك بشرطين:

الاول: ان تبقى هذه الاراضي تحت الانتداب الفعال لمدة ٢٥ سنة.

الثاني: ان تؤخذ في الاعتبار رغبات الأكراد بتعيين موظفين أكراد في المحاكم والمدارس وبأن تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية فيهما.

ورفضت تركيا تقرير اللجنة، وقدمت طلباً عاجلاً إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي (١٩ ايلول ١٩٢٥). فأصدرت المحكمة حكمها في ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٥، بأن القرار الذي سيتخذه مجلس عصبة الامم في القضية سيكون قراراً قطعياً وملزماً باعتباره سيقدر حدود ولاية الموصل، وتم الموافقة على هذه الحدود في ١٩ كانون الاول ١٩٢٥. وفي ١٨ تموز ١٩٢٦، صادقت الجمهورية التركية على معاهدة تركية-بريطانية-عراقية تم بموجبها القبول بخط بروكسيل خطاً للحدود بين العراق وتركيا.

ورغم توقيع تركيا على هذه المعاهدة ظلت مسألة الموصل، ومعها مسألة كيليكيا ولواء الاسكندرون (سورية)، تسببان توتراً خفياً في العلاقات التركية مع العراق وسورية. وبعد مرور نحو ستة عقود ونيف على مصادقة تركيا على معاهدة ١٩٢٦، استغل الزعماء الاتراك العمليات العسكرية الخليفة ضد العراق، فأطلق الرئيس التركي تورغوت أوزال تصريحاً استعمل فيه عبارة «الشعوب العراقية» (كانون الثاني ١٩٩١). فكان سابقة لا مثيل لها في تاريخ تركيا الحديث، وفتح علاقات أنقرة الإقليمية على احتمالات قد تكون الأكثر حدة والأخطر منذ تأسيس الجمهورية التركية في ١٩٢٣. وكذلك صرح الرئيس التركي سليمان دميريل، في اول ايار ١٩٩٥، عن ضرورة تعديل الحدود العراقية-التركية، لأسباب أمنية، وان الموصل «ما زالت تابعة لتركيا»، مما أعطى انطباعاً عن استمرار هذا النهج في سياسة تركيا، رغبة منها في إخضاع شمالي العراق لنفوذها بحجة «منع متسللين من حزب العمال

لكن تشرشل أوضح له أن عرش العراق من حصة أخيه فيصل وأن بريطانيا تعرف أن هناك معارضة عراقية قوية لهذا الترشيح (بعد القدس، توجه تشرشل إلى القاهرة لرأس المؤتمر الاستعماري البريطاني الشهير، راجع «مؤتمر القاهرة، ١٩٢١» في هذا الباب).

تعترف المصادر التاريخية والسياسية البريطانية بأن الثورة الشعبية العراقية (راجع «ثورة العشرين» في هذا الباب) أجبرت بريطانيا على التفكير بحكومة عراقية وطنية. فطلب المندوب السامي البريطاني والحاكم العسكري على العراق، برسي كوكس، من عبد الرحمن النقيب الكيلاني نقيب اشراف بغداد تشكيل حكومة عراقية تحت إشرافه وإشراف المستشارين البريطانيين. ودخل الوزارة واحد من أقوى الشخصيات العراقية المنافسة هو طالب النقيب، نقيب اشراف البصرة الذي أصبح وزيراً للداخلية. وحين شعر الإنان، الكيلاني والنقيب، بنية بريطانيا لترشيح فيصل ملكاً على العراق، اتفقا على الدعوة إلى ملك عراقي يكون أحدهما، كما اتفقا على إصدار جريدة تدعو لهما وتعارض اختيار فيصل، وقد استدعي لرئاسة تحريرها الشاعر معروف الرصافي الذي كان في القدس نافيًا نفسه اختياريًا.

هذه المعارضة العراقية القوية لترشيح فيصل التي تمحورت حول شخصية طالب النقيب رافع شعار «العراق للعراقيين» أكثر من شخصية الكيلاني الذي كان قد بلغ الـ ٧٨ سنة من عمره، جعلت الإدارة البريطانية تطرح عدة مقترحات أوجزها الشاعر والكاتب العراقي نبيل ياسين («الحياة»، العدد ١٠٩٧٩، تاريخ ٤ آذار ١٩٩٣، ص ١٠) بالتالي:

«اقترح لورنس القاضي بتقسيم العراق إلى دولتين لزيد وعبد الله (كما تقدم ذكره).

- أرنولد ولسن قدّم مقترحات عدة أولها إنشاء دولة عربية في العراق تشمل ولاية الموصل تحت حكم أمير عربي بوجود مندوب سام بريطاني ومجموعة كاملة من المستشارين. فتمّ درس ادعاءات هادي العمري عميد العمرين في الموصل وأحد أشرافها، وادعاءات أمير مصري أو أحد أولاد الشريف حسين (وسرعان ما استبعدت جميع هذه المقترحات أو الادعاءات لمصلحة مشروع يقضي باقرار برسي كوكس حاكمًا لمدة خمس سنوات من دون أي حكم عربي).

- البريطاني الشهير، فيليبي (عنه)، راجع «العربية السعودية، المملكة» في هذا الجزء، صديق طالب النقيب، اقترح إقامة جمهورية، وكتب عن ملائمة طالب النقيب ليكون رئيسًا للوزراء أو رئيسًا للجمهورية.

كلف الملك فيصل نوري السعيد تشكيل الوزارة. وقد ألحق بالمعاهدة بروتوكول عسكري رأى إليه العسكريون تأكيداً ابتدئاً للاحتلال تحت ستار التحالف. فعارضها زعماء المعارضة بقوة، وحلّ نوري السعيد البرلمان وجاء بآخر يدين له بالولاء في غالبية أعضائه ليوافق على المعاهدة.

الخامسة (كانون الثاني ١٩٣١): عقدتها وزارة نوري السعيد للحلول محلّ صكّ الانتداب البريطاني على العراق. نصّت رسميًا على إلغاء الانتداب، وكانت مدتها ٢٥ عامًا. فمهلت لدخول العراق عصبة الأمم (١٩٣٢). وسمحت للمعاهدة لبريطانيا بالاحتفاظ بقاعدتين جويتين في الحبانية والشعبية وقوات عسكرية في البلاد لمدة خمس سنوات.

السادسة (١٥ كانون الثاني ١٩٤٨): هذه المعاهدة المسماة «معاهدة بورتسموث» (مدينة انكليزية) تربط العلاقة بين البلدين لمدة ٢٠ سنة. لكن هذه المعاهدة لم تعش إلا لأيام قليلة إذ قضت عليها انتفاضة كانون الثاني ١٩٤٨ المسماة «وثبة كانون» كما قضت على حكومة صالح جبر التي وقعت عليها. وقبل أشهر قليلة منها كانت وقعت أيضًا انتفاضة «كاورباغي» في كركوك التي قادها عمال شركة نفط العراق.

السابعة (نيسان ١٩٥٥): تمّ إلغاء معاهدة ١٩٣٠، وعقد العراق معاهدة مع بريطانيا مدتها خمس سنوات.

□ الملكية في العراق: عندما كان فيصل ملكًا

على سورية كان أخوه الأكبر الأمير عبد الله يعد نفسه ليكون ملكًا على العراق. فأوعز فيصل إلى ٢٥ شخصية عراقية مناصرة دعم رغبة أخيه. فألفت هذه الشخصيات «المؤتمر العراقي» الذي أصدر بيانًا طالب فيه باستقلال العراق وإن يكون عبد الله ملكًا عليه. وقبل ذلك بنحو سنتين، أي في ١٩١٨، كان لورنس قد اقترح إنشاء ثلاث دول عربية هي سورية تحت حكم فيصل، ودولتان في العراق، الأولى من البصرة إلى عانة وتعطى لعبد الله، والثانية في الموصل وتعطى لزيد.

وفي أثناء دخول الجيش الفرنسي دمشق وفرار فيصل من سورية كان في نية عبد الله مقاتلة الفرنسيين في سورية برجال القبائل المناصرة له. فحاول للندوب السامي البريطاني هربرت صامويل، عبر الشخصية السياسية الفلسطينية عونى عبد الهادي، إقناع عبد الله بعدم الاقدام على أي عمل من شأنه إحراج بريطانيا مع حليفها فرنسا. وطلب وزير المستعمرات البريطانية ونستون تشرشل عدم تقرير أي شيء حتى يصل إلى القدس، وبوصوله اجتمع مع عبد الله الذي طلب عرش العراق.

في لندن محادثات عديدة مع شخصيات حكومية وغير حكومية، وبخاصة مع وزير المستعمرات، تشرشل، ومستشاره الكولونيل لورنس. وتمخضت تلك المحادثات عن تفاهم بمحمله ان الحكومة البريطانية ستسلم إدارة العراق إلى حكومة عربية وستستعمل نفوذها لتضمن تعيين فيصل ملكاً على العراق وتدخل في مفاوضات معه لإبرام معاهدة تحالف تحلّ محلّ الانتداب.

ترأس تشرشل المؤتمر وحضره نحو أربعين بريطانيًا من العاملين في البلاد العربية، وكان أبرزهم السير برسي كوكس المندوب السامي في العراق، والسير هربرت صموئيل المندوب السامي في فلسطين. وقد توزعوا على ثلاث لجان، مالية وعسكرية وسياسية، وترأس تشرشل بنفسه اللجنة السياسية التي لعب فيها لورانس دوراً رئيسياً. وقرّر المؤتمر أن يوصي بإنفاذ المسائل التي تمّ عليها التفاهم في لندن بين فيصل وتشرشل بأسرع وقت. واقترح المؤتمرون ان يتوجه فيصل إلى العراق مرشحاً للعرش، وأن يُنادى به ملكاً عن طريق استفتاء شعبي. «وكانوا يعلنون النفس بأنهم، إذا أنشأوا حكومة عربية في العراق لمهد لالغاء الانتداب، فقد تتمكن الحكومة البريطانية من تخفيض اعداد حامياتها كثيراً وتوفر بذلك نفقات طائلة. ذلك ان ثورة ١٩٢٠ قد اقنعتهم بأن حفظ العهد التي قطعوها سبيل من السبل إلى تجنب النفقات الباهظة، وكانت هذه هي سياسة الجمع بين الاقتصاد وكلمة الشرف» (جورج انطونيوس، «يقظة العرب»، ص ٤٣٣).

وكذلك تم في هذا المؤتمر تأكيد فصل شرقي الاردن عن ادارة فلسطين والاعتراف بالامير عبد الله أميراً عليها، وتأكيد التزام الانتداب بدقة بشرط إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. والجدير ذكره هنا ان وفداً فلسطينياً اتصل بتشرشل في القاهرة، ولكنه أجاب بأنه يفضل لقاءهم في القدس (التي وصل إليها بعد ١٢ يوماً من المؤتمر، أي في ٢٤ آذار ١٩٢١)، وكان الوفد يمثل المؤتمر العربي الفلسطيني المنعقد في حيفا، كانون الاول ١٩٢٠. وعلى جدول أعمال مؤتمر القاهرة أدرجت أيضاً المصالح البريطانية في «ساحل الامارات المتصالحة على شاطئ الخليج وعدن».

وقد حاول لورانس ان يُظهر ان بريطانيا، بعد نتائج هذا المؤتمر، قد وفّت بوعودها العربية في رسائل حسين-مكماهون الشهيرة، وإن متأخرة: «عهدت وزارتنا المنهكة إلى المستر ونستون تشرشل بتسوية شؤون الشرق الاوسط، فاستطاع في بضعة أسابيع في مؤتمر القاهرة ان

- أوساط في كركوك وفي بغداد اقترحت ترشيح أحد الامراء العثمانيين الاتراك هو برهان الدين بن عبد الحميد الثاني.
- أوساط بريطانية رشحت آغا خان، زعيم الاسماعيليه.

- والي بشت كورة غلام رضا خان رشح نفسه.
- مؤتمر القاهرة (آذار ١٩٢١، راجع مادته في هذا الباب) برئاسة تشرشل وحضره من العراق برسي كوكس والمس بل وهالدين قائد القوات البريطانية في العراق وجعفر العسكري وساسون حزقييل وزير المال وعميد العائلات اليهودية، هذا المؤتمر رشح فيصلاً.

بهذا الترشيح ألغيت المشاريع والمقترحات الأخرى- وكلها بريطانية في الواقع- وكان قائماً على الفكرة الأساسية التي وردت في تقرير مجموعة اللورد كرزون الداعية إلى وضع دستور لدولة عربية أو مجموعة من الدول على أساس رغبات السكان مع بقاء السيطرة البريطانية التي لا يوجد نزاع حولها.

وقد جاءت معارضة هذا الترشيح من طالب النقيب الذي هدد بأنه سوف يثير العشائر العراقية ويعبئها لمنع بريطانيا من استخدام نفوذها لصالح فيصل. ولم يفسح البريطانيون مجالاً له لتنفيذ تهديده. إذ سرعان ما تلقى دعوة من المس بل، سكرتيرة المفوض السامي برسي كوكس وبناء على تعليماته، دعوة لتناول الشاي في بيتها. وما إن وصل طالب النقيب إلى منزل المس بل حتى أحاط به الجنود البريطانيون وأخذوه عنوة وخفروا في سيارة عسكرية ونقلوه فوراً متقياً إلى سيلان (سري لانكا) مع عدد من أنصاره.

□ مؤتمر القاهرة (١٢ آذار ١٩٢١): مؤتمر

إداري استعماري بريطاني، دعت إلى عقده وزارة المستعمرات البريطانية (التي كان يرأسها ونستون تشرشل، وكان لورانس مستشاراً أول له) لرسم السياسة الانكليزية لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الاولى ولتطبيق صك الانتداب المقرر في مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠)، وكان الوضع العراقي (ثورة العشرين) على رأس أسباب انعقاده. إذ كان من نتيجة الخسائر التي سببتها ثورة العراق ان اشتدت الحملة في بريطانيا لتخفيض النفقات على الالتزامات في الخارج. واتخذ المؤتمر قرارات أدت إلى تغيير جذري في السياسة في العراق وإلى تغييرات ذات أهمية-من نوع مختلف- في فلسطين وشرقي الاردن.

في الاسابيع التي سبقت عقد المؤتمر، أجرى فيصل

عندما تشكل «كونسورسيوم» دولي يسيطر عليه الانكليز، وعندما بدأت في الوقت نفسه، شركة «توركيش بتروليوم» بأعمال تنقيب نشطة وحديثة. ولقد أسفرت تلك الاعمال التي ادارها الاميركي أ.و.شو، عن ظهور النفط في العراق، اعتباراً من يوم ١٥ تشرين الاول ١٩٢٧ في آبار بابا قرقر بالقرب من مدينة كركوك.

أجرى الملك فيصل مفاوضات صعبة مع الانكليز في شأن النفط، وأصرّ على إعادة النظر في الامتيازات الممنوحة للشركة. لكن الانكليز، رفضوا وهدّدوا بعدم الموافقة على مشروع الدستور العراقي الذي كان موضوع صراع وأخذ ورد بين الملك ومعه القوى السياسية العراقية وبين الانكليز. وفي نهاية الأمر، تمّ التوقيع على اتفاقية امتيازات منحت شركة «توركيش بتروليوم» حق التنقيب واستخراج النفط في أنحاء العراق كافة باستثناء ولاية البصرة. ولقد بدأت عمليات التنقيب عملياً في تشرين الثاني ١٩٢٥ لتستغرق سنين انتهت بدخول العراق عصر النفط الذي جعل من العراق ثاني دولة نفطية في منطقة الشرق الاوسط بعد ايران، وواحدًا من أغنى بلدان المنطقة، ولا سيما بعد عقود من السنين حين زال الحكم الملكي، واستمر النفط وكأنه في أساس أو وراء كل لعبة سياسية أو حدث كبير سواء داخل العراق أو في المنطقة، إلى ان كان يوم الاول من حزيران ١٩٧٢.

ففي ذلك اليوم أعلن العراق، وكان يحكمه أحمد حسن البكر ونائبه صدام حسين، عن تأميم «شركة النفط العراقية» التي كان الانكليز قد أسسوها في العشرينات، أي في الزمن الذي كان فيه إنتاج النفط قد بدأ في حقول الشمال، في الموصل وكركوك. والحال ان ذلك الاعلان، الذي كان بمثابة انتصار كبير حققه حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم، كان نقطة الذروة في تحرك بترولي عراقي كان قد بدأ جنيئاً غداة انتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي سعت للسيطرة على مقدرات العراق الاقتصادية ولا سيما في مجال الثروة النفطية. وقد تمكن عبد الكريم قاسم من ان ينتزع من شركة النفط العراقية اراض كانت تحتفظ بها من دون ان تسعى لاستخراج النفط منها. ولقد عرض قاسم استغلال تلك الاراضي على شركات أخرى، غير ان أحداً لم يستجب لعرضه، لأن التضامن كان لا يزال قائماً في ذلك الحين بين شركات النفط الكبرى.

وعقب هزيمة حزيران ١٩٦٧، عمدت القوات العسكرية العراقية إلى احتلال المناطق التي تقوم شركة النفط

يفكّ العقد جميعاً، وان يجد حلاً لتحقيق، في ما أرى، وعردنا مبنياً ومعنىً دون ان يضحي بأية مصلحة من مصالح امبراطوريتنا أو بأية مصلحة من مصالح الشعوب التي تشملها التسوية. وبذلك تحللتنا من المغامرة الشرقية التي نحضنها ايام الحرب بأيدي نظيفة إلا أننا تأخرنا عن الوقت المحدد ثلاث سنوات حرمتنا من الفوز حيثما بالشكران الذي تستطيع الشعوب، بل الدول ان تردّه» (عن كتاب لورانس «أعمدة الحكمة السبعة»، ط ١٩٣٥، هامش ص ٢٧٦، وقد أوردها كذلك جورج انطونيوس في كتابه «يقظة العرب»، ص ٤٣٥).

□ ميثاق العمل القومي المشعور: ميثاق

وحدوي أعلن بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٨ إثر سلسلة من اللقاءات بين القيادات السياسية والحزبية الحاكمة في كل من العراق وسورية. وذلك في أعقاب إقدام الرئيس المصري محمد أنور السادات على توقيع اتفاقيتي كامب دافيد للصلح مع اسرائيل في ١٧ ايلول ١٩٧٨، وخروج مصر من المواجهة العربية ضد اسرائيل. وقد نصّ الميثاق على إنشاء هيئة سياسية عليا مشتركة من قيادتي القطرين، وتشكيل أربع لجان مركزية: لجنة الشؤون السياسية والاعلامية والثقافية، لجنة الشؤون الاقتصادية والتعاون الفني، لجنة التعاون العسكري ومهمتها اعداد اتفاقية دفاع مشترك تمهّد لقيام وحدة عسكرية كاملة بين البلدين، ولجنة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي.

الجدير ذكره ان الاعلان عن هذا الميثاق جاء بعد ٢٤ يوماً من انعقاد مؤتمر القمة العربي التاسع في بغداد، وانه لم يجد طريقه إلى التنفيذ (راجع العنوان الفرعي «المصالحة مع العراق» في النبذة التاريخية من مادة «سورية»، ج ١٠، ص ١١٨-١١٩)، وان عتلف الكتابات السياسية العربية أجمعت على أن هذا الميثاق، كان بإمكانه، لو نفذ، ان يخلق ظروفاً جديدة داخل الوضع العربي من شأنها ان تؤدي إلى إيقاف حالة التدهور التي أصابت هذا الوضع بخروج مصر من ساحة الصراع في المنطقة وانتقال اسرائيل إلى مرحلة متقدمة من الهجوم.

□ النفط العراقي، البداية والتأميم: كانت

الدراسات وأعمال البحث والتنقيب قد أظهرت أن أحوار التربة العراقية غنية بالنفط، وعليه توقع العارفون ان العراق سيصبح واحدة من من أكبر دول المنطقة المنتجة للنفط ومن أغناها. وهذا التوقع بدأ يأخذ طريقه للتنفيذ منذ ١٩٢٥

كانت مستعمرة وعرفت أحداثاً دراماتيكية شديدة الضرر في أيام استقلالها، إلى حدّ التندر على أيام الاستعمار وحكم الأجنبي. والأمثلة كثيرة وهي تكاد تطلّ جميع البلدان التي فتكت الحروب الأهلية بمؤسساتها الرسمية والأهلية ونالت من بناها وقيمها الاجتماعية.

في أعقاب حرب الخليج الثانية، أعادت مجموعات عراقية معارضة، كردية وعربية، «فكرة عودة الهاشميين» إلى حكم العراق إثر أحداث أو مناسبات ثلاث متصلة مباشرة بهذه الفكرة:

الاولى، عندما عقد الشريف علي مؤتمراً صحافياً، في لندن صيف ١٩٩٣، أعلن فيه مطالبته رسمياً بعرش العراق وادعى أن لديه أنصاراً في الداخل وأنه بصدد تشكيل حزب ملكي عراقي. «والشريف علي بن الحسين، والده الحسين بن ناصر من أشرف الأسرة الهاشمية العديدين الذين نزحوا من الحجاز بعد سقوطها بيد ابن سعود في العام ١٩٢٤، ولم يكن لهم أي دور أو قيمة سياسية في العراق أو خارجه. إلا أن ادعاءه الصلة بنسب الملك فيصل الثاني تعود فقط إلى أن والدته هي شقيقة الأمير عبد الله، حال الملك فيصل الثاني، الذي كان وصياً على العرش بعد موت الملك غازي. وبالتالي فالشريف علي هو ابن خالة الملك. ولم يسمع أحد بالشريف علي حتى المؤتمر الصحافي المذكور» (رياض نجيب الريس، «الهاشميون قادمون والسعوديون خائفون»، «السفير»، ٤ أيلول ١٩٩٥، ص ١٤).

الثانية، دعوة العاهل الهاشمي الأردني الملك حسين (أيضاً في ١٩٩٣) الناس إلى إطلاق لقب «الشريف حسين» عليه ومناداته به، تشبهاً وتيمناً بأجداده الهاشميين أشرف مكة والحجاز حتى ١٩٢٤.

الثالثة، إثر فرار صهري الرئيس العراقي صدام حسين، إلى عمان في ٨ آب ١٩٩٥، والتهافت الدبلوماسي والاستخباراتي الدولي (خاصة الأميركي) والعربي (خاصة السعودي، رغم قطيعة بين البلدين امتدت إلى سنوات طويلة سابقة) على عمان لأهمية ما كان يمثلها الصهران حسين كامل وصدام في داخل النظام العراقي سياسياً وأميناً واستراتيجياً، وبروز الملك حسين كأهم لاعب سياسي في المنطقة نتيجة حدث الفرار هذا، وخطابه الذي القاه، بعد أيام قليلة، وركز فيه على دور الهاشميين في الحفاظ على وحدة العراق بقوله: «لقد تركنا الشعب العراقي الشقيق أن يختار طريقه ويعيش بحريته، ونحننا أن لا ينفرد عقده الذي جمعه الهاشميون سنة وشيعة، عرباً وأكراداً، وكل عناصر نسيجه

العراقية باستغلالها فارضة حظراً على تصدير النفط إلى أي بلد في العالم يساند إسرائيل. وفي ١٩٦٩، تمكن العراق من الحصول على زيادة في أسعار نفطه المسلم في موانئ شرقي البحر الأبيض المتوسط بعد أن أقفلت قناة السويس وبات النفط الوارد إلى أوروبا يمر عبر دورانه حول رأس الرجاء الصالح، مما أعطى للنفط العراقي قيمة كبرى.

ووصلت السياسة النفطية العراقية إلى ذروتها في قرار تأميم الشركة (الاول من حزيران ١٩٧٢) إضافة إلى الحقول التابعة لشركة نفط الموصل. وفي الوقت نفسه، أتمت سورية أنابيب النفط التي تمر في أراضيها والتي تنقل النفط العراقي من العراق إلى سواحل البحر المتوسط. وكانت فرنسا، من دون الدول الغربية جميعاً، الوحيدة التي أيدت قرار التأميم العراقي. وذلك لأن العراق قد ضمن لها دون غيرها تزويدها بالنفط لمدة عشرة أعوام مقبلة. ومن المعروف أن شركة النفط العراقية كانت مملوكة للانكليز والأميركيين، وإن فرنسا كانت على الدوام مستبعدة من أفق اللعبة النفطية في العراق. وقد رسم هذا الامتياز الممنوح لفرنسا خطوط التقارب العراقي-الفرنسي الذي بقي بعد ذلك حتى حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١).

ووجدت شركة نفط العراق نفسها مرغمة على قبول الواقع الجديد مقابل تعويضات بلغت ١٥ مليار طن من النفط تسلّم في المصافي المتوسطة. وبعد ذلك بشهور، واصل العراق تحركه، فألغى كل التنازلات العراقية التي كانت ممنوحة لشركات اميركية مثل «ستاندارد أويل»، أو «نيو جرسى»، و«شل» وغيرها.

□ «الهاشميون عائدون؟» (مناقشة): موضوع

سياسي جرى تداوله على نطاق ضيق في أعقاب حرب الخليج الثانية وتدابيراتها، ودار حول «وجود تيار سياسي عراقي مطالب بعودة الملكية الدستورية إلى العراق».

واللافت أن مثل هذا الطرح، المعبر عن نوع من «انقلاب في التفكير» لدى البعض والذي ما كان لأحد أن يتصور حدوثه، كثيراً ما ينتعش في أعقاب أزمات كبرى (حروب خارجية أو أهلية مدمرة أو تغييرات دراماتيكية عميقة ومفاجئة في الأنظمة) تصيب الشعب وتواجهه بأفدح الاضرار. فغالبيت دول أوروبا الشرقية والبلقانية (رومانيا، بلغاريا، البانيا...) شهدت، في أعقاب انهيار المنظومة الاشتراكية الشيوعية، أفكاراً وتيارات طالبت بعودة الملكية وإن كانت بقيت ضعيفة وقليلة الأثر قياساً على تيارات واحزاب أخرى. وقد ينهب البعض، في بلدان أخرى

الوطني»، رغم تأكيدده في مطلع خطابه «بأنه لا مطمع لي» في العراق.

إلام استندت هذه المجموعات في تطارحها، أو تدارسها فكرة عودة الملكية الهاشمية إلى العراق؟

«- الزعيمان الكرديان مسعود البرزاني وجمال الطالباني يتمتعان بعلاقات ودية مع الملك حسين (...).

«- تمت مفاخرة الملك حسين بهذا الأمر مرات عدة من قبل مجموعة زعماء يمثلون بعض عشائر السنة في العراق كلما زاروه (...).

«- تعتبر أغلبية الشيعة العراقيين من غير المرتبطين بايران، الذين يتمتعون بعلاقات طيبة مع الملك حسين بأن بينهم وبين الهاشميين قرابة دينية (...) وهذا ما يعزز البعد الشيعي العربي ويوقف التأثير الإيراني. وللملك حسين علاقات مثينة مع عدد من المؤسسات الشيعية، أهمها مؤسسة الامام الخوئي (في لندن وسواها). وقد أنشأ، بتمويل من هذه المؤسسات وبعد حرب الخليج الثانية مباشرة، «جامعة آل البيت» في الاردن التي يؤمها عدد كبير من الطلبة الشيعة من مختلف أنحاء العالم العربي (...).

«- توفر صيغة «دولة الاتحاد العربي» التي كانت قائمة قبل ثورة ١٩٥٨، عندما كان فيصل الثاني ملك العراق رئيسها والحسين ملك الاردن نائبه (راجع «الاتحاد العربي الهاشمي» في مطلع هذا الباب) أفضل مخرج للعراق من صراع دموي على السلطة لا بد وان يحصل بعد غياب صدام (...) كما توفر نظاماً ملكياً دستورياً يضمن حكماً ديمقراطياً منضبطاً على نموذج الاردن وعلى غرار ما يمارسه الملك حسين في الاردن حالياً» (عن رياض الرئيس، «السفير»، ٤ ايلول ١٩٩٥، ص ١٤).

هل من شريفي آخر منافس للملك حسين في أفق «فكرة عودة العرش الهاشمي العراقي» الذي جاء كلامها دائماً محبوكاً بصورة أقرب إلى رواية في الأدب السياسي منه إلى كلام في السياسي؟

رياض نجيب الرئيس كتب في الموضوع (المرجع المذكور أعلاه) يقول:

«لا يوجد هاشميون كثيرون يتنافسون على العرش العراقي خارج دائرة الملك حسين (ملك الاردن) شخصياً. فلم يعد من الفرع الهاشمي العراقي أي شخص ذي قيمة أو وزن سوى الأمير رعد بن زيد، ابن الأمير زيد بن الحسين، الابن الأصغر لشریف مكة الحسين بن علي، قائد الثورة العربية الكبرى، وشقيق الملك فيصل الاول، الذي كان نائبه

عندما كان فيصل ملكاً على سورية، ثم أصبح سفيره في لندن عندما أصبح ملكاً على العراق. وهو الحفيد المباشر والوحيد الذي ما زال على قيد الحياة لمؤسس الأسرة الهاشمية الحالية (...). والأمير رعد يقيم في الاردن كأحد مستشاري الملك حسين منذ العام ١٩٥٨، فهو نجما من مذبح قصر الرحاب في بغداد التي تم فيها تصفية كل الأسرة الهاشمية عند قيام الثورة لأنه كان تلميذاً في انكلترا في ذلك الزمن عندما كان والده سفيراً في بريطانيا. وليس معروفاً عن الأمير رعد ان له طموحات سياسية أو انه يتعاطى بالشأن السياسي العام مباشرة»

إلا ان الشريف علي، المطالب العلني الوحيد بالعرش الهاشمي العراقي، فيقول بصدد رياض نجيب الرئيس (المرجع المذكور) ان المعارضة العراقية بكل فصائلها سخرت منه في حينه (أي عندما أعلن ترشيحه في مؤتمر صحفي في لندن صيف ١٩٩٣)، ولم يعد يسمع عنه شيئاً إلى ان لجأ صهرا صدام إلى الاردن في آب ١٩٩٥، وفجأة عاد اسمه إلى الظهور في تصريحات صحافية أهمها أن «منافسه» على العرش، الملك حسين «لن يتخلى عن صدام، وهو شخص لا يثق به أحد في المنطقة»، وان «ايران واسرائيل وسورية والسعودية لن تسمح بقيام اتحاد بين العراق والاردن» (نقلاً عن جريدة الغارديان-لندن، ٢٦ آب ١٩٩٥). ويتابع الرئيس: «واتضح انه (الشريف علي) على خلاف عائلي قديم مع الملك حسين، وهو يقيم في لندن، متزوج من سيدة عراقية شيعية من كربلاء، غادر العراق وله من العمر ستان إلى لبنان، وعاش فيه سنوات، حتى جاء لندن ودرس فيها الاقتصاد وعمل في أحد المصارف، وقد روجت له وكالة الأنباء الكويتية (كونا) تصريحاته مؤخراً كجزء من حملة الكويت لتصغير دور الملك حسين في التطورات العراقية الأخيرة (المترتبة على فرار صهري الرئيس صدام حسين)، والاعلان ان ليس هناك «مطالب رسمي» بعرش العراق غيره، في حين ان بريطانيا ترعاه وتؤمن له التسهيلات، كجزء من سياسة الشعرة التي لا تقطعها مع أحد، ولتقليص نفوذ الملك حسين، ومنع احتمال قيام وحدة مستقبلاً بين الاردن والعراق».

شريف هاشمي آخر هو الدكتور الشريف محمد بن فيصل الاول بن الحسين بن علي اعترض على اسلوب طرح فكرة عودة الملكية إلى العراق وطالب بملكية دستورية مشروطة يقررها الشعب العراقي في الداخل وليس بضغوط سياسية من الخارج، وذلك في معرض رده على ما نشرته

التاريخ الذي عاشه بعضنا. أما إذا قارنا تاريخ الملكية بتاريخ نظام البعث ونظام (الرئيس) صدام فإننا لم نقبل بهذا النظام ولم يدر بخلد أحد أنه سيكون بديلاً عن الملكية العراقية وهي مقارنة غير واقعية على أية حال. وإذا كان هناك من يعتقد أن تاريخ الجمهورية العراقية هو تاريخ الانقلابات العسكرية فإن تاريخ الملكية العراقية شهد أخطر انقلابين عسكريين هما انقلاب بكر صدقي ١٩٣٦، وانقلاب العقدة ١٩٤١، كما شهد أخطر الانتفاضات التي قوبلت بالرصاص وأسقطت القتلى والجرحى. ومن يعتقد أن الملكية العراقية شهدت استقراراً سياسياً فيمكن عدّ ٥٤ وزارة خلال مدة لا تتجاوز ٣٥ عاماً أي أن معدل عمر الوزارة الواحدة لم يكن يصل إلى شهر ونصف الشهر وكل ذلك بسبب سياسة حنفة معينة من المحيطين الذين كانوا يتناوبون الوزارة والرئاسة فإذا لم يكن أحدهم رئيس وزراء فهو وزير في حكومة. وخلال هذه الفترة وحدها كان البرلمان يُعَيَّن ويُحَلَّ في بضعة أيام طبقاً لرغبة رئيس الوزراء الجديد أو طبقاً لرغبة خصومه إذا أرادوا حجب الثقة عنه، وهذه حقيقة يجب الاعتراف بها مهما كان مؤيدو الملكية العراقية يملكون من حماس وحنين لها. فضلاً عن ذلك كله، كان شعور الأسرة (الهاشمية) في العراق شعوراً محبطاً بأنهم غرباء عن البلاد. وإذا كان هذا الشعور قد دفع الملك فيصل الأول للزيت والهدوء فإنه كان ملازماً للرئيس عبد الإله الذي كان يردّد دون انقطاع أثر كل أزمة سياسية أو انتفاضة أو تحرك عسكري: «ماذا يريدون منا. إذا لم يقبلوا بنا، فإننا سنخرج ونعود إلى أرضنا»، وهو شعور جعل من الملكية ظاهرة فصل بين العراقيين وبينها. وهذه العقدة قادتها إلى الريبة بالشعب والحذر منه والاعتماد كلية على البريطانيين لاستمرار الحكم حتى بعد أن «استقل» العراق رسمياً وأصبح عضواً في عصبة الأمم المتحدة وفي الأمم المتحدة. ومهما يكن من الأمر إن إثارة موضوع عودة الملكية في العراق إنما يقصد به، إلى جانب مقاصد أخرى، عرقلة جهود العراقيين بإقامة نظام ديمقراطي تعددي ومزيج الوحدة الوطنية وإلغاء المعارضة بقضايا ثانوية وجعلها تدور في حلقة مفرغة» («الحياة»، العدد ١٠٩٧٩، تاريخ ٤ آذار ١٩٩٣، ص ١٠).

الجدير ذكره أخيراً أن موضوع عودة الملكية إلى العراق تلاشى كل حديث عنه في وسائل الإعلام منذ أوائل ١٩٩٦ حين بدأ يتصاعد حديث تماسك نظام الحكم العراقي وتضعف صفوف المعارضة.

«الحياة» (١٥ شباط ١٩٩٣) من دراسة تطرقت إلى نشاط تيار يطلق على نفسه «العناصر الوطنية العراقية-دعاة الفكر الدستوري الملكي». ومما قاله (في «الحياة»، العدد ١٠٩٧٩، تاريخ ٤ آذار ١٩٩٣، ص ١٠): «الأسرة الشرفية لأسمى وأرفع في مكانتها من أن تكون في وجهه نظر البعض مطية وخشبة خلاص كسّلم للوصول إلى تحقيق مطامع شخصية على ظهرها. فعودة الملكية إلى العراق ليست محلاً للمساومة كآخر سهم في جعبة بعض السياسيين من المعارضة لكي يجربوا حظهم فيه. فلم تكن لدى هؤلاء هذه التوجهات من قبل. ولكن بعد أن استفدوا كل السبل في محاولاتهم لاسقاط نظام الحكم في العراق، وتشكيل حكومات منفي في اجتماعاتهم في دمشق وبغروت وأربيل وواشنطن، إذ كان رد الإدارة الأميركية عليهم بصريح العبارة بأن السياسة الأميركية لا تؤيد قيام نظام ملكي في العراق... وتفضل الحفاظ على بقاء حزب البعث كمؤسسة حاكمة مع التوجه مستقبلاً في تغيير رأس النظام فقط...».

هذه الفكرة، فكرة إمكانية عودة العرش الهاشمي على العراق، تداولت بها، وعملت لأجلها، مجموعات صغيرة من المعارضة العراقية، وفقط، كما ظهر إعلامياً، في مناسبات ظرفية (خاصة في ١٩٩٣ و ١٩٩٥)، إذ لا تلبث أن تختفي مع ضمور المناسبة أو الحدث الذي دعا إليها. وكانت هذه المجموعات تستند في دعواها على ما اعتبرته حقيقة واقعية: أي المآل الكارثي الذي بات يعيشه العراق نتيجة حرب الخليج الثانية ونتيجة سياسات النظام الجمهوري في مختلف عهوده مع ما تكمن فيها من مخاطر الحروب الأهلية والتقسيم؛ وحقيقة تاريخية: أي أن وحدة العراق وتآلفه قد حققها الحكم الهاشمي، وهاشميو اليوم قادرون على إعادة انتاجه ديمقراطياً ودستورياً، وإنقاذ العراق تالياً.

أما مجموعات المعارضة الأخرى، وهي غالبية المعارضة، فلم تحمّل الحكم الجمهوري مسؤولية المآل العراقي «الكارثي»، وحصرت هذه المسؤولية بنظام الرئيس الجمهوري الحالي صدام حسين. وقد أوجز آراء هذه المعارضة، في مجال المقارنة بين الملكية والجمهورية، الشاعر والكاتب العراقي نبيل ياسين بقوله:

«هناك من يعتقد أن النظام الملكي في العراق كان خيمة تقيّ ظلّها جميع العراقيين. وهو اعتقاد عاطفي ينفية

مدن ومعالم

تمهيد

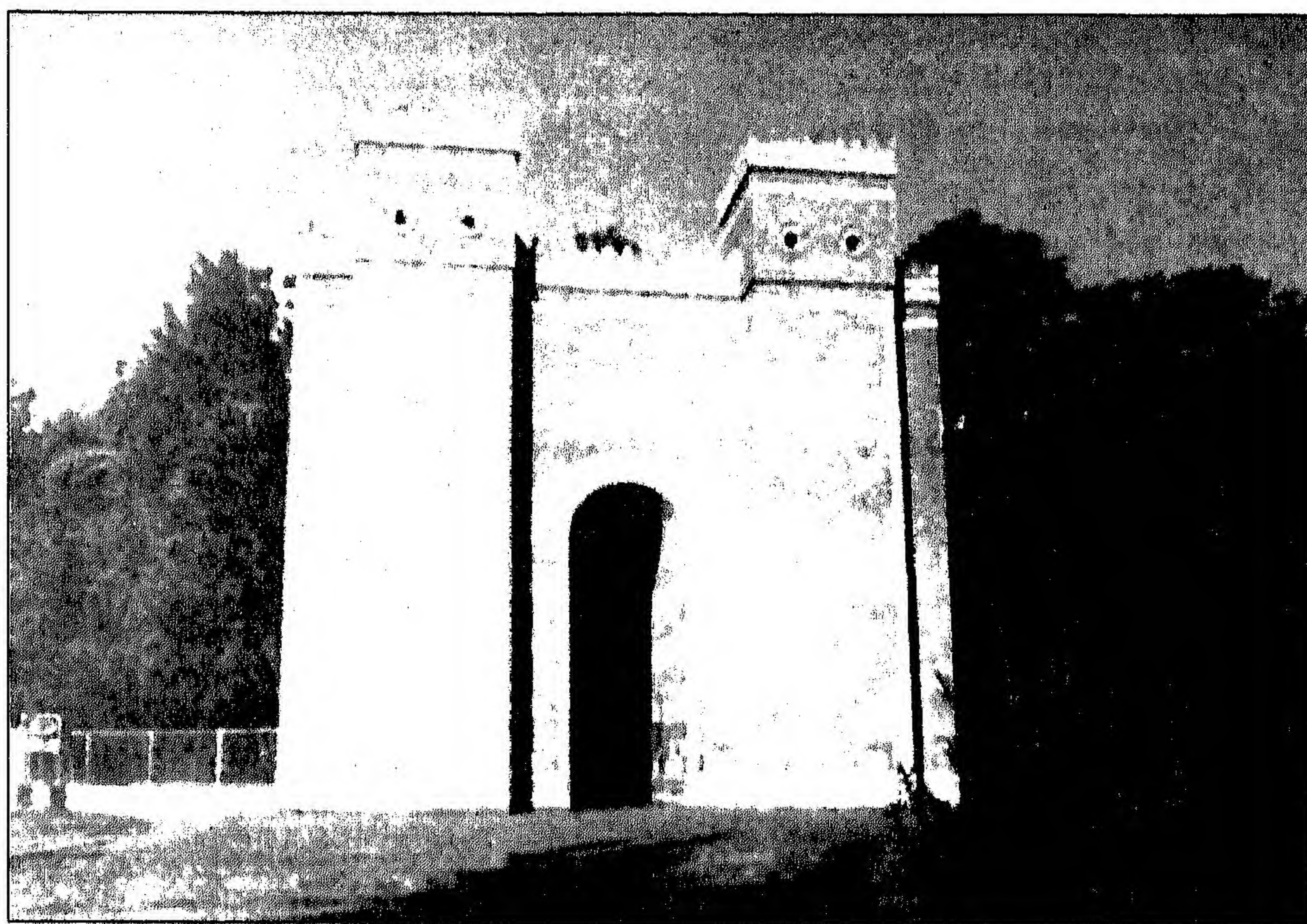
١- علم الآثار (الأركيولوجيا): ليس أصوب من اختيار هذا الباب (مدن ومعالم)، الذي اعتدنا على أن نذكر فيه أهم آثار الدول والبلدان، وفي هذه المادة بالذات (العراق) لقول كلمة في أهمية علم الآثار (الأركيولوجيا). كما ليس أصوب، لهذا الهدف، من اللجوء إلى علماء الآثار، وخاصة لأبرزهم، في آثار العراق، صموئيل كريتير مؤلف كتاب «من ألواح سومر» (ترجمة طه باقر، مراجعة وتقديم الدكتور أحمد فنخري، مكتبة المتنبي ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر). يقول مترجم الكتاب وكاتب مقدمته، طه باقر الذي كان تلميذاً لكريتير، في تعريف علم الآثار (ص ٦-٧):

«إن ما يُدعى «علم الآثار» (الأركيولوجيا) إنما هو فرع حديث الولادة من فروع العلوم والمعارف الحديثة، إذ لا يكاد عمره يتجاوز مائة عام (والكتاب ينسخته الانكليزية صدر في ١٩٥٦). ولكن في وسعنا أن نؤكد القول إن هذا العلم، على الرغم من حداثة، قد حقق أروع اكتشافات في تاريخ تطور الإنسان منذ أن وجد على هذه الأرض، فقد كشف لنا عن تلك المراحل الصعبة التي اجتازها للانتقال من عهود الممجية والفطرة، تلك العهود التي شغلت الجزء الأعظم من حياته إلى أن دخل في تلك التجربة المثيرة في حياته بإنشائه الحضارة والمدنية. والمجمع عليه بين الباحثين العلماء أن ذلك قد تمّ في ربوع الشرق الأدنى، يوم ظهرت فيه أولى الحضارات البشرية في وادي الرافدين وفي وادي النيل، وأقيمت أسس الحضارة والعمران (...). ويصح القول إن علم الآثار بكشفه عن مراحل التطور البشري قد أحدث انقلاباً مدهشاً في المعرفة الإنسانية وفتح في تاريخ التقدم البشري آفاقاً واسعة بعيدة في اتجاه الإنسان ونظيرته إلى الحياة بوجه عام، وإلى التاريخ وفلسفة التاريخ بوجه خاص. ولعل ألمع جانب من هذه الكشف الحديثة أن «معاول» المنقبين قد استطاعت أن تستظهر من الركام وأنقاض الزراب حياة عدد كبير من الحضارات والأمم والشعوب الغابرة لم يكن العالم ليعرف عنها شيئاً حتى مجرد أسماء البعض منها. بيد أننا الآن نعرف تاريخها السياسي والحضاري-علومها وفنونها وآدابها والادوار التي مثلتها في مسرح التاريخ البشري. وتلك

لعمري مادة تاريخية غزيرة مكنت الباحثين في العمران وعلماء الاجتماع المحدثين من درس التواميس الخاصة بنشوء الحضارات ونموها وركودها وتحللها وزوالها، بحيث قارب فلاسفة التاريخ أن يصلوا إلى نتائج خطيرة في حل اللغز الذي ينطوي عليه هذا العالم الأصغر الذي نسميه الإنسان. وعلى ضوء هذه المقاصد الجليلة والغايات الخطيرة أدركت المؤسسات العلمية في الغرب أهمية التحري عن آثار البلاد العربية والكشف عنها فجنّت من ثمراتها ثمرات بالغة الأهمية في الكشف عن أصول الحضارات البشرية المستمدة من تراث حضارات الشرق الأدنى. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى أمم الغرب ومؤسساته العلمية، فما أحرانا، نحن الذين لا نزال نعيش في تراث تلك الحضارات، أن تكون الحوافز الدافعة لنا أضعافاً مضاعفة على التحري عن ذلك التراث».

٢- ما يريده الغرب من هذه التسميات: «بلاد ما بين النهرين» و«الشرق الأوسط» و«الشرق الأدنى»: من مقال كتبه زنب بحراني، استاذة الفن القديم والآثار في جامعة ولاية نيويورك، ولها مؤلفات منشورة بالانكليزية عن آثار العراق («الحياة»، العدد ١٢٩٤٥، تاريخ ١٣ آب ١٩٩٨، ص ١٧):

ماضي ما بين النهرين بحسب التاريخ المتعارف هو المكان الذي اتخذت فيه الحضارة العالمية خطواتها الطفولية الأولى: اللغة المكتوبة، القوانين، العمارة، وكل تلك الإنجازات «الأولى» التي تحفل بها الكتب المتداولة عن ما بين النهرين (...). وحتى في ثلاثينات القرن الماضي، قبل بداية التنقيبات العلمية في الشرق الأدنى، كانت فلسفة هيغل للتاريخ حددت هذه المنطقة بأنها المكان الذي شهدت فيه الإنسانية طفولتها. وقدمت الكتابة التاريخية الأوروبية إطاراً تفسيرياً يشبه تطور التاريخ بنمو الإنسان، ويحدد الشرق مهلاً لذلك الإنسان. وعندما اكتشفت آثار ما بين النهرين فعلاً بعد ذلك بسنين، كان هذا المنظور راسخاً تماماً وتم تفسير هذه المكتشفات على أساسه (...). تزامنت أولى تنقيبات البعثات في منتصف القرن التاسع عشر مع استخدام عدد من التسميات لهذه المنطقة: بلاد ما بين النهرين، والشرق الأدنى، والشرق الأوسط. وفي الوقت الذي كان فيه الاسمان الأخيران قابليين للتبادل أصلاً، ويشملان منطقة جغرافية أكبر، فإن تسمية بلاد ما بين النهرين أصبحت تطلق على حضارة ما قبل الاسلام في المنطقة التي كانت تعرف في عهد الحكم العثماني بالعراق.



باب عشتار.

ملك يهودي يقدم الطاعة ساجداً للملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م.)



اوروبا. ساهمت الآثار الثقافية لبلاد ما بين النهرين، إذن، في إظهار كيف تطور الغرب الحديث من تلك المرحلة في التطور، وإن روايات الكتاب المقدس كانت صحيحة مع ذلك. لم تكن هذه بالتأكيد الدوافع الوحيدة لمساعي التنقيب عن الآثار في بلاد ما بين النهرين. والأكثر أهمية أن المفاهيم التي شكلت بلاد ما بين النهرين ليست مقصورة على الفترة الأولى من أعمال التنقيب في المنطقة. ويفرق ذلك أهمية أن ندرك أن إنشاء بلاد ما بين نهرين ضمن خطاب القرن التاسع عشر ليس شيئاً من الماضي. فهذه البنى تستمر إلى الوقت الحاضر، ولا تزال باقية من دون تنفيذ تقريباً.

* آثار العراق: مآل كارثي يستدعي ورشة عالمية علمية وحضارية للإنقاذ: مواضع الساعة، أكانت حارة أم باردة، لا بد لكل كتابه بشأنها أن تستند إلى وسائل الاعلام اليومية. والحقيقة ان «الحياة» برزت في طليعة الصحف العربية والعالمية التي أولت اهتماماً جاداً بما ينزل بآثار العراق، أرض أم الحضارات البشرية، من كوارث بعدة وجوه: السرقة والتخريب، القصف والتدمير، خاصة جراء حرب الولايات المتحدة وحلفائها ضد العراق (١٩٩١) وسنوات حصارهم الذي لا يزال مضروباً على هذه الدولة حتى الآن (صيف ١٩٩٨). ومن هذه الصحيفة، بأعدادها: ١١٦٩٠، تاريخ ٢١ شباط ١٩٩٥، ص ١٢، و١٢٣٩٧، تاريخ ٥ شباط ١٩٩٧، ص ١٦، و١٢٤٠٥، تاريخ ١٤ شباط ١٩٩٧، ص ٢١: بداية وقوف الغربيين على آثار العراق:

كان دارسو التاريخ القديم للعراق لا يجدون أمامهم سوى ما جاء ذكره عن هذه البلاد في الكتب التراثية وفي ما كتبه الرحالة القدامى من أمثال هيرودوتس وديودوروس الصقلي واسترابو وبليني الأكبر. إلا ان الوضع تغير بعد ذلك ممماً عندما بدأت محاولة ترجمة النصوص الآشورية في العام ١٨٠٢ على يد جورج فريدريك غروتفند في جامعة غوتنغن الألمانية، ولم يتم حل رموز هذه اللغة إلا بعد ذلك بنصف قرن. وعندما تمكن اللغويون من ترجمة كتابات الألواح الآشورية القديمة ازداد اهتمام الباحثين الغربيين في التعرف على أسرار تاريخ أرض الرافدين القديم، وبدأت أعمال الكشف الأثري، وكان أول الأثريين الذين عملوا في العراق بول إميل بوتال الذي شغل منصب قنصل فرنسا في الموصل بالشمال، وهو الذي عثر على بقايا مدينة نينوى القديمة، عاصمة الآشوريين،

وكان هذا الاسم، العراق، أصبح شائع الاستعمال بالفعل من قبل السكان المحليين في زمن كتابات الجغرافي ياقوت الرومي في القرن الثاني عشر وأوصاف ابن حوقل عن المنطقة في مطلع القرن العاشر.

بدأ استخدام مصطلحي الشرق الأوسط والشرق الأدنى بهدف إعطاء تحديد أكثر وضوحاً للمنطقة الجغرافية الشاسعة التي كان يجري الاكتفاء بتعريفها بـ«الشرق»، وكانت تشمل كل آسيا وشمال أفريقيا. ولتمييز ما كان أقرب إلى اوروبا، في وقت اشتد فيه الاهتمام بهذه المنطقة، أصبح تطوير تعريف أكثر دقة ضرورياً. وسرعان ما خرج عن نطاق التداول العام مصطلح الشرق الأدنى الذي استخدم للمرة الأولى في نهاية القرن التاسع عشر (١٩٠٠).

ابتكر اسم الشرق الأوسط في ١٩٠٢ من قبل مؤرخ البحرية الأميركي ألفرد تاير ماهان الذي اعتبر، لغايات استراتيجية عسكرية، ان مركز هذه المنطقة هو الخليج. وبهذه الطريقة جرى التمييز بين المنطقة قبل ظهور الاسلام وبعده بما يعني ضمناً موت حضارة واستبدالها واستبدالها من قبل حضارة أخرى. وفي إطار هذا النظام الصارم أصبح الاسم المقبول للعراق في فترة ما قبل الاسلام هو بلاد ما بين النهرين. وأكد هذا الانبعاث لاسم استخدم للمنطقة في التراث الكلاسيكي مكانة حضارة آشور-بابل ضمن سرد الحضارات باعتبارها الجذور المشوهة الابعاد للثقافة الغربية. هكذا، يشير مصطلح بلاد ما بين النهرين إلى وجود زمني أكثر منه جغرافي، وهو حسب تعبير ليو أوبنهايم «حضارة ميتة». لم تكن بعثات التنقيب الأولى عن الآثار تعاني إذن أي غموض في ما يتعلق بأهدافها. فبما أن الحضارة الانسانية ابتدأت أصلاً بحسب ما كان يعتقد في بلاد ما بين النهرين، كان المبرران اللذان يقدمان مبرراً لإيفاد بعثات التنقيب هما البحث عن «جذور» الحضارة والعثور على الأماكن التي وردت في التوراة.

هذه الرغبة في فصل ماضي المنطقة عن حاضرها، وتقديمه بدلاً من ذلك كمرحلة بدائية في تطور البشرية، مهد لمفهوم بلاد ما بين النهرين كمنطقة تابعة بشكل شرعي للغرب، بمعنى تاريخي وجيوسياسي على السواء. وعبر إطلاق التسميات أنجز بنجاح فصل هذه الحضارات القديمة وتجزئتها وعزل التاريخ اللاحق للمنطقة.

هكذا، لم ينظر إلى عمليات الاستحواذ على الآثار والاعمال الفنية التي سُحنت إلى اوروبا باعتبارها تمثل فقط، أو حتى قبل كل شيء، الاستيلاء على الآثار الفنية التاريخية للعراق. بل إنها تمثل بقايا ماضي خيالي لمرحلة ما قبل

وكيف أفلح في نقل نحو ١٠٠ تمثال.

استمرت عمليات نهب الآثار العراقية. ولم توقفها ولادة دولة العراق الحديث ولا حتى الاستقلال. ففي عددها الصادر في ١٩٩٥ والمخصص لموضوع سرقة الآثار العراقية ورد في نشرة «أكاد» AKKAD العراقية عن قيام برنار غريتر، السفير الفرنسي السابق في بغداد ما بين ١٩٦٩ و١٩٧٤، بتهرب الآثار داخل الحقباء الدبلوماسية الكبيرة، وأن هذه الآثار سرقت من موقع جمدة نصر في أور ويعود تاريخها إلى ما قبل ٥ آلاف سنة، وعرضت المسروقات للبيع علناً في غاليري «رويال أتيينا» في لندن ونيويورك. وكان مهربون فرنسيون حاولوا، في الثلاثينات، تهريب قطع مهمة من موقع خورسباد قرب الموصل. ولا يزال مصير القطع التي غرقت في شط العرب مجهولاً، ولم تنجح محاولات اليابانيين لاستخراجها في الستينات. ويذكر أن الدبلوماسيين الأجانب المعتمدين في بغداد كانوا، حتى سنوات قريبة، يعتبرون التنقيب عن الآثار وتهريبها نوعاً من رياضة أو هواية يطلقون عليها مصطلح «تيلينغ» Teling، من «تل» بالعربية، في إشارة إلى أن معظم الآثار العراقية موجود في باطن التلال التي قد تضم مستوطنات وقرى تعود إلى التاريخ القديم.

وقد يفسر تاريخ سرقة عشرات الآلاف من كنوز التراث الحضاري في العراق لماذا لم تنضم، إلى الآن، الولايات المتحدة وبريطانيا إلى «الاتفاقية الدولية الخاصة بحريم استيراد ونقل وملكية الممتلكات الثقافية» التي أقرتها منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم (اليونسكو) في العام ١٩٧٠.

في الحرب ١٩٩٠-١٩٩١ وبعدها:

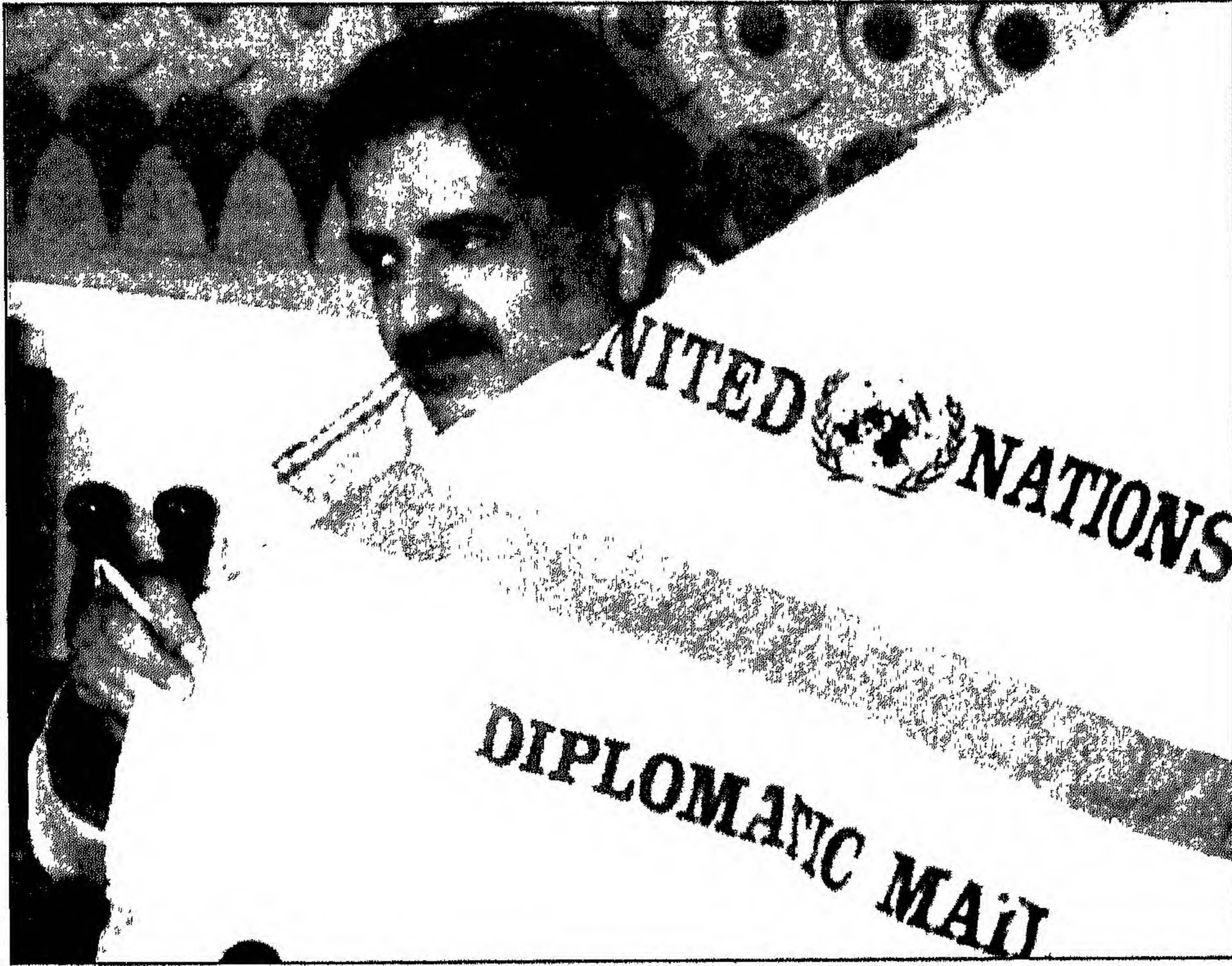
في شباط ١٩٩٥، وعلى رغم الحصار الدولي المطبق على العراق، غامر علماء آثار معروفون في العالم (من اليابان وبريطانيا والولايات المتحدة وإسبانيا وروسيا والنمسا وألمانيا...) و٢٠ استاذاً أكاديمياً من جامعات ومتاحف عالمية وقصدوا بغداد للاجتماع والتداول في سبل إنقاذ الآثار العراقية من التخريب والنهب. فدعوا إلى إنهاء الحظر الاقتصادي والثقافي الذي يحرم المؤسسات العراقية المختصة من وسائل صيانة الآثار، ووجهوا رسائل إلى المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم (اليونسكو) ومدير البوليس الدولي (الترربول) وحكومات البلدان العربية والإسلامية المجاورة للعراق تطالب بالمساعدة على وقف عملية نهب الآثار. وذكروا أن فقدان سيطرة الحكومة المركزية على بعض مناطق شمالي العراق وجنوبيه والحظر

بالقرب من الموصل، وفيها قصر الملك سنحاريب. ومنذ منتصف القرن الماضي وحتى نشوب حرب الخليج في ١٩٩٠ انتشرت بعثات الحفر الأثري في كل جزء من أرض العراق، تعمل في حوالي ٥٠٠ موقع للكشف على أسرار حضارة بلاد الرافدين منذ آلاف السنين. فجاءت البعثات من فرنسا واندكلا والمانيا والولايات المتحدة وإيطاليا، كما بدأ العراقيون أنفسهم في العمل. وتم العثور على نحو نصف مليون قطعة أثرية توزعت على متاحف بغداد ولندن وبرلين وباريس واسطنبول ولينغراد وفيلادلفيا وييل، إلى جانب مئات الآلاف من القطع التي ظلت في مواقعها الأصلية.

السرقه والنهب قبل ١٩٩٠:

متحف «متروبوليتان» في نيويورك الذي يضم نصباً وجدراناً بكاملها منتزعة من مواقع آشور وبابل ونيوى وغمرد، هذا المتحف أصدر دليلاً تذكر مقدمته أن «جدران المتاحف في بلدان عدة في العالم تشهد على نجاح هنري لايارد في إزالة المنحوتات الجدارية ونقلها إلى الهند أولاً ثم أوروبا». وهنري لايارد هذا هو مغامر انكليزي قام في منتصف القرن التاسع عشر بالتنقيب عن الآثار في نيوى حيث أطلال غمرد، واشتهر، بعد قيامه بأكثر عمليات نقل وبيع كنوز التراث القديم المنتزعة بالجملة من العراق إلى بريطانيا وأصبح من نجوم المجتمع الانكليزي وعين دبلوماسياً واختير عضواً في البرلمان البريطاني. شخصية هنري لايارد هذا، المغامر أو «شاذ الآفاق» كما يقال بالعربية، والأضرار التي سببها لأقدم تراث حضاري في التاريخ قد تكون هي التي دفعت معاصراً له لأن يقول: «إذا كنت أغتفر لهنري عثوره على نيوى فلن أغتفر لنيوى عثورها على هنري». وما يرويه دليل متحف متروبوليتان أن لايارد كان يستخدم أحياناً المتفجرات اقتصاداً في الوقت، وأنه كان ينقل الجداريات على ظهور الثيران إلى ضفاف نهر دجلة حيث تنقل على جلود حيوانات منفوخة طافية فوق الماء إلى الخليج، ومن هناك تحملها السفن إلى الهند، وبعض الجداريات غرق أثناء نقلها.

ويخصص دليل متروبوليتان صفحات لمشاركة مبشرين أمريكيين في انتزاع ونقل المنحوتات الجدارية الآشورية، ومراسلات المبشرين التي تكشف عن المنافسة الضارية بين المنقبين الانكليز والفرنسيين في نزع تماثيل الثيران المنحوتة الآشورية ونقلها إلى متحف اللوفر الفرنسي والمتحف البريطاني. ويروي مبشر أمريكي فرحه الطاعني عندما سمح له الانكليز أن يختار ما يريد من المنحوتات الجدارية في قصر غمرد، وكيف كان يقطع الجداريات،



رئيس مؤسسة الآثار العراقية مؤيد سعيد يعرض حقيبة دبلوماسية هرب بها موظفو الأمم المتحدة آثاراً عراقية (شباط ١٩٩٧).

مسلحة على مواقع أثرية مهمة، منها تل جوهر غربي مدينة شطرة. وذكر العلماء في المؤتمر أن عمليات السرقة والنهب والتخريب لا تزال مستمرة. كما كشفت الوثائق المقدمة إلى المؤتمر عن تعرض منطقة أور نفسها إلى انتهاكات، وهي تعد من أهم المناطق الأثرية العالمية التي شهدت ميلاد الكتابة ونشوء المدن، وإليها يُنسب إبراهيم الخليل. وظهرت آثار القصف الجوي الذي أحدث ٤٠٠ ثقب ظاهر في زقورة أور ثم المشهورة التي بنيت عام ٢٠٥٠ ق.م. ولكن أفدح الأضرار وقع عند الإنزال الأميركي في منطقة أور التي تقع قرب مدينة الناصرية جنوبي العراق، إذ استخدمت الوحدات الأميركية الجرافات في إزالة جزء كبير من تل اللحم في أور لاقامة مرائب للشاحنات العسكرية. وذكر مسؤولو الآثار أن الموقع غير مدروس سابقاً ولا يُعرف نوع القطع الأثرية التي استخرجها منه الأميركيون ويُجهل مصيرها. وقالوا إنهم لم يعثروا في الموقع إلا على نفايات وعلب وطلقات فارغة. ونُقل عن السكان المحليين الذين لم يغادروا المنطقة خلال العمليات الحربية أن القوات الأميركية كانت تنظم جولات لمجموعات من الجنود الأميركيين يبلغ عدد أفرادها بين ٥٠٠ و٧٠٠ فرد يومياً، ويرافقهم خلال الجولات دليل آثاري أميركي برتبة ضابط. ورجح

الاقتصادي والثقافي يحرمان البلد من وسائل حماية وصيانة آثاره الثمينة. وقالت عالمة أميركية طلبت عدم الكشف عن اسمها أن جهل كثير من السياسيين بالتاريخ العالمي يحول دون إدراكهم حجم الكارثة الحضارية التي تترتب على تدمير الآثار العراقية وسرقتها. وأوضحت عالمة أن هذا الجهل ظهر في دهشة الرئيس الأميركي بيل كلينتون خلال زيارة القاعات العراقية في متحف اللوفر في باريس واعترافه بأنه لم يكن يتصور حجم الآثار المرحودة في العراق.

وعُرضت، إبان مؤتمر بغداد هذا لعلماء الآثار العالميين، أفلام فيديو كشفت عن حجم الدمار الذي أوقعته الاضطرابات الداخلية في أعقاب حرب الخليج (١٩٩٠-١٩٩١). وبدأت آثار الحرب واضحة في متاحف المحافظات والمدن العراقية التي كانت قد نقلت إليها مقتنيات مهمة من المتحف المركزي في بغداد خشية تعرضها للقصف الجوي. وأكثر المتاحف تعرضاً للتخريب هو متحف كركوك شمالي العراق، ويبلغ عدد القطع التي فُقدت أو أُلغيت ٧٤٨ قطعة، إضافة إلى ٤٨٤ مخطوطة إسلامية، وفُقدت في متحف دهوك ٢٤٠ قطعة، والسليمانية ٢٢، وآشور ٣٠، وسنجار ٤، والكوفة ١٩٨، والقادسية ٩٤، وميسان ٧٢٣، والبصرة ٩٤٧، وواسط ٧٤. ووقعت هجمات

الآشورية الوحيدة التي ظلت مستوطنة بهذه الكثافة السكانية ومحتفظة باسمها القديم إلى يومنا هذا. والمرجح ان أقدم ذكر لها كان في كتابات الملك السومري شولكي نحو ٢٠٠٠ ق.م. باسم «أورييلم». ووردت ايضاً باسم أرييلا حيث كانت ضمن امبراطورية أور الثالثة. وجاء ذكرها ايضاً في الكتابات البابلية والآشورية باسم أربا-إيلو التي تعني «الآلهة الاربعة». واشتهرت بكونها من مراكز عبادة الالهة عشتار فعرفت باسم «عشتار أربلا». وتلفظ باللغة الكردية، حالياً، بـ«هولير».

حظيت أرييل باهتمام خاص من معظم الملوك الآشوريين، وكانت من أبرز مراكزهم. أنشأ فيها سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م.) مشروع ري خاصاً، ووُجد بعض الآثار التي تعود لآشور بانيبال وآشور دان الثالث.

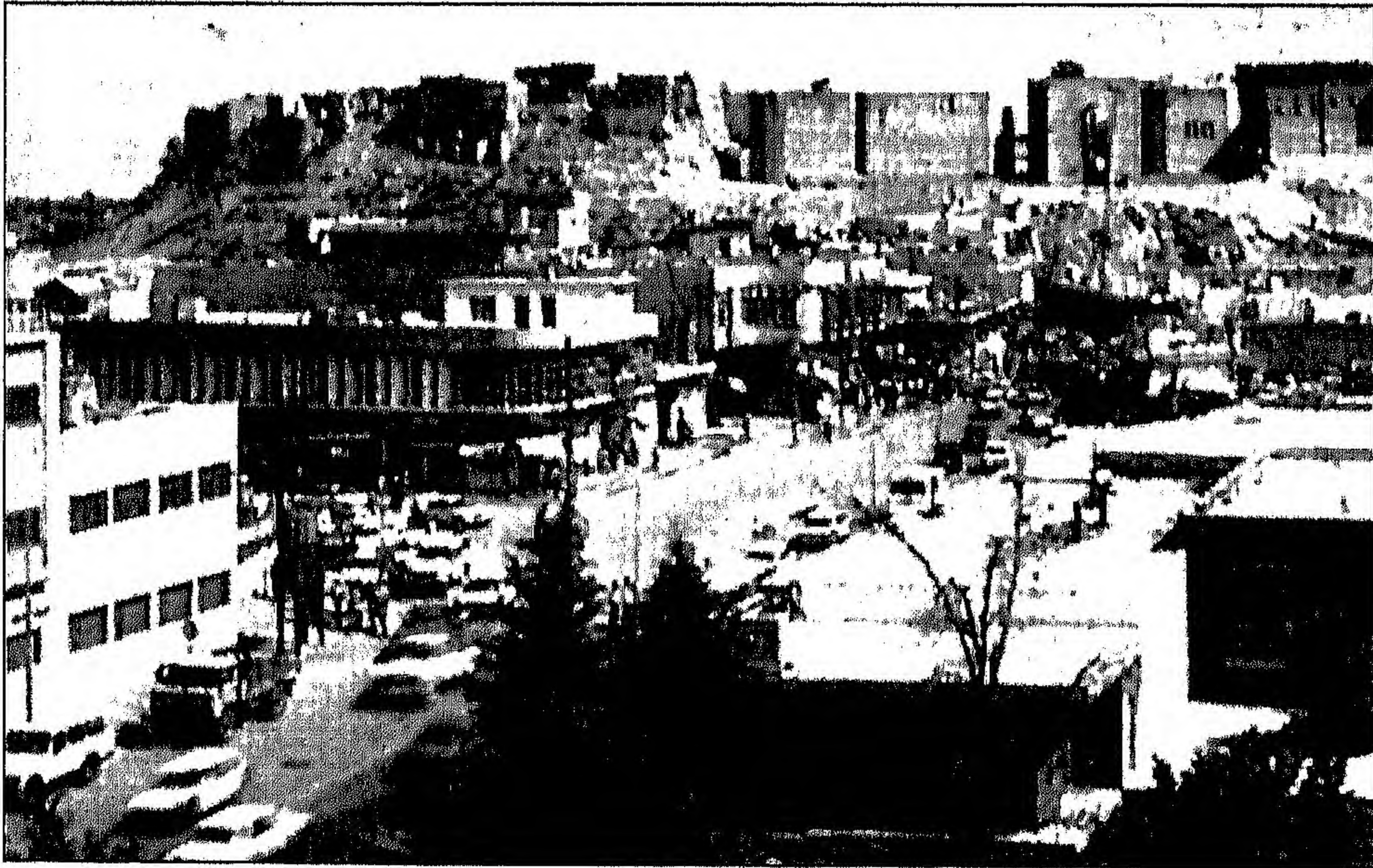
تعاقب على أرييل الكثير من الدول والحكومات التي مرت على العراق، واتخذت من المدينة مركزاً رئيسياً للسيطرة على شمال العراق والانطلاق منها إلى دول أخرى خصوصاً في العصور القديمة في ظل الكوتيين والميتانيين والآخمينيين والفرثيين والرومان والساسانيين. وكانت المدينة مركز صراع ومعارك بين دول عدة، ومن أشهرها المعركة

المسؤولون ان عمليات التنقيب الواضحة في منطقة أور قد تكون مصدر الآثار التي ذكرت الصحافة الاميركية ان الجنود العائدين من الخليج عرضوها للبيع على المتاحف في الولايات المتحدة. وذكر ان الاحتجاجات الرسمية العراقية إلى الأمم المتحدة لم تثمر إلا عن إعادة ١٩ قطعة فقط من بين مئات يقدر وجودها في أيدي أفراد القوات الاميركية.

* أرييل: مدينة عراقية. أهم مدن كردستان العراق، وقد أصبحت مؤخراً عاصمة هذه المنطقة (كردستان العراق). تقع في سهل أرييل المتموج شمالي الجمهورية العراقية وتحاذيها الجبال من الجهتين الشمالية والشرقية ويبلغ معدل ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ٤١٤ م، وتبعد حوالي ٨٧ كلم إلى الشرق من مدينة الموصل مركز محافظة نينوى، وحوالي ٩٦ كلم شمالي مدينة كركوك، وحوالي ٣٤٦ كلم شمالي العاصمة بغداد. تعد نحو ٣٧٥ ألف نسمة، وهي من أقدم المراكز الحضارية الحية، أي التي ما زالت قائمة ومأهولة بالسكان، ولم تنقطع منهم منذ نحو ٤ آلاف سنة.

إن اسم أرييل قديم قدم المدينة. وقد ورد بكثرة في الكتابات التاريخية في مختلف العهود. ولعل أرييل المدينة

جانب من قلعة أرييل كما تُشاهد من قلب المدينة.



خلال العقدين الأخيرين، وازدادت الدوائر الحكومية، وازداد النزوح إليها من الريف والتوسع الصناعي الحكومي والأهلي، وافتتحت فيها «جامعة صلاح الدين»، وأنشئت المعاهد والمستشفيات (عن سامي شورش- كاتب كردي عراقي- ورؤوف محمد علي الانصاري، «الحياة»، ١٥ كانون الثاني ١٩٩٤، و٢٨ ايلول ١٩٩٧؛ د. فاضل حسن أحمد، «المدينة العربية»، مجلة متخصصة تصدرها منظمة المدن العربية، العدد ٣٤، تشرين الثاني ١٩٨٨، ص ٦٠-٦٥).

* إريدو (أبو شرين): مدينة قديمة في منطقة بلاد الرافدين الواقعة (جنوبي العراق)، قرب أور. أظهرت التنقيبات التي جرت فيها بين ١٩٤٦ و ١٩٤٩ أن المدينة كانت مزدهرة في عصور ما قبل التاريخ (يقال لهذه العصور في العراق مرحلة «تل العبيد»، راجع هذا الباب). من مكتشفاتها ١٨ مزاراً متطابقة تعود إلى بداية الألف الرابع ق.م. هُجرت إريدو منذ أوائل الألف الثاني ق.م.

* آشور: تعتبر قلعة شرقاقل الواقعة على الضفة الغربية لنهر دجلة وإلى الجنوب من مدينة الموصل (على مسافة ١١٠ كلم منها) هي موقع مدينة آشور القديمة، عاصمة الآشوريين الأولى. يبدأ تاريخها منذ استيطان الإنسان الأول قبل نحو ١٠ آلاف سنة وحتى أوائل القرون الميلادية، وتعد من أهم المراكز الحضرية في شمال العراق. وقد ظلت آشور عاصمة الآشوريين حتى قيام الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م.) باقتحام مدينة نمرود (كالح) عاصمة جديدة له، الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة قرب التقاء الزاب الأعلى بنهر دجلة.

أبرز معالم آشور التاريخية: سوران، خارجي وداخلي؛ و١٣ بوابة؛ والزقورة التي كانت مخصصة لعبادة الإله آشور، ومعروفة باسم زقورة الإله «بيل»؛ و٣٥ معبداً، أشهرها معبد آشور، ومعبد عشتار ومعبد نبو ومعبد مردوخ؛ وقصور كثيرة أشهرها القصر الملكي، أو قصر سنحاريب.

* أكد (والأكديون): مدينة قديمة في وسط العراق كانت عاصمة الامبراطورية الأكديّة التي أسسها سرجون الأول نحو ٢٤٠٠ ق.م. وموقعها في منطقة تل الدير حالياً. والأكديون شعب سامي استوطن أواسط بلاد الرافدين (٢٤٠٠-٢٢٢٠ ق.م.)، كانت لهم حضارة

التي دارت بين آخر الملوك الأخمينيين دارا الثالث وبين الاسكندر المقدوني (٣٣١ ق.م.) وسميت معركة أرييلا. وورد ذكر أرييل في الكثير من المصادر والمراجع التاريخية وكتب المستشرقين والرحالة المسلمين وغيرهم. ووصفها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» قائلاً «أرييل قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض وبقعتها خندق عميق وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية وجامع للصلاة».

وزار الرحالة الألماني كارستن نيبور مدينة أرييل في ١٧٦٦، وقال في وصفها: «وصلنا أرييل وهذه المدينة هي أرييلا دون شك والتي اشتهرت في المعركة التاريخية الحاسمة بين الاسكندر ودارا. وقد كانت إمارة إسلامية عاشت سنوات كثيرة، وكان أمراؤها الذين حكموا بالوراثة يتصفون بياس شديد، فوسّعوا رقعة إمارتهم وجعلوها تشمل مناطق واسعة امتدت إلى داخل بلاد فارس حتى مدينة تبريز. وكانت المدينة آنذاك كبيرة جداً ولها قلعة مشيدة على تل مرتفع. أما اليوم فلم يبق منها شيء ما عدا القلعة، ولكن حتى هذه ليست مسورة وإنما أقيمت عليها البيوت ولا سيما حول حافة التل بصورة متماسكة فلا يستطيع أحد أن ينفذ خلالها داخل المدينة إلا من باب المدينة الحالي».

وكانت أرييل خلال الحكم العثماني للعراق تحكم مباشرة من والي بغداد الذي يعين لها حاكماً. أما أبرز معالم أرييل التاريخية فهي القلعة والمئذنة المظفرية. ولا تزال القلعة تحتفظ بشكلها القديم، ويعتقد بأنها شُيّدت من قبل أسرى الحروب الآشورية مع الأمم الأخرى، وذلك لأغراض دفاعية. وأما المئذنة فتعود إلى المسجد الذي يدعى جامع المظفرية نسبة إلى حاكم أرييل الأتابكي مظفر الدين كوكيري (١١٨٥-١٢٣٣) الذي أمر ببنائه. ولكن الجامع تهدم وظلت المئذنة قائمة في مكانها على رغم سقوط قسمها العلوي.

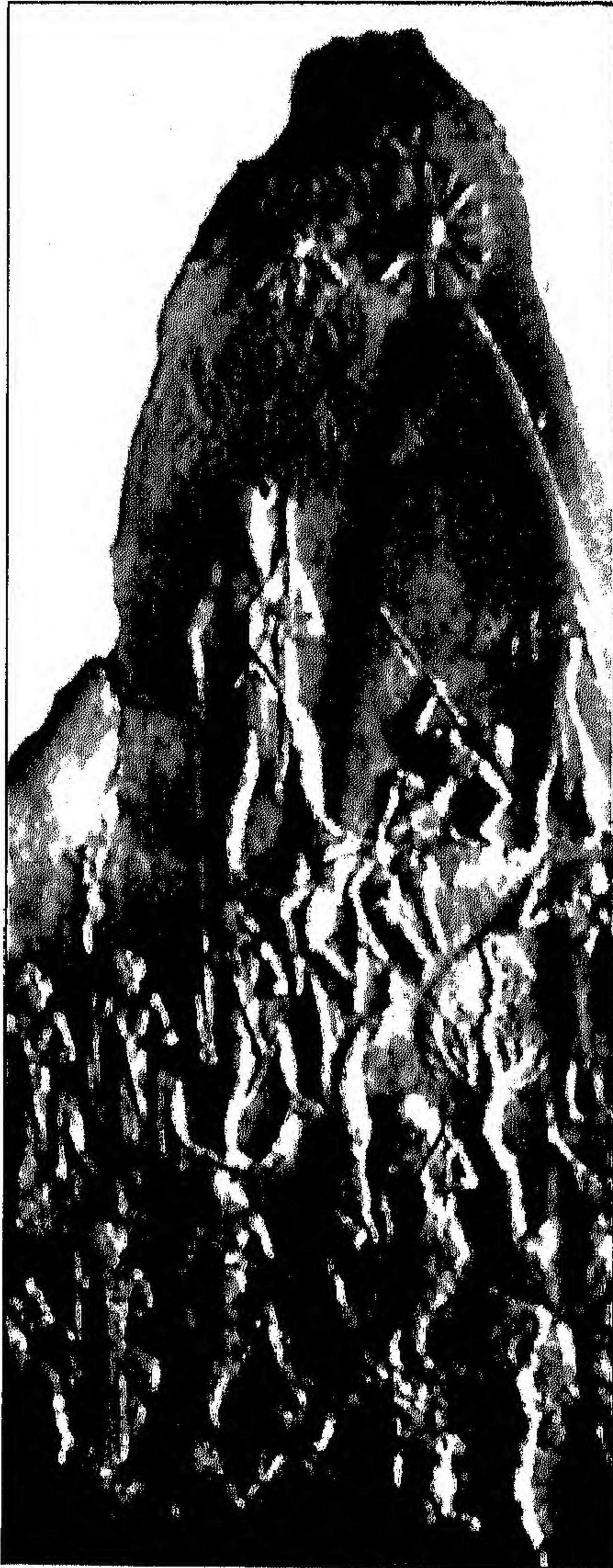
في القلعة ثلاثة أحياء سكنية. وقد شيدت البيوت الحالية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فوق أنقاض بيوت سابقة. وكانت هذه الأحياء داخل القلعة تستوعب بين ٥-٦ آلاف شخص في ١٨٤٧ وإن عدد سكانها بلغ نحو ٤٥٠٠ شخص في ١٩١٦، بينما كان عدد سكان المدينة (أي مدينة أرييل خارج القلعة) في العام نفسه عشرة آلاف شخص.

توسعت المدينة وتطورت بشكل كبير في المساحة والسكان مع بقاء التوسع بشكل دائري مركزه القلعة



الملاك المنحج، حكيم
آشور وطيبها.
الالوان لا تزال عاصية
على الزمن ومثار
دهشة العلماء.

أثر أكدي.



مزدهرة ولغة حلت محل اللغة السومرية، وأصبحت لغة دول الشرق الرسمية، وعنها تفرعت البابلية والآشورية. وسرجون هذا يعتبر مؤسس أول وأقدم امبراطورية عرفها التاريخ. ومن أبرز وأهم الكتابات الأكديّة الأدبية المتأخرة قصيدة سومرية في أصلها كتبها شاعر (لا يعرف اسمه) عاش بعد سقوط الامبراطورية الأكديّة، نالت شهرة في العهد البابلي، ووجدت نسخة منها في مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال، ووجدت نسخ منها أيضًا باللغة الحثية. وقد أطلق الأثريون عليها تسمية «لغة أكّد» لتناولها إرتقاء الامبراطورية الأكديّة وسقوطها، وتقع القصيدة في ٢٨١ بيتًا («المنجد»، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ط ١٣، قسم الاعلام، ص ٥٨؛ وغنام وحيدة، باحث عراقي، «الحياة»، ٢٩ نيسان ١٩٩٧).

* الأهوار: (هي غير الأهواز، مدينة في جنوب غربي إيران، عاصمة اقليم خوزستان الإيراني والذي يقول له العرب «عربستان»، وقد جاء عن ذلك في مادة «إيران»، ج ٤، خاصة في موضوع «خزعل خان» في باب «زعماء ورجال دولة»، ص ٢١٧-٢١٨).

«الأهوار» جمع «هور». والأهوار منتشرة جنوبي العراق، وأكبرها مساحة الهور الذي يقع ضمن المنطقة المحصورة بين محافظات البصرة والناصرية والعمارة، وأوسعها هور الحمار وهور الخويزة وهور السعدية. وهناك بعض الأهوار الأخرى قرب مدن الديوانية والكوت والحلة.

سكان بيوت القصب. وتعتبر الوركاء الواقعة إلى الشرق من مدينة السماوة بحوالي ٣٠ كلم إحدى أشهر المدن السومرية القديمة، وهي أطلال المدينة التاريخية أوروك التي ذكرتها التوراة (أرك). وسكن المنطقة، إلى السومريين، البابليون والكثيون وشيدوا المعابد والقصور، ثم حكمها الآشوريون فالكلدانيون والفرس الأخمينيون.

من أبرز الدارسين لمنطقة الأهوار العراقية البريطانيان: الكاتب والرحالة الشهير كيفن يونغ الذي عاش في الأهوار لمدة تزيد عن أربع سنوات، والباحثة المستشرقة ليدي درور (توفيت في شباط ١٩٧٢)، وهي زوجة السير أدوين درور الذي عمل مستشاراً في وزارة العدل العراقية بين ١٩٢٢ و ١٩٤٦، ورافقته زوجته هناك، فتعرفت على العراق وشعبه، ودرست الأقليات الدينية، وحاضرت عن الأهوار لدى عودتها إلى وطنها في ١٢ حزيران ١٩٤٦. وترجم نائل صالح هذه المحاضرة ونشرتها «الحياة» على حلقتين متواليتين وهي كناية عن مشاهدات ميدانية (تاريخ ٣١ ايار وأول حزيران ١٩٩٧).

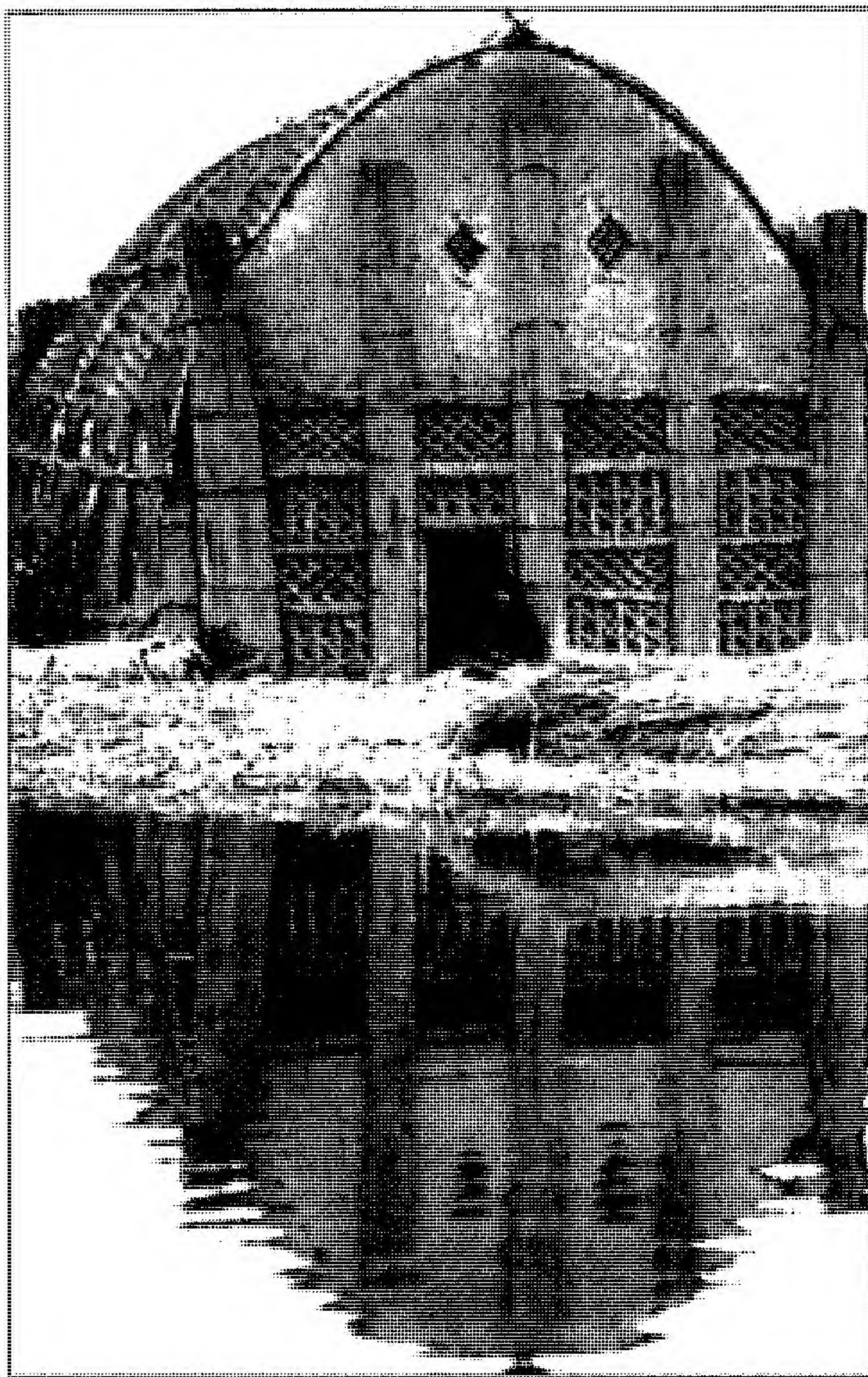
أما أول اهتمام صحافي عراقي في الأهوار فكان ذلك الذي قامت به جريدة «الاهالي» لصاحبها السياسي كامل الجادرجي وذلك عندما نشرت سلسلة مقالات بعنوان «خمسة عشر يوماً بين المعدان» في ١٩٣٣، وأول دراسة أكاديمية حول هذه المنطقة كانت بعنوان «سكان الأهوار-الجبايش» لمصطفى سليم في جامعة بغداد. أما على مستوى الصحافة العربية فكان أول استطلاع ميداني لأهوار الجبايش والصحين قامت به مجلة «العربي» في ١٩٦٦. وفرضت قضية الأهوار نفسها على الصحافة العالمية منذ أحداث انتفاضة آذار ١٩٩١.

منذ أن تولي الرئيس العراقي الحالي، صدام حسين، مهام نائب الرئيس، قبل ان يصبح رئيساً للجمهورية في ١٩٧٩، أولى مسائل التاريخ والحضارة، ودراستهما، أهمية بالغة. فخصصت موازنات ضخمة، وحصلت الأهوار على نصيب وافر منها. وكانت البعثة العلمية التي نظمها الرحالة النرويجي الشهير هايردل، في ١٩٧٧، واحدة من أروع وأهم ما تم إنجازها لصالح توثيق تاريخ المنطقة. ويذكر ان تلك البعثة العلمية أبحرت في سفينة تاريخية مصنوعة من قصب أهوار العراق بدءاً من نهر دجلة عبر الخليج والبحر العربي ثم إلى خليج عدن لتتبع طرق الملاحة والتجارة في العصر السومري، في محاولة البحث عن مصدر واحد للحضارة البشرية. وكتب هذا العالم الكبير بأن وزارة الاعلام العراقية «سمحت له بقطع القصب من الأهوار،

والأهوار العراقية هي منخفضات مائية تغمر جزءاً من الحدود الدولية بين العراق وإيران إلى الشمال من شط العرب (أي في المنطقة المعروفة تاريخياً باسم سومر). ولقد عرف العرب في القديم هذه المنطقة باسم «البطائح»، لأن المياه تبطحت بها، أي سالت واتسعت في الأرض. وهي تكونت نتيجة الفيضانات التي شهدتها المنطقة منذ ما قبل التاريخ وامتدت إلى وقتنا الحاضر، وهي ترتبط ارتباطاً مباشراً بدجلة والفرات، وتتغذى منهما سنوياً في مواسم الفيضان الناتجة عن ذوبان الثلوج في المرتفعات التركية عن طريق شبكة معقدة من الفروع والقنوات. لذلك، فإن مساحة الأهوار تتغير سنوياً-بين نحو ١٧-٢٠ ألف كلم م. - تبعاً لحجم الفيضان. وهذا تشكيل هيدرولوجي وإيكولوجي فريد في نوعه في العالم عموماً وفي الشرق الأوسط خصوصاً، ويعتبره الدارسون أكبر نظام إيكولوجي في الشرق الأوسط ويرتبط مباشرة بنهري دجلة والفرات، ويشكل بيئياً ملجأ لآلاف الأنواع من الحيوانات والطيور والأسماك والنبات، فضلاً عن أنها مأوى لنحو مليون إنسان أيضاً لا يمكنهم التنقل، أحياناً، ولر لأمتار قليلة، من دون استعمال الزوارق، ويسكنون في جزر طافية، ويعيشون في إطار الاكتفاء الذاتي بما يتم إنتاجه محلياً في ذلك المحيط الذي شكل الإنسان فيه جزءاً مكماً للمحيط البيئي السائد، ما جعله يبقى لأكثر من ٥ آلاف سنة من دون تغيير ملموس في طبيعة الحياة.

والبيئة السكنية في أهوار العراق، أو الحي السكني والبيت الذي يسكن فيه الأهوازي، هي «أراض تتشكل في مناطق يابسة مرتفعة تصل مساحة الواحدة منها إلى ٣ آلاف متر فقط وتسمى باللهجة المحلية «الدبن» ومفردها الدبون، وهي جزر صغيرة طافية على الماء بمقدار البيت مصنوعة من القصب والبردي المربوط بالحكام وهي تشبه الكلك والفرق بينهما ان الدبون مصنوع من القصب بينما الكلك من الجذوع أو قطع الخشب. وهذه الدبون متناثرة في الأهوار ويستخدمها الاهالي لسكنهم وإيواء مواشيهم. وهناك مساحات يابسة عائمة فوق الماء تتسع لاقامة دهن واحد فوقها، وهي تتكون من تشابك الجذور وتراكم الغرين بعد ان ينبت فوقها القصب والنعناع والاعشاب الزاهية، وهي تدور مع المياه بهبطء، وتسمى التهلة وتستخدم للسكن أيضاً» («الوسط»، العدد ١٠٠، تاريخ ٢٧ كانون الاول ١٩٩٣، ص ١٥).

دلت التنقيبات الأثرية في منطقة الأهوار على أن أول من سكن مدينة «الوركاء» الأثرية الأهوارية هم



واجهة مضيف في الاهوار.

قرية أهوارية قبل التجفيف.



بريطاني (١٨٨٠-١٩٦٠) في تل المقيّر القائم على أنقاض أور، واستمر فيها بين ١٩٢٢ و ١٩٣٤، كشفت عن وجود معابد وقصور وزقورة ومقابر ملكية، وأتاحت في المجال لإعادة كتابة تاريخ المدينة الأثرية ومنطقتها. ومما كشفت أن المكان كان مأهولاً منذ ما قبل التاريخ، وأن ثمة طوفاناً تطابق إلى حد كبير مع ما أتت على ذكره الروايات البابلية والتوراتية. كانت سيطرة الأسرة الأولى من أور على سومر في حوالي ٢٧٠٠-٢٥٠٠ ق.م. ثم عادت السيطرة للأسرة الثالثة (٢١٠٠-٢٠٠٠ ق.م.) التي أسسها أور نامو. بدأت أور في التراجع عندما سقطت في أيدي الاموريين، وتقهقرت في العهد الأخميني. الرواية الدينية الغالبة أن من أور نزح ابراهيم الخليل (راجع «آثار العراق»، و«سومر» في هذا الباب).

* أوروك (ورقة): موقع في المنطقة الجنوبية من العراق، على الضفة اليسرى من الفرات. كان مدينة سومرية، بدأ التنقيب فيه منذ ١٩٢٨، وكشف عن حضارة تعود إلى ٣٣٠٠-٣١٠٠ ق.م. شهدت ولادة الكتابة وتحول قرى ما قبل التاريخ إلى مدن زراعية يتوسطها المعبد (راجع «سومر» في هذا الباب). وإلى أوروك ينتمي البطل الأسطوري جلجامش.

* بابل (وشريعة حمورابي): من أبرز وأشهر مدن العراق التاريخية. تقع على بعد ٩٠ كلم من بغداد لجهة الجنوب. إسمها السومري «كادنكورا». أما «باب إيلو» أو «باب إيلي» ومعناه باب الإله أو باب الآلهة، فهو إسمها البابلي. يرجع أول وجود استيطاني فيها إلى نحو ٤ آلاف سنة ق.م. وذكرت في أخبار سلالة أور الثالثة، وأصبحت ذات مكانة تاريخية مع ملكها السادس حمورابي، ومركزاً لوادي الرافدين ما يقرب من ١٥ قرناً، وعاصمة لعشر سلالات حاكمة. ومن أشهر ملوكها، بعد حمورابي، نبوخذ نصر الذي ينسب إليه معظم الأبنية الباقية حتى الوقت الحاضر. وقد اختارها الاسكندر المقدوني عاصمة لملكه.

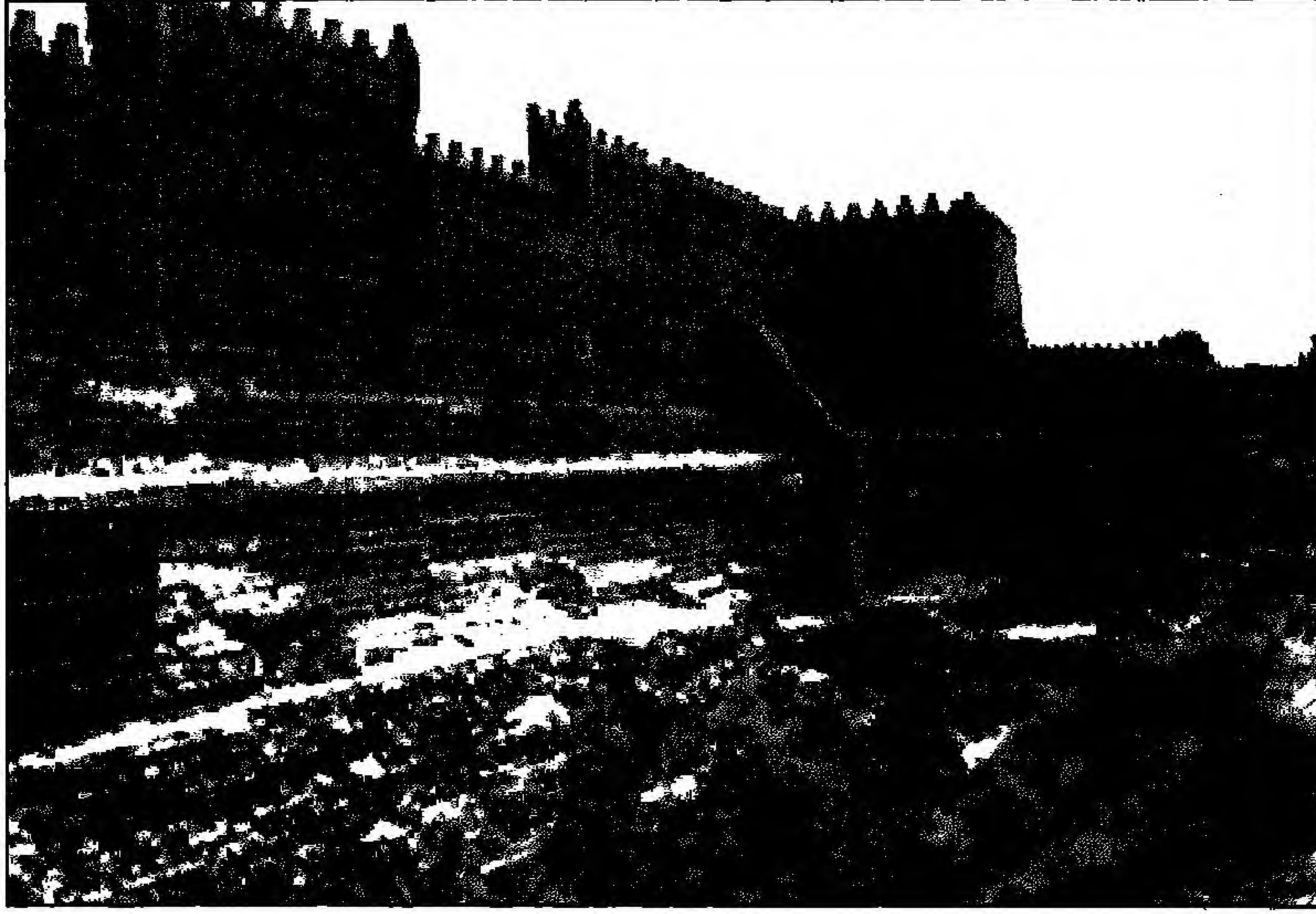
عانت المدينة من غزوات العيلاميين من الشرق الذين نهبوا كنوزها، من بينها مسلة الملك الأكدي نرام سن ومسلة حمورابي ووجد المنقبون الفرنسيون هذه الكنوز في مدينة سوسة عاصمة عيلام.

وبابل مدينة واسعة جداً (مساحتها ٤١ كلم م.)، تضم الكثير من المعابد والقصور والشوارع والبوابات

واستيراد كل ما يحتاجه من دون ضريبة، وتجميع أعضاء طاقمه مهما كانت جنسياتهم، والبقاء ضيقاً على وزارة الاعلام حتى الانحار». وعن عرب الأهوار كتب هايردل: «عشت مع ما يُسمى اناس بدائيين في بولونيزيا واميركا وافريقيا، لكن عرب الأهوار هؤلاء، وبأي صورة من الصور، ليسوا بدائيين، إنهم متحضرون لكن بطريقة تختلف عنا. ليس لديهم خدمات الازرار لكنهم اختاروا أقصر الطرق للغذاء والمتعة ومن المصدر مباشرة. وأثبتت حضارتهم بأنها قابلة للحياة والاستمرار، فيما انهارت الحضارات الآشورية واليونانية والفارسية بعد ان وصلت قمة إزدهارها» (عن حسن الجنابي، كاتب عراقي مختص بالبيئة يقيم ويعمل في أستراليا، «الحياة»، العدد ١٢٥٣٦، تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٩٧، ص ١٨).

لكن حرب الخليج، الاولى والثانية، حملت نتائج مأسوية ومدمرة للأهوار، بيئة وسكاناً، فقررت السلطات ردم وتخفيف المنطقة وترحيل سكانها إلى مناطق عراقية أخرى. وبدأ العمل في أواخر سنوات حرب الخليج الاولى (١٩٨٨)، واستؤنف بعد الحرب الثانية (١٩٩١)، خاصة بعد استكمال السدود التركية على نهر الفرات وتقليل مناسيبه. فدعي مشروع التخفيف «مشروع النهر الثالث». وصاحبت أعمال المشروع ضجة عالمية وعربية معارضة للمشروع ومبرزة «أهدافاً طائفية ولضرب كل إمكانية معارضة ومقاومة» للنظام الحاكم؛ في حين ان هذا الأخير كان يركز على اهدافه التنموية من وراء هذا المشروع الكبير. وفي ايلول ١٩٩٥، تناقلت وسائل الاعلام العالمية صوراً بالاقمار الاصطناعية، وتعليقات وأنباء، تظهر ان السلطات العراقية نجحت في تخفيف معظم المسطحات المائية المهمة في الأهوار. وينت الصور المقارنة للأهوار «كما كانت في اوائل السبعينات عندما كان الرئيس صدام حسين لا يزال يشق طريقه نحو قمة السلطة، والوضع الذي آلت إليه هذه المنطقة بعد المشاريع الهندسية العسكرية التي أمر صدام نفسه بتنفيذها من أجل إحكام قبضته الامنية على المنطقة التي لجأت إليها المعارضة». وقدّرت مختلف المصادر الغربية ان عدد سكان الأهوار تراجع من ٧٥٠ ألف نسمة إلى ما يقل عن ٥٠ ألفاً، وان السكان انتقلوا إلى العيش في أحزمة الفقر المحيطة بمدينتي البصرة وبغداد بعدما جفت مصادر عيشهم ونفقت مواشيههم.

* أور (تل المقيّر): مدينة سومرية. التنقيبات التي أجراها ووللي Woolley (السير ليونارد ووللي، عالم آثار



جانب من سور بابل
بعد ترميمه.

الأجنبية مطلع هذا القرن لم تكن شاملة، ولم تعتمد الأساليب العلمية الصحيحة، إذ لم يكن يهمها سوى نقل اللقى الأثرية إلى المتاحف الأجنبية. وبدأت الدراسات وأعدت الخطط حتى كان يوم ١٤ شباط ١٩٧٨ الذي بوشر فيه التنفيذ. وشمل العمل، في ١٩٧٩، نقاطاً كثيرة جداً في بابل، وتم الكشف عن عدد كبير من المرافق السكنية والمدافن وغيرها. وتواصل العمل في ١٩٨٠ و ١٩٨١، وكان غنيًا باللقى الأثرية، ومن أنفسها كثر بابل الذهبي الكبير الذي يعود إلى أيام نبوخذنصر. وفي ١٩٨٢-١٩٨٣، كان عدد الورش العاملة في المشروع قد وصل إلى ١٦ ورشة تنقيب وصيانة، وتجاوز الـ ٢٠ ورشة في ١٩٨٤.

لكن حربي الخليج المتعاقبتين أوقفتا العمل بالمشروع، ولم يُستأنف إلا في ١٩٩٤. وفي أواسط كانون الأول من هذه السنة عقد في بغداد مؤتمر دولي حضره علماء آثار من اليابان والولايات المتحدة ودول أوروبية، وأصدر بياناً دعا فيه علماء الآثار في العالم إلى التزام حماية التراث الإنساني والامتناع عن المساهمة في عمليات تهريب الآثار وسرقتها. وكان علماء أميركيون وبريطانيون ذكروا أن آلاف القطع الأثرية سرقت من العراق خلال الاضطرابات التي أعقبت الحرب. وأثناء المؤتمر ذكرت عالمة الآثار النمساوية هيلغا تريتكوالدر أن آخر أبراج بابل في العراق يغوص تحت الأرض بمعدل ٥ أقدام سنوياً. وقالت إن الفريق النمساوي الذي عمل في المواقع الأثرية في العراق

وسلسلة من المصاطب التي بناها نبوخذ نصر. ويحيط بالمدينة سوران، خارجي وداخلي، وبوابة عشتار هي البوابة الفخمة الرئيسية في السور الداخلي للمدينة. ولبابل شوارع فخمة مستقيمة، وأشهرها الشارع المسمى بشوارع المركب، وهو شارع مهيب بأبراجه وجدرانته المزينة، كانت تمر فيه تماثيل الآلهة من معبد مردوخ في عيد رأس السنة البابلية (بين آذار ونيسان).

أما برج بابل فيقع ضمن حارة ضخمة، قاعدته مربعة، طول ضلعها ٩١،٥٥ م. ويرجع بناؤه إلى أواخر الألف الثاني ق.م. وأعاد بناؤه بنو بلاصر، وأكمل بناءه ابنه نبوخذنصر (راجع «الزقورات» في هذا الباب). وفي بابل معابد كثيرة، ويعد معبد إياكلا الرئيسي فيها وهو مخصص لعبادة مردوخ كبير الآلهة البابلية، وبعده معبد عشتار. ومن أهم قصورها، القصر الشمالي حيث يربض في ساحته أهم أثر في بابل ورمز عظمتها ويتمثل في أسد منحوت من البازلت الأسود (طوله ١٠،٥ م).

بدءاً من ١٩٧٠ أخذت الحكومة العراقية تولي اهتماماً بالغاً بمدينة بابل التاريخية، وبدأت مشروعاً شاملاً وضخماً لإحيائها، وعقدت أول ندوة وطنية لهذا الغرض حضرها عدد من الاختصاصيين العراقيين والعرب والعالمين. وفي ١٩٧٤، تم تخصيص مبلغ ١٢ مليون دينار للمشروع الذي اعتبر أضخم المشاريع الأثرية في العالم، والذي هدف إلى إنقاذ المدينة من تأثير العوامل الطبيعية والمياه الجوفية وأملاح الأرض، فضلاً عن أن التنقيبات

منذ ١٩٨٠، وجد، عندما استأنف أعماله أخيراً (أي في ١٩٩٤)، الآثار في وضع محزن جداً، إذ تعرضت للسرقة والإهمال.

لا تُذكر بابل إلا ويُذكر معها الملك حمورابي وقوانينه أو شريعته، أو «الشريعة البابلية» الشهيرة.

ملك حمورابي بابل بين ١٧٩٢ و ١٧٥٠ ق.م. شبن، في بداية حكمه حرباً على بلاد سومر الجنوبية، فضمها إلى مملكته، وأخضع دويلات ما بين النهرين، وافتتح المدن القريبة من بلاد الشام، وأسس الامبراطورية البابلية القديمة. ورغم أهمية أعماله الحربية إلا أن إصلاحاته هي التي طغت على كل ذكر له ولبابل في التاريخ البشري والحضاري عامة.

فقد نشر حمورابي الحضارة البابلية وثقافتها في البلاد التي فتحها. وعني عناية شديدة بإدارة المملكة، وقام بمشاريع عديدة وخاصة مشاريع الري، فنشر الرخاء في البلاد، كما عُني بالشؤون الدينية والعدل. وأصبحت بابل في عهده من أغنى المدن والعواصم التي عرفها تاريخ العالم القديم، وكان حمورابي عادلاً حكيماً.

تعتبر شريعة حمورابي أول شريعة حاولت تحديد المسؤولية الجنائية، وتميزت بالتكامل الحقوقي قياساً إلى القوانين الثلاثة التي سبقتها، وهي قوانين أورنامو وأشنونا ولبت عشتار. لذلك يعتبرها الباحثون أول قانون جنائي في تاريخ الإنسانية. وقد حمل حمورابي الناس كافة على اتباعها والعمل بموجب موادها. وبلغ عدد هذه المواد ٢٨٢ مادة حفرت باللغة الأكديّة، وأهم ما جاءت به تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات (الاحرار، التابعون والعيبد)، وتضمنت أنظمة صارمة في ما يتعلق بشؤون الري والزراعة. فحتمت، على سبيل المثال، على كل مزارع كبيراً كان أم صغيراً أن يظهر الزّعة المارة في أرضه ويحافظ على سدوده. أما المواد التي نصت على الاحوال الشخصية، أو العائلية، فقد بينت حقوق المرأة في الطلاق (وفي الإرث)، أيام لم يكن للمرأة حق في ذلك، وإنما كان من حق الرجل وحده، وألزمت الزوج عند الطلاق بأداء نفقتها لتعول أطفالها، كما أصبح باستطاعة المرأة ممارسة التجارة. أما القانون التجاري، في شريعة حمورابي، فقد شجع على ممارسة التبادل التجاري وقوى من نفوذ التجار.

هذه الشريعة منقوشة على مسلة كبيرة مكونة من ثلاثة أحجار من نوع الديوريت الأسود تنتصب بشكل مخروطي بارتفاع ٢,٥٥ م ومعرضة اليوم في متحف اللوفر في باريس. ولها نسخة من حجر الجيبس معروضة في القاعة

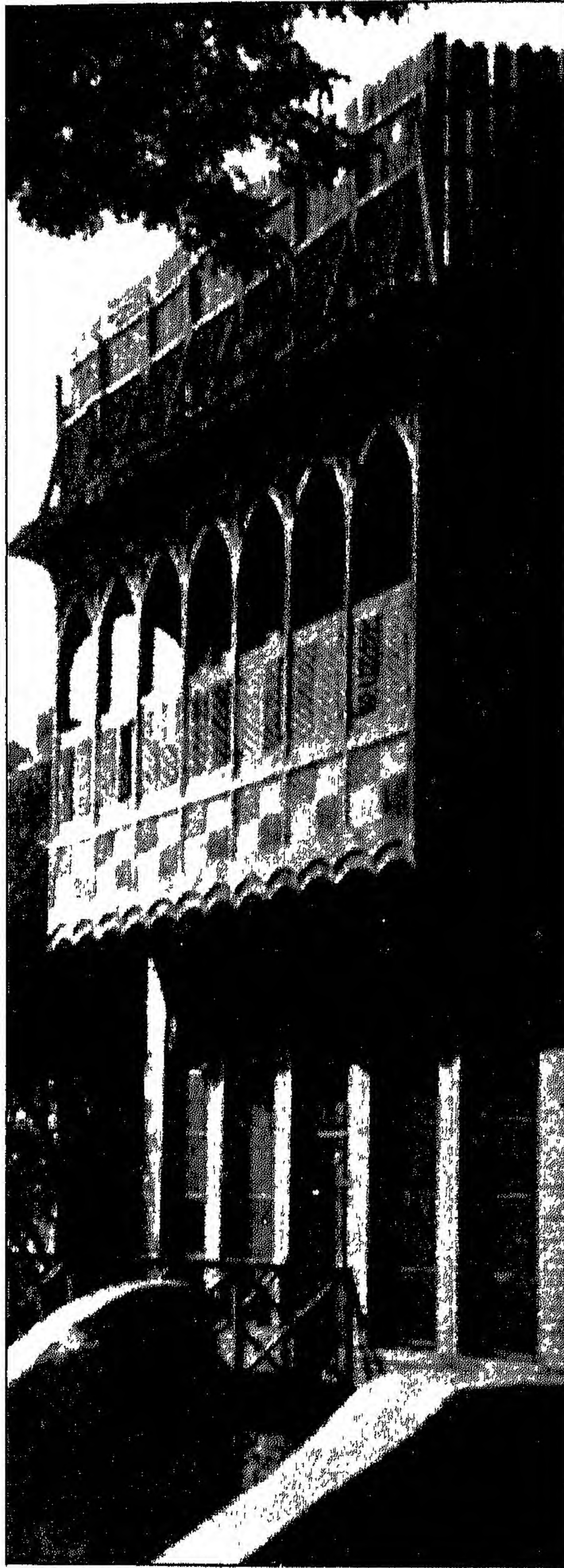
الخامسة في المتحف العراقي في بغداد. وفي المتحف البريطاني في لندن توجد ٥٥ رسالة أملاها حمورابي بنفسه وأنفلها إلى حكام الولايات في الامبراطورية البابلية. وكانت تخص شؤون التقويم ومعاينة المقصرين والكسالى ومراقبة واردات المعابر والاوامر العسكرية وشؤون الزراعة والري وغير ذلك.

تعتبر شريعة حمورابي أحد أهم المصادر الرفيعة للقانون والادارة على مر العصور. وقد اقتبست منها الاقوام القديمة الكثير من الاحكام واعتمدتها في تشريعاتها الوضعية.

ولاكتشاف المسلة التي تحمل شريعة حمورابي قصة تعود بدايتها إلى العام ١١٦٣ ق.م. ففي هذا العام احتل شوتروك ناهونتي، ملك عيلام، مدينة بابل وحمل معه إلى عاصمته سوسة كثيراً من الكنوز البابلية، بما فيها المسلة المذكورة (سوسة Susse الحالية أنقاض مدينة تاريخية في خوزستان ايران قرب تسر، وكانت عاصمة العيلاميين ثم الأخمينيين. وهناك مدينة ومرفأ سوسة على المتوسط في تونس، وتعد حالياً أكثر من ١٢٥ ألف نسمة).

وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وأثناء إجراء البحوث على الألواح الطينية التي تحفل بها مكتبة نينوى التي أسسها الملك الفنان آشور بانيبال وتضم آلاف المدونات في شتى المجالات إبان وصول الامبراطورية الآشورية إلى أوج عظمتها، وفي غمرة البحث في هذه الآثار التي تعود إلى نحو ألف سنة بعد حمورابي، تم العثور بين الرّمم الطينية على ألواح كثيرة منها ما كتب عليها مباشرة ومنها ما استنسخ عنها، وظهر ان بعضها يعود إلى تشريعات من عصر حمورابي. وبعد ذلك بفترة وجيزة، وبسببه ربما، تمكنت البعثة الفرنسية الأثرية العاملة في سوسة بإدارة مورغان (١٩٠١-١٩٠٢) من العثور على أحجار المسلة الثلاثة ونقلتها إلى متحف اللوفر في باريس.

* البصرة: مدينة ومرفأ في العراق على شط العرب، قاعدة محافظة ومركز قضاء البصرة. تبعد عن بغداد ٥٤٠ كلم جنوباً، وإلى الشمال منها، في مدينة القرنة يلتقي نهرا دجلة والفرات مكوّنين شط العرب الذي يمر في مدينة البصرة. تأسست في عهد عمر بن الخطّاب ٦٣٨. فأصبحت إحدى أهم المدن في العراق. عندها جرت معركة الجمل ٦٥٦. ازدهرت على عهد العباسيين وأضحت مع الكوفة مهلاً للدروس اللغوية. أحرقها الزنج ٨٧١. ثم القرامطة ٩٢٣. بدأت بالانحطاط بعد ١٢٥٨. احتلها



احدى شانشيل البصرة التي أعيد ترميمها.

في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٤، نشرت جريدة «الجمهورية» العراقية ان مفتشي الآثار عثروا على مجموعة مهمة من الأواني والفخار تعود إلى القرنين الثاني والثالث للهجرة في محافظة البصرة، وان هذه المجموعة ضمت جراراً فخارية مطعمة ومزخرفة، ومسكوكات نحاسية ضربت في

الأتراك ١٦٦٨ ثم الانكليز ١٩١٤. حقول نفط. والبصرة محافظة في جنوبي العراق لها ٦ أفضية: البصرة، القرنة، شط العرب، الزبير، أبو الخصيب، الفاو.

ان الاسم، «البصرة»، يطلق على أرض فيها الحصى والحجارة الرخوة وفيها بياض وسواد. وأنها شيدت بالقرب من قرية «البصرة» التي تعود إلى العصور القديمة في التاريخ. وأن البصرة من أقدم المدن الاسلامية، اختطها عتبة بن غزوان ٦٣٦ وبنها أبو موسى الأشعري، وشيدت أول الأمر من خصائص القصب، وجعل لكل قبيلة حي خاص بها سمي باسمها. في العهد الأموي بدأت بالاتساع، وفي العهد العباسي شهدت ازدهاراً كبيراً. تأتي أهميتها ايضاً من موقعها المطل على الخليج، فهي بهذا الموقع منفذ العراق الوحيد للاتصال بالعالم الخارجي بحراً عن طريق ميناءي أم قصر والفاو.

مرت المدينة بالكثير من الحروب والاضطرابات والحروب. فبعد بنائها بخصائص القصب تعرضت للاحتراق وأعيد بناؤها من اللبن ثم من الطابوق (الأجر) والحص. وفي ٨٦٩ احترقت على اثر الاحداث التي جرت فيها في زمن الخليفة العباسي المهدي والتي عرفت بـ«ثورة الزنج»، ثم ثورة القرامطة ٩٢٣. وبدأ الاضططاط يشملها منذ ١٢٥٩، ثم احتلها الاتراك ١٦٦٨، فالانكليز ١٩١٤. وفي السنوات الأخيرة تعرضت كذلك لأعمال تدمير كبرى خلال حرب الخليج الاولى والثانية.

أبرز معالم البصرة التاريخية: مساجدها وسوق المربد والشناشيل. والشناشيل هي الشرفات الخشبية المزخرفة تمتاز بها المدينة وتعتمد على إبراز واجهة الطابق الثاني بأكمله أو غرفة من غرفه بشكل ناتئ إلى الامام، يكون هذا البروز بالخشب عادة وبزخارف هندسية. ومن البصرة انتقل هذا الطراز إلى مدن عراقية أخرى خاصة بغداد. والشناشيل كلمة فارسية مركبة من «شاه نشين» بمعنى محل جلوس الشاه (د. مصطفى جواد، مجلة سومر، المجلد ٢٤، ص ٢٤٤). وتعتبر الشناشيل من الظواهر الرئيسية والمألوفة في البيوت البصرية والتي تدل على الثراء.

وأبرز مشاهد البصرة القديمة اليوم بقايا من مسجد الامام علي، واطلال مسجدها الجامع ودار إمارتها وقصور الخاصة ودور العامة. وهذه كلها تقع في الجهة الجنوبية الغربية من البصرة الحديثة التي تتصل بمدينة الزبير على بعد نحو ٣٥ كلم. أما أبرز المعالم العمرانية في البصرة والتي ما زالت شاخصة إلى اليوم: جامع الكواز، وجامع ومرقد الزبير بن العوام ومرقد الحسن البصري.

وفق مبدأ تطابق المثلثات القائمة الزاوية، وهي النظرية المنسوبة اليوم إلى إقليدس.

بالقرب من شادوبم كان هناك مركز حضري آخر يعرف باسم زارلو Zarlu، ومن أبرز مكتشفاته العلمية لوح رياضي يعود إلى الألف الثاني ق.م. يتضمن نظرية هندسية جبرية ذات مجهولين *a deux inconnus* تحل على غرار نظرية فيثاغورس.

وفي الجانب الغربي من دجلة، كان العديد من المراكز الحضرية الرئيسية، منها مدينة دوركوريكالزو Durkurigolzu في منطقة عقرقوف التي كانت عاصمة العراق لمدة تقرب من أربعة قرون من العصر الكاشي (١٥٩٥-١٧١ ق.م.) والتي زحرت أبنيتها بقصور مزينة وبرج مدرج (زقورة) ومعابد ودور سكن وشوارع. والمنقبون في التل، منذ منتصف القرن التاسع عشر، تأكدوا بأنه زقورة المدينة الكاشية المعروفة بهذا الاسم، «دوركوريكالزو»، وقد أيدت تنقيبات مديرية الآثار العراقية منذ النصف الأول من هذا القرن (العشرون) هذا القول، وتوصلت إلى أن زمن تأسيس المدينة يعود إلى عهد الملك كوريكالزو الأول الذي حكم في بداية القرن الخامس عشر ق.م.، وأن المدينة ظلت مأهولة إلى العصور المتأخرة من العهد البابلي الحديث (١١٠٠-٥٣٨ ق.م.). كما اكتشف في بغداد عدد من الآثار تمثل بقايا مراكز حضرية من العصرين الآشوري والبابلي.

«هي (بغداد) من تأسيس المنصور، ٧٥٤-٧٧٥، الذي أسس أولاً مدينة المستديرة وكانت خالية من كل منشآت الترفيه. ثم التفت حولها الأحياء والأسواق والمنازه، وغصت بالناس حتى أنه كان يقدر عدد سكانها في أواخر القرن الرابع. عليون ونصف، وكان فيها ١٥٠٠ حمام، ومساجدها عشرات الآلاف، و ٨٦٠ طبيباً يحملون رخصة تمنح حق ممارسة المهنة، وزوارقها بلغت ٣٠ ألفاً» (عن كتاب صدر عن الأونيسكو لمجموعة من مؤرخين وكتاب عرب وأجانب: *Les Différents Aspects de la Civilisation Islamique*، صدر مترجماً إلى العربية، في بيروت ١٩٩٨، والمؤلف أحد الذين راجعوا وصححوا الترجمة).

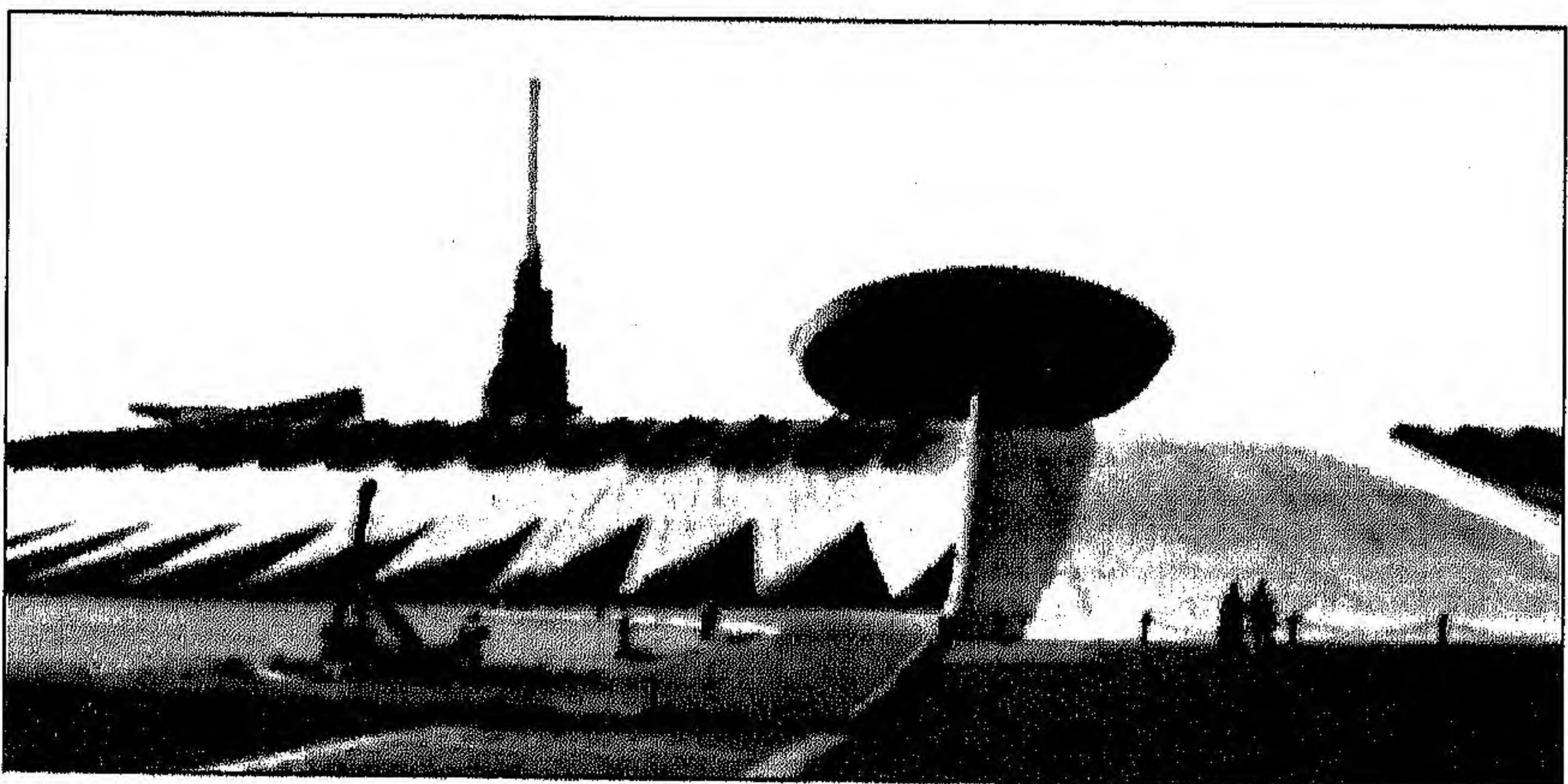
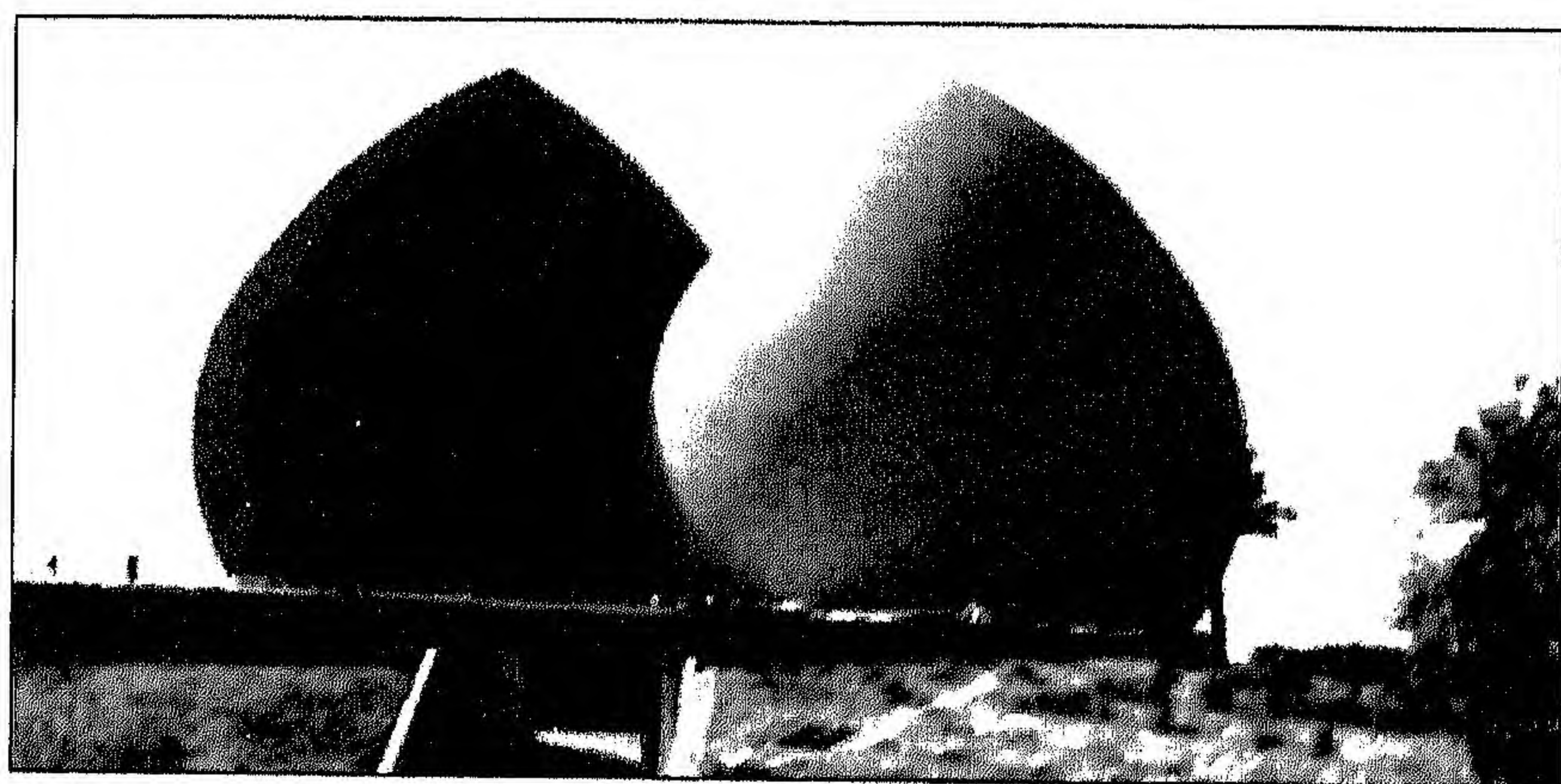
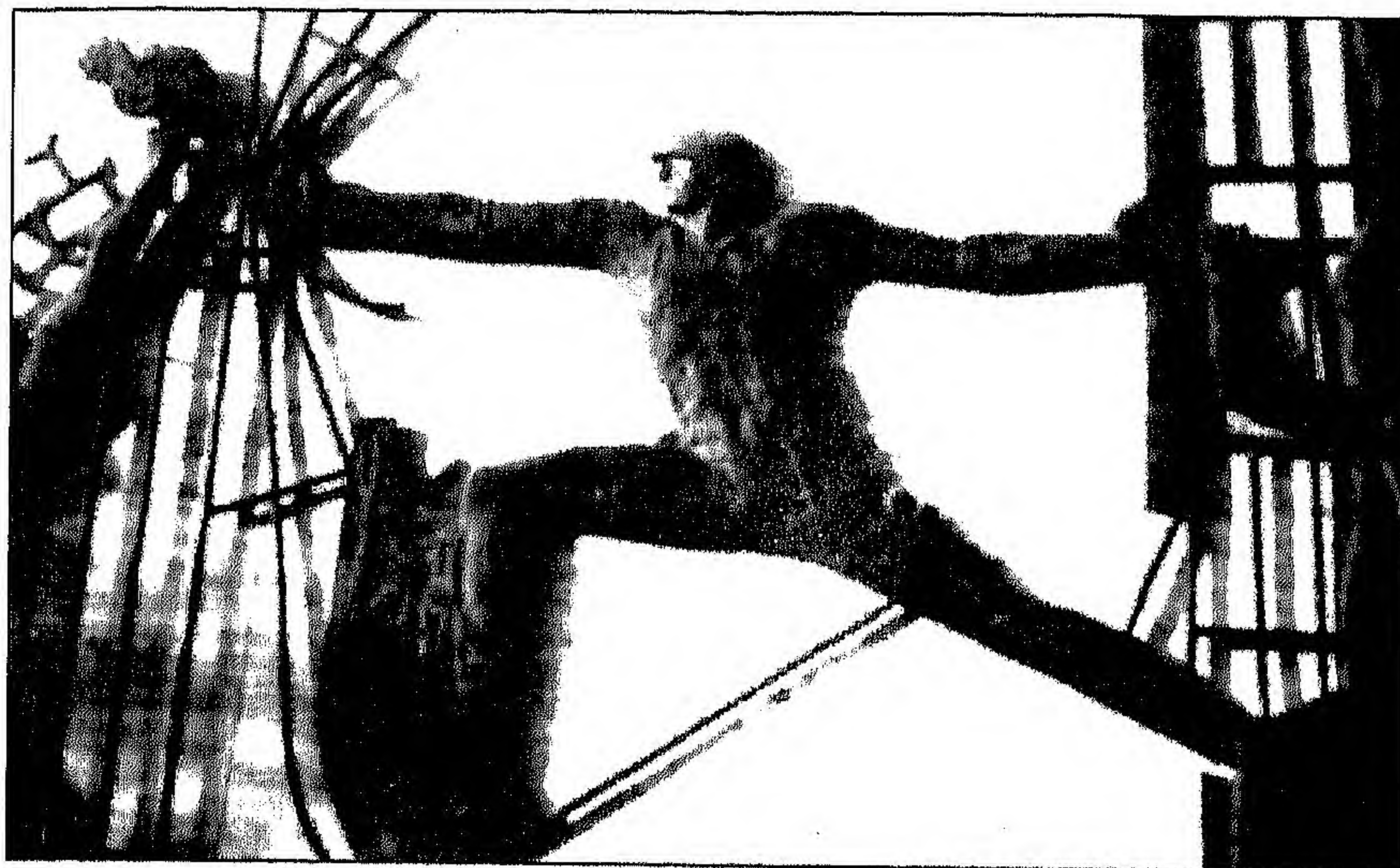
عندما قرّر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور تنفيذ رغبته في بناء عاصمته الجديدة ارتأى أن تكون قرية من أنصاره، حصينة في طبيعتها وفي تخطيطها... وبعد أن استقر رأيه على الموقع الصالح (بغداد) أمر بتخطيطها على الأرض بمادة قابلة للاشتعال، فأشعل فيها النار ليلاً فظهر له شكل

مدينة البصرة عام ١٣٦ هـ (القرن الثامن للميلاد) في عهد الخليفة أبو العباس السفاح، ومسكوكات أخرى ضربت في مدينة السلام (بغداد) في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور، ومسكوكات في عهد الخليفة هارون الرشيد.

* **بعقوبا (بعقوبة):** مدينة عراقية. تقع شمال شرقي بغداد بمسافة لا تزيد عن ٦٣ كلم. أسسها الآراميون في القرن التاسع ق.م. وإسمها الآرامي يعني «بيت الحارس». تطل بعقوبا على ضفتي نهر دياي الذي تتفرع منه عدة جداول. وفيها أيضاً النهر العظيم ونهر كنكير. تشتهر بخصوبة تربتها، وتشكل البساتين أكثر من نصف مساحتها، وتعتبر من أهم المدن المنتجة للبرتقال في العراق. وشهدت السنوات الأخيرة نهضة صناعية في بعقوبا، وكذلك تعليمية وصحية ورياضية. وفيها مركز للرعاية العلمية يقوم بتنظيم دورات علمية لأبناء المدينة في مجالات الالكترونيات والفلك والفيزياء والكيمياء وغيرها.

* **بغداد:** عاصمة العراق. تقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة الذي طالما حال فيضانه دون توسع المدينة حتى كانت سنة ١٩٥٦ عندما بدأ تنفيذ حزام سامراء ومصرف الوادي اللذين تحكما بفيضان النهر وأراحا بغداد من خطره. وبغداد عاصمة ثقافية قبل أي أمر آخر (مدرسة المستنصرية منذ أيام العباسيين، ومتحف مهم للغاية أصيب بأضرار فادحة إبان قصف الولايات المتحدة وحلفائها بغداد في ١٩٩١)، إذ إن الصناعة فيها حديثة. عدد سكانها نحو ٤،٢٥ ملايين نسمة.

نمت، في بغداد، وازدهرت مستوطنات بشرية عديدة قبل العهد الإسلامي بأمد بعيد. ويعود تاريخ أقدمها إلى النصف الثاني من الألف الثالث ق.م. وأصبحت هذه المستوطنات مدناً عامرة في مطلع القرن الثاني ق.م.، منها مدينة شادوبم Shadopum التي تعرف أطلالها اليوم باسم «تل حرم» القائم في بغداد الجديدة. وقد قدمت شادوبم نموذجاً متقدماً لفن تخطيط المدن ولنضوج علمي، إذ استظهرت التنقيبات، والدراسات عليها، عن وجود أكاديمية جامعة في هذه المدينة التاريخية كانت منهلاً للعلوم التطبيقية وضروب الثقافة، إضافة إلى وثائق إدارية وتجارية ومعاجم لغوية وجغرافية وبقايا تشريع قانوني مكمل لشريعة أشنونا التي سبقت شريعة حمورابي بنحو قرنين من الزمن، إلى جانب اكتشاف وثائق علمية تضمنت جداول رياضية وقضايا هندسية وجبرية أبرزها نظرية هندسية حلت



من أهم معالم بغداد المعاصرة: الجزء الاوسط من نصب الحرية الشهير للفنان جواد سليم (أعلى)،
ونصب الشهيد (وسط)، ونصب الجندي المجهول.

مدينته. وبعدها اختار المهندسين، منهم الحجاج بن أرطاة وعبد الله بن عكرز وشهاب بن كثير وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الذين اشرفوا على بنائها.

وشيدت المدينة، التي دعاها المنتصور «دار السلام»، على شكل دائري وفي حلقات متوالية تتوسع كلما اتعدت عن المركز الذي تم فيه تشييد المسجد الجامع وقصر الخليفة وحولهما الدواوين والمرافق الحكومية الأخرى. وأحاط المنتصور بمدينته بخندق وأسوار تحميها من الاخطار.

شهدت بغداد، خلال سنوات قليلة، تطوراً حضرياً واسعاً، مما حدا بالمنتصور، في ٧٦٨، إلى تأسيس مدينة في الجانب الشرقي من نهر دجلة سماها الرصافة بعد ان عسكر فيها ولي عهده الخليفة المهدي. ومنذ ذلك التاريخ، وعلى امتداد نحو خمسة قرون، حفلت بغداد بالتطور والازدهار في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية. وقد بلغت في ذلك حلاً من الرقي فاقت فيه حواضر الدنيا كلها، وخاصة في عهد الرشيد الذي بلغ فيها العمران ذروته خاصة في الجانب الشرقي. وقد تسابق الخلفاء والميسورون في إقامة المباني الفخمة فارتفعت على أرضها المساجد والجوامع ودور العلماء، وشيدت فيها أعظم المستشفيات والصيدليات والمرصد الفلكية والقصور والدور الشاذية، وشقت الشوارع المنسقة والقنوات والبرك والمناطق الخضراء وأقيمت الحدائق. وكذلك انتشرت الأسواق التجارية والمرافق المدنية والعسكرية. وعرفت بغداد فترة انحطاط بعد ان نقل المعتصم العاصمة إلى سامراء في ٨٣٦، لكنها عادت لتكون العاصمة من جديد في ٨٩٢.

وفي عهد الخليفة المعتمد تركز التوسع الحضري في الجانب الشرقي، أي في الرصافة التي أحاطها الخليفة المستظهر (١٠٩٥) بسور ضخيم محصن بخندق عميق. وتم ربط دفتي دجلة بثلاثة جسور رئيسية إضافة إلى عدد من الجسور الأخرى، واستعملت الزوارق والقوارب في دجلة كوسائط للنقل بين الرصافة والكرخ. فجاءت بغداد متوافقة في منشأتها ومرافقها مع دورها كعاصمة للعالم الاسلامي وأكبر تجمع سكاني فيه.

لكن كل هذا النهوض الحضاري المتميز (الطابع المعماري الغالب هو الطابع العربي الاسلامي المتأثر بالطابع الرافدي القديم والمتوارث عن العمارة السومرية والبابلية والآشورية؛ ومدرسة المستنصرية أكثر الشواهد الأثرية على هذا التمازج)، الذي استمر نحو خمسة قرون، أخذ يتآكل

بعد استحواذ جماعات غير عربية على السلطة. فحولت دولة العرب إلى دويلات تنازع الدولة سلطانها بمهدة بذلك للغزو المغولي لبغداد (١٢٥٨). ومنذ هذا التاريخ أخذ يريق بغداد يخبو لما مرت به من شذائد وعن قلما تعرضت لها مدينة أخرى في الدنيا حتى باتت بعد ذلك حاضرة ريفية لا يتعدى دورها مركزاً لولاية في اطراف الدولة العثمانية بعد ان كانت عاصمة العالم. وقد ظلت محصورة داخل أسوارها القديمة طيلة عدة قرون من القهر والاستعباد الأجنبي ولم يتجاوز عدد سكانها ٨٠-١٠٠ ألف نسمة في القرن الماضي كما تشير إلى ذلك كتابات الرحالة الأجانب. من ابرز هؤلاء على الاطلاق جون آشر، عضو الجمعية الجغرافية الملكية في لندن، الذي بدأ في ١٨٦٤ رحلة شملت سواحل البحر الأسود والأناضول وارمينيا وديار بكر والموصل ببغداد. وعندما وصل آشر ببغداد «كانت أول عمارة لفتت نظره وحاشيته في الجانب الشرقي هي بناية كبيرة كنيية يبدو فيها الإهمال والخراب. وكانت البناية قصر الباشا (...). وحوله عدد كبير من المتسكعين والخيالة غير النظاميين... واستقبله الباشا في غرفة كبيرة عارية الجدران، خالية من الأثاث».

مع ذلك، فقد شهد القرن التاسع عشر بوادر نهوض لبغداد، سببه السياسي تصارع بين احزاب الامبراطورية العثمانية الذي أدّى إلى استحداث بعض الاصلاح في بغداد (الأمر نفسه تقريباً بالنسبة إلى معظم حواضر ومدن البلدان العربية في الامبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر). كذلك فإن فتح قناة السويس قد أدّى إلى تفكك اقتصاد المقايضة في العراق وربطه بالاقتصاد العالمي. وبعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الاولى وسقوط العراق تحت النفوذ البريطاني عادت ببغداد لتصبح عاصمة لدولة العراق الحديث.

إن أول تطوير عمراني. خارج المدينة القديمة (في الربع الاول من القرن العشرين) كان استيطان القوات البريطانية المحتلة في منطقتي الهندي والوشاش، ثم أعقبه التوسع العمراني في منطقة حزام دجلة شمالي المدينة القديمة وجنوبيها. وقد كان صدور نظام الطرق والأبنية، في ١٩٣٥، مؤشراً على اهتمام السلطات بالسيطرة على التوسع العمراني من خلال التخطيط له. وأول خطة عمرانية لبغداد تم إعدادها في ١٩٣٩ من قبل فريق الماني أعطى هذا الامتياز. فتم بموجبها توسيع خدمات الماء والكهرباء وفتح شارع الكفاح والشيخ عمر في الرصافة. وفي مطلع الخمسينات بات الامتداد الشريطي في حزام نهر

-القلعة التي تقع في وسط المدينة، والتي دمرت على يد تيمورلنك ١٣٩٣. ولما من يعتقد أن أصولها تعود إلى أيام الحكم الساساني وربما إلى العصر الآشوري.
- سور المدينة المدعم بأبراج عديدة وله ثلاثة مدخل، وتبين أنه شُيّد في ثلاث فترات زمنية.
-المصلى الواقع في قل تحيسن والحراب، وزخارفهما الموجودة على الأخشاب وتدل انها تعود إلى القرن العاشر.

-الكنيسة الخضراء، بناها الأب المغريان ماروثا المتوفي سنة ٦٣٩، وتحظى بأهمية تاريخية ودينية لأنها كانت مركزاً دينياً وثقافياً مهماً يجري فيه المناظرات الدينية بين المسيحيين، ومن الذين زاروا هذه الكنيسة المسعودي صاحب «مروج الذهب». تتميز بكثرة زخارفها والصور.
- مسجد ومشهد الأربعين الذي يقع في الجهة الجنوبية-الغربية من تكريت. يسميه البعض «مزار الأربعين» أو «مقام الأربعين»، ويحتمل ان التسمية جاءت من عدد الذين دفنوا في هذا المكان من شهداء معركة فتح تكريت في ٦٣٧. وبعض الكتابات على جدران المبنى يذكر تاريخ بناء المسجد وهو سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦٢ م (عن رؤوف محمد علي الأنصاري، معماري عراقي، «الحياة»، العدد ١١٧١٤، تاريخ ١٨ آذار ١٩٩٥، ص ٢٠).
تسلم عدد من أبناء تكريت السلطة في العراق، وأبرزهم الرئيس العراقي الحالي صدام حسين الذي أولى المدينة عناية فائقة.

* تل العبيد El-Obeid: موقع أثري (جنوبي العراق، أي المنطقة نفسها التي يقال لها بلاد الرافدين الواطنة) قرب أور. بدأت التنقيبات فيه في ١٩١٩. تمثل حضارة العبيد الفترة الأقدم من الحضارة السومرية ما قبل التاريخ، وقد امتدت من بداية الألف الرابع إلى حوالي ٣٣٠٠ ق.م، وتميزت بشغل السيراميك ذات اللون الواحد (أسود أو بني) والأبعاد الهندسية، ونحت الأحجار. ازدهرت بصورة خاصة في إريدو، وانتشرت إلى المناطق الشمالية من بلاد ما بين النهرين وحتى سواحل المتوسط في رأس شمرا (راجع «سومر» في هذا الباب).

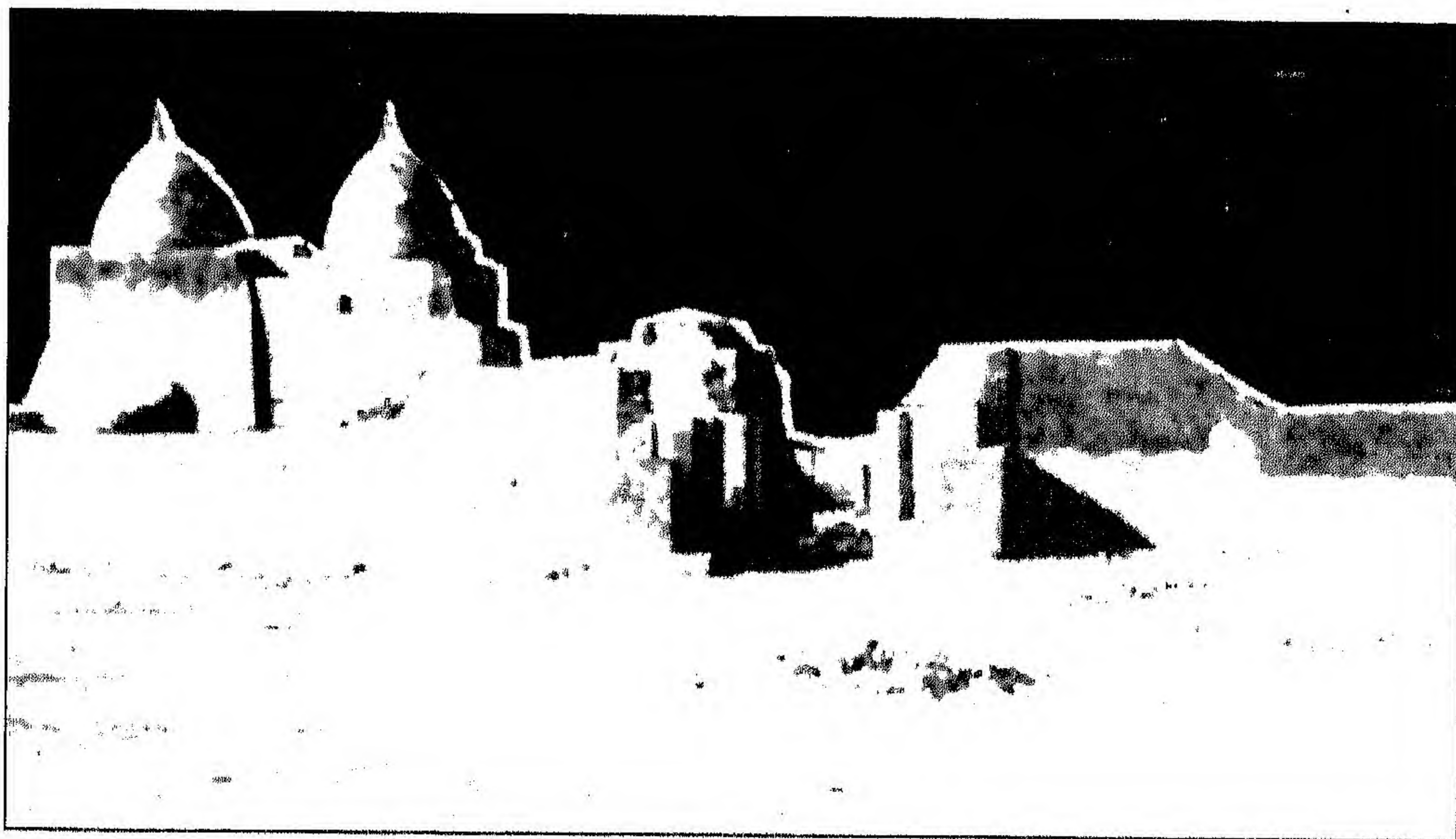
* تل المقير: راجع «أور» في هذا الباب.

* جمدت نصر Djemdet Nasr: موقع أثري قديم قرب كيش. بدأت عمليات التنقيب فيه منذ ١٩٢٥،

دجلة يغطي المنطقة الممتدة من مدينة الكاظمية في الشمال حتى معسكر الرشيد في الجنوب (٢٥-٣٠ كلم). وقد ساعد إنجاز سد الثرثار، في ١٩٥٤، وانحسار خطر الفيضان إلى حد كبير في هذا التوجه. وتم إعداد تصميم أساسي في ١٩٥٦ من قبل شركة مونوبريه البريطانية، وتصميم أساسي آخر في ١٩٥٩ أعدته مؤسسة دو كسياس. وبالرغم من أن هذين التصميمين لم يعقبهما إجراء تشريعي فقد اعتمدا في توجيه التوسع العمراني خارج منطقة حزام دجلة. وكان لفتح الطرق السريعة في جانبي الكرخ والرصافة الأثر الكبير في التحضر (التمدين) العمودي على النهر. بيد ان هذين التصميمين لم يكن بمقدورهما مواكبة تصاعد عملية التمدين السريع، لذا فقد ركنت بغداد إلى إعداد تصميم أساسي جديد في ١٩٦٧ تم تحديثه في التصميم الإنشائي الشامل لعام ١٩٧٣ الذي شرع بقرار مجلس قيادة الثورة في ١٩٧٤. وأولى تنفيذ هذا التصميم أهمية بالغة للمتزهات والمناطق الترفيهية، إذ تغطي الساحات الخضراء أكثر من ٤ ملايين متر مربع من المساحات المفتوحة الخضراء والعديد من الملاعب الرياضية والمساح ومراكز الترفيه والتسليّة، تأتي في مقدمتها «جزيرة بغداد» السياحية التي تغطي مساحة ١٢٥ هكتاراً في وسط نهر دجلة وتشمل منشآتها كازينوهات ومطاعم ومساح ودار استراحة ونوادي ومرافق رياضية ومسرحاً مفتوحاً وبرج الماء المشيد بارتفاع ٦٥ متراً (المراجع: «المدينة العربية»، مجلة متخصصة تصدرها منظمة المدن العربية، العدد ٣٧، أيار ١٩٨٩، «أنسيكلوبيديا أونيفرساليس» الفرنسية؛ «أنسيكلوبيديا بريثانيكا» الانكليزية؛ «أميريكانا» الاميركية؛ «لو روبر»؛ «الحياة»، رؤوف محمد علي الأنصاري، ٩ ايلول ١٩٩٧، وعلي عبد اللطيف، ٦ تشرين الثاني ١٩٩٦، و«الوسط»، العدد ٣٠٤، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٧، ص ٥٦).

* تكريت: مدينة عراقية تقع على نهر دجلة إلى الشمال من بغداد بنحو ١٦٠ كلم. واسم «تكريت» من «تجريت» وهي كلمة سريانية. تعود إلى زمن الملك الآشوري توكولسي نورتا الثاني (٨٩٠-٨٤٤ ق.م). دخلها المسلمون في عهد عمر ٦٣٧، وسرعان ما عمّرت واتسعت لوقوعها على طريق القوافل التجارية المحاذي لنهر دجلة والذي يربط بغداد بالموصل وحلب.

عثر فيها على أطلال بيوت سكنية من ثلاث طبقات تعود إلى أيام الآتابكة. ومن آثارها العمرانية المهمة:



مسجد الاربعين في تكريت.

معبد في مدينة الحضر الآثارية.



وهُجرت بعد أقل من قرن من الزمن. ذلك ان الساسانيين اعتنقوا الزردشتية كمعتقد ديني (على خلاف الفريثيين)، وكانت المسيحية بدأت تتغلغل إلى وادي الرافدين من الغرب. أما العامل الأهم في تدهورها، ومن ثم زوالها، فهو العامل الاقتصادي. ففي حين كانت الحضر تسيطر على طرق القوافل المتنقلة في بادية العراق وهي تنقل البضائع التي كانت تستلمها من السفن الآتية من الهند والصين إلى موانئ الخليج العربي عملة بالحريز والتوابل والأخشاب والعطور والأحجار الكريمة وتعود بمحتوجات الشرق القديم من ملابس صوفية وتحف عاجية ومعادن، فقد غيرت هذه السفن (وبالتالي القوافل طرقها)، في العهد الساساني، موانئ الخليج واعتادت البحار حول شبه الجزيرة العربية والوصول إلى الموانئ الواقعة في أعالي البحر الأحمر. فأتى ذلك كثيرًا في المدن الصحراوية. وهذا ما يفسر لنا عدم ظهور مدينة أخرى في البادية.

في أواخر القرن التاسع عشر قام القنصل الفرنسي في الموصل بإجراء بعض التنقيبات في المدينة، خصوصًا في المعبد الثاني. وكان الباحث الألماني والتر أندريه من بين أبرز المنقبين الذين تابعوا آثار مدينة الحضر (١٩٠٣-١٩١٤). وبدأت مديرية الآثار العامة في العراق حملة كبيرة للتنقيب في المدينة سنة ١٩٥١. وفي ١٩٨٧، قامت بعثة إيطالية بإجراء التنقيبات والمسوحات الأثرية.

يبلغ عدد الكتابات المكتشفة حتى الآن في الحضر أكثر من ٣٠٠ نص كلها بالآرامية باستثناء نص واحد باليونانية وثلاثة باللاتينية (كانت الآرامية لغة التدوين والمراسلة لدى معظم شعوب المنطقة). ومدينة الحضر الباقية حتى اليوم مستديرة تقريبًا، قطرها نحو كيلومترين، يحيط بها خندق عميق يحكم الجانب وسور مدعم بـ ١٦٣ برجًا وبعده من القلاع. والمعابد هي أبرز وأهم وأكثر معالمها الأثرية («الحياة»، -إيلي سعادة- العدد ١٢٤٦، تاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٩٣، ص ١٦ ورؤوف محمد علي الانصاري، العدد ١٢١٩٠، تاريخ ١١ تموز ١٩٩٦، ص ١٤ وعبد اللطيف علي، العدد ١٢٤٦٣، تاريخ ١٣ نيسان ١٩٩٧، ص ٢٠).

* **الحلّة:** مدينة عراقية، إلى الجنوب الغربي من بغداد التي تبعد عنها ١٠٠ كلم، وعلى بعد ١٠ كلم عن أطلال مدينة بابل الشهيرة، وهي حاليًا مركز محافظة بابل (كانت محافظة الحلة سابقًا)، كما تبعد عن الكوفة نحو ٥٥ كلم إلى الشمال الشرقي منها، وعلى موقع من نهر

وكشفت عن حضارة تعود إلى حوالي ٣١٠٠-٢٩٠٠ ق.م.، وهي تمثل المرحلة الثالثة من مراحل التاريخ السومري. تتميز بأن صناعة السيراميك والكتابة فيها كانتا أكثر تطورًا مما كانتا عليه في أوروك. وعرفت جمدت نصر أيضًا تقدمًا عن سواها من المدن السومرية في مجال الفنون، وانتشارًا واسعًا في التجارة. ويكاد يجمع علماء الدراسات السومرية والدراسات المصرية على أن عصر جمدت نصر في بلاد ما بين النهرين يوافق عصر الأسرة الأولى في مصر.

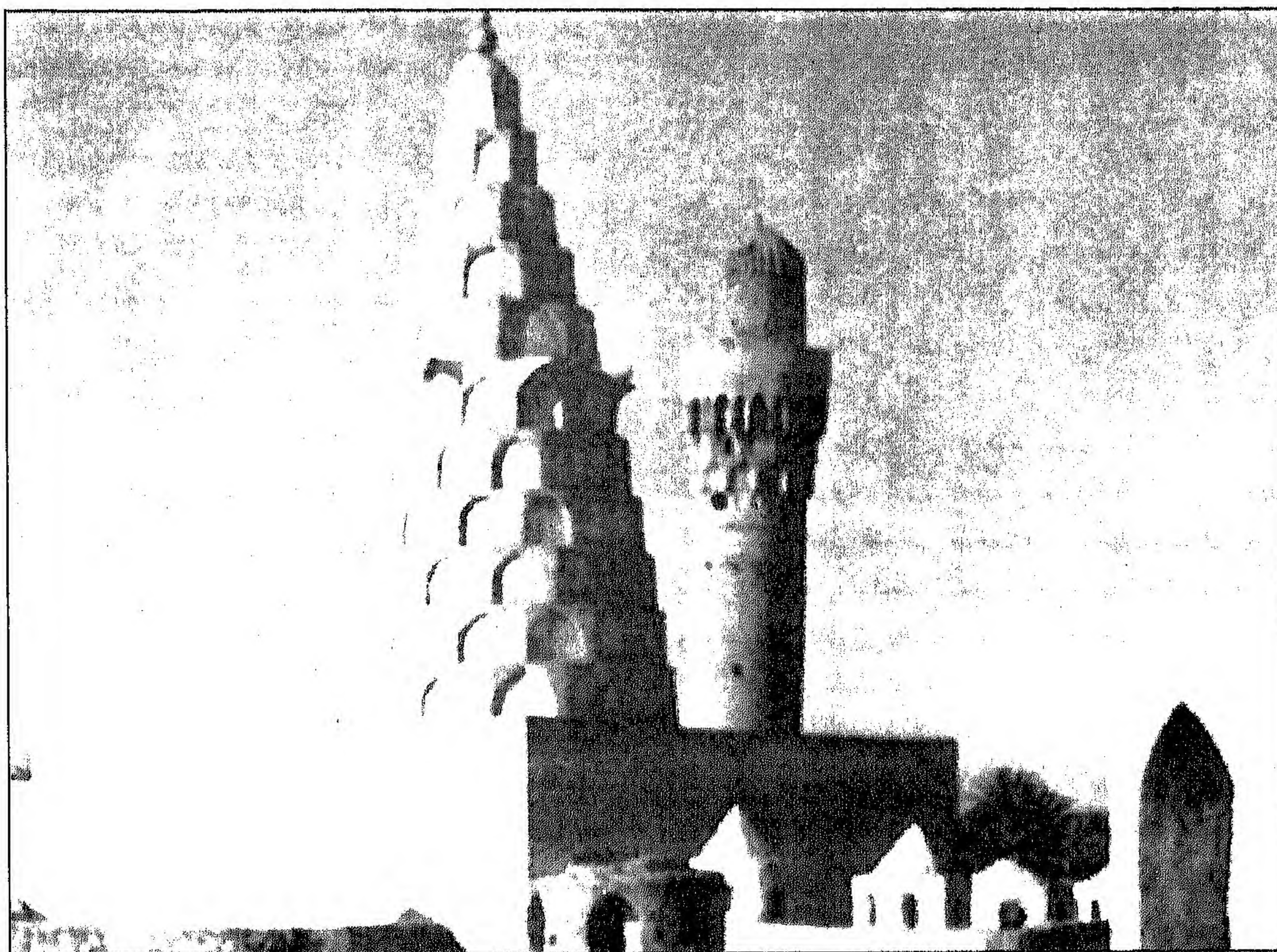
* **حصن الأخيضر:** راجع «عين التمر» في هذا

الباب.

* **الحضر:** مدينة عراقية أثرية. إحدى المدن العربية الصحراوية مثل تدمر في سورية والبزاة في الأردن. تقع على بعد ٣ كلم إلى الغرب من وادي الثرثار، وتبعد نحو ١١٠ كلم إلى الجنوب الغربي من الموصل و ٣٤٥ كلم شمال غربي بغداد. والاعتقاد الراجح لدى المؤرخين أن هذا الموقع كان مستوطنًا للقبائل العربية منذ سقوط دولة الآشوريين في ٦١٢ ق.م. إذ تتواجد في المدينة آلهة كانت تعبد في زمن الآشوريين، جنبًا إلى جنب مع آلهة استقدمت إلى المدينة من الجزيرة العربية. وهذا الموقع على طرف البوادي كان فاصلاً بين امبراطوريتين اقتسمتا العالم القديم في القرون الأولى للميلاد: الرومان والفريثيون.

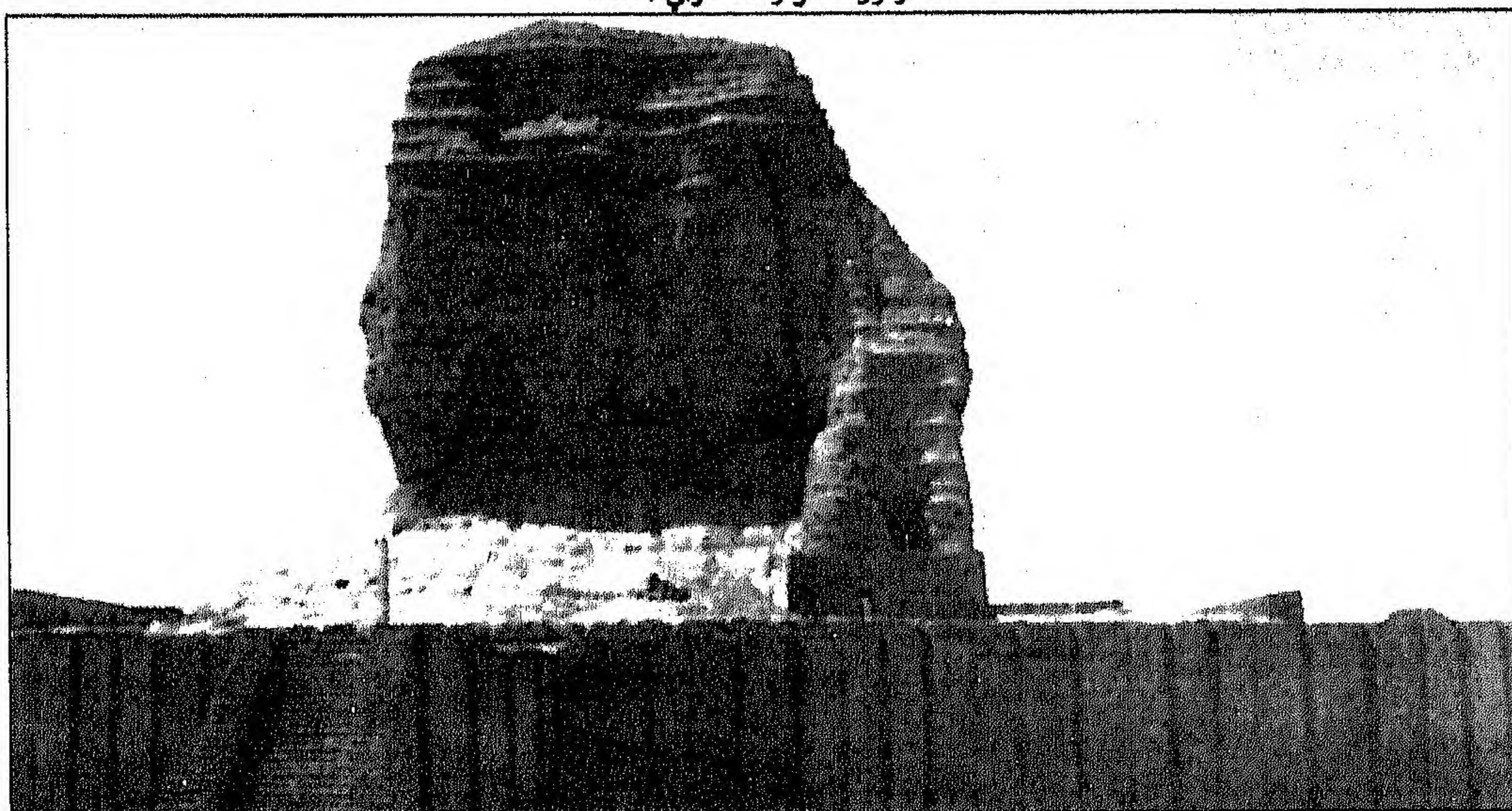
ويبدو أن أرض الحضر كانت منذ الآشوريين قرية نشأت في الأماكن التي تتوافر فيها المياه أكثر من سواها. ثم توسعت هذه القرية، لا سيما بعد فتح الاسكندر المقدوني (٣٣١-٣٢١ ق.م.) لبلاد الشرق وما أعقب ذلك من تأسيس مدن وظهور شبكة من الطرق تشعبت من بابل إلى جميع الجهات. ويحتمل أن أول معبد من الحجر شيد في الحضر كان في زمن الملوك السلوقيين الذين خلفوا الاسكندر في حكم بلاد المشرق. وقد وجدت قطع من أعمدة وأجزاء من منحوتات وأوان من الفخار تدل على هذا الأمر.

واتسعت الحضر وصارت مدينة كبيرة بعد بزوغ أهميتها العسكرية للدفاع عن الامبراطورية الفريثية ضد الرومان. ونتيجة لذلك برزت أهمية القبائل العربية، التي كانت الحضر قد أصبحت أكبر مركز لها، في الحرب، حتى أن قذائف نارية أتت على ذكرها المؤرخون ودعواها «القذائف الحضرية». أما مع الساسانيين (سقطت الحضر يدهم في ٢٤١ م)، فقد بدأت المدينة بالتدهور سريعًا،



قبة مرقد ذي الكفل ومئذنة مسجد النخيلة قرب الحلة.

زقورة عقرقوف، غربي بغداد.



أما القيساريات فهي موجودة داخل الأسواق الكبرى في المدن، شبيهة بالخانات من حيث المعمار ولكنها تختلف عنها من حيث الوظيفة. وجاءت كلمة قيسارية من الرومان (تحريف كلمة قيصرية، نسبة إلى قيصر). والقيسارية عبارة عن مبنى ذي حوانيت يقع في إطار الأسواق الرئيسية استعمله الرومان لبيع السلع التي يتقاضونها من التجار كضرائب. ويذكر بعض المصادر أن القياصرة الروس شيدوا في بلادهم وبلاد ما وراء النهر مبان مشابهة وظيفتها مشابهة. وبسبب قوة الروابط التجارية بين العراق وهذه البلدان ظهر مثل هذه المجمعات (أي القيساريات) فيه. وتقع عادة، في المدن العراقية، خلف المحلات التجارية في الأسواق الرئيسية. وقد أزيل الكثير من هذه القيساريات العراقية نتيجة الهدم الذي طال المراكز القديمة في بعض المدن العراقية.

* خورسباد (دور شروكين): تقع هذه المدينة الأثرية على بعد ١٥ كلم شرقي مدينة الموصل. اتخذها سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م.) مركزاً لحكمه وسمّاها «دور شروكين» أي «مدينة سرجون». غير أن أحفاده تركوها وعادوا ثانية إلى نينوى. أطلق عليها الساسانيون إسم «خسرو آباد»، ومنها جاء إسم «خورسباد». أبرز معالمها: سور ذو أبراج يزيد عددها على ١٥٠ برجاً. وفي السور ٨ أبواب، كل باب سمي باسم إله آشوري، وتزين مداخل المدينة ثيران مجنحة برؤوس بشرية؛ وقصر سرجون وبعض الأقسام المجاورة له، وبعض المعابد، وزقورة.

* دور شروكين: راجع «خورسباد» في هذا الباب.

* دور كوركبالزو: راجع «بغداد» في هذا الباب.

* الرصافة: راجع «بغداد» في هذا الباب.

* زارلو: راجع «بغداد» في هذا الباب.

* الزقورات (الأبراج): معابد أثرية، تعود إلى العصور القديمة، منتشرة في وادي الرافدين، ذات خصائص معمارية متميزة، أهمها أنها تقوم على قواعد مرتفعة ومتدرجة، وأنها من طبقات لا تقل عن ثلاث عداً طابق

الفرات الذي ينفذها فرع كبير منه. وتكتنفها بساتين النخيل وأشجار الفواكه والحمضيات، فهي، لذلك «الحلة الفيحاء». وقلدياً عرفت باسم «الحلة السيقية» نسبة إلى الأمير صدقة بن ديبس المزيدي الملقب بـ«سيف الدولة» الذي بدأ بنائها في ١١٠٠. ولعبت، مع النجف وكربلاء، دوراً حضارياً في تاريخ العراق والعالم الإسلامي، وأصبحت مقر كبار العلماء والفقهاء ومكان تدريسهم، وأبرزهم ابن إدريس الحلبي، والشيخ نجيب الدين الحلبي. وخرج منها الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء قبل أن ينتقل التدريس منها إلى النجف وكربلاء. وقد أدت سيطرة التركمان على العراق في القرن الخامس عشر إلى تدهور الحلة واضمحلال مدارسها وتشتت مكباتها.

وكان للحلة دور بارز مع بقية مدن الفرات الأوسط في اندلاع ثورة ١٩٢٠ ضد البريطانيين، وشاركت في الكثير من الانتفاضات الوطنية. الحلة في وسط منطقة غنية جداً بالمدن الأثرية والعالم (بابل، كيش، كوثي-تل أبراهيم-)، جامع ومرقد الحمزة، مرقد ذي الكفل ومنارة مسجد النخيلة، مشهد الشمس، مرقد القاسم بن الإمام موسى الكاظم، مرقد بكر بن علي بن أبي طالب...). والجدير ذكره، هنا، أن لمة ظاهرة عمرانية انتشرت على ما يبدو في أماكن عدة في العراق وهي أنه عندما تندثر مدينة واقعة على نهر فإنه سرعان ما تقوم مدينة أخرى بدلاً عنها وقرية منها، وقد تكون على الطرف المقابل من النهر. فلقد ظهرت مدينة الحلة قبضة صغيرة على الطرف المقابل، كما ظهرت الموصل مقابل نينوى، والناصرية بين أور ونهر الفرات. وتعتبر الحلة اليوم من أهم المدن المجاورة لبغداد ومركز الفرات الأوسط.

* خانات القوافل والقيساريات: الخانات أبنية مخصصة لاستراحة المسافرين والتجار والحجاج (أي محطات، أو استراحات)، ازدهرت خلال العهود الإسلامية بسبب توسع الحركة التجارية بين البلدان الإسلامية، وتعد معالم معمارية بارزة في العراق. وازدادت أهميتها إبان الحكمين الصفوي والعثماني للعراق. ويوجد منها في أطراف بغداد، وعلى الطريق الذي يربط بين الموصل وسنجار، وفي جنوبي سامراء، وأهمها الخانات الواقعة على طريق بغداد-كربلاء-النجف. وتشابه الخانات في ما بينها من حيث الطراز المعماري، وهي على شكل مربع أو مستطيل. وتتميز ببنائها الواسع وبأسوارها العالية المدعومة بأبراج.

(الشرقية) من نهر دجلة، وتبعد عن بغداد ١٢٠ كلم. المدينة الحالية نشأت على جزء من اطلال العاصمة العباسية المندثرة. وفي اواخر العصر العثماني، أصبحت سامراء ولاية لها سور طوله كيلومتران. وفي عهد الاحتلال البريطاني للعراق قسمت البلاد إلى ١٦ وحدة إدارية، كانت سامراء واحدة منها. وبعد قيام الدولة العراقية أصبحت قضاء تابعاً لبغداد، ثم تبعت محافظة صلاح الدين منذ سنوات قليلة. في ١٩١٢-١٩١٤، وفي موضع سامراء، عثر العالم الأثري هرزفيلد على أنواع من الأواني والفخار ترقى في تاريخها إلى الألف السادس ق.م.

يقول فيليب حتي في «تاريخ العرب» ان اسم «سامراء» يعود إلى أصل آشوري وهو «سمراتا» Suurmata، فحرفه العرب إلى «سر من رأى». وذهب آخرون إلى ان اسمها بالأرامية «سامرا». ويذهب «معجم لبلدان» و«التنبيه» إلى ان اسمها «سر من رأى».

أنشأ الفرس عند سامراء حصناً سمي «حصن سومير» Sumer، وهو الحصن الذي شهد تفهقر الجيش الروماني بعد مقتل قائدها الامبراطور جوفيان في العام ٣٦٣. وانتقلت المدينة بعد ذلك إلى ايدي الروم بعد ان دحروا الفرس في عهد خسرو برويز، فأنشأوا الكنائس وأقاموا الأديرة حسبما جاء في كتاب «مآثر الكبراء في تاريخ سامراء» للشيخ المهلبي.

عن انتقالها إلى العرب المسلمين، جاء في «المنجد» انها «كانت قرية صغيرة عندما احتلها العرب ٦٣٧». وجاء لدى المستوفي: «ان مدينة سامرا أنشأها في الأصل سابور ذو الأكتاف (٣٠٩-٣٧٩) وكما كان اقليمها طيباً

المعبد، وانها متدرجة سواء من خارجها أو من داخلها أو من الخارج والداخل معاً. ويقول المؤرخون ان الفراعنة استلهموا أهرامهم وهيكلهم الأولى من زقورات الرافدين. وكانت زقورة بابل المعروفة باسم «برج بابل» الحصيلة النهائية لذلك النوع من العمران، ونقطة تحول كبيرة نحو عمارة حضارية متقدمة. وتحيط بالزقورة عادة ساحات واسعة للمصلين تسمى صحن الزقورة، حولها مبان وغرف لخدمات مختلفة، ومعظمها للكهنة، ومخازن للندور والهدايا التي تقدم للآلهة.

من أشهر زقورات العراق:

- زقورة أور، وهي من أولى الزقورات. واقعة قرب مدينة الناصرية. شيدها الملك أرغمو مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٩٦ ق.م). ما تزال شاخصة إلى الآن، وارتفاعها الحالي ١٧،٥ م. ويقدر بـ ٢٦ م بالأصل.

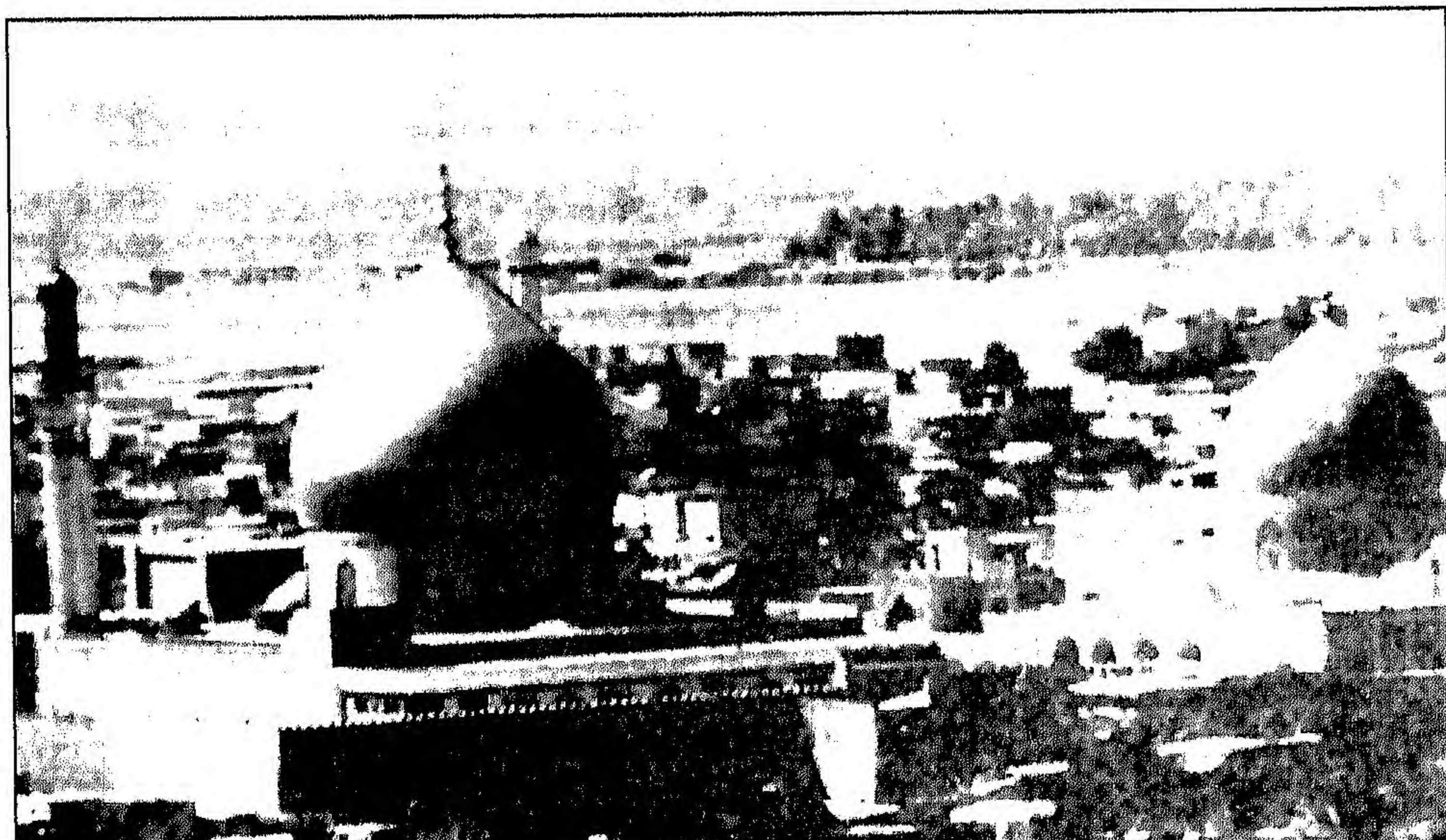
- زقورة بابل، في مدينة بابل الأثرية بالقرب من الحلة وإلى الجنوب من بغداد بحوالي ٩٠ كلم، وتتواجد ضمن حارة ضخمة مقدسة عند البابليين. طولها ٩١،٥ م. يرجع بناؤها إلى اواخر الألف الثاني ق.م.

- زقورة عرقوف، على بعد نحو ٣٠ كلم إلى الجنوب من بغداد. إرتفاعها ٥٧ م، وفي الأصل ٨٧ م.

- زقورة بورسيبا، «برس نمرود»، الأثرية على بعد ١٥ كلم إلى الجنوب من مدينة الحلة. ترتفع بقاياها ٤٧ م. وبالقرب منها يوجد تل مرتفع عليه مزار يعتقد البعض انه مقام ابراهيم الخليل أو قبره.

* سامراء: مدينة عراقية. تقع على الضفة اليمنى

الروضة العسكرية في سامراء



وقصر الواثق المعروف بالهاروني، وقصور المتوكل، وأبرزها: الجعفري والعروس والصبيح والمليح والمختار والوحيد والمعشوق وغيرها.

بدأ اهتمام الأوروبيين بآثار سامراء منذ أواسط القرن التاسع عشر، لكن أعمالهم في التنقيب تأخر إلى نهاية العقد الأول من القرن العشرين عندما قام المهندس الفرنسي، فيوله، بتنقيبات استكشافية في قصر الخليفة (صيف ١٩١٠)، وأعقبه في السنة التالية العالم الألماني هرتفيلد. وفي ربيع ١٩٣٦ بدأت مديرية الآثار العامة في بغداد تنقيباتها في سامراء انتهت في ١٩٣٩. ومن أبرز ما عثر عليه خلال كل عمليات التنقيب حتى تاريخه (الحرب العالمية الثانية) زخارف جبسية، ومواد خزفية، وكتابات على الجدران أو على الفخار والرخام والخزف والمعادن، إلى جانب كميات كبيرة من النقوش والزخارف على الاواني الفخارية، والقطع الخشبية المزخرفة بطريقة الحفر والخزف، وبمجموعة خواتم واقرات وسلاسل...

وفي ١٩٧٢، عثر عمال الهاتف، وهم يقومون بعمد اسلاك في سامراء، على لوحة شبه مربعة من الرخام. وبعد إتمام معالجتها تخبرياً في المتحف الوطني في بغداد تبين انها ساعة شمسية، ومن خطوطها وكتابتها عبارة «صنعة علي بن عيسى» الذي عاش في سامراء في أواسط القرن التاسع الميلادي. والمعروف ان الساعات العربية كانت ذاتية الصيت تفاخر في إهدائها الخلفاء والحكام والأثرياء، وليس أدل على ذلك من الساعة التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى شارلمان، أو الساعة التي أهداها صلاح الدين الأيوبي إلى فردريك الثاني سنة ١٢٣٢.

* سلمان بك: راجع «المداخن» في هذا الباب.

* سنجار: مدينة عراقية (نحو ٥٠ ألف نسمة أكثرهم من اليزيديين). هي سنجار القديمة. أعلنها مرقس أوريلوس (إمبراطور وفيلسوف روماني ١٦١-١٨٠)، حارب البرابرة واصطدم بالفريثيين، السلالة التي حكمت إيران) مستعمرة رومانية. هاجمها الفرس عدة مرات. احتلها شاپور الثاني ونقل سكانها إلى فارس. ثم أعادها الإمبراطور الروماني يوليانيوس من جديد ٣٦٣. اشتهرت في العهد العباسي بتقدمها، فأصبحت إحدى حواضر العراق المهمة. وهناك جبل سنجار، وهو كتلة صخرية في العراق قرب الحدود مع سورية ويشرف على مدينة سنجار.

عرفت بـ«سرّ من رأى»، وربما كانت سامراء من كلمة آرامية مثل عكيرا وبعقوبا وبقسايا. وهذه المواضع تنتهي بالألف المقصورة وهي العلاقة المميزة للكلمات السريانية الآرامية في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام، وكانت سامراء عامرة بالاديرة وربما كانت منها كربلا».

وعن أسباب بناء المدينة في الموقع الذي أقيمت عليه، جاء في تاريخ الطبري ان المعتصم «أزمع الابتعاد عن بغداد لأن الجند شغبوا حين يبيع له بالخلافة، فطلبوا العباس بن المأمون ونادوه بالخلافة، فأرسل المعتصم إلى العباس فبايعه هذا وأسكت الجند. وعند ذلك طلب للمعتصم إلى وزيره أحمد بن خالد ان يشترى له بناحية سامراء موضعاً يبني فيه مدينة لأنه تخوف ان يصيح الحرية (جند العرب) صيحة فيقتلوا غلمانهم، ولكي يكون فوقهم، فان رابه منهم ريب أتاها في البر والبحر حتى يأتي عليهم».

ولمّة رأي أجمع عليه مؤرخون آخرون يتفق مع ما جاء في تاريخ الطبري، مفاده ان سبب بناء المدينة يرجع إلى كثرة جيوش المعتصم من الأتراك الذين كانوا يضاهقون أهل بغداد حتى بلغ بهم الأمر أن طلبوا من الخليفة ان يخرج عنهم يئسده وإلا حاربوه، فثقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد، وبنى سامراء واتخذها عاصمة له في ٨٣٦.

ودلّ تخطيط المدينة على براعة فائقة في تخطيط المدن. وازدهرت بشوارعها، وأنشئت الحمامات والمرافق الأخرى، وحفرت الأقنية ونصبت الدواليب والدوالي عليها، وحملت إليها الغروس والنخيل من سائر البلدان. وزادت المدينة سعة ومرافق وأبنية في عهد المتوكل بعد المعتصم، فاندفع الناس يشيدون البيوت والقصور، واتسعروا في ذلك أكثر من اتساعهم في بغداد.

أبرز معالم سامراء العمرانية والحضارية: المسجد الجامع ومئذنة الملوية، وبمجموعة القصور، والشارع العظيم، والأسوار، ودور العامة.

المسجد الجامع، وسّعه الخليفة المتوكل وكان بناه أبره المعتصم بعد ان ضاق المسجد بالمصلين، وكانت مساحته نحو ٣٨ ألف م.م ويتسع لنحو ٨٠ ألف مصل. أما مئذنته الملوية فتقع على بعد ٢٥ م من الجدار الشمالي للمسجد، ويبلغ ارتفاعها نحو ٥٢ م. ومن مساجد سامراء الأثرية مسجد جامع أبي دلف الكبير الذي بناه المتوكل في «الثوكلية» وهي مدينة بناها المتوكل وملحقة بسامراء وتبعد عنها نحو ٢٥ كلم.

أما أشهر قصور سامراء: قصر الخليفة المعتصم،



ختمان سومريان يحملان لقوشاً زراعية وحيوانية

لهفة الانسان في بحثه الدائم المتطلع عن أصول الأشياء أو بعبارة أخرى «أوائل الأشياء» في تاريخ الحضارة. مثلاً: ماذا كانت أولى مُثُل الانسانية الاخلاقية المدونة؟ وماذا كانت آراؤه الدينية؟ وكيف كانت أفكاره السياسية والاجتماعية الفلسفية؟ كيف كانت اوائل المدونات في التاريخ والأساطير وقصص الملاحم والترايل الدينية؟ كيف كانت تصاغ أولى العقود القانونية؟ مَنْ كان أول مصلح اجتماعي؟ متى حدث لأول مرة في التاريخ أول تخفيض في

أبرز معالمها الأثرية: المنارة، والمسجد، وأطلال كنيسة زكريا وكنيسة القديس جورجوس (شفيع مسيحيي المدينة)، والصور الروماني (القرن الثالث)، ومبان ومدافن بيزيدية.

تعود المنارة إلى العام ١١٦٩، ما دعا المؤرخين إلى اعتبار قطب الدين مسعود ابن زنكي (أحد أحفاد عماد الدين زنكي) هو بانيها (مجلة «بغداد»، بالفرنسية، تصدرها وزارة الثقافة والاعلام العراقية، العدد ٢٧٩، تشرين الاول ١٩٨٨، ص ٢٦-٢٧).

* سومر: هي المنطقة التي تشكل جنوب العراق. كثيراً ما يجري تعريفها، حالياً، بـ«المنطقة المتطابقة لبلاد ما بين النهرين والمتاخمة للخليج العربي-الفارسي»، مع ملاحظة التغيرات الجغرافية الحاصلة في هذه المنطقة، إذ إن ساحلها القديم، على ما يقول العلماء، كان على بعد نحو ٢٥٠ كلم شمال-غربي الساحل الحالي. و«سومر» نسبة إلى السومريين، وهم شعب غير سامي امتزج بشعب سامي هو «الأكديون»، وبات الكلام يجري على حضارة «سومرية-أكدية» رغم اختلاف اللغتين. عرفت هذه الحضارة صناعة النحاس والقرميد، وهي أول حضارة إنسانية ابتكرت هندسة العمارة والبناء (المعابد، وبعدها الزقورات) والكتابة (الرسمية ثم المسمارية). وانتشر أثر الحضارة السومرية، على يد الأكديين، في كل آسيا الداخلية، واستمر هذا الأثر في أيام البابليين.

«من ألواح سومر» (وتعداد هذه الألواح يبلغ عشرات الآلاف) لمؤلفه صمويل نوح كرامر Samuel Noah Kramer، الاختصاصي الشهير في الأبحاث السومرية، والموضوع في اواسط هذا القرن، والذي ترجمه إلى العربية، بمساعدة مؤسسة فرانكلين، طه باقر (مكتبة المثني ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة)، هذا الكتاب هو في أساس كل علم أو معرفة عن سومر والسومريين.

شيء واحد يريد ان يقوله، ويثبته، الكتاب (بفصله ٢٥ وصفحاته ٤٥٨)، هو ان كل علم، وكل أدب، وكل معتقد، وكل رأي، وكل سلوك، وكل مؤسسة... أوله يعود إلى سومر وحضارة السومريين. وكان حضارة الانسان اليوم، بكل عناصر الحياة الشخصية والفردية أو العامة، هي الطباق الأعلى في عمارة واحدة أساسها الحضارة السومرية (الألف الرابع-الألف الثالث ق.م.).

فكل بحث في حضارة سومر يستطيع «ان يشبع

ونزوعاً إلى ما وراء المادة. وخلص المؤلف، خزعزل الماجدي إلى اعتبار الثقافة السومرية أول ثقافة بشرية أصيلة ساهم الإنسان والطبيعة وتراث العصور القديمة في صياغتها، ولذلك كانت هذه الثقافة مصدر ثقافات العالم القديم كله.

* شادوم: راجع «بغداد» في هذا الباب.

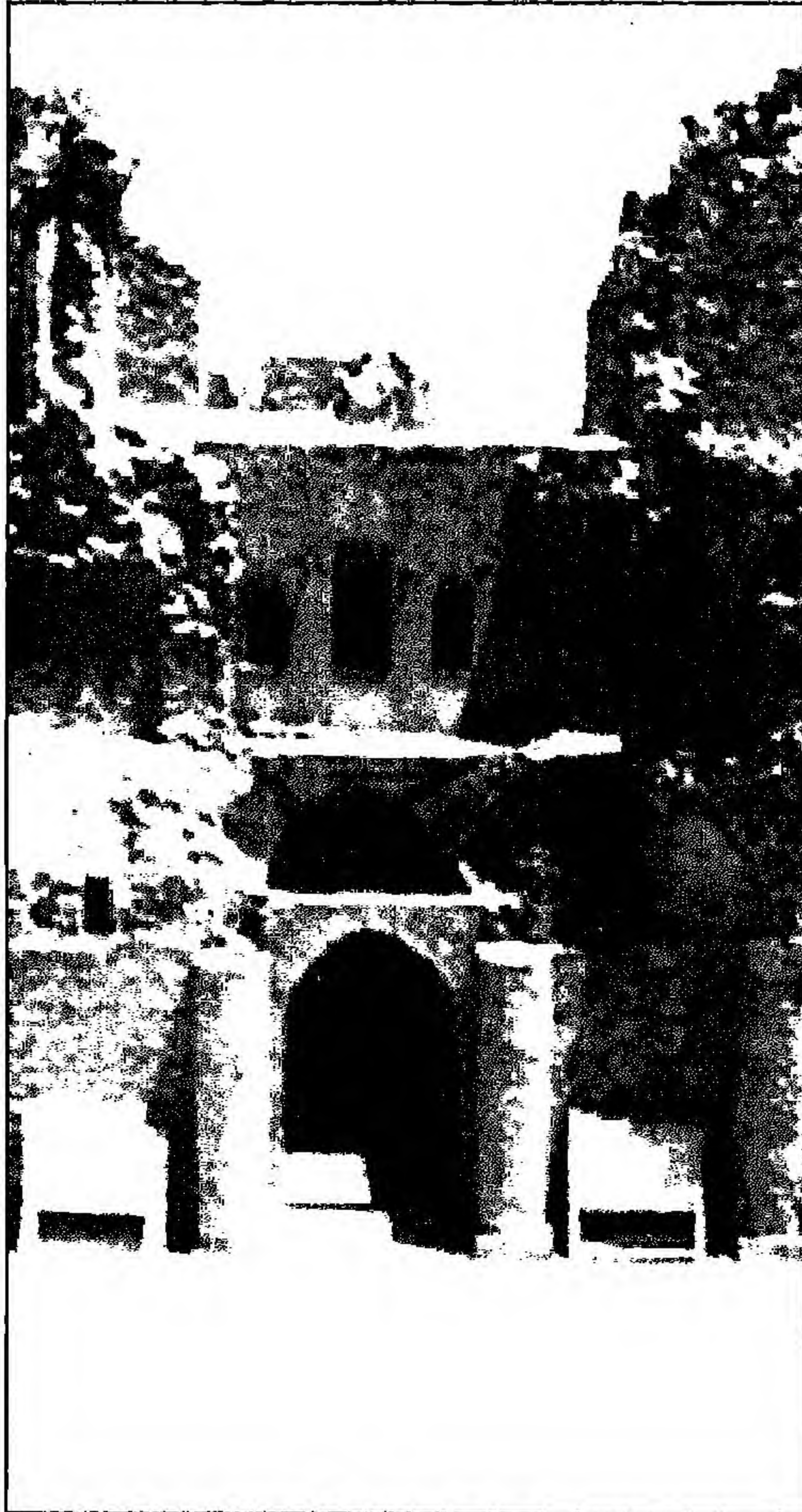
* شط العرب: راجع «مسألة شط العرب» في باب معالم تاريخية.

* شفاثا: راجع «عين التمر» في هذا الباب.

* طيسفون: راجع «المدائن» في هذا الباب.

* عقرقوف: راجع «بغداد» في هذا الباب.

جانب من واجهة حصن الاخضر في عين التمر.



الضرائب؟ من كان أول مشرّع؟ متى اجتمع أول برلمان ذي مجلسين ولأي غرض كان اجتماعه؟ وكيف كانت أولى مدارس التعليم عند البشر؟ وكيف كانت مناهجها وهيئة مدرسيها وطلابها؟ إن هذه وكثيراً من نظائرها من «أوائل الأشياء» في تاريخ الإنسان المدوّن لمي من صلب اختصاص الباحث في السومريات. ففي وسعه أن يثيب بالجواب الصحيح عن تلك الاسئلة الكثيرة الخاصة بالاصول الثقافية (...) وهناك حقيقة عجيبة هي انه قبل قرن مضى لم يكن أحد يعرف أي شيء حتى عن وجود هؤلاء السومريين في العصور القديمة، وإن المنقبين عن الآثار والعلماء والباحثين الذين بدأوا قبل نحو مائة عام ينقبون ويبحثون في ذلك الجزء من الشرق الاوسط المعروف باسم بلاد ما بين النهرين (العراق) لم يكونوا ينقبون ويبحثون عن السومريين وإنما عن الآشوريين والبابليين. وكان لدى هؤلاء الباحثين عن هذين القومين وعن حضارتيهما انجبار غير قليلة من المصادر الاغريقية والعبرانية. أما عن بلاد سومر والسومريين فلم يكن لديهم أية إشارة أو ملحّة، إذ لم يرد أي أثر معروف عن بلاد السومريين أو عن أهلها في جميع المصادر المتوافرة لدى الباحث الحديث. فإن نفس «إسم» سومر قد أمّحى من فكر الإنسان وذاكرته طوال أكثر من ألفي عام» (من مقدمة المؤلف، صمويل كريمر، المعربة، ص ٢١-٢٢).

المؤلفات عن سومر، بعد كريمر، أي في هذا النصف الأخير من القرن العشرين، بلغت العشرات، بل المئات، آخرها حتى الآن كان «الدين السومري» لمؤلفه خزعزل الماجدي (دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٩٩٨)، وفيه أن السومريين عاشوا ما يقرب من خمسة قرون في نظام سياسي مبتكر وحديد هو نظام دولة المدينة، الذي ساد بعدهم الشرق الأدنى كله، حيث لكل مدينة استقلال ذاتي وحاكم خاص وإله خاص، لكن هذه المدن يجمعها تفاهم سياسي وحضاري وديني واضح. وقد كان ظهور هذا النظام المتحضر سبباً في دفع التطور الانساني وابتكار المجالس البرلمانية وممارسة نوع من الديمقراطية. وكان المعتقد السومري بمثابة المعتقد الاول للإنسان من حيث امتلاكه أنظمة لاهوتية وميتولوجية وشعائرية متكاملة ومنسجمة في ما بينها. وفي التراث السومري أدب ديني غزير مما يبرهن على كون الإنسان في تلك العصور مشبعاً بالمبادئ والتعلق بالقيم. ومع أن تلك الاجيال السحيقة في القدم كانت تؤله القوى الطبيعية، إلا أنها كانت تحمل عاطفة روحية سامية، وميولاً دينية قوية،

* عين التمر (وحصن الأخيضر): مدينة عراقية

تقع في بقعة شبه صحراوية تحتوي على مياه جوفية، في الجانب الغربي من العراق. تبعد عن كربلاء نحو ٦٧ كلم إلى الغرب منها. وكانت تدعى قبل إسمها الحالي شفاتا. واستمر إسم شفاتا على أكبر وأهم واحات الهضبة الممتدة إلى الغرب من نهر الفرات. وهي عبارة عن غابة من النخيل وأشجار الرمان والزيتون، تقطعها طرق ريفية ضيقة ترتفع عن مياه صافية، وتنتشر فيها عيون معدنية (نحو ٧٠ عينا كبيرة وصغيرة) كان حصن الأخيضر يعتمد على مياهها.

أعيد إسم عين التمر (في السنوات الأخيرة) ليحل محل شفاتا تقليداً لمدينة عين التمر المندثرة، والتي كانت في القرن الثالث من المدن العامرة والمحصنة، وكانت قضاء في الولاية الساسانية العاشرة. وصل خالد بن الوليد إليها وهو في طريقه لفتح الشام وكانت فيها حامية عسكرية ساسانية محصنة، فافتتح خالد الحصن عنوة وقتل وسبى من كان موجوداً داخله. فأصبحت المدينة، بمحصنها، حامية اسلامية.

أبرز معالم المدينة (عين التمر-شفاتا) التاريخية: حصن الأخيضر الواقع على بعد نحو ١٧ كلم من عين التمر، ويعتبر من المباني الاسلامية التي أنشئت في الصدر الاول من الاسلام، اشتهر بضخامة بنائه وتفرد من حيث التصميم والبراعة في هندسته. مرافقه الداخلية مكونة من البهو الكبير والمسجد ومجموعة دور، وإيوان كبير ومجموعة أواول. زاره عدد من المستشرقين منذ اوائل القرن السابع عشر، منهم لويس ماسينيون (١٩٠٨). وكتب عنه مصطفى جواد (١٩٤٧). أما محمود شكري الألوسي فذهب إلى أن لفظة «الأخيضر» محرفة عن «الأكيدر»، وهو إسم أحد أمراء كندة الذي أسلم في صدر الاسلام. وفي العام ١٩٣٤، بدأت مديرية الآثار العراقية بالكشف عليه، وفي ١٩٣٨، تم رفع الأنقاض المتراكمة عليه وحوله، وفي ١٩٦٠ بدأت أعمال صيانتة وكشف أجزاء منه، واستمرت في ١٩٧٤، ثم في ١٩٨١.

بعض المؤرخين يستند إلى ما جاء في «معجم البلدان» لياقوت الحموي ليقول إن حصن الأخيضر أقيم على أنقاض «قصر مقاتل» الذي هدمه عيسى بن علي بن عبد الله في القرن الثاني الهجري وأقام حصن الأخيضر فوقه. أما ما جاء بصدد معجم البلدان أن «قصر مقاتل من الاماكن الواقعة بالقرب من عين التمر وينسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة الذي يعود نسبه إلى امرئ القيس بن زيادة مناة بن ميم، ويدعى أيضاً قصر بني مقاتل».

* الفاو: مدينة ومنطقة في جنوبي العراق، حيث

تغطي مساحة ٩٢ ألف كلم م، أو ما يعادل ٢٠،٩٪ من مساحة العراق. أجمعت الدراسات الجيولوجية على أن منطقة الفاو جزء من مياه الخليج، وانها خضعت إلى حركة تقعر نشطة أدت إلى حدوث منخفض مستمر وواسع، وأسهمت الانهار والوديان من الشرق والغرب على قطع جزء من الخليج العربي بشكل بحيرة واسعة، ثم أسهمت أنهار دجلة والفرات بملء هذه البحيرة بالرواسب الغرينية التي تجلبها من منطقة المرتفعات الشمالية التي تنبع منها. وقد ظهرت منطقة الفاو كأحدث جزء من العراق باعتبارها تقع عند نهاية الدلتا القرية من ساحل الخليج العربي. والفاو أحد الأفضية السبعة التابعة لمحافظة البصرة.

جاءت أهمية الفاو الادارية عندما تأسست فيه أول محطة للتلغراف في ١٨٦١ في موضع يقع بين جدول حاجي عبدالله وحاجي رشيد جنوبي البصرة بنحو ٩٧ كلم وقرب بناء الحجر الصحي العثمانية. وظلت الفاو ناحية صغيرة من نواحي البصرة حتى ١٩٠٣ عندما صيرها العثمانيون قضاء لتزايد أهميتها العسكرية، إلا انها أهملت وعادت ناحية مرة أخرى.

لكن أهميتها العسكرية، في نظر العثمانيين، سبقت أهميتها الادارية. إذ أخذت الدولة العثمانية تهتم باستحكامات شط العرب في أعقاب حملة الإحساء في ١٨٧١ موجهة اهتماماً آخر إلى الفاو باعتبارها تتحكم في مدخل شط العرب والمنفذ المهم إلى الأراضي الزراعية الغنية في العراق وإقليم عربستان. وبدأت زيارة المسؤولين في الدولة العثمانية لهذه المنطقة، حيث زارها الوالي رديف باشا في ١٨٧٤ لتفقد الاستحكامات فيها، ثم زارها القائد البحري العثماني في البصرة بأمر من السلطات العثمانية العليا لاختيار أرض مناسبة لاقامة حصن يتناسب وأهمية المنطقة التجارية. ونتيجة لذلك نشط الوكلاء السياسيون البريطانيون في المنطقة لاحتباط جهود الدولة العثمانية وأطماعها في الفاو. وتوالى تقارير القنصلية البريطانية في البصرة على السفير البريطاني في اسطنبول وحكومة الهند لإخبارهم بعزم العثمانيين على تجديد الحصن وتشديد فنار لإهداء السفن إلى شط العرب. ذلك أن العثمانيين كانوا بدأوا بتشييد حصن عسكري في الفاو في ثمانينات القرن التاسع عشر. وقد ثبت للبريطانيين أن زيارة قائد الاسطول العثماني في الفاو كانت من أجل تثبيت بعض العلامات في رأس الخليج العربي عند الحاجز الغربي الخارجي ومصب شط العرب، لتسهيل الملاحة للسفن القادمة إلى النهر. وقد

الملقب بـ«الكاظم» (ومنه الكاظمية) المعروف بحلمه وعفوه وكظمه للغضب والمتوفي سنة ٧٩١، وحفيده محمد بن علي بن موسى الملقب بـ«الجواد» لجوده وحلمه والمتوفي في سنة ٨٢٥.

يعتبر مشهد الإمامين نواة الكاظمية التي شيدت على أرض كانت تُعرف أيام الساسانيين بـ«قطر بل» وقد حوّلها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى مقابر قريش وخصصت لدفن العباسيين والعلويين. ودُفن فيها كل من جعفر بن الخليفة العباسي المنصور وكذلك الخليفة العباسي الأمين ووالدته زبيدة، إضافة إلى الكثير من العلماء والفقهاء والشعراء والمؤرخين، من بينهم الشريفان الرضي والمرتضى والإمام أحمد بن حنبل وابن الأثير وابن الجوزي والشاعر عبد المحسن الكاظمي وغيرهم.

لعبت الكاظمية، تزامناً مع بغداد خلال العهود الإسلامية، دوراً حضارياً في تاريخ العراق والعالم الإسلامي. وكانت مصدراً لنهضة علمية وأدبية وفكرية، وأصبحت في فترات زمنية مختلفة مقر كبار العلماء والفقهاء ومكان تدريسهم. وكان للكاظمية دور بارز في اندلاع ثورة ١٩٢٠، وكان لتأكيد علمائها ومساندتهم للفتوى التي أصدرها من مدينة كربلاء المرجع الديني الشيخ محمد تقي الخائري الشيرازي في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩ التي حرّم فيها على المسلم أن يختار غير المسلم لحكم البلاد أكبر الأثر في تأسيس الدولة العراقية الحديثة في ١٩٢١.

أبرز معالم المباني الدينية في الكاظمية مشهد الإمامين بمآذنها وقبابها الذهبية وسواد بنائها من الرخام والمرمر والزخارف، والحسينية الحيدرية (بنيت في ١٨٦٣)، والأسواق التجارية. ويقع مشهد الإمامين (أو الروضة الكاظمية) في وسط المدينة، وتضم رفات الإمامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد. شيدت في ١٢٤٩ في عهد الخليفة العباسي المستعصم بالله.

* كربلاء: مدينة عراقية إلى الجنوب الغربي من بغداد بنحو ١٠٥ كلم. موعلة في القدم، إذ كشفت التنقيبات الأثرية عن أن الإنسان القديم سكن في منطقة كهوف الطار القريبة من كربلاء الحالية خلال العصر الحجري الحديث. وفي عهد البابليين كانت مجموعة قرى بابلية قديمة أشهرها وأكبرها نينوى الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة كربلاء الحالية (ونينوى هذه غير نينوى عاصمة الآشوريين التي تقع في شمالي العراق قرب مدينة الموصل). وللتدليل على ذلك جاء في كتاب «مراصد

اعتبرت الحكومة البريطانية أن اهتمام الدولة العثمانية في المنطقة وتسهيلها للملاحة في شط العرب هو محاولة للاضرار بالمصالح البريطانية، فكانت توعد للحكومتين الهندية (المدعومة منها) والبريطانية بالتهويل على العثمانيين.

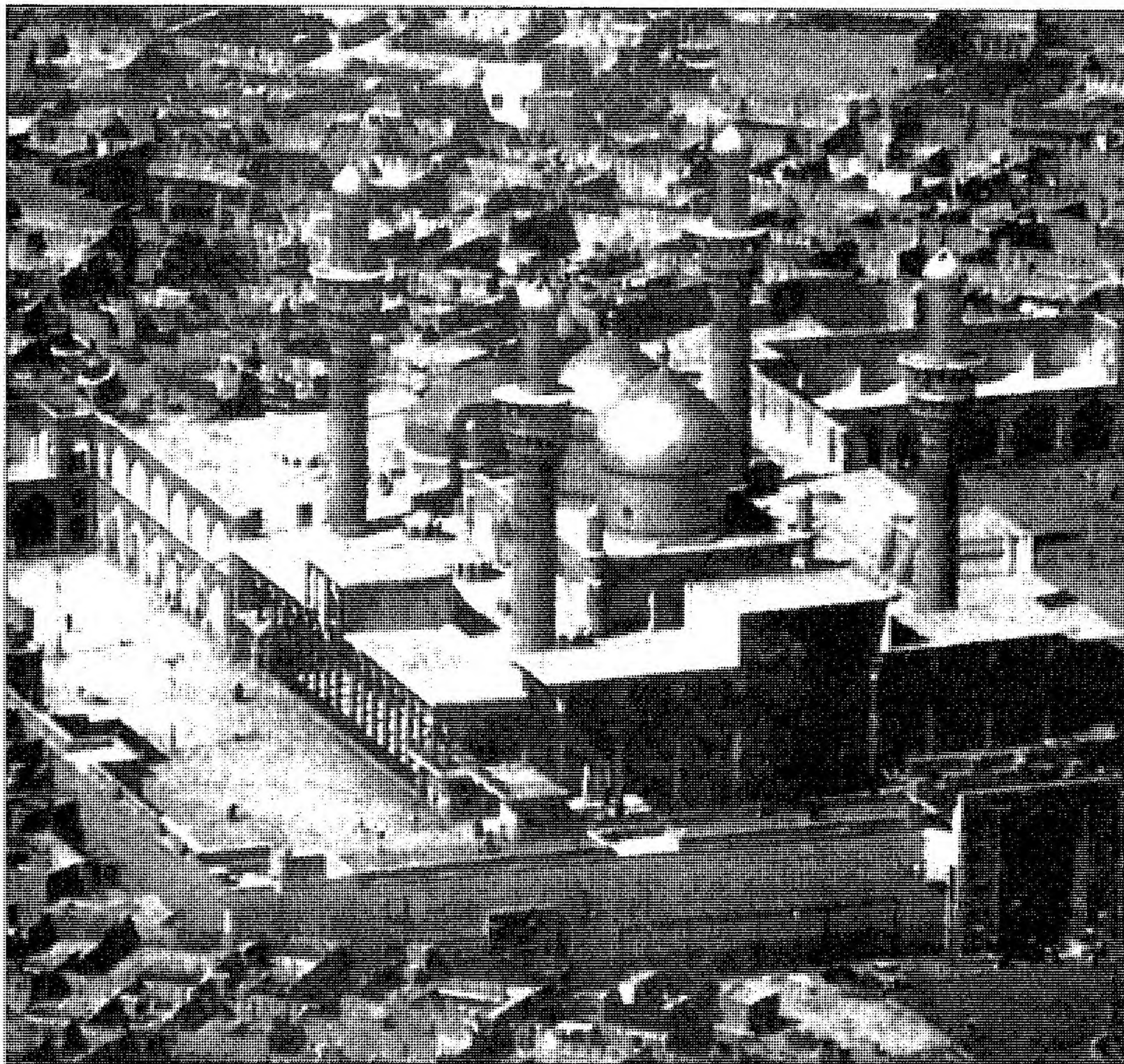
في الحرب العراقية-البريطانية (حرب الخليج الأولى)، احتلت إيران الفاء لفترة قصيرة ومنطلقاً لأهداف عسكرية وسياسية أوسع. لكن الجيش العراقي تمكن من استعادتها (ثم التوغل في داخل الأراضي الإيرانية) في إطار خطة عسكرية ومعارك طاحنة مشهود لها في التاريخ العسكري بحسب ما صدر من أنباء وتعليقات عالمية عليها.

لمنطقة الفاء أهمية اقتصادية للعراق ومنطقة الخليج، تتمثل بموقعها، وبترتها الرسوبية الغنية (التخيل، الحناء، الخضراوات، الجث-للعلف-)، والملح حيث تعتبر بملحة الفاء أهم المالح في العراق، وبدور الفاء في نقل النفط العراقي. ففي ١٩٤٩، اكتشف النفط في منطقة الزبير في محافظة البصرة بكميات تجارية. فأنشئ في ١٩٥١ خط الزبير-الفاو بطاقة سنوية ٥،٢٥ مليون برميل، وبلغت كمية النفط المصدرة في ١٩٥٤ نحو ٣١،٥ مليون برميل، ومثلت ١٦،٦٪ من كمية ما نقل عبر الأنابيب إلى البحر المتوسط.

كان ميناء الفاء أول ميناء عراقي أنشئ لتصدير نفط الحقول الجنوبية. وتوقف العمل به بسبب تشغيل مينائي خور العميه والبكر على أسس حديثة. فالميناء الأول ميناء عائم في الخليج العربي على بعد ٤٠،٢ كلم جنوبي ميناء الفاء، أنشئ في ١٩٦٢ ويتكون من ٥ جزر صناعية صغيرة تتصل بجسر، يضيخ إليه النفط من ميناء الفاء. أما ميناء البكر فهو من الموانئ العائمة أيضاً في الخليج وعلى بعد ١٥،٥ كلم جنوبي الفاء، وأنجز في ١٩٧٥ بالاتفاق بين شركة النفط الوطنية ومؤسسة إيراب الفرنسية، ويتميز بقدرته على استقبال الطائرات العمودية واستعمال أجهزة السيطرة الحديثة (عن د. فلاح شاكر أسود، استاذ في كلية الآداب-جامعة بغداد، مجلة «المورد» العراقية، العدد ٢، ربيع ١٩٨٨، ص ٣-١٦).

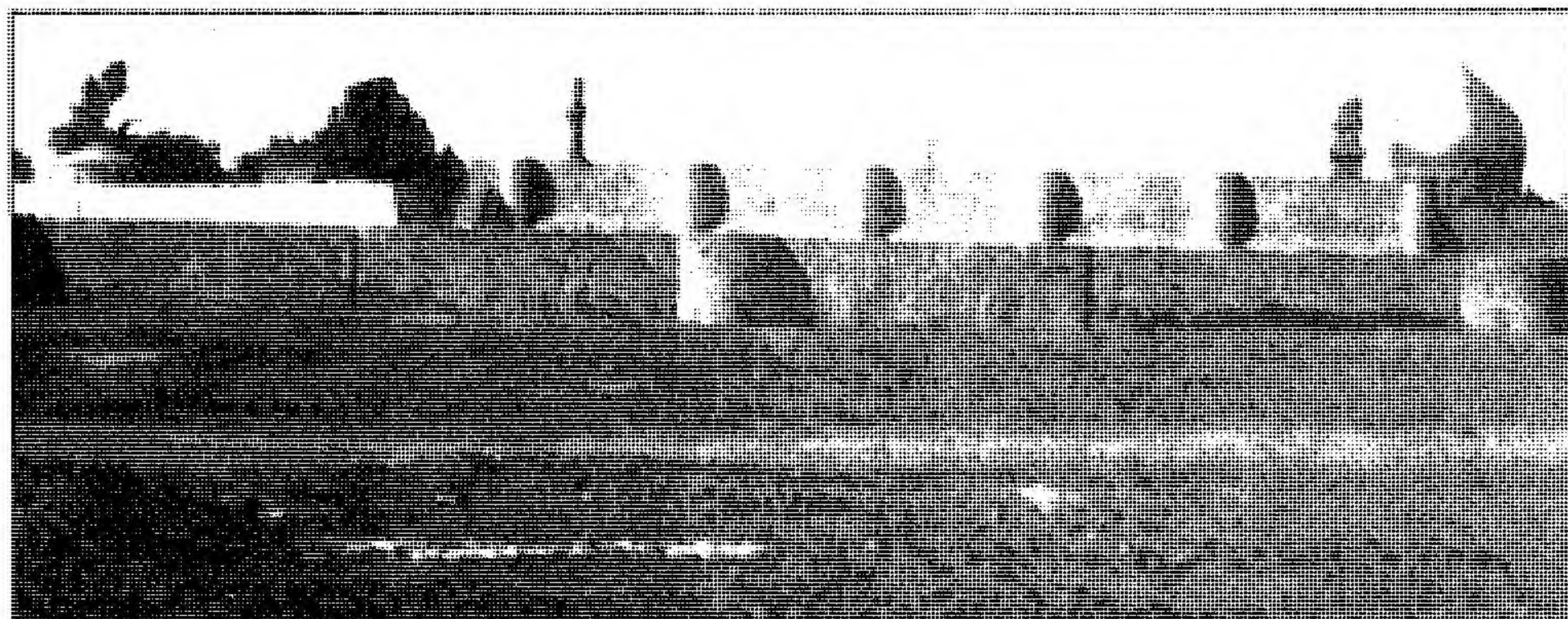
* الكاظمية: مدينة عراقية تبعد نحو ١٠ كلم عن بغداد. كانت تعتبر بجاورة لبغداد، أما الآن، ومع التوسع العمراني، فقد اندمجت بالعاصمة وأصبحت جزءاً منها أو ضاحية لها.

تعد الكاظمية إحدى أهم المدن الدينية في العراق والعالم الإسلامي. تضم مشهد الإمامين: موسى بن جعفر



الروضة في وسط الكاظمية.

جانب من دار الامارة في الكوفة بعد التنقيبات والزميمات.



علي إليها في ٦٨٠، منها نينوى (غير نينوى-الموصل كما تقدم ذكره) وعمورا وماريا وصفورا وشفيا. وكانت على مقربة من هذه القرى منطقة تدعى «النوايس» وهي مجموعة مقابر للمسيحيين الذين سكنوا هذه الاراضي قبل الفتح الاسلامي للعراق، وتقع هذه المقابر اليوم في شمال غربي كربلاء في اراضي الكمالية بالقرب من المنطقة التي يقع فيها مرقد الحر بن يزيد الرياحي.

وأطلق على مدينة كربلاء الحالية، بعد استشهاد الإمام الحسين ٦٨٠ أسماء عدة منها: مشهد الحسين، ومدينة الحسين، والبقة المباركة، وموضع الابتلاء، ومحل الوفاء، والحائر، والخير... إلا ان أشهرها هو «الحائر» لما أحيط بهذا الاسم من الحرمة والتقديس. وقد اختص «الحائر» في ما بعد بالمرقد في الغالب.

ولم تكتسب كربلاء هذه المكانة التي لها الآن لولا استشهاد الحسين وصحبه في هذه البقة (٦٨٠). كما وتدين المدينة بنشأتها إلى واقعة الطف، وكان نواتها قبر الإمام الحسين، إذ قام رهط من بني أسد سكان القرى المجاورة للمنطقة بنصب معالم عليه كي يُستدل بها ولا يضيع أثره وذلك بعد يومين من انتهاء المعركة. ويذكر بعض المصادر التاريخية ان المختار بن ابي عبيدة الثقفي، ايام إمرته على الكوفة، أقام بناء القبر وعليه قبة من الطابوق (الأجر)، وهذه القبة تعدّ الأولى في الاسلام، وذلك سنة ٦٨٦، وشيد مسجداً بجانب القبر. ويعتبر هذا البناء أول بناء في كربلاء، كما شيد قرية صغيرة تحيط بالقبر.

وبدأت المنطقة تتطور شيئاً فشيئاً، وذلك لكثرة الزائرين إليها واختيار بعض المسلمين، خصوصاً العلماء والرواة والمحدثين للإقامة فيها حتى أصبحت حاضرة إسلامية لها شأنها بين المدن الإسلامية. ومن أبرز ما تميزت به الدراسات الدينية ذات الطابع التقليدي «نظام الحلقات».

فعند بداية الحكم البويهي في إيران والعراق، تأسست المدارس الإسلامية في المدن التي كانت تحت سيطرتهم. وأول مدرسة إسلامية شيدت في العراق كانت في كربلاء وهي «المدرسة العضدية» من قبل عضد الدولة البويهي (٩٨٠)، وقد أزيلت آثار هذه المدرسة في ١٩٣٥ لغرض فتح شارع يحيط بالروضة الحسينية. كما شيد عضد الدولة مدرسة أخرى ألحقها بصحن الروضة الحسينية (أزيلت كذلك في ١٩٤٨). وعند زيارة ابن بطوطة إلى كربلاء (١٣٢٧) نوه بوجود «مدرسة عظيمة وزاوية كرمية فيها الطعام للوارد والصادر»، والمدرسة المقصودة

الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» لصفى الدين بن عبد الحق: «إن بسواد الكوفة تقع ناحية تسمى نينوى منها كربلاء التي قتل فيها الإمام الحسين». وورد في كتاب «بغية النبلاء في تاريخ كربلاء» لعبد الحسين الكيلدار آل طعمة انه يوجد على بضعة أميال في القسم الشمالي الغربي من مدينة كربلاء أطلال وأكم قيل إنها كربلاء الأصلية. وذكر لويس ماسينيون (مستشرق فرنسي شهير) في كتابه «خطط الكوفة» ان كربلاء كانت قديماً معبداً للكلدانيين في مدينة تدعى «نينوى». وظلت المدينة محتفظة بمكانتها في عهود التنوحيين واللاحميين والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة مملكتهم. أما الأقوام التي سكنتها فكانت تعتمد على الزراعة لخصوبة تربتها وغزارة مائها وكثرة العيون التي كانت منتشرة في أحيائها. وفي عهد الساسانيين الذين قسموا العراق إلى ١٠ استانات (ولايات) كانت كربلاء تابعة للولاية العاشرة.

أما بالنسبة إلى الاسم، «كربلاء»، فيقول الدكتور مصطفى جواد المؤرخ واللغوي العراقي المعروف «إن اسم كربلاء ليس عربياً وإن محاولات ردها إلى الأصول العربية غير صحيحة وتعطد بعقبات تاريخية ولغوية، إذ إن موقعها خارج عن الجزيرة العربية وإن في العراق كثيراً من البلدان ليست أسماءها عربية كبغداد وبابل وبعقوبا». ويرى فريق من المؤرخين ومنهم الأب أنستاس ماري الكرمللي ان لفظ كربلاء ذكر في كتب الباحثين، ومنحوت من كلمتين آشوريتين هما «كرب» بمعنى معبد أو حرم، و«إل» بمعنى إله في اللغة الآرامية، ومجموع الكلمتين «معبد الإله». ويقول الشيخ آغا بزرك الطهراني ان كلمة كربلاء متكونة من كلمتين هما «كار» أي الفعل، و«بالا» أي السامي والعلوي باللغة الفارسية، فيكون معنى اللفظة «الفعل العلوي» أو «العمل السماوي» المفروض من الأعلى.

وكان اسم كربلاء معروفاً قبل الفتح الاسلامي وقبل ان يسكنها العرب المسلمون، وذكرها بعض المسلمين الذين رافقوا خالد بن الوليد. وورد في «معجم البلدان» لياقوت الحموي ان كربلاء سميت بـ«الطف» لأنها مشرفة على العراق وذلك من «أشرف على الشيء أي أطل، والطف: طف الفرات أي الشاطئ». وجاء أيضاً في المصدر نفسه ان الطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي بن ابي طالب. ويشير بعض المصادر التاريخية إلى ان كربلاء الحالية كانت قبل الاسلام منطقة تحيط بها قرى قديمة عند قدوم الحسين بن

بكلامه هي «جامع ومدرسة ابن شاهين» الملاصق لأبنية الروضة الحسينية، والذي تحول إلى مدرسة علمية ودينية مهمة. وأما الزاوية فهي «دار السيادة» التي أقامها السلطان المغولي محمود غازان خان وجعلها وقفاً على الفقراء والمساكين.

وأدى تطور الحركة الفكرية والدينية إلى انتشار المدارس العلمية والدينية في كربلاء. لكن عدداً كبيراً منها أزيل في فترات زمنية مختلفة نتيجة فتح شوارع جديدة خصوصاً في المنطقة المحيطة بالروضتين الحسينية والعباسية، وقسم منها تحول إلى الخراب نتيجة الإهمال. وكانت هناك مدارس شيدتها الأهالي والسلطات العثمانية والبريطانية وحاليات الهندوس المسلمين، وأشهرها المدرسة الجعفرية (تأسست في ١٩١٤) والمدرسة الحسينية (١٩٠٩) والمدرسة الرشيدية (١٩١٠).

ومنذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة (١٩٢١)، بدأت الحكومة بإنشاء مدارس رسمية أخذت على عاتقها تعليم أبناء مدينة كربلاء جنباً إلى جنب مع المدارس الإسلامية الأهلية الأخرى.

أما أشهر المدارس العلمية الإسلامية في كربلاء فهي: مدرسة السردار حسن خان القزويني (شيدتها في ١٧٦٧)، ومدرسة السيد المجاهد التي شيدت في ١٨٥٤ وتقع بالقرب من مرقد السيد محمد المجاهد الطباطبائي، ومدرسة صدر الأعظم النوري (١٨٥٢)، والمدرسة الزينية، لكنها هدمت في ١٩٤٨.

أما جامع ومرقد الإمام حسين، بجانب جامع ومرقد أخيه العباس، من أبرز معالم المدينة العمرانية. وإضافة إلى دور كربلاء في تطوير الحركة العلمية والأدبية والفكرية، فقد ساهمت في النهضة الوطنية واستقلال العراق ١٩٢١ (عن رؤوف محمد علي الانصاري، «الحياة»، الأعداد ١١٢٩٩، ٢٢ كانون الثاني ١٩٩٤، ص ١٨ و ١١٧٩٥، ٨ حزيران ١٩٩٥، ص ٢١ و ١٢٣٩٦، ٤ شباط ١٩٩٧، ص ٢١).

* كركوك: مدينة عراقية. تقع في الشمال عند أطراف كردستان العراق الجنوبية، بين الموصل وبغداد. تعد نحو ١,٥ مليون نسمة. يقطنها عرب وتركمان وأكراد وأشوريون. سوق تجاري مهم لمنتجات كردستان العراق الزراعية (الحنطة والفواكه). صناعات متعددة، ومصفاة مهمة لتكرير النفط الذي تعتبر كركوك أهم منتج له في البلاد (اكتشف النفط فيها منذ ١٩٢٧)، ومنها تنفرع

أنابيب لنقل النفط إلى تركيا وسورية (بانياس) ولبنان (طرابلس، أقفل العمل به في ١٩٨٢). وكانت عدة آبار نفطية في كركوك قد تعرضت للحريق إبان المعارك بين الجيش العراقي والمتمردين الأكراد في ١٩٩١.

اشتهرت المنطقة منذ العهدين البابلي والآشوري. دعاها الساسانيون «كرمكان»، والمصادر السريانية «بيت كرماني»، وعُرفت كذلك باسم «كرخا ديت سلوخ». أصبحت في العهد الساساني مركزاً مسيحياً نشطاً. احتلها المغول، ثم الصفويون (القرن السادس عشر)، فالعثمانيون بعد معاهدة أماسيا. شهيرة بنيرانها الدائمة في باب كركر التي تحدث عنها هيروودوتس والتي لا تزال ملتهبة حتى اليوم. ويعيد العلماء سبب ذلك إلى غنى أرض هذه المنطقة بالنفط وقربه من سطح الأرض.

* الكوفة: تعتبر إحدى أهم مدن العالم الإسلامي التي اختطها المسلمون منذ بداية الفتح الإسلامي للعراق. تقع على شاطئ الفرات مباشرة وتبعد عن مركز مدينة النجف الأشرف نحو ١٠ كلم وعن بغداد نحو ١٧١ كم لجهة الجنوب الغربي. تعد نحو ٥٠ ألف نسمة.

عندما انطلق جيش سعد بن أبي وقاص محرراً مناطق العراق في معركتي القادسية والمذار برزت ضرورة اتخاذ مركز لانطلاق الجيش. فاعتمد سعد على رائدي الجيش سليمان وحذيفة بن اليمان لاختيار الموقع المناسب لإنشاء دار الهجرة هذه. فوقع اختيارهما على موضع مرتفع بين الحيرة والفرات وصف بأنه لسان بري يشتهر بنباتاته من الشيع والأقحوان والقيصوم والشقائق. وروعي في تخطيطها أن يكون مشابهاً لتخطيط مدينة البصرة. فأمر الخليفة بأن يكون المسجد الجامع في القلب وتكون دار الإمارة قريبة منه. بنيت بيوتها أولاً من قصب. وبعد احتراقها بعد سنة، أذن الخليفة عمر (٦٣٤-٦٤٤) في أن يُعاد بناؤها من حجر، على ألا «يزيدن أحد على ثلاثة أيات، وألا يتناولوا في البنيان» (ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٢٣). ولكن سرعان ما تنوسيت هذه البساطة الأولى التي كانت ترمي إلى بناء مجتمع دون طبقات. وكان في الكوفة قبل ذلك ثلاثة أديرة للمسيحيين هي: دير حرقة، دير أم عمرو ودير سلسلة. وفي أواخر ٦٣٨، بدأ يقوم تجمع هائل من القبائل العربية حول مركز المدينة المتكون من المسجد الجامع ودار الإمارة (شيدتهما سعد بن أبي وقاص) والأسواق. وجاء قسم من هذه القبائل من مناطق

بعيدة، والقسم الآخر من المناطق المجاورة للكوفة.

علت مكانة المدينة عندما اتخذها الخليفة علي بن ابي طالب حاضرة للدولة العربية الاسلامية الفتية (٦٥٧)، وحافظت على أهميتها كمركز إداري لجزء كبير من العراق. وكان الوالي الأموي يقيم فيها، وظهرت فيها رغم ما تعرضت له المدينة من ويلات ونكبات كبقية مدن العراق، فإن الحياة فيها استمرت وساهمت في البناء الحضاري للمنطقة. واهتم بالكوفة الكثير من الحكام والولاة الذين حكموا العراق في فترات زمنية مختلفة. وتذكر المراجع التاريخية انه كان في الكوفة، في العقود الاولى من العهد الاسلامي، أكثر من ثلاثين مسجداً. ولا تزال آثار مسجدها الجامع ودار إمارتها قائمة لحد الآن، أما دورها القديمة وبقية مرافقها العامة فقد غطتها أبنية المدينة الحديثة. ومن أبرز معالمها العمرانية: مسجد الكوفة الجامع، دار الامارة، مسجد السهلة الذي يعد ثور ٢ كلم عن المسجد الجامع ويعتبر ثاني أقدم المساجد في المدينة وتم تشييده في زمن الامام علي وكان يُسمى «المسجد الظفر»، ومئذنة الكفل. والكفل بلدة على الطريق بين الحلة والكوفة عند الضفة اليسرى لنهر الهندية، وبها مدفن ذي الكفل ومزاره. وذو الكفل شخص ذكره القرآن الكريم في كلامه عن الأنبياء، وقد عينت الروايات الاسلامية قبوراً وأضرحة لذي الكفل في شتى البقاع الاسلامية في المشرق العربي، منها قبة في قرية كفل حارس في نابلس (فلسطين)، وقبر ذي كفل في بلدة الكفل في العراق، حيث كان اليهود يزورونه ويترددون عليه ويحملون إليه النذور. وفي الكفل (البلدة العراقية القريبة من الكوفة) منارة تروي لنا المصادر التاريخية ان السلطان المغولي أولغايتو محمد خدابنده أخذ هذا المكان من اليهود وأعطاه للمسلمين وبنى هناك مسجداً مع منارة. فبدأ هناك نزاع بين المسلمين واليهود استمر إلى أيام السلطان عبد الحميد. في ١٩٣٩، بدأ المسؤولون العراقيون أعمال الترميم والصيانة لمئذنة الكفل التي تحمل خصائص المآذن العراقية.

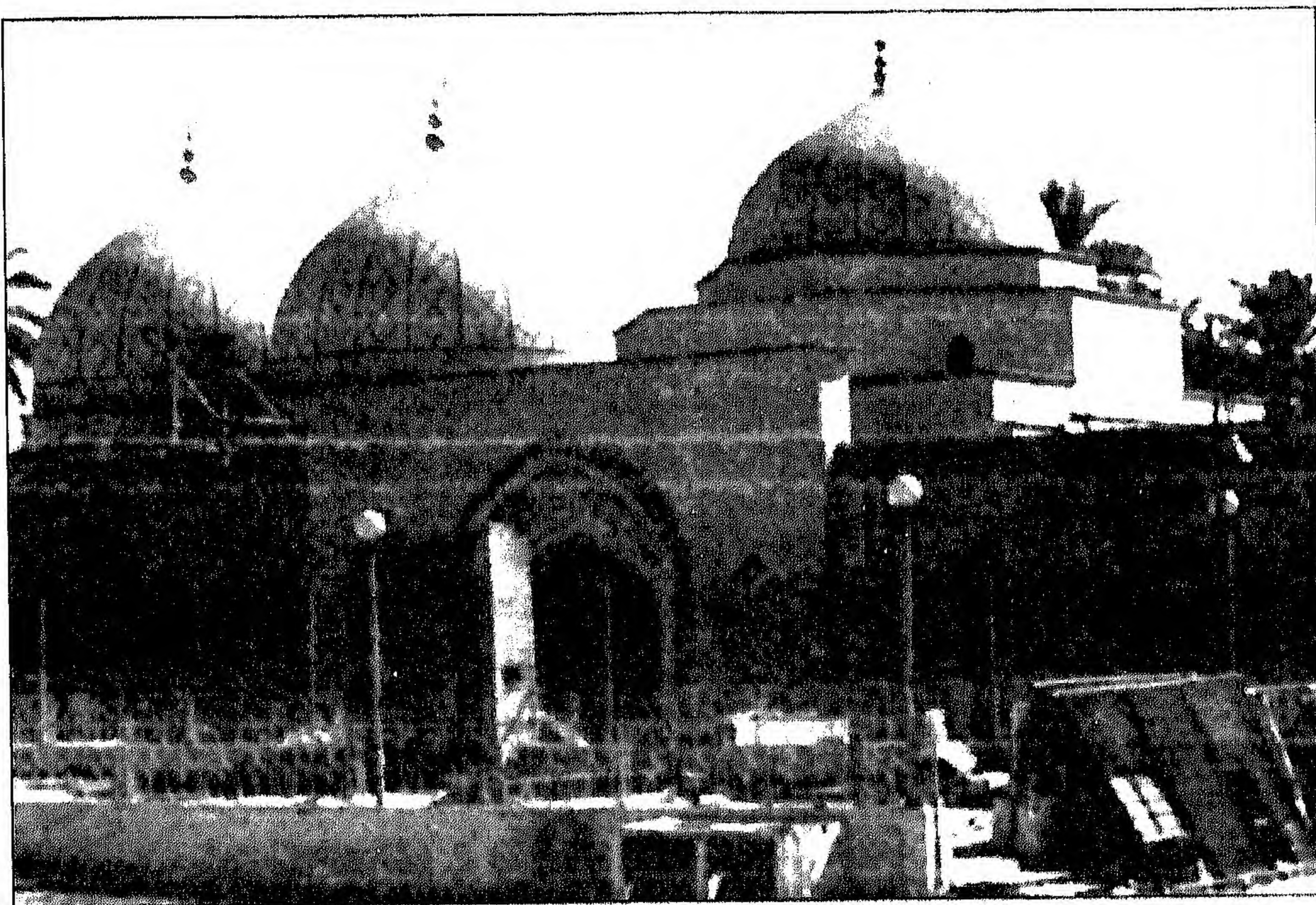
* المدائن: سبع مدن أثرية عراقية، بين كل منها مسافة قريبة، تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة على بعد ثور ٤٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من بغداد. تعرف اليوم باسم «سلمان بك» نسبة إلى الصحابي سلمان الفارسي الذي دفن فيها وله ضريح يُزار، كما عرفت باسم أهم مدنها وهي طيسفون التي شيدها الفرثيون في منتصف القرن الثاني ق.م. بعد ان استولوا على العراق ٤١ ق.م. والتي

استمرت فيها السكنى إلى فترة الحكم الساساني للعراق، الذي اتخذ منها مقراً لحكمه. وفي ٥٤٠ استولى أنوشروان العادل على انطاكيا الشام وسلوقية نهر الكلب، وأجلى أهل سلوقية هذه إلى عاصمته طيسفون، فأُنزلهم فيها في ربض جديد عرف بـ«رومية» أي المدينة الرومية اليونانية، وشيدت على غرار انطاكيا. وكان هذا الموقع باقياً حين فتح المسلمون العرب العراق بعد ذلك بقرن واحد (أي في ٦٣٧) بقيادة سعد بن ابي وقاص الذي اتخذ المدائن مقراً لجيوشه وأرسل منها حملات فرعية إلى مختلف المناطق العراقية. وبعد فتح العراق بالكامل، رأى سعد ان يتخذ موقعاً آخر، فاختار الكوفة لموقعها على مشارف الصحراء بحيث يقي الاتصال ببلاد العرب المسلمين. وكانت المدائن في العصور الاسلامية بلدة صغيرة أهلة بالسكان ولها مسجد جامع، وبالقرب منه ضريح الصحابي سلمان الفارسي وعلى مقربة منه قبران للصحابين حذيفة بن اليمان وعبد الله بن جابر الانصاري، وحوله بلدة صغيرة تسمى سلمان باك أي سلمان الطاهر.

أبرز معالم المدائن: جامع ومرقد سلمان الفارسي، وطاق المدائن (طاق كسرى).

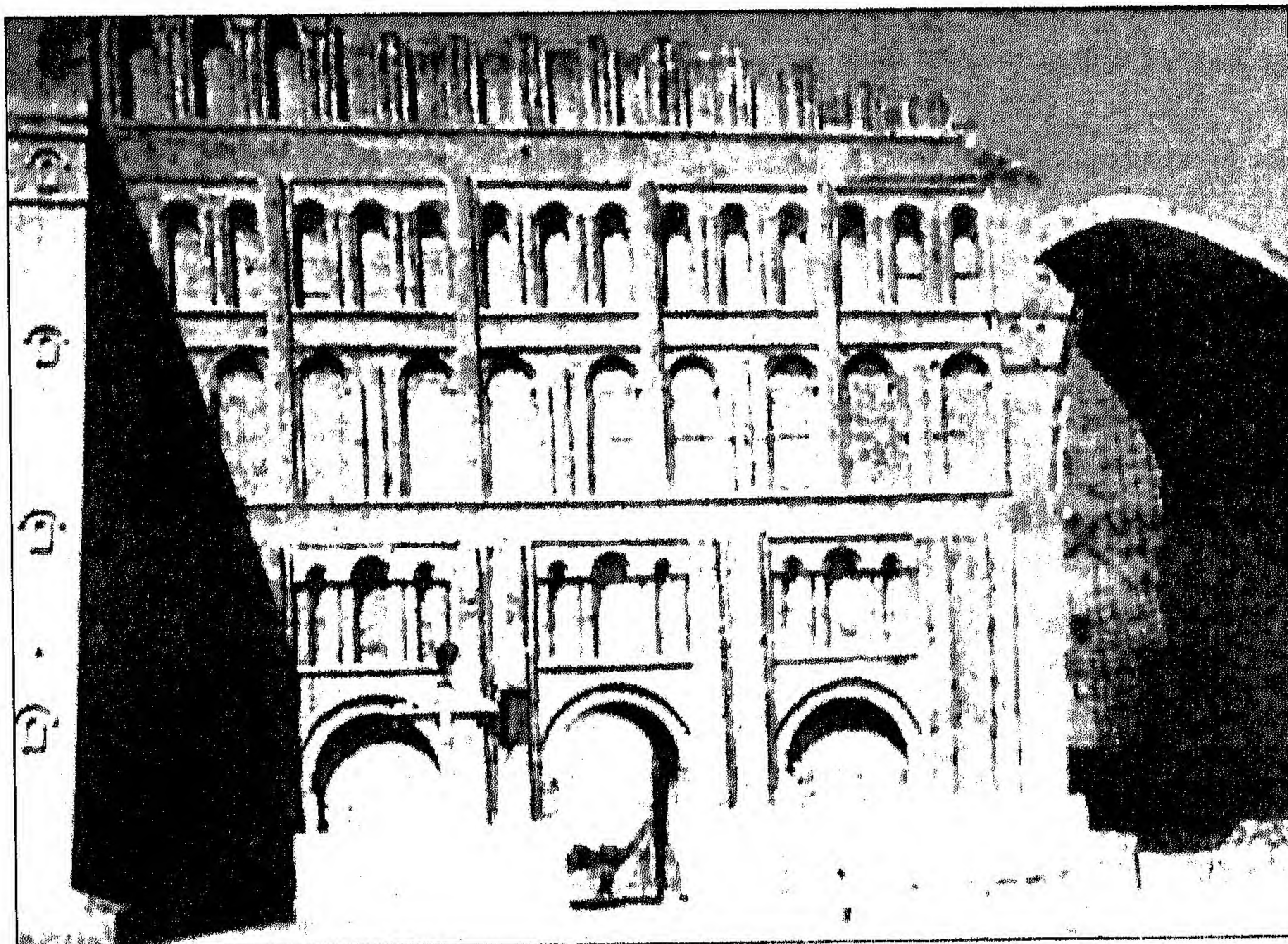
يقع جامع ومرقد سلمان الفارسي بالقرب من نهر دجلة وطاق كسرى. والمرقد يعود إلى أبي عبد الله سلمان الفارسي الصحابي الجليل وهو من بلاد فارس (من رامهرمز، وقيل إنه من أصفهان من قرية يقال لها جي) أسلم عند قدوم النبي محمد المدينة المنورة. ويذكر المؤرخون ان سلمان صار والياً على المدائن في العراق ٦٣٨ (في عهد الخليفة عمر).

أما طاق المدائن (طاق كسرى) فيعتبر أحد أهم القصور الكبيرة التي شيدها الملوك الساسانيون، وكان يعرف أيام العباسيين بـ«القصر الأبيض» أو «إيوان كسرى»، وورد ذكره في الكثير من المصادر التاريخية والجغرافية. ومما يُذكر بصدده ان الخليفة العباسي المنصور أمر بهدمه واستعمال آجره في بناء مدينة جديدة (بغداد). وحاول وزيره خالد البرمكي عبثاً إقناعه بالعدول عن هدمه. ولكن الخليفة عاد وعدل عن الاستمرار في الهدم عندما تبين له أن ذلك يكلف أكثر من صنع الأجر الجديد للبناء. في ١٨٨٥، زارته الرحالة المعروفة مدام دولافوا مع زوجها وصورته قبل ان يسقط جناحه الشمالي بعد ذلك بستين على أثر فيضان نهر دجلة. ويعتبر طاق المدائن اليوم معلماً من المعالم الرئيسية المعمارية والسياحية في العراق، وهو من أشهر الأقواس وأكبرها وأعلاها في العالم القديم (يبلغ ارتفاع قوسه ٣١م).



جامع ومقرقة سلمان الفارسي (المداين).

طاق كسرى (المداين).



* الموصل: الموصل، بلمحة سريعة، مدينة عراقية تقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة على مقربة من مدينة نينوى الأثرية وعلى بعد نحو ٤٦٠ كلم من بغداد، وعلى ارتفاع ٢٠٥ م عن سطح البحر، بين جبل سنجار وحصرة منطقة كردستان العراق. عاصمة محافظة نينوى، وتعد محور ١،٧٥٠ مليون نسمة. فيها جامعة، ومتحف لآثار المنطقة. المركز التجاري الأساسي لمنطقة شمالي العراق (زراعات الحنطة، والقنب، وأشجار الفاكهة). صناعات غذائية ونسجية (المركز الوطني لصناعة الأنسجة) وجلدية والإسمنت. وفيها مصفاة كبيرة ومهمة للنفط. تاريخياً: خلفت نينوى القديمة وأصبحت مدينة مسيحية. فتحها العرب المسلمون في ٦٤١ وجعلوا منها المركز الرئيسي لمنطقة العراق الشمالية. في القرن العاشر، أصبحت عاصمة إمارة شبه مستقلة، ثم في نهاية القرن الحادي عشر أصبحت عاصمة دولة سلجوقية. دمرها المغول في ١٢٦٢، ثم أخضعها الفرس، وبعدهم العثمانيون. حاصرها نادر شاه في ١٧٤٣. واحتلها البريطانيون في تشرين الثاني ١٩١٨ وضموها إلى العراق رغم اعتراضات تركيا (وقد ثبتت عصبة الأمم هذا الضم في ١٩٢٥). وأصاب الموصل أضرار كبيرة خلال حرب العراق-إيران ١٩٨٠-١٩٨٨، وخلال الأحداث التي أعقبت حرب الخليج الثانية.

المعروف أن الموصل هو الاسم الحديث لنينوى عاصمة الدولة الآشورية القديمة. منذ نحو عقد واحد (أي في أواخر الثمانينات) اكتشفت بعثة آثار تعمل في منطقة نينوى أقدم قرية زراعية أثرية في العالم، يعود تاريخها إلى ٩ آلاف سنة ق.م. وتقع القرية على بعد ٣٥ كلم من الموصل. كما عثرت البعثة على مجموعة من الدمى الحيوانية الحجرية. وفي كانون الأول ١٩٨٨، عثر فريق من علماء الآثار الإيطاليين على نموذج لمركبة آشورية يرجع تاريخها إلى أكثر من ٢٨٠٠ عام في مدينة الموصل. والنموذج مصنوع من البرونز يبلغ طوله ١٣٠ سم وعرضه ٤٠ سم ويرجع إلى عهد الملك شلمنصر (٨٥٨-٨٢٤ ق.م.).

حظيت الموصل باهتمام المؤرخين الذين دونوا عنها العديد من المصنفات والكتب التي تتناول تاريخها والدول التي تعاقبت على حكمها. فالمدينة موغلة في القدم تحيط بها مجموعة أطلال لأشهر المدن الأثرية في شمال العراق وهي آشور ونينوى ونمرود وخرسباد والحضر، وتعد من أهم مدن «الجزيرة» المحصورة بين نهري دجلة والفرات، وهي الأراضي المشتركة بين العراق وسورية. ومن أبرز مدنها الأخرى سنجار وأمد وحران والرقعة ورأس

العين وديار بكر.

ومما جعل للموصل أهمية بالغة (قبل العهد الإسلامي وأثناءه) موقعها الاستراتيجي على طريق القوافل التجارية بين الشام والعراق وهي الطريق الموازية لنهر دجلة. لذلك اتخذت الموصل منطلقاً للجهوش الإسلامية الزاحفة نحو الأناضول وأذربيجان والجزيرة منذ سقوطها بيد العرب المسلمين في عهد خلافة عمر.

ازدهرت الموصل في العهد الأموي وشيدت فيها مساجد لا تزال ماثلة إلى يومنا. وازداد الاهتمام بها في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين الذي أنشأ جسراً وبنى قلعة فيها، واتسعت الموصل في عهده اتساعاً كبيراً حتى أنه حاول اتخاذها عاصمة لخلافته.

وفي العصر العباسي الأول كانت الموصل تحت الحكم العباسي المباشر حتى ٩٠٠، إلا أنها بعد هذا التاريخ وحتى انتهاء الخلافة العباسية بسقوط بغداد (١٢٥٨) على يد المغول، شهدت قيام كيانات سياسية من الحمدانيين والعقيليين وخضعت لنفوذ السلاجقة وولاتهم الأتابكة من بني زنكي. ومن أشهر حكامها في تلك الفترة بدر الدين لؤلؤ (١٢١٨-١٢٥٩).

وأوردت المصادر التاريخية تسميات عدة اشتهرت بها الموصل يجمع أغلبها على القول إن التسمية، «الموصل»، مشتقة من المكان الذي يوصل بين موضعين أو أكثر، فهي تصل بين العراق والشام والجزيرة وأذربيجان.

أما أبرز معالم الموصل الإسلامية التي لا تزال شاخصة إلى يومنا فهي: الجامع الأموي الذي يعرف اليوم باسم جامع المصفي نسبة إلى الحاج مصفي الذهب الذي جددته في ١٨٣٩، ولم يبق من معالمة القديمة سوى المئذنة. وجامع النوري نسبة إلى مؤسسه الملك الأتابكي نور الدين ابن زنكي (١١٧٣). والجامع المجاهدي الذي يقع على شاطئ نهر دجلة، وينسب إلى مجاهد الدين قيمان (١١٨٠). وجامع النبي يونس الذي يقع في منطقة نينوى مقابل الموصل القديمة بجانب دير يونان بن أمتاي المعروف لدى المسلمين بالنبي يونس، وشيد على طبقات معمارية آشورية. وجامع النبي جرجس، وفيه قبره المشيد من المرمر ويقع وسط المدينة، ذكره الرحالة ابن جبير في القرن الثاني عشر. وسعّه وجددّه تيمورلنك بعد استيلائه على الموصل، ووسّع مرة جديدة في ١٧٤١.

في التاريخ المعاصر ثمة مسألة متعلقة بالموصل ومصيرها بين العراق وتركيا بعد الحرب العالمية الأولى (راجع «مسألة الموصل» في باب معالم تاريخية)؛ كما أن

هناك نقاط تاريخية معاصرة بارزة عرفت بها المدينة:

- حركة قائد المنطقة الشمالية اللواء الركن أمين العمري في ١٩٣٧ المنادية بوحدة العراق وبكون الموصل جزءاً لا يتجزأ منه.

- وجود كثرة من أبناء الموصل في الجيش العراقي، خاصة منذ تسلم البعث السلطة في ١٩٦٨. لكن الأمر نفسه تقريباً كان ملاحظاً قبل عقود من هذا التاريخ، ذلك ان وجود العسكريين الموصلين بكثرة ترافق مع تأسيس الدولة العراقية الحديثة، ومنذ التحاق الضباط العاملين في الجيش العثماني، ومعظمهم من الموصل، إلى أسرة جعفر العسكري للعمل مع الجيش العربي ضد العثمانيين إبان الحرب العالمية الأولى. أما بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ فكان أكثر من ٩٠٪ من الضباط الذين احيلوا على التقاعد من الموصل.

- حركة عبد الوهاب الشواف في ١٩٥٩ (راجع «عبد الوهاب الشواف» في باب زعماء رجال دولة وسياسة).

- الدور البارز للضباط الموصلين في حركة ١٤ شباط ١٩٦٣ الذي خطط لها ونفذها حزب البعث، ودورهم كذلك في الردة على هذه الحركة التي قادها عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

- اعتبار الموصل، من جانب أكثر الدارسين، بمثابة «قلعة القومية العربية» في العراق، مع إشارتهم دائماً إلى تلك الحساسية العربية-الكردية في المنطقة. وهذه الحساسية تثار دائماً مع كل حدث في المنطقة، كما إبان حوادث ربيع ١٩٩١ عندما أعلن قادة أكراد بأنهم ينوون الدخول إلى الموصل و«تحريرها». لكن الزعيم الكردي مسعود البرزاني صرح في لندن، إبان هذه الحوادث، بأن الأكراد «استثنوا الموصل».

- كانت الموصل، ومسألتها التاريخية وبزولها، حاضرة دائماً، إما مباشرة أو تلميحاً، في عدة تصريحات أطلقها الرئيس التركي سليمان ديميريل في سنوات الحصار الدولي على العراق إثر حرب الخليج الثانية.

* النجف (النجف الأشرف): مدينة عراقية تقع إلى الجنوب الغربي من بغداد بنحو ١٦١ كلم، وتعتبر إحدى أشهر المدن الحضارية الإسلامية. وذكر اللغويون في مادة «نجف» عن سبب تسمية هذه المدينة فوجدوا لها معاني كثيرة ويكاد ينعقد الإجماع على أنها سميت بهذا الاسم لأنها مرتفعة كالمسناة تمنع ماء السيل من أن يعلو

منازل الكوفة ومعالمها الأثرية والعمرانية. وما يؤيد ذلك هو انها تقع في مكان مرتفع بينما المناطق المحيطة بها منخفضة عنها.

ولا يكاد يُعرف عن تاريخ النجف القديم قبل الاسلام سوى انها كانت متنزهاً للوك الحيرة اللخمين وان أديرة نصرانية (مسيحية) كانت قائمة في الموقع، وبقيت مزدهرة يقوم على شؤونها القسس والرهبان ويؤمها نصارى الكوفة وشعراؤها حتى بعد زوال الحيرة. وجاء في أشعارهم ذكر هذه الأديرة مثل دير ابن مزعوق ودير مار ماثيون ودير مارت مريم ودير حنا وديارات أخرى.

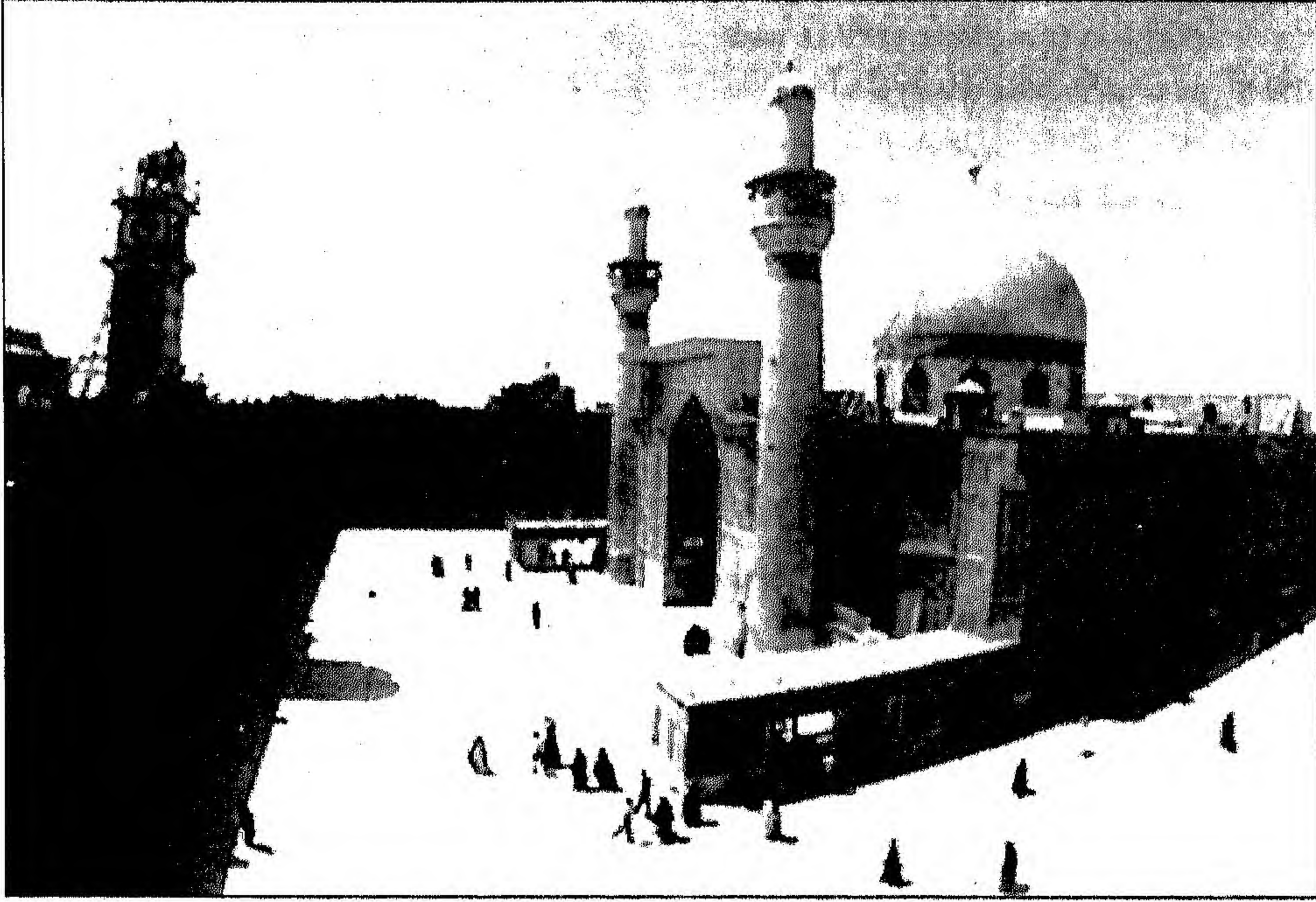
ومن الأسماء التي أطلقت على النجف إسم «المشهد»، لأن فيها مرقد الإمام علي بن ابي طالب. والمشهد هو اللفظ الصريح للجامع والمرقد. وكانت هذه الارض تعرف عند رجال الدين، يوم دفن الإمام علي فيها، بالذكريات البيض وهي ربوات ثلاث معروفة في النجف حتى اليوم، تسمى إحداها «جبل الديك» وهي الواقعة في شمالي القير، والثانية «جبل النور» وهي الواقعة إلى جنوبه الشرقي، أما الثالثة فتقع في الجنوب الغربي، وتسمى «جبل شريشغان».

وفي العصر الاسلامي أصبحت النجف ذات شأن كبير. فذكرتها كتب التاريخ بإفاضة بالغة وأسهب في وصفها البلغاء، وكتب عنها الكثير من أصحاب الحكمة والبيان، إذ كانت جامعة للعلم والفقه والأدب. ولا غرو ان تحتل مثل هذه المكانة والمنزلة وثراها يختزن رفات الإمام علي بن ابي طالب.

ويروي المؤرخون ان داود بن علي العباس كان أول من اكتشف قبر الإمام علي وذلك قبل العام ٧٥٠، وكان الخليفة هارون الرشيد أول من شخص وأكد موقع المرقد في حدود ٧٨٦ عندما كان في نزهة صيد في أرض النجف. فتوقف عند الذكريات البيض، وأمر ببناء قبة من الطين الأحمر على قبر الإمام علي تقديرًا لمكانته في نفوس المسلمين. وهكذا أصبح قبر الإمام هذا نواة لنشوء مدينة النجف.

ويستدل من التاريخ على اهتمام العباسيين، في مستهل عهدهم، بضريح الإمام علي. وعندما اختلفوا مع العلويين صارت النجف مأوى المضطهدين منذ اواخر القرن الثالث الهجري. وبلغ الأمر بالعباسيين في آخر الأمر انهم حاولوا هدم الضريح في اواخر القرن المذكور.

وعندما تسلم البويهيون حكم بغداد في القرن الرابع الهجري أبدوا اهتمامهم بمرقد الإمام علي وأعادوا



جامع ومقر الامام علي بن ابي طالب في النجف.

أصبحت مدينة النجف مركزاً من مراكز العلم والأدب، وكانت لها مساهمتها في تأسيس الدولة العراقية العام ١٩٢١ وقيام الحركات الوطنية في ذلك العهد. إلا أنها مرّت خلال السنوات العشرين الأخيرة (أو ربع القرن الأخير) بـ«أسوأ مراحل تاريخها، إذ عطلت جامعتها الدينية ومدارسها، وحارب العلم والعلماء فيها، ودمرت أجزاء كثيرة من مبانيها التراثية» (كل ما ورد حتى الآن عن النجف عن رؤوف محمد علي الانصاري، مهندس معماري عراقي، «الحياة»، العدد ١١٦٢٢، تاريخ ١٣ كانون الأول ١٩٩٤، ص ١٨).

إن أهم ما تميزت به النجف (مثلها مثل المدن الدينية الأخرى في العراق، كربلاء والكاظمية وسامراء) الدراسات الدينية ذات الطابع التقليدي في طريقة التدريس المسماة بنظام الحلقات، وهذه الطريقة كانت ولا تزال معتمدة في معظم الحوازيات العلمية في المدن الإسلامية.

وكانت الدراسات تتخذ من بعض الجوامع والمساجد في النجف، كجامع الهندي ومسجد الترك وجامع الطوسي ومسجد الخضراء، وفي صحن وغرف وأروقة الروضة الحيدرية (جامع ومقر الإمام علي)، أماكن لها. وكذلك في بيوت كبار العلماء التي غالباً ما كانت

بناؤه حتى صار مزاراً يؤمه الناس من دون خوف. وعلى أثر ما لحق بالكوفة من اضطهاد على أيدي العباسيين وخرابها على أيدي القرامطة، هاجر بعض القبائل إلى النجف، ثم كان أن هاجر إليها الشيخ الطوسي فنقل معه مركز الحركة العلمية التي كانت مزدهرة في بغداد.

وشهدت النجف في القرن السابع الهجري حركة هجرة واسعة أخرى بعد أن تعرضت الكوفة لغزوات قبيلة خفاجة المجاورة. فأصبحت في الربع الأول من القرن الثامن الهجري - كما يقول ابن بطوطة - «من أحسن مدن العراق وأكثرها ازدهاراً، وأتقنها بناء ولها أسواق حسنة نظيفة».

وعندما تسلم اسماعيل الصفوي مقاليد بغداد في أواخر القرن التاسع الهجري زار النجف وأصلح النهر الذي كان يرفدها فعرف بـ«نهر الشاه». وبعد انحسار نفوذ الصفويين وعودة العثمانيين إلى العراق حظيت النجف باهتمامهم وعنايتهم خصوصاً في عهد السلطان سليمان القانوني. وفي سنة ٩٨٤هـ (أواخر القرن السادس عشر الميلادي)، وبعد وفاة الشاه طهما سب الصفوي، آلت مدينة النجف إلى الخراب بسبب شحة المياه وإهمال نهر الشاه، إلى أن قام والي بغداد إبراهيم باشا (في أواخر القرن السابع عشر) بتطهيره.

العدد ١٢٧٨٤، ٤ ذار ١٩٩٨، ص ٢١).
أما أبرز معالم النجف الأشرف على الإطلاق فهو جامع ومقر الإمام علي.

يقع هذا المعلم في وسط النجف، ويمتاز بفخامته وطرار بنائه المعماري الاسلامي، ويضم رفاة الإمام علي بن ابي طالب الذي استشهد في ٦٦١. وكان أول من أمر بإقامة بناء على قبر علي هو الخليفة هارون الرشيد. وقد جُدد البناء في العهد المغولي (الایلخاني) وأصبح بالشكل الذي هو عليه الآن. وتم إكساء القبة والمذبتين بالنهب سنة ١٧٤٣ وفي ١٧٨٨ صُنِعَ للقبر صندوق مشبك بشكل فني وهندسي. ويشغل مبنى الجامع والمقر أرضاً مربعة الشكل طول ضلعها ١١٠ أمتار وتتألف أبنيتها من الحضرة وصحن واسع وسور ضخم يضم عدداً من المساجد. وتحتل غرفة الضريح مركز الحضرة.

ومن المباني الدينية الأخرى البارزة في النجف: مسجد عمران، ومسجد الخضراء، ومسجد الراس، وإيوان العلماء، وتكية البكتاشية. وأما أبرز المعالم الأثرية: سور النجف القديم، وبحيرة النجف التي تستمد مائها من نهر الفرات الواقعة عند حافة الهضبة الصحراوية في الجنوب الغربي للنجف، ومقبرة النجف المعروفة بـ«وادي السلام» والمعتبرة من أوسع المقابر في العالم. وتنتشر في النجف الكثير من المقامات، أهمها: مقام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، ومقام المهدي، ومقر هود وصالح (المرجع المذكور، العدد ١١٦٢٢، ١٣ كانون الاول ١٩٩٤، ص ١٨).

* نغز: راجع «نيبور» في هذا الباب.

* نمرود (كالح): تقع اطلال مدينة نمرود الآشورية في الجانب الشرقي من نهر دجلة على بعد ٣٤ كلم إلى الجنوب الشرقي من الموصل. شيدها الملك الآشوري شلمنصر الاول (١٢٨٠-١٢٦٠ ق.م)، وازدهرت في عصر آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) وابنه شلمنصر الثالث. وورد إسم هذه المدينة في الكتابات المسمارية والمدونات الآشورية باسم «كالح» أو «كالحو». أبرز معالمها التاريخية: سور يحيط بها طوله ٨ كلم ومدعم بأبراج دفاعية، وفي الزاوية الجنوبية منه يوجد «تل نمرود» الذي عثر فيه، بعد التنقيب، على عدد من القصور والمعابد الآشورية. والبرج المدرج، أي الزقورة التي يبلغ ارتفاعها ٣٤ م. ومعبد عشتار، ومعبد نابو (إيزيدا)، إله

تضم قاعات وغرفاً كبيرة أعدت لهذا الغرض. وتخرج عن طريق هذه الدراسات الكثير من العلماء والفقهاء والمراجع ممن تخصصوا في الفقه والنحو والأدب وعلوم القرآن. وأدى تطور الحركة الفكرية والدينية منذ القرن الثامن عشر، إضافة إلى توافد الكثير من الطلاب على مدينة النجف، إلى انتشار المدارس العلمية فيها حتى قاربت الأربعين مدرسة ومعهداً. فاصبحت النجف بمثابة مدينة جامعية اسلامية كبيرة. وشيدت مدارس اسلامية أخرى من قبل بعض البلدان لجالياتها التي كانت توفدها إلى هذه المدينة لدراسة العلوم الدينية، كالمدرسة الهندية والمدرسة الأفغانية والمدارس اللبنانية ومدرسة السرك (البادكوية) الأذربيجانية.

وأهم المقررات التي كانت تدرس فيها: علوم القرآن، والبلاغة، والحديث، والفقه المقارن، وعلم الكلام، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والأدب، والعروض، والتاريخ، والاقتصاد، واللغة الانكليزية، وبعض العلوم الطبيعية والرياضية كالفلك والهندسة والحساب، بالإضافة إلى أصول الفقه والعقائد واللغة العربية.

وقد قام الشيخ العالم الجليل محمد رضا المظفر بتأسيس «كلية منتدئ النشر» في ١٩٥٧، وقد استمرت في عملها إلى أن قرّر الشيخ تأسيس «كلية الفقه» التي اعترفت بها وزارة المعارف العراقية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

أشهر مدارس النجف أربع:

- مدرسة المقداد السيوري (السليمية) المعتبرة إحدى أقدم مدارس النجف. بناها الشيخ جمال الدين ابي عبد الله المقداد السيوري الأسدي الحلي (من مدينة الحلة العراقية) المتوفي في ١٤٢٥. وقد أعاد بناؤها سليم خان الشيرازي في ١٨٣٤، ونسبت إليه بعد ذلك وسميت بالمدرسة السليمية.

- مدرسة الشيخ عبد الله التي يعود بناؤها إلى القرن السابع عشر، وتنسب إلى الشيخ عبد الله وهو ابن شهاب الدين اليزدي، وكان من كبار العلماء آنذاك.

- المدرسة الغروية التي يعود بناؤها إلى عهد الشاه عباس الصفوي الاول. تهدمت، وأعاد بناؤها هاشم زيني في ١٩٣١، وجعلها دار ضيافة ومنزلاً للزوار.

- مدرسة الصحن الكهري، وكانت جزءاً من صحن الروضة الحيدرية، شيدها الشاه صفي الدين حفيد الشاه عباس الصفوي في ١٦٣٣.

وتنتشر في أرجاء النجف الكثير من المدارس الأخرى العلمية الدينية القديمة والحديثة (المرجع المذكور،

بجالات شتى تكوّن مجموعها أعظم خزانة للوثائق المدونة في العالم القديم لشمولها وتعدد إيجائها، حيث كانت تحوي على ما يربو ٣٠ ألف رقيم طيني نقلت جميعها إلى المتحف البريطاني عندما قام لفيف من الأجانب بأعمال الحفر والاكتشاف في موقع نينوى.

وكانت أعمال التنقيب الأولى في نينوى جرت في ١٨٢٠ في تل قوينجق من قبل الانكليزي كلوديس جيمس الذي عثر على صف من المنحوتات الآشورية البارزة. ثم قام القنصل الفرنسي بوتيا في ١٨٤٢ بالحفر في المنطقة الشمالية من التل. وفي ١٨٤٥، بدأ هنري لايارد الحفر، وعاد إليه ثانية (١٨٦٥) وثالثة (١٨٧٨) ... وفي ١٩٠٣، استمر الحفر والتنقيب بتوجيه وإدارة المتحف البريطاني هذه المرة. وبدأت بعثة بريطانية، ترأسها كامبل طومسون، تنقيباتها العلمية في ١٩٢٧ واستمر عملها حتى ١٩٣٣. وفي ١٩٤١، قامت مديرية الآثار العامة في بغداد بأعمال الحفر فاستظهرت باب نرجال وأجرت أعمال صيانتها. واستأنفت أعمالها في ١٩٥٦. وفي ١٩٦٥-١٩٦٦، أجرت تنقيبات من جديد تركزت على بوابات سور المدينة وعلى صيانتها. وفي ١٩٦٨، قامت جامعة الموصل للمرة الأولى بأعمال التنقيب في جزء من سور نينوى، ثم أعمال الصيانة. وفي يوم ٢١ تشرين الأول ١٩٨٦، وعن طريق الصدفة، ظهرت بداية مقدمة صدر الشور الممنح بارتفاع حوالي ٢٠ سم عن أرضية التل. وواصلت دائرة الآثار العمل لإخراج هذا الجسم الحجري الضخم ومعرفة حقيقته. وبعد أربعة أيام ظهر أنه ثور بمنح من حجر الحلان بطول ٤،٥ م وارتفاع ٢،٨ م وعرض ١،٢ م، ويتألف من قطع مستطيلة ومربعة، وبذلك يختلف عن الثيران المنحّة التي ظهرت في المدن الآشورية الأخرى في العراق والتي تمّ نحتها قطعة واحدة ومن حجر المرمر، وسجلت في بعض أقسامها كتابات مسمارية.

تعتبر أسوار المدينة وقصورها (أهمها قصر سنحاريب وقصر اسرحدون وقصر آشور بانيبال) ومكتبتها، التي سبق ذكرها، أشهر وأبرز معالم نينوى التاريخية. ولا يزال الكثير من معالم هذه المدينة لم يكتشف بعد. والجدير ذكره أن التطور العمراني الذي تشهده الموصل المجاورة، وتشهده نينوى نفسها، في الوقت الحاضر، قد يؤدي إلى امتداد خطر العمران والسكنى والحركة على الأراضي الأثرية. وهذه الملاحظة تنسحب على أكثر المدن الأثرية.

وأخيراً، كان لبلاد آشور، إلى نينوى، ثلاث

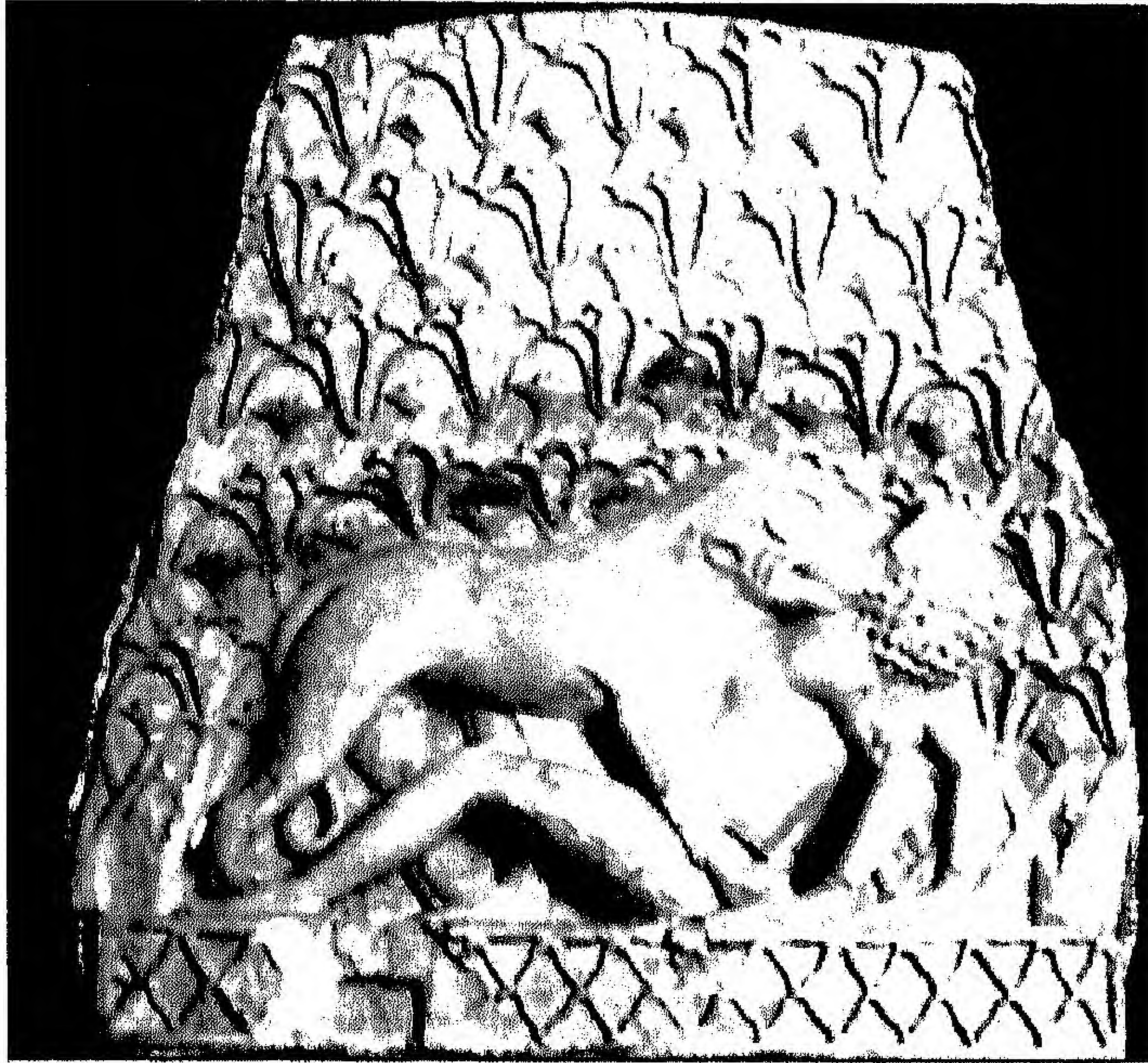
الحكمة والمعرفة والعلوم والفنون، وكبير الآلهة الآشورية. وقصر الملك آشور ناصر بال الثاني، وقصر الملك شلمنصر الثالث، وقصر الملكة سمورامات التي عُرفت عند الاغريق باسم سميراميس.

* نيبور (نوفار أو لفر): مدينة قديمة في المنطقة الواقعة من بلاد ما بين النهرين (جنوبي العراق). كانت المدينة المقدسة الأساسية لسومر (أواخر الألف الرابع-الألف الثالث ق.م.): أطلال معابد أنليل، إينانا، عشتار. من قبور هذه المدينة أخرجت عشرات آلاف الألواح المنقورة عليها كتابات بالخط المسماري: المصدر الأساسي للأدب السومري والبابلي (راجع «سومر» في هذا الباب).

* نينوى: تنتشر آثار هذه المدينة الآشورية القديمة في الضفة الشرقية من نهر دجلة قبالة الموصل. تتوسط مراكز الحضارات القديمة في بلاد الأناضول وأرمينيا والمراكز الحضارية في سواحل البحر الأبيض المتوسط. وكانت نينوى تحتل مكانة بارزة في مضممار الحضارة الإنسانية وتقدمها باعتبارها من أعظم العواصم التي تطورت فيها المعارف والفنون. اتخذها الآشوريون مركزاً للحكم، وكانت منزلتها من حيث الأهمية بعد آشور، العاصمة الدينية لهم. وتؤكد التنقيبات في المدينة أنها كانت مستوطناً لكثير من الأقوام التي يرجع زمنها إلى ما قبل ٦ آلاف سنة ق.م.

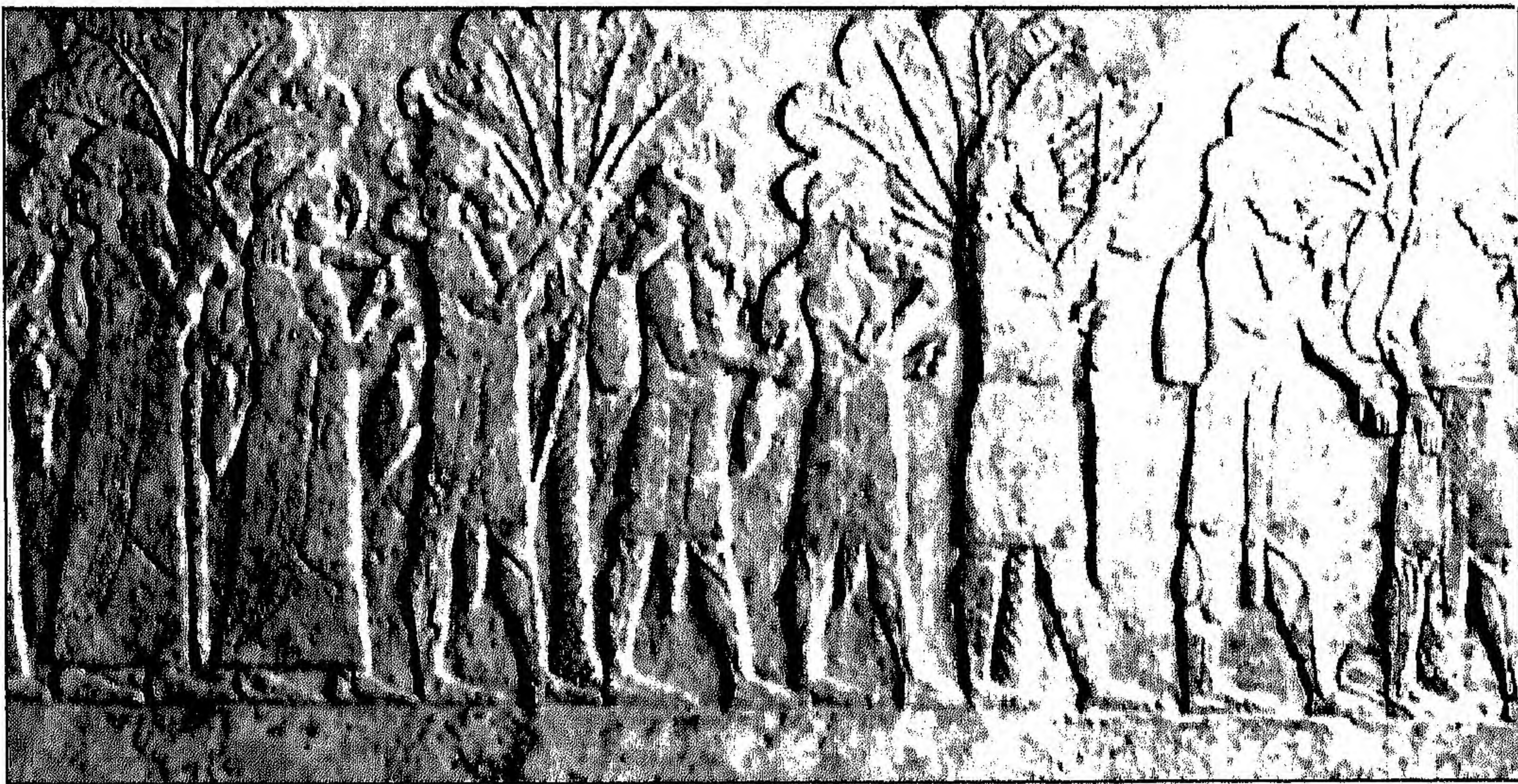
وقد اشتقت هذه المدينة اسمها من إسم مدينة كانت تابعة إلى مملكة كلش في بلاد سومر، فعرفت نينوى باسمها هذا لأن تلك المدينة كانت موضعاً لعبادة الآلهة «نيننا» التي أصبحت تعرف في ما بعد بالآلهة عشتار.

اتخذ الآشوريون نينوى عاصمة لهم بدلاً من مدينة آشور (التي اعتبروها عاصمة دينية لهم)، ولكن سرحدون الثاني تركها واتخذ بدلاً منها «دور شروكين» مركزاً لحكمه. غير أن أحفاده عادوا إليها، كما وعادت لها في عهد سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م.) عظمته وعمارته المتمثلة بأسوارها وقصورها وقلاعها. وكان آشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٤ ق.م.) آخر ملوكها الاقوياء، وشهدت المدينة في ظله أوج قوتها وحضارتها حتى سقوطها في ٦١٢ ق.م. وأهم وأبرز معلم تركه هذا الملك هو «مكتبة آشور بانيبال». فهي من أجمل النفائس التي اكتشفتها الحفريات في المدينة، وهي تمثل مجامع من ألواح الطين التي دونت عليها بالخط المسماري مختلف فنون المعرفة، وهي تبحث في



صليحة عاجية وجدت في نمرود (المتحف البريطاني، لندن).

مسجناء حرب. إحدى اللقى في قصر آشور بانيبال في نينوى (متحف اللوفر، باريس).



جيشاً لفتح هيت. أما المنارة (منارة فاروق، بارتفاع ٣٠م) فيقال إن تاريخها يعود إلى ما قبل الاسلام، إذ كانت فئاراً هادياً لسفن الفرات. وتقع هذه المنارة في قلب القلعة من جهة النهر.

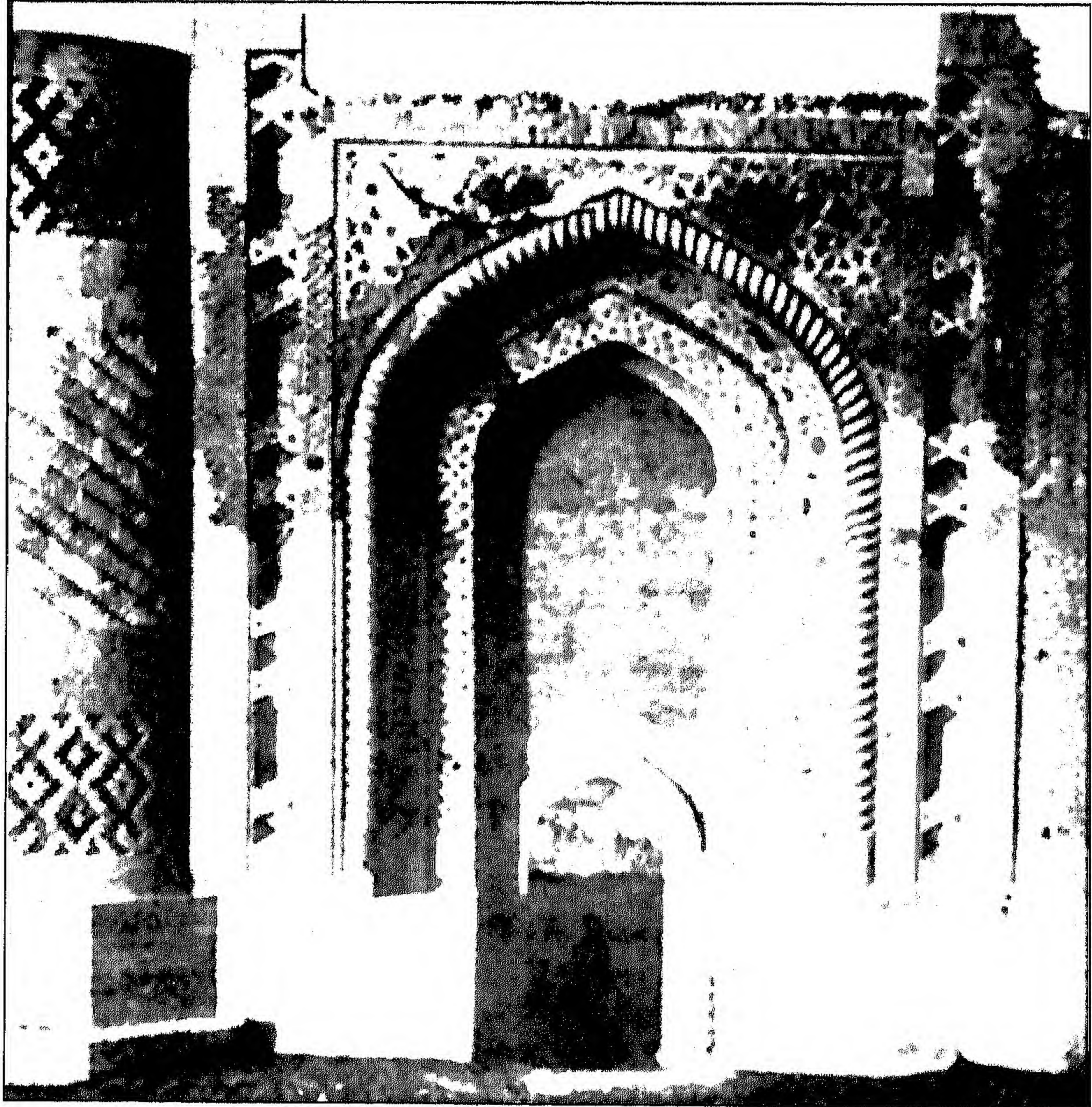
* واسط (أطلال مدينة واسط): ثالث المدن الاسلامية الرئيسية، بعد البصرة والكوفة، التي نشأت على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق في عهد عبد الله بن مروان الأموي (٧٠٣) والذي سماها «واسط» لتوسطها بين الكوفة والبصرة ولتكون مقراً لجيشه وجيوش الخلافة الأموية التي انطلقت نحو الشرق حتى مشارف الصين. تقع على مسافة ٥٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من مدينة الكوت

عواصم أخرى هي: آشور، خورسباد ونمرود (راجع عنها في مواقعها من هذا الباب «مدن ومعالم»).

* هيت: مدينة في العراق. من مدن أعالي الفرات. تبعد عن بغداد ١٧٠ كلم. مركز محافظة الأنبار. بالقرب منها يتابع النفط الشهيرة، وعندها كانت القوافل تقطع الفرات في طريقها إلى حلب.

شهرة بقلعتها التي نشأت لتكون حلقة وصل ومركزاً لاستراحة القوافل التجارية بين وسط العراق وحدوده الغربية، ومن القلعة امتدت الحاضرة التي أصبح إسمها «قلعة هيت». وأبرز معالم المدينة مثذنة «جامع الفاروق» نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب الذي أرسل

واجهة باب قصر الثري في واسط.



جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي بأنه كان هناك قرية قبل واسط خربها الحجاج. الرحالة ابن بطوطة أشاد بمبانيها، وقال إن فيها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ٣٠٠ خلوة (غرفة) ينزلها القادمون للتعلم. ونوه الرحالة حمداً لله المستوفى، الذي عاصر ابن بطوطة، إلى ما حولها من بساتين النخيل والفواكه.

دخلتها جيوش تيمورلنك وعسكرت فيها وحولتها إلى خراب. وكان تغيير دجلة مجراه آخر فصل من فصول حياة هذه المدينة.

* ورقة: راجع «أوروك» و«سومر» في هذا الباب.

الحالية، وتبعد عن بغداد نحو ٢٢٠ كلم إلى الجنوب الشرقي منها. وآخر شواخصها المهمة أعلنت عن اكتشافها إحدى بعثات التنقيب العراقية، وهي دار الامارة وثلاثة جوامع إضافة إلى جامع المدينة الذي سمي بجامع الحجاج الذي ألقى من منبره خطبته المشهورة في أهل الكوفة يحذرهم ويتوعدهم.

تنتشر أنقاض مدينة واسط في أرض مساحتها ٣ كلم م.، وأهم بقاياها الشاخصة إلى الآن المساجد والقصر. وكان التنقيب في واسط بدأ في ١٩٣٦، واستمر في السنوات التالية. ومنذ ١٩٦٥ بدأت الصيانة الفعلية، وتواصل التنقيب والصيانة مع مطلع الثمانينات.

زعماء، رجالة دولة وسياسة

* أحمد حسن البكر (١٩١٤-١٩٨٠):

عسكري (مهيّب) وسياسي ورئيس الجمهورية العراقية (من ١٧ تموز ١٩٦٨ إلى ١٧ تموز ١٩٧٩) ونائب الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي.

ولد في تكريت، وتخرج في دار المعلمين (١٩٣٢)، ودخل الكلية العسكرية العراقية (١٩٣٨). كان عضواً في تنظيم الضباط الأحرار، وشارك في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي أطاحت الملكية. قُدّم سرياً للمحاكمة أمام محكمة المهداوي بتهمة الاعداد لاسقاط الفريق عبد الكريم قاسم، فأحيل على التقاعد وُضع تحت المراقبة. تفرّغ للعمل السياسي السري، وأصبح قبل حركة ٨ شباط ١٩٦٣ عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث، ليصبح على اثر هذه الحركة، رئيساً للوزراء. لكن انقلاب ١٨

أحمد حسن البكر.



تشرين الثاني، الذي قاده المشير عبد السلام عارف، بعده عن رئاسة الحكومة وأسند إليه منصب نائب رئيس الجمهورية، لكنه رفض هذا المنصب. وفي ليلة ٤-٥ ايلول ١٩٦٥، شنت السلطة حملة ضد البعثيين بتهمة الاعداد لقلب نظام الحكم، وأوقفت الآلاف منهم وكان البكر في مقدمتهم. بعد خروجه من السجن، رفض عرضاً للمشاركة في الحكم من قبل عبد الرحمن عارف الذي خلف أخاه في رئاسة الجمهورية. قاد التظاهرات التي شهدتها بغداد في أعقاب حرب ٥ حزيران ١٩٦٧.

أشرف، بصفته أمين سر القيادة القطرية للبعث على التخطيط لـ «ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨»، وقادها بنفسه، وانتخبه مجلس قيادتها رئيساً للجمهورية. فسارع إلى إقصاء عبد الرزاق النايف من رئاسة الوزارة فتولى مهمة تشكيل الوزارة الجديدة والقيادة العامة للقوات المسلحة.

أولى البكر المسألة الكردية اهتماماً كبيراً، وأعلن في ١١ آذار ١٩٧٠ عن توصل مجلس قيادة الثورة إلى حل للمشكلة الكردية يتضمن إعطاء الحكم الذاتي للمنطقة الشمالية (المنطقة الكردية). لكن تنفيذ بيان آذار اصطدم ببعض العقبات الناجمة عن قيام مصطفى البرزاني (وقد نشرت في السنوات الأخيرة، خاصة في ١٩٩٦ و ١٩٩٧، دراسات ووثائق تثبت ان البرزاني كان على صلة بجهاز المخابرات الاسرائيلي) بتقديم مطالب تعجيزية وإعلان التمرد المسلح عام ١٩٧٢. وقد طبق الرئيس البكر العمل العسكري والعمل السياسي ضد التمرد بشكل متناسق فصمد العراق عسكرياً في وجه التمرد والقوى الخارجية التي وقفت إلى جانبه، واستطاعت الدبلوماسية العراقية عقد مصالحة عراقية إيرانية في آذار ١٩٧٥ أدت إلى قطع الامدادات الايرانية الحيوية عن العصاة الأكراد وأحدثت انهياراً مفاجئاً في صفوفهم انتهى إلى استسلامهم وفرار البرزاني إلى إيران.

وعلى صعيد رص الصف الداخلي، أعلن البكر ميثاق عمل وطني لتحقيق ائتلاف القوى والعناصر الوطنية والقومية والتقدمية في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧١، وأدى ذلك إلى تشكيل جبهة وطنية في ٢٢ تموز ١٩٧٣ ضمت حزب البعث والحزب الشيوعي العراقي والفئات الديمقراطية الكردية والقوميين المستقلين. وفي أول حزيران ١٩٧٢، أعلن البكر تأميم النفط بعد مفاوضات مع شركات النفط. وقد نتج عن ذلك، وعن بحمل السياسة الاقتصادية، قفزات كبيرة في مستوى الدخل الفردي.

على الصعيد العربي، زاو الرئيس البكر ليبيا

والجزائر (حزيران ١٩٧٠)، وحضر اجتماعات رؤساء دول المواجهة في طرابلس وأجرى محادثات سياسية مع الرئيس الجزائري. وعندما اندلعت حرب تشرين ١٩٧٣، تصدر البكر جهود العراق لارسال قوات رئيسية من الجيش العراقي للمشاركة في القتال بأقصى سرعة وفي ظل ظروف عسكرية صعبة، وعلى الرغم من معارضة العراق للخط السياسي للدول العربية المعنية ومعارضته للتسويات المطروحة بموجب قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر عام ١٩٦٧، أعلن في خطاب رئيسي ألقاه في ١٧ تموز ١٩٧٥ استعداد العراق لارسال كل الجيش إلى جبهة القتال مع اسرائيل ودعا إلى التوجه نحو المعركة كشرط لقيام الجبهة الشمالية الشرقية.

على اثر اتفاقيات كامب دافيد بادر حزب البعث في العراق إلى الدعوة لمؤتمر قمة عربي وإلى تقارب سوري عراقي وحلوي بهدف الحفاظ على تماسك الصف العربي ومعارضة التسويات الاستسلامية، وقد ترأس البكر مؤتمر قمة بغداد (تشرين الثاني ١٩٧٨) وساهم بشكل بارز في إيجاحه كما عرف عنه حماسه للوحدة مع سورية، ووقع ميثاق العمل القومي الوحدوي (٢٦ تشرين الاول ١٩٧٨).

أما على الصعيد الخارجي، فقد ساند العراق في عهد الرئيس البكر، حركات التحرر في العالم الثالث، وانفتح على شعوب افريقيا وآسيا، وعقد معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفياتي (نيسان ١٩٧٢)، وصمد في وجه اعتداءات إيران مدة طويلة مما ساهم في اقناع إيران بالعدول عن سياستها هذه والتوصل إلى اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥، كما زار بلغاريا وبولندا في حزيران ١٩٧٣ (عن «موسوعة السياسة» المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ١، ط ١، ١٩٧٩، ص ٩٢-٩٣).

كتابات صحافية كثيرة ظهرت في السنوات الأخيرة، بعضها يقول إنه يستند إلى مصادر سياسية وحزبية عراقية، وبعضها الآخر يقول إنه يستند إلى وثائق، خاصة إلى الوثائق البريطانية، تتحدث عن إنشقاق حزب البعث في العراق إلى جناح اليسار وجناح اليمين، وعن أن أحمد حسن البكر كان يمثل اليمين.

* باسل رؤوف الكبيسي (١٩٣٤-١٩٧٣):

سياسي وناشط قومي عربي من العراق. ولد في بغداد. درس في الجامعة الأميركية في بيروت وكان من أوائل المتشيعين، وهو على مقاعدتها، لحركة القوميين العرب.

حصل على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية وعين في وزارة الخارجية العراقية. بعدها، التحق بالجهة الشعبية لتحرير فلسطين عند تأسيسها في العام ١٩٦٧، ثم كتب أطروحة الدكتوراه عن حركة القوميين العرب. نشط في أوروبا في مجال تأييد المقاومة الفلسطينية. اغتالته المخابرات الاسرائيلية في نيسان ١٩٧٣.

* **برزان ابراهيم التكريتي (١٩٥٢-):** رجل أمن وسياسي ودبلوماسي عراقي. الأخ غير الشقيق للرئيس العراقي الحالي صدام حسين. بدأ حياته الحزبية والسياسية باكراً، إذ أشركه أخوه صدام معه في بعض العمليات الأمنية بعد أيام من حركة ١٧ تموز ١٩٦٨ البعثية، خاصة في اعتقال رئيس الوزراء عبد الرزاق النايف. وبعد سنوات قليلة، تسلم برزان مديرية المخابرات العامة حتى واسط الثمانينات، حيث انتقل إلى القصر الجمهوري مستشاراً للرئيس، وبعدها أصبح مندوباً دائماً في جنيف وممثلاً للعراق في لجنة حقوق الانسان. وفي جنيف، تكلمت الصحافة عن دور له في ترتيب مفاوضات بين الاكراد وبين أخيه الرئيس صدام (نيسان ١٩٩١)، وعن اتصالات أجراها الاميركيون معه خلال ١٩٩٣-١٩٩٤، وبعدهم الفرنسيون ثم الايرانيون.

عرفت عنه قسوته البالغة وهو يشغل منصب مدير المخابرات، ونهجه الداعم سياسة أخيه الرئيس إلى آخر حدود الدعم.

* **بكر صدقي (١٨٨٥-١٩٣٧):** عسكري وسياسي عراقي. تعلّم في بغداد والتحق بمدرسة أركان الحرب في اسطنبول وشارك مع الجيش العثماني في الحرب العالمية الاولى، والتحق بالجيش العربي في سورية بعد الحرب، ثم بالجيش العراقي برتبة رئيس في ١٩٢١. تابع دراسته العسكرية في المعاهد العسكرية البريطانية في الهند وانكلترا، وتوصل إلى رتبة فريق. تولى إخماد أكثر من عصيان مسلح في العراق فلمع اسمه وصادقه الملك غازي الذي كان قد أخذ يتململ من «وصاية» ياسين الهاشمي عليه، وهذا ما شجع بكر صدقي على الاقدام على أول انقلاب عسكري عربي في التاريخ المعاصر، وكان ذلك في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ عندما ألقت طائرات حربية عراقية بمشورات تطالب، باسم الجيش وتوقيع بكر صدقي قائد القوة الوطنية الاصلاحية، بإقالة الحكومة وتعيين حكمت سليمان رئيساً لها مهددة بالزحف على بغداد إذا

لم ينفذ المطلب. وعندما حاول جعفر العسكري إقناع بكر صدقي بالعدول عن حركته قتله بعض الجنود، فاستقال ياسين الهاشمي وغادر البلاد وآلت مقاليد إلى بكر صدقي الذي بادر إلى حل مجلس النواب وتشكيل مجلس موال له. ووقعت في عهده أكثر من حركة عصيان قمعها بكر بشدة مما حمل بعض الوزراء على الاستقالة. قبل دعوة من تركيا لزيارتها وكذلك دعوة من المانيا، ولكن أحد الجنود الاكراد من الموصل (عبدالله ابراهيم) اغتاله في ١١ آب ١٩٣٧.

يقول عبد الرزاق حسني في كتابه «تاريخ الوزارات العراقية» إن الفريق بكر صدقي كان «رجلاً طموحاً مؤمناً بقوته الشخصية وبقدرته العسكرية. نظر إلى الجارتين تركيا وايران فوجد في الأولى ضابطاً لم يكن أرفع درجة منه خلق من تركيا المتفسخة دولة لها عزها وبأسها. ورأى في الثانية رجلاً لم يكن من أصحاب الماضي المعروف وقد خلق مملكة من العدم إلى الوجود (...) فحدثه طموحه ان يحذو حذو كمال أتاتورك ورضاً بهلوي، فأقدم على حركة لم يفكر بعواقبها، ولم ينظر إلى اختلاف العراق عن جارتيه، تركيا وايران، اختلافاً كبيراً».

* **جعفر أبو التمن (١٨٨١-١٩٤٥):** سياسي عراقي. ولد في بغداد. سعى مع نخبة من الشباب إلى تأسيس مدرسة لتعليم الأميين القراءة والكتابة والحساب، وتعليم المتعلمين اللغات الاجنبية. وكان إسم المدرسة «مكتب الترقى الجعفري العثماني»، وأطلق عليها إسم «المدرسة الجعفرية».

عند سقوط بغداد في أيدي الانكليز (آذار ١٩١٧)، اشترك في عضوية المجالس التي أسستها السلطات الانكليزية، ثم استقال منها عندما تبين له أن غرضها الأساسي صرف الشعب عن هدفه في الاستقلال. قام بدور مهم في «جمعية حرس الاستقلال»، وهي منظمة سرية أسسها الوطنيون في شباط ١٩١٧ للمطالبة باستقلال العراق، وكان حلقة الوصل بين الحركة الوطنية في بغداد والفرات الاوسط حيث نشبت الثورة في ١٩٢٠. فسارع إلى الانضمام إليها والمساهمة في قيادتها حتى انتهائها. حاولت السلطات البريطانية القبض عليه مع زعماء الثورة، فهرب إلى الحجاز وحلّ ضيفاً على الشريف حسين بن علي.

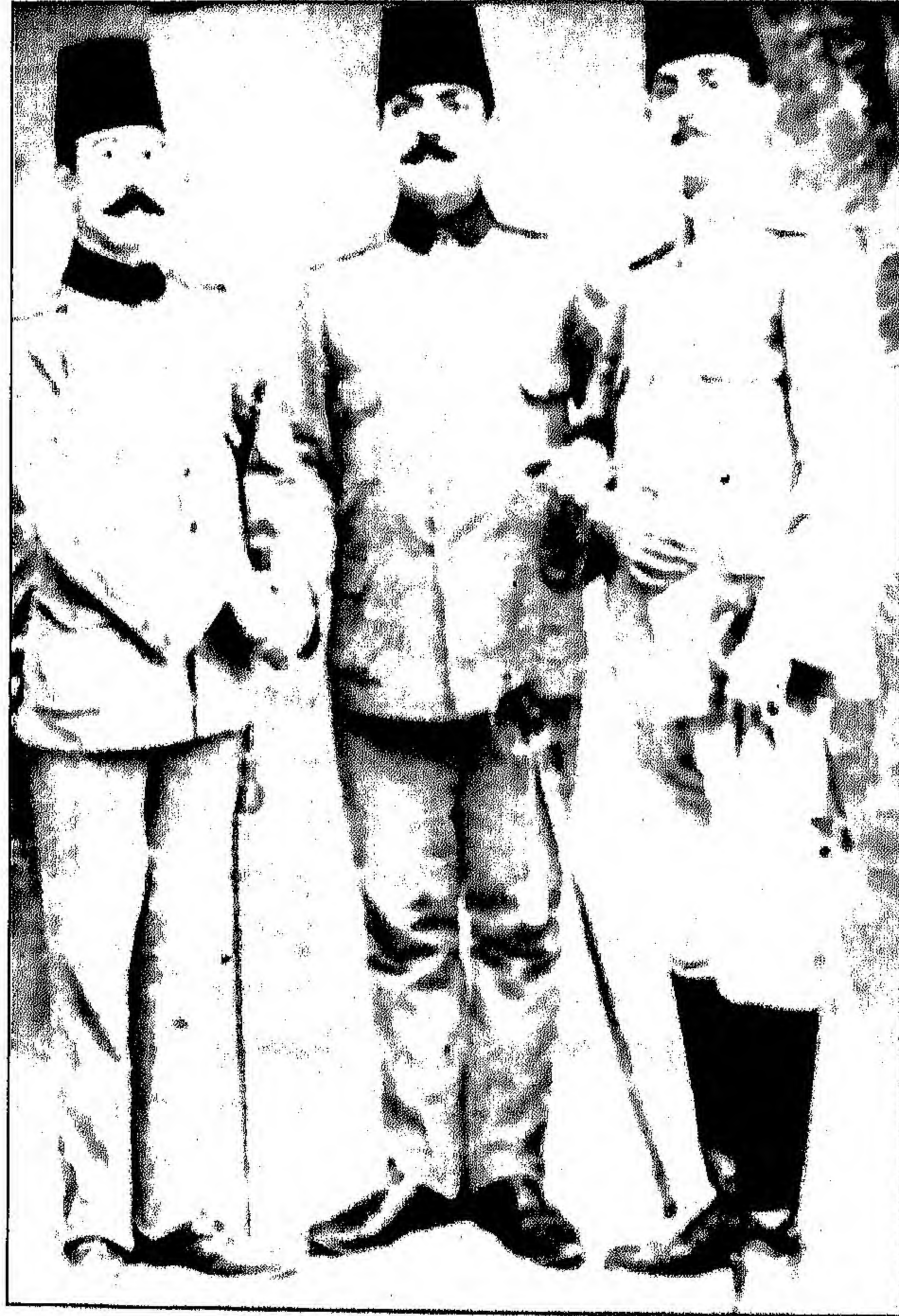
جهد أبو التمن في تأسيس أول حزب سياسي في العراق، وهو الحزب الوطني العراقي، وعارض المعاهدة

سقوط وزارات جميل المدفعي الثالث، ووزارة علي جودت الأيوبي. ثم اشترك بشكل فعال في انقلاب ١٩٣٦ الذي أدى إلى إسقاط وزارة حكمت سليمان التي تقلد فيها أبو التمن وزارة المالية. ولكن بروز الخلافات بين الجناح العسكري المتمثل في جماعة بكر صدقي والجناح المدني المتمثل في جماعة الأهالي، دفعت جعفر إلى الاستقالة من الوزارة واعتزال العمل السياسي والانصراف إلى النشاطات التجارية في بعض المشاريع الصناعية، فكان رئيساً لغرفة تجارة بغداد ثم عضواً فيها حتى وفاته («موسوعة السياسة»، ج ٢، ص ٦٧).

* جعفر العسكري (١٨٨٥-١٩٣٦): عسكري وسياسي عراقي. ولد في بغداد، وتلقى تعليمه في بغداد والموصل. تخرج في المدرسة الحربية في اسطنبول (١٩٠٤)، وعين في الجيش التركي، واختير عضواً في بعثة عسكرية إلى ألمانيا (١٩١٠-١٩١٢)، وعين بعد ذلك مدرساً في مدرسة الضباط في حلب. اشترك في حرب البلقان ثم أوفد

العراقية-البريطانية المعقودة في ١٩٢٢. أعطي وزارة التجارة في حكومة النقيب الثانية لكسب تأييده للمعاهدة ولسياسة الملك فيصل إزاء الانكليز من جهة والحركة الوطنية من جهة ثانية، لكنه استقال منها. ألقي القبض عليه وعلى مجموعة من رفاقه في الحزب الوطني العراقي، ونفوا جميعاً إلى جزيرة هنجام القاحلة في الخليج. ولما عاد، بعد عشرة أشهر، عارض انتخابات المجلس التأسيسي لعلمه بأنها لن تكون حرة. عارض وزارة نوري السعيد الأولى والمعاهدة العراقية-البريطانية لعام ١٩٣٠ فجره هذا الموقف إلى التنسيق مع حزب الإنقاذ الوطني بزعامة ياسين الهاشمي. إلا أن هذا التحالف لم يلبث أن انفرط عقده في ١٩٣٣، عندما ألف أحد أقطاب حزب الإنقاذ، رشيد عالي الكيلاني، وزارته الأولى، متعهداً بالحفاظ على المعاهدة العراقية-البريطانية. وفي نيسان ١٩٣٤، اختفى حزب الاتحاد الوطني العراقي عن المسرح السياسي لخلافات قاداته. فانضم جعفر أبو التمن إلى جماعة الأهالي وأصبح قائلاً لها، وساهم بشكل فعال في الاجتماعات العشائرية التي أدت إلى

جعفر العسكري بوسط علي جودت الأيوبي
(يسار الصورة) ونوري السعيد.



* حكمت سليمان (١٨٨٩-١٩٦٤): سياسي

عراقي. ولد في بغداد. درس الحقوق في اسطنبول، لكنه ما لبث ان انصرف إلى الهندية، فدخل مدرسة المشاة وتخرج ضابطاً احتياطياً في ١٩١١. بعد ذلك، عين قائماً لمركز بغداد ثم مديراً لمدرسة الحقوق ومديراً لمعارف بغداد، قبل ان يُستدعى للخدمة كضابط احتياطي في الجيش التركي ويرسل إلى ألمانيا التي بقي فيها إلى ما بعد الهدنة. وهناك تكررت عنده ملامح إعجابه الفائق بالألمان. في ١٩٢٠، عاد إلى بغداد، وبدأ يشغل مناصب عدة في الدولة وصولاً إلى تعيينه وزيراً للمعارف ثم وزيراً للداخلية (١٩٢٥)، وتقلب، حتى ١٩٣٠، في مناصب منها رئاسة مجلس النواب ووزارة العدلية والنيابة. وفي ١٩٣٠، أسس مع ياسين الهاشمي حزب الإنشاء الوطني، وشارك كوزير للداخلية في أول حكومتين شكلهما رشيد عالي الكيلاني الذي كان يشاطره ميوله الألمانية التي ستقوده عند بدايات سنوات الأربعين إلى محاولته الانقلابية الشهيرة (ثورة ١٩٤١) ضد الإنكليز.

في ١٩٣٣، ترك حكمت سليمان الحكم، ثم اصدر في ١٩٣٥ عدداً واحداً وبيماً من جريدة «البيان» وتحول إلى المعارضة الحادة ضد ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني، وهذا ما جعل الفريق بكر صدقي يكلفه، إثر انقلابه الشهير، بتشكيل حكومة تخلف حكومة الهاشمي، وشكل تلك الحكومة في اواخر ١٩٣٧. وتغلى حكمت سليمان عن الحكم بعد اغتيال بكر صدقي في الموصل، لكنه استمر يتعاطى السياسة التي كان دائماً لاعباً أساسياً فيها ويتقلب بين اتهاماتها إلى درجة انه في الوقت الذي كان يتهم فيه بـ«الشيوعية» بسبب تعاونه مع جماعة «الأهالي» ومع جعفر أبو الثمن، كان يخطط لأن يتعاون بعد التخلص من الجماعة، مع كل من نوري السعيد وجعفر العسكري المعولن على دهمومة العلاقة مع بريطانيا. ويقول محمود شبيب في كتابه «صفحات مطوية من تاريخ العراق» إن حكمت سليمان قد تنكر بعد وصوله إلى الحكم حتى للبرامج الإصلاحية التي طرحها في جريدة «البيان»، مما يعني في نظر شبيب ان علاقة سليمان مع الأهالي وجعفر أبو الثمن إنما كانت وسيلته للوصول إلى السلطة لا أكثر. وفي آذار ١٩٣٩، اتهم حكمت سليمان مع آخرين بالتآمر على الحكم وحكم عليه بالاعدام ثم خفف الحكم إلى السجن خمس سنوات أمضى اثنتين منها في السليمانية ثم أفرج عنه في ربيع ١٩٤١ وسافر إلى إيران ليعود منها منصراً إلى شؤون الخاصة وإلى الكتابة وترجمة مؤلفات والده التاريخية حتى رحيله.

إلى بنغازي (١٩١٥) لحمل السنوسيين على مهاجمة حدود مصر الغربية لمشاغلة الجيش البريطاني، ووقع أسيراً في يد الإنكليز في مرسى مطروح (١٩١٦). وبعد قيام الحركة العربية ضد الأتراك في الحجاز أفرج عنه، والتحق بالملك فيصل في العقبة، فعين قائداً للقوات النظامية في الجيش الشمالي. وبعد الحرب تولى منصب الحاكم العسكري على عمان ثم ولاية حلب (١٩١٩) ومنصب كبير أمناء الملك فيصل الأول عندما بويع ملكاً على سورية. خرج مع فيصل بعد دخول الفرنسيين دمشق، وعاد إلى بغداد وتولى وزارة الدفاع في وزارة النقيب الأولى التي شكلت إثر مبايعة فيصل الأول في العراق عام ١٩٢١. تولى رئاسة الوزارة في ١٩٢٤، وفي أيامه وضع الدستور العراقي وعقدت المعاهدة البريطانية-العراقية الأولى. عين ممثلاً سياسياً للعراق في لندن (١٩٢٥)، فميساً للوزارة مرة ثانية في ١٩٢٦. وفي ١٩٣٠، عين وزيراً للخارجية والدفاع. وأصبح رئيساً لمجلس النواب، وفي ١٩٣٤، عين عضواً في مجلس الاعيان ووزيراً للدفاع (١٩٣٥). وعندما قام بكر صدقي بانقلابه، حاول العسكري إقناعه بالعدول عنه، فقتله بعض أنصار الانقلاب («موسوعة السياسة»، ج ٢، ص ٦٨).

* جميل المدفعي (١٨٩٠-١٩٥٨): عسكري

وسياسي عراقي. درس الهندسة في اسطنبول. التحق بالجيش العثماني، وانضم إلى جمعية العهد العربية العسكرية السرية، والتحق بالجيش الشريف (الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين). عندما وصل الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق (١٩١٨)، عمل المدفعي مستشاراً عسكرياً له. وعلى أثر معركة ميسلون، وسقوط الحكم العربي في سورية (١٩٢٠)، عاد إلى العراق، وشارك في الثورات الوطنية ضد الحكم البريطاني. لجأ إلى شرقي الأردن، وعاد ثانية إلى العراق في ١٩٢٣ بعد ان والى الإنكليز. فعين حاكماً إدارياً وأصبح في عداد الذين تولوا المناصب العليا إبان الحكم الهاشمي. أصبح وزيراً للداخلية ١٩٣٠-١٩٣٣، ثم رئيساً للوزراء ١٩٣٣-١٩٣٥ و١٩٣٧-١٩٣٨، ١٩٤١، و١٩٥٣. اضطر إلى الفرار للأردن مع الوصي على العرش عبد الإله ونوري السعيد بعد نشوب ثورة ١٩٤١، ثم عاد معهما. عين رئيساً لمجلس الاعيان في ١٩٤٤-١٩٤٥، وفي ١٩٤٨ وزيراً للداخلية، ثم رئيساً لمجلس الاعيان مرة ثانية ١٩٥٥-١٩٥٨ إلى ان لاقى حتفه في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.



رشيد عالي الكيلاني.

بعد اعلان الحرب العالمية الثانية، رأى الوصي على العرش عبد الإله ان يساير الرأي العام العراقي الذي استنكر الغموض والدسائس البريطانية المحيطة بمقتل الملك غازي، والذي كان يرى في نوري السعيد صنعة للانكليز، فطلب إلى رشيد عالي الكيلاني، رئيس الديوان العالي، ان يرأس حكومة اقطاب تضم كبار السياسيين العراقيين. وتم تأليف الوزارة في آذار ١٩٤٠، إلا انها سرعان ما اصطدمت بالانكليز نتيجة محاولة هؤلاء فرض الارادة البريطانية على الشعب العراقي. فقد طلب الانكليز من رشيد عالي قطع العلاقات مع إيطاليا أسوة بسلفه نوري السعيد الذي قطع العلاقات مع ألمانيا، إلا ان رشيد عالي رفض طلبهم على اعتبار ان المعاهدة العراقية-البريطانية لا تختم ذلك، وانه يتوجب تزويد العراق بالسلاح أو بالمال اللازم لشراء السلاح وإصدار بيان مشترك مع فرنسا يعلن التعاطف مع أماني العرب القومية في سورية وفلسطين. إلا ان بريطانيا رفضت طلبات العراق وعمدت فوراً بالتعاون مع الوصي عبد الإله على إسقاط وزارة الكيلاني عن طريق دعوة الوزراء إلى الانسحاب من الحكومة، فيضطر رئيس الوزراء إلى الاستقالة بدوره. وبالفعل، اقدم الوزراء، وفي طليعتهم نوري السعيد وزير الخارجية، على الاستقالة. وكاد رشيد عالي ان يضطر إلى تقديم استقالته لولا تدخل التنظيم القومي العربي في الجيش العراقي بقيادة العقلاء الاربعة (صلاح الدين صباغ، محمود سلمان، كامل شبيب وفهمي سعيد) وإبلاغهم إياه بأن الجيش يؤيده، وان عليه ان يختار وزراء جدد بدلاً من المستقلين. وقد فعل الكيلاني ذلك

على الرغم من ان حكمت سليمان كان من أصل تركي، ويكاد يتقن التركية أكثر من اتقانه العربية، وعلى رغم اعجابه الشديد بتجربة مصطفى كمال في تركيا واعلانه انه لن يكون شأن للعراقيين إن هم لم يتبعوا مثال العلماني التركي الأكبر، فإن غرورود بل البريطانية التي كان لها شأن كبير في مرحلة من مراحل السياسة العراقية تقول في رسالة كتبها اوائل ١٩٢١ إن حكمت سليمان كان أكبر المعارضين حين طرحت فكرة استقدام أمير عثماني لرأس دولة العراق التي كانت تتكون في ذلك الحين تحت إشراف بريطانيا. عارض سليمان الفكرة وقال إن الاتراك لا يستطيعون حكم أنفسهم فكيف تريدون أحدهم أن يحكمنا؟.

وينقل مير بصري عن كامل الجادر جي تحليله لشخصية حكمت سليمان على النحو التالي: «إنه نشأ في بيئتين مختلفتين فأبوه كولندي تركي الثقافة ثائر بطبيعته ناظم على استبداد السلطان عبد الحميد وقد توفي وحكمت صغير السن. لكنه نشأ في أسرة تتكلم اللغة التركية وتتخلق بالاخلاق التركية، ثم كبر في ظل أخيه محمود شوكت باشا بطل الحرية. ومن ناحية ثانية كثر اختلاط حكمت منذ عهد طفولته بزراع أراضيه وبساتينه من الفلاحين العرب حتى صار يتكلم العربية بلهجة ريفية (...) وأشار الجادر جي -ودائماً حسب رواية مير بصري- إلى اعجاب حكمت سليمان بالجندي الألمانية والدبلوماسية الانكليزية فصار يقلد الألمان ويغشى الانكليز» (عن ابراهيم العريس عن مير بصري «الحياة»، العدد ١٢٨٧٧، تاريخ ٦ حزيران ١٩٩٨، ص ١٨).

* حميد مجيد موسى: راجع «الحزب الشيوعي العراقي» في باب الاحزاب.

* رشيد عالي الكيلاني (١٨٩٣-١٩٦٥): سياسي عراقي. ولد في عائلة بغدادية ذات مكانة مرموقة. درس الحقوق ودرس القانون. عين عضواً في محكمة التمييز، فوزيراً للعمل (١٩٢٤)، ولكنه سرعان ما استقال احتجاجاً على اتفاقية البترول المبرمة مع بريطانيا على أساس انها بخسفة بحق العراق. في ١٩٣٣، تولى رئاسة الوزارة، فعمد الانكليز إلى إثارة الفتنة الطائفية في شمالي البلاد كان الأشوريون ضحيتها، وقمعها الكيلاني بعنف. وزير الداخلية في حكومة ياسين الهاشمي (١٩٣٥)، ثم رئيس الديوان الملكي في عهد الملك غازي.

وأعدّ مرسومًا يحل مجلس النواب أيضًا. إلا أن الوصي عبد الإله لم يوقع على المراسيم، بل لجأ إلى الديوانية، فما كان من الكيلاني إلا أن قدم استقالته، فقام الوصي بتعيين طه الهاشمي رئيسًا للوزراء ليحل محل إقصاء العقلاء الأربعة عن مناصبهم. وعندما حاول الهاشمي أن يفعل ذلك، تضامن الضباط مع زملائهم وحاصروا منزله وأجبروه على الاستقالة، وأحاطت قوات الجيش بالقصر، إلا أن الوصي استطاع الفرار بسيارة المفوض الأميركي إلى القاعدة البريطانية في الحبيانية، ثم إلى البصرة بطائرة تابعة لسلاح الجو البريطاني وحاول التحريض ضد الحكومة الوطنية في بغداد، ولم يتجاوب معه سوى صالح جبر، متصرف البصرة. فأصدر قادة الجيش أمرًا لحامية البصرة بالقبض عليه، ففر الوصي إلى القلنس. وقد سيطر الجيش على المرافق العامة في البلاد. ولدى اجتماع المجلس النيابي في ١٠ نيسان ١٩٤١، أعلن تنصيب الشريف شرف وصيًا على عرش العراق بدلًا من عبد الإله. وألفت بعد يومين حكومة «الدفاع الوطني» برئاسة رشيد عالي الكيلاني (وكانت حكومته الرابعة) وعضوية ناجي شوكت، ناجي السويدي، علي محمود الشيخ علي، محمد علي محمود، رؤوف البحراني، يونس السبعائي، د. محمد حسن سلمان وموسى الشابندر.

كانت هذه التطورات موضع معارضة بريطانية. فأخذت تماطل في الاعتراف بالانقلاب وتعد العدة للقضاء عسكريًا على الحكم الوطني الجديد، وذلك بواسطة الفيلق العربي بقيادة غلوب في الأردن وقواعدها العسكرية في العراق وقوات انزال في البصرة. ثم بدأت تلك القوات بالتحرك شمالاً في الوقت الذي راحت فيه أجهزة دعايتهم في طول أوروبا وعرضها تقدم حركة رشيد عالي الكيلاني على أنها حركة مرتبطة بالمنايا النازية، على رغم أن الكيلاني نفسه صرّح غير مرة بأنه سوف يحرق بنود المعاهدة الموقعة مع بريطانيا في ١٩٣٠.

وفي ٢ أيار ١٩٤١، أعلنت بريطانيا الحرب على العراق، وفتحت النار من قاعدة الحبيانية وأنزلت قوات كبيرة في البصرة وتحركت القوات في الأردن نحو الرطبة والرمادي في بغداد. وأبدى الشعب العراقي حماسًا كبيرًا في الدفاع عن الحكم الوطني، وساندته فلسطينيون كانوا قد تجمعوا في بغداد بعد الثورة الفلسطينية الكبرى، كما تشكلت لجان شعبية في سورية للدفاع عن ثورة العراق. وكانت القاعدة العسكرية البريطانية في الحبيانية على مسافة أقل من ساعتين بالسيارة عن بغداد، في حين لم يكن الجيش

العراقي يملك سوى بضعة أسلحة عتيقة. استمرت الحرب حتى ٢٩ أيار (١٩٤١)، حيث انتهت بانتصار الانكليز، وبتوقيع هدنة في ٣٠ أيار (١٩٤١). وعادت الأمور واستتبث للانكليز وللوصي عبد الإله ولنوري السعيد، وتشكلت حكومة موالية لهم وأعلنت، في ٢ حزيران (١٩٤١) الأحكام العرفية وحاكمت القادة الوطنيين وأصدرت عليهم أحكامًا غيابية بالاعدام. وقد تمكنت السلطات البريطانية من استلام الفارين من إيران، فابعدهم أول الأمر إلى روديسيا، ثم جاءت ببعض منهم إلى بغداد، ونفذت حكم الاعدام شنقًا بحق فهمي سعيد ومحمود سليمان ويونس السبعائي في ٥ أيار ١٩٤٢، وكامل شبيب في آب ١٩٤٤. وعلى أثر تسلم العقيد صلاح الدين الصباغ من تركيا قامت السلطات باعدامه يوم ١٦ تشرين الأول ١٩٤٥ (حول موقف الشيوعيين من هذه الثورة، راجع «الحزب الشيوعي العراقي» في باب الأحزاب).

أما رشيد عالي الكيلاني فغادر إلى إيران، ثم إلى ألمانيا فإلى السعودية فمصر. ولم يعد إلى العراق إلا بعد انقلاب ١٩٥٨ الذي أعاد له اعتباره. ثم حاول الكيلاني الانقلاب عليه وفشل. بعده، قصد لبنان، وتوفي في بيروت في صيف ١٩٦٥.

* زكي خيري (١٩١١-١٩٩٥): سياسي وشيوعي عراقي. ولد لأب عربي سني وأم كردية شيعية. بدأ حياته السياسية، وكان لا يزال مراهقًا، عندما شارك في أول مظاهرة ضد الصهيونية في بغداد عام ١٩٢٨، واعتقل وتعرض للضرب بسببها. وفي معتقله تعرّف على فتيان في عمره ساهم معهم، بعد سنوات قليلة، في تأسيس الحزب الشيوعي العراقي، وأصبح وهو في الرابعة والعشرين عضوًا في أول لجنة مركزية للحزب، وأسس خلال ذلك أول التنظيمات الشيوعية السرية داخل الجيش العراقي. وعند اعتقال أعضاء اللجنة المركزية الأولى، وانفراطها، وقعت مسؤولية قيادة الحزب عليه وهو في السادسة والعشرين. أعقب ذلك نحو ٦٠ سنة من حياة اختفاء ونفي وسجن، ساهم خلالها في محاولات هرب مشهورة عبر أنفاق تحت الأرض، وتعرض لخطر الموت في مذابح السجون السياسية في العهد الملكي، ونزعت عنه الجنسية العراقية مرتين، في العهدين الملكي والجمهوري (عن محمد عارف، كاتب عراقي، «الحياة»، العدد ١١٨١٣، تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٩٥، ص ١١، نقلًا عن د. حنا بطاطو، استاذ التاريخ في

الحزب ويدعوه إلى وقف حرب الانصار ضد الجيش العراقي وتحويل البندقية باتجاه الغازي الايراني، مقتدياً بموقف ممثال اتخذه الزعيم الصيني ماو تسي تونغ في ١٩٣٧ حين انتقل إلى جانب الحكومة الصينية بعد حرب أهلية ضدها دامت عشر سنوات. و«تلك لم تكن المرة الأولى التي اقتدى فيها خيري بموقف «الرفاق الصينيين» الذين ألف عنهم واحداً من أوائل الكتب المنشورة بالعربية عن الثورة الصينية في الأربعينات، ويعتبر تعاطفه مع الصينيين في بداية الخلاف السوفياتي-الصيني في الستينات من المآزق الصعبة التي واجهها هو وحزبه مع القيادة السوفياتية» (المرجع المذكور).

وفي سنواته الأخيرة، استمر يعارض خطاً مهماً في الحزب الشيوعي العراقي يرى «في الجيش أداة قمع بيد النظام للدفاع عن نفسه». فمما كتبه خيري ونشره عن دور الجيش العراقي في قمع الاضطرابات التي أعقبت حرب الخليج في ١٩٩١، ان موقف الجيش لم يكن «لمجرد الدفاع عن النظام الراهن ورأسه بل خوفاً من تمزق الوطن أيضاً وخشية ان تمزق الدولة العراقية إلى دويلات طائفية وان يتمزق الوطن ويضيع الاستقلال والسيادة الوطنية ويتمزق الجيش موئل حياتها». واستعان خيري بواقعة من تاريخ الحرب العالمية الثانية في تعليقه على ما يُقال من ان افراد الجيش العراقي قاتلوا ليس دفاعاً عن بلدهم بل خوفاً من فصائل الرمي التي تتزعمهم من ورالهم. ذكر في هذا الصدد جواب ستالين على سؤال مراسل غربي عما إذا كان جنوده صمدوا خلال قتال الالمان في الحرب العالمية الثانية خوفاً من قوة الأمن السوفياتي التي كانت تدعى «أوغبور»: «كان رد ستالين المختضب: ولكن الجيش الالمانى أقوى من الأوغبور» (المرجع المذكور).

وربما ذروة ما يرسم شخصية زكي خيري السياسية والوطنية والعقائدية الفقرتان التاليتان اللتان أنهى بهما محمد كامل عارف مقالته (المرجع المذكور):

بدا زكي خيري، بعد الثمانين، أقرب إلى مارا، الزعيم الراديكالي في الثورة الفرنسية الذي قال حنا بطاطو أن خيري كان يعتبره مثله الأعلى أيام الشباب المبكر. يظهر طابع مارا اللاذع في انتقاد خيري لانضمام حزبه إلى «المؤتمر الوطني العراقي». فهو يتساءل كيف يدخل حزب شيوعي في تنظيم «صنعتة ومولده الولايات المتحدة»... ويقوده رأسمالي من عائلة كروميرادورية وإقطاعية. ويلاحظ ان هذه لا تعكس التضحية بالجانب الديمقراطي من أجل الجانب الوطني كما في التحالفات السابقة بل التضحية

الجامعة الأميركية في بيروت، في كتابه «الطبقات الاجتماعية القديمة والحركة الثورية في العراق» (The Old Social Classes and The Revolutionary Movement of Iraq).

يقول محمد عارف في المرجع المذكور أعلاه: «على رغم الطابع الأكاديمي لكتاب حنا بطاطو فإنه لا يخفي تعاطفه مع خيري الذي التقاه في رحلته الأولى إلى العراق لجمع مواد كتابه: «جلس إلى جانبي وهو مقيد الرسغين والكاحلين بالاغلال في غرفة الحرس في سجن بعقوبة في يوم من أيام شهر حزيران ١٩٥٨». وحرص بطاطو الذي وضعت تحت تصرفه وثائق الأمن العام العراقي على عرض تقويمات خيري لامتناع الحزب الشيوعي عن استلام السلطة في العراق عام ١٩٥٩. ويعتبر عدم اقدام الشيوعيين على تسليم السلطة آنذاك رغم سيطرتهم على فرق بكاملها في الجيش من أهم الاسئلة في تاريخ العراق الحديث. كما تابع بطاطو تقديرات خيري للظروف التي أدت إلى مذابح الشيوعيين على أيدي البعثيين عام ١٩٦٣، وهي المأساة التي لم يشف منها الشيوعيون العراقيون حتى الآن».

انتقد خيري حزبه، الحزب الشيوعي العراقي، حين دخل في تحالف غير مشروط مع البعثيين عام ١٩٧٣. فبدلاً من أن تستفيد قيادة الحزب في ١٩٧٣ من فرص المناورة التي قدمها التيار اليساري القوي المعارض للتحالف، فإنها عقدت ميثاقاً مع البعثيين قدمت فيه تنازلات كبيرة تخلت بموجبها عن حق الشيوعيين في العمل السياسي ليس في القوات المسلحة فحسب بل حتى في المنظمات الاجتماعية، مثل اتحاد الطلبة والنقابات المهنية والجمعيات الثقافية. ومع ان خيري كان عضواً آنذاك في أعلى سلطة في الحزب (المكتب السياسي) وساهم في إعداد ميثاق الجبهة مع البعثيين والمباحثات حولها فإنه رفض التوقيع على ميثاقها.

ومن المعروف أن أزمة الشيوعيين مع الدولة (والنظام) العراقية بلغت أوجها خلال الحرب العراقية-الايرائية التي عارضها الشيوعيون واعتبروها «اعتداء ظالماً على ايران». لكن مع تطور الحرب ودخول القوات الايرانية الاراضي العراقية وتعرض كيان الدولة للخطر وجد كثير من الشيوعيين أنفسهم في مأزق. وقد عبّر عن الاحساس بذلك المأزق زكي خيري، وأقصى بسببه عن عضوية المكتب السياسي للحزب، وذلك بسبب دعوته إلى الوقوف إلى جانب الجيش العراقي. فذهب خيري (وهو في الخامسة والسبعين) إلى كردستان العراق لحضور مؤتمر



سعدون حمادي.

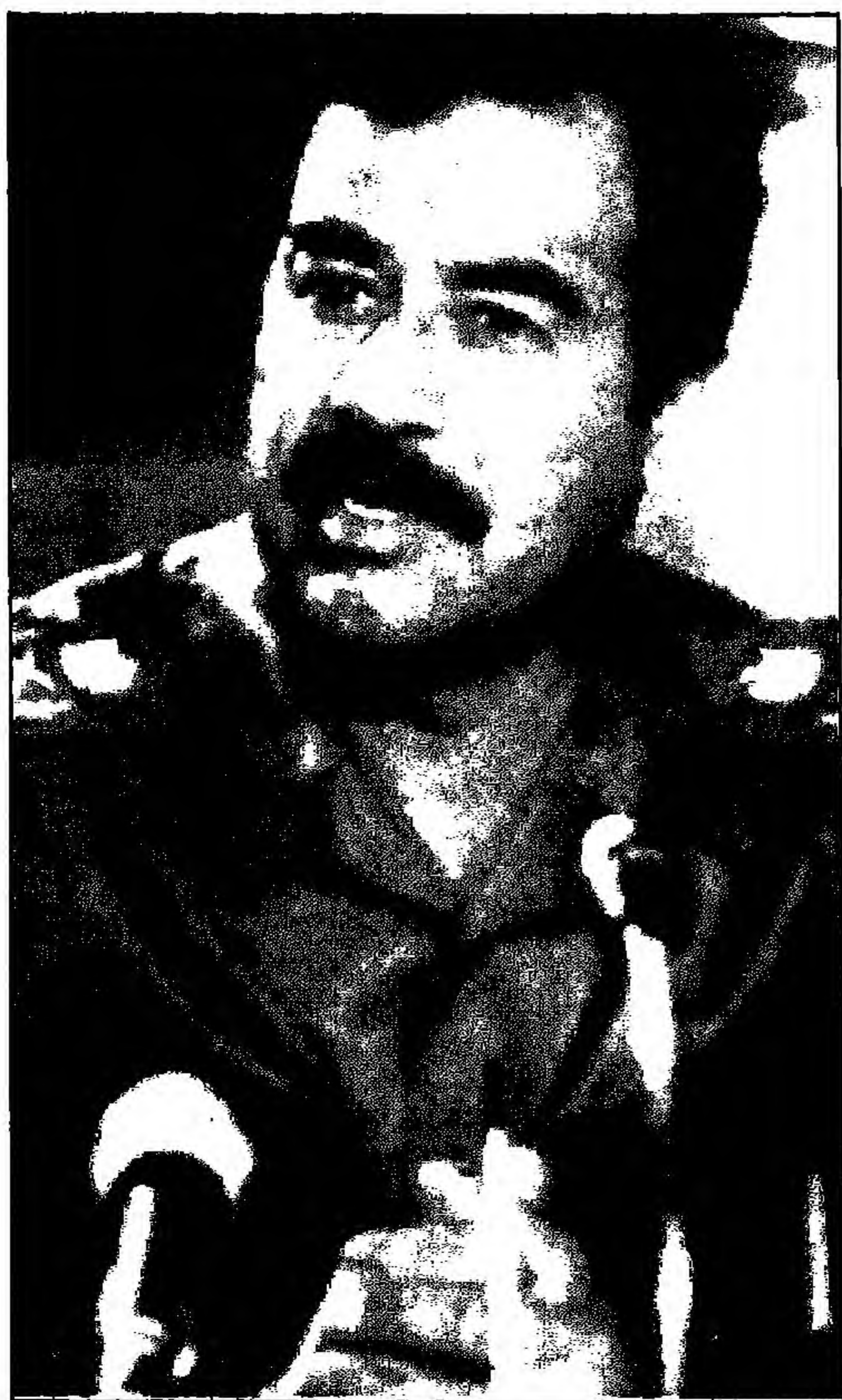
* ساطع الحصري: راجع «سورية»، ج ١٠، ص ٢١٣.

* سعدون حمادي (١٩٣٠ -): سياسي عراقي. ولد في كربلاء. تلقى دراساته العليا في الجامعة الأميركية في بيروت، ثم في جامعة وسكنسن الأميركية حيث حاز على الدكتوراه في الاقتصاد (الاصلاح الزراعي). انتسب لحزب البعث أثناء دراسته في بيروت. درس الاقتصاد في جامعة بغداد (١٩٥٧) وبرز في صفوف حزب البعث في أواخر الخمسينات، ثم عمل في ليبيا حيث أودع السجن إبان العهد الملكي لقيامه بنشاط ثوري فيها. عين وزيراً للإصلاح الزراعي في أول وزارة شكلت على أثر سقوط حكم عبد الكريم قاسم في شباط ١٩٦٣، وأعفي من منصبه بعد أشهر قليلة. عمل في الأمم المتحدة كخبير اقتصادي في دمشق، وعمل مستشاراً اقتصادياً للحكومة السورية في منتصف الستينات. في تشرين الثاني ١٩٦٨، عين رئيساً لمجلس إدارة شركة النفط الوطنية العراقية، وبقي في هذا المنصب حتى أيار ١٩٧٥. في نهاية ١٩٦٩، عين وزيراً للنفط والمعادن. وفي ١١ تشرين الثاني ١٩٧٤، أصبح وزيراً للخارجية فشارك في المؤتمرات العربية والدولية. وكانت ظهرت له كتابات عديدة حول الإصلاح الزراعي والوحدة العربية وقضايا الثورة العربية، خاصة وأنه كان من مؤسسي مركز دراسات الوحدة العربية. شغل لفترة وجيزة منصب رئيس الوزارة بعد حرب الخليج

بالاتنين معاً وفي آن واحد حتى لا يقال «إننا منعزلون بل نشترك في رسم مصائر العراق». ويورد خيرى شهادات من تقرير بعثة الأمم المتحدة عن الدمار الذي أوقعته الحرب في العراق. ويتساءل كيف أمكن لحزبه ان يتحالف مع «المؤتمر الوطني» المتحالف مع الأميركيين الذين «دمروا» معالم الحضارة في بلادنا واقتصادنا الوطني وهبطوا بمستوى معيشة شعبنا إلى الحضيض ويصرون على بقاءه هكذا منذ أربع سنوات».

واستعار خيرى في معرض انتقاده لرفاقه عبارة مشهورة في التراث الاسلامي عن أولئك الذين «يأكلون مع معاوية ويصلون وراء علي»، وأشار إلى أنهم «كانوا ينظّاهرون براديكالية ابعـد جذوراً من راديكالية الراديكاليين المتطرفين، أما الآن فقد غدوا «واقعيين» إلى ابعـد حد... فهم يعترفون ان لبريطانيا مثلاً مصالح تاريخية في العراق لا يجب نسيانها، وينتظرون الديمقراطية من الدول الامبريالية ليس بالبحان بل لقاء ثروات البلاد الطبيعية، مدّعين ان الامبريالية مزمنة بمنح شعوبنا قسطاً «معقولاً» من الديمقراطية وبسطة العيش، وان ذلك من صالحها هي بالذات. ومنهم من هو أكثر «واقعية» فيقدم النصائح للاميراليين ويطالبهم باعطاء المعارضة العراقية استقلالية القرار فهذا في صالحهم هم. واعتبر خيرى هذه الدعوات الصادرة عن قياديين شيوعيين «تذكر بالنصائح التي يقدمها الزعماء العرب لحكام أميركا بأن من الأفضل لمصالحهم ان يعتمدوا على العرب لا على الصهيونية».

توفي زكي خيرى في استوكهولم حيث كان يقيم لاحقاً منذ ١٩٩٣. وفي خبر وفاته وصفته «الحياة» بأنه آخر الزعماء الشيوعيين العراقيين المخضرمين. ونقلت الصحيفة معلومات عن اختلاف الشيوعيين على دفنه بعد وفاته في استوكهولم. ففي حين أكدت أرملته انه أوصاها بأن يدفن في مسقط رأسه بغداد، رفض الحزب الشيوعي ذلك خشية ان يستخدم النظام العراقي عودة جثمانه إلى وطنه، ودعا إلى دفنه في السويد أو سورية، فيما اقترح فريق ثالث ان يدفن في كردستان العراق كحل وسط. وأضافت الصحيفة ان الحزب الشيوعي الاردني أبدى استعداده لتسلم الجثمان في عمان ونقله في «موكب مهيب» إلى بغداد لإقامة عزاء جماهيري له، وإذا كان صحيحاً ما ذكر اخيراً انه دُفن في دمشق التي غادرها قبل سنتين (من وفاته وقاصداً السويد) فإن الحدث شبيه بوصف زكي خيرى لسياسة الشيوعيين الحالية انها تبدو مثل «صورة أعداء رسام كاريكاتوري ماكر».



الرئيس صدام حسين.

* صدام حسين (١٩٣٧-): رئيس الجمهورية العراقية الحالي (منذ ١٩٧٩). ولد بتميمًا بالقرب من تكريت. انتقل، في سن العاشرة، إلى تكريت للالتحاق بالمدرسة هناك، حيث أقام برعاية خاله خير الله طلفاح، وانتقل معه إلى بغداد في ما بعد. في بغداد، انضم إلى حزب البعث في ١٩٥٦، وفي أجواء العدوان الثلاثي على مصر. في ١٩٥٨، ألقت به سلطات عبد الكريم قاسم في السجن، حيث عرف من رفاق له ان الحزب مزعم على تكليفه خطة تصفية قاسم، ولم يتوحد في الموافقة. وعندما نفذ الخطة (بعد الافراج عنه)، اصيب برصاصة في ساقه، ولكنه تمكن من الهرب إلى سورية، ومكث في دمشق أربعة أشهر انتقل بعدها إلى القاهرة حيث أنهى الدراسة الثانوية ودخل كلية الحقوق ونشط بين الطلاب العرب ووصل إلى قيادة فرع مصر، كما استفاد من دراسة تجربة الرئيس جمال عبد الناصر.

بعد قيام «ثورة رمضان» (٨ شباط ١٩٦٣) وسقوط عبد الكريم قاسم، عاد صدام إلى العراق. حضر

الثانية، ثم أصبح رئيس المجلس الوطني العراقي وهو لا يزال يشغل هذا المنصب حتى اليوم (أواسط ١٩٩٨).

ردًا على سؤال صحافي («الوسط»، العدد ٣٣٦، ٦ تموز ١٩٩٨، ص ٣٠) حول استحداث مؤسسة رئاسة الحكومة-في أعقاب حرب الخليج الثانية-لفرض إناطة منصب رئاستها بشخصية شيعية-أي به هو شخصيًا-لامتناس التداعيات، وإذا ما كان يعتبر نفسه ممثلًا للشيعية في العراق، أجاب الدكتور سعدون حمادي: «كيف أكون بعثيًا أؤمن بأن الأمة العربية من المحيط إلى الخليج أمة واحدة يجب أن تتحد في دولة واحدة وفي الوقت نفسه أكون ممثلًا لشريحة من الشعب العراقي؟ هل عرف عني يومًا، قولاً أو عملاً، أنه بادر في ذهني تفكير قطري أو مذهبي أو عشائري؟ أنا لا أؤمن بذلك إطلاقاً».

* صالح جبر (١٨٩٦-١٩٥٧): سياسي عراقي. ولد في الناصرية ودرس الحقوق في جامعة بغداد. نائب في ١٩٣٠. وزير المعارف في ١٩٣٣-١٩٣٤. محافظ كربلاء ١٩٣٥-١٩٣٦. وزير العدل ١٩٣٧-١٩٣٨. وزير المعارف للمرة الثانية ١٩٣٨-١٩٤٠. ثم وزير الشؤون الاجتماعية، فمحافظ للبصرة. بعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني، عين وزيراً للخارجية في حكومة نوري السعيد، ثم وزيراً للمالية. رئيس الوزراء بعد استقالة نوري السعيد في ٢٩ آذار ١٩٤٧، وذهب إلى لندن على رأس وفد عراقي لتعديل المعاهدة العراقية-البريطانية بصحبة وزير خارجيته فاضل الجمالي. ارتبط اسمه بالتوقيع على معاهدة بورتسموث في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨ التي أثارت نقمة الشعب والاضطرابات في البلاد، فعمد إلى الاستقالة لتخلفه حكومة ترفض المعاهدة. عاد في ١٩٥٠ إلى الاشتراك في الوزارة فعين وزيراً للداخلية لفترة قصيرة. وفي ١٩٥١ أسس «حزب الأمة العراقي» اليميني الاتجاه والذي لم يعمر طويلاً، وكان يمثل مصالح كبار الاقطاعيين التقليديين الذين اختلفوا مع نوري السعيد.

تميزت فترة رئاسته للوزارة بالانحياز الكامل للسياسة البريطانية، وبإصداره قانوناً خاصاً سمح بموجبه لليهود العراقيين بمغادرة العراق إلى فلسطين المحتلة، وكانت نتيجة ذلك هجرة أكثر من مائة ألف يهودي (راجع العنوان الفرعي «ندوة بيروت الخاصة باليهود العرب: الجذور والتهجير» في «العالم العربي» في هذا الجزء).

للمعدات وتدريب العلماء والفنيين في هذا الخصوص. في المؤتمر القومي الحادي عشر لحزب البعث (١٩٧٧)، اعتبر صدام أميناً عاماً مساعداً للحزب في القيادة القومية الجديدة.

على اثر اتفاقيات كامب دافيد، عمل صدام جاهداً على تأمين مستلزمات إيقاف تداعيات هذه الاتفاقيات وتأمين الصمود العربي من خلال إنجاح مؤتمر قمة بغداد (١٩٧٨) الذي خرج بموقف عربي موحد ملتزم بدعم شامل لمنظمة التحرير الفلسطينية وعرب الاراضي المحتلة والاردن وسورية وباعتبار النضال من أجل استعادة الحقوق العربية مسؤولية قومية عامة. وفي الاجتماع الاستثنائي لوزراء الخارجية والاقتصاد في بغداد في ٢٧ آذار ١٩٧٩، عمل صدام حسين على ترجمة قرارات قمة بغداد إلى أفعال، وأصدر العراق تعهداً بتحمل أعباء دعم دول المواجهة وصمود الارض المحتلة وحده إذا ما قصّرت حكومات الاقطار الأخرى بالإيفاء بتعهداتها المالية في هذا السبيل.

في ١٦ تموز ١٩٧٩، أعلن أحمد حسن البكر تنحيه عن رئاسة الجمهورية لصالح نائبه ورفيقه صدام حسين. وسرعان ما أعلن عن «مؤامرة رفاق سابقين»، تعاطى صدام حسين بسرعة وحسم وعنف فأعدم عدداً من «المتأمرين». ولم تمض بضعة أسابيع من توليه الرئاسة حتى قصد هافانا للمشاركة في مؤتمر قمة عدم الانحياز. وقد ثبت هذا المؤتمر ببغداد كعاصمة لمنظمة عدم الانحياز في الدورة التالية والتي تبدأ من ايلول ١٩٨٢ وتستمر لثلاث سنوات.

في مؤتمر القمة العربية العاشر (تونس، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٩)، حرص صدام حسين على اعداد صيغة تعامل قومي جاءت على شكل اعلان قومي لتنظيم العلاقات بين الدول العربية (تحریم استخدام القوة المسلحة من قبل أية دولة عربية ضد دولة عربية أخرى). وفي مؤتمر القمة العربية الحادي عشر (عمان، خريف ١٩٨٠) بذل صدام جهداً لتطوير العمل الاقتصادي العربي المشترك لتعزيز التعاون العربي.

وكانت مسألة العلاقات مع ايران من المسائل الرئيسية التي واجهها صدام حسين منذ مطلع تسلمه الرئاسة. فقد بادرت ايران، من وجهة نظر العراق والعرب (المجاورين خاصة لايران)، بالسلبية وإثارة النعرات الطائفية واستخدام الدين كغطاء للاطماع التوسعية للسيطرة على الخليج العربي. وفي هذا الاطار أخذت الاستفزازات العسكرية والسياسية والحملات الاعلامية الايرانية المتواصلة

المؤتمر القومي السادس لحزب البعث في دمشق (صيف ١٩٦٣). وفي بغداد توثقت علاقته بأحمد حسن البكر، وفي ١٩٦٤، سافر سرّاً إلى دمشق للمشاركة في المؤتمر القومي السابع، ليعود بعده إلى بغداد ويتولى الاشراف على التنظيم الحزبي العسكري إضافة إلى مسؤولية المكتب الفلاحي، ويضطر لعملية تغيير النظام. لكن مع انكشاف الخطة، اعتقل، مع عدد كبير من البعثيين. انتخبه المؤتمر القومي الثامن (١٩٦٥) عضواً في القيادة القومية. وفي تموز ١٩٦٦، تمكن من الهرب من السجن.

وفي فجر ١٧ تموز ١٩٦٨، كان صدام حسين يدخل القصر الجمهوري في دبابه وزعي عسكري وفق خطة مدنية-عسكرية لإنهاء حكم عبد الرحمن عارف، ولتسلم البعث السلطة من جديد. وأشرف صدام حسين بنفسه على إقصاء عبد الرزاق النايف والداود، اللذين فرضا نفسيهما على قيادة البعث كشريكين في ثورة مموز. وأذاع مجلس قيادة الثورة بياناً بتعيين أحمد حسن البكر أمين سر القيادة القطرية للحزب رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزراء وقائداً عاماً للقوات المسلحة. وبعد الاجتماع الاول للقيادة الجديدة تقرر اختيار صدام حسين نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة بعد ٣٠ تموز انسجاماً مع موقعه الحزبي الرسمي باعتباره كان نائباً لأمين سر القيادة القطرية منذ العمل السري. ومنذ ذلك الحين وحتى ١٩٧٩ (أي خلال ١١ عاماً) «اعتمدت صيغة قائدين ضمن قيادة واحدة». فتولى صدام حسين المهام الحساسة والكبيرة: أمن الثورة، المفاوضات مع الحركة الكردية، زهارة موسكو الممهدة للمعاهدة العراقية-السوفياتية، قيادة المعركة ضد شركات النفط وتأمين النفط (حزيران ١٩٧٢)، مبادرة الاشتراك في حرب ١٩٧٣، الاشراف على مجلس التخطيط، إدارة الصمود العراقي إبان التشجيع الاميركي والاسرائيلي للتمرد الكردي في الشمال ومشاركة قوات ايرانية في معارك ضد الجيش العراقي، العمل على توثيق الصلات مع دول عدم الانحياز وفرنسا إلى جانب الحفاظ على العلاقات الودية مع الاتحاد السوفياتي... وكان نتيجة كل ذلك انهيار التمرد في الشمال وتوقيع اتفاقية الجزائر (آذار ١٩٧٥) وبروتوكول طهران بعد أسابيع قليلة.

تمكن العراق، بقيادة صدام ومسؤولياته في مهامه وقبل توليه مهام الرئاسة في ١٩٧٩، من مضاعفة الجهود التنموية، والتخطيط لإنشاء تكنولوجيا عربية متقدمة بما فيها التكنولوجيا النووية التي ألحقت طاقتها بمكتبه شخصياً وتولى التفاوض مع الحكومة الفرنسية حول حيازة العراق

أصاب العراق نتيجة حرب الخليج الثانية. والحقيقة أن حوادث داخلية كثيرة شهدتها العراق كانت شواهد تستند إليها هذه الاقلام في إدانة نظامه. وربما كان ما رواه عزيز محمد سكرتير الحزب الشيوعي العراقي من ١٩٦٤ إلى ١٩٩٣ مجلة «الوسط» (أعداد ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩، تاريخ ٢٨ تموز ١٩٩٧ و ١١ آب ١٩٩٧) عن صدام حسين وممارساته الحزبية والسلطوية، سواء إزاء رفاق له في حزب البعث أو اصدقاء في الجبهة الوطنية والتقدمية أو أخصام أو مواطنين عاديين، يشكل أخطر التهم التي يمكن ان تروجه لزعيم سياسي أو مسؤول. لكن أحدًا، في المقابل، لم يستطيع ان يقدم دليلًا على تراخ أهداه صدام حسين أو انهزام، في كل موضوع متعلق بكرامة وطنية أو قومية، رغم الشدائد والكوارث التي نزلت، ولا تزال، بالعراق والعراقيين، والاضغوط الهائلة التي تعرضوا لها (فالمعروف عن صدام حسين حرصه الشديد على تزويد الوزراء والدبلوماسيين والمفاوضين العراقيين مع أي جهة كانت وفي أي مجال كان بضرورة «الحفاظ على سيادة العراق وعدم المساس بوحدة اراضيه ولا كرامة شعبه»). وقد يكون هذا الموقف بالذات في أساس قوته وصمود نظامه من جهة، وكاشف «هزال» و«سحق» معارضي العراقيين من جهة أخرى. و«هزال» و«سحق»، إضافة إلى «عمالة»، هي من أكثر المفردات التي تراشق بها أكثر أطراف المعارضة أنفسهم في وصف بعضهم البعض طيلة السنوات التي أعقبت فشل انتفاضتهم في ١٩٩١.

* صلاح الدين الصباغ (١٨٩٩-١٩٤٥):

عسكري ثوري عراقي. ولد في الموصل لأب لبناني (من صيدا) وأم من الموصل. درس في بيروت والموصل واسطنبول. دخل الخدمة العسكرية (في الجيش العثماني) ورفع إلى ملازم في ١٩١٧. التحق بالجيش العربي في سورية. اعتقله الفرنسيون بعد سقوط الحكم العربي في دمشق. بعد إطلاق سراحه ذهب إلى العراق والتحق بالجيش هناك، وأرسل للدراسة في عدد من المعاهد العسكرية البريطانية. درس في الكلية العسكرية في العراق وأصبح آمرًا للقوة الجوية، فمعاونًا لرئيس أركان الجيش. انتصر لمحركة الكيلاني، وكان في مقدمة الضباط وقادة الحركة الوطنية في تشكيل مجلس الدفاع ليدير شؤون البلاد إبان ثورة ١٩٤١. وتولى قيادة الفرقة الأولى والثالثة والفرقة المصفحة وأصبح قائدًا للجبهة الغربية في فترة المجاهدة مع القوات الانكليزية والتعزيزات التي جاءت من شرقي

تتصاعد، الأمر الذي دفع صدام إلى بذل المحاولات المتكررة عبر المذكرات الرسمية والاصدقاء المشتركين، مثل ياسر عرفات، للتنبيه إلى خطورة الاستمرار على هذا المنوال، ولكن دون طائل. وفي ٤ ايلول ١٩٨٠، أخذت المناطق العراقية المتاخمة لإيران والمدن تتعرض لنيران المدفعية الإيرانية في الوقت الذي أعلن فيه رئيس جمهورية إيران الإسلامية تراجع بلاده عن اتفاقية الجزائر التي وقعها الشاه ولم يطبقها، وكذلك قامت إيران بإغلاق شط العرب. وفي ١٧ ايلول ١٩٨٠، وقف صدام حسين أمام المجلس الوطني المنتخب حديثاً (بعد غياب طويل جداً للحياة البرلمانية) ليعلن قرار القيادة العراقية باعتبار اتفاقية الجزائر ملغاة واستعادة السيادة الكاملة على شط العرب. وعلى الرغم من الانتصارات العسكرية التي حققها الجيش العراقي على جبهة واسعة وفي عمق الاراضي الإيرانية فإن صدام حسين حرص على التأكيد باستمرار وثبات بعدم رغبة العراق في ضم الاراضي الإيرانية واستعداده لعقد صلح عادل ومشرف مع إيران شرط تسليمها بحقوق العراق المشروعة في السيادة على أرضه ومياهه، وابداء رغبتها الحقيقية في حسن الجوار مع الاقطار العربية المجاورة لها. ولم تغرر الحرب مع إيران من تصميم صدام حسين على المضي في مشاريع التصنيع والتنمية الاقتصادية والنهضة العلمية في العراق.

كانت هذه أهم النقاط الواردة في سيرة الرئيس صدام حسين في «موسوعة السياسة» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٣، ط ١، ١٩٨٣، ص ٦٢٧-٦٣١). أما ما يمكن إضافته باختصار، أن هذه السيرة ربما كانت أكثر سير زعماء الدول، في العقود الأخيرة، التي انشغلت بها الاقلام العالمية سواء بلهجة الكشف عن جوانب الشخصية الخفاصة لصدام حسين أو شخصيته العامة. ومن الملاحظ ان هذه الاقلام أبرزت، في مرحلة أولى وخلال العقد الاول من ولايته الرئاسية التي اتسمت أكثر ما اتسمت بحرب العراق مع إيران، مראصفات شخصية تركز على قوته وطموحه اللامحدود لرفع شأن العراق والعرب، معتبرة إياه «دبغول العرب» حيناً، و«بسمارك العرب» أحياناً. أما في مرحلة ثانية، أي خلال العقد الثاني والحالي من ولايته الذي طبع بحرب الخليج الثانية، فقد أخذت الاقلام الصحافية العالمية (وبعض الاقلام الصحافية العربية) تشكك بصدق ولائه، وتبرز نزعة دكتاتورية لديه تطبع شخصيته التي لا تركز إلا إلى العشيرة والأقارب والأخوة والأبناء، محملة إياه مسؤولية كل ما

لرئيس الوزراء، وأشرف على نشاط المجلس الأعلى لمحو الأمية. أسهم في النشاطات والعلاقات الدولية للعراق، فزار فرنسا والعديد من الدول، وشارك في مؤتمر قمة عدم الانحياز، كما تابع مهام الاتصال والمفاوضات مع اللجان الدولية المكلفة بالتوسط في النزاع العراقي-الارمني (عن «موسوعة السياسة»، ج ٣، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ص ٧٥١-٧٥٢).

لمع اسمه، كوزير للخارجية إبان حرب الخليج الثانية، متصفاً بدبلوماسية مرنة وحازمة في آن، وكان قد شد أنظار العالم إليه قبيل اندلاع هذه الحرب في اللقاء الذي عقده مع وزير الخارجية الأميركي جيمس بايكر في جنيف في ٩ كانون الثاني ١٩٩١. وقد وُصف هذا اللقاء بـ«لقاء الأمل الأخير» واستغرق ست ساعات ونصف الساعة. ويعتبر طارق عزيز من أبرز أركان نظام الرئيس صدام حسين، والمنصب الحالي الذي يشغله هو نائب رئيس الوزراء.



صلاح الدين الصباغ.

* طالب النقيب (١٨٦٢-١٩٢٩): سياسي عراقي. ولد في البصرة. شغل منصب حاكم إقليم الإحساء في ١٩٠٢ إبان العهد الحميدي، وأصبح عضواً في مجلس «المبعوثان» في ١٩٠٩. اتهمه الاتراك في ١٩١٣، بتدبير مؤامرة لاغتيال القائد العسكري التركي في البصرة. نفي إلى الهند عقب الاحتلال البريطاني للعراق. عين وزيراً في أول حكومة عراقية، ونافس فيصل في عرش العراق، فنفاه البريطانيون مجدداً إلى الهند. توسط بين الهاشميين والسعوديين في ١٩٢٤. توفي في ميونيخ (ألمانيا) إثر عملية جراحية.

* طه الهاشمي (١٨٨٨-١٩٦١): عسكري وسياسي عراقي. ولد في بغداد ودرس فيها ثم في المدرسة الحربية في اسطنبول وحصل على شهادة الأركان في ١٩٠٩. في ١٩١٠، أصبح من أركان الفيلق الثامن في سورية، وشارك في ١٩١٢ في الحرب البلقانية، وانتمى، في ١٩١٣، إلى جمعية العهد القومية العربية السرية. تولى مناصب مهمة في القوة العسكرية العثمانية في اليمن، وأصبح بعد ذلك رئيس أركان حرب الفيلق العثماني السابع. في ١٩٢٠، توجه إلى سورية حيث عين مديراً للأمن العام في ظل الحكم الفيصلي. ثم توجه إلى العراق وأصبح رئيساً لهيئة أركان الجيش العراقي (١٩٢٣)، وأعيد تعيينه في هذا المنصب في ١٩٣٠. عين مرافقاً للأدميرال غازي، ولي العهد، في ١٩٢٤. أحالته حركة بكر صدقي

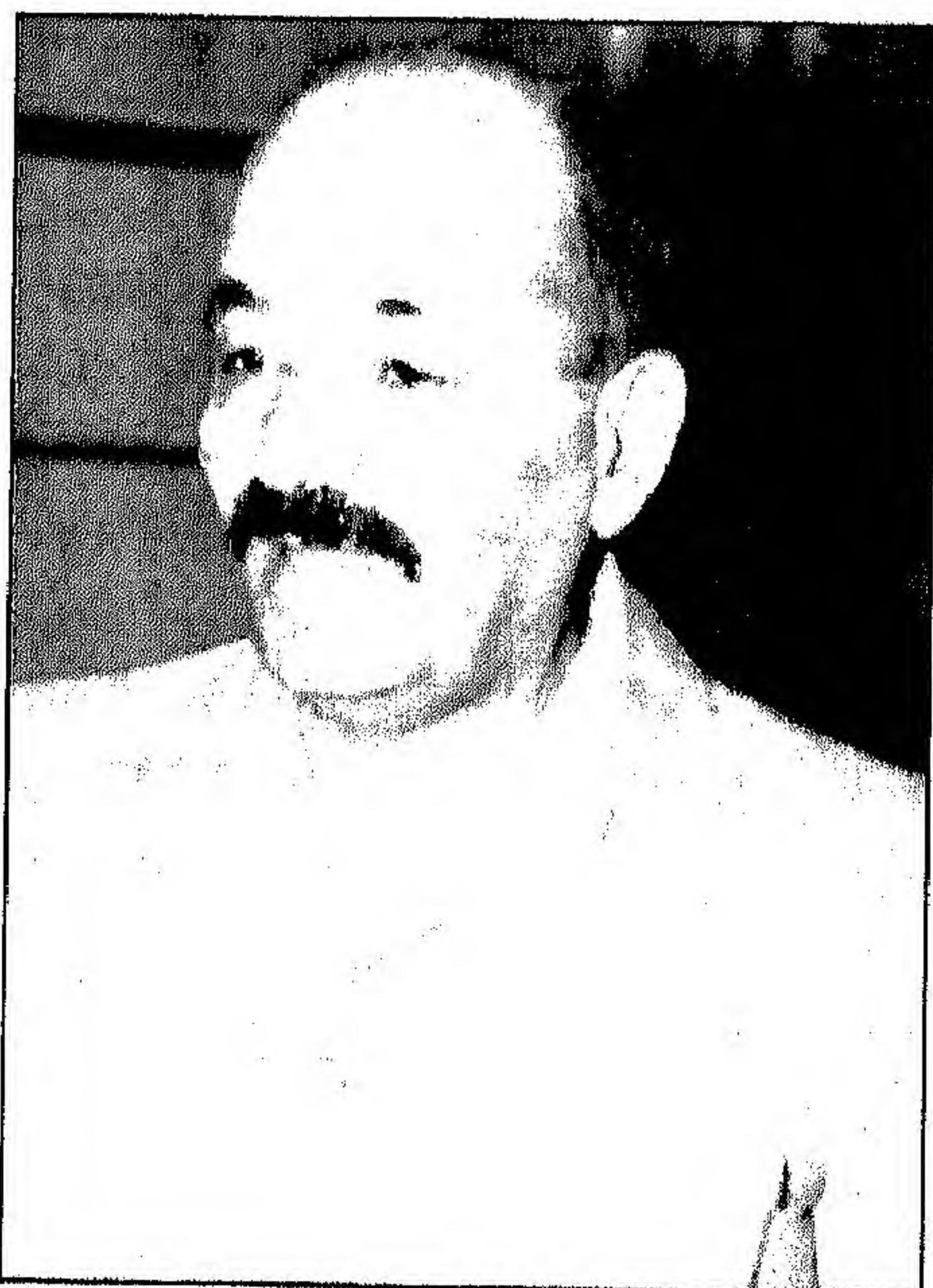
الأردن. مع هزيمة الحركة الوطنية وإعدام رفاق الصباغ (فهمي سعيد، محمود سليمان ويونس السبعراوي)، تمكن من الفرار إلى إيران ثم إلى تركيا التي سلمته بعد تردد طويل إلى بريطانيا بالتعاون مع سلطات الانتداب الفرنسي في سورية. وتم إعدامه في بغداد في ١٦ تشرين الأول ١٩٤٥.

* طارق عزيز (١٩٣٦-): سياسي عراقي. درس في بغداد، وتخرج في كلية الآداب (١٩٥٨)، وكان منتسباً لحزب البعث وهو طالباً في الجامعة. عمل محرراً في جريدة «الجمهورية» العراقية التي صدرت بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وفي ١٩٦٣ عمل مديراً لتحرير جريدة «الجمهورية». وبعد حركة تشرين الثاني ١٩٦٣ انتقل إلى سورية وعمل في الصحافة السورية وسجن على أثر انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦. عاد إلى العراق بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ وتولى رئاسة تحرير جريدة «الثورة» الناطقة بلسان حزب البعث العربي الاشتراكي. وتولى مهمة نائب رئيس مكتب الثقافة والاعلام القومي، وانتخب عضواً مرشحاً للقيادة القطرية لهذا الحزب في مطلع ١٩٧٤. عين في تشرين الثاني ١٩٧٤، وزيراً للاعلام، وأصبح في ١٩٧٧ عضواً في مجلس قيادة الثورة وانتخب عضواً في القيادة القومية للحزب. فاستقال من وزارة الاعلام للتفرغ للعمل الحزبي. وعلى اثر تولي صدام حسين مهام رئاسة الجمهورية خلفاً لأحمد حسن البكر في ١٦ تموز ١٩٧٩، عين طارق عزيز نائباً

وفي آذار ١٩٧٠ عين وزيراً للصناعة، وفي ١٩٦٧، وزيراً للاسكان، وفي ١٩٧٤ وزيراً للتخطيط بالوكالة حتى ايار ١٩٧٦، وأصبح قائداً للجيش الشعبي. وفي ١٩٧٧، انتخب عضواً في القيادة القومية للحزب. وعلى أثر تولي صدام حسين مهام الرئاسة، عين طه ياسين رمضان نائباً أول لرئيس الوزراء، وعمل بهذه الصفة على متابعة نشاط الوزارات ومؤسسات الدولة، كما قام بزيارات مهمة للاتحاد السوفياتي ودول غربي اوروبا بغية تطوير العلاقات بينها وبين العراق (عن «موسوعة السياسة»، ج٣، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص٧٨٨). ثم أصبح، منذ ١٩٩٠، النائب الاول لرئيس الجمهورية.

معروف بصلاية مواقفه في كل مهماته ومهامه كانت الظروف صعبة وحرارة. قال، وهو نائب رئيس الجمهورية، وبعد جولة مغاربية شملت المغرب والجزائر وتونس، إن «بلادنا لن تعتذر لأحد حتى ولو استمر الحصار خمسين سنة»، وحمل بعنف على المعارضة العراقية في الخارج ووصفها بـ«العميلة والتافهة»، كما حمل على الكويت بسبب تصريحاتها في شأن القمة العربية، قائلاً إن «الكويت لم تصبح دولة عملاقة حتى تعترض أو تقبل بحضور العراق القمة» (من مقابلة صحافية أجرتها معه «الوسط»، العدد ٣٣٣، تاريخ ١٥ حزيران ١٩٩٨، ص٢٤). ووصفته مجلة «المشاهد السياسي، بي.بي.سي»

طه ياسين رمضان.



طه الهاشمي.

على التقاعد. انتخب، في ١٩٣٧، نائباً عن بغداد وتولى وزارة الدفاع في ثلاث وزارات شكلها نوري السعيد، كما تولى هذا المنصب في وزارة رشيد عالي الكيلاني. وأصبح رئيساً للوزارة شباط-نيسان ١٩٤١. ترأس حزباً معارضاً أسسه في ١٩٥١ عرف بـ«الجبهة الشعبية المتحدة». نشرت مذكراته في بيروت ١٩٦٧. وكان أحد هذه المذكرات خلدون ساطع الحصري الذي قدم لها بقوله: «إن مذكرات الهاشمي هذه لا تتعلق بالعراق فقط، ولكنها تشمل ايضاً سورية والقضية الفلسطينية في فترة دقيقة جداً، فترة الحرب العربية-الصهيونية الاولى وقيام دولة اسرائيل والسنوات الاولى من استقلال سورية وانقلاب حسني الزعيم وما تلاه».

* طه ياسين رمضان (١٩٣٨-): سياسي عراقي. ولد في الموصل ودرس الثانوية فيها، ثم التحق بالكلية العسكرية. أحيل على التقاعد في ١٩٥٩ و ١٩٦٤. بعدها، انتخب عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث، وأعيد للخدمة في الجيش بعد ١٧ تموز ١٩٦٨، وفي تشرين الثاني ١٩٦٩، عين عضواً في مجلس قيادة الثورة، وترأس محكمة خاصة في مطلع ١٩٧٠ لمحاكمة «أعداء الثورة».

مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء، القيام بانقلاب والانفراد بالسلطة، ولكنهم فشلوا.

* **عبد الإله بن علي (١٩١٢-١٩٥٨):** أمير هاشمي وسياسي ووصي العرش العراقي بعد مقتل الملك غازي بن فيصل الاول (١٩٣٩) حتى بلوغ فيصل الثاني سن الرشد في ١٩٥٣. ولد في الحجاز، وكان الابن الوحيد للملك علي بن الحسين الذي تولى عرش الحجاز لفترة قصيرة جدًا. انتقل إلى العراق بعد اعتلاء عمه فيصل بن الحسين عرشها. تلقى العلم، دون نجاح، في كلية فكتوريا في الاسكندرية.

بدأ ظهوره السياسي في العراق كحليف لنوري السعيد في اواخر الثلاثينات، عندما كان نوري يسعى لفرض هيمنته على الملك غازي وعلى السلطة. وعبد الإله كان ناقدًا على ابن عمه الملك الذي كان قد طلق زوجته الاميرة عالية أعت عبد الإله.

في مطلع آذار ١٩٣٩، أعلن نوري السعيد عن وجود مؤامرة عسكرية هدفها إطاحة الملك غازي والشخصيات السياسية المهمة بما فيها هو نفسه (أي نوري السعيد) وتعيين عبد الإله مكان الملك. وقد أكد عبد الإله هذه الرواية مفسحًا بذلك المجال أمام نوري للتخلص من خصومه في الجيش. وعندما أعلن عن مقتل الملك غازي في حادث سيارة (١٩٣٩) حامت الشبهات حول عبد الإله ونوري ولازمتها طيلة حياتهما.

وقف عبد الإله، كوصي على العرش، إلى جانب نوري السعيد ونفذ رغبة الانكليز إبان ثورة رشيد عالي الكيلاني. وبعد نحو عامين من فشل هذه الثورة، بدأ أن عبد الإله ابتعد عن نوري السعيد ودفع وزارته إلى الاستقالة (حزيران ١٩٤٤)، واعتمد شاكِر الوادي، من الضباط الشريفيين، والمعادى لنوري السعيد؛ وأخذ، لفترة، يشكل الوزارات ويفرض نفسه على المسرح السياسي. إلا أنه لم يفلح في السيطرة على مقاليد الأمور، فأعاد الانكليز نوري السعيد لرئاسة الوزارة، وعاد الوصي عبد الإله إلى كنفه أيضًا، مع محاولات بنمها أحيانًا مثل الدعم الذي قدمه لصالح جبر لمنافسة نوري. وحاول هذا الأخير إزاحة عبد الإله واقتراح، في ١٩٥٤، تعيينه سفيرًا في الخارج. قتل، مع أركان النظام الملكي، صبيحة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.



عارف عبد الرزاق.

(العدد ١١٣، ١٠-١٦ ايار ١٩٩٨) في مقابلة معه انه «الشخص الثاني الذي يحوز على ثقة كاملة من رفيق النضال (صدام حسين) منذ الخمسينات».

* **عارف عبد الرزاق (١٩٢٤-):** عسكري وسياسي عراقي. تخرج في الأكاديمية العسكرية في ١٩٤٣، وفي مدرسة الطيران الانكليزية في ١٩٤٥، وانتسب لكلية الأركان في ١٩٥١-١٩٥٢. عمل آمرًا لقاعدة الحباينة بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وفي آذار ١٩٥٩، أحيل للتحقيق بعد حركة عبد الإله الشواف. إلا أنه أعيد إلى الخدمة في السنة نفسها، وإلى آمرة قاعدة الحباينة في صيف ١٩٦٢. وبسبب قرابته من باسل الكبيسي، قائد حركة القوميين العرب في العراق، فقد تقرب من الضباط الناصريين الذين وقفوا ضد البعث بعد ٨ شباط ١٩٦٣. عينه عبد السلام عارف، الذي قاد انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ضد البعث، وزيرًا للزراعة وأمرًا للقوة الجوية، ثم عينه رئيسًا للوزراء ووزيرًا للدفاع (١٩٦٥). لكن عارف عبد الرزاق وكتلة الضباط الناصريين حاولوا بعد تسعة ايام فقط، وفي اثناء حضور عبد السلام عارف



عبد الأمير الأنباري.

آخر مهماته الدبلوماسية الصعبة، عمله كسفير للعراق في الأمم المتحدة في أخرج الأوقات وأصعبها، أي منذ لحظة فرض العقوبات على بغداد جراء حرب الخليج الثانية وحتى مغادرته نيويورك. يومها كان معزولاً، والعالم كله ضد بلده، ومع هذا كان عليه ان يواجه مجلس الأمن وان يتحدث أمام الصحافة والتلفزيون مدافعاً عن موقف حكومته، مثل مقاتل وحيد في ساحة مكشوفة.

ثم عمله في «مفاوضات النفط مقابل الغذاء» التي بدأها في شباط ١٩٩٦، وتضمنت أربع جولات من ٥١ جلسة عمل، وتوصل إلى توقيع اتفاق بصدها رغم ما كانت تبذله وزيرة الخارجية الأميركية مادلين أولبرايت لإفشالها. لم يصطدم الأنباري بأولبرايت شخصياً. كما انه لم يلتق الرئيس صدام حسين أثناء جولات هذه المفاوضات. إذ كانت التوجيهات تأتيه عبر نائب رئيس الوزراء العراقي أو عن طريق وزير الخارجية، والوصية الأهم هي «الحفاظ على سيادة العراق وعدم المساس بوحدة أراضيه ولا كرامة شعبه» (عن إنعام كجه جي، «الحياة»، تيارات، تاريخ ٢ حزيران ١٩٩٦).

* عبد الرحمن عارف (١٩١٦-): عسكري

وسياسي عراقي. شقيق المشير عبد السلام عارف. ولد في بغداد من جذور عائلية بورجوازية صغيرة من منطقة

* عبد الأمير الأنباري: سياسي ودبلوماسي عراقي. ولد في محافظة بابل جنوب شرقي بغداد، وفيها أنهى المدرسة الابتدائية والثانوية قبل ان ينتقل إلى العاصمة بغداد ليدخل كلية الحقوق عام ١٩٥٢ ويتخرج حاصلاً على أعلى درجة بين أقرانه في القانون الدولي بشقيه الخاص والعام، لكن تربيته كان الثاني في دفعة عريجي ١٩٥٦، إذ احتل المركز الأول زميله فوزي سامي الذي يعمل الآن استاذاً في الجامعة.

بعد انهائه الخدمة العسكرية ودورة ضباط الاحتياط، عمل في المحاماة وفي وظائف موقنة إلى ان توافرت له بعثة دراسية، فسافر إلى الولايات المتحدة للدراسة القانون في جامعة هارفرد، وهناك حصل على الماجستير ثم الدكتوراه. وفي مطلع شبابه، وإبان دراسته الجامعية، قرأ الأنباري كتب سلامة موسى، وأعجب بأفكاره، ووجد فيه الفكر العقلاني الذي أغنى المكتبة العربية لا بمؤلفاته فحسب، بل بترجماته أيضاً. وقد تأثر بأفكاره إلى حد القول إنه يدين لسلامة موسى بفضل كثير في تكوين طموحاته الأولى وتصرفاته كشاب.

بعد عودته من أميركا، بدأ الأنباري مسيرة صعوده الثنائي، وبرز كمفاوض جيد للمرة الأولى في ١٩٦٨، أثناء مفاوضات العراق وبولندا حول عقد استثمار الكبريت. ويومها، كانت شركات أميركية وسوفياتية وإوروبية تنافس للفوز بامتياز تطوير حقل المشرق قرب الموصل، وهو الحقل الذي يربض على احتياطي هائل من الكبريت الخام. وقد ارتأت الحكومة العراقية منح الامتياز إلى شركة بولندية حكومية متطورة في أسلوب عملها. وسافر الأنباري مع وفد عراقي إلى وارسو وتفاوضوا طوال ٤٥ يوماً عادوا بعدها بعقد ما زال يعتبر من أنجح العقود التي أبرمتها بغداد.

وبعد مفاوضات الكبريت، شارك الأنباري في مفاوضات تأمين النفط عام ١٩٧٢، وأسفرت عن امتلاك العراق مفاتيح ثروته النفطية الضخمة.

وخلافاً لما يتصوره كثيرون، فإن الأنباري ليس بحثياً. وهو لم يرتبط طوال حياته بأي حزب سياسي. وفضل ان يرتبط طوال حياته بكونه رجل قانون مستقلاً غير ملتزم بأي حزب أو فئة، ولو كان يطلب له الحديث عن «الجانب المشرق» في المذهب الشيعي (وهو شيعي بالولادة)، أي الجانب الفقهي. ويقول إن المشرع العراقي أخذ بمبادئ الفقه الجعفري، نسبة إلى الإمام جعفر الصادق، في كثير من أمور الاحوال الشخصية. وهي موقع تقدير كل العراقيين.

الجيش العراقي في حرب فلسطين (١٩٤٨). انضم إلى تنظيم الضباط الاحرار (١٩٥٧)، وعرف بمصادقته وموالاته لعباء الكريم قاسم. وكان أول من أطلق العبارة الشهيرة «ما نرزعيم إلا كريم».

لعب عبد السلام دوراً رئيسياً في تخطيط وتوقيت وتنفيذ ثورة ١٤ تمسور ١٩٥٨، وقد أذاع البيان الأول للثورة بنفسه من إذاعة بغداد، وكان وقتها ضابط ركن وقائد اللجينة الثالثة من اللواء العتدين التابع للفرقة الثالثة والتي كانت في طريقها إلى الأردن. عين بعد نجاح الثورة نائباً لرئيس الوزراء ورئيساً للداخلية. وعلى الرغم من صداقته لعباء الكريم قاسم الذي أصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع، فإن عدم وضوح العلاقات والنهج السياسي أدباً إلى نشوء خلاف مطرد بين الانخلاء، والخصومات الرئيسية في العهد الجديد - أول عدد من القضايا، في المقام الأول الموقف من الوحدة العربية مع الجمهورية العربية المتحدة والموقف من الرئيس جمال عبد الناصر. وقد ناصر عبد السلام عارف التيار الحادي الذي كان يترتب في العراق حزب البعث في وجه المعارضة المارخية للوحدة. من قبل الحزب الشيوعي العراقي وبعض المثاق والجمعيات السياسية الأخرى التي بدأت منذ ذلك مارتجياً حول عبد الكريم قاسم ونصعد الخلافات السياسية مع التيار الحادي من خلال شعار «ما نرزعيم إلا كريم، جمهورية لا إقليم». ونتيجة لضعف شخمة البعث في تلك الفترة، ونقص المقاربة القيادية عند عبد السلام عارف، فإن التيار الحادي واجه عنة ومكسة، حتى عبد السلام عارف عن مناسبه بعد حوالي شهرين من ثورة ١٤ تمسور. وفي تشرين الثاني (١٩٥٨) اعتقل عبد السلام وحجم عليه بالموت. إلا ان عبد الكريم قاسم لم يصدق على الحكم وأطلق سراحه في ١٩٦١.

وعندما خرج المعتدون في حر تهوم العسكرية المادية ضد حكم عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ نصبروا عبد السلام عارف رئيساً للدولة، إلا انه ما لبث ان استغل الخلافات الداخلية في الحزب فتذكر لهم وقام بانقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ضاهم منه العا مع بعض الضباط المعتومين السابقين مثل طاهر خي ورشيد مصلح وحيدر، والضباط السابقين مثل عبد الكريم الفرسان وعارف عبد الرزاق وهادي حماد ورشيد محسن ومحمدي عبد الحميد، إضافة إلى قتله الضباط «العراقيين» وعلى رأسهم المقدم سعيد الصليبي وعبد الرحمن عارف الراح الأثر لعباء السلام عارف، الذي

الرمادي. انتسب إلى الكلية الحربية في ١٩٣٦. انضم إلى تنظيم الضباط الاحرار في ١٩٥٧. رفض تنفيذ خطة انقلابية أعدتها اللجنة العليا في اواخر ١٩٥٧ لمناسبة استعراض يوم الجيش في ٦ كانون الثاني ١٩٥٨ بحجة عدم وجود ذخيرة كافية وقلة عدد المتسبين للضباط الاحرار في وحدته.

على اثر بداية الخلاف بين أخيه عبد السلام عارف وبين عبد الكريم قاسم بعد نجاح ثورة ١٤ تمسور ١٩٥٨، نقل مع وحدته إلى الحدود الأردنية، ثم أحيل على التقاعد في ٢١ آب ١٩٦٢. وبعد حركة ٨ شباط ١٩٦٣ ضد عبد الكريم قاسم عين قائداً للفرقة الخامسة. ساهم في تنفيذ خطة انقلاب عبد السلام عارف على حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، وعين على الفور رئيساً للاركان رغم محدودية كفاءته العسكرية. وعلى اثر وفاة أخيه عبد السلام عارف في حادث طائرة (١٣ نيسان ١٩٦٦) اجتمع الوزراء ومجلس الدفاع لانتخاب خلف له. ولم يتمكن عبد الرحمن عارف رغم تأييد الضباط والقاهرة له من إحراز النجاح ضد منافسه الرئيسي عبد الرحمن البزاز في الدورة الأولى للاقتراع. وقد انسحب البزاز في الدورة الثانية وسمي عبد الرحمن عارف رئيساً للجمهورية (١٦ نيسان ١٩٦٦). وإضافة إلى رئاسة الجمهورية تسلم رئاسة الوزارة لفترة قصيرة (أيار-تمسور ١٩٦٧)، وبقي رئيساً للجمهورية إلى ان أطاحته حركة ١٧ تمسور ١٩٦٨ التي قادها البعث ضده. وقد سمح له بمغادرة البلاد ليعيش في تركيا منذ ذلك الوقت. يميز حكمه بالضعف واستئراء الولاءات العشائرية وتراجعاً في النمو الاقتصادي.

* عبد الرحمن النقيب (١٨٤٥ - ١٩٢٧):

سياسي عراقي. عميد الأسرة الكيلانية ونقيب اشراف بغداد. وقع اختيار الانكليز عليه ليكون أول رئيس وراة للحكومة المحلية بعد ثورة العشرين الوطنية في العراق. وفي عهد هذه الوزارة، تم اعلان العفر العام وإعادة المنفيين السياسيين وترويج الملك فيصل الاول ملكاً على العراق وعقد المعاهدة العراقية-البريطانية الاولى (١٩٢٢). بين ٢٧ تشرين الاول ١٩٢٠ و ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٢، ألغى النقيب ثلاث وزارات.

* عبد السلام عارف (١٩٢١ - ١٩٦٦):

عسكري وسياسي عراقي. ولد في بغداد. التحق بالأكاديمية العسكرية ١٩٣٨-١٩٤١ وبكلية الأركان. خدم في



عبد الكريم قاسم (الى يمين الصورة) وعبد السلام عارف.

في انكلترا ١٩٥٠. شارك في حرب فلسطين ١٩٤٨. انضم إلى تنظيم الضباط الاحرار، وانتخب بحكم رتبته وأقدميته رئيساً للجنة العليا للتنظيم.

أشرف، بالتعاون مع عبد السلام عارف، على تخطيط وتنفيذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قضت على النظام الملكي، وأصبح قاسم قائداً عاماً للقوات المسلحة ورئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع. وعندما بدأ الصراع بين التيارات والشخصيات العقائدية والسياسية، مباشرة بعد نجاح الثورة، لتحديد اتجاه النظام الجمهوري الجديد وهويته، استغلت الفئات المعادية للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي، غموض اتجاهات قاسم وأذكت الطموح الشخصي عنده رافعة شعار «ماكو زعيم إلا كريم، جمهورية لا إقليم». وقد أدى التشجيع الشيوعي والاقليمي له إلى الاصطدام بحزب البعث والعناصر القومية العربية في الجيش، فأبعد حليفهم في السلطة، ونائبه، عبد السلام عارف عن مراكز السلطة، ثم أحاله إلى المحاكمة، ونكل بكل خصومه في محكمة الثورة («محكمة المهداوي»)، وأطلق العنان للحزب الشيوعي، وجرت حوادث بالغة العنف ضد أخصامه وأخصام الحزب الشيوعي، خاصة ضد البعثيين.

وكننتيجة لذلك، حصل تمرد في الموصل (آذار ١٩٥٩) بقيادة العقيد عبد الوهاب الشواف وبمؤازرة الجمهورية العربية المتحدة. ولكن قاسم تمكن من سحقه والتكامل بالمتظاهرين المؤيدين لحركة الشواف. كذلك تعرض قاسم إلى حادث اغتيال على يد مجموعة من البعثيين

أصبح رئيساً للاركان في العهد الجديد. وأخذ عبد السلام عارف يعمل بهاء على التخلص من أركان التحالف العسكري المتنافر الذي أوصله للحكم. وفي غضون أربعة اشهر أخرج الضباط الأقوياء من البعثيين السابقين (حردان التكريتي وعبد الستار عبد اللطيف).

بعدها، أخذت الأمور تبدو كما لو ان السياسة الرسمية تتجه نحو خلق أوضاع مشابهة لتلك القائمة في مصر بهدف إقامة نوع من الوحدة بين مصر والعراق. وفي ٢٦ ايار ١٩٦٤، أعلن عن إقامة المجلس الرئاسي المشترك للتخطيط والتنسيق في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، بغية التوصل إلى الوحدة الدستورية بين البلدين. كما نص الاتفاق على إقامة الاتحاد الاشتراكي العربي-القطر العراقي، أسوة بمصر. وفي هذا الجو أعلنت حكومة بغداد تأميم البنوك وشركات التأمين والمؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى. غير ان رئيسي القطريين لم يهتموا سوى مرة أو مرتين، وكان شبح فشل تجربة الوحدة بين مصر وسورية خيفاً على قناعاتهما الوحديّة. كذلك فإن قرارات التأميم لم يكتب لها النجاح، وسجلت ركوداً اقتصادياً طبع العهد العارفي.

وحاول عبد السلام عارف الاحتفاظ بالتحالف مع بعض الضباط الناصريين رغم الخلاف مع حركة القوميين العرب. فعين عارف عبد الرزاق قائداً للقوة الجوية ثم رئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع، وعبد الرحمن البزاز نائباً لرئيس الوزراء. وأثناء حضوره مؤتمر قمة الدار البيضاء (ايلول ١٩٦٥) حاول الضباط الناصريون وحركة القوميين العرب القيام بانقلاب. لكن المحاولة فشلت، إذ تنبه لها خصومهم، لا سيما سعيد الصليبي، قائد حامية بغداد والقريب عشائرياً لعبد السلام عارف. وبعد ذلك، اتخذ حكم عبد السلام عارف طابع النظام الشخصي المحافظ. وعندما قام البعثيون بمحاولتهم أيضاً لاستلام الحكم في ٤ ايلول ١٩٦٥، اعتقل الآلاف منهم. وفي ١٣ نيسان ١٩٦٦، قضى عبد السلام عارف بمحادث طائرة أثناء تحواله فوق منطقة القرنة في جنوبي العراق وسط عاصفة رملية (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٣، ط١، ١٩٨٣، ص٨٣٤-٨٣٦).

* عبد الكريم قاسم (١٩١٤-١٩٦٣):

عسكري وسياسي عراقي. ولد في بغداد من أب عربي وأم كردية. التحق بالأكاديمية العسكرية في ١٩٣٢-١٩٣٤، وبكلية الاركان ١٩٤٠-١٩٤١، وبمدرسة كبار الضباط

(راجع «صدام حسين» في هذا الباب) نجح منه بأعجوبة. ويرجح انه نتيجة تفرده بالحكم، وتركيز الشيوعيين وغيرهم من مناهضي التيار الوندوي العربي، على تمجيد شخصه («الزعيم الأوحده») إضافة إلى ضحالة ثقافته أصيب بداء العظمة، وهذا ما يستفاد من أقوال المقرين منه من أمثال محمد حديد، وزير المالية، وهاشم جواد وزير الخارجية في عهده.

أما علاقته بالشيوعيين الذين حاولوا ان يوطدوا مكانتهم تحت راية تأييده على انه «الزعيم الأوحده» ومن خلال تصفية خصومهم بالعنف والتسلل إلى المراكز المهمة في الجيش والدولة، فقد انقلب قاسم عليهم عندما أخذ تطرفهم العنفي (خاصة بعد أحداث كركوك، تموز ١٩٥٩) يستنفر الرأي العام ضدهم في الوقت الذي ازداد فيه طموحهم للمشاركة في السلطة بعد أحداث الموصل (حركة عبد الوهاب الشواف)، فشق صفوفهم وهاجمهم علناً وقام بحملة تطهير ضدهم.

من أشهر إجراءاته قانون الإصلاح الزراعي الذي أعلن في ايلول ١٩٥٨، وقانون رقم ٨٠ الخاص بتقليص مساحة الامتياز لشركة نفط العراق بنسبة ٩٠٪ الصادر في كانون الاول ١٩٦١. كما حاول التقرب من سكان الضرائف الفقراء في بغداد عن طريق بناء ضاحية بعشرة آلاف بيت أسماها «مدينة الثورة»، ومن الطبقات الوسطى والصناعية الغنية بواسطة وزير مالىته ومستشاره الاقتصادي محمد حديد. إلا انه ظل يفتقر إلى قاعدة سياسية وتنظيمية راسخة، وبقي في صف خصوم التيار الوندوي العربي، ولم يتمتع الشعب العراقي في ظله بحكم القانون أو بنمو المؤسسات الدستورية والشعبية. وقد مكّن ذلك كله حزب البعث من تنظيم حركة عسكرية-مدنية في ٨ شباط ١٩٦٣، نجحت في إطاحة حكمه وتقليده لحكمة عسكرية قضت باعدامه فوراً (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٣، ط١، ١٩٨٣، ص٨٤٢-٨٤٣).

من النقاط البارزة في سياسة عبد الكريم قاسم اعلانه، في ١٩٦١، ان الكويت جزء من العراق، وذلك على اثر موافقة بريطانيا على اعلان استقلال المشيخة. فبعث بالقوات العراقية لرباط عند الحدود مع الكويت، مما وتر الاحواء في المنطقة العربية، خاصة وان السلطات الكويتية سارعت إلى طلب النجدة من الانكليز. وهنا تحرك الرئيس المصري جمال عبد الناصر لـ «تجمي الكويت من أطماع قاسم» على حد تعبير الصحافة المصرية يومذاك، ولخشيتته من ان يؤدي استفراد الانكليز بحماية الكويت إلى

عودتهم القوية إلى المنطقة، إضافة إلى عدائه الشديد لقاسم. وجاء موقف عبد الناصر هذا ضد موقف موسكو التي كانت قد وضعت فيتو في مجلس الأمن ضد استقلال الكويت. لكن الجامعة العربية سارعت إلى الرد بقبول الكويت في عضويتها شرط ان يتم إبدال القوات الانكليزية بقوات عربية مشتركة تتولى حماية الكويت من عبد الكريم قاسم. وبعد سقوط قاسم، اعترفت الحكومة العراقية باستقلال الكويت.

من النقاط التي تسجل لعبد الكريم قاسم، رغم دكتاتوريته، انه لم يعتمد على أخوة أو أقارب في دعم نظامه. وهذا ما لفت إليه الكاتب العراقي نبيل ياسين-في معرض المقارنة مع الرئيس الحالي صدام حسين وما منحه لابنه عدي خاصة ولأفراد من أسرته وعائلته من سلطات ومكاسب-بقوله: «هل يعرف العراقيون أو العرب أن لعبد الكريم قاسم أماً أكبر اسمه عبد اللطيف ظل نائب ضابط في الجيش حتى مقتل عبد الكريم؟» («الحياة»، ٤ آذار ١٩٩٣، ص ١٠).

* عبد المحسن السعدون (١٨٧٩-١٩٢٩): سياسي عراقي. ولد في الناصرية من أسرة عربية نافذة حكمت مقاطعة المنتفق (منطقة واسعة تقع في الشمال الغربي للبصرة). التحق بـ «مدرسة العشائر» في اسطنبول، ثم دخل المدرسة الحربية العالية مع أخيه عبد الكريم. بعد تخرجهما، اختارهما السلطان عبد الحميد الثاني مرافقين له ومنحهما رتباً إضافية، على اثر ثورة الاتحاد والترقي أنزل الاتحاديون رتبته، فقدم استقالته وعاد إلى بغداد. ثم ما لبث ان والى الاتحاديين وانتسب إلى جمعيتهم، فأصبح نائباً في مجلس «المبعوثان» حتى ١٩١٩، وتميزت سياسته فيه بالابتعاد عن أقرانه العرب وممالأته للاتراك. والأمر نفسه تكرر مع الانكليز، فنال دعمهم، وكان وزيراً في حكومات عبد الرحمن النقيب، حيث كان في مقدمة الساعين لتحرير المعاهدة الانكليزية-العراقية لاقتناعه بأن عناصر قيام حكم وطني استقلالي لم تكن متوافرة، وبأن الاخطار التركية على الموصل، والايروانية على العتبات الدينية المقدسة، والخلافات بين العائلة الهاشمية والعائلة السعودية تتطلب مساعدة بريطانيا والتفاهم معها.

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢، شكل وزارته الاولى، فعمل على تثبيت انتماء الموصل للعراق، وعردة الشخصيات المنفية، والتخفيف من نفوذ المفتشين الاداريين البريطانيين، وتوصل إلى بروتوكول يقضي بوجوب انتهاء

اللواء من الضباط الأحرار)، أخذت الأوضاع تتأزم في المدينة التي شهدت مهرجاناً في ذكرى الجلاء عن بور سعيد حاول الشيوعيون وأنصار قاسم إفساده بتوزيع المنشورات ضد الجمهورية العربية المتحدة بعد أن كان الرئيس عبد الناصر قد هاجمهم في هذه الذكرى (٢٣ تشرين الأول ١٩٥٨). ثم أخذت صحف الحزب الشيوعي تهاجم الشواف وضباط اللواء الخامس مطالبة قاسم بالتخلص منهم؛ وتلا ذلك إعلان الحزب الشيوعي أنه سيعقد مؤتمراً للسلام في الموصل. فزار الشواف عبد الكريم قاسم، أكثر من مرة، لاقناعه بالاقلاع عن هذا «التحدي» الموجه للمدينة وإلغاء المؤتمر. فكان جواب قاسم أن المؤتمر سوف يعقد في موعده (٦ آذار ١٩٥٩) وأن الشواف يتحمل مسؤولية أي حادث يعرقل المؤتمر.

وفي الموعد المحدد، تجمع المسلحون حول ثكنات الجيش في الموصل وأطلقوا النار عليها. وخرج الجيش من ثكناته وردّ على النار. وفي اليوم التالي، صدر عن اللواء الخامس البيان الأول لثورة الموصل التي سميت أيضاً «ثورة الشواف»، والتي كانت انتفاضة محلية أكثر من كونها عملاً مخططاً. وبدأت المواجهة بمقتل القيادي الشيوعي كامل قازنجي. وأفضى الشواف إلى ضباطه بأن المعركة يائسة، إلا في حالة الصمود لمدة أربعة أو خمسة أيام ريثما يتاح للجيش العراقي بأن يتحرك دعماً له. ولكن، سرعان ما ظهر الطيران الحربي فوق الموصل وقصف تجمعات الوحدات فيها، ولم يكن لدى اللواء الخامس وسائل دفاع جوي فعال. وأصيب الشواف بجراح، فسارع إلى المستشفى حيث طلب من ممرض كان هناك أن يضمّد له جراحه. فتعرّف الممرض إليه وعاجله من مسدسه طمعاً في الحصول على جائزة مالية أعلنت عنها الإذاعة العراقية لمن يأتي بالشواف حياً أو ميتاً. وأعقب هذا الاغتيال مذابح كبرى في الموصل، وكانت خاتمة مفاجئة لثورة الشواف. ثم عقدت بعد ذلك محاكمات أسفرت عن حكم بالاعدام في ١٦ أيلول ١٩٥٩ صدر عن المحكمة العسكرية الخاصة (محكمة المهداوي) على عدد من الضباط.

* عزت إبراهيم الدوري (١٩٤٢-): سياسي عراقي، من وسط فلاحية فقيرة. درس في قضاء سامراء وبغداد، وانتسب لحزب البعث. اعتقل في ١٩٥٩ و١٩٦٢، وسجن على أثر حركة تشرين الثاني ١٩٦٣ وحتى ١٩٦٧. بعد حركة ١٧ تموز ١٩٦٨، عين رئيساً للجنة العليا للعمل الشعبي وأصبح عضواً في القيادة القطرية

المعاهدة الانكليزية-العراقية عندما يصبح العراق عضواً في عصبة الأمم، وتمكن من كسر شوكة نفوذ رجال الدين، وخصوصاً الإيرانيين منهم (بدعم من الملك والانكليز)، وتوصل إلى اتفاق مع ابن سعود بخصوص تعيين الحدود بين العراق وسنجد. لكن الازمة الاقتصادية والمعارضة التي كانت ترى فيه مطيحاً للارادة الانكليزية في نهاية الأمر دفعته لتقديم استقالته في تشرين الثاني ١٩٢٣.

في ١٩٢٤، انتخب السعدون رئيساً للمجلس التأسيسي. فأيد التصديق على المعاهدة مع بريطانيا (رغم المعارضة الشعبية لها) مقابل تعهد بريطانيا بالمحافظة على حقوق العراق في ولاية الموصل. وأسندت إليه وزارة الداخلية في حكومة ياسين الهاشمي (آب ١٩٢٤)، وأشرف على انتخابات مجلس الأمة، فجاءت، وبدخل منه، بأكثرية لمصلحة حزبه «حزب التقدم» ضد «حزب الأمة» (برئاسة الهاشمي) فشكل وزارته الثانية التي استمرت حتى تشرين الثاني ١٩٢٦ حين استقالت بسبب الخلاف الناشب بينه وبين رشيد عالي الكيلاني الذي انتخب رئيساً لمجلس الأمة، وبسبب الانشقاقات في حزب التقدم.

عاد وشكل حكومته الثالثة في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨. وبتأييد من الملك فيصل، اصطدم بالانكليز حول العديد من القضايا التي تمس المصالح العراقية، خصوصاً لجهة تقوية الجيش العراقي. وعلى أثر ظهور الاتفاقية الانكليزية-المصرية في صيف ١٩٢٩، ارتفعت آمال العراقيين بنيل الاستقلال وألح الملك على السعدون بتشكيل الوزارة للمرة الرابعة. فشكلها، بعد تردد، في ١٩ أيلول ١٩٢٩. وكانت الوزارة التي برز من خلالها كداعية حقيقي للاستقلال. أما انتحاره، باطلاق النار على نفسه في ١٣ كانون الأول ١٩٢٩، فلم يعط لها المؤرخون، حتى الآن، من اسباب سوى انه كان يعيش في حالة نفسية سيئة تفاعلت فيها المضاعف السياسية (في مقدمتها خيبته المريعة من الانكليز) والمضاعف العائلية والنفسية التي كان يعيشها على المستوى الشخصي.

* عبد الوهاب الشواف (١٩٥٩-): عسكري عراقي. أحد أعضاء الهيئة العليا للضباط الأحرار الذين أطاحوا بالحكم الهاشمي (١٤ تموز ١٩٥٨).

مع استفحال الخلاف بين عبد الكريم قاسم وأنصار الفكرة الوحوية العربية من ضباط ومدنيين، ومع وجود العقيد الركن عبد الوهاب الشواف آمر اللواء الخامس ومركزه مدينة الموصل (وكان معظم ضباط هذا



عزيز محمد.

* عزيز محمد (١٩٢٤-): سياسي عراقي. سكرتير الحزب الشيوعي العراقي من ١٩٦٤ إلى ١٩٩٣. ولد لعائلة فلاحية في قرية قريبة من مدينة أربيل في كردستان العراق. أدخل الكتاب، وفيه تعلّم القراءة والكتابة (القرآن وبعض قواعد اللغة العربية)، ثم دخل المدارس الحكومية في النصف الأول من الثلاثينات، ولم يتجاوز تعليمه الدراسة الابتدائية لظروف العائلة الاقتصادية الصعبة؛ فاشتغل مستخدماً في دوائر الدولة حتى استقال منها للانصراف للعمل الحزبي. أمضى في السجن عشر سنوات (١٩٤٨-١٩٥٨)، أنشئت أثناءها، وفي السجن «صفوف لدراسة الاقتصاد السياسي وتاريخ الحركة الثورية العالمية واللغة العربية. وعهد التدريس فيها إلى رفاق مثقفين من أمثال حسين الشيبسي ومحمد حسين أبو العيسى وغيرهما. بل أكثر من ذلك أنشأنا صفًا لتدريس اللغة الانكليزية. وكنا نحرص على ان تكون لدينا مكتبة لشتى فروع المعرفة. وفي السجن استطعت ان أقرأ طه حسين ونجيب محفوظ، والكثير الكثير من الروايات المترجمة من الأدب العالمي، خصوصاً الأدب الروسي والسوفيياتي؛ مكسيم غوركي، تولستوي، تورجنييف، شولوخوف، رسول حمزاتوف وناظم حكمت، ونشطت حركة الترجمة في السجن... وكنا نصدر نشرات ثقافية ومجلات داخل السجن يحررها السجناء الذين أصبحوا في ما بعد كتاباً وصحافيين مرموقين... ولا بد من ذكر نواح أخرى في حياة السجن كالرياضة التي كانت يومية يمارسها الجميع...».

لحزب البعث، وقبل نهاية ١٩٦٩ أصبح عضواً في مجلس قيادة الثورة، وفي نهاية السنة نفسها عين وزيراً للإصلاح الزراعي، ثم وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي بعد دمج الوزارتين في ١٩٧٢. ترأس محكمة خاصة لمحكمة ناظم كزار في مطلع تموز ١٩٧٣. وفي ١٩٧٤، أعيد انتخابه عضواً في القيادة القطرية للحزب. وفي تشرين الثاني ١٩٧٤، عين وزيراً للداخلية. ولدى تسلم صدام حسين منصب رئاسة الجمهورية في ١٦ تموز ١٩٧٩، عين عزت ابراهيم نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، وزار العديد من الدول العربية والاجنبية بهدف تطوير علاقات العراق معها.

* عزيز الحاج علي حيدر: سياسي شيوعي، ومفكر وأديب عراقي. ولد في بغداد من أصل كردي وفي عائلة بورجوازية صغيرة. أكمل تحصيله العالي في دار المعلمين العالية في بغداد، وعمل مدرساً للانكليزية في المدارس الثانوية في مدينة الكوت (محافظة واسط). انضم إلى الحزب الشيوعي في ١٩٤٦. اعتقل في ١٩٤٨، وحكم عليه بالسجن المؤبد، وأفرج عنه بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. كتب مئات المقالات والعديد من الدراسات في مجلة الحزب «اتحاد الشعب»، وانتخب في ١٩٥٩ مرشحاً للجنة المركزية. سافر إلى موسكو وواصل فيها تعليمه الماركسي-اللينيني. أبدى منذ ١٩٦٤ معارضته لسياسة قيادة الحزب في تأييدها للحكم العارفي. انتخب في ١٩٦٧ عضواً في المكتب السياسي، واشتدت خلافاته مع قيادة حزبه حول جملة من المواضيع الفكرية والتنظيمية والسياسية. قاد حركة انشقاق في الحزب الشيوعي العراقي (١٧ ايلول ١٩٦٧)، وعرفت حركته بـ«الحزب الشيوعي العراقي-القيادة المركزية»، وتميزت بدعوتها إلى الاستقلالية في الحركة الشيوعية وإلى الأخذ بالمنطلق القومي في القضية الفلسطينية. اعتقل في اواخر ١٩٦٨. وفي آذار ١٩٦٩، أدلى بتصريحات علنية ونشر مقالات في الصحف ينتقد فيها الخط السياسي المتشدد الذي انتهجه حزبه تجاه حزب البعث، وترك نهائياً كل عمل حزبي منظم.

عين في اوائل ١٩٧١ ممثلاً دائماً للعراق لدى منظمة الأونيسكو، وانتخب في ١٩٧٨ عضواً في مجلسها التنفيذي، وترأس في داخلها المجموعة العربية لعدة سنوات، ثم مجموعة ال-٧٧. وأكمل تعليمه العالي بالحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون، وواصل الكتابة وإعداد الدراسات ونشرها.

داخل القيادة القطرية آنذاك. اتهم بالتحقيق القاسي والثأري مع الشيوعيين، وبمواقف متطرفة ساهمت في تفاقم الانقسامات البعثية وضيق الحكم (١٩٦٣) والتحالف مع بعض الكتل اليسارية خارج العراق. حاول، مع بعض الحزبيين العراقيين القيايين تعطيل انعقاد المؤتمر القومي السابع (١٩٦٤) الذي انعقد في دمشق، إلا أنه فشل في مسعاه. ونتيجة لعدم انضباطه فصل من الحزب، فحاول تشكيل تنظيمات سياسية منافسة ولكنه فشل أيضاً. عين بعد ثورة تموز ١٩٦٨، سفيراً في وزارة الخارجية كنوع من التقدير لدوره قبل حركة ٨ شباط ١٩٦٣ (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج ٤، ط ٢، ١٩٩٠، ص ١٨٦-١٨٧).

* غازي بن فيصل، الملك (١٩١٢-١٩٣٩):

ملك العراق. ابن الملك فيصل الأول وأبو الملك فيصل الثاني. ولد ونشأ في مكة. قصد بغداد في ١٩٢٤ بعد تسميته ولياً للعهد في المملكة العراقية. أوفد إلى هارو في انكلترا للدراسة، فأقام فيها سنتين عاد بعدها إلى بغداد وتخرج في المدرسة العسكرية. تولي تصريف شؤون البلاد في غياب أبيه في ١٩٣٣، فوقعت «فتنة الأشوريين». فاتخذ منها موقفاً حازماً. نودي به ملكاً في السنة نفسها (١٩٣٣) على أثر موت والده. تبرم من هيمنة ياسين الهاشمي على الحكم وصادق الفريق بكر صدقي، الأمر الذي شجع الأخير على القيام بانقلابه ١٩٣٦-١٩٣٧. وأخذ الملك الشاب يقرب نفسه من الناس الذين أحنوا يعتقدون أنه على خلاف مع الانكليز. وعندما قُتل على أثر اصطدام لسيارته، مال الناس إلى الاعتقاد بأنه حادث مدبر من قبل الانكليز (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج ٤، ط ٢، ١٩٩٠، ص ٢٨٣). وأكثر السير المنشورة عن حياة الملك غازي ومقتله تفيد أنه كان من انصار ضم الكويت إلى العراق، وأنه كان يستقبل على الدوام شباناً كويتيين يطالبونه بتحقيق ذلك، علماً أن الانكليز كانوا يعتبرون هذا المطلب من التحديات الكبرى، المرفوعة في وجههم. وفي مقالة مطولة لرياض نجيب الرئيس («السفير»، ٤ أيلول ١٩٩٥، ص ١٤) جاء: «أما الكويت فلم تنس أن أول من طالب بها واعتبرها جزءاً لا يتجزأ من العراق وأقام إذاعة لهذا الغرض، وأعد لغزوها واحتلالها، لم يكن عبد الكريم قاسم في العام ١٩٥٨، بل الملك غازي ملك العراق في العام ١٩٣٧. ولم يردعه عن هذا العمل إلا الوجود العسكري لبريطانيا في بلاد الرافدين وتهديد المنسوب السامي البريطاني في بغداد».

في ١٩٥٨، وبعد خروج عزيز محمد من السجن، انتدب لعضوية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. وفي ١٩٦٤، انتخب سكرتيراً للجنة المركزية للحزب، وبقي في هذا المنصب حتى المؤتمر الوطني الخامس للحزب في تشرين الأول ١٩٩٣، حين طلب إعفاهه من مهامه القيادية، فانتخب المؤتمر حميد محمد موسى لهذا المنصب.

انتسب عزيز محمد إلى الحزب الشيوعي العراقي في شتاء ١٩٤٥-١٩٤٦ بعدما سرّ بتشكيلات ماركسية أخرى مثل «جمعية الشعب» و«وحدة النضال» وحزب «شورش» (الثورة). وكان الحزب، في هذا الوقت، يشهد نهوضاً قوياً بعد الحرب العالمية الثانية (عن مقابلة شخصية مع عزيز محمد، «الوسط»، العدد ٢٨٨، تاريخ ٤ آب ١٩٩٧، ص ٣٠-٣١) (راجع: «الحزب الشيوعي العراقي» في باب الأحزاب).

* علي جلودت الأيوبي (١٨٨٦-١٩٦٩):

عسكري وسياسي عراقي. ولد في الموصل وتخرج في الكلية العسكرية في استنبول. انضم إلى الثورة العربية الكبرى (١٩١٦). عين حاكماً لحلب أيام الحكم الفيصلي، ورحل مع فيصل إلى العراق حيث تقلب في مناصب وزارية عدة حتى أصبح رئيساً للوزارة ١٩٣٤-١٩٣٥، ورئيساً لمجلس النواب ١٩٣٥. غادر العراق على أثر ثورة الكيلاني، ثم عاد بعد أن نجح الانكليز في سحقها وأصبح وزيراً للخارجية ١٩٤٨-١٩٤٩، ورئيساً للوزراء ١٩٥٧. استقر في لبنان بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

* علي صالح السعدي (١٩٢٨-١٩٨٠):

سياسي عراقي. ولد في بغداد من عائلة فلاحية كردية فريلية مستعربة. انتسب إلى كلية التجارة في مطلع الخمسينات. انتسب إلى حزب البعث وأصبح من قياديه الرئيسيين بعد ثورة تموز ١٩٥٨ بفضل شجاعته وبقائه في العراق بعد أن اضطر العديد من قادة الحزب إلى الهرب خارج البلاد إثر المد الشيوعي ومحازر الموصل وكركوك في ١٩٥٩. شارك في المؤتمر القومي الخامس، فعارض فيه اتجاه بعض القيايين البعثيين نحو الماركسية. أصبح أمين سر القيادة القطرية للحزب ١٩٦٠-١٩٦٣، وشارك في التخطيط لحركة ٨ شباط ١٩٦٣، ولكن السلطات قبضت عليه قبل شهور من تنفيذ الخطة. عين وزيراً للداخلية ونائباً لرئيس الوزراء في وزارة البعث ١٩٦٣، ولعب دوراً رئيسياً



فاضل الجمالي.

رأسه من الاعدام، وخفضت الاحكام إلى عشر سنوات، ثم أطلق سراحه في ١٩٦١. اختار تونس منفى له. ومنحه الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة درجة المواطنة ووسام الاستحقاق وسمى شارعاً باسمه. توفي في ٢٤ ايار ١٩٩٧ في أحد مستشفيات تونس ودفن بعيداً عن وطنه الذي لم يزره ولو مرة واحدة منذ غادره في ١٩٦١.

كان الجمالي مدركاً ان العراق الحديث، الذي هو ثمرة وحدة ولايات البصرة وبغداد والموصل العثمانية سابقاً، بحاجة إلى دعم دولي للوقوف على قدميه من ناحية وحماية كيانه من جيران طالما كانت ارض العراق ميداناً لحروبهم وغزواتهم. ويقول إنه لولا التحالف مع بريطانيا لما تمتع العراق بحال من الاستقرار دامت حوالي اربعة عقود تم فيها رسم حدود البلاد مع معظم جيرانه، الأمر الذي كان له الفضل في تفرغ العراق للبناء حتى أصبح على رأس دول العالم الثالث المرشحة للانتماء للعالم الاول.

عند اشتداد الحرب الباردة، كان خيار الجمالي واضحاً بالانحياز إلى الغرب، وكان صريحاً في اجتماعات باندونغ ومحادثاته مع جمال عبد الناصر. ورغم اختلافه مع عبد الناصر إلا أنه كان ضد الثورط في صراع بين البلدين، ووقف علناً في الجمعية العامة للأمم المتحدة يدين العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦. ويبدو ان هذه الوقفة كانت وراء برقية جمال عبد الناصر لعبد الكريم قاسم، قائد ثورة تموز ١٩٥٨، يرجو فيها عدم تنفيذ حكم الاعدام بالجمالي. ورداً على ما كان يُتهم به من «عمالة» للولايات المتحدة، كتب الجمالي اخيراً في هذا الشأن يقول: «علاقتي بالولايات المتحدة هي علاقة ثقافة وصداقة عمرها ٧٣ سنة، وعلاقتي بالسياسة الخارجية الاميركية علاقة الصديق مع الصديق، اقترح وانتقد ولا أسكت إذا اعتدي على أممي خاصة والانسانية عامة، وعندما كنت العربي النادر الذي يخاطب الاميركان مخاطبة الند للند وليس مخاطبة الضعيف للقوي. لم أسكت على الظلم الذي ألحقوه بالشعب الفلسطيني في إنحيازهم المفرط لاسرائيل. كما لم أسكت على المظالم التي أوقعوها على الشعب العراقي». وطالت انتقاداته الامم المتحدة كذلك: «أنا عضو مؤسس للأمم المتحدة، وأنا أحد اثنين ما زالا على قيد الحياة من الذين صاغوا ميثاق الامم المتحدة ووقعوا عليه في سان فرانسيسكو العام ١٩٤٥... فنحن حينما وقعنا على الميثاق وأقررنا مبادئ الامم المتحدة لم نوقع على منحها صلاحية قتل الشعوب وفرض الحصار والعقوبات غير الشرعية على الدول وشن الهجوم عليها... ما يحصل الآن خرق فاضح

* فاضل الجمالي (١٩٠٣-١٩٩٧): معروف

ايضاً به محمد فاضل الجمالي. سياسي عراقي. ولد في مدينة الكاظمية (قرب بغداد) لأسرة دينية ملتزمة. والده هو الشيخ عباس الجمالي الذي كان رجل دين معروفاً.

درس فاضل في مدرسة الإمام الخالصي وفي دار المعلمين في بغداد، وأجاز له الشيخ مهدي الخالصي السفر للدراسة في الجامعة الاميركية. فالتحق بالجامعة الاميركية في بيروت (١٩٢٢) وتخرج منها في ١٩٢٧، ثم غادر إلى الولايات المتحدة لاكمال دراسته. حاز على الاستاذية وشهادة الدكتوراه في ١٩٣٢ من جامعة كولومبيا. وكانت رسالته لنيل الماجستير والدكتوراه في التربية وعلم النفس. عاد إلى العراق ليعين مرشداً عاماً ثم مديراً للمعارف حتى ١٩٤٢. في ١٩٤٣، نُقل إلى وزارة الخارجية وتولى حقيبتها لماني مرات في حكومات عدة. ترأس مجلس النواب مرتين. وتولى رئاسة الوزارة مرتين خلال العهد الملكي، كانت الاولى في ١٧ ايلول ١٩٥٣ واستقالت حكومته في ٢٧ شباط ١٩٥٤. وشكل حكومته الثانية في ٨ آذار ١٩٥٤ واستقالت في ١٩ نيسان ١٩٥٤.

ألقي القبض عليه في ١٩٥٨ وأحيل إلى «محكمة المهداوي» فوجهت إليه تهمة شتى، منها انه كان يسعى لوحدة سورية والعراق، وحُكم عليه بالاعدام والسجن ٥٥ عاماً مع غرامة مالية قدرها ٢٠٠ ألف دينار. وكانت شفاعته ملك المغرب لدى عبد الكريم قاسم هي التي أنقذت

سعيد أحد أعضائها. في أوائل ايار ١٩٤١، أي في الأيام الأولى من الحرب العراقية-البريطانية، نشر فهمي سعيد قواته على التلال المحيطة بقاعدة الحباينة، ولم يُعرف إلى اليوم سبب تأخره مدة يومين عن مهاجمة القاعدة، الأمر الذي مكّن القوات البريطانية المحاصرة في القاعدة من تنظيم هجوم جوي شديد كان له الدور الأساسي في هزيمة الجيش العراقي. في ٣٠ ايار ١٩٤١ غادر فهمي سعيد ورفاقه العراق متوجهين إلى إيران. وفي اليوم التالي، تم توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار بين العراق وبريطانيا. وألقت السلطات الايرانية على فهمي سعيد وعمود سلمان وآخرين في آب ١٩٤١ وسلمتهم إلى السلطات البريطانية التي احتجزتهم في جنوب افريقيا نظراً إلى امتناع جميل المدفعي، رئيس الوزراء العراقي آنذاك تسلمهم حفاظاً على حياتهم. ثم سلمهم الانكليز إلى السلطات العراقية في ربيع ١٩٤٢ بعد أن تولى نوري السعيد رئاسة الحكومة. وأعدم فهمي سعيد مع العقيد عمود سلمان والحامي يونس السبعوي في ٥ ايار ١٩٤٢.

* فيصل الاول، الملك (١٨٨٥-١٩٣٣): ابن

الشريف حسين بن علي أمير مكة. تلقى تعليمه في اسطنبول. انتخب عضواً في مجلس «المبعوثان» العثماني. بعد سقوط حكمه في دمشق (راجع «سورية»، ج ١٠) ولأه الانكليز ملكاً على العراق (١٩٢١-١٩٣٣، راجع «الملكية في العراق» في باب معالم تاريخية)، فانصرف إلى اصلاح الداخلي بوضع دستور للبلاد، وأنشأ مجلس الأمة، وأقام العلاقات بين العراق وبريطانيا على أساس معاهدات ١٩٢٢ و ١٩٢٦-١٩٢٧ و ١٩٣٠، وأصلح ما بين العراق وجيرانه خاصة بلجهة ترسيم الحدود.

إن أكثر ما أثير اللغط حوله في سياسة فيصل لا يتعلق بفترة وجوده وحكمه في سورية ولا بعد ذلك في العراق، بل بفترة تحرّكه الدبلوماسي والسياسي في أوروبا (وكان لا يزال أميراً يعمل على إقناع بريطانيا بتنفيذ وعودها لأبيه الشريف حسين) خاصة في موضوع اجتماعه بالزعيم الصهيوني وايزمن مرة في العقبة (صيف ١٩١٨)، ومرتين في لندن (في فندق كارلتون ١١ كانون الاول ١٩١٨، ثم في ٣ كانون الثاني ١٩١٩)، وتوقيع اتفاقية معه.

حول هذه الاجتماعات يقول سليمان موسى في كتابه «الحركة العربية» أن فيصلاً حاول، في اجتماع العقبة، ان لا يتطرق إلى الامور السياسية مكتفياً بإبداء

لكل المبادئ والاعراف والقوانين الدولية. لهذا أطالب الامم المتحدة بالعودة إلى صيغة الميثاق وعدم الانجرار وراء سياسات الولايات المتحدة التي تفرض عليها ارادتها وتسبب في انحرافها عن الاهداف التي من أجلها أنشئت».

وإذا كان الجمالي قد عانى، في اواخر ايامه، من الخيبة في السياسة الاميركية، فإن خيبته من الاطروحات والممارسات القومية العربية لم تكن اقل. فقد كتب يقول: «إنه مما يؤلم القومي العربي أشد الألم ان يرى انه مضطر إلى ان يتوقف ثمانى مرات في سفرة بين عمان وبيروت في العهد الوطني بعد ان كان يمر بسهولة في ايام الاحتلال الاجنبي».

ترك مؤلفات شتى وعشرات المقالات في الصحف، ومن كتبه:

- العراق الجديد، مشكلة تربية العشائر البدوية فيه (أطروحة للدكتوراه باللغة الانكليزية).

- التربية والتعليم في تركيا الحديثة.

- اتجاهات التعليم في ألمانيا وانكلترا وفرنسا.

- الخطر الصهيوني.

- مواقف وعبر في القضية الفلسطينية.

- فلتشرق الشمس من جديد على الأمة العربية، وهو آخر كتبه وطبع في ١٩٩٦ (عن «الوسط»، العدد ٢٨٥، تاريخ ١٤ تموز ١٩٩٧، ص ٣٣-٣٧) و«الحياة»، تاريخ ٢٦ ايار ١٩٩٧).

* فهمي سعيد (١٨٩٨-١٩٤٢): عسكري

وسياسي عراقي. أحد ضباط ثورة ١٩٤١. ولد في السليمانية من قبيلة «العنكب» في الفرات الاوسط. عمل في الجيش العثماني، ثم الجيش السوري إبان حكم فيصل، ثم التحق بالجيش العراقي. عارض انقلاب بكر صدقي الذي أطاح وزارة ياسين الهاشمي في ١٩٣٦، وكان واحداً من تكتل من الضباط يضم صلاح الدين الصباغ وعمود سلمان وكامل شبيب وآخرين. ثم شارك في تخطيط وتنفيذ عملية اغتيال بكر صدقي في ١١ آب ١٩٣٧. كما شارك في إرسال المتطوعين والدخائر لدعم ثورة الشعب الفلسطيني (١٩٣٦-١٩٣٩). بدأ، ورفاقه الضباط الثلاثة، في ١٩٣٧، بتكوين تنظيم سري حمل اسم «حزب الاستقلال العربي»، أسندت زعامته، في ١٩٤١، إلى الحاج أمين الحسيني.

عند تشكيل «حكومة الدفاع الوطني» (برئاسة

رشيد عالي الكيلاني) في ٣ نيسان ١٩٤١، كان فهمي



ليصل الاول.



غازي الاول.

ليصل الثاني.



سروره إزاء تصريحات لوايزمن قال فيها إن «اليهود لا يرمون إلى تأسيس حكومة يهودية في فلسطين ولكنهم يريدون أن يعمروا البلاد ويطوروها تحت الحماية البريطانية دون أن يتعدوا على أية مصالح مشروعة للآخرين». كما ارضاه أن يخبره وايزمن بأنه سوف يسافر قريباً إلى اميركا حيث سيستعمل «نفوذ اليهود مع الرئيس ولسون لمصلحة الحركة العربية».

أما اجتماع لندن (١١ كانون الاول ١٩١٨) الذي نظمته لورانس فاسفر عن توقيع اتفاقية «فيصل-وايزمن» في ٣ كانون الثاني ١٩١٩، وتنص على «القربة والصلات القدية بين العرب واليهود»، وعلى ضرورة التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين وإنشاء وكالات عربية ويهودية معتمدة في المنطقتين، وعلى أن يسود التفاهم بين الدولة العربية وفلسطين، وأن تقدم الضمانات لتنفيذ وعد بلفور، وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وحرية ممارسة العقيدة الدينية.

ويذكر سليمان موسى (في المرجع المذكور) أن فيصلاً أضاف إلى مواد الاتفاقية الثماني بخط يده هذه الفقرة (التي يتضح من تاريخها أنها أضيفت لاحقاً):

«إذا نالت العرب استقلالها كما طلبناه بتقريرنا المؤرخ في ٤ كانون الثاني ١٩١٩ المقدم لنظارة خارجية حكومة بريطانيا العظمى، فإنني موافق على ما ذكر في باطن هذا من المواد، وإذا حصل أدنى تغيير أو تبديل فلا أكون ملزماً أو مربوطاً بأي كلمة كانت بل تعد هذه المقالة كلا شيء ولا حكم لها ولا اعتبار ولا أطالب بأي صرة كانت». وجاء توقيع فيصل تحت هذا الكلام وجاء توقيع وايزمن تحت توقيع فيصل.

ويستند سليمان موسى بعد ذلك إلى المؤرخ البريطاني الشهير ارنولد توينبي ليقول بأن هذه الاتفاقية وصلت بعد ذلك بأيام إلى مؤتمر الصلح في فرساي مرفقة بنسخة من مذكرة فيصل إلى هذا المؤتمر، وبأن توينبي لاحظ أن وايزمن كان قد استعمل عبارتي «الدولة اليهودية» و«الحكومة اليهودية»، وهما العبارتان اللتان أبدلها فيصل بـ «فلسطين» و«حكومة فلسطين». ثم أن فيصلاً بعث برسالة إلى الحكومة البريطانية موضحاً: «وفي ما يتعلق بمسألة رضاي عن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فإنني اعتقد أن هناك شيئاً من سوء الفهم. إن كل ما وافقت عليه هو أن أحمي حقوق اليهود المقيمين في البلاد بمستوى المحافظة على حقوق السكان العرب الوطنيين، وأن أمنحهم الحقوق والامتيازات ذاتها».

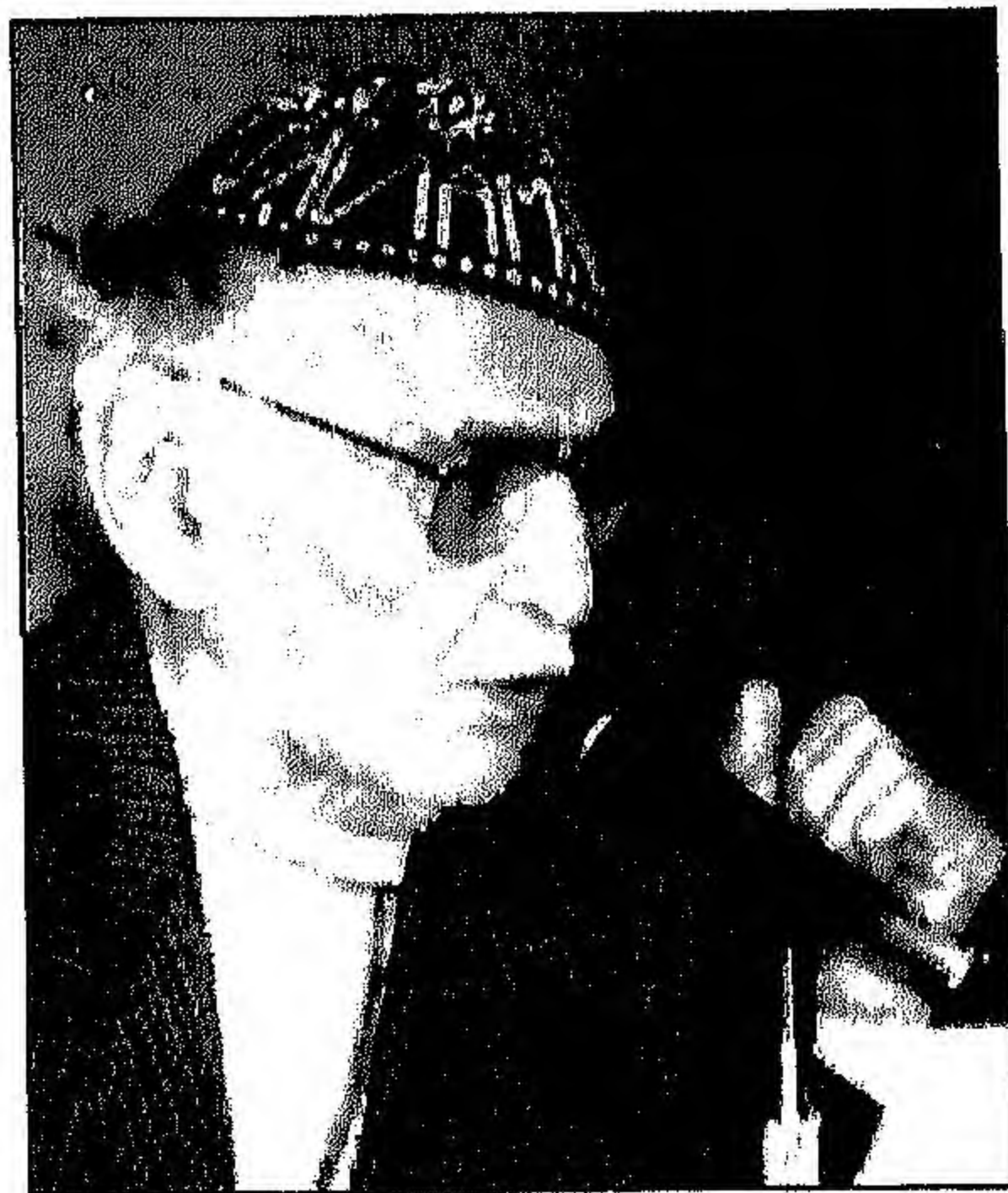


كامل الجادري.



معروف الرصافي.

محمد مهدي الجواهري.



وهذا ما عاد وأكدّه فيصل، بعد شهور قليلة من توقيع الاتفاقية في حديثه لصحيفة «جويش كرونايكل» اللندنية، وقال فيه إن «فلسطين بلد عربي منذ أقدم العصور، وكل شيء فيها جزء لا يتجزأ من حياة العرب، وأكثر من هذا ففلسطين جزء لا يتجزأ من سورية ويجب أن تبقى كذلك. ونحن العرب لا نستطيع أن نتخلى عن أن تكون فلسطين جزءاً من مملكتنا، وسنحارب حتى الخندق الأخير ضد أي مشروع يرمي إلى فصل فلسطين عن المملكة، ومن أجل سيادة العرب على تلك الأرض. صحيح أن بإمكان اليهود أن يتمتعوا في فلسطين بحقوق وامتيازات متساوية مع العرب ولكن فلسطين أرض عربية ويجب أن تبقى في صلب الدولة العربية الجديدة». وأضاف فيصل في حديثه إياه أنه اجتمع مؤخراً بوايرون (وقد يكون هذا هو الاجتماع الرابع بينهما) الذي عرض عليه مقترحات وحدها فيصل معقولة لأنها «لا تعني سيادة اليهود في فلسطين».

* فيصل الثاني، الملك (١٩٣٥-١٩٥٨): ملك العراق وحفيد الملك فيصل الأول الهاشمي. بويع بعد وفاة أبيه الملك غازي، وكان في الرابعة من عمره فأقيم خاله عبد الإله بن علي وصياً على العرش. درس في كلية إيتون العريقة في بريطانيا. توج في أيار ١٩٥٣، وتولى سلطاته الرسمية من دون أن يتمكن من الخروج من هيمنة خاله عبد الإله على الحكم حيناً، أو نوري السعيد أحياناً. لقي حتفه، مع أركان النظام الملكي، إبان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وبه انتهى العهد الملكي الهاشمي على العراق.

* كامل الجادري (١٨٩٧-١٩٦٨): سياسي عراقي. ولد في بغداد ودرس فيها وتخرج في كلية الحقوق وعين معاوناً لوزير المالية. انضم إلى حزب الإخاء الوطني في ١٩٣٠ وانتخب عضواً في لجنته المركزية، ومالبت أن تتركه في ١٩٣٣ وانضم إلى جماعة «الأهالي» التي كانت تصدر بهذا الاسم. دخل وزارة بكر صليبي في ١٩٣٦، واستقال في السنة نفسها. أسس مع جماعة الأهالي تنظيمًا سياسيًا عرف بـ«جمعية الإصلاح الشعبي». وفي ١٩٤٢، أصدر جريدة «صوت الأهالي» تمهيداً لإنشاء الحزب الوطني الديمقراطي برئاسته والذي أحيى رسميًا في ١٩٤٦. وقد لعب هذا الحزب دوراً مرموقاً في وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ التي أدت إلى إسقاط معاهدة بورتسموث. عارض الجادري الحكم الملكي واعتقل أكثر من مرة وحكم عليه

الكريم قاسم. اصدر مذكراته بعنوان «مذكراتي في صميم الاحداث».

* محمد مهدي الجواهري (١٩٠٣-١٩٩٧):

شاعر عراقي ذو حضور مميز وأثر كبير في الحياة السياسية العراقية والعربية. بدأ كتابة الشعر ولم يبلغ العشرين من عمره، وعمل في القصر الملكي في بغداد في عهد فيصل الاول، كما عمل في التدريس، وفي الصحافة منشئاً جريدة «الرأي العام» (١٩٤٥). وكانت قصائده السياسية باللغة الجراء، فاضطر بعد إلقاء أكثر من قصيدة إلى مغادرة وطنه. كما تعرض لمضايقات في بعض العواصم العربية. وما لبث في العقدين الآخرين ان غادر العراق نهائياً مقيماً في غير مدينة اوروية وعربية إلى ان استقر في دمشق حيث آمن له الرئيس السوري حافظ الأسد رعاية خاصة. دفن في منطقة السيدة زينب، جنوبي العاصمة السورية.

* محمود سلمان: أحد ضباط ثورة رشيد عالي

الكيلائي والحرب العراقية-البريطانية (ايار ١٩٤١). راجع: صلاح الدين الصباغ، فهمي سعيد، كامل شبيب... في هذا الباب.

* مصطفى البرزاني (١٩٠٢-١٩٧٩): سياسي

عراقي كردي، وزعيم الانفصاليين الأكراد في شمالي العراق. ينتمي إلى قبيلة كردية عراقية (النقشبندية) ذات المكانة الدينية وتسكن منطقة بارزان في شمالي العراق (كردستان العراق). ورث الزعامة عن أخيه أحمد. قاد الجيش الكردي في جمهورية مهاباد (راجع «ايران، ج ٤») في ايران. وهرب بعد انهيار هذه الجمهورية إلى الاتحاد السوفياتي، ثم عاد إلى العراق على اثر ثورة ١٩٥٨. ثمرد على الحكومة المركزية في اوائل الستينات (في عهد عبد الكريم قاسم) بالاتفاق مع قوى خارجية. وقّع اتفاقية سلمية مع الحكومة العراقية في ١١ آذار ١٩٧٠، إلا انه لم يتقيد بها، وعمل مع قوى عالمية وإقليمية على استنزاف العراق عسكرياً واقتصادياً وإضعافه سياسياً محاولاً منعه من التوجه بكل طاقاته نحو فلسطين حين جدّد التمرد والصدام المسلح في كردستان العراق. انهار تمردّه على اثر الاتفاق العراقي-الايراني في ١٩٧٥. لجأ بعد ذلك إلى ايران وفيها توفي، وورثه في زعامة حزبه الكردي أولاده، وبالأخص منهم مسعود البرزاني. في السنوات الأخيرة (١٩٩٦-١٩٩٨)، نشرت مقالات كثيرة تحدّثت عن علاقة مصطفى البرزاني،

بالسجن ٣ سنوات بسبب موقفه القومي من العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦). حاول ان يلعب دوراً بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ من خلال إعادة تكوين حزبه في اوائل ١٩٦٠ وإشرافه على جريدة المواطن التي صدرت في حزيران ١٩٦٢ إلا انه لم يتمكن من ممارسة دور رئيسي في توجيه الاحداث (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج ٥، ط ٢، ١٩٩٠، ص ٥٨-٥٩).

* كامل شبيب (١٨٩٥-١٩٤٤): عسكري

عراقي وأحد قادة ثورة ١٩٤١. ولد في بغداد. خدم في الجيش العثماني، ثم في الجيش السوري إبان الحكم العربي الفيضلي، ثم انضم إلى الجيش العراقي في ١٩٢١. انضم إلى تكتل الضباط القوميين الذي تشكل في ١٩٣٤ (راجع: صلاح الدين الصباغ، فهمي سعيد، محمود سلمان، في هذا الباب). نفذ به حكم الاعدام، في آب ١٩٤٤، بسبب مشاركته في الحرب العراقية-البريطانية (حركة رشيد عالي الكيلاني) التي اندلعت في أول ايار ١٩٤١ واستمرت حتى ٣١ ايار ١٩٤١.

* محمد مهدي كبة: سياسي عراقي. بدأ حياته

السياسية عند قيام ثورة ١٩٢٠ في العراق. فانتمى إلى الحزب الوطني الذي كان يرأسه جعفر أبو التمن، وأصبح عضواً في لجنته العليا، وقد استمر فيه حتى إعلان حظره في ١٩٣٣ بسبب معارضته النفوذ البريطاني. شارك في تشكيل جمعية الدفاع عن فلسطين، وانتخب نائباً في البرلمان (١٩٣٧) وكان معارضاً. وفي ١٩٤٦، ألف مع المعارضة حزب الاستقلال وترأسه. اشترك في وزارة الصدر الأولى (١٩٤٨) التي جاءت على أثر نجاح المعارضة لمعاهدة بورتسموث، ولكنه استقال احتجاجاً على إعلان الهدنة في فلسطين. ثم استقال من مجلس النواب احتجاجاً على تزوير الانتخابات واتفاقية النفط. وعلى الرغم من التزوير المكشوف الذي لجأ إليه نوري السعيد في انتخابات ١٩٥٤ فقد بُعث محمد مهدي كبة؛ وعاد ونجح مرة جديدة بعد أن حلّ نوري السعيد المجلس وأجرى انتخابات جديدة. لكنه استقال احتجاجاً على التزوير والبطش الذي اشاعه نوري السعيد في البلاد.

حاول تشكيل حزب سياسي جديد بعد تعطيل

نوري السعيد للحياة الحزبية، ولكنه لم ينجح في ذلك. وعندما وقعت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، عُيّن كبة عضواً في مجلس السيادة، ثم استقال احتجاجاً على مواقف عبد

وارتباطه بأجهزة المخابرات الاسرائيلية، مستندة إلى مراجع ومصادر ووثائق (راجع باب «كردستان العراق»).

* معروف الرصافي (١٨٧٧-١٩٤٥): شاعر وسياسي (نائب) عراقي. ولد في بغداد ونشأ في الرصافة واشتغل في التعليم ونظم قصائده في الاجتماع والوطنية والثورة على الظلم قبل الدستور العثماني. انتخب بعد ثورة الاتحاد والذوقي نائباً في مجلس «المبعوثان» العثماني، ولم يكن على وفاق في تلك الفترة مع الوطنيين العرب من دعاة الإصلاح واللامركزية. بعد الحرب العالمية الاولى، درس في دار المعلمين في القدس، وعاد إلى بغداد وأصدر جريدة «الأمّل» لمدة قصيرة، وانتخب عضواً في مجلس النواب عدة مرات وأيد ثورة الكيلاني (١٩٤١)، فنظم أناشيدها وكان من أبرز خطبائها، ثم انزوى بعد فشلها. له مؤلفات كثيرة وديوان شعر.

في مجلة «آفاق عربية» (بغداد، العدد ١٢، السنة ١٣، كانون الاول ١٩٨٨، ص ٤٤-٥٣) نص وثيقة هي عبارة عن حديث بين كامل الجادرجي ومعرف الرصافي، يقول الرصافي فيه: «ولدت في بغداد في بيت يقع في محلة القراغول يدعى بيت جاسم القراغولي الذي هو والد والدتي. أما أبي فكان حسب ما أذكر عريقاً في الدرك الذي كان يسمى الجندرية. ولما كان أبي دائماً في الوظيفة كان اتصالي به قليلاً جداً فوالدتي هي التي تعهدت نشأتي... ولدت وعشت فقيراً، أشعر بضئك العيش، فيصافد ان طعامنا لم يكن غير الخبز والخيار».

وعن وجوده في الآستانة، قال: «ذهبت إلى الآستانة (١٩٠٨)... لغاية إصدار جريدة باللغة العربية... وقد نفدت دراهمي في تلك المدة فاتصلت ببيت المطران، ندرة مطران ومخلّة مطران، من أهل بعلبك، وقد قاما بمساعدتي لتسديد مصاريفي الشهرية، وكان لهما دور في القضية العربية». في هذه الاثناء قامت ثورة الاتحاديين، فكان «كل شخص صاحب عمامة يشبه به. فنزعت العمامة وأبدلت الملابس الشعبية بالملابس الافرنجية». وفي الآستانة، أصدر الرصافي جريدة «العرب» التي سرعان ما توقفت عن الصدور، وعيّن مدرّساً في مدرسة «الملكية الشاهانة». وكان قبل وصوله إلى الآستانة وصل إلى بيروت حيث «استبقاني أدهاء بيروت الذين احتفوا بي احتفاء كبيراً (وفي بيروت طبع ديوانه بعد أن اعطته إحدى المطابع ٣٠ ليرة فرنسية ذهباً)... وبعد قضاء ١٥ يوماً تقريباً سافرت إلى الآستانة». وفي الآستانة «رشحني طلعت بك وزير

الداخلية إلى النيابة... فانتخبت نائباً عن المنتفك (في العراق) وأنا في الآستانة... لم أدخل في جمعية الاتحاد والذوقي... كنت اتصل بالجماعات الذين كانوا يشتغلون بالقضية العربية واجتمع بهم دائماً ولكن لم أدخل معهم بصورة رسمية في حزب أو جمعية... وكان في تلك الآونة قد تألفت جمعية في بيروت (وهي الجمعية التي طارحها جمال باشا في أثناء الحرب) وقد جذبت أعمالهم في بداية الأمر فنظمت قصيدة عنوانها «في معرض السيف» دعوت فيها إلى النهضة العربية ولكن بعد ذلك أطلعت على منهاج تلك الجمعية ولما علمت بأن لهم إتصالاً بالأحزاب نظمت قصيدتي التي عنوانها «ما هكذا...».

وبعد أن بقي الرصافي حتى ١٩١٩ في الآستانة، ذهب إلى دمشق، ومنها انتقل إلى التدريس في دار المعلمين في مدينة القدس حيث بقي سنة ونصف السنة. في هذه الاثناء كان عبد الرحمن النقيب قد ألف حكومة وطنية في بغداد، وكان هذا يطمح لأن يصبح ملكاً للعراق. وعاد الرصافي إلى العراق عن طريق القاهرة التي التقى فيها «فهمي المدرس وجعفر العسكري، وكانا قد أتيا إلى القاهرة لمواجهة بعض الشخصيات وكان السر برسي كوكس موجوداً في القاهرة وهؤلاء جميعاً حضروا مع المس بل لمواجهة المستر شرشل لتقرير الملوكة في العراق».

وبعد أن تألفت الحكومة الوطنية بعد مجيء فيصل، عين الرصافي مفتشاً للغة العربية، «ولكن بعد أن أخذ الاستاذ ساطع الحصري الشغل في المعارف علمت انه لم يبق لي شأن في المعارف فقررت أن أهاجر العراق وأذهب إلى تركيا فلنبت فعلاً إلى اسطنبول كي أجنس الجنسية التركية». ولما لم يوفق الرصافي بهذا المسعى ايضاً قصد بيروت حيث «سعى بعض الاصدقاء لأن أجنس بالجنسية اللبنانية، وقد ألقيت هناك قصيدتي المشهورة («هي النفس») بمناسبة مجيء أمين الريحاني إلى بيروت وفي تلك الاثناء ابرق لي عبد المحسن السعدون بلزوم العودة إلى العراق فسافرت إلى بغداد وأراد عبد المحسن بك أن أتصل بالملك فيصل لأجل ان يزول بيننا البرود فواجهته ولم يتسن لي أن أواجهه بعد ذلك... وبقي عبد المحسن السعدون يوعاني ويعيني في المعيشة».

وبعد قصيدة ألقاها الرصافي وراقت للملك فيصل، أوعز إلى ساطع الحصري بإعادته إلى المعارف، فعاد وبقي فيها موظفاً من ١٩٢٣ إلى ١٩٢٨. في ١٩٣٠، انتخب نائباً في المجلس الذي صدق معاهدة ١٩٣٠، وكان هو من المعارضين لها. وانتخب مرة ثانية، ولم يرشح نفسه مرة

على اثر إعلانه الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك (١٩١٦) وأصبح المستشار المقرب من الأمير (الملك في ما بعد) فيصل ورافقه في زيارته للندن وباريس. وفي ١٩٢٠، استدعاه عدله جعفر العسكري الذي عين وزيراً للدفاع ليصبح رئيساً لأركانها. وفي العشرينات وجه جهوده لتنظيم الشرطة ثم لإنشاء الجيش بصفته وزيراً للدفاع. وفي ايار ١٩٣٠ أصبح نوري رئيساً للوزارة وهو منصب احتله ١٣ مرة قبل ان يعين رئيساً لوزراء الاتحاد العربي (الهاشمي) قبل مصرعه في ١٩٥٨.

وإلى جانب توليه رئاسة الوزارة تولى عدة مناصب وزارية كالل دفاع والداخلية والخارجية في حقبات مختلفة. والواقع ان نوري السعيد كان بمثابة المهندس السياسي العام للنظام الملكي في العراق. ذلك ان مسألة المناصب الرئيسية أو امتناعه عنها كانت تخضع لاعتبارات ظرفية أو تكتيكية دون ان تغير إلى حد بعيد من حقيقة اعتماد النظام عليه كمستشار ومخطط رئيسي طيلة هذه المدة باستثناءات قليلة وبارزة (بعد انقلاب بكر صدقي ١٩٣٦ وثورة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١).

عرف نوري السعيد سياسته المالية كلياً لبريطانيا، وفي الفترة الأخيرة لبريطانيا وأميركا، ومسايرته للشركات الاحتكارية الغربية، وبعدها للحركة الجماهيرية التحررية، وللاتجاه الوحلوي التقدمي العربي. وقد ربط العراق بسلسلة من المعاهدات مع بريطانيا ثم أدخل العراق في الاحلاف الاستعمارية (حلف بغداد) في الخمسينات بقصد محاربة حركة التحرر العربي تحت ستار محاربة الشيوعية، ووافق وزير خارجية الولايات المتحدة جون فوستر دالس على بحمل مواقفه ومن ضمنها الفكرة القائلة بأن «اسرائيل وجدت لتبقى». لاقى حتفه مع أركان النظام الملكي أثناء ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٦، ط١، ١٩٩٠، ص٦٣٢-٦٣٣).

* ياسين الهاشمي (١٨٨٢-١٩٣٧): ياسين حلمي «باشا» ابن السيد سلمان الهاشمي: زعيم العراق السياسي في عصره. ولد في بغداد، وتعلم فيها ثم في اسطنبول وبرلين. تخرج ضابطاً أركان حرب في ١٩٠٥، وخاض الحرب البلقانية (١٩١٢). دخل جمعية «العهد»، ونقل إلى الموصل ثم إلى دمشق حيث اتصل بالأمير (الملك في ما بعد) فيصل، ودخل هو وفيصل في جمعية «العربية الفتاة». ونقل إلى رومانيا، وظهرت مواهبه العسكرية في ميدان «غاليسيا» دفاعاً عن النمسا أمام الروس. وأعيد إلى سورية عندما



نوري السعيد.

أخرى، وترك بغداد لأن راتبه لم يكفيه لمعيشته، وذهب إلى الفلوجة (١٩٣٣)، وبقي هناك يشتغل بكتابه «الشخصية المحمدية» حتى ١٩٤١. ولما وقعت الحرب بين العراق والانكليز «اضطرت على العودة إلى بغداد».

من خلال هذه الحوارات التي أجراها الجادرجي، ودونها، بينه وبين الرصافي الذي كان يكابد المرض والحوال (١٩٤٤)، تبدو «شخصية الرصافي الفذة وآراؤه الطريفة ومواقفه الشجاعة. كما يبدو زهده وإياؤه وصلقه (ركّز الجادرجي على صفة الصدق هذه التي عرف بها الرصافي وكرهه الشديد للكذب) وقدراته الشخصية الخاصة».

* نوري السعيد (١٩٥٨-): سياسي عراقي. ولد في بغداد، وكان أبوه موظفاً مدنياً يعود نسبه إلى عائلة كردية. دخل المدرسة الابتدائية العسكرية، وفي ١٩٠٣ التحق بالكلية العسكرية في اسطنبول وتخرج بعد ثلاثة أعوام برتبة ضابط. عمل بعدها في جمع الضرائب على المواشي من البدو الرحل. بدأت خدمته العسكرية الفعالة في حرب البلقان (١٩١٢) والتحق، في العام التالي، بحركة الضباط العرب المسماة «جمعية العهد». اعتقله البريطانيون في مطلع الحرب العالمية الأولى، ثم التحق بالشريف حسين

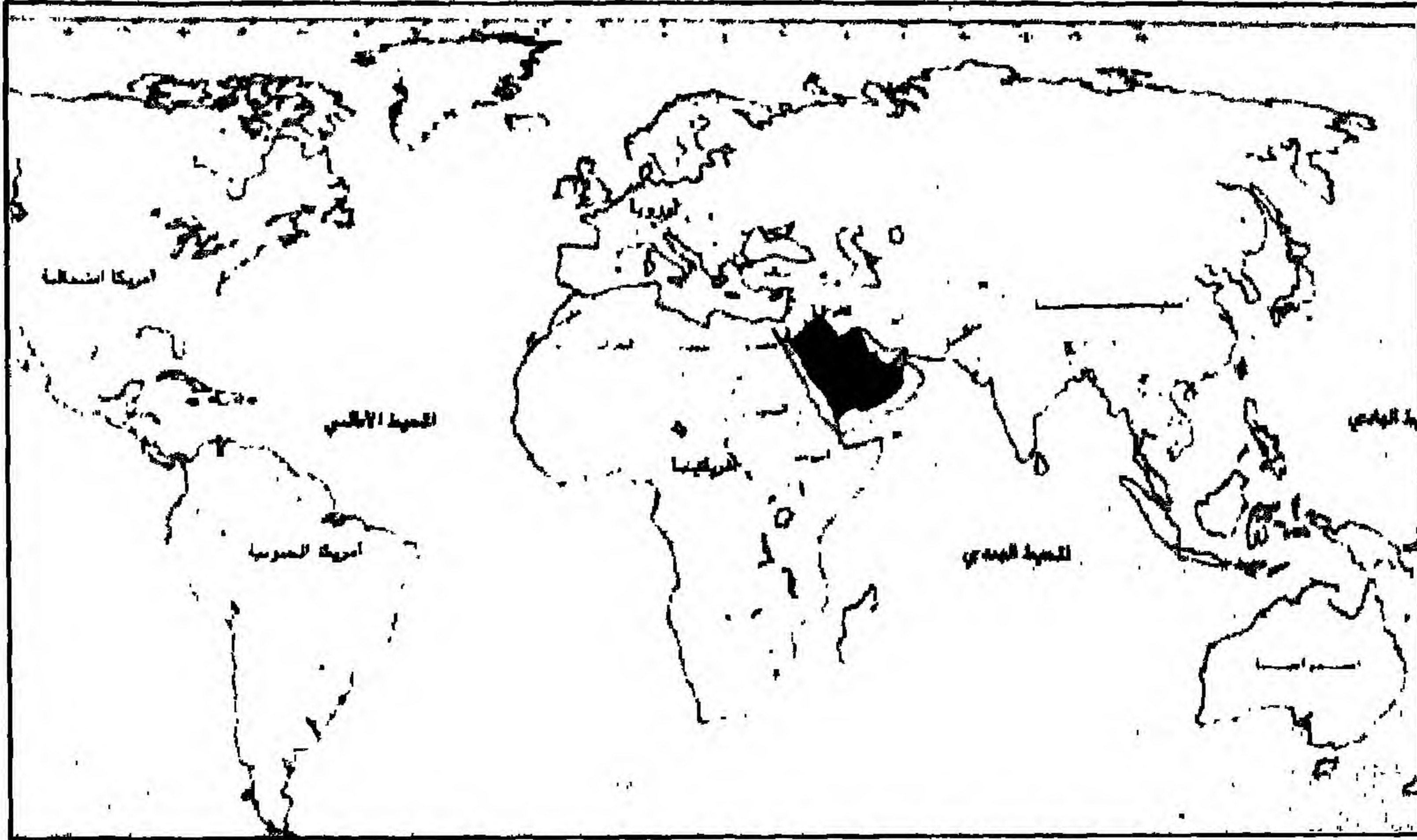
وزارته الثانية (١٩٣٦)، فرحل إلى بيروت، وتوفي فيها ودفن في دمشق (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٧، ط١، ١٩٩٤، ص٣٨٧-٣٨٨).

* يوسف بن نعمان السويدي (١٨٥٤-١٩٢٩): زعيم عراقي. مولده ووفاته في بغداد. تفقّه وتأدّب، وعمل مدة في القضاء الشرعي. كان من أوائل القائمين في العراق بالفكرة العربية في عهد الترك العثمانيين. فلما أعلنت الحرب العالمية الأولى اعتقل وحُمل إلى الآستانة، ومنها إلى الأناضول منفياً. ثم أعيد إلى الآستانة. ولما انتهت هذه الحرب عاد إلى العراق، وقد احتله الإنكليز، فقاومهم وكان من المنادين بالثورة. واشتعلت المعارك وتعددت، وكان في بغداد فجّة الإنكليز في طلبه، فخرج إلى عشيرة المشاهدة فطارده، فتوجه إلى سامرا، ثم إلى جهة الفرات حيث بقايا الثورة، ومنها إلى الشام، فأقام إلى أن أثمرت الثورة تأليف حكومة عربية في بغداد. فعاد، وعين عضواً في مجلس الاعيان، ثم انتخب رئيساً له. وكان كبيراً في نفسه، وفي قومه، مقداماً مخلصاً. له اشتغال بالأدب. جمع مذكراته في كتاب سماه «الخطرات» أودعه ما شهد من حلاّكف الاحداث من طفولته إلى اواخر ايامه (عن «موسوعة السياسة»، بيروت، ج٧، ط٤، ١٩٩٤، ص٤٦٣).

* يوسف سلمان (الملقب فهد): راجع «الحزب الشيوعي العراقي» في باب الاحزاب.

كانت ثورة الحجاز تمتد إلى أطراف الشام، وتولى ياسين قيادة فيلق للترك كان مقره في الشونة (شرقي الاردن)، ولم يلبث ان ارتدّ بغير قتال نزولاً عند أمر القيادة العامة. ولحق العرب والبريطانيون بالترك يطاردونهم، وجرّح ياسين وهو مع الاتراك، فتخلف في دمشق مختبئاً. ووصل فيصل وعين ياسين رئيساً لديوان الشورى الحربي (١٩١٨). أمدّ ثورة العراق بالعمون والرأي، فدعاه القائد البريطاني في دمشق (٢٢ تشرين الثاني ١٩١٩) إلى منزله في المرة (من ضواحي دمشق) فلما أراد الخروج من منزل القائد كانت على الباب سيارة مسلحة حملته مكرهاً إلى المعسكر البريطاني في اللد في فلسطين، واحتفى أثره. وهاجت دمشق تطالب باعادته، فأطلق بعد أكثر من خمسة أشهر. فأقام في القاهرة اياماً وعاد إلى دمشق واستمر فيها إلى ان دخلها الفرنسيون وغادرها فيصل. وقامت الدولة العراقية (آب ١٩٢١)، فأذن له الإنكليز بدخول العراق، فتولى بعض الوزارات فيها، وألف «حزب الشعب» (أول حزب سياسي في العراق)، وانتخب عضواً في المجلس التأسيسي عن بغداد، وتقلد رئاسة الوزارة مرتين، وضع في أولاهما قانون الانتخاب، وجمع أول مجلس للامة، وفي الثانية نفذ قانون التجنيد الاجباري وزود الجيش بثلاثة اسراب من الطائرات وأنشأ معملًا لصنع العتاد، وباشر بإنشاء معامل لصنع البنادق والرشاشات وذخيرة المدافع، ووضعت في ايامه «اتفاقية الحلف العربي» مع المملكة العربية السعودية واليمن، وأحكمت الصلات بين العراق ومصر. وعاش بحرك سياسة العراق إلى ان قامت ثورة بكر صليحي في عهد

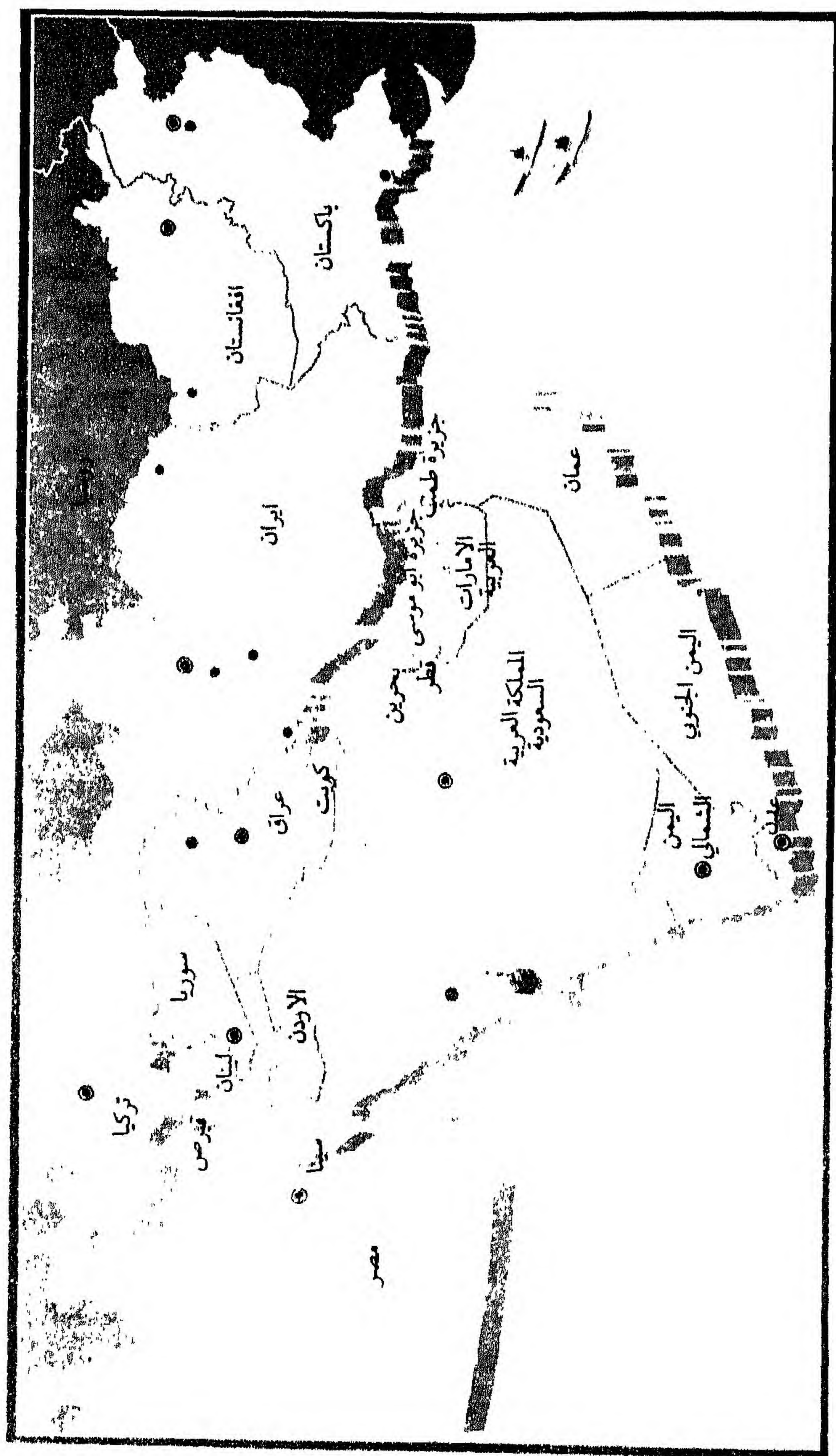
العربية السعودية، المملكة



بطاقة تعريف

الشرق والبحر الأحمر من الغرب. يبلغ طول سواحلها على الخليج ٦١٠ كلم ويقع عليه عدة موانئ أهمها ميناء الملك عبد العزيز في الدمام وميناء الملك فهد الصناعي في الجبيل. وطول سواحلها على البحر الأحمر ١٨٠٠ كلم، وعليه عدة موانئ أهمها: ميناء جدة الاسلامي وميناء الملك فهد الصناعي في ينبع وميناء جازان. المساحة: ٢ مليون و ٢٤٠ ألفا و ٣٥٠ كلم م. أي ما يعادل نحو ٨٠٪ من المساحة الاجمالية لشبه الجزيرة العربية التي تبدو وكأنها قارة صغيرة. اللغة: العربية (رسمية). وتدرس اللغة الانكليزية في جميع مراحل التعليم.

الاسم: «المملكة العربية السعودية» منذ أن أعلن الملك عبد العزيز قيامها في اليوم الأول من الميزان، ٢١ من جمادى الاولى سنة ١٣٥١ هـ الموافق ٢٣ ايلول ١٩٣٢. وأصبح هذا اليوم هو اليوم الوطني للدولة. الموقع: تقع المملكة العربية السعودية في الجنوب الغربي من قارة آسيا في موقع متوسط بين قارات العالم القديم (آسيا، افريقيا وأوروبا) ويحدها من الشمال الاردن والعراق والكويت، ومن الجنوب سلطنة عُمان واليمن، ومن الشرق الخليج العربي والبحرين وقطر والامارات العربية المتحدة، ومن الغرب البحر الأحمر. تطل المملكة على بحرين هما الخليج العربي من



الخريطة موضوعة قبل توحيد اليمن في ١٩٩٠.

العاصمة: الرياض. وأهم المدن: جدة والدمام. أما المدن والأماكن المقدسة فهي: مكة المكرمة والمدينة المنورة. وفي المملكة نحو ٦ آلاف بين مدينة وقرية وهجرة (راجع باب «مدن ومعالم».

المناطق: تتكون المملكة العربية السعودية من ثلاثة عشر منطقة حسب نظام المناطق الجديد الصادر في ١٩٩٣، وهي:

- منطقة الرياض، مقر إمارتها مدينة الرياض.
- منطقة مكة المكرمة، مدينة مكة المكرمة.
- منطقة المدينة المنورة، مدينة المدينة المنورة.
- منطقة القصيم، مدينة بريدة.
- المنطقة الشرقية، مدينة الدمام.
- منطقة عسير، مدينة أبها.
- منطقة تبوك، مدينة تبوك.
- منطقة حائل، مدينة حائل.
- منطقة الحدود الشمالية، مدينة عرعر.
- منطقة جازان، مدينة جازان.
- منطقة بجران، مدينة بجران.
- منطقة الباحة، مدينة الباحة.
- منطقة الجوف، مدينة سكاكا.

وتتكون كل منطقة إدارياً من عدد من المحافظات والنواحي والمراكز ويعين لكل منطقة أمير، مرتبة وزير ونائب له بالمرتبة الممتازة وعدد من الاعضاء. ويكون للمجلس أمانة مقرها إمارة المنطقة.

السكان: بلغ تعدادهم ١٦ مليوناً و٩٢٩ ألفاً و٢٩٤ نسمة بحسب إحصاء ١٩٩٢؛ منهم ١٢ مليوناً و٣٠٤ آلاف و٨٣٥ نسمة من المواطنين السعوديين، و٤ ملايين و٣٢٤ ألفاً و٤٥٩ نسمة من المقيمين من غير السعوديين موزعين على مختلف مناطق المملكة ومدنها. أما معدل الكثافة السكانية فلا يزيد عن ٧ أفراد في الكلم م. الواحد. وأما النمو السكاني فهو عال مقارنة مع

بقية دول العالم، ويتجاوز ٤٪ سنوياً ليحفل المملكة من بين أكثر خمس دول نمواً سكانياً في العالم إذ تقدر الزيادة حالياً بنحو نصف مليون نسمة سنوياً (هذه المعلومة عن النمو السكاني عن د. إحسان علي بو حليقة، سعودي متخصص في المعلوماتية والانتاج، «الحياة»، العدد ١٢٨١٢، ١ نيسان ١٩٩٨، ص ١٢).

يدين المواطنون السعوديون بالدين الاسلامي الحنيف. أما من هم على المذهب الشيعي، فتقول بعض المراجع (خاصة الأجنبية منها) أن عددهم لا يتجاوز ٢٠٠-٣٠٠ ألف. وأما المسيحيون (كاثوليك وبروتستانت) فهم جميعاً من المهاجرين إلى المملكة بقصد العمل ولا يتعدى إجمالي عددهم ١-٢ مليون نسمة.

أما السكان البدو الرحل فأماكن وجودهم هي البادية التي تقع في اطراف المدن والقرى، والبادية التي تقع بجوار موارد المياه، والبادية التي تقع في أماكن بعيدة عن القرى وموارد المياه. والمعروف أن البدو ينقسمون إلى فئتين رئيسيتين: البدو الرحل وأشباه الرحل، والفئة الأخيرة هي الأكثر عدداً. وأما النهضة العمرانية في إطار مخطط التنمية الواسعة التي تشهدها المملكة فأخذت في تقليص عدد البدو بتشجيعهم على الحياة الحضرية.

الحكم: النظام الملكي هو نظام الحكم في السعودية، ويشكل مجلس الوزراء ومجلس الشورى مع الملك السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية في الدولة. ورئيس مجلس الوزراء هو خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، ونائب رئيس مجلس الوزراء هو صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز آل سعود، أما النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء فهو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام.



علم الدولة وشعارها.

إحدى الواجهات الخارجية لمبنى مجلس الشورى الجديد.



الاسلام هو دين الدولة وتحكم به وتستمد المملكة جميع أنظمتها وتشريعاتها من القرآن الكريم وسنة رسول الله.

في ١٩٩٢-١٩٩٣، صدرت في المملكة الأنظمة الأساسية للحكم وتوزعت على: ١- النظام الأساسي للحكم، ٢- نظام مجلس الوزراء، ٣- نظام مجلس الشورى، ٤- ونظام المناطق. وليست هذه الأنظمة- كما أكد الملك فهد في كلمته بمناسبة إصداره لهذه الأنظمة- سوى توثيق لشيء قائم وصيغة لأمر واقع معمول به.

١- النظام الأساسي للحكم: يتكون من تسعة أبواب تتضمن على ٨٣ مادة. وتنص المادة الأولى على: «المملكة العربية السعودية دولة عربية اسلامية ذات سيادة تامة؛ دينها الاسلام ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلعم) ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها مدينة الرياض». وتنص المادة الثالثة على: «يكون علم الدولة كما يلي: أ- لونه أخضر. ب- عرضه يساوي ثلثي طوله. ج- تتوسطه كلمة «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» تحتها سيف مسلول، ولا ينكس العلم أبداً». وتنص المادة الرابعة على: «شعار الدولة سيفان متقاطعان، ونخلة وسط فراغهما الأعلى». وتنص المادة الخامسة على: «أ- نظام الحكم في المملكة العربية السعودية ملكي. ب- يكون الحكم في أبناء الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأبناء الأبناء. ويُبايع الاصلح منهم للحكم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ج- يختار الملك ولي العهد ويعفيه بأمر ملكي...».

٢- نظام مجلس الوزراء: من ٣٢ مادة. تنص المادة الأولى على: «مجلس الوزراء هيئة نظامية يرأسها الملك». والمادة التاسعة: «مدة مجلس الوزراء لا تزيد عن أربع سنوات يتم خلالها

إعادة تشكيله بأمر ملكي...». والمادة التاسعة والعشرون: «الملك رئيس مجلس الوزراء هو الذي يوجه السياسة العامة للدولة...».

٣- نظام مجلس الشورى: النظام الأساسي لهذا المجلس من ٣٠ مادة، تنص المادة الأولى منه على: «... ينشأ مجلس الشورى ويمارس المهام المنوطة به وفقاً لهذا النظام والنظام الأساسي للحكم ملتزماً بكتاب الله وسنة رسوله محافظاً على روابط الأخوة والتعاون على البر والتقوى». والمادة الثالثة: «يتكون مجلس الشورى من رئيس وستين عضواً يختارهم الملك من أهل العلم والخبرة والاختصاص وتحدد حقوق الأعضاء وواجباتهم وكافة شؤونهم بأمر ملكي». والمادة الثالثة عشرة: «مدة مجلس الشورى أربع سنوات هجرية...». والمادة التاسعة عشرة: «يكون مجلس الشورى من بين أعضائه اللجان المتخصصة...». وهناك لائحة داخلية لمجلس الشورى تناول اختصاصات رئيس المجلس ونائبه والأمين العام، والهيئات العامة للمجلس، والجلسات، واللجان، والتصويت وإصدار القرارات، وأحكام عامة، وجميعها مشمولاً بـ ٣٤ مادة. وهناك كذلك لائحة حقوق أعضاء مجلس الشورى وواجباتهم (٦ مواد)، وتنظيم الشؤون المالية والوظيفية للمجلس (١٠ مواد)، وقواعد التحقيق والمحاكمة لعضو مجلس الشورى وإجراءاتها (٥ مواد).

٤- نظام المناطق: من ٤١ مادة. تنص المادة الأولى على: «يهدف هذا النظام إلى رفع مستوى العمل الإداري والتنمية في المملكة، كما يهدف إلى المحافظة على الأمن والنظام وكفالة حقوق المواطنين وحرياتهم في إطار الشريعة الإسلامية». وتنص المادة الثانية على:

«تنظم مناطق المملكة ومقر إمارة كل منطقة بأمر ملكي بناء على توصية من وزير الداخلية» (راجع «المناطق» في هذا الباب «بطاقة تعريف»).

أما الأحزاب السياسية، بمفهومها الحديث وتركيبها التنظيمي العصري فغير معروفة في المجتمع السعودي الذي يطغى فيه الولاء القبلي على غيره من الولاءات. وهناك معارضون موجودون في الخارج.

الاقتصاد: تتمتع المملكة بثروات طبيعية هائلة وعديدة، وفي طليعتها البترول (الذهب الأسود). ففي باطن الأرض في المنطقة الشرقية من المملكة تقع أغنى منابع النفط في العالم، حيث ربع المخزون الاحتياطي العالمي من البترول ومن الغاز الطبيعي، كما تعد أكبر وأكثر دولة في الشرق الأوسط إنتاجاً وتصديراً للنفط.

وعلاوة على ذلك فالمملكة غنية بمختلف المعادن الكامنة تحت سطح الأرض في معظم مناطقها كالذهب والفضة والحديد والنحاس والبوكسيت والبيريت والزنك والنيكل والفوسفات والمنغنيز (المغنيسيوم) والجلييس والملح وغير ذلك. وأهم هذه المعادن الذهب الذي يقدر احتياطي المملكة منه أكثر من ٤,٥٩ مليون أوقية.

أما ثروة المملكة السياحية فعمادها الآثار وأماكن السياحة والترفيه.

بالنسبة إلى الآثار فإن المملكة غنية بها ولكنها لم تكتشف بعد في جميع مناطقها نظراً إلى كثرة الممالك والحضارات القديمة التي نشأت وبادت على ترابها. ومع ذلك فهناك آثار قديمة جداً لا تزال ماثلة للعيان كآثار مدائن صالح، كما توجد آثار قديمة نسبياً كآثار خيبر والدرعية. ونتيجة لاهتمام المملكة مؤخراً بالآثار والتنقيب عنها

وإنشاء المتاحف لحفظ ما يمكن حفظه منها، فقد تمّ بواسطة علماء الآثار السعوديين اكتشاف مدينة الفاو وآثار مملكة كنده وبعض الآثار والنقوش الثمودية. ومن ناحية أخرى، اكتشف — بعض علماء الآثار الأميركيين منذ فترة قريبة وبواسطة الأقمار الصناعية آثار قوم «عاد» المطمورة تحت رمال الربع الخالي والتي يعتقد أنها آثار مدينة «إرم» ذات العماد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. وتضم المدينة المنورة ومكة المكرمة آثاراً إسلامية مهمة تتمثل في المساجد القديمة المشهورة وآثار السدود والعيون واعداد كثيرة من الكتابات الإسلامية التي لا يوجد لها مثيل في العالم. وهناك المعالم البارزة ذات الصلة بتاريخ المسلمين منها جبل أحد وغار حراء وغار ثور ومواقع المعارك المشهورة في الإسلام مثل موقعة أحد وبدر. وتضم المملكة أيضاً آثار طرق الحج القديمة وما عليها من حصون وقلاع ومنشآت مائية. ومن أهمها طريق الحج القديم المسمى «درب زبيدة»، وكشفت الحفائر الأثرية في العصر الحاضر عن أبرز المعالم الحضارية لمدينة الربذة الإسلامية التي تقع على ذلك الطريق.

أما بالنسبة إلى الأماكن السياحية فهي كثيرة في المملكة وتجذب الكثيرين من السياح وهوارة التنزه والآثار، سواء من الداخل أو من الخارج بفعل توفر وسائل النقل والفنادق والمرافق والخدمات السياحية. ومن أهم الأماكن السياحية في المملكة: منطقة عسير حيث توجد بالقرب من مدينة أبها منطقة السودة الساحرة بجبالها وخضرتها ووديانها وطقسها البارد المعتدل: ومنطقة الكورنيش في شاطئ جدة، وتكثر فيها الحدائق وملاعب الأطفال وحمامات وبرك السباحة؛ وكورنيش الدمام وفيه شاطئ خليج نصف القمر الذي يحظى بشهرة كبيرة وإقبال متزايد من سكان المنطقة

ومواطني دول مجلس التعاون الخليجية بشكل خاص. هذا إلى جانب عدد من المناطق السياحية في ربوع القصيم وحائل والباحة وبلجرشي وفيفا وظهران الجنوب وغيرها.

الزراعة: إلى عهد قريب، كانت المملكة العربية السعودية تعد بلداً صحراوياً قاحلاً. لكنها استطاعت، خلال سنوات قليلة، ان تتحول من بلد مستورد للغذاء إلى بلد مصدر له بعد ان حققت الاكتفاء الذاتي في كثير من المنتجات الزراعية الرئيسية وفي مقدمتها القمح الذي أصبحت السعودية تحتل (١٩٩١) المرتبة السادسة بين دول العالم المنتجة والمصدرة له، كما حققت المملكة الاكتفاء الذاتي من منتجات الألبان والدواجن وتصدر الفائض منها إلى الدول المجاورة.

وتحتل المملكة المرتبة الأولى في العالم في انتاج التمور حيث تنتج أكثر من ٥٠٠ ألف طن سنوياً. وهناك العديد من المنتجات الزراعية مثل الخضراوات والفواكه.

وتستخدم الزراعة في المملكة أحدث الطرق والتقنيات الزراعية وتقدم الدولة للمزارعين العديد من الحوافز والاعانات والمساعدات التي تشجعهم على مضاعفة الانتاج ومنها: توزيع الاراضي البور الصالحة للزراعة على المزارعين والشركات الزراعية مجاناً، وتحمل الدولة نسبة ٤٥٪ من تكاليف المعدات والآلات الزراعية الثقيلة و ٥٠٪ من قيمة الأسمدة المحلية والمستوردة، كما تقدم الدولة، ممثلة في البنك الزراعي السعودي، القروض طويلة الأجل بدون فوائد.

الصناعة: تسعى المملكة العربية السعودية إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي من المنتجات الصناعية. وتدعم الدولة الصناعة وتوليها كل الاهتمام

حيث أقامت مدناً صناعية متكاملة الخدمات على أرقى مستوى من التخطيط، وخير شاهد على ذلك مدينتا الجبيل وينبع الصناعيتان اللتان تضمّان العديد من المصانع العملاقة. إلى جانب المناطق الصناعية في جميع مدن المملكة الرئيسية والتي أنشئت كدعم من الدولة للمواطنين الراغبين في الاستثمار في المشاريع الصناعية وتتوافر في هذه المناطق الخدمات والمرافق كافة كالمياه والكهرباء التي تقدم للمصانع بأسعار رمزية.

كما تقدم الدولة، ممثلة في صندوق التنمية الصناعية، القروض طويلة الأجل بدون فوائد للمشاريع الصناعية وإعفاء المصانع من الرسوم الجمركية. وتصدر المملكة بعض صناعاتها وبخاصة البتروكيماويات للأسواق العالمية حيث تحظى بإقبال شديد من الدول المستهلكة لما تتمتع به من جودة عالية. ويبلغ عدد المصانع في

المملكة نحو ٢٣٠٠ مصنع يزيد رأسمالها على ١١٠ مليار ريال.

النقل والمواصلات: وجهت المملكة اهتماماً خاصاً لبناء الطرق ومرافق النقل والمواصلات باعتبارها أحد أهم عناصر البنية الأساسية التي تعتمد عليها بقية القطاعات. ورغم اتساع مساحة المملكة وصعوبة التضاريس تمكنت خلال فترة وجيزة من الزمن من إنجاز شبكة واسعة من الطرق تربط المدن والقرى ببعضها كما تربط المملكة بالدول المجاورة. فبينما لم يكن في المملكة عام ١٩٥٣ (العام الذي أنشئت فيه وزارة المواصلات) سوى ٢٣٩ كلم من الطرق المسفلتة نجد أن هذا الرقم قد قفز إلى نحو ٤٢ ألف كلم في العام ١٩٩٢، منها ٤٤٠٠ كلم من الطرق السريعة والمزدوجة (الأوتوسرادات)، كما بلغت أطوال الطرق الزراعية نحو ٨١ ألف كلم.

جدول تقريبي بأعداد ونسب أبرز الجنسيات في السعودية حسب إحصاءات ١٩٩٤ / ١٩٩٥

الجنسية	العدد	النسبة %
الهند	١٢٢٨١٥٢	١٤,١
مصر	١١٩٥١٨٩	١٣,١
باكستان	٧٧٨٦٦٨	١٢,٤
الفلبين	٤٥٠٩٦٧	٧,٤
بنغلاديش	٤٤٦٢٨٤	٧,١
اليمن	١٤٤٢٩٨	٦,٨
اندونيسيا	٢٤٩٤٥٨	٤,٠
السودان	٢٤٢٥٠٨	٢,٩
سورية	١٦٨٢٥٤	٢,٧
الأردن	١٥٥٤١٢	٢,٥
سيريلانكا	١٢٥٢٤٦	٢,٢
الكويت	١٢٢٥١٩	١,٩
فلسطين	١١٠٦١١	١,٨
تركيا	٨٢٢٥٨	١,٥
لبنان	٧٥٠٠٠	١,٠
قبايل النازحة	٦١٢٤٦	١,٥
أميركا	٢٤٧١٠	٠,٨
بريطانيا	٨٨٦٨٥	٠,٥

أما بقية الجنسيات وعددها ١٧٢ فإن نسبتها أقل من ٠,٥ في المئة.

المصدر: «الوسط»، العدد ٣٠٩،

٣ تشرين الثاني ١٩٩٧، ص ١٠.

وفي مجال السكك الحديدية يوجد خط حديدي يربط المنطقة الشرقية من المملكة بالرياض العاصمة، ويعمل على هذا الخط الذي يبلغ طوله ٥٧٨ كلم قطارات حديثة وسريعة لنقل المسافرين والبضائع والسلع. كذلك أولت الدولة، ممثلة في المؤسسة العامة للموانئ، اهتماماً بالغاً بالنقل البحري وإنشاء الموانئ على البحر الأحمر والخليج العربي، وتعتبر المملكة من أنشط الدول في أعمال النقل البحري بينها وبين مختلف دول العالم.

أما في مجال النقل الجوي فقد أنشأت الدولة مطارات حديثة بلغ عددها ٢٥ مطاراً منها ثلاثة مطارات دولية هي: مطار الملك خالد الدولي في الرياض (تم افتتاحه في ١٩٨٣) ومساحته ٢٢٥ كلم م. وطاقته التشغيلية ٧،٥ مليون راكب سنوياً. ومطار الملك عبد العزيز الدولي في جدة (أنشئ في ١٩٨١) ومساحته ١٠٥ كلم م. ودوره الأساسي في خدمة حجاج بيت الله الحرام. ومطار الظهران الدولي في المنطقة الشرقية، ومساحته ٧٨٠ كلم م. وقد شيد حالياً مطار الملك فهد الدولي في الظهران ليحل محل المطار السابق.

(ثلاثة كتب من إعداد وإصدار «إدارة الأبحاث والنشر بدار الأفق للنشر والتوزيع»، الرياض، وثمانية كراريس وعدد من المنشورات الإعلامية، حصل عليها المؤلف من الملحقية الثقافية في سفارة المملكة العربية السعودية في بيروت شكلت مراجع كل ما ذكر أعلاه في هذا الباب «بطاقة تعريف»). اعتمدت المملكة إطاراً تخطيطياً للتنمية التي نفذتها دون الاستعانة بأية قروض من الخارج، فبدأت بخطط التنمية الخمسية: الأولى ١٩٧٠-١٩٧٥... السادسة (الحالية) ١٩٩٥-٢٠٠٠ التي هدفت إلى أن تضع السعودية على عتبات القرن الحادي والعشرين بتوفير التمويل الطويل الأجل وبشروط ميسرة لدعم نشاط القطاع الخاص ومساهماته في

تنويع الاقتصاد الوطني، وبصورة متوازية مع تنفيذ ما ورد في النظام الأساسي للحكم في ما يتعلق بإعادة تشكيل الوزارة ودعمها بعناصر شابة برقاسة محادم الحرمين الشريفين الملك فهد. مع بداية ١٩٩٧، أي بعد نحو سنتين من بدء تطبيق الخطة الخمسية السادسة، انشغل الاقتصاديون السعوديون بثلاث قضايا رئيسية:

١- توسيع مساهمة المواطنين والمواطنات في قوة العمل.

٢- توسيع مساهمة القطاع الأهلي في الاقتصاد المحلي.

٣- «سعودة» قوة العمل المدنية وسط تناول تقارير غير رسمية عن وجود بطالة في أوساط المواطنين.

وهذه القضايا استتبعها قضية الوافدين من العمال الذين يشكلون الشريحة الأكبر في العديد من المهن. وتقدر قوة العمل (اليد العاملة) حالياً بنحو ٧ ملايين، منها قرابة ١٢٪ تشتغل في القطاع الحكومي، أما مساهمة العمالة الوافدة فتعادل ضعفي مساهمة نظيرتها السعودية.

وقضية «سعودة» قوة العمل دونها تحدٍ مهم لأسباب ديمغرافية واقتصادية، منها أن قرابة ٤١٪ من السكان هم تحت الـ ١٥ من العمر، يضاف إلى ذلك أن تحويلات العمالة الوافدة من العملات الأجنبية تشكل عبئاً متزايداً على الحساب الجاري.

أما أهداف الخطة الخمسية السادسة (الحالية) فقد نصت على «تكوين المواطن العامل المنتج ومساعدته للوصول إلى تلك المرحلة، وإيجاد مصدر الرزق له وتحديد مكافآته على أساس عمله». ويأتي هذا الهدف ثالثاً ضمن الأهداف العامة للخطة المذكورة مباشرة بعد هدف المحافظة على القيم الإسلامية، وهدف الدفاع عن الدين والوطن. وتطمح السعودية إلى توظيف ٦٥٠ ألف مواطن خلال الخطة الخمسية الحالية ستوجه معظمهم إلى القطاع الخاص بعد

انحسار التوظيف في القطاعات الحكومية، وقد جرى تأسيس صندوق لتأهيل القوى العاملة السعودية وتوظيفها، وأدرج هذا الصندوق في إطار «مجلس القوى العاملة السعودية».

واصل الاقتصاد السعودي، للسنة الثالثة على إطلاق الخططة الخمسية السادسة، أداءه الذي لعبت فيه استثمارات القطاع الخاص والصادرات غير النفطية دوراً مميزاً بدعم من الحكومة. ونجحت المملكة في السيطرة على التضخم وتحقيق نمو خلال الأعوام ١٩٩٤-١٩٩٧ يصل إلى ٤,٥٪. ولعل أبرز أحداث الاقتصاد السعودي في ١٩٩٧ كان في التطورات النفطية، وتحديث الانظمة والقوانين للاقتزاب من ربح العولة ومنظمة التجارة العالمية باقتصاد مطمئن، والاعلان عن تخصيص قطاع الاتصالات لتولاه «شركة الاتصالات السعودية» التي ربما اصبحت كبرى الشركات المساهمة في السعودية.

أخيراً، تعتزم المملكة اتخاذ المزيد من الاجراءات لزيادة ايراداتها غير النفطية في إطار برنامج الاصلاحات الاقتصادية. ويتوقع أكثر الاقتصاديين السعوديين بأن الخططة التنموية المقبلة (الخططة الخمسية السابعة) التي تبدأ في العام ٢٠٠٠ امتداداً للخططة الحالية لجهة تنمية الايرادات غير النفطية وإعطاء القطاع الخاص دوراً أكبر في عملية التنمية الاقتصادية، خاصة وان الخططة المقبلة ستزامن مع تحديات تواجه الحكومة خصوصاً ضعف أسعار النفط وتزايد متطلبات التنمية وتأمين وظائف للمواطنين وتقليل الاعتماد على الوافدين وتحقيق نمو لا يتأثر بالتقلبات في أسواق النفط العالمية.

ميزات رئيسية ثلاث: مستقر أكبر تجمع من القبائل في العالم، وأول وحدة حقيقية بعد صدر الاسلام، واقران الدولة بالاسلام: راجع باب «معالم تاريخية».

نبذة تاريخية

التكوّن الجيولوجي: ثمة نظريتان تفسّران التكوّن الجيولوجي لشبه الجزيرة العربية التي تشغل المملكة العربية السعودية الجانب الأكبر منها.

الأولى، ويقول بها بعض الجيولوجيين الذين يعتقدون انه في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش عصرها الجليدي، كانت شبه الجزيرة العربية أرضاً زراعية خصبة تنتشر فيها الغابات ويعيش فيها كثير من الحيوانات التي انقرضت في ما بعد. وحين انحصر الجليد عن أوروبا إلى الشمال تناول التغير المناخي والجيولوجي شبه الجزيرة، فارتفعت فيه الحرارة، وتلاشت معظم الاراضي الزراعية، وكثرت الصحاري الشاسعة.

الثانية، يذهب اصحابها الجيولوجيون إلى الاعتقاد بأن شبه الجزيرة كانت متصلة بالقارة الافريقية من جهتها الغربية، وبالهضبة الايرانية من جهتها الشرقية، وإن ذلك كان يشكل قارة قديمة تدعى «جندوانا». ويستدل اصحاب هذه النظرية بوجود الصخور البركانية الضخمة في المنطقة الغربية من المملكة والتي تقابلها صخور مماثلة في بعض أجزاء الشاطئ الافريقي الشرقي والسهول الرسوبية الواسعة في المنطقة الشرقية من المملكة والتي تقابلها سهول مماثلة في الشاطئ الشرقي للخليج العربي. وليس هناك بعد ما يقطع بصحة النظريتين أو بنفيهما (وحول المناخ وتأثيره، راجع «شبه الجزيرة العربية»، ج ١١).

التاريخ القديم: التأثير الكبير على مجرى احداث تاريخ شبه الجزيرة هو دون شك تأثير جغرافي. فوسطها شاطئ بمساحات شاسعة من الصحارى كالربع الخالي في المنطقة الشرقية والجنوبية الشرقية، وصحراء الدهناء، وصحراء النفود الغربي، وهو الأمر الذي حال دون التوغل

أو الهجرات من أو إلى المنطقة الوسطى نظراً إلى صعوبة أو استحالة اجتياز الموانع الطبيعية المحيطة بالمنطقة (راجع «شبه الجزيرة العربية»، ج ١١). وهكذا اقتصر أكثر النشاط البشري والتفاعل الحضاري على أطراف شبه الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، بينما ظلت المنطقة الوسطى غالباً منعزلة.

التاريخ القديم للمملكة وفقاً على ما ستبينه أعمال التنقيب الجارية. هذه الأعمال التي لم تعرف بعض الزخم إلا بعد اكتشاف النفط، وكانت قبلاً نادرة قياساً على ما كان يجري من اهتمام البعثات الغربية في المناطق الشمالية من شبه الجزيرة، أي في بلاد الرافدين ومنطقة الهلال الخصيب عمومًا. وكان العامل الديني (اعتقاد كان سائدًا يقول بـ«جاهلية» كل سابق على الاسلام) سبباً مهماً في تأخر أعمال تنقيب هذه البعثات. وفي العام ١٩٦٢، صدر مرسوم ملكي بتأليف مجلس أعلى للآثار استهدف القيام بالمسوح الأثرية الشاملة في المملكة. ومنذ ذلك الحين، بدأت الآثار تكشف عن حقائق تاريخية لم تكن معروفة من قبل، وتشير ان الانسان قد سكن شبه الجزيرة في العصرين الحجريين المتأخر والمتقدم. وسجل عام ١٩٧٠ انطلاق السعي الحثيث والجدى لدراسة الآثار في المملكة مع تعيين الدكتور عبداللّه مصري مديراً للآثار والمتاحف في المملكة. وللدكتور مصري دراسة مهمة عن مدينة «أبيد» Ubeid الأثرية الواقعة شرقي المنطقة.

وأما عن علاقة شبه الجزيرة بالمناطق الشمالية المتاخمة (بلدان الهلال الخصيب) سواء لجهة أصل شعوبها أو لجهة العلاقة الحضارية، فلقد جرت دراسات كثيرة بصدها وحوارات ونقاشات أخذت مذاهب شتى (راجع «شبه الجزيرة العربية»، ج ١١)؛ و«سورية»، ج ٩)، فختار من بينها ما كتبه الدكتور فيليب حتي («العرب، تاريخ موجز»، ص ٩-١٥):

ان حاجتها إلى البخور المستورد من جنوبي شبه الجزيرة العربية قد دفع بسكان هذه الأخيرة، منذ أقدم الازمان، إلى إقامة علاقات مع مصر. وشهد الألف الثاني ق.م.، من مطلعه إلى أواخره، ثلاث ظاهرات حضارية كبرى:

- استنباط الابدعية التي عرفها المؤرخون بـ«الابدعية السامية» التي انبثقت منها كل ابدعيات الشعوب السامية الأخرى: العرب، الأكاديون، البابليون، الآشوريون، الكنعانيون (الأموريون، الموابيون، الأدوميون، العمونيون، الفينيقيون)، والقبائل الأرامية المختلفة وفيها العبرانيون، وجزء كبير من سكان إثيوبيا. وقد كان لهذا الاستنباط تأثير عظيم، في ما بعد، في التطور الحضاري لهذه المنطقة وفي نشوء اللغة العربية.

- حدوث هجرات واسعة (يؤكدها المؤرخون لكن لا يملكون معلومات واضحة عنها) مصحوبة بتحويلات جذرية في حياة الجزيرة بسبب دخول بلدان شمالي شبه الجزيرة (بلدان الهلال الخصيب) في العصر الفولاذي، وبسبب توطن القبائل الأرامية السامية في بعض مناطق الهلال الخصيب.

- تدجين الجمل الذي كان «أول مساهمة عربية في التقدم المادي للانسانية نظراً إلى أهمية ذلك في مجال المواصلات داخل الصحراء وفي ربط المناطق النائية والصعبة بعضها ببعض، وتشجيع التجارة والمبادلات».

الألف الأول ق.م.: يقول المؤرخون، استناداً إلى ما كشفه العلماء من خلال تنقيباتهم وأبحاثهم، إن الاشارات الأولى إلى العرب وممالكهم ودويلاتهم جاءت في الأدبيات الآشورية والبابلية وتصفهم بأنهم «ملكون الجمال (من هنا قول المؤرخين إن الاسهام الحضاري الانساني الاول للعرب كان في تدجينهم الجمل) ويسكنون شمالي الجزيرة العربية ويدفعون الجزية للملوك بلاد ما بين

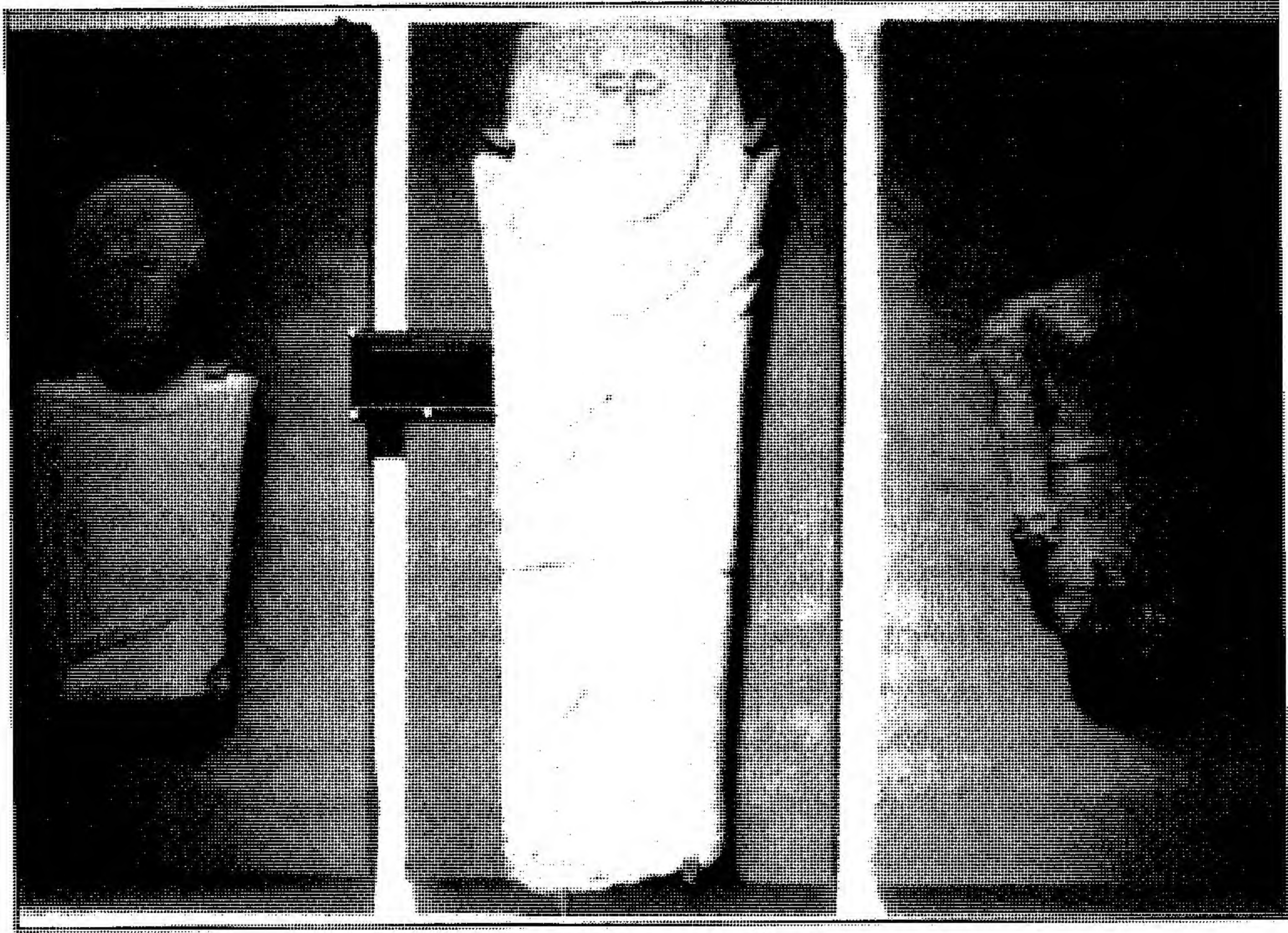
» وفي جزيرة العرب نشأ أولاً اجداد الشعوب السامية، من بابليين وآشوريين وكلدانيين وعموريين وآراميين وفينيقيين وعبرانيين وعرب وأحباش. وفيها قطنوا برهة من الزمن، قبل ان نزحوا وصاروا إلى ما صاروا إليه...

«وإذا كانت الجزيرة موطن الساميين الاصليين، فالهلال الخصيب، الممتد من الخليج العربي إلى سيناء، وفيه العراق وسورية ولبنان وفلسطين، كان مربع مدنيتهم الاولى. ففي وادي الفرات، الذي نزح إليه الساميون حوالي ٣٥٠٠ ق.م. ازدهرت الثقافة البابلية. وتحدث إلى شمالي سورية، حوالي ٢٥٠٠ ق.م. العموريون ومنهم الكنعانيون (الذين سماهم اليونان فينيقيين)، فاحتلوا شواطئ لبنان واصبحوا أسبق المستعمرين والتجار العالميين. وإن مآثرتهم في نشر الحروف الهجائية وحدها تكفي لتجعلهم بين عظماء الحسين إلى الانسانية...

«إن العرب المسلمين قد اصبحوا بعد فتحهم للهلال الخصيب، ورثة هؤلاء الساميين الاوائل. وقد ورثوا كذلك ثقافة بلاد العرب الجنوبية، التي ازدهرت قبل الاسلام بألف سنة. «وقد كان أصل ملكة سبأ التي تذكرها التوراة من جنوبي الجزيرة العربية».

الألف الثالث والثاني ق.م.:

تضمنت النقوش المسمارية التي اكتشفت في بلاد الرافدين إشارات غامضة إلى بعض المدن والاماكن في شبه الجزيرة العربية، كما ان النقوش التي اكتشفت في مصر كانت هي الأخرى أشارت إلى بعض المناطق في شبه الجزيرة العربية. إلا ان جميع هذه النقوش جاءت مبهمة ولا تكفي لاستقصاء معلومات واضحة عن طبيعة العلاقات بين كل من مصر وبلاد ما بين النهرين بشبه الجزيرة. إلا ان الثابت لدى علماء الآثار والمؤرخين هو ان علاقات مصر بشبه جزيرة سيناء وبالبحر الأحمر قديمة جداً، كما



من الآثار القديمة المعروضة في متحف الرياض.

في ثقافتهم. وقد هاجر العديد من القبائل العربية الجنوبية إلى الضفة المقابلة من البحر الأحمر وأطلقوا إسم «الحبشة» عليها، كما امتد نفوذهم وتأثيرهم ليشمل الساحل الشرقي للقارة الافريقية. أما في شمالي الجزيرة، فقد كان التأثير الأرامي أكثر وضوحاً، وخاصة في واحة التيماء التي كانت لفترة من الزمن عاصمة الامبراطورية البابلية الحديثة في عهد الملك نبونيدس (٥٥٦-٥٣٩ ق.م.). وكانت عمود تتخذ من «مدائن صالح» عاصمة لها، وقد وصفتها النقوش الأشورية بأنها من «قبائل العرب»، وبأنها كانت تعيش في القرن الثامن ق.م.، أما اللغة التي كانت تتداولها عمود فقد كانت العربية المشتقة من العربية الجنوبية (راجع باب «مدن ومعالم»).

ومناطق عمود هذه، أي المناطق الشمالية من المملكة العربية السعودية الحالية، سقطت بأيدي الفرس في ٥٣٩ ق.م.، أي في السنة التي سقطت

النهرين» (أي ملوك الآشوريين والبابليين). هذا بالنسبة إلى المناطق الشمالية في الألف الاول ق.م. أما بالنسبة إلى المناطق الجنوبية فقد نشأت في النصف الثاني من الألف الأول ق.م. ممالك ودول منظمة من بينها أربع رئيسية، هي: مملكة سبأ، مملكة معين، مملكة قتبان وأخيراً مملكة حضرموت (راجع «اليمن» في جزء لاحق)، وكانت كلها تعيش من الزراعة والتجارة. وكان سد مأرب في مملكة سبأ أهم إنجاز هندسي وزراعي في ذلك الزمان ومساهمة عظيمة في تطوير نظام الري السائد آنذاك. وقد استطاع تجار الجنوب احتكار تجارة البخور والسيطرة على طرق التجارة والمرور ما بين الهند والغرب قروناً من الزمن، وأنشأوا جاليات لهم في شمالي شبه الجزيرة، كما انه تم اكتشاف آثار لنشاطاتهم في مصر وبحر إيجة والخليج العربي. كما ان الاكتشافات الأثرية الحديثة قد أكدت وجود تأثيرات اغريقية ورومانية

بابل في ايديهم. فحوّل الفرس شمالي شبه الجزيرة إلى ولاية تابعة لهم دعوها «عربية»، إلا ان هذه الولاية لم تدم سوى فترة قصيرة جدًا.

بدأ العلم والمعرفة التاريخية بأحوال شبه الجزيرة العربية (وتاليًا بأحوال المناطق التي تشكل اليوم المملكة العربية السعودية) تثبت وتؤكد ويجري تدوينها بصورة واضحة مع البعثة البحرية التي أرسلها داريوس الاول الفارسي (حكم من ٥٢١ إلى ٤٥٨ ق.م.) لاستكشاف طريق الهند بهدف تشجيع التجارة. فاستطاعت البعثة الإبحار إلى الهند والمرور بالطرف الجنوبي للبحر الأحمر واستقصاء بعض المعلومات عن شبه جزيرة العرب. وقد زادت المعارف بصدها بفضل البعثات الاستطلاعية التي قام بها نيارك الاغريقي والحمالات العسكرية التي شنّها الاسكندر الكبير حول شبه الجزيرة. وقد توفي الاسكندر في ٣٢٣ ق.م. بُعيد نجاحه في تنظيم حركة الملاحة حول شبه الجزيرة وإحضاره لسكانها. وهذا ما مكّن العالم الطبيعي اليوناني تيوفراست من تأليف كتاب عن جنوبي شبه الجزيرة العربية وعن منتجاتها.

وتابع خلفاء الاسكندر سياسة الاهتمام بشبه الجزيرة العربية، فعمد البطالسة (انطلاقًا من مصر) الذين حاولوا السيطرة على البحر الأحمر إلى تهديد الاحتكار التجاري الذي كان يمارسه العرب في تلك المنطقة بسبب تحكمهم بطرق المواصلات البرية والبحرية المحيطة بالبحر الأحمر والخليج العربي، في حين أخذ السلوقيون المستقرون في سورية يتوسعون في استعمال الطرق الشمالية المؤدية إلى الهند. وقد أصاب الضعف والانحلال الدولة السلوقية في منتصف القرن الثالث ق.م. بسبب قيام الدولة الفرثية (Parthe) في تلك الفترة على شاطئ الخليج العربي. إلا ان ذلك لم يمنع انطيوخوس الثالث السلوقي من تجهيز حملة عسكرية ضد الفرثيين (٢٠٥-٢٠٤ ق.م.) على

الضفة الغربية للخليج العربي.

في القرنين الأخيرين من الألف الأول ق.م. برز الأنباط، وهم من العرب الذين وفدوا من شبه الجزيرة العربية منذ القرن السادس ق.م. وأقاموا في المناطق التي كانت تحت سيطرة الكنعانيين والأراميين، في لعب دور متعاظم في سورية والمنطقة، وتبوأ العديد منهم مراكز القيادة في دول الهلال الخصيب، وأنشأوا عدة دويلات شبه مستقلة.

وفي ١٠٥ ق.م. ضُمَّت دولة الأنباط إلى الامبراطورية الرومانية ووسعت لتشمل اجزاء واسعة من شبه الجزيرة العربية وأصبح اسمها «المقاطعة العربية» وكانت تمتد من العقبة في الجنوب إلى النمارة في الشمال الشرقي، وكانت عاصمتها «البثراء» ثم «بُصرى».

من الميلاد إلى ظهور الاسلام: حاول الفرس، وكانوا آنذاك القوة العظمى الثانية في المنطقة (فضلاً عن الرومان)، مدّ نفوذهم على الطرف الشرقي لشبه الجزيرة من خلال بسط حمايتهم على بعض الممالك والامارات العربية المتناحرة. وقد أدّى الصراع بين الرومان والفرس الساسانيين إلى تحول الاقتتال بين القبائل العربية من اقتتال بسبب عصبية ومغامم إلى اقتتال دفاعاً عن مصالح الدولتين العظميين آنذاك وحماية نفوذهما من الغزوات الوافدة من الصحراء. وقد حاول ملوك تدمر الخروج من هذه الدوامة ورفض هذا الواقع والاستقلال عن الرومان والفرس في آن معاً، ونجحوا في ذلك فترة قصيرة جدًا قبل ان يتمكن الامبراطور الروماني أوريليانوس من هزيمة زنوبيا ملكة تدمر والقضاء على امبراطوريتها العربية الوليدة في المهد (عام ٢٧٢).

وفي القرنين الرابع والخامس، مرت شبه الجزيرة باحدى أكثر فترات تاريخها غموضاً، وكان الانحلال يدب في أوصال الامبراطورية الرومانية،

في الفترة السابقة لظهور الاسلام. أما بالنسبة إلى المناطق الجنوبية (اليمن الحالي)، فقد تعرضت، في القرن السادس، لهجمات ملوك الحبشة النصارى وهجمات الامبراطور الفارسي كسرى أنوشروان الاول (حكم من ٥٣١ إلى ٥٧٩). وقد قام أبرهة، ملك الحبشة، بصفته حاكم اليمن الجديد، بمحاولة أخيرة يائسة لاصلاح سد مأرب، كما قاد حملة عسكرية إلى قلب نجد ضد عرب معد الذين كانوا محسوبين على اللخميين، وحملة أخرى فاشلة على مكة حوالي العام ٥٧٠ وهو العام المعروف في التاريخ العربي بـ«عام الفيل». إلا ان كسرى قام بهجوم معاكس فطرد الأحباش من اليمن الذي أصبح بذلك تابعاً للفرس إلى أن جاء الاسلام.

في ظل هذا الوضع المتمثل في صراع قوتين عظيمين من أجل الهيمنة يقبع العرب بينهما في تبعية تامة لهما واحتقار منهما وفي تخلف وتناحر، كانت مدينة مكة العريقة في القدم والواقعة على الطريق الرئيسية الموازية لساحل البحر الأحمر تزداد أهمية وازدهاراً، مع أفول القرن السادس ومطلع القرن السابع، مستفيدة من واقعين مهمين: الأول، وقوع بلاد الجنوب (خاصة اليمن) تحت السيطرة الأجنبية (الحبشة)؛ والثاني، شيوع الفوضى التي كانت تسود الطرق الشمالية بسبب المناوشات الدائمة بين الفرس والبيزنطيين ودخول العرب، بحضرمهم وبدوهم، طرفاً تابعاً فيها. وقد أفاد تجار مكة القريشيون إفادة عظيمة من هذا الوضع فدخلوا التجارة العالمية آنذاك من أوسع أبوابها. وكانت مكة آنذاك مركزاً رئيسياً من مراكز عبادة الأوثان والاصنام في الحجاز وأغنى مدن شبه الجزيرة قاطبة.

من الواضح بعد هذا العرض الوجيز أنه، ورغم الوضع السياسي التبعية والضعيف وغير المستقر في القرون التي سبقت الاسلام، كان للعرب دور حضاري قبل الاسلام ونشاط واسع وتفوق في التجارة الدولية حتى وصف شيرنغر

هذا الانحلال الذي ترك أثراً كبيراً لصالح الحياة القبلية العشائرية في شبه الجزيرة وعلى حساب الحياة الحضرية فيها، كما أن المسيحية النسطورية واليهودية بدأتا تتغلغلان في معظم حواضر شبه الجزيرة (مكة ويثرب وسواهما)، كما احتل الأحباش اليمن (في القرن الرابع) فترة قصيرة، وفي الوقت نفسه تمكن الملك الساساني شابور الثاني (ملك من ٣١٠ إلى ٣٧٩) الذي لقبه العرب بـ«ذي الأكتاف» من احتلال شرقي شبه الجزيرة، وبقيت هذه المنطقة خاضعة للحكم الساساني حتى قبيل ظهور الاسلام.

لقد وجد الساسانيون الفرس والروم البيزنطيون مناطقهم تتعرض باستمرار لغزوات القبائل العربية، ووجدوا أن أفضل طريقة لحماية حدودهما هي في قيام دويلات يحكمها أمراء عرب، وتكون بمثابة حاجز بين كل من الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية وبين القبائل العربية.

هكذا قامت الدولة اللخمية على حدود بلاد ما بين النهرين لتحمي الحدود الفارسية، وقامت دولة الغساسنة لتحمي الحدود البيزنطية. وليس هذا وحسب، بل أن ملوك هاتين الدولتين العربيتين كانوا، بالاضافة إلى مهمتهم الأصلية المتلخصة في حماية أسيادهم، يتحاربون في ما بينهم ويتوسعون على حساب بعضهم البعض. وفي إطار هذا الصراع العربي-العربي استطاع الحارث بن جبلة، وهو أعظم ملوك الغساسنة، التغلب على المنذر بن ماء السماء زعيم اللخميين، وذلك في النصف الاول من القرن السادس. وكانت قبيلة كندة في نهاية القرن الخامس قد تمكنت، بزعامه حجر أكل المرار من إقامة مملكة في اواسط الجزيرة استمرت حوالي خمسين عاماً، وذلك قبل ان يتمكن المنذر من القضاء عليها.

هذا بالنسبة إلى المناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية (والمملكة العربية السعودية الحالية)

Sprenger العرب بأنهم «مؤسسو التجارة العالمية في الأزمنة القديمة»، ويرى جان فرنسوا سال أن «العرب لا الرومان أبحروا للتجارة في المحيط الهندي قبل الميلاد وبعده». ولعل هذه التجارة العالمية هي التي توضح الأسباب الأساسية للصراع الدولي حول الجزيرة قبل الاسلام، ذاك الصراع الذي نجح في توزيع ولاءات القبائل العربية بين أطرافه. وتجدد الإشارة إلى انه في العصور الأخيرة التي سبقت ظهور الاسلام، أخذت اللغة العربية الفصحى تكتسب شكلها النهائي الذي به أنزل القرآن الكريم. «على الرغم من ان اللغة العربية هي أحدث اللغات السامية، من حيث الأدب المدون، فقد حافظت أكثر من العبرانية وشقيقاتها من اللغات السامية جميعاً على خصائص اللغة السامية الأم. والاسلام هو غاية الكمال ديناً في مطابقة العقلية السامية» (د. فيليب حتي، «العرب، تاريخ موجز»، ص ٩-١٥).

الاسلام: في شهر رمضان من العام الثالث عشر قبل الهجرة (٦١١م) «أنزل الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أولى سور محكم التنزيل حيث كان صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار حراء فهبط جبريل بوحى الله تعالى (وكانت كلمة الوحي والتبليغ الأولى «اقرأ»):

«اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم».

وفي هذا يقول ابن قسيم الجوزية: «أول ما أوصى إليه ربه ان يقرأ باسم ربه الذي خلق وذلك أول نبوته (صلعم) فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره بالتبليغ، ثم أنزل عليه: يا ايها المدثر قم فأنذر. ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ثم أنذر قومه ثم أنذر من حولهم من العرب ثم أنذر العرب قاطبة ثم أنذر العالمين».

هكذا بدأت ملحمة الاسلام الكبرى

والتحول العظيم في تاريخ البشرية. فقدر للاسلام في فترة زمنية قصيرة جداً، بل قياسية، الانتشار في أنحاء شبه الجزيرة كافة والانطلاق نحو العالم الخارجي، وإنزال الهزيمة بالدولتين العظميين (فارس وبيزنطية) وإقامة نظام سياسي واجتماعي عماده الدين الاسلامي (راجع باب «مدن ومعالم»، وراجع «شبه الجزيرة العربية» ج ١١، و«العالم الاسلامي»، و«العالم العربي»، في هذا الجزء، وكذلك مختلف بلدان شبه الجزيرة العربية والملاسل الخصيب والبلدان العربية والاسلامية).

بعض المؤرخين يعيد سرعة انتشار الاسلام ونجاح دولته منذ سنوات الدعوة الأولى وعلى يد الرسول الذي وضع بنفسه أسس الدولة الاسلامية فكان بانيتها ورئيسها الاول إلى العامل القومي العربي كأهم العوامل الذي يأتي مباشرة بعد الإيمان الجارف بالرسالة الجديدة الذي دفع بأوائل المؤمنين إلى حمل لوائها والجهاد في سبيل التبشير بها في كل مكان يطوونه. وبعد العامل القومي تأتي العوامل الاقتصادية التي كان لها دور كبير في توفير عوامل النجاح للدعوة الاسلامية، فقد ضاقت شبه الجزيرة العربية، بمواردها المحدودة وثرواتها الطبيعية والزراعية وكثافتها السكانية، بمن فيها، فكان المنفذ الوحيد والمجال الحيوي المتاح هو الانطلاق إلى خارج حدود الجزيرة حيث الطبيعة أرحم وأغنى .

حروب الردة: لقد توفي الرسول في العام ١١هـ (٦٣٢) ولما يترسخ الاسلام في قلوب جميع من أعلنوا إيمانهم به، وقبل ان تبدأ كبرى الفتوحات العربية. وقد اغتنمت بعض القبائل العربية تلك الفرصة لتعلن تمرداً على الدولة الاسلامية الاولى وارتدادها عن الوحدة السياسية التي أقامها الاسلام لعرب شبه الجزيرة. ومن معارك الردة ما حدث قبل وفاة الرسول، ومنها ما حدث في عهد الخليفة الاول أبو بكر، ومدتها جميعاً لم

المدينة مخافة ان يقتحمها الاعراب المرتدون المحدثون منهم وبقايا الذين ارتدوا قبل وفاة الرسول، عادت للدولة العربية الاسلامية وحدتها السياسية. وتم لها هذا النصر الذي أحرزته جيوش الألوية الأحد عشر في أقل من عام واحد. وبعده، بدأت الفتوحات الاسلامية خارج شبه الجزيرة العربية.

غنائم ورفاهية: نتيجة لانتصار المسلمين في حروب الردة واستعادة شبه الجزيرة لوحدها، ونتيجة لانطلاقة الفتوحات الكبرى خارج شبه الجزيرة واندحار بيزنطية وفارس وفتح دمشق والقدس ومصر، بدأت الغنائم تنهال على مركز الدولة، أي على مدن الجزيرة وبشكل خاص على مكة والمدينة المنورة (العاصمة). فقامت حالة من ازدهار اقتصادي لم تشهد له شبه الجزيرة العربية مثيلاً من قبل. وقد أدى تدفق الاموال والغنائم من البلدان المفتوحة إلى تراخ في تطبيق التعاليم الاسلامية الصارمة مما دفع بأبي ذر الغفاري إلى لفت أنظار الخليفة الثالث عثمان بن عفان إلى ذلك. وكانت حالة التراخي هذه المقرونة برفاهية نعمت بها فئات قليلة من الناس في حين قاست منها فئات أخرى شظف العيش، في أساس وضع سياسي غير مستقر أدى إلى اغتيال الخليفة عثمان (٥٦هـ). فبويح علي بن أبي طالب بالخلافة.

علي ينتقل من المدينة إلى الكوفة: عارض بعض وجهاء مكة وأعيانها وعلى رأسهم عائشة زوجة الرسول، والزبير وطلحة، بيعة علي. فخاض الطرفان ما عُرف بمعركة الجمل التي تمكن فيها الإمام علي من هزيمة خصومه. إلا انه فضل الانتقال إثر ذلك من المدينة إلى العراق، حيث بدأت مواجهته مع معاوية بن ابي سفيان والي سورية الذي رفض ايضاً مبايعته وأعلن نفسه خليفة. وقد اختار الإمام علي الكوفة عاصمة له مما أفقد شبه الجزيرة العربية (وخاصة المناطق التي

تبلغ العام. ولقد لعبت الدوافع السياسية دوراً رئيسياً في انتفاض هذه القبائل وارتدادها عن الوحدة السياسية التي اقامها الاسلام، إذ نعت قبائل على قريش استشارها بالقيادة، وبلغ بعضها في العداء الذي حركته المطامح والمطامع حد ادعاء النبوة لقادة منها، كي يكون لهم، هم ايضاً، «نبي» كما ان لقريش نبياً. وحسبوا ان النبوة هي الارض والملك، فطلبوا اقتسام ذلك مع قريش. فإذا كانت دولة قريش، بزعمهم، على رأسها نبي، فلتكن ردتهم عن وحدة هذه الدولة خلق «نبي» كذلك، ولكنه من قبيلتهم.

هذا بالنسبة إلى المرتدين في ايام الرسول. أما الذين ارتدوا في أعقاب وفاته فلم تكن بهم حاجة إلى ادعاء النبوة، ولذلك ظلوا على اسلامهم، لكنهم امتنعوا عن دفع الزكاة إلى دولة الخلافة في المدينة المنورة. فهم لم ينكروا الزكاة كفرض وركن من أركان الاسلام، وإنما حجبوها عن سلطة الخلافة اعلاناً لرفضهم وحدة الدولة.

ولقد اشتبه أمر قتال المرتدين على قيادة الدولة في بادئ الأمر. فعمر بن الخطاب رأى أنه لا حق للدولة في قتال الذين ارتدوا عن الولاء لها ما دام ولاؤهم للدين قائماً. لكنه عاد واستجاب لقرار أبي بكر الذي رأى في الوحدة السياسية للدولة الاسلامية الناشئة سبيلاً وحيداً لنموها.

ومخرج الخليفة أبو بكر إلى «ذي القصة» تجاه نجد على مسافة نحو ١٩ كلم من المدينة، حيث عسكر جنود الدولة، فعقد أحد عشر لواء (منها لواء خالد بن الوليد، وخالد بن سعيد بن العاص، وعمر بن العاص، وغيرهم...) انخرط خلفها المسلمون في أحد عشر جيشاً، ثم زحفوا لقتال كل المرتدين.

فبعد ان كانت الردة قد غطت أرض شبه الجزيرة، ولم يبق على الولاء للدولة الخلافة سوى قريش وثقيف والأوس والخزرج وقليل غيرها، وبعد ان كان المسلمون يتناوبون حراسة منافذ

تشكل حاليًا المملكة العربية السعودية) مركز الصدارة في اتخاذ القرار والقيادة.

الأمويون يحكمون الحجاز وباقي أنحاء شبه الجزيرة: لما انتهى الصراع بين علي ومعاوية بانتصار الأخير واغتيال الأول على يد أحد الخوارج (٦٦١)، وبعد وفاة معاوية بعد ذلك بنحو عشرين سنة، اندلعت المعارك مجددًا بين كل من الحسين بن علي -الذي سقط شهيدًا في معركة كربلاء عام ٦١هـ- وعبد الله بن الزبير في الحجاز من جهة، وبين يزيد بن معاوية من جهة ثانية. وهزم يزيد مناوئيه وفتح المدينة وضرب الحصار على مكة المكرمة، معقل ابن الزبير. إلا أن وفاة يزيد المفاجئة أوقفت المعارك وأدت إلى فك الحصار عن مكة، وعلى أثر ذلك تمت مبايعة عبد الله بن الزبير خليفة على المسلمين في معظم البلاد الإسلامية باستثناء سورية. ولم يبادر ابن الزبير إلى مواجهة الأمويين مفضلًا التريث في مكة مما أتاح للخليفة الأموي الجديد عبد الملك (٦٨٥-٧٠٥) وهو من الفرع المرواني، تثبيت حكمه تدريجيًا خارج شبه الجزيرة. ومن جهة ثانية فإن الخوارج الذين كانوا قد تحالفوا مع ابن الزبير ضد يزيد بن معاوية انقلبوا عليه وعمد زعيمهم آنذاك نجدة بن عامر الحنفي إلى مد سيطرته على أجزاء واسعة من شبه الجزيرة، وذلك قبل أن يطيح زعيم خارجي آخر؛ وفي تلك الأثناء كان عبد الملك بن مروان قد أكمل استعداداته فأرسل الحجاج بن يوسف على رأس جيش كبير إلى شبه الجزيرة، ففتح مكة (٦٩٢) وسقط ابن الزبير في المعركة. وبذلك سيطر الأمويون سيطرة فعلية على الأماكن المقدسة في الحجاز. وفي الوقت نفسه أرسل الأمويون جيشًا آخر إلى شرقي شبه الجزيرة (المنطقة الشرقية) فهزموا الخوارج الذين كانوا يسيطرون على المنطقة هناك. ومنذ هذا التاريخ (أواخر القرن السابع) أخذ الخلفاء الأمويون يعينون

بانتظام حكام مكة والمدن، لكنهم يمارسون سيطرة غير كاملة على بقية أنحاء شبه الجزيرة (المنطقة الشرقية والوسط والجنوب). وقد شهد الحجاز خلال هذه الفترة ازدهارًا اقتصاديًا واجتماعيًا كبيرًا كما أصبح مركزًا رئيسيًا من مراكز الفكر الإسلامي والثقافة العربية.

ومع اقتراب نهاية الحكم الأموي بدأ عرب الجنوب بالتحالف مع الخوارج في التمرد على الدولة الأموية، فاحتلوا مكة والمدينة المنورة (٧٤٧)، إلا أن الخليفة الأموي مروان الثاني تمكن من القضاء على المتمردين بعد أن انهكوا جيشه، وكانوا من العوامل المهمة في هزيمته أمام العباسيين بعد نحو ثلاث سنوات، أي في ٧٥٠.

لكن من هم الخوارج الذين جاء انقلابهم على حليفهم عبد الله بن الزبير عاملاً مهمًا في اندحاره أمام الأمويين، والذين استنبروا في ازعاج الأمويين وبعدهم العباسيين؟.

الخوارج: أول فرقة إسلامية اكتملت فيها عناصر ان تكون «فرقة» أو «حزب»، وقامت في صدر الإسلام، وتحديدًا في العام ٣٨هـ. أنشأ الصراع بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فلقد رفضوا مبدأ «التحكيم» في الصراع لأن عليًا هو الخليفة الشرعي ومعاوية وأنصاره هم الفئة الباغية، والقرآن صريح في الدعوة لقتال البغاة حتى يقتلوا أو يفيثوا إلى أسر الله، ومن ثم فعلي، في رأيهم خطيء عندما قبل «التحكيم» في أمر قد ورد فيه حكم القرآن الصريح. ومن مؤسسي فرقة الخوارج نفر كانوا قد قبلوا «التحكيم»، ثم رجعوا عن موقفهم عندما ظهرت نتائجه لصالح معاوية، وتابوا عن ذنبهم، وطلبوا جميعًا من علي الرجوع عن موقفه من «التحكيم»، والاعتراف بالخطأ ومواصلة القتال، فلما رفض انشقوا عليه، وبايعوا أول إمام في تاريخ الفرق الإسلامية لا ينتمي لقبيلة

وسواهما) وكل بلاد اليمن وعلى المناطق الشرقية والوسطى. وقد شجّع الخلفاء العباسيون الاوائل الحج إلى المدن المقدسة من خلال تحسينهم لطرق المواصلات وتأمين السلامة عليها.

في أثناء ذلك نجح الخوارج الإباضيون في الافلات من السلطة العباسية وفي مضايقتها، فاقاموا في عُمان مركز دعوتهم مدة تقارب الاربعة قرون. إضافة إلى ذلك فقد كانت الاوضاع السياسية في شبه الجزيرة العربية تزداد تدهوراً واضطراباً مع تفكك الخلافة العباسية وعجزها عن ممارسة سيادتها على سائر ارجاء الامبراطورية وميل الولاة المحليين إلى الاستقلال عن السلطة المركزية ومحاربتها.

القرامطة: إلا ان الخطر الرئيسي الذي تعرضت له الخلافة الاسلامية آنذاك جاءها من المناطق الشرقية من شبه الجزيرة حيث برزت الدعوة القرمطية على يد أبي سعد الحسن الجنابي وابنه أبي طاهر سليمان حوالي العام ٨٩١. وكان العباسيون أضعف من ان يواجهوا الدول القرمطية الناشئة ويحولوا دون غزو القرامطة لمدينتي البصرة والكوفة ونهبهما، ثم احتلهم مكة (٩٣٠) ونقل الحجر الأسود إلى عاصمتهم الجديدة الإحساء. وبعد ذلك تمكن القرامطة من احتلال عُمان فأصبحوا بذلك يسيطرون على القسم الأكبر من شبه الجزيرة العربية برمتها.

توفي أبو طاهر سليمان في ٩٤٤، فاغتنم الفاطميون الاسماعيليون المرابطون في المغرب العربي الفرصة للضغط على القرامطة وإرغامهم على إعادة الحجر الأسود إلى مكة (٩٥٠). وقد انضم القرامطة إلى الفاطميين في محاولة للالتفاف على سورية ومصر، فيضغط القرامطة من الشرق ويتقدم الفاطميون من الغرب. إلا ان التحالف القرمطي-الفاطمي لم يدم طويلاً خاصة بعد ان نجح الفاطميون في احتلال مصر (٩٦٩). وقد اصطلم

قريش وهو عبد الله بن وهب الراسبي (من قبيلة الأزد، كان صحابياً، حضر فتوحات العراق تحت قيادة سعد بن ابي وقاص، وكان مع علي ضد معاوية، وحضر مع علي واقعه، مما فيها موقعة صفين).

وقد توالى واستمرت ثوراتهم وحروبهم ضد علي، ومعاوية، والأمويين والعباسيين. ولقد انقسمت حركة الخوارج على نفسها، واشتهر من فرقها: الأزارقة، وهم أتباع إمامهم نافع بن الأزرق ابن قيس الحنفي (٦٨٥)؛ والنجدات، وهم أتباع إمامهم بخدة بن عامر الحنفي (٦٥٦-٦٨٨)؛ والإباضية، وهم أتباع إمامهم عبد الله بن إباض (٧٠٥)؛ والصفورية، وهم أتباع إمامهم زياد بن الأصفر (معاصر لعبد الله بن إباض).

قال الخوارج إن الإمامة والحكم بالاختيار والشورى والبيعة لا بالميراث أو النص من الله أو رسوله، وان نظام الحكم والولاية من الفروع وليس من أصول الدين... وقالوا بحرية الانسان واختياره ومسؤوليته عن أفعاله التي هي مخلوقة له على سبيل الحقيقة لا الجواز... كانت التقوى والنسك من أهم صفاتهم، وكانت شجاعتهم في القتال وطرقهم في الكر والفر مضرب الامثال. نجحوا، في تاريخهم السياسي والعسكري، في إقامة «دول» لهم لم تدم طويلاً. زالت جماعات من المسلمين تدين بمذاهبهم حتى يومنا هذا. ففي عُمان وزنجبار وبعض مواطن المغرب العربي يوجد أتباع لفرقة الخوارج الإباضية بالذات (راجع «عُمان» في جزء لاحق).

جاء انتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد ليعزز من مكانة الخليج العربي كطريق بحرية للتجارة مع الصين وبلدان افريقيا الشرقية، وذلك على حساب طريق التجارة عبر البحر الأحمر. ولم تستمر السلطة المركزية العباسية في فرض هيمنتها على شبه الجزيرة بشكل كامل سوى مائة عام كانت أثناءها تعين الحكام على المدن (مكة والمدينة

هاشم الذين استمروا في هذا المنصب حتى طردهم منه آل سعود.

وأفادت مكة أكثر ما أفادت في تلك الفترة من حكم الملك السلجوقي ملك شاه ووزيره نظام الملك، فالتفتا إلى الأماكن المقدسة يولانها اهتمامهما وينفقان عليها بسخاء وينظمان مواسم الحج إليها.

في ١١٧١، تمكن صلاح الدين الأيوبي من هزيمة الفاطميين في مصر. وكان انتصار الأيوبيين هناك، ثم في سورية، انتصاراً للسلام السني في معظم أنحاء شبه الجزيرة وخاصة في الحجاز ونجد. وقد بادر السلطان صلاح الدين الأيوبي، بعد أن اعترف به «حارس الحرمين»، إلى إيفاد أخيه طوران شاه لطرد آخر المهديين واحتلال اليمن (١١٧٣). وقد استمر حكم الأيوبيين في اليمن وبعض أنحاء شبه الجزيرة حتى ١٢٢٨ حين تمكن الرسوليون من السيطرة على اليمن (قامت الدولة الرسولية على أنقاض الدولة الأيوبية في اليمن) ومن ثم على الحجاز وما فيها من المدن المقدسة. وقد ازدهرت الحضارة العربية تحت حكم الرسولين ازدهاراً كبيراً، وتمكن أحد ملوكهم وهو عمر بن علي من بسط سيطرته من حضرموت إلى مكة المكرمة. وعندما اجتاحت هولاء بغداد وقتل الخليفة العباسي فيها (١٢٥٨)، أعلن يوسف بن عمر بن علي نفسه خليفة على المسلمين، إلا أن هذا المنصب كان يتجاوز مكانة الدولة الرسولية وإمكاناتها، ولذلك لم يجد من يعترف به خارج دولته.

ولما آل الحكم إلى الماليك في مصر وترقى باييار إلى سدة الحكم أصبحت الأماكن المقدسة، إسمياً، تحت حماية الماليك الذين تركوا شؤون تصريف الأمور في مكة إلى الشريف أبي نمي محمد الأول (حكم من ١٢٥٤ إلى ١٣٠١) الذي وضع أسس الدولة القتادية.

وكان العديد من القبائل العربية متحررة

القرامطة بالفاطميين لمنعهم من السيطرة على سورية. واحتل القرامطة دمشق في ٩٧١، ثم حاولوا احتلال مصر، فوصلوا إلى مشارف القاهرة، إلا أن الفاطميين تمكنوا أخيراً من دحرهم وردهم على أعقابهم. ثم انتقل الفاطميون إلى الطحوم فالحقوا هزيمة عسكرية كبرى بالقرامطة وأرغموهم على الانكفاء إلى الإحساء. وفي ٩٨٥ خسر القرامطة عُمان ثم طردوا من العراق. وفي ١٠٧٧ (أي بعد نحو قرنين على نشأتهم) نزلت ببقايا القرامطة في الإحساء الضربة القاضية على يد أحد فروع قبيلة عبد القيس، وبذلك اندثرت آخر معالم القرامطية عند سكان شبه الجزيرة. أما بعض سكان القطيف والإحساء، الذين يذهب بعض المستشرقين إلى اعتبارهم من بقايا القرامطة فهم في الواقع من الشيعة الجعفرية الإثني عشرية.

والجدير ذكره أن القرامطة هم في الأصل شيعة اسماعيلية، تبلور تنظيمهم وانتشرت دعوتهم في اليمن ومنطقة الخليج كتيار ثائر ضد الدولة العباسية منذ بداية القرن العاشر. وكانت حركتهم من أوسع الحركات الاجتماعية في التاريخ العربي وأكثرها عمقاً، قامت باسم المبادئ الإسلامية وتحت راية الدعوة إلى العدالة الاجتماعية (أقاموا ملكية جماعية وضمان حق العمل للجميع، بمن فيهم النساء والأولاد). اتهمهم الغزالي بأنهم استغلوا جهل العامة وفسدوا الدين تفسيراً مادياً، وربطوا بين العقائد والمصالح المادية.

حكم الشريفين لمكة: في منتصف القرن العاشر استحدث منصب «شريف» مكة الذي تحول مع الزمن إلى مؤسسة قدر لها أن تستمر حوالي ألف عام. وكان أبرز أشراف مكة آنذاك أبا الفتوح الحسن الموسوي الذي حاول أن ينصب نفسه أميراً للمؤمنين في ١٠١١، ولكن الفاطميين أفضلوا مشروعه.

وفي ١٦٠٣ آل حكم مكة إلى أشراف آل

(١٥١٧) في مصر بعد ان كانوا قد احتلوا بلاد الشام والعراق وفرضوا سيطرتهم، الفعلية أحياناً والشكلية في أغلب الأحيان، على شبه الجزيرة العربية. بمعنى آخر فقد كانت الهيمنة العثمانية على شبه الجزيرة متفاوتة في درجتها وقوتها حسب الموقع الديني والاستراتيجي لأجزائها. فالحجاز كان بصورة عامة تحت الرقابة المباشرة للسلطنة العثمانية نظراً إلى احتوائه على المدن المقدسة ونظراً إلى اللقب «خادم الحرمين» الذي كان يحمله سلاطين بني عثمان. إضافة إلى ذلك فقد كانت المناطق الساحلية من شبه الجزيرة العربية، خاصة في مرحلة توسع السلطنة العثمانية وازدهارها، تحظى باهتمام عثماني ودولي كبير. أما المناطق الداخلية فلم يكن من اليسير على الدولة العثمانية ان تسيطر عليها عسكرياً وبشكل مستمر، كما انها لم تكن قادرة حتى على حماية القوافل التجارية من غزوات القبائل العربية المتمردة.

من جهة ثانية، فقد تحالف البرتغاليون مع ملك هرمز وهاجموا البحرين حيث قتل أميرها أثناء دفاعه عنها (١٥٢١). وقد ردّ الاتراك على تحركات البرتغاليين بأن دعموا وجودهم في الخليج العربي والبحر الأحمر. وفي ١٥٣٤، بايع أمراء القطيف والبحرين العرب السلطان سليمان الذي تقدمت جيوشه باتجاه اليمن فاحتلتها. أما عدن ومسقط فقد وقعت تحت السيطرة العثمانية لفترة قصيرة كما ان الإحساء وضعت تحت سلطة وال تركي.

وبعد موت سليمان القانوني بدأت السلطنة العثمانية في الانحسار البطيء والأكيد. فكانت شبه الجزيرة أكثر البلدان تحسناً لهذا الانحسار. ثم جاء تحول طرق التجارة الدولية من البر والبحر الأحمر والمتوسط إلى الطريق البحري الذي يلف إفريقيا ثم إلى الأطلسي ليؤدي إلى ركود كبير في النشاط الاقتصادي في القسم العربي من السلطنة العثمانية. وإضافة إلى ذلك فقد كان

من كل سلطة مركزية، وتعيش من الغزو وفرض الأتاوة على القوافل التجارية ومواكب الحجاج، كما كانت تصل أحياناً في غزواتها إلى قلب الحجاز. وفي تلك الفترة كان المصلح الاسلامي ابن تيمية في دمشق (١٣٢٨) الحنبلي المذهب والسلفي النزعة والشديد العداء للخرافات والبدع، يضع الأسس الأولى لحركة فكرية تجديدية عميقة في الفكر الاسلامي (تلك الحركة قدّر لها في ما بعد ان تمارس تأثيراً واضحاً وحاسماً على الدعوة الوهابية التي انطلقت من نجد).

وقد حدثت اضطرابات سياسية في مكة أثناء تولي الشريف عجلان بن رميثة (١٣٤٥-١٣٧٥) إمارة المدينة، ما دفع المماليك إلى التدخل عسكرياً وأسر سلطان الأسرة الرسولية في اليمن بعد معركة عرفة (١٣٥١) ولكنهم لم يقضوا نهائياً على حكم الرسوليين.

وفي اواسط القرن الخامس عشر هاجر مانع بن ربيعة المريدي، الجد الأكبر لآل سعود، من جوار القطيف إلى بلاد نجد حيث استقر في وادي حنيفة. ولقد قدر لهذه الهجرة ان تلعب في ما بعد دوراً رئيسياً في تاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث السياسي والعسكري والذي توج في اوائل القرن العشرين بإنشاء المملكة العربية السعودية (راجع «الشريفون والوهابيون وآل سعود» في ما يلي في هذا السياق التاريخي).

البرتغاليون والبريطانيون والعثماليون: في اوائل القرن السادس عشر دار البرتغاليون حول القارة الافريقية مروراً برأس الرجاء الصالح واستكشفوا الخطوط البحرية في المحيط الهندي، واستولوا على المراكز التجارية الواقعة على هذه الخطوط وخاصة في خليج عُمان والخليج العربي. وفي الوقت الذي كان فيه البرتغاليون يتسللون إلى سواحل شبه الجزيرة العربية الجنوبية الغربية كان العثمانيون يقضون على دولة المماليك

على الاتراك ان يحاربوا على جبهتين: الجبهة الأوروبية ضد النمسا (مخاصة في البلقان) والجبهة الشرقية ضد الأسرة الصفوية الفارسية التي استطاع أحد أكبر ملوكها، شاه عباس الأول، ان يمارس سياسة توسعية في الخليج العربي فيحتل البحرين (١٦٠٢). أما في اليمن فقد استتبسل أتمتها في مقاومة الاتراك إلى ان طردوهم من البلاد نهائيًا (١٦٣٥).

وكان تأسيس شركة الهند الشرقية (١٦٠٠) مقدمة لتوسع مذهل في نشاط التجار (والسياسيين) الانكليز في البحر الأحمر والخليج العربي، وقد تحالف هؤلاء التجار مع الفرس فطردوا البرتغاليين (١٦٢٢) من هرمز ولم يبقَ امامهم سوى التجار الهولنديين الذين كانوا في تلك الفترة أسياد التجارة.

وفي تلك الفترة كان الضعف قد بدأ يدب بشكل متسارع في جسم السلطنة العثمانية، فأخذ الولاة يتمرّدون على سلطتها ويميلون إلى الاستقلال عنها. وكان حسين بن علي، ثالث وآخر وال تركي من أسرة «أفراسباب» قد حاول الاستقلال بولاية البصرة عن العثمانيين في مطلع القرن السابع عشر، فحرّض أسرة آل حميد، من عشيرة بني خالد، على إطاحة والي الاحساء العثماني (١٦٦٤). وقد ظل شيوخ هذه العشيرة يتنازعون شرقي شبه الجزيرة مع غيرهم من القبائل المتناحرة إلى ان جاء الوهابيون وأقاموا الدولة السعودية الأولى في القرن الثامن عشر.

السعوديون

حالة شبه الجزيرة قبل ظهور الحركة الوهابية: يقول أمين الريحاني في كتابه «تاريخ نجد الحديث» في معرض وصفه للحالة التي كانت عليها شبه الجزيرة قبل ظهور الحركة الوهابية: «قبل ظهور هذا المصلح النجدي (محمد بن

عبد الوهاب)، كان العرب في نجد، بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة، منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من بلاد فارس. فكان لا يزال للقرامطة أثر في الاحساء، وكانت للقبور شفاعة لا شفاعة فوقها فحلّها الناس المحل الأعلى في العبادة والتوسل...». إزاء ذلك لم تكن الدعوة الوهابية مجرد حركة دينية اصلاحية هدفها دعوة المسلمين إلى ينابيع الاسلام الاصلية بل كانت أيضًا حركة تحمل في طياتها معنى الثورة على واقع التمزق والضياع التي كانت تعيشها شبه الجزيرة العربية آنذاك لا بل المنطقة العربية بأسرها، بدليل سرعة انتشار هذه الدعوة خارج حدود شبه الجزيرة وامتدادها إلى تخوم سورية والعراق، وبدرجة أقل إلى مصر. وحول هذه النقطة يقول الريحاني:

«... لم يكن للدولة العثمانية أثر يذكر أو يشكر في شبه جزيرة العرب... (كما ان) شبه الجزيرة نفسها لم تكن في حال تغطيتها عليه جاراتها سورية والعراق. فقد كان الأشراف (شريفو مكة) يحكمون في الحجاز وعسير، والسادة العلويون يحكمون اليمن. وكان الأمراء وشيوخ القبائل كل في قطره، وفي قبيلته، يحكم مستقلا عن الأمراء الآخرين ومعاديا لهم في أكثر الاحايين. وكانت بلاد نجد والاحساء من الشعر إلى قطر والكويت، ومن الأفلاج إلى جبل شمر مقطعة الارصال مشتتة الاحوال، لا صلة لقبيلة بأخرى تثمر حيرا أو تدمر، ولا بين الحواجز المستقلة بعضها عن بعض صلات ولاء إلا نادراً...».

الأمراء السعوديون قبيل الوهابية وعند ظهورها: في ظل هذه الاوضاع عاش مقرن بن مرخان أحد أجداد الأسرة السعودية وأمير الدرعية التي كان قد أسسها الجسد الأكبر مانع بن ربيعة المريدي (القرن الخامس عشر). فبسط مقرن سيادته على الاحساء وقطر والقطيف.

ولكن ملكه، الذي تجاوز حدود نجد في بعض الاحيان، لم يدم طويلاً، ولم يكن ملكاً أبناًه لـيختلف كثيراً عن ملك سواهم من أمراء ذلك الزمان، فما اشتمل على غير بلدين أو ثلاثة والقرى التابعة لها.

هكذا كان وضع محمد بن سعود بن محمد بن مقرن أمير الدرعية عندما ظهر محمد بن عبد الوهاب، محيي المذهب الحنبلي وصاحب الدعوة الوهابية التوحيدية.

محمد بن عبد الوهاب والوهابية: ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العُيينة من أعمال نجد في ١٧٠٣ (وتوفي في ١٧٩٢) في أسرة شغل عدد كبير من افرادها وظيفة قاضي العُيينة كما نبغ فيها العديد من الفقهاء الذين اشتهروا على صعيد نجد بأسرها. تلقى تعليمه الأولي على والده ثم رحل إلى الحجاز والعراق والإحساء سعياً وراء العلم. ولما توفي والده في ١٧٤٠ أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته المعروفة بـ«الدعوة الوهابية».

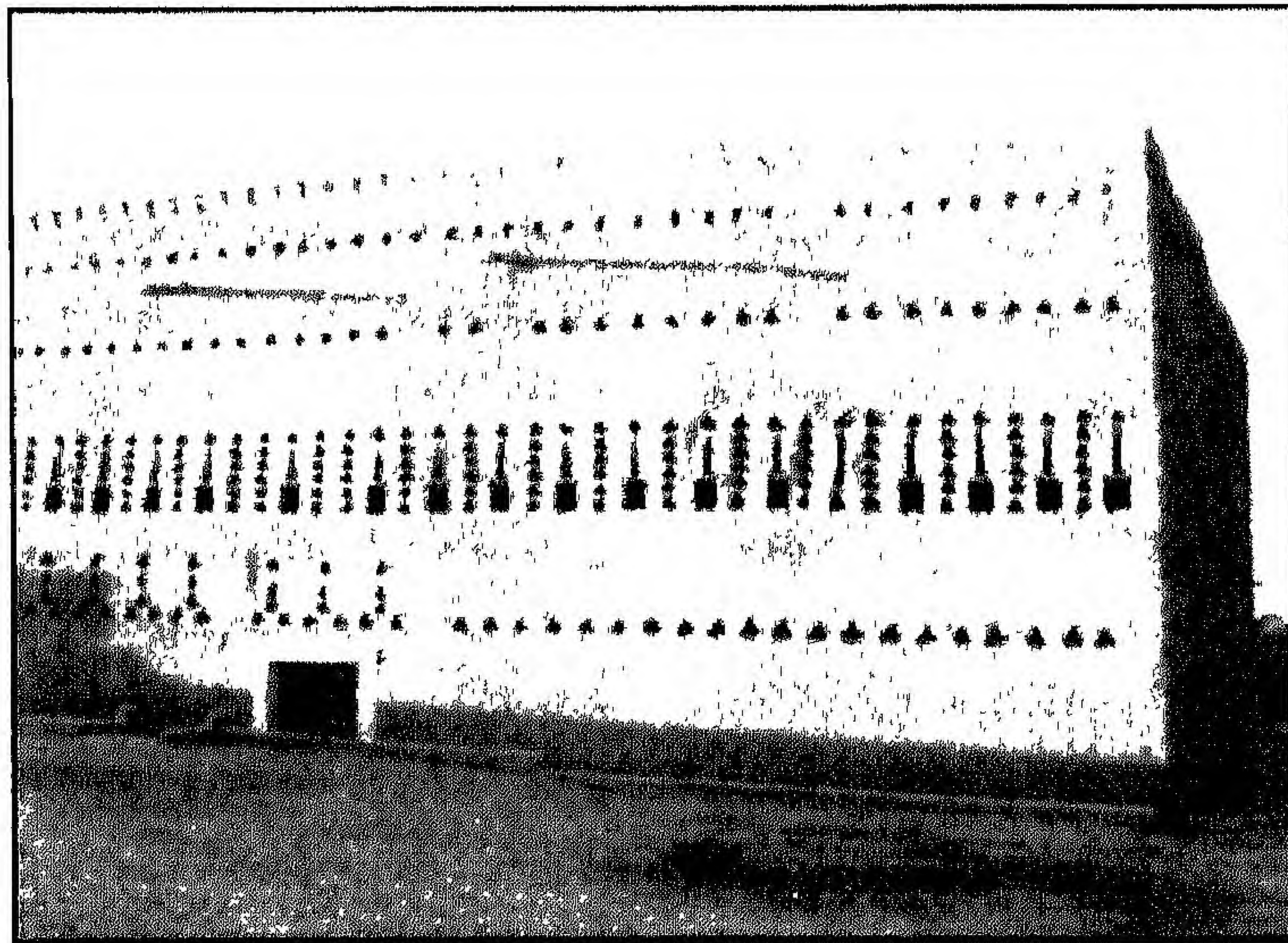
تقوم هذه الدعوة على ضرورة العودة إلى ينابيع الاسلام الحقيقية وتخليصه من الشوائب التي

ألحقتها بعض الممارسات به. كما شدد محمد بن عبد الوهاب على ضرورة التمسك الحرفي بالتعاليم القرآنية وعلى طريقة ابن تيمية الذي كان له تأثير حاسم على فكر ابن عبد الوهاب. فالوهابية تأخذ بظواهر النصوص الاصلية وترفض البدع كلها وتنفر من الفلسفة والتأويل.

والوهابية، في السياسي، طليعة حركات اليقظة العربية المناوئة للعثمانيين، تناقضت معهم فكرياً لأصوليتها هي ولإغراقهم هم في البدع والخرافات. وتعد الوهابية المصدر الأول الذي تأثر به كل دعاة الإصلاح الاسلامي- وإن كان هناك فروقات واختلافات- في الشرق الاسلامي دون استثناء. فمن هؤلاء الدعاة من مزجها بالتصوف، ومنهم من زواج بينها وبين العقلانية التي بهرت ثمراتها في أوروبا عقول مصلحي الشرق والاسلام.

الحلف ما بين الديني والسياسي (ابن عبد الوهاب وابن سعود): ما إن بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته حتى لاقى معارضة ضارية وعنيفة في حريملة حيث كان يسكن بعد انتقاله من العُيينة، وقد بلغت هذه المعارضة حد التهديد بقتله. فعاد إلى العُيينة مسقط رأسه. إلا انه لم يطل به

طراز معماري قديم في الدرعية عاصمة آل سعود الأولى.



المقام في هذه البلدة، فاضطر إلى اللجوء إلى الدرعية حيث كانت تقوم إمارة آل سعود التي بادرت إلى تبني دعوته.

هكذا، عقد العهد بين رجل الدين ورجل السياسة، «بين عقيدة المصلح وسيادة الأمير» على حد قول أمين الريحاني. فتعهد الأمير محمد من سعود، وكان أميراً للدرعية، بـ«نشر دين التوحيد في البلاد العربية وتعهد ابن عبد الوهاب بأن يقيم في الدرعية مصلحاً وأن لا يحالف أميراً آخر من أمراء العرب» (أمين الريحاني، «تاريخ نجد الحديث»).

هذا هو الأساس الديني والسياسي للإمارة السعودية الأولى التي بقيت أكثر من سبعين عاماً، والتي بدأت مع الأمير محمد بن سعود في اتفائه وحلفه مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واستمرت مع عبد العزيز بن محمد، ثم سعود بن عبد العزيز، ثم عبداً لله بن سعود.

وكان الأمير عبد العزيز بن محمد، الذي تسلم الإمارة بعد وفاة والده الأمير محمد بن سعود، قد عمد إلى نشر الأفكار التوحيدية في سائر نجد. ففتح الرياض واصطدم ثلاث مرات بحكام بخران العلويين وتمكن من الصمود أمامهم، وامتدت رقعة الدولة السعودية في عهده لتشمل الخرج والقصيم وسدير وشمر والإحساء وساحل عمان وقطر والبحرين والحجاز (بما فيها مكة المكرمة) والمدينة، وعسير.

أما في عهد سعود بن عبد العزيز فقد امتدت دولة آل سعود إلى قلب اليمن ووصلت إلى مشارف العراق وسورية مهددة السلطنة العثمانية في أهم ولاياتها. وقد تحقق للدولة السعودية الصاعدة ثلاثة أمور: انتشار الأفكار الوهابية في المناطق التي فرضت عليها سيادتها، توحيد نجد وجعلها قلب هذا التوسع في شبه الجزيرة العربية بعدما كانت الحجاز هي المركز الأول ونقطة الثقل فيها.

الشريفيون والدعوة الوهابية وآل سعود: أطلق جغرافيو العرب إسم الحجاز على الجبال الحاجزة بين عالية نجد وبين ساحل البحر الأحمر المنخفض لأن تلك الجبال تحجز بين اليمن والشام وتمتد حتى سواحل عسير. ولكن الحجاز في العرف السياسي يشمل السواحل المنخفضة أيضاً. وأشهر مدنه مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف وينبع.

كان أشرف مكة يحكمون الحجاز حكماً مطلقاً، ولم تكن السلطة العثمانية عليه سوى سلطة إسمية. أما صلة حكام مكة الشريفيين بنجد فكانت صلة قديمة، وروابطهما قوية ومتينة. والحدود بين الحجاز ونجد لم تكن واضحة ولا مرسومة. وكان أشرف مكة يسيطرون على بوادي نجد المجاورة لهم ويجبون من قبائلها الزكاة ويتقبلون منهم الهدايا ويقومون بتأديب بعض المتمردين منهم، كما شملت سيطرتهم السراة وبعض أجزاء من تهامة.

ولما أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وبدأ ينتشر صداها في نجد أخذ أشرف مكة يتابعون سير تلك الدعوة باهتمام ولكنهم كانوا كبعض الناس في ذلك العهد لا يتوقعون لها نجاحاً فلزموا جانب الحياد منتظرين نتائج المعارضة للدعوة الدائرة في قلب نجد.

ولما حلّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية وآمن بدعوته الأمير محمد بن سعود صاحب الدرعية وأعلن نصرته لها، ارتفعت رايات الجهاد لنشر الدعوة في داخل نجد وفي أطرافها. وطهرت نجد من البدع والخرافات، وهدمت القباب المقامة على القبور التي افتتن الناس بها وقدسوها وتضرعوا بها دون الله، «عندئذ تبدل موقف أشرف مكة نحو الدعوة ورهبوها لأنهم وجدوها قد رفضت كل ما لا يعرفه السلف وحشوا على ما هو موجود في الحجاز من تلك المقامات والقباب القائمة على بعض القبور التي يقدسونها والتي كانت تدر عليهم موارد من الرزق لا تنضب تساق إليهم من حجاج المسلمين

القادمين إلى الحرمين من أنحاء العالم الاسلامي». فانضموا إلى مواكب العدوان ضد الدرعية ومشوا في ركابها وأعلنوا حربهم للدعوة القائمة وقرروا القضاء عليها لاتقائها قبل ان تتسرب مبادئها إلى الحجاز وتخرجهم منه.

وأقرتهم الدولة العثمانية على هذا وشايعتهم لتستميل جمهرة علماء الدين، ولتحول في الوقت نفسه دون تكتل القبائل في البلاد العربية حول دعوة موحدة تجمع صفوفهم بحشية انتباههم للمطالبة باسترجاع الخلافة الاسلامية من يد تلك الدولة إلى العرب. وكانت الخلافة يومئذ هي الركن الأساسي لسيادة الدولة العثمانية على الاقطار الاسلامية الخاضعة لها. فأخذت الدولة العثمانية تعمل من وراء الستار لتغذية الحركات التي تدور بين أشراف مكة وأقطاب الدعوة في الدرعية دون ان تزج بنفسها في قتال ظاهر مكشوف.

كان الشريف مسعود بن سعيد هو أول من تصدى بالعداء الواضح لمحاربة الدعوة، واتهم المؤمنين بها بالمروق عن الدين الاسلامي. ثم رفع في ١٧٤٨ تقارير إلى الباب العالي في اسطنبول عن قيام هذه الدعوة يشرح له مدى الخطر الذي ينجم منها على مقام الخلافة الاسلامية ويطلب من دار الخلافة ان تشد أزره في مكافحتها وتطلق يده لمحاربة المؤمنين بها. فصدق الباب العالي مقالته وبارك خطواته. وأول خطوة خطاها الشريف مسعود بعد هذا منعه أهالي نجد من دخول مكة لأداء فريضة الحج.

وعندما بلغ الدرعية أخبار هذه الخطوات العنيفة، أبت ان تستفز الشريف مسعود، وأرسلت وفداً من ثلاثين عالماً دينياً من علمائها لمناظرة علماء مكة حول مبادئ الدعوة.

لكن علماء مكة أصدروا فتوى، بعد مناظرات مع وفد الدرعية، كفروا بها صاحب الدعوة، وصادق على تلك الفتوى قاضي الشرع في مكة. ونشرت بين الناس ليشهدوا بها. ولم

يكتفر الشريف مسعود بذلك بل أصدر أوامره باعتقال العلماء النجديين وزجهم في السجون حتى مات أكثرهم، ولم يسمح لأهالي نجد بدخول مكة لأداء مناسكهم وتأدية فروضهم، وقد استطاع من بقي من أولئك العلماء النجديين الفرار من سجن الشريف وعادوا إلى الدرعية. وكان لما اُخبروا به أسوأ الأثر في نفس الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود. ولم تكن الدرعية يومئذ تملك من القوة والسلاح ما يمكنها ان تتأثر من الشريف مسعود فسكتت على مضض.

بعد وفاة الشريف مسعود تولى الأمر في مكة أخوه الشريف مساعد (١٧٦٠-١٧٧٠) الذي رفض هو الآخر طلب الدرعية السماح لأهالي نجد بإداء فريضة الحج. وبعده استقرت الشرافة بيد الشريف أحمد بن سعيد الذي كتب إلى محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز آل سعود (١٧٧٠) عارضاً إصلاح الحال، فاستجابا له، وتحسنت العلاقات وأزيحت الدعاية التي كانت تنشرها مكة ضد الدعوة.

لكن في ١٧٧٣، أزيل الشريف أحمد وحل محله أخوه الشريف سرور بن مساعد الذي اشترط ان يأخذ من حجاج نجد «ما يأخذ من حجاج الأعاجم من الضرائب والمكوس» (وكانت القاعدة المتبعة قبل هذا ان يدخل أهل نجد الحجاز دون قيد ولا شرط)، فرفضت الدرعية هذا الطلب.

بعد سرور بن مساعد تولى زمام الحكم في مكة أخوه الشريف غالب (من ٣٠ كانون الثاني ١٧٨٨) الذي كان يمني نفسه الاطاحة بالدرعية والقضاء على الدعوة. فأصر على عدم السماح بدخول أهالي نجد إلى مكة (١٧٨٩). وجهز حملة عسكرية من أتراك ومغاربة ومصريين ومن انضم إليه من القبائل. وخرج يقود الجيش بنفسه، وعسكر على أطراف نجد، ولم يتمكن من دخولها، وكانت القبائل تتفرق من حوله، ويشتبك بعضها في قتال مع السعوديين (بقيادة الامام عبد العزيز

وولده الأمير سعود)، وبعضها الآخر مع جيش الشريف الذي كان يحاول إعادتها إلى الطاعة بعدما أخذت تتفرق عنه، حتى استطاعت من هزيمته فعادت فلوله إلى مكة مذعورة.

عندها، جنح الشريف غالب للصلح وأرسل كتاباً إلى الدرعية يوجه فيه الدعوة إلى الإمام عبد العزيز وولده سعود وأهله وعشيرته ومن يشاء من أهل نجد لزيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج؛ فأجيب طلبه وتوجه الإمام عبد العزيز وولده سعود وعدد كبير من أهله وحاشيته، ومن أهل نجد الذين اعتنقوا الدعوة، إلى مكة وهم يحملون معهم رسالة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب معنونة إلى علماء مكة يوضح فيها حقيقة الدعوة التي يدعو إليها.

في أجواء هذا الصلح بين الشريف غالب والدرعية، أخذت القبائل تنهات للامان بالدعوة الوهابية الجديدة، ما أغضب الشريف غالب، فأقدم على نقض الصلح وسير حملات على عدد من القبائل، لكنه مني بفشل، فعاد لطلب الصلح مرة جديدة من الدرعية على الشروط التي تملوها عليه. واقتصرت شروط الدرعية على:

١- الاتفاق على رسم حدود فاصلة بين نجد والحجاز.

٢- تعيين تابعة القبائل للمرابطة على الحدود لكل من الطرفين.

٣- السماح لأهالي نجد بدخول مكة لأداء فرائضهم.

٤- معاملة أولئك الحجاج معاملة حسنة طيبة. وبعد مفاوضات أقرت تلك الشروط وتم عقد الصلح بين الدرعية ومكة في ١٧٩٨. وفي ١٧٩٩، بدأ حجاج نجد يفدون (كان منهم كبار علماء نجد منهم الشيخ علي والشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب). وتكرر الحج، بأعداد أوفر، في ١٨٠٠.

وفي ١٨٠١، عزم الأمير عبد العزيز أن يخرج

بالناس. وفي الطريق، آنس منه ضعفاً أعجزه عن مواصلة السير فعاد إلى الدرعية، وحج ابنه الأمير سعود بالجموع. وأخذت القبائل الحجازية تتكاثر من حول ابن سعود وتعلن ولائها له. فنقض الشريف غالب الصلح مجدداً، وقاتل القبائل «المرتدة»، ونشبت بينه وبينها أكثر من ثلاثين موقعة باء أكثرها بالفشل. وتمكن الأمير سعود من احتلال الطائف، وفتح مكة، فعرض عليه الشريف عبد المعين (أخ الشريف غالب) الطاعة، فأقره ابن سعود في شرافة مكة.

وفشل ابن سعود في دخول جدة بعد حصار عدة أيام (وكان الشريف غالب متحصناً بها) وعاد إلى مكة ومنها قفل راجعاً إلى الدرعية. ومن جدة عاد الشريف غالب، بعد أن علم بارتحال الأمير سعود عن الديار الحجازية، وخرج بجيشه إلى مكة فتمكن من استردادها، وبعدها استرد أيضاً الطائف. وفي تلك الأثناء وافت الأنباء من الدرعية باغتيال الإمام عبد العزيز، ومبايعة ولده الأمير سعود. وبذلك استمر حكم الشريفين للحجاز إلى عهد الشريف حسين بن علي في الربع الأول من القرن العشرين حيث عاد السعوديون وتمكنوا من الحجاز نهائياً هذه المرة. أما اغتيال الإمام عبد العزيز فكان على يد رجل كردي من العراق (من مدينة العمادية الواقعة في لواء الموصل) ساءه هجوم الإمام على كربلاء، فتنكر وادعى اعتناقه الدعوة. وفيما كان يصلي بالقرب من الإمام في مسجد الطريف وثب عليه وطعنه بخنجر (المرجع الرئيسي لهذه المادة الفرعية «الشريفيون والدعوة الوهابية وآل سعود»، حسين خلف الشيخ خزعل، «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، دار ومكتبة الهلال، مطابع دار الكتب، بيروت، بدون تاريخ، ص ٣١٧-٣٢٩).

السلطنة العثمانية وآل سعود (الحملة

سعود. وبذلك انتقلت الامارة من بيت عبد العزيز بن محمد إلى بيت عبد الله أخي عبد العزيز. وما لبث الأمير تركي أن قُتل بدوره على يد ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن الذي استولى على الامارة ولكنه لم يتمتع بها أكثر من اربعين يوماً، إذ سقط بدوره قتيلاً على يد فيصل بن تركي الذي سارع للتأثر لوالده واستعادة الامارة. ومع فيصل بن تركي استقرت نوعاً ما الدولة (الامارة) السعودية الثانية.

يقسم المؤرخون عهد فيصل بن تركي إلى دورين: الاول يمتد من ١٨٣٠ إلى ١٨٣٨ وفيه تميزت الحياة السياسية في نجد بعدم الاستقرار وانتشار الفتن والقتال، وانتهى هذا الدور بتدخل القائد العسكري العثماني العامل في خدمة محمد علي خورشيد باشا الذي أجبر الأمير فيصل على الاستسلام وعين مكانه الامير خالد بن سعود، وهو من الامراء السعوديين الذين كان ابراهيم باشا قد نفاهم إلى مصر باعتباره من المحسوبين على السياسة المصرية في نجد. إلا ان النجديين نفروا من سياسة الامير خالد العصرية (أي انه كان متأثراً بأفكار محمد علي المتأثر بدوره بالافكار الأوروبية العصرية). فتولى الامارة بعده عبد الله بن ثنيان بن ابراهيم بن سعود ولكنه لم يستمر فيها أكثر من عام ونصف، إذ تمكن الامير بن تركي (الذي كان محمد علي قد أطلق سراحه) من خلعه واستعادة إمارته. وبذلك بدأ الدور الثاني من عهده الذي استمر ٢٤ عاماً تميزت بالاستقرار والازدهار النسبي، ودان له فيه القسم الأكبر من شبه الجزيرة العربية كالاحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والجبل والقصيم.

وبوفاة الامير فيصل (١٨٦٥) انتهى العصر الذهبي في الدولة السعودية الثانية، فتنزع أنجاله الحكم وبدأ عهد يمكن تسميته بالحرب الأهلية استمر حتى ١٨٩٠ بانتصار ابن الرشيد، أمير حائل، ولجوء آخر أمراء الدولة السعودية الثانية

المصرية على عسير): نظرت السلطنة العثمانية بقلق عميق إلى توسع الدولة الوهابية إذ إنها، وهي المفترض فيها حماية الاماكن المقدسة، قد وجدت نفسها أعجز من أن تبسط سيادتها عليها، كما ان جيوش آل سعود قد بدأت تهدد فعلياً مواقعها في سورية والعراق. وفوق هذا كله فإنها المرة الأولى، منذ قيام السلطنة العثمانية، التي يرفض فيها حاكم سني الاعتراف بخلافة السلطان العثماني مع كل ما يترتب عن هذا الموقف من نتائج سياسية تهدد شرعية حكمها في البلاد العربية.

وإزاء عجز الجيش العثماني عن القضاء على هذه الدولة السعودية، استنجد السلطان العثماني بواليه في مصر محمد علي للوقوف في وجه هذا الزحف المتواصل. وقد لبى محمد علي، بعد تردد قصير، طلب الباب العالي فأرسل حملة (١٨١١) بقيادة ابنه طوسون، ثم بقيادة ابنه الثاني ابراهيم باشا (الذي ساعده في هذه الحملة أمير جبل لبنان بشير الشهابي الثاني)، تمكنت بعد سنة من القضاء على الدولة السعودية الاولى وتدمير عاصمتها الدرعية بعد خسائر جسيمة ومقاومة مستميتة (راجع «الحملة المصرية على عسير» في باب معالم تاريخية).

كان آخر أمراء هذه الدولة السعودية الاولى الأمير عبد الله بن سعود الذي وقع في أسر ابراهيم باشا فأرسله إلى الآستانة حيث أعدم (١٨١٨). أما بقية أمراء الأسرة الحاكمة السعودية فقد نفوا إلى مصر باستثناء الأمير مشاري بن سعود الكبير الذي تمكن من الإفلات من أسره، والأمير تركي بن عبد الله بن محمد الذي كان نجح في الإفلات من قبضة الجيش المصري لدى إطباقه على الدرعية. إلا ان الاتراك استطاعوا الايقاع بالأمير مشاري فقتلوه بتواطؤ من أمير محلي هو محمد بن مشاري بن معمر الذي كان يطمح إلى الحلول على رأس الامارة. إلا أن الأمير تركي عاد فقتله انتقاماً لمشاري وفرض نفسه الوريث الشرعي لآل

الامام عبد الرحمن بن فيصل، ومعه ابنه عبد العزيز، إلى الكويت بانتظار الانبعاث المقبل للدولة السعودية الثالثة.

عبد الرحمن وعبد العزيز في الكويت: فقد آل سعود، أمام آل الرشيد، في ١٨٩٠، معظم اراضيهم بما في ذلك عاصمتهم الرياض الذي استولى عليها محمد بن رشيد (توفي في ١٨٩٧) وهرب الامير السعودي الامام عبد الرحمن مع ابنه عبد العزيز وبقية افراد عائلته إلى الربع الخالي، ثم حلّصهم أمير الكويت الشيخ محمد الصباح في ١٨٩٥ من قساوة ذلك المنفى الاجباري وأتى بهم إلى الكويت وأكرمهم.

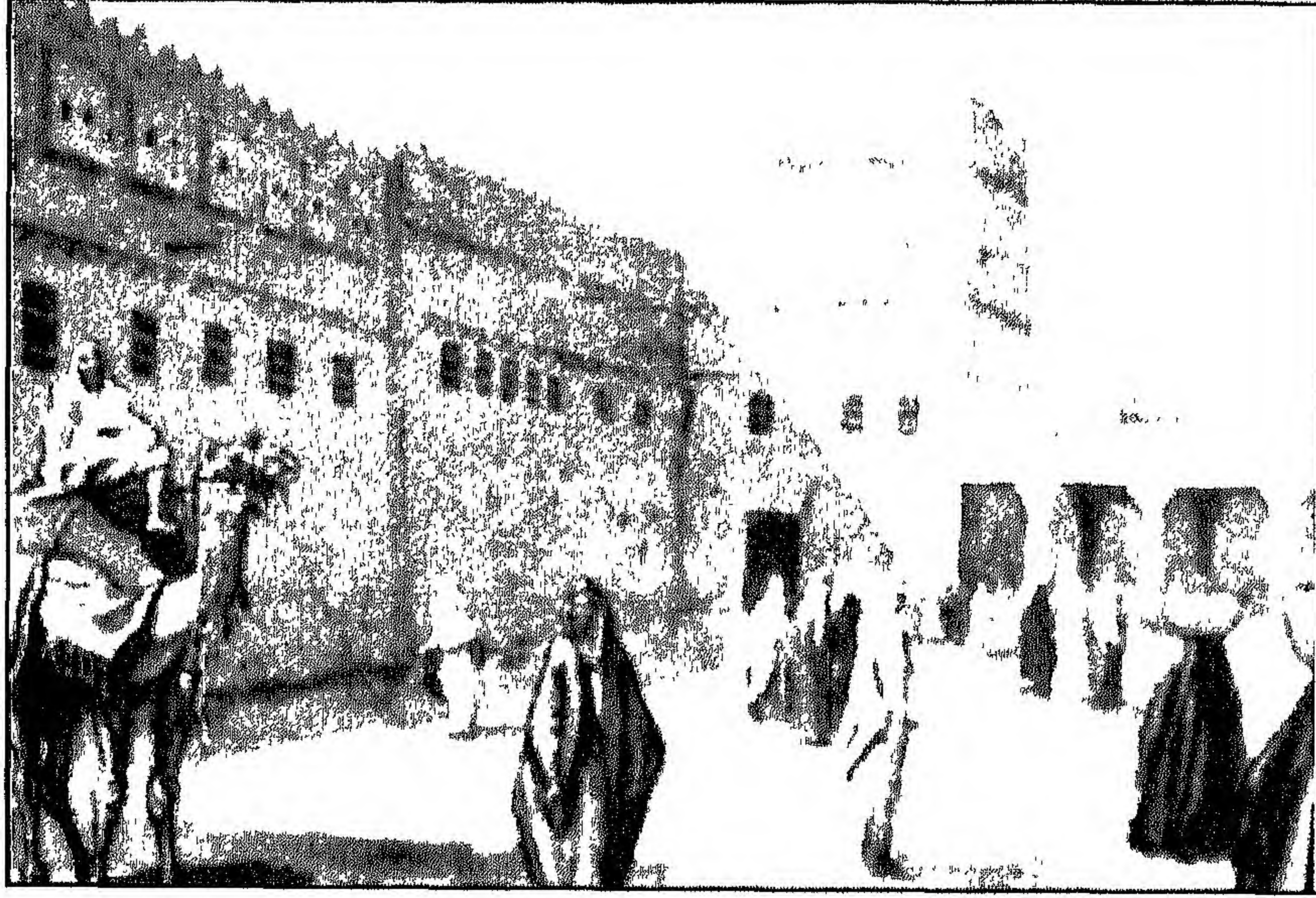
كانت بريطانيا في تلك الفترة ترنو بأبصارها إلى الكويت خاصة عندما أخذت كل من روسيا والمانيا تخطط للوصول إلى الخليج العربي تحت ستار مد خط حديدي بموافقة الباب العالي الذي كانت الكويت تعود إليه إسميًا. ولقطع الطريق على تينك الدولتين اتصلت بريطانيا (١٨٩٥) بأمر الكويت الشيخ محمد الصباح واراقت ان تقيم معه «علاقات صداقة» على غرار اتفاقية ١٧٩٨ مع سلطنة مسقط واتفاقية ١٨٢٠ التي فرضت على شيوخ الامارات السبع (الشاطيء المتصالح)، ومعاهدة ١٨٩١ التي فرضت الحماية على عُمان. وعندما رفض الأمير محمد الصباح ذلك العرض تعرّض للاغتيال وقتل في ١٨٩٦ وحلّ محله أخوه الشيخ مبارك الصباح الذي تمكنت بريطانيا من فرض «اتفاقية سرية» معه في ١٨٩٩ هي في الواقع معاهدة حماية تجعل من بريطانيا الدولة الوحيدة التي تتمتع بامتيازات في الكويت.

في تلك السنة (١٨٩٩)، رفض الشيخ مبارك الخضوع إلى الوالي التركي في البصرة حيث كانت الدولة العثمانية قد جعلت من الكويت «سنجقية» أي قضاء تابعًا لولاية البصرة، كما

عينت شيخها قائمقامًا للقضاء. وعندما توجهت بعثة المانية في ١٩٠٠ إلى الكويت باعتبارها آخر محطة للخط الحديدي المزمع إقامته من طرف المانيا أعلنت بريطانيا عن الاتفاقية وحذرت الدولة التركية من مغبة السماح للامان بمواصلة اعمالهم. ولما أصبح واضحًا ان ميزان القوى تحول إلى جانب البريطانيين وقعت تركيا معهم اتفاقية في ١٩٠١ حول الكويت تعترف فيها بريطانيا بالسيادة الاسمية لتركيا على الكويت، كما اعترفت تركيا بالاتفاقية البريطانية الكويتية لعام ١٨٩٩ وبالسيادة البريطانية الفعلية على الكويت.

إلا ان الاتراك الذين كانوا يحبرين على التوقيع على تلك الاتفاقية حرّكوا من ناحية أخرى قبائل شمر الموالية لهم والخصم التقليدي لقبيلة عنيزة وآل سعود، وكانت إمارة آل الرشيد الشمرية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أقوى إمارة في وسط وشرقي شبه الجزيرة العربية منذ سقوط الرياض في أيديهم بمساعدة الاتراك.

وتوجه فعلاً أمير شمر الشيخ عبد العزيز بن رشيد على رأس جيشه إلى الكويت (١٩٠٠) لطرد الامير مبارك الصباح وإعادة الكويت إلى الحضيرة العثمانية. ورد الأمير الكويتي على ذلك الهجوم معتمدًا على تحالف من البدو ضم قبائل مطير وبني مرة الوهابية وقبيلة المنتفق التي كان يرأسها آنذاك ناصر السعدون في جنوبي العراق. كما ان الامام عبد الرحمن وابنه الامير عبد العزيز آل سعود اغتنما ايضًا تلك الاحداث ليدخلا معمعة القتال ردًا لجميل صديقيهما أمير الكويت وليحاولا استعادة الرياض من يد عدوهما ابن الرشيد. وقد وقفت بريطانيا إلى جانب قوات القبائل الكويتية المحافظة. إلا ان الشمرين هزموا تلك القوات بعد ان استدرجوها إلى منطقة الطريف، في قلب القصيم، وانتصروا عليهم في معركة قاسية. ولم ينج الامير مبارك الصباح إلا بتدخل السفن الحربية البريطانية.



الرياض في أوائل عهد
عبد العزيز.

(١٩١٤) بقيت الدولة السعودية الثالثة على الحياض (في حين ان الشريف حسين في مكة خاض هذه الحرب إلى جانب الحلفاء بدءاً من ١٩١٦). وبالمقابل فقد اعترفت بريطانيا باستقلال نجد وسلامة اراضيها. وكان عبد العزيز قد أنشأ منذ ١٩١٠ قوات مسلحة شديدة المراس أطلق عليها اسم «الإخوان» (راجع باب «معالم تاريخية») كانت تقيم في مستوطنات في نجد وتشكل القوة الضاربة الطليعية في غزوات الملك عبد العزيز وحروبه. وكانت بالاضافة إلى ذلك تلعب دوراً كبيراً في نشر الافكار الدينية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وفي فرض العدالة الاسلامية وتطبيقها.

مشكلات حدود ومؤتمرات: بعد أن

قضى عبد العزيز على ابن الرشيد وضمن ولاءه للدولة السعودية (١٩٢١)، أصبحت الحدود الحجازية-النجدية مفتوحة بعضها على بعض، لا بل ان عبد العزيز (أصبح يقال له «السلطان»)، بضمه الجوف إلى سلطته في مطلع ١٩٢٢ أصبح على حدود الاراضي الخاضعة للسلطة الهاشمية،

العودة المظفرة والدولة السعودية الثالثة

(١٩٠١-١٩٣٢): لم يستسلم الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن لتلك الهزيمة، بل أعاد الكرة، وتمكن، في ١٩٠٢، وهو على رأس كوكبة من ٤٢ فارساً، من استعادة الرياض التي ساعده سكانها من الداخل، إذ كانوا يتوقون للتحرر من قساوة تسلط آل الرشيد عليهم. وفي مطلع ١٩٠٤، كان عبد العزيز بن سعود قد استعاد معظم اراضي دولة اجداده التي أصبحت في ١٩٠٦ من القوة إلى درجة ان أمير شمر الشيخ معتب، الذي حلف والده عبد العزيز بن الرشيد على الحكم في السنة نفسها، اعترف رسمياً بسلطة آل سعود على نجد والقسم كما ثبتت تركيا ذلك الاعتراف في ما بعد. لكن عبد العزيز آل سعود ظل يقاتل بعد ذلك طيلة سنوات قبل ان يتمكن في النهاية من اخضاع ابن الرشيد وتقويض سلطته (١٩٢١). وكان الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود قد تمكن منذ ١٩١٣ من طرد الاتراك من الاحساء وبسط حكمه على كل اواسط شبه الجزيرة.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى

المشكلات العالقة بين نجد والحجاز، على ان يوافق السلطان عبد العزيز على مناقشة هذه المسألة. وقد وافق السلطان على ذلك، إلا ان الشريف حسين أخذ بمأطل في حضور المؤتمر مما أدى إلى فشله، لا بل أن بعض القبائل المحسوبة على السلطان عبد العزيز عمدت، بعد ان أدركت فشل المؤتمر، إلى القيام بغزو على أطراف العراق. وقد أغضب هذا الحادث الحكومة البريطانية، إلا ان السلطان عبد العزيز أبدى عدم اكتراث بردود فعلها، خاصة وانها لم تعد في موقع القادر على التأثير على قراراته. وكل ما استطاعت ان تفعله هو قطع المعونة المالية التي كانت تقدمها له.

عبد العزيز يُسقط الحجاز ويضمه: ما إن ألغى مصطفى كمال أتاتورك منصب الخلافة الذي كان في آل عثمان (٣ آذار ١٩٢٤) حتى أعلن الشريف حسين بن علي نفسه خليفة للمسلمين. فزاد هذا الاعلان من حدة الخلافات بين السعوديين والهاشميين. وفي ٤ حزيران ١٩٢٤، عُقد في الرياض مؤتمر عام برئاسة الامام عبد

تلك الحدود غير المرسومة وغير الواضحة السيادة، خاصة على الحدود النجدية-العراقية. ونتيجة لذلك تصاعدت المناوشات على الحدود وكثرت الغزوات بين العشائر القاطنة على جانبيها. وعلى أثر استمرار التوتر الحدودي وتصعيده، عقد مؤتمر الحمرة لتسوية الخلاف بين البلدين (نجد والعراق). ولكن السلطان عبد العزيز لم يوافق على نتائجه، فعقد مؤتمر ثان بعد بضعة اشهر في العقير، اعتبر تكملة للمؤتمر الاول، توصل فيه السلطان عبد العزيز والسر جيلبرت كلايتون المندوب المفوض من الحكومة البريطانية والمخول بأن ينوب عن الحكومة العراقية، إلى الاتفاق على ضبط العشائر في المناطق الحدودية وعدم السماح باستعمالها في تهديد الأمن الداخلي لأي من الطرفين. وقد عرف هذا الاتفاق بـ«اتفاقية بحرة»، وتم التوقيع عليه في اواخر ١٩٢٢، إلا انه لم ينفذ بشكل جدي. فعقد مؤتمر ثالث في الكويت (اواسط ١٩٢٣) يكون الغرض منه البحث في تنفيذ بنود اتفاقية بحرة والبحث في مسألة حدود نجد وشرقي الاردن، وكذلك البحث في حل

الحجاز أواخر القرن ١٩ واول القرن ٢٠: من اليمين، واجهة مبنى تقليدي في جدة (١٩٣٨)،

ملابس حجازية (١٨٧٣)، ومقر الحكومة في جدة (١٨٩٠).



الهاشمي عن الحجاز ما عدا جيئاً صغيراً ساحلياً ضم جدة وبعض الاراضي المحيطة بها بالاضافة إلى المدينة المنورة.

وقد جرت مفاوضات بين الطرفين لحقن الدماء ومحاولة تسوية الامور سلمياً، إلا انها باءت جميعها بالفشل. فاضطر السلطان عبد العزيز إلى الدخول في معركة حاسمة مع الجيش الهاشمي فسقطت المدينة في اواخر ١٩٢٥، واستسلمت جدة بعد ذلك بقليل، وتنازل الأمير علي عن ملك الحجاز وسافر إلى الخارج. وبذلك تم توحيد نجد والحجاز تحت سلطة الأسرة السعودية، وأصبح لقب عبد العزيز «سلطان نجد وملك الحجاز»، واختصاراً «الملك عبد العزيز».

سياسة عبد العزيز داخلياً وخارجياً
(١٩٢٦-١٩٣١): ما إن استتبّت الامور للملك عبد العزيز حتى دعا في ١٩٢٦ إلى مؤتمر عربي اسلامي لبحث شؤون الحج في مكة المكرمة. وفي المؤتمر رفض بشدة إثارة قضية الخلافة التي كان العديد من المسلمين-وبشكل خاص مسلمي الهند- يريدون إثارتها. وبالرغم من ان هذا المؤتمر لم يخرج بنتائج حاسمة، إلا انه كان له الفضل الأكبر في طمأنة الدول الاسلامية على سلامة الحرمين الشريفين، وتشجيع المسلمين على الحج بأعداد وفيرة. وهذا ما حدث فعلاً منذ ١٩٢٧. وإضافة إلى ذلك فإن بعض البلدان العربية والاسلامية، وعلى رأسها مصر والهند وايران، حاولت وضع العراقيل في وجه النظام السعودي الجديد بحجة غياب الأمن في المملكة والمضايقات التي قد يتعرض لها الحجاج من قبل السلطات الجديدة (خاصة من قبل الاخوان).

أزال المؤتمر المذكور جزئياً هذه المخاوف، لكن مشكلات داخلية (نتيجة ضم الحجاز إلى نجد) استمرت تعكّر صفو الأمن. ولقد بدأت أولى هذه المشكلات مع بعض الاخوان الذين اخذوا

الرحمن آل سعود والد السلطان عبد العزيز حضره العلماء ورؤساء القبائل والسلطان عبد العزيز نفسه، وطرح في مسألة الحج وعدم تمكن أهل نجد من تأدية فريضته. وخرج المؤتمر بضرورة غزو الحجاز «لتخليص البيت الحرام» وتأدية فريضة الحج بالقوة بعد «أن استنفدت الوسائل السلمية».

وهكذا بدأ زحف «الاخوان» على مدن الحجاز التي أخذت تتساقط الواحدة بعد الأخرى. فسقطت الطائف في ٧ ايلول ١٩٢٤، وكان لسقوطها تأثير كبير على معنويات القوات الهاشمية. وقد طلب الشريف حسين دعم القوات البريطانية، لكنها لم تحرك ساكناً. وفي ٣ تشرين الاول ١٩٢٤، اجتمع أعيان مكة وجدة ومن فر من أعيان الطائف في مدينة جدة وطالبوا الحسين بـ«التنازل وتنصيب ابنه الأمير علي ملكاً على الحجاز فقط، مقيداً بدستور ومجلسين وطنيين». فساطل الحسين في بادئ الامر، ثم رضخ وتخلّى عن الملك لولده علي وانتقل بحراً إلى العقبة. ولكن الانكليز أنذروه بضرورة الرحيل عنها بحجة احتمال مهاجمة ابن سعود لها فنقلته بارجة بريطانية وهو ساخط إلى قبرص فاقام فيها ست سنوات أذن الانكليز له بعدها بالسفر إلى عمان حيث وافته المنية بعد ٦ أشهر، أي في ١٩٣١ فحمل جثمانه إلى القدس ودفن في المسجد الأقصى. والمعروف ان الشريف حسين هو مؤسس الأسرة الهاشمية في العراق والاردن، وهو الذي أعلن «الثورة العربية الكبرى» (١٩١٦)، وتمكن في ١٩١٨ من الاستيلاء على الحجاز كله، ولكنه سرعان ما انهزمت جيوشه أمام أتباع عبد العزيز بن سعود.

وجد الأمير علي بن الحسين ان الحالة العسكرية في مكة ميؤوس منها، فراجع إلى جدة حيث أخذ ينظم دفاعاته. وفي تلك الأثناء كانت قوات «الاخوان» تقترب من مكة لتدخلها في ١٦ تشرين الاول ١٩٢٤. وبذلك انحسر النفوذ

على الملك عبد العزيز تساهله مع الاجانب، وإدخال بعض مظاهر الحياة العصرية إلى المملكة. وكان هؤلاء الاخوان يظهرون استياقهم وغضبهم في مواسم الحج. فقد تعرضوا مرة لبعثة الحج المصرية التي كان من عادتها ان تدخل الحجاز على اصوات الموسيقى والإنشاد يحيط بها بعض المسلمين. وقد ذهب ضحية هذا الاشتباك عدد من افراد البعثة. ونتيجة لذلك منع الملك عبد العزيز البعثة من إحاطة نفسها بالمظاهر المسلحة، باعتبار ان هذا يعتبر مأساً بسيادة المملكة وعدم ثقة بقدرتها على حماية الحجاج. وقد ردت مصر على ذلك بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع المملكة.

ولم يكتف الاخوان بما جرى مع البعثة المصرية بل أخذوا يحتجون علانية على السياسة العصرية والتحديثية التي ينتهجها الملك عبد العزيز الذي بادر إلى عقد مؤتمر عام في الرياض حضره زعماء القبائل والعلماء الذي أكدوا فيه ولائهم للسياسة السعودية.

ثم جاء توقيع اتفاقية رسم الحدود بين المملكة السعودية وكل من العراق وإمارة شرقي الاردن اللذين كانا تحت الانتداب البريطاني (٢٧ ايار ١٩٢٧) ليزيد من نقمة المعارضين الذين حرموا بذلك من «حق» التنقل والغزو خاصة بعد ان كان الملك عبد العزيز قد منعهم من ذلك، وأمن لهم مورداً مالياً تدفعه إليهم الدولة بانتظام. وهكذا أعلنت بعض العشائر بزعامه سلطان بن بجاد التمرد السافر على سلطة الدولة، واستمرت مناوشاتهم ضد الدولة مدة عام ونصف إلى أن جهز الملك عبد العزيز حملة قوية قضت عليهم نهائياً (١٩٢٩). وأودع زعماء المتمردين سجن الرياض. وبذلك نجحت السلطة الجديدة في تثبيت أقدامها داخلياً وأصبح بإمكانها التفرغ لاصلاح الحياة البدوية وتنظيمها من جهة، وإيلاء السياسة الخارجية المزيد من الاهتمام من جهة أخرى (راجع «الاخوان» في باب معالم تاريخية).

فإزاء ضم الحجاز إلى نجد وقيام نظام الملكية وجدت الدول الكبرى نفسها أمام أمر واقع جديد بالغ الأهمية في منطقة شبه الجزيرة العربية. وكان الاتحاد السوفياتي الدولة الكبرى الاولى التي اعترفت بالنظام الجديد، ثم لحقتها بريطانيا وفرنسا. مع شرقي الاردن والعراق وقع الملك عبد العزيز اتفاقية رسم الحدود (٢٧ ايار ١٩٢٧). وأما مع اليمن فقد اتسمت علاقاته معها في مطلع العشرينات (واستمرت إلى الثلاثينات) بالتوتر الشديد. ففي ١٩٢٠، واثراً اندلاع اضطرابات في منطقة عسير ضد حكامها من الأسرة الأدرسية أعلن السلطان عبد العزيز (كان لا يزال سلطان نجد) حمايته عليها.

المملكة العربية السعودية

إعلان المملكة العربية السعودية وأولى المشكلات مع اليمن: في ٢٣ ايلول ١٩٣٢، توج الملك عبد العزيز إنجازاته بإعلانه توحيد البلاد تحت إسم «المملكة العربية السعودية»، وأصدر أمراً ملكياً قضى بتوحيد مناطق البلاد تحت هذا الاسم. وأصبح الملك عبد العزيز، بفضل كفاحه الطويل وإنجازاته الكبرى، زعيماً عالمياً، وراح الكثير من القوى الاجنبية يتطلعون بأنظارهم نحو مملكته.

وما كاد يخطر في بال عبد العزيز ان فتوحاته قد انتهت حتى ثارت مشكلة في المنطقة الجنوبية. لقد استولى الإمام يحيى حاكم اليمن على بحران، وأخذ يحرض ويساعد القبائل على الثورة والقيام بأعمال الشغب. وتطورت الاحداث بين البلدين إلى حرب مفتوحة في آذار ١٩٣٤، خاصة وان السعوديين كانوا قد أفضلوا تمرداً قام به حسن الادريسي، بمساعدة حكام اليمن في ١٩٣٣، وضموا عسير رسمياً إلى مملكتهم، ولجأ الادريسي نتيجة ذلك إلى اليمن.

قاد ولدا عبد العزيز سعود (الذي اقترح



الملك عبد العزيز في البصرة (١٩١٦).

على الحد من كل رغبة عربية في الاستقلال. وفي المقابل، كانت الولايات المتحدة الاميركية لا تنفك تعلن عن مساندتها للتحرير وحق الشعوب في تقرير مصيرها. فعمل عبد العزيز بحرص على بناء علاقات أفضل مع الولايات المتحدة، وظل في الوقت نفسه ينمّي علاقته مع بريطانيا، القوة الأعظم في ذلك الوقت، لتفادي أي استشارة أو عداء من جانبها.

وكان توافاً جداً لتقديم إسهامات أساسية في سبيل إتاحة الخدمات التعليمية والصحية لجميع أفراد شعبه. وقد اعتزم تحديث وسائل النقل وشبكات المواصلات البدائية. فأراد زيادة عدد

الملك عبد العزيز تعيينه ولياً للعهد في ١٩٣٣، وكان له ذلك) وفيصل حملة عبر الجبال استولت على ميناء الحديدة في اليمن خلال اسابيع قليلة. وإزاء ذلك قبل الإمام يحيى الدخول في مفاوضات سلسة مع الملك عبد العزيز الذي أظهر مرونة وتساهلاً فقبل بالانسحاب إلى المواقع التي كان يسيطر عليها قبل اندلاع المعارك (ويعني ذلك عملياً اعتراف اليمن بضم عسير إلى المملكة العربية السعودية)، ووقعت معاهدة سلام في الطائف في ٢٢ ايار ١٩٣٤، وفرض على اليمن دفع ١٠٠ ألف جنيه استرليني ذهباً لتعويض الدولة عن نفقات الحملة. وفي ١٩٣٧، وقع البلدان معاهدة صداقة وعدم اعتداء.

وبعد نحو ثلاث قرن من الحروب التي خاضها عبد العزيز وكانت شبه متواصلة، بدت جروح الحرب وقد اندملت. فركز عبد العزيز اهتمامه على الموارد والتطوير. وتكرر في هذه المجالات ايضاً، مجالات السلم، لقاءه مع الحظ والألمية. فلم يُصب فقط آبار الماء التي كان ينشدها بل بطن صحراء حافلاً بالذهب الأسود.

أسس عامة في سياسة عبد العزيز: لقد

اقتضت مشاريع تحسين احوال الشعب وإجراءات الإصلاح والتطوير تنويع موارد المملكة وزيادة إنتاجيتها، وحتى ذلك الوقت كان معظم الدخل اللازم لتسيير شؤون البلاد يأتي من تربية الحيوان وبعض زراعة الكفاف في المناطق الخصبة ومن إيرادات الحج الطفيفة. وقد أضرّ الكساد العالمي، في الثلاثينات باقتصاديات البلاد إذ انخفض عدد الحجاج في تلك الفترة بشكل ملموس. وقد استطاع الملك عبد العزيز تطوير علاقات مناسبة مع الدول الغربية بهدف إقامة الاقتصاد والتطوير السياسي في العربية السعودية على أسس راسخة وثابتة.

كان الفرنسيون والبريطانيون مصممين

السيارات والطائرات وأجهزة البرق.

اكتشاف البترول: حدث الحاجة الماسة

إلى موارد مالية الملك عبد العزيز على منح أول حقوق التنقيب عن البترول إلى شركة بريطانية في ١٩٢٣، هي شركة «إيسنر أند جنرال سنديكت»، ولم تستخدم الشركة هذا الامتياز، ولم يجر تحديد العقد حتى انتهى مفعوله في ١٩٣٣.

وكان الاميركيون الذين سبق لهم زيارة شبه الجزيرة العربية في العشرينات وأوائل الثلاثينات قد تركوا انطباعاً إيجابياً في نفس الملك، مما دعاه لاحقاً إلى اختيار شركة اميركية للتنقيب عن البترول واستغلاله. وكان مهندس مناجم أميركي اسمه كارل تويتشل قد ناقش موارد المملكة الكامنة في باطن الأرض مع الملك عبد العزيز في جدة (١٩٣١)، وجرى التركيز بخاصة على موارد المياه غير المستغلة في الحجاز. وقد تأسست لاحقاً (١٩٣٤) المؤسسة العربية الاميركية المحدودة للتعدين لاستغلال مهد الذهب، وهو منجم ذهب يبعد حوالي ٨٠ كلم جنوبي المدينة المنورة.

ثم جاء قرار الملك عبد العزيز ببدء مباحثات جديدة حول استكشاف البترول في المملكة. وكان هذا القرار، كما تجلّى لاحقاً، أحد أهم القرارات التي اتخذها الملك. ففي ١٩٣٣ مُنحت امتيازات التنقيب إلى شركة «ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا» (شركة كاليفورنيا الموحدة للبترول)، ووقع الاتفاق وزير المال السعودي عبد الله السليمان ولويد هاملتون العامل لحساب الشركة المذكورة. وفي ٧ تموز ١٩٣٣ وقع الملك المرسوم رقم ١٣٥، مانحاً الامتياز للشركة، وبعد ثلاثة أيام تم نشر المرسوم في الجريدة الرسمية «أم القرى». وفي ٢٣ ايلول من السنة نفسها بدأ عالمان جيولوجيان أميركيان هما برت ميلر وكروغ هنري بالعمل في المملكة، وانضم إليهما

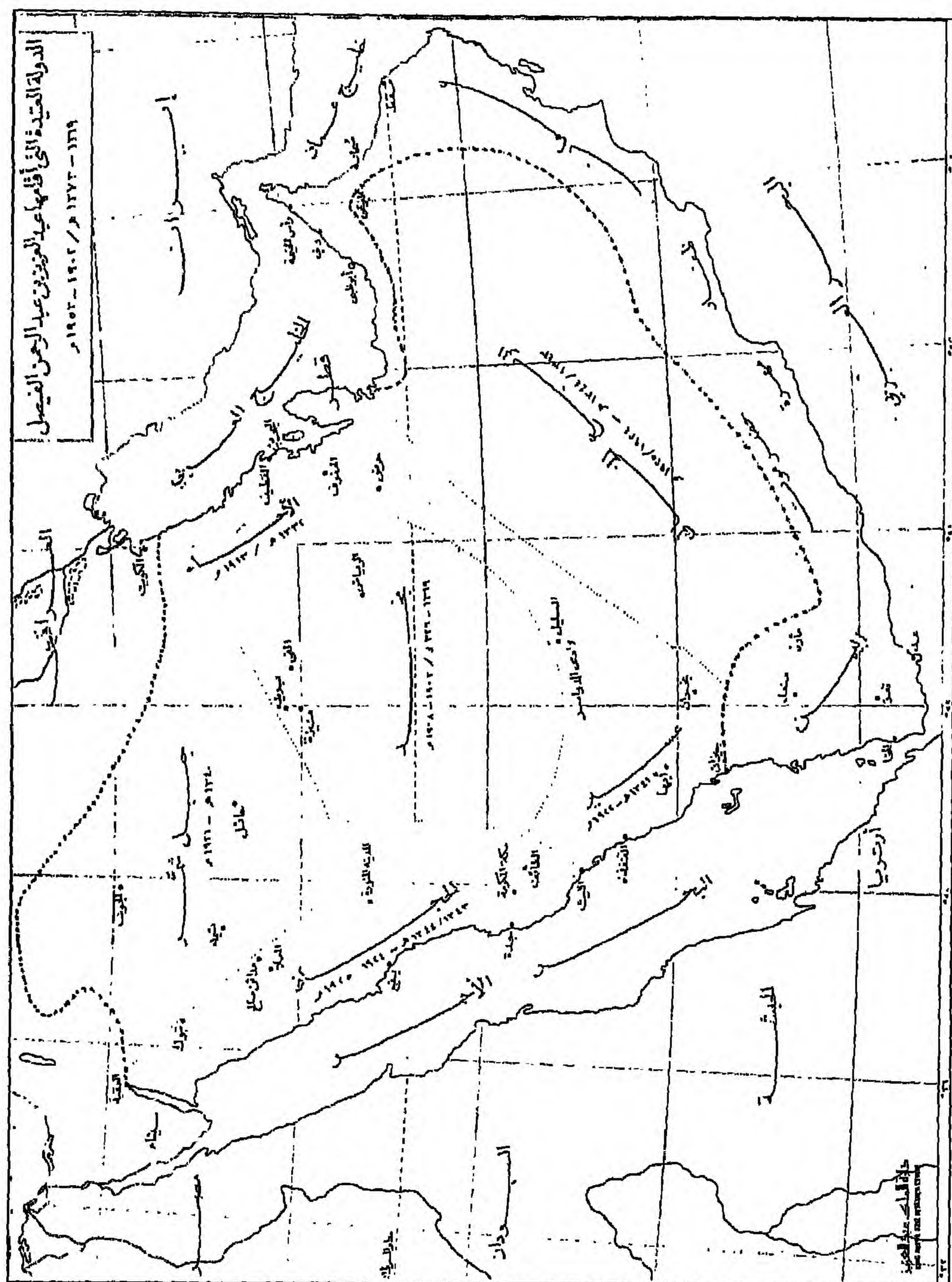
لاحقاً كارل تويتشل. وبعد شهر انضم إلى الفريق سوك هوفر الذي اصطحب معه المعدات الضرورية من الولايات المتحدة، واستخدمت معها المعدات التي قدمتها الحكومة وأحضرت من جدة. وتوزع الخبراء فرقاً كان لكل فريق منها حارس ومرشد. ولم يلاق المنقبون أي مصاعب مع البدو إذ كان الملك قد وطّد السلام والأمن في طول البلاد وعرضها.

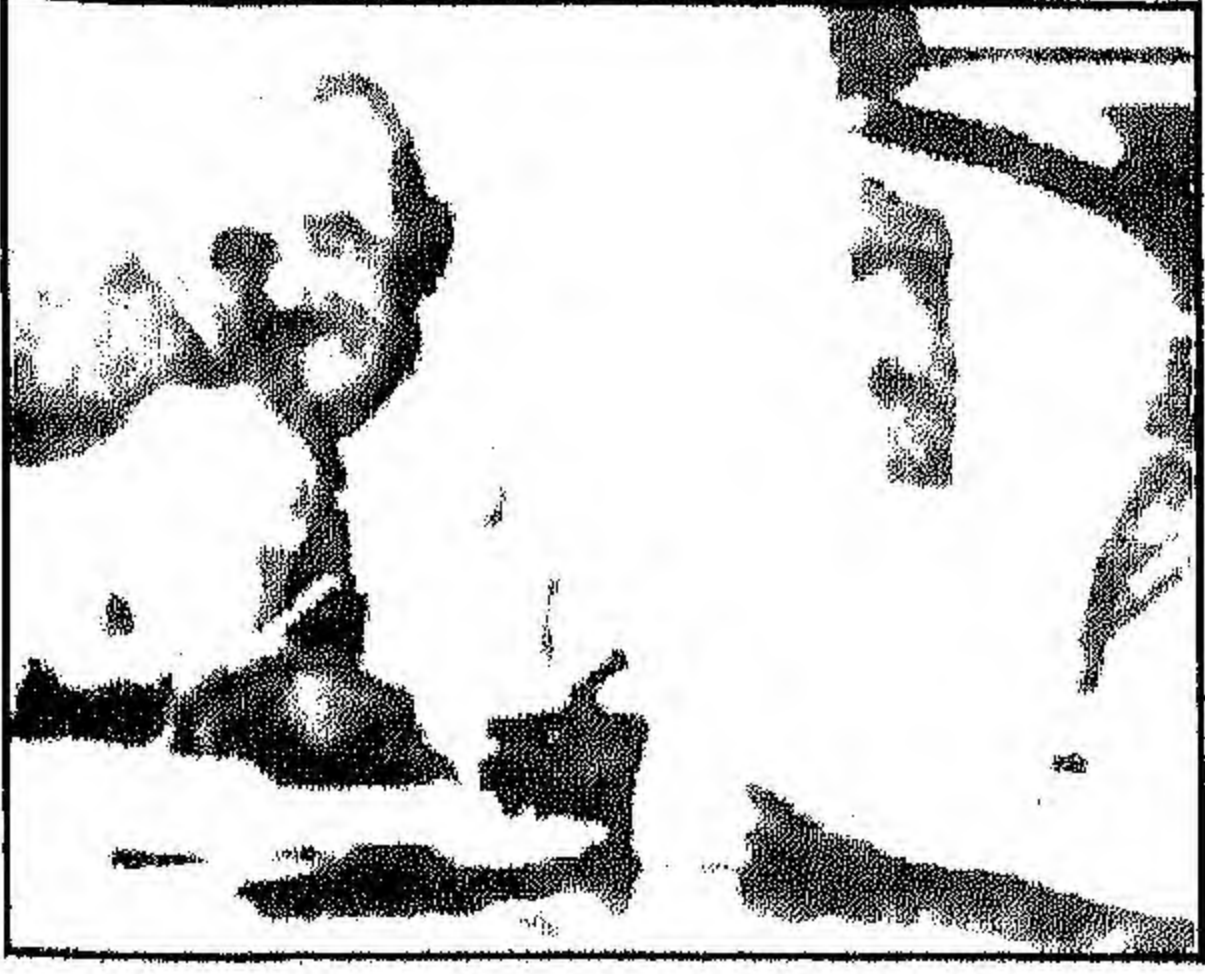
في اوائل صيف ١٩٣٤، اتُخذ قرار باختبار قمة الدمام بالحفر. فالتكوين الجيولوجي لهذه القمة شبيه بمثيله في البحرين على بعد نحو ٤٠ كلم فقط. وبتزايد العاملين في عمليات التنقيب تزايدت احتياجاتهم الشخصية ومتطلباتهم الحياتية اليومية، وهكذا افتتح خط التمويل بين المملكة والولايات المتحدة. ونصبت معدات الحفر على بئر الدمام رقم «١» في السفح الغربي لجبل الظهران. وفي الوقت نفسه كان يجري بناء معسكر الدمام على قدم وساق. وكانت نتيجة الاختبارات من قمة الدمام غير مشجعة، لكن التنقيب استمر، وتواصل الحفر إلى عمق كيلومتر واحد، كما جرى حفر آبار أخرى بلغ مجموعها الثمانية، لكن النتائج لم تكن مشجعة أيضاً.

وفي ربيع ١٩٣٧، وباكتمال معسكر الدمام السكني، انضمت زوجات الاميركيين العاملين وأولادهم إليهم في منطقة العمل. وقد بلغ عدد هؤلاء العاملين (تموز ١٩٣٧) ٥٣ أميركياً مهمتهم التنقيب عن النفط في المملكة.

كانت عمليات الحفر في الدمام «٧» قد توقفت في ١٩٣٦، ولكنها استؤنفت في خريف ١٩٣٧، وعندما بلغ الحفر في هذه البئر إلى عمق ١٤٤٠ مترًا تدفقت منها كميات ضخمة من النفط، وكان ذلك فاتحة عهد جديد في تاريخ المملكة العربية السعودية والعالم. وقد تم إنجاز هذه البئر «٧» في آذار ١٩٣٨.

وهكذا بعد خمس سنوات من الجهد الشاق





توقيع اتفاقية التنقيب عن البترول في ٢٩ ايار ١٩٣٣ ، بين وزير المالية السعودي الشيخ عبد الله سليمان ولويد هاملتون من شركة كاليفورنيا الموحدة للبترول بالولايات المتحدة الاميركية.

الملك عبد العزيز يذعن اكتشاف البترول في الدمام رقم «٧» في اذار ١٩٣٨ . اكتشاف فئر مجرى التاريخ في المملكة العربية السعودية.



الملك عبد العزيز في زيارة مصنع الدمام النفطي في ١٩٣٩.



أثمرت عمليات التنقيب وتم اكتشاف البترول بكميات كبيرة وتأسست شركة الزيت العربية الاميركية (أرامكو) في ١٩٣٨ والمعروفة اليوم بـ«شركة أرامكو السعودية».

وكان تطوير حقول النفط بطيئاً بسبب الحرب العالمية الثانية، فلم تتجاوز إيرادات البترول حينئذ ٤ ملايين دولار سنوياً. وبتزايد الطلب على البترول لمجابهة متطلبات الحرب الحديثة بدأت أرامكو الانتاج على نطاق واسع في ١٩٤٤. وبحلول العام ١٩٤٨، بلغت إيرادات البترول نحو ٨٥ مليون دولار. وظلت هذه الإيرادات تتنامى باستمرار وتحقق للملك عبد العزيز حلمه في التنمية الاقتصادية ورفاه الشعب.

واطرّد تزايد إيرادات النفط فتجاوزت كافة الإيرادات الأخرى. واستخدم الملك عبد العزيز هذه الثروة والامكانيات في بناء الأسس والإنشاءات الأساسية.

أما أسس الموقف البترولي لعبد العزيز فيمكن لحظه عبر التطورات التالية:

رافقت عملية منح الامتيازات النفطية بعض المظاهر السياسية التي يمكن تلخيصها بثلاث نقاط: ١- فضل الملك عبد العزيز، في ١٩٣٣، في ان يمنح حقوق التنقيب للاميركيين وليس للبريطانيين معبراً بذلك عن حرصه على استقلاليتهم إزاء القوة المستعمرة المهيمنة آنذاك. ٢- إن ترده الطويل (بين ١٩٢٣ و ١٩٣٣) بسبب انه لم يرضخ لبيع الامتياز إلا في حالة الحاجة القصوى، مرتبط بفكرة «السيادة الوطنية» التي طالما كان يشدد عليها. ٣- إصراره على انتزاع مكاسب مالية مباشرة كان بأمر الحاجة لها.

أسس الموقف السعودي البترولي: إن

الموقف السعودي الرسمي معاد، تقليدياً، لسياسة التأميم. وكان هذا الموقف يُبرّر انطلاقاً من النقص في الملاك السعودي المختص، ومن أن شركات النفط، التي تحقق القسم الأكبر من أرباحها من

مرحلة الانتاج الاولى، كانت تتخذ موقفاً معادياً من أية زيادة في أسعار النفط إذا ما حرمت من حق التصرف في المرحلتين الاخيرتين: التكرير والنقل والتوزيع من ناحية، والتسويق والبيع من ناحية ثانية. إلا ان هذه الأسباب كانت قد بدأت تفقد صدقيتها منذ ان زادت اعداد التقنيين السعوديين ومنذ أن بدأت السعودية تسعى إلى تخفيض الاسعار وليس إلى زيادتها. والجدير ذكره ان تدابير التأميم هي مبادرة سياسية قبل أي أمر آخر.

وبدل التأميم الذي كان رائجاً لدى دول الأوبك، طرح وزير النفط السعودي أحمد زكي اليماني (والحكومة السعودية) حلاً آخر يقوم على المشاركة. وحتى سنة ١٩٧٠ كانت وجهة النظر السعودية سائدة بين الدول المنتجة للنفط. لكن اليماني كان يجد صعوبة كبرى في إقناع الشركات الأخذ بمبدأ المشاركة. واستمرت المفاوضات عشر سنوات (١٩٦٣-١٩٧٢) قبل ان توافق الأرامكو على المبدأ. وهذه الصعوبات التي واجهتها المملكة مع الشركات أضعفت حاجتها لدى دول الأوبك باستبدال التأميم بالمشاركة. ووصل الأمر بالملك فيصل نفسه إلى حد التهديد باللعو إلى التملك الجزئي في حال فشل مفاوضات المشاركة (٢٥ كانون الثاني ١٩٧٢). وأخيراً قبلت أرامكو بالمشاركة في ١١ آذار ١٩٧٢، وبدأت المفاوضات بعد ذلك بعشرة ايام لتعود وتصطدم برفض جديد من قبل الشركات. ولم يتوصل الفريقان إلى اتفاق إلا بعد تسعة أشهر؛ فاقراً، أخيراً، اتفاق المشاركة بنسبة ٢٥٪ في ٢٣ شباط ١٩٧٣. وفي ٢٣ شباط ١٩٧٩، أعلنت المملكة رسمياً ملكيتها الكاملة لشركة أرامكو على ان تنشأ شركة جديدة هي «شركة البترول الوطنية السعودية» (بترومين) مكانها (عن د. ناصر ابراهيم الرشيد ود. إسبر ابراهيم شاهين، «الملك فهد ومسيرة الإنجازات الحضارية في المملكة العربية السعودية» الصادر

بالانكليزية عن المعهد الدولي للتكنولوجيا في الولايات المتحدة، نقله إلى العربية أحمد شفيق الخطيب، ص ١٥٨-١٥٣ وكذلك عن «موسوعة السياسة»، ج ٣، ط ١، ١٩٨٣، ص ١٩٨).

المملكة إبان الحرب العالمية الثانية: التزم
الملك عبد العزيز سياسة حياد حذر من فريقي هذه الحرب (الحلفاء ودول المحور). فرفض تأييد دول المحور حتى عندما كانت في ذروة توسعها، كما انه رفض تأييد حركة رشيد عالي الكيلاني (راجع «العراق» في هذا الجزء) حتى لا يستعدي الانكليز عليه، وذلك بالرغم من عدائه التقليدي للأسرة الهاشمية التي كانت حاكمة في بغداد.

ورفض عبد العزيز منح اليابان والمانيا امتيازات نفطية. وفي الاول من آذار ١٩٤٥، انضمت السعودية شكلياً إلى الحلفاء بدون ان تعلن الحرب على المانيا مخافطة بذلك على حيادها وحياذ الاماكن المقدسة الاسلامية من هذا النزاع العالمي. وقد مكّنها هذا الموقف من المشاركة في وضع ميثاق الامم المتحدة ومن الحصول على معونات مالية ومادية من الحلفاء وعلى رأسهم الولايات المتحدة الاميركية. وقد تمثلت المملكة بالامير فيصل بن عبد العزيز (الملك في ما بعد) الذي حضر حفل توقيع الميثاق في سان فرانسيسكو ٦ حزيران ١٩٤٥. وكان الملك عبد العزيز، أثناء ذلك، من أشد العاملين في سبيل تأسيس جامعة الدول العربية في ٢٢ آذار ١٩٤٥.

أما العلاقات السعودية الاميركية فقد بدأت تتطور وتزداد رسوخاً ابتداءً من ١٩٤٠ حيث أنشئت أول بعثة دبلوماسية اميركية في المملكة. وفي ١٩٤٣، منح الملك الاميركيين حق بناء قاعدة جوية كبيرة في الظهران واستعمالها لمدة ثلاث سنوات تعود ملكيتها بعد ذلك إلى السعوديين. وفي الوقت نفسه بدأت بعثة عسكرية اميركية تدرب الجيش السعودي وتزوده بالاسلحة.

وكان الهدف من تقوية العلاقات مع الولايات المتحدة، دون غيرها من الدول الكبرى، هو اعتقاد الملك عبد العزيز بأن مثل هذه الخطوة قد تؤدي إلى تعييد النفوذ البريطاني المهيمن والاستعماري في المنطقة.

مراسلات عبد العزيز - روزفلت

واجتماعهما: عقد هذا الاجتماع على ظهر بارجة حربية اميركية («مورفي») كانت راسية في البحيرة المالحة الكبرى في قناة السويس في ١٥ شباط ١٩٤٥، فيما كان الرئيس الاميركي فرانكلين روزفلت يتجه إلى بلاده عائداً من مؤتمر يالطا. وكل كلام كتبه المؤرخون حول هذا الاجتماع أظهر ان الموضوع الأساسي الذي دار بين الرجلين كان متعلقاً بالقضية الفلسطينية. والجدير بالذكر ان أول التحركات السياسية للولايات المتحدة في الشرق الاوسط كان في مؤتمر فرساي للسلام (١٩١٩) إثر إعلان الرئيس الاميركي ولسن مبادئه الاربعة عشر في البرنامج الذي قدّمه إلى الكونغرس ٨ كانون الثاني ١٩١٨، وان روزفلت كان قد انتخب رئيساً للولايات المتحدة في ١٩٣٣ أي بعد نحو سنة واحدة من إعلان الملكة العربية السعودية، وان مراسلات سياسية حول القضية الفلسطينية كانت قد بدأت بينهما قبل نحو ٧ سنوات من الاجتماع.

ففي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٨، بعث الملك برسالة إلى الرئيس روزفلت يّين له فيها حقيقة استحالة استتباب السلام في فلسطين دون الحفاظ على حقوق العرب فيها ودون ضمان عدم تسليم فلسطين إلى فئة من الناس تختلف مبادئهم واخلاقياتهم اختلافاً شديداً عن المبادئ والاهداف والاخلاقيات العربية.

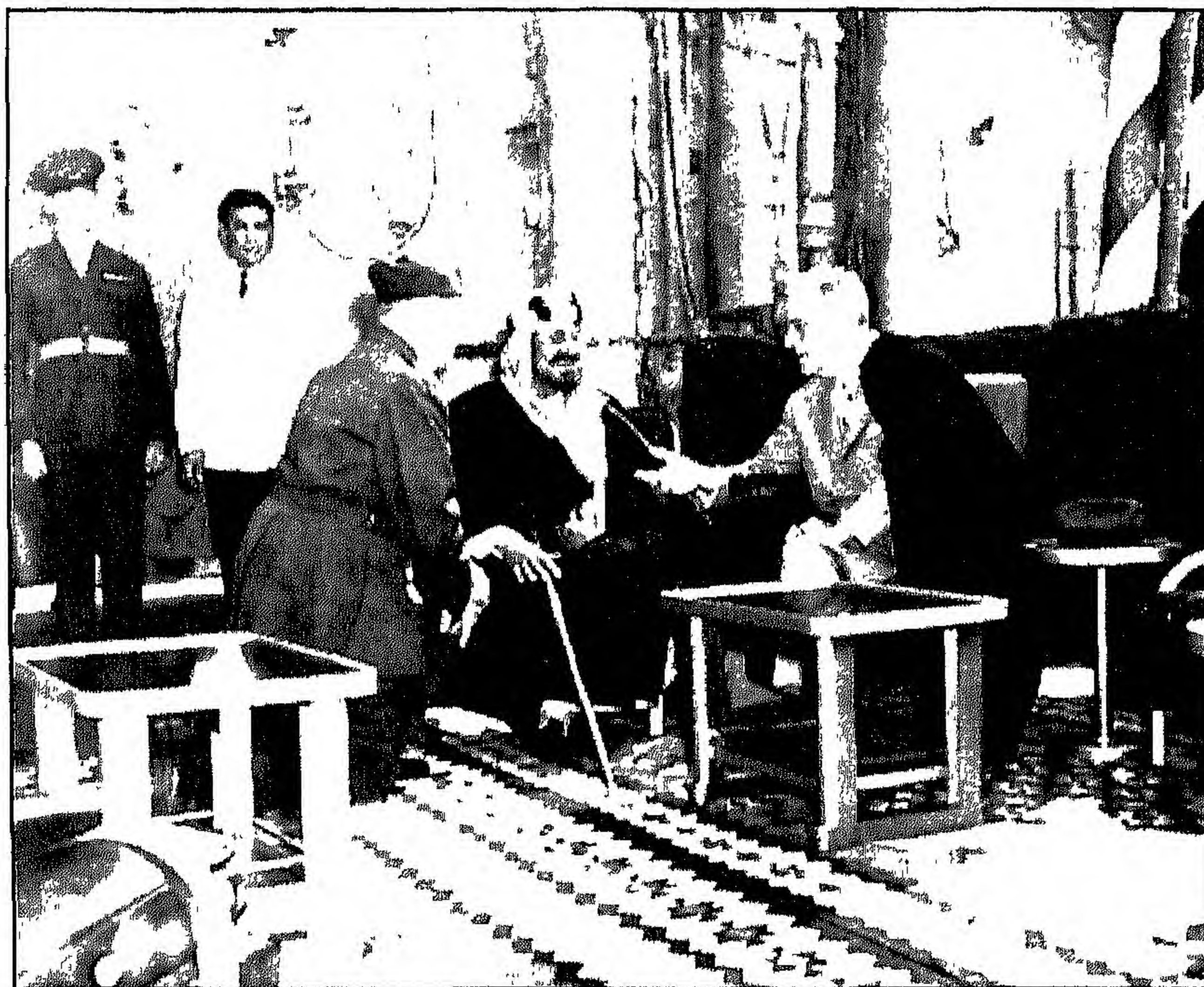
وفي رسالته الجوابية (٩ كانون الثاني ١٩٣٩) أوضح روزفلت ان موقف الولايات المتحدة من القضية الفلسطينية قد تحدد في تصريح

خلاصته ان أي تغيير يتعلق بالانتداب البريطاني على فلسطين ينبغي ان يحظى بموافقة الولايات المتحدة، كما أوضح التصريح حينئذ ان مشروع تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين يجتذب كميات ضخمة من الذهب ورأس المال الاميركي مما يلعب دوراً رئيسياً في الموضوع.

وفي ٣٠ نيسان ١٩٤٣، أرسل الملك عبد العزيز رسالة إلى الرئيس روزفلت يحثه فيها مجدداً على اتخاذ الموقف العادل من القضية الفلسطينية. كما عبّر له في الرسالة نفسها عن اهتمامه البالغ واهتمام العرب والمسلمين في كافة أرجاء العالم بهذه القضية، حيث ان المؤامرات الصهيونية تخطط لجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وطرد الشعب الفلسطيني من وطنه. وأنهى الملك رسالته قائلاً: «نحن لا نبغي القضاء على الشعب اليهودي ولا نطلب ذلك، كل ما نطلبه ان لا يُلغى الوجود العربي في فلسطين ليحل اليهود محل سكانها العرب. فلو ان كل شعب من شعوب الدول الحليفة اسهم بالمسؤولية عُشر ما عاناه الشعب الفلسطيني حتى تاريخه لكانت المشكلة اليهودية قد حُلّت. إن كل ما نطلبه في الوقت الحاضر هو مساعدة فخامتكم في وقف تدفق المهاجرين ووقف الهجرة بالكامل».

وفي ردّه الجوابي (١٥ تموز ١٩٤٣) اعاد روزفلت تأكيداتّه بأن الولايات المتحدة لن تتخذ أي قرار من شأنه ان يغيّر الوضع الأساسي في فلسطين دون التشاور الكامل مع العرب واليهود (ما جاء حول هذه المراسلات عن د.ناصر ابراهيم الرشيد ود.اسير ابراهيم شاهين، مرجع مذكور آنفاً، ص ٦٢-٦٤).

وفي السنة نفسها (١٩٤٣)، ومع تزايد اكتشاف الثروات الاسطورية في المملكة وتزايد المصالح الاميركية النفطية، أعلن الرئيس روزفلت أن الدفاع عن العربية السعودية هو من المصالح الحيوية للولايات المتحدة الاميركية.



لقاء عبد العزيز وروزفلت (شباط ١٩٤٥).

لقاء عبد العزيز وتشرفل (شباط ١٩٤٥).



جرى التحضير لاجتماع ١٥ شباط ١٩٤٥ بالسرية القصوى بسبب الاخطار السائدة في ظروف الحرب. واستغرق الاجتماع ساعات طويلة، وظهرت فيه خلافات كبيرة في وجهات النظر حول مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فقد بادر روزفلت، فور بدء الاجتماع، بالطلب من عبد العزيز قبوله بهجرة مائة ألف يهودي إلى فلسطين، فرفض الملك ذلك بشدة: «أعطوهم وأبناءهم أحسن أراضي وأحسن بيوت الألمان الذين نكلوا بهم». وردّ الرئيس ان لدى اليهود رغبة شديدة بالاستيطان في فلسطين، وانه يعتمد على الكرم العربي ومعاونة الملك في حل المشكلة الصهيونية. فأجاب الملك: «بل دع العدو الطاغوي نفسه يدفع ثمن طغيانه. هكذا كانت سنة العرب في حروبهم، المحرم يدفع الثمن لا المراقب البريء» (المرجع المذكور، ص ٦٦).

وما إن علم تشرشل، رئيس الوزراء البريطاني، نبأ اللقاء بين الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت، حتى تملكه الغيظ فأرسل البرقيات إلى دبلوماسيه معبراً عن رغبته في مقابلة الملك السعودي، وتم له ذلك بعد يومين فقط، والتقى عبد العزيز في ١٧ شباط ١٩٤٥.

وفور عودته إلى بلاده، التقى الملك عبد العزيز في جدة (أواخر شباط ١٩٤٥) عددًا من الممثلين الأجانب، منهم العقيد وليم إدي رئيس البعثة الاميركية الذي نقل عن لسان الملك انه قال للممثلين الأجانب: «على اميركا وبريطانيا ان تختار بين أرض عربية يسودها السلام والهدوء أو أرض يهودية غارقة في الدماء» (كشف الستار عن مذكرة العقيد إدي في ١٨ ايار ١٩٦٩ حين نشرها مكتب وزير الخارجية الاميركي).

استمرت مراسلات عبد العزيز-روزفلت بعد لقاؤهما في ١٥ شباط ١٩٤٥. وفي رسالة جوابية (في ٥ نيسان ١٩٤٥)، أعاد روزفلت تأكيد مواقفه السابقة. لكن بعد اسبوع واحد (أي

في ١٢ نيسان) توفي روزفلت، وتسلم هاري ترومان زمام السلطة الاميركية. وكان من أول ما بادر إليه ترومان انه استدعى سفراءه من العالم العربي إلى واشنطن وأعلن لهم: «إنني آسف ايها السادة إذ عليّ ان أستحيب لأصوات مئات الألوف من الناس المتلهفين لانجاح الصهيونية. وكما تعلمون فإنه ليس هناك مئات الألوف من العرب في دوائر الانتخابية».

السنوات الأخيرة من عهد الملك المؤسس عبد العزيز: لم يحل الخلاف حول القضية الفلسطينية دون الاتفاق على مسائل عديدة أخرى. فقد استمرت العلاقات السعودية-الاميركية في التطور والنمو خاصة في المجالات النفطية والعسكرية. وفي ١٩٤٩، رفع التمثيل الدبلوماسي الاميركي في جدة إلى مستوى السفارة، ومددت في ١٩٥١ اتفاقية استعمال قاعدة الظهران خمس سنوات أخرى، واستمرت الولايات المتحدة في تسليح السعودية وتدريب قواتها المسلحة.

شاركت المملكة العربية السعودية في الحرب العربية-الاسرائيلية الأولى على الجبهة المصرية. وبذل عبد العزيز جهودًا لانتهاج سياسة حذرة ومحايطة مع الدول العربية، مواجهًا في الوقت نفسه مشاريع الاحلاف والمحاور التي كانت ناشطة في تلك الفترة (اللال الخصيب، سورية الكبرى...). وفي ١٩٥٢، أمر الملك عبد العزيز بإلغاء رسم الحج الذي كان بلغ آنذاك ٢٨ جنيهًا استرلينيًا مما أكسبه شعبية كبيرة وسمعة طيبة في العالم الاسلامي.

توفي الملك عبد العزيز في ٩ تشرين الثاني ١٩٥٣ بعد حكم حافل بالاحداث المصرية استمر ٥١ عامًا أرسى خلالها دعائم المملكة ورسم الخطوط العريضة لسياستها الداخلية والخارجية. وقد حكم طوال هذه الفترة حكمًا مطلقًا لم يكن

يُحد من صلاحياته الواسعة سوى التزامه بالشرعية الإسلامية واحترامه للاعراف والتحالفات القبلية والعشائرية. وفي عهده لم يكن قد بدأ التمييز فعلياً بين أموال الملك وبين أموال الدولة، ولم يتغير ذلك جزئياً إلا في أواخر حياته حين أصدر في ١٩٥١-١٩٥٢ أول ميزانية عامة في تاريخ المملكة وتبع ذلك إنشاء أول مصرف في البلاد. وفي تشرين الأول ١٩٥٣ (أي قبيل وفاته بأيام) أمر الملك عبد العزيز بإنشاء مجلس للوزراء يكون مسؤولاً مباشرة أمامه وله أن يمارس حق النقض على قراراته. وإضافة إلى ذلك فقد عمّد الملك عبد العزيز إلى إدخال تحديثات مهمة على أساليب الحياة البدوية رغم المعارضة الشديدة التي كان يلقاها أحياناً من بعض غلاة رجال الدين، فأنشأ محطة حديدية بين الدمام والخليج العربي وشجع إنشاء الطرق الداخلية والمرافئ والمطارات، كما سمح بإنشاء إذاعة رسمية، بعد أن كانت الأرامكو هي التي تتولى البث عبر إذاعتها الخاصة. أما أبرز أعماله العمرانية والإنمائية فكانت ولا شك مساهمته الكبيرة في توطين البدو في مدن وحواضر وقرى، وإقناعهم بالاستقرار والكف عن الغزو والتحارب، وكان بذلك يرسّي قواعد بناء المجتمع السعودي وتوحيده وزرع فكرة الانتماء الوطني في أبنائه، بعد أن كان الانتماء القبلي هو العامل الحاسم.

حكم الملك سعود بن عبد العزيز (١٩٥٣-١٩٦٤): خلف عبد العزيز ابنه الملك سعود على عرش المملكة، وكان ولياً للعهد منذ ١٩٣٣. وكان سعود قد قاد حملات كثيرة في معارك توحيده أرجاء المملكة.

ولتوّه، أخذ الملك سعود يُدخّل على السياسة السعودية أسلوباً جديداً. فقام بعدة زيارات رسمية وخاصة إلى الخارج، وبدأ يشارك بنشاط في السياسة العربية والدولية، فزار باكستان (١٩٥٤) وإيران والهند (١٩٥٥)

والولايات المتحدة وإسبانيا والمغرب وتونس وليبيا وإثيوبيا (١٩٥٧)، كما عرض مراراً وساطة لحل الخلافات بين الدول الإسلامية (بين باكستان وأفغانستان في ١٩٥٧ وبين تركيا وسورية في العام نفسه). وقد لاقت سياسته العامة مشكلات أضعفته واضطرته على التنازل عن العرش لأخيه الأمير فيصل.

تميزت سنوات حكمه الأولى بالتحالف مع مصر ضد الأردن والعراق الهاشميين. وتكرس هذا التحالف بمعاهدة صداقة ودفاع متبادلين بين السعودية ومصر في ١٩٥٥. وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦) اكتفى الملك سعود بقطع علاقاته الدبلوماسية مع فرنسا وبريطانيا، مما أدى إلى فتور في العلاقات السعودية-المصرية. وعندما أعلنت الوحدة بين مصر وسورية (١٩٥٨)، تحول هذا الفتور إلى عداء بلغ ذروته مع اتهام مصر الملك سعود بـ«تمويل مؤامرة لاغتيال الرئيس عبد الناصر»، ثم ازدادت هذه العلاقات تدهوراً في حرب اليمن (١٩٦٢).

ومع الأردن، أخذت العلاقات، بدءاً من ١٩٥٦، تتحسن بعد أن كان الحذر والعداء المبطّن هو طابعها المميز نظراً إلى العداوة التاريخية التي كانت قائمة بين الهاشميين والسعوديين.

ومع الكويت، توثقت العلاقات بعد أن أيدها الملك سعود في نزاعها مع العراق (١٩٦١)، وكذلك مع البحرين. لكنها تدهورت مع عُمان وأبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة) بسبب النزاع حول واحة البريمي (راجع «الإمارات العربية المتحدة»، ج ٣، ص ١٧٢).

وفي عهد الملك سعود بدأت حرب اليمن التي اتخذت فيها المملكة جانب الملكيين وأمدتهم بالسلاح والعتاد والرجال منذ ١٩٦٢، ضد الجمهوريين الذين دعمهم الرئيس المصري عبد الناصر وأرسل جنوده ليقاتلوا إلى جانبهم. وكان ذلك من أسباب الصراع العنيف على المنطقة

لأية دولة تتعرض لعدوان مسلح من دولة تابعة لنفوذ الشيوعية الدولية. -مساعدة دول المنطقة (التي تحالف الولايات المتحدة) في تعزيز قوتها الاقتصادية. -منح مساعدات عسكرية أميركية للدول التي تطلب ذلك.

الأمير فيصل في الواجهة والمسؤولية: كان الملك سعود، كلما وجد نفسه أمام صعوبات داخلية كبيرة (الاصطدام بمصر الناصرية من خلال الحرب الأهلية اليمنية، تدهور الأوضاع الداخلية، وفقدان الريال قيمته...)، يستدعي أخاه ولي عهده ورئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الأمير فيصل ليتولى مواجهة الأزمة. وقد ازدادت سلطة الأمير فيصل رسوخاً في ١٩٥٨ عندما منحه الملك سعود كامل الصلاحيات لإصلاح الأوضاع المالية والإدارية في المملكة. وقد عمّد الأمير فيصل إلى فرض سياسة تقشف أضرت بمصالح بعض الفئات المستفيدة من سياسة الانفلاش الاقتصادي في محاولة منه لوقف نزيف رؤوس الأموال.

وعندما اندلعت ثورة اليمن في ١٩٦٢ شعر الملك سعود بخطورة الأوضاع الناشئة عن هذه الثورة وعن انعكاساتها المحتملة على الوضع الداخلي (في ظل مدّ شعبي متصاعد في العالم العربي ومؤيد للرئيس عبد الناصر) فطلب من الأمير فيصل العودة إلى مسؤولياته بعد أن كان ابتعد عنها لمدة نحو سنة ونصف السنة. فبادر فيصل إلى اتباع سياسة متصلة تجاه عبد الناصر، فقطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر في ٦ تشرين الثاني ١٩٦٢ وطرد الرعايا المصريين من أراضي المملكة. وغادر الملك سعود البلاد إلى أوروبا للاستشفاء. وبعد عودته بقليل شارك في أعمال أول مؤتمر قمة عربي في مصر (١٩٦٤) مظهرًا فيه استعدادًا كبيرًا لفتح صفحة جديدة من العلاقات مع مصر واليمن. وكان هذا المؤتمر آخر نشاط عربي ودولي يشارك فيه، إذ ما إن عاد إلى الرياض

العربية بين مصر الناصرية والمملكة السعودية. وتوثقت علاقات المملكة، السياسية والاقتصادية والعسكرية، مع الولايات المتحدة الأميركية على حساب حليفاتها الغربيين كبريطانيا وفرنسا، مما سمح للملك بالاستفادة من مساعدة برنامج «النقطة الرابعة»، إلا أن ذلك لم يصل إلى حد قبول المملكة بمشروع أيزنهاور. وبالمقابل فإن العلاقات مع الاتحاد السوفياتي كانت مقطوعة بسبب عداء السعودية المعلن للمبادئ الشيوعية.

أما «النقطة الرابعة» فكانت تعني برنامج المساعدات الفنية الأميركية في الخمسينات لبعض الدول المتخلفة التي تدور سياسيًا في فلك الولايات المتحدة. وتعود التسمية إلى خطاب الرئيس الأميركي هاري ترومان في مطلع ١٩٤٩ حيث جاء في النقطة الرابعة منه أن على الدول الغنية أن تتحمل مسؤولياتها في مساعدة الدول الفقيرة. وقد تطور البرنامج بحيث شمل القروض والهبات العينية والمساعدات المالية تحت «برنامج الأمن المتبادل» وبهدف تعزيز النفوذ الأميركي في الدول التي يشملها البرنامج.

وأما «مشروع أيزنهاور»، الذي رفضت المملكة قبوله، فيتضمن على الخطوط العامة للسياسة الأميركية في منطقة الشرق الأوسط (من ليبيا غربًا إلى باكستان شرقًا وتركيا شمالًا وإثيوبيا وشبه الجزيرة العربية جنوبًا) التي أعلنها الرئيس الأميركي دوايت أيزنهاور بعد موافقة الكونغرس في ٥ كانون الثاني ١٩٥٧ على أثر فشل العدوان الثلاثي على مصر في حريف ١٩٥٦، وهي السياسة التي استهدفت ملء الفراغ الاستعماري المتأني من هزيمة بريطانيا وفرنسا المعنوية في حرب السويس (١٩٥٦) وأقول بجميهما كدول استعمارية رئيسية، وبالتالي فرض هيمنة الولايات المتحدة على المنطقة بذريعة الخطر الشيوعي. وتضمنت هذه السياسة: -حماية القوات الأميركية

حتى أعلن تنازله عن العرش (في الاول من تشرين الثاني ١٩٦٤) بطلب من العائلة المالكة ورجال الدين لصالح أخيه فيصل، وانتقل إلى القاهرة ومنها إلى اليونان حيث توفي (١٩٦٩).

حكم الملك فيصل (١٩٦٤-١٩٧٥):

بادر الملك فيصل، فور مبايعته، بتعيين الأمير خالد بن عبد العزيز ولياً للعهد. وكان الملك فيصل بدأ الإمساك بالسلطة فعلياً منذ نهاية ١٩٦٢ حيث أول إجراء اتخذه هو إلغاء الرق من البلاد. وكان هذا مبدأ أساسي من مبادئه العشرة (راجع «معالم تاريخية»).

عمل فيصل على الاستمرار في تنمية البلاد في مختلف القطاعات والصعد. وامتاز بتوسيعه عملية توطين البدو وتأمين كل وسائل الحياة العصرية لهم، وتطوير الزراعة وخلق قطاع صناعي متطور. أما على الصعيد النفطي فقد حاول، بمحدود ضيقة، تقليص تبعية السعودية لشركة أرامكو فأمر بإنشاء شركة النفط السعودية «بترومين». واتبع الملك فيصل سياسة دفاعية وتسليحية نشطة فقوى الحرس الوطني وعمّق التعاون التدريبي والتسليحي مع الولايات المتحدة.

إلا أن أبرز أثر تركه الملك فيصل كان في مجال السياسة العربية والإسلامية. فبعد أن عاصر الثورة المصرية وتعاطف معها، أخذ ابتداءً من ١٩٥٨ يتعد عن تأييدها. ثم تحول الابتعاد إلى عداً واضح مع اتجاه مصر للتحالف مع الاتحاد السوفياتي واتخاذ قرارات ١٩٦١ الاشتراكية. ومع ثورة اليمن (١٩٦٢) ووقوف عبد الناصر عسكرياً وسياسياً واقتصادياً إلى جانبها، تحول العداء إلى صراع مكشوف وأصبح الشغل الشاغل للملك فيصل الحيلولة دون توسع النفوذ الناصري داخل شبه الجزيرة العربية، فأمد الملك فيصل «الملكيين» اليسنيين بالسلاح والمال. ولم يتوقف الصراع العنيف بين فيصل وعبد الناصر إلا مع هزيمة مصر

في حرب حزيران ١٩٦٧ وانسحابها الكامل من اليمن في أواخر ذلك العام. وقد رفع الملك فيصل شعار «الجامعة الإسلامية» في وجه شعار «الوحدة العربية» التي كان ينادي بها عبد الناصر. كما دعم في اليمن الجنوبي المحتل نشاط القوى المناوئة للجبهة القومية المحسوبة على مصر الناصرية. وبالمقابل، فقد قوى علاقات المملكة بالأنظمة الملكية في المنطقة وعلى رأسها الأردن وإيران ودول الخليج العربي. وقد بلغ من حدة الصراع بين البلدين أن اتهمت السعودية مصر بتمويل أعمال «تخريبية» في المملكة ودعم نشاط «اتحاد الشعب في الجزيرة العربية»، وهو تنظيم سري أمكن القضاء عليه في ١٩٦٧ وإعدام العديد من أعضائه.

نفوذ متعظم للملك فيصل (الحقبة

السعودية): بدأ نفوذ الملك فيصل يتعظم على الساحة العربية بعد حرب حزيران ١٩٦٧، وبعد انعقاد مؤتمر الخرطوم الذي كرّس المصالحة والذي بادر فيه الملك فيصل إلى اقتراح استعمال سلاح النفط من خلال العائدات المالية واستخدامها في المعركة بدلاً من قطعه عن البلدان المؤيدة لإسرائيل وقد وافق المؤتمرون على ذلك، وبعد أن بدأت مرحلة جديدة في سياسة المملكة قائمة على تقديم المساعدات المالية إلى العديد من البلدان العربية في إطار ما سمي بسياسة «التضامن العربي» ثم توسعت هذه المساعدات لتشمل كذلك الدول الإسلامية ودول العالم الثالث.

أما مع إيران فقد كانت العلاقات إجمالاً جيدة ومتينة رغم التنافس الواضح بين المملكتين على زعامة الخليج العربي. وقد شهدت هذه العلاقات توتراً واضحاً مع تحديد مطالبة النظام الشاهنشاهي عام ١٩٦٨ بضم البحرين. إلا أن هذا التوتر لم يدم طويلاً، إذ توصل البلدان في تشرين الاول من العام نفسه إلى اتفاق حول رسم

حدودهما البحرية. وبعد ذلك بشهر واحد قام الشاه بزيارة رسمية للسعودية.

من جهة أخرى فقد رعت المملكة العربية السعودية في عهد الملك فيصل قيام اتحاد الامارات العربية بعد الانسحاب البريطاني حرصاً منها على تأمين الاستقرار في هذا الجزء الحساس من الخليج، وخوفاً من ان يؤدي أي تصادم محتمل بين المشيخات والامارات المستقلة حديثاً إلى تدخل القوى العظمى والمحلية على حدود المملكة، وما قد يجره ذلك من مشكلات هي في غنى عنها، خاصة وان ثورة ظفار والاتجاهات اليسارية التي كان النظام الجديد في جنوب اليمن قد أخذ يتبناها، كانت تثير قلق القادة السعوديين.

واستمرت السياسة الخارجية السعودية (بعد ١٩٦٧) تفرض نفسها على المنطقة والعالم، ولكن بصمت وهدوء، حتى لقد عرفت تلك السياسة بـ «السياسة الصامتة» كما ان العديد من المراقبين لم يتردد في إطلاق تعبير «الحقبة السعودية» على السياسة العربية في تلك الفترة.

وبرز وزن المملكة وتأثيرها بعد وفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر (١٩٧٠) وعلى اثر حرب تشرين ١٩٧٣، وما رافق هذين الحدثين من تغيير جذري أو تدريجي في التحالفات السياسية العربية والدولية. وقد أتاحت المساعدات المالية السعودية لنظام الرئيس المصري أنور السادات العمل على إخراج السوفيات من مصر وتقوية علاقاتها بالولايات المتحدة واتباع سياسة الانفتاح داخلياً. وكذلك الحال مع السودان، فبعد فشل الانقلاب اليساري على الرئيس النميري (١٩٧١)، أخذت السودان تغير تحالفاتها العربية والدولية وتعتمد أكثر فأكثر على المساعدات المالية السعودية، وعندما اندلعت حرب تشرين الاول ١٩٧٣، وتضاعفت أسعار النفط، أصبحت المملكة تملك قوة مالية هائلة، وأصبحت الممول الرئيسي لعملية إعادة تسليح الجيش السوري

والمصري، وإعادة بناء المؤسسات والمنشآت التي تهدمت أثناء الحرب.

سلاح النفط والقدس في سياسة فيصل:
شاركت المملكة في استعمال سلاح النفط في سبيل فرض حل للمشكلة الفلسطينية وتحرير القدس. وهذه الغاية خفضت المملكة إنتاجها من النفط تدريجياً وقطعته نهائياً عن هولندا والولايات المتحدة فترة قصيرة لتأييدهما غير المشروط لإسرائيل. غير ان هذا الموقف لم يؤد إلى قطع العلاقات مع الولايات المتحدة، أو إلى أي تغيير في موقف المملكة من الاتحاد السوفياتي، فكان تعبيراً عن تصلب في مواقف الملك فيصل الملتزم القضية الفلسطينية رافقها ازدياد في قيمة المساعدات لدول المواجهة (مصر، سورية، الاردن، ومنظمة التحرير الفلسطينية)، ومزيد من الانفتاح على الدول الأوروبية التي كانت الضحية الرئيسية لهذه «الصدمة» النفطية الاولى، بالإضافة إلى انفتاح واسع للسوق السعودية على السوق العالمية (صفقات التصنيع والتسليح) والدخول في ما سمي آنذاك «إعادة تدوير فوائض النفط». وفي ١٩٧٤، توصلت المملكة والولايات المتحدة إلى عقد اتفاق كبير للتعاون الاقتصادي والعسكري بالرغم من الخلافات الواسعة التي كانت لا تزال تفصل بين البلدين بالنسبة إلى حل مشكلة الصراع العربي-الإسرائيلي.

وكان الملك، رغم تساهل أبعاده في مسألة أسعار النفط وحتى في ما يتعلق بالحل الشامل للقضية الفلسطينية، متشدداً في مفاوضاته مع وزير الخارجية الأميركي آنذاك هنري كيسنجر حول مسألة القدس، تلك المدينة التي طالما ردّد الملك انه يتمنى ان «يصلي فيها قبل وفاته». لذلك فإن دبلوماسية كيسنجر المكوكية كانت تصطدم دائماً بموقف الملك فيصل الصارم من هذه النقطة، إضافة إلى عدم ثقة الملك بكيسنجر شخصياً.

في ظل هذه الأجواء، وفيما كانت المساعي الدولية لحل الصراع في الشرق الأوسط على أشدها اغتيل الملك فيصل في ٢٥ آذار ١٩٧٥ على يد ابن أخيه فيصل بن مساعد بن عبد العزيز تاركاً وراءه فراغاً سياسياً كبيراً.

حكم الملك خالد بن عبد العزيز (١٩٧٥-١٩٨٢): خلف الملك خالد أخاه فيصل مرتقياً العرش ومبادراً لتوّه على أمرين: الأول، اختيار الأمير فهد ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء وتعيين الأمير عبد الله نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء ورئيساً للحرس الوطني؛ والثاني، تأكيد استمرارية سياسة الملك فيصل القائمة على تدعيم و«وحدة الصف الإسلامي والتضامن العربي» و«استعادة الأراضي المحتلة» و«تحرير القدس من براثن الصهيونية».

في آذار ١٩٧٦، أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين المملكة وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية رغم الاختلاف الكبير في طبيعة النظامين. وقد أزعج البلدين التدخل الإيراني في عُمان وأقلقهما، فبادرا إلى إيجاد الظروف المناسبة لقطع الطريق أمام النفوذ الإيراني في شبه الجزيرة العربية فقطعت عدن دعمها العلني لثورة ظفار وأخذت المملكة تقدم المساعدات لليمن الجنوبي (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية).

واستمرت المملكة في محاولة ردم بؤر التوتر في المنطقة العربية، وبرز ذلك بوضوح في مؤتمر الرياض (تشرين الأول ١٩٧٦) الذي وضع حلاً - دون نجاح - للحرب اللبنانية بإنشاء قوات الردع العربية باعتبارها قوات الشرعية اللبنانية، والذي كرّس المصالحة - مصالحة هشة وغير ناجحة أيضاً - بين الرئيسين المصري والسوري اللذين كان قد اختلفا بعد اتفاقيات فك الارتباط الثانية في سيناء (١٩٧٥). وتجدر الإشارة إلى أن المملكة أيدت، منذ ١٩٧١، نظام الرئيس المصري أنور السادات

باعتباره ضماناً ضد عودة السياسة الناصرية وعودة الاتحاد السوفياتي إلى مصر والمنطقة. وعندما قام السادات بمبادرته الشهيرة (زيارة القدس في تشرين الثاني ١٩٧٧)، بدأت المملكة تراجع عن تأييده، ثم تخلت عنه بعد أن تأكد اتجاهه نحو التوقيع على اتفاق سلم منفصل مع إسرائيل. وقد برز موقف المملكة واضحاً في مؤتمر بغداد ١٩٧٩.

لكن في هذه السنة، تعرضت المملكة لحادث خطير، هو حادث مكة الشهير (راجع باب «معالم تاريخية») الذي انتهى بقتل أو بإعدام معظم القائمين به وعلى رأسهم جبهة بن نسييف العتيبي. وعلى أثر هذا الحادث ومضاعفاته، قررت المملكة تشكيل «نظام الشورى» وكلفت لجنة مؤلفة من ثمانية أشخاص برئاسة الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية بإعداد النظام الأساسي للبلاد.

كما أقلقّت المملكة التطورات الخطيرة التي جرت في البلدان المجاورة وعلى رأسها: أحداث إيران والثورة الإسلامية فيها، التدخل السوفياتي في أفغانستان، والحرب العراقية-الإيرانية. فعمدت إلى تخصيص المزيد من ثروتها للتسليح، وتعاقبت على صفقات كبيرة من الأسلحة مع كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا. وحرصاً منها على عدم تعرض المنطقة لأحداث عنيفة بذلت جهودها في لبنان وسورية ولدى الولايات المتحدة أثناء «أزمة الصواريخ السورية»، ثم تقدمت، ولأول مرة في تاريخها، بمبادرة علنية لحل مشكلة الصراع العربي-الإسرائيلي عرفت باسم «مشروع فهد»، أي الأمير فهد (الملك بعد ذلك) الذي قدم في مؤتمر فاس في صيف ١٩٨١ (راجع باب «معالم تاريخية»)، لكنه فشل آنذاك في الحصول على إجماع عربي. وفي هذا الإطار أيضاً يمكن فهم إنشاء «مجلس التعاون الخليجي» (راجع «الخليج العربي»، ج ٨) في ١٩٨١ الذي كرّس نقل المملكة في الخليج وفي المنطقة العربية.

رأس تنوره والقصر الملكي. وكذلك، وقع الأمير سلطان مع البرازيل (خلال زيارته لها في تشرين الاول ١٩٨٤) اتفاقاً للتعاون العسكري بين البلدين.

وفي العام نفسه ايضاً (١٩٨٤) وقعت فرنسا عقداً مع المملكة لتزويدها بصواريخ مضادة للطائرات لحماية حقول النفط السعودية وأهداف حيوية أخرى. وكانت فرنسا والمملكة قد اتفقتا في ١٩٨٠ على عقد لتزويد المملكة بالطائرات العمودية والبوارج والمنشآت البحرية.

وكادت ان تقع معركة جوية كبيرة (حزيران ١٩٨٤) بين السعودية وايران على اثر إسقاط طائرة إيرانية تمكنت منها طائرتان سعوديتان. وكانت السعودية حازمة في الرد مخدرة «الآخرين ألا يخطئوا في تفسير اعتدالنا». وبعد نحو اسبوع، اجتمع في الطائف، وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي ودرسوا خطوات عسكرية للدفاع عن الناقلات (والحرب العراقية-الايرائية في أشدها)، واتسمت لمحتهم بالاعتدال، واختاروا الغطاء الجوي كأبجح وسيلة دفاعية. وفي أواخر حزيران (١٩٨٤)، عقدت في مكة قمة ثلاثية ضمت الملك فهد والملك حسين (الأردن) والرئيس ضياء الحق (باكستان). وكان لهذه القمة أهمية خاصة لسببين على الأقل: العلاقة العسكرية الخاصة التي تربط بين السعودية وباكستان، والروابط القديمة بين الحسين وضياء الحق، وهو ضابط سابق في الجيش كان في عمان في العام ١٩٧٠. وجرى الحديث أثناء هذه القمة ان السعودية والدول الخليفة في الساحل الغربي للخليج قررت ان الغطاء الجوي هو أفضل وسيلة لحماية الملاحة خارج منطقة الحرب العراقية-الايرائية شمالي الخليج. وفي ايلول ١٩٨٤، عقد اجتماع لوزراء الخارجية والدفاع للدول الست في مجلس التعاون بحث في ميثاق دفاعي مشترك وفي إنشاء قوة ردع ذاتية. وبعد نحو اسبوعين، أجرى

وفي عهد الملك خالد، انتهت خطة التنمية السعودية الثانية (ايار ١٩٨٠) التي ركزت على تنويع القاعدة الاقتصادية حتى لا يبقى اعتماد الدولة مقتصرًا على إيراداتها النفطية محققة إنجازات كبيرة، وبدأت الخطة الثالثة في إطار حركتي التطور الصناعي والتربوي اللتين كانتا سائرتين قدمًا حين توفي الملك خالد في حزيران ١٩٨٢.

حكم الملك فهد بن عبد العزيز

(١٩٨٢-): في ١٢ حزيران ١٩٨٢، أصبح ولي العهد فهد بن عبد العزيز العاهل الجديد للمملكة العربية السعودية. وقد تميز عهده، خاصة في سنواته الأولى، باهتمام بارز أبداه الملك لشؤون الأمن والدفاع والتعليم.

كان محور شأني الأمن والدفاع عدم رغبة المملكة في ان تصبح شبه الجزيرة العربية ساحة نزاع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، فضلاً عن أجواء التوتر التي كانت تعيشها المنطقة في تلك الفترة إضافة إلى حرب الخليج الأولى أو الحرب العراقية-الايرائية.

وبسبب ضغط المعارضة الهائل في واشنطن ضد تصدير الأسلحة الأميركية إلى العالم العربي بما فيه المملكة العربية السعودية، جاء ملفاً تصريح الأمير بندر بن سلطان السفير السعودي في الولايات المتحدة، في نيسان ١٩٨٤، من انه «نتحول إلى السوفيات إذا لم نحصل على أسلحة أميركية»، مذكراً ان حجم التجارة الأميركية مع الدول العربية يبلغ نحو ١٣ مليار دولار سنوياً مما يوفر نحو ٦٠٠ ألف فرصة عمل للاميركيين. وبعد ايام، دعا السفير إلى حفل عشاء حضره السفير السوفياتي في واشنطن (علماً انه لم تكن هناك علاقات دبلوماسية بين المملكة والاتحاد السوفياتي). وقد بدا واضحاً ان هذا التهديد أتى ثماره، إذ بعد نحو شهر أعلنت واشنطن رسمياً إرسالها ٤٠٠ صاروخ ستينغر إلى السعودية لحماية

مجلس التعاون مناورات عسكرية في المنطقة الشرقية للسعودية.

في غمرة هذه الحركية الأمنية والعسكرية التي اتسمت بها السياسة السعودية في العام ١٩٨٤، قال الملك فهد، للمرة الأولى في تاريخ المملكة، في حديث مع طلاب كلية الملك فيصل العسكرية في الظهران (آذار ١٩٨٤) إن «مشروع التحنيد الاجباري يدرس حالياً بهدف تحديد أفضل السبل التي تضمن مشاركة كل القطاعات في الدفاع عن البلاد». وكان الملك فهد، للمرة الأولى أيضاً، أثار (في كانون الاول ١٩٨٤) مسألة قيام برلمان على مراحل ووضع دستور دائم للمملكة، موضحاً انه في مرحلة أولى سيعين أعضاء المجلس، وفي مرحلة لاحقة ينتخب نصف أعضاء

المجلس انتخاباً غير مباشر، وفي مرحلة أخيرة، ينتخب معظم أعضاء المجلس مباشرة.

في ١٩٨٥، حين اعتزمت المملكة العربية السعودية شراء معدات عسكرية أميركية بمبلغ يقارب الخمسة بلايين دولار وقامت قائمة اللوبي المعارض ذي النفوذ العارم في الكونغرس، متوعدين بوقف الصفقة، توجه الأمير سلطان والقيادة السعودية نحو بريطانيا التي رحبت بهذه الصفقة الضخمة. وبعد وقت قصير، لاقت صفقة بيع صواريخ أميركية إلى المملكة حرباً شعواء أخرى من اللوبي الصهيوني في الكونغرس الأميركي، مما كاد يلغي الصفقة لولا تدخل الرئيس الأميركي ريغان بنقض قرار الاعتراض وأبرمت الصفقة في حزيران ١٩٨٦ (عن «الجيش» في المملكة، راجع باب «معالم تاريخية»).

كرونولوجيا ١٩٨٧-١٩٩٨

١٩٨٧: في ٣١ تموز، وقعت حوادث دموية بين عدد من الحجاج وقوات الأمن في مدينة مكة المكرمة، وسقط عدد من القتلى، بينهم حجاج إيرانيون.

١٩٨٨: المملكة تواصل جهودها لتأمين السلاح اللازم لقواتها المسلحة، وتعتد، في ٣ تموز، صفقة مع بريطانيا لشراء سلاح بقيمة نحو ٢٠ مليار دولار (٥٠ طائرة تورنادو، ٦٠ هوك، ٨٠ هليكوبتر...)، وتشترى بريطانيا بالمقابل ٢٠ مليون طن من النفط سنوياً. وفي ١٦ تشرين الثاني، أعلنت المملكة اعترافها بإقامة «دولة فلسطين».

١٩٨٩: في ٤ كانون الثاني، أعلنت منظمة الجهاد الاسلامي مسؤوليتها عن اغتيال السكرتير السعودي

الثالث في سفارة المملكة في بانكوك. وفي ٢٩ آذار، اغتيل أيضاً إمام مسجد بروكسيل (سعودي) وأحد معاونيه. وفي ١٠ تموز، جرى انفجاران في مدينة مكة المكرمة، وانفجار ثالث بعد اسبوع، وأتاهم ١٦ شيعياً كويتيًّا بها.

١٩٩٠: في كانون الثاني، تناول تقرير منظمة العفو الدولية، في جملة ما تناوله حول العالم، وجود ٧٠٠ موقوف سياسي، في السجون السعودية، جلهم أعضاء في حزب الله وفي حزب العمل الاشتراكي العربي. في أول شباط، اغتيل ٣ دبلوماسيين سعوديين في بانكوك. في ٢ تموز، وقع عدد كبير من القتلى (مئات) ضحايا هلع وقع في نفق في مدينة مكة المكرمة. في ٢١ تموز، أقامت المملكة علاقات دبلوماسية مع الصين. في ٢٩ آب، اشترت المملكة أسلحة أميركية بقيمة ٢،٢ مليار دولار. في تشرين الثاني، جرت تظاهرة نسائية ضمت ٤٧ امرأة طالبن بحق المرأة في قيادة السيارة (يمنع القانون السعودي المرأة من قيادة السيارة).

١٩٩١: حرب الخليج الثانية (راجع «إيران»، ج ٤، و«العراق» في هذا الجزء). في ٢٠ شباط، استأنفت المملكة علاقاتها الدبلوماسية مع إيران (كانت مقطوعة منذ نيسان ١٩٨٨).

١٩٩٢: في آذار، أصدر الملك فهد ثلاثة أنظمة جديدة لإدارة الحكم في المملكة هي النظام الأساسي للحكم ونظام مجلس الشورى ونظام المناطق (راجع «بطاقة تعريف»).

١٩٩٣: في صيف هذا العام، تعرضت المملكة العربية السعودية إلى حملة إعلامية قاسية في الولايات المتحدة (والدول الغربية الحليفة لها) «ظاهاها إقتصادي وباطنها سياسي». وأتموزج هذه الحملة مقالا «نيويورك تايمز» في ٢٢ و٢٣ آب، ومقال «واشنطن بوست» في ٢٩ آب، وما اقترح في هذه المقالات من إجراءات اقتصادية ضد المملكة.

في ٢٠ آب، أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أربعة أوامر ملكية في شأن نظام مجلس الوزراء، ومدة من يعين بمرتبة وزير أو في المرتبة الممتازة، وتشكيل مجلس الشورى من ٦٠ عضواً ونظام مجلس الشورى (راجع «بطاقة تعريف»). وتدخل هذه الأوامر في إطار مرحلة جديدة من مراحل التطوير السياسي في المملكة.

في ٢٩ كانون الأول، افتتح الملك فهد أول مجلس للشورى في العهد السعودي الجديد بكلمة أشاد فيها بقيام المجلس، فيما أكد «مسؤول سعودي كبير» أن المملكة ماضية في طريق العمل الجاد من أجل تحديث جميع الأنظمة الإدارية وتطويرها بما يتفق مع طبيعة العصر.

١٩٩٤: في كانون الثاني، زار رئيس الوزراء الفرنسي ادوار بالادور السعودية وعقد محادثات مع الملك فهد، كما عقد الأمير سلطان النائب الثاني لرئيس الوزراء وزير الدفاع والطيران اجتماعاً مع وزير الدفاع والخارجية الفرنسيين في حضور الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي، أعلن بعدها بالادور أن المحادثات التي أجراها في السعودية أسفرت عن اتفاق على تشكيل لجنة من الخبراء من البلدين لمتابعة استكمال عقود مشاريع التعاون العسكري والاقتصادي التي سبق أن أعدت دراستها.

في ١٢ تموز، زار حيدر عفيف رئيس جمهورية أذربيجان المملكة، ووقعت الدولتان اتفاقاً ينظم التعاون بينهما في المجالات الاقتصادية والتجارية والثقافية والعلمية والشبابية.

في ٢٦ ايلول، أصدرت وزارة الداخلية السعودية بياناً حول توقيف «١١٠» أشخاص من الذين حاولوا إثارة الشغب والفتنة في السعودية... ولم يلتزموا تعهدات سابقة بعدم إثارة المشاكل وعلى رأس هؤلاء الشيخان سلمان بن فهد العوده وسفر بن عبد الرحمن الحوالي المعروفان بتشددهما ومعارضتهما السياسية والدينية استناداً إلى أفكار أصولية متطرفة وليست اصلاحية». لم يسق، قيد التحقيق، في اواسط تشرين الثاني سري ٢٧ شخصاً.

في ٢٧ ايلول، أعلن رئيس كازاخستان نور سلطان نزارباييف أثناء زيارته السعودية أنه اتفق وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد على تبادل السفراء بين البلدين.

في تشرين الأول، وبعد إنشاء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (في ١٩٩٣)، قررت المملكة إنشاء «المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية»، وأصدر الملك فهد موافقته على أن يرأس المجلس الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران، ويضم المجلس وزير الداخلية والخارجية والمال والاقتصاد والتعليم العالي والعدل والشؤون الإسلامية، إضافة إلى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.

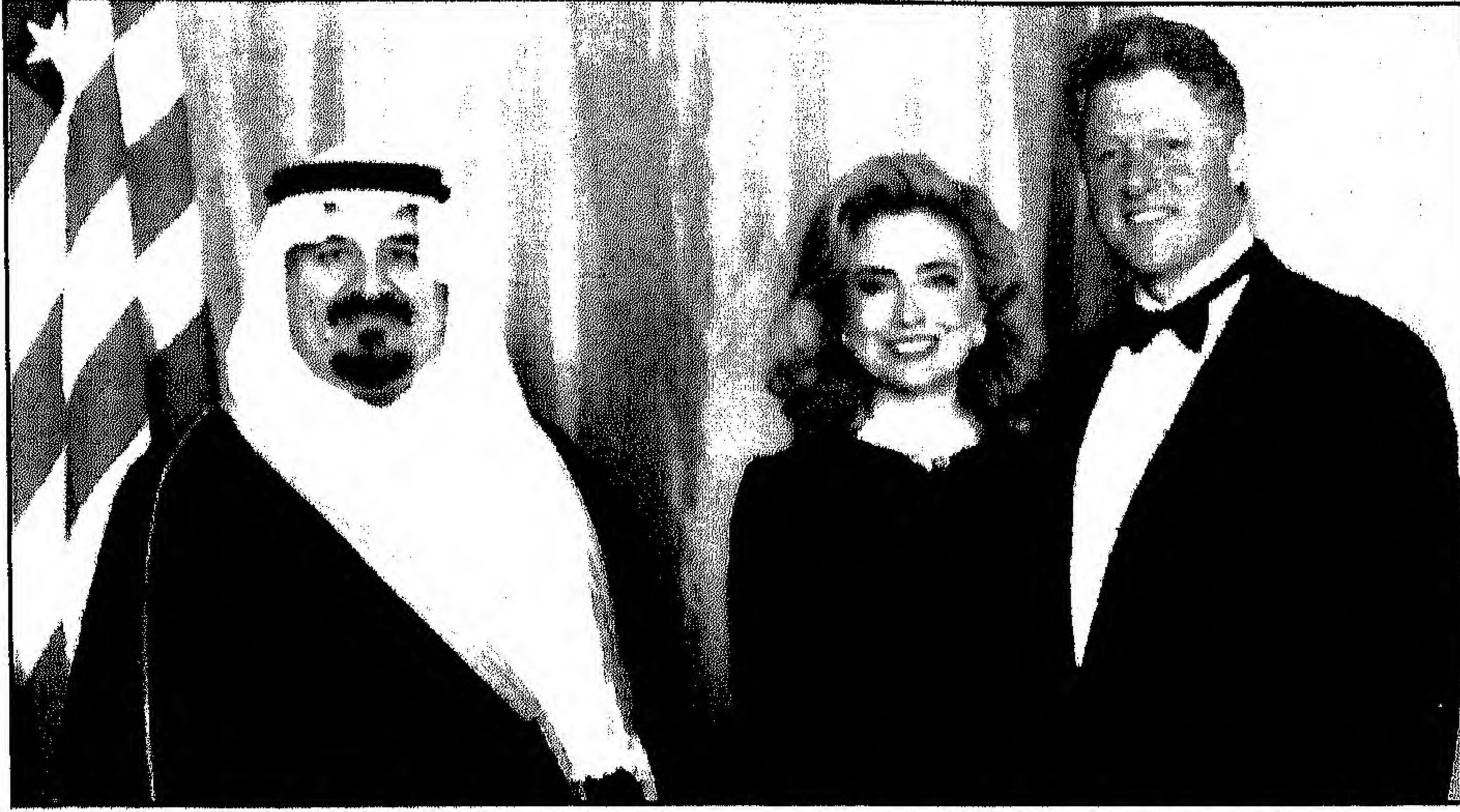
في ٢٨ تشرين الأول، صدر بيان مشترك بعد محادثات الملك فهد والرئيس الامبركي كليتتون (الذي زار السعودية في إطار جولة له في الشرق الاوسط) شرح الموضوعات التي بحث فيها الزعيمان ودارت حول ثلاثة محاور رئيسية هي العلاقات الثنائية والوضع في منطقة الخليج وتطورات عملية السلام.

١٩٩٥: أظهرت الموازنة التي صدرت في اوائل هذا العام ان السعودية نجحت في تحرير اقتصادها عبر العديد من البرامج كان أبرزها خفض الانفاق وتدعيم دور القطاع الخاص والتخلص من الدين الخارجي وتراجع العجز في الناتج المحلي الاجمالي.

وواكب هذه الانجازات الاقتصادية إجراءات إعادة ترتيب الداخل عبر أكبر موجة من التغييرات، إذ شهد العام (٢٠٠٢) أكبر تعديل وزاري دخل بموجبه ١٥ وزيراً



من الاعلى، ثم من اليسار الى اليمين حتى الصورة الادلى، الملوك السعوديون مع الرؤساء الاميركيين: عهد العزيز وروزفلت، فيصل (وكان وزيرا للخارجية) وترومان، سعود وايزنهاور، سعود وكيبيدي، فيصل وجونسون، فيصل وليكسون، فهد (وكان وليا للعهد) وفورد، خالد وكارتر، فهد وريغان، فهد وبوش، وفهد وكلينتون.



الامير سلطان بن عبد العزيز مع الرئيس كلينتون وزوجته هيلاري (تشرين الاول ١٩٩٥).

البعثة العسكرية الاميركية في الرياض (١٣ تشرين الاول).

١٩٩٦: في اليوم الاول من كانون الثاني، عهد الملك فهد لولي العهد الأمير عبد الله القيام بأعمال الدولة أثناء قضائه فترة راحة بسبب وعكة صحية ألمت به. وفي اليوم التالي، أكدت واشنطن ثقتها باستقرار السعودية. وفي ١٩ كانون الثاني، أكد مصدر سعودي مسؤول ان الحملات الاعلامية لن تجعل المملكة تهزول نحو السلام مع اسرائيل. وفي ٣١ كانون الثاني، استقبل الملك فهد أمراء البلاد.

في ١٢ شباط، رأس الملك فهد جلسة مجلس الوزراء السعودي لأول مرة بعد قضائه فترة راحة، وأعلن ان إنفاق السعودية في ١٠ سنين على مكة المكرمة والمدينة المنورة تجاوز ٧٠ مليون ريال.

في ٤ آذار، أعلنت السعودية وقفها إلى جانب سورية في مفاوضات السلام (وكانت هذه المفاوضات بين سورية واسرائيل توقفت قبل أقل من شهر واحد، أي في شباط ١٩٩٦). وفي ٢٧ آذار، أعلن الأمير سلطان (النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران) استعداد السعودية للوقوف مع البحرين بعد أحداث الشغب التي شهدتها.

في ١٧ نيسان، أعلنت الرياض إحباط محاولة لتفريب ٣٨ كيلوغراماً من المواد المتفجرة نفلها شخص سعودي عن طريق منفذ الحديثة شمالي السعودية. وفي ٢٢ نيسان، أعلن الأمير نايف بن عبد العزيز اعتقال أربعة

جديداً في عملية لضخ دماء شابة في المجلس أدت إلى حركة تطور واسعة في العمل الاداري في كل الوزارات، ورافق ذلك تفعيل لدور مجلس الشورى.

إسلامياً، شهد العام أعمالاً عديدة، أبرزها افتتاح المركز الاسلامي في روما، وأكاديمية الملك فهد في بون، وإنشاء كرسي الملك فهد للدراسات الاسلامية في جامعة لندن، وكرسي الأمير نايف للدراسات الاسلامية في موسكو، ودعم بعض المراكز الاسلامية في لندن واسطنبول وغيرها.

سياسياً، شهد العام تشديداً سعودياً على الثوابت السياسية وربط السلام في المنطقة بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة بما فيها القدس والتقدم على المسارين السوري واللبناني، ورفض السعودية سياسة التطبيع الاقتصادي مع اسرائيل وإقامة البنك الاقليمي للتنمية.

وعملت السعودية على إعادة صوغ العلاقات السعودية مع دول عربية عدة كان أبرزها توقيع مذكرة التفاهم السعودية اليمنية وعقد القمة السعودية اليمنية وانطلاقة عمل اللجان المشتركة بين البلدين (راجع باب «معالم تاريخية»). وقد صاحب ذلك انفتاح مماثل في اتجاه الاردن توج بلقاء الملك حسين والأمير سلطان في نيويورك بعد زيارة وزير الخارجية الاردني عبد الكريم الكباريتي إلى السعودية ولقائه مع الأمير سعود الفيصل وتأكيد البلدين رغبتهما في العودة بالعلاقات إلى ما كانت عليه من قوة. أما الحوادث الأمسي الأبرز فتمثل في تفجير مقر

بين بريطانيا والسعودية حول مفهوم الارهاب». وفي ١٧ تموز، أعلن الأمير سلطان بن عبد العزيز حرص السعودية على سلامة كل أجنبي على أرضها مثل حرصها على المواطن السعودي.

في ٥ آب، شدّد الملك فهد على حرص السعودية على مواصلة السعي إلى السلام في المنطقة.

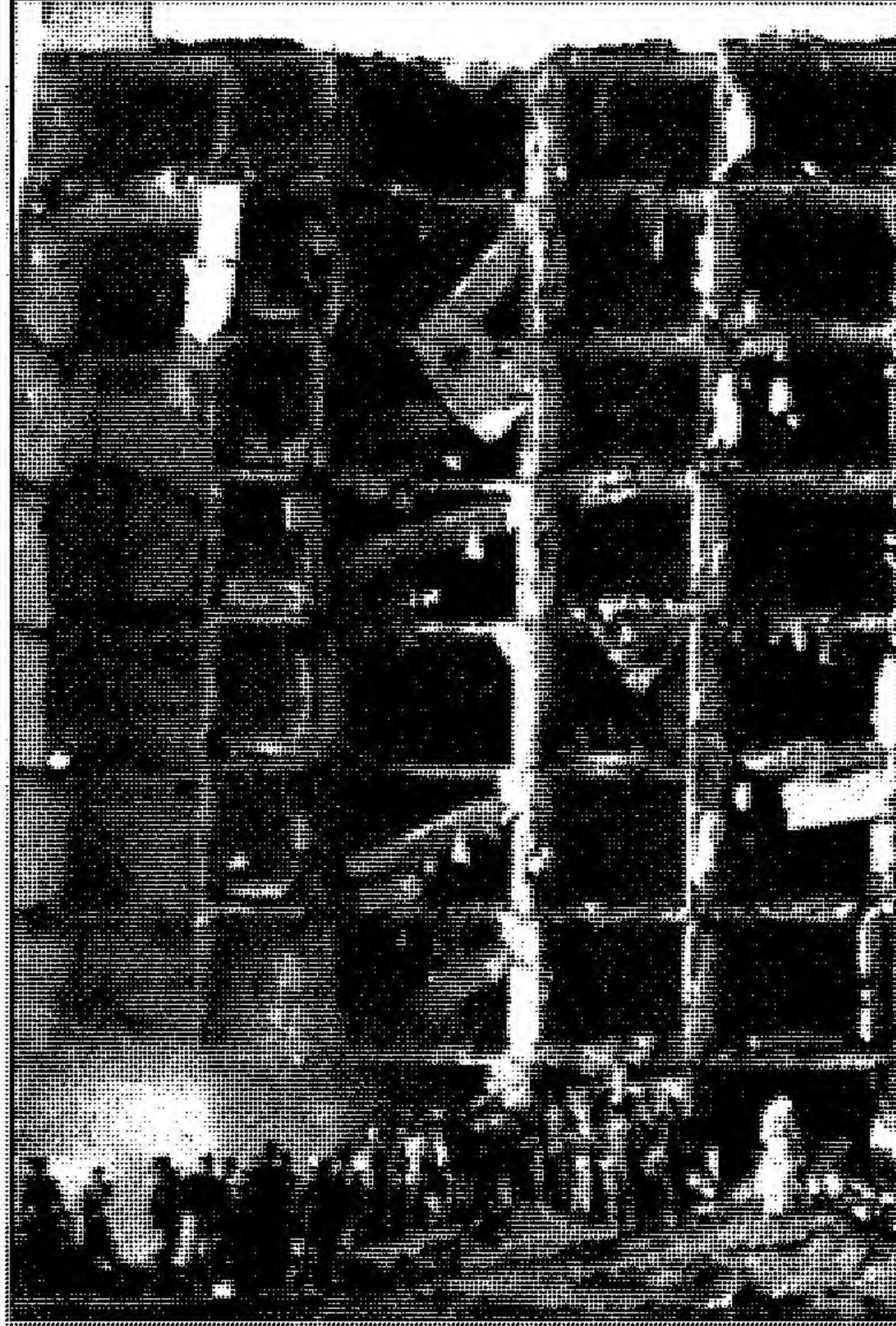
في ١٣ ايلول، صادقت السعودية على معاهدة حظر الاسلحة الكيماوية.

في ٧ كانون الاول، رأس الأمير عبد الله بن عبد العزيز نيابة عن الملك فهد وفد السعودية إلى القمة الخليجية في الدوحة. وفي ١٥ كانون الاول، أكد الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي جميل الحجيلان ان السعودية ماضية في وساطتها لحل الخلاف الحدودي بين البحرين وقطر. وفي ١٧ كانون الاول، تشرف الامير عبد الله بن عبد العزيز بغسل الكعبة المشرفة إيداً بانتهاء أعمال الترميم التي تنفذ للمرة الاولى منذ ٣٧٠ سنة. وفي ٢١ كانون الاول، أعلن الأمير نايف بن عبد العزيز ترحيل السعودية نحو ٤٠٠ ألف مقيم بصورة غير نظامية سنوياً.

سعوديين ارتكبوا حادث التفجير الذي وقع في حي العليا في مدينة الرياض في ١٣ تشرين الاول ١٩٩٥ (وفي ٣٠ ايار، تم إعدام منفذي هذا التفجير).

في ٧ حزيران، شاركت السعودية في القمة العربية الثلاثية المصغرة في دمشق (الرئيس حافظ الأسد والرئيس حسني مبارك والأمير عبد الله بن عبد العزيز). وفي ٢٥ حزيران، انفجرت سيارة مفخخة في مدينة الخبر في المنطقة الشرقية، وأدى الانفجار إلى مقتل ١٩ عسكرياً أميركياً وإصابة ٤٨٦ شخصاً من جنسيات مختلفة (أوضحت السلطات السعودية في ما بعد ان منفذي التفجير هم من السعوديين الذين دعمتهم جهات أجنبية، وان «خلفيات الحادث متوافرة لدى السلطات السعودية». واستمرت التحقيقات. وفي ٢٨ نيسان ١٩٩٨، سئل وزير الداخلية الأمير نايف عن التحقيقات في انفجار الخبر، وهل اثبت الاتهام الموجه إلى إيران بالضلوع فيه، فأجاب: «نحن لم نرى» ولم نتهم». وكرّر ان «الحقائق تحت أيدينا ولا بد من استكمال كل ما له علاقة بهذا الأمر».

في ٢ تموز، أعلن وزير خارجية بريطانيا مالكوم ريفكند في جدة بعد لقاء الملك فهد «تطابق وجهات النظر



الفجار الخبر (٢٥ حزيران ١٩٩٦).

والخبر مدينة في المنطقة الشرقية، قرب الدمام، تحولت بسرعة مذهلة إلى مدينة حديثة بعد اكتشاف النفط، وخاصة بعد المشاريع الصناعية الضخمة في المنطقة. تمتلئ أحيائها وشوارعها بالقادمين للعمل من جنسيات متعددة، من بلدان عربية وآسيوية وأوروبية، ومن الأميركيين العاملين في الشركات ومن رجال القوات الاميركية الجوية القادمين من القاعدة الجوية.



الرئيس الفرنسي جاك شيراك مع الأمير عبد الله ولي العهد.

ومع الأمير سلطان وزير الدفاع والطيران.



الحدود. وكان لقاء مماثل في العاصمة اليمنية (٢١ تموز)، وبعد اسبوع، زار المملكة وزير الداخلية اليمني لاستكمال المحادثات. وفي ١٣ تشرين الاول، نقل الأمير نايف للرئيس اليمني رسالة من الملك فهد، ثم وقع حادث حدودي (٢٥ تشرين الثاني) أدى إلى مقتل سعوديين، وأكدت المملكة انه لم يؤثر في التفاوض وان لا تغيير في موقفها لجهة العمل من اجل التوصل إلى اتفاق نهائي مع اليمن يطوي ملف الحدود (حول هذا الملف راجع باب «معالم تاريخية»).

في ١٦ حزيران، أكد الأمير سلطان معارضة

١٩٩٧: تميز هذا العام بتكثيف السعودية اتصالاتها باليمن لاستكمال المحادثات في شأن مسألة الحدود وإغلاق هذا الملف (راجع باب «معالم تاريخية»)، وبتحرك سعودي نشط في الخارج مع تشديد الملك فهد على أولوية انقاذ القدس من محاولات تهويلها.

كما تميز هذا العام ببدء صفحة جديدة من العلاقات بين المملكة وإيران (في عهد الرئيس الإيراني المنتخب خاتمي) التي أقرت بوضوح بالدور البارز للسعودية إقليمياً وفي العالم الإسلامي. وكان أول لقاء في نوعه بين ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ومرشد الجمهورية الإسلامية آية الله علي خامنئي على هامش القمة الإسلامية في طهران، وعرض ولي العهد استعداد المملكة للتوسط بين إيران وأميركا.

قادت السعودية أيضاً تحركاً باتجاه إيجاد أسس واقعية للتضامن العربي، ولجحت في احتواء «هزة» في العلاقات القطرية-المصرية كادت تهدد بفرط «إعلان دمشق» (راجع «سورية»، ج ١٠).

وعلى رغم الوجود العسكري الأميركي في مياه الخليج الذي تكثف خصوصاً بسبب مسلسل الازمات بين بغداد من جهة وواشنطن ومجلس الأمن من جهة ثانية، أعلنت السعودية على لسان النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران الأمير سلطان بن عبد العزيز ان أمن الخليج تحميه دوله.

أكد الملك فهد، مطلع السنة، نية تطوير أنظمة الحكم في المملكة. وفي ٢٥ كانون الثاني، شج تحرك سعودي في إقناع قطر باقتراحات لتنقية الاجواء مع البحرين.

في ٢٦ شباط، أعلن الأمير سلطان من واشنطن، حيث التقى الرئيس الأميركي بيل كلينتون، ان أمن الخليج تحميه دوله.

في ٨ آذار، زار الأمير سلطان باريس (في إطار جولة له إلى الخارج) واقترح من هناك صندوقاً لدعم الفلسطينيين. وفي ١٣ آذار، قابل في لندن رئيس الوزراء البريطاني جون ميجور وعرضاً عملية السلام في الشرق الاوسط.

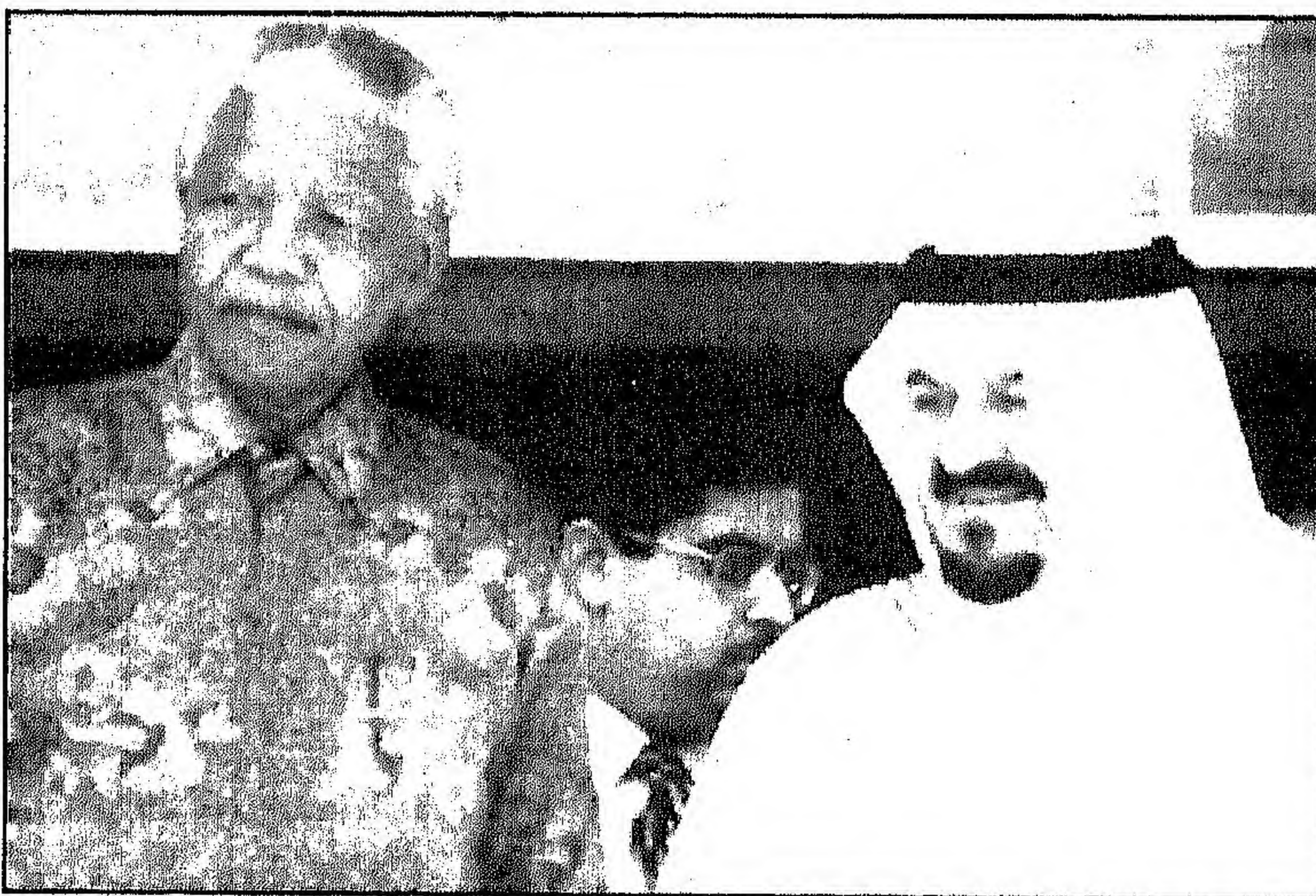
في ملف الحدود اليمنية السعودية، كانت من بين أبرز المخططات موافقة مجلس الوزراء السعودي، في ١٢ ايار، على اتفاق التعاون الأمني مع اليمن. وفي مطلع تموز، التقى وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز في صنعاء الرئيس علي عبد الله صالح لتسريع التفاهم على



الهايا يوحنا بولس الثاني
مستقبلاً الامير سلطان
(١٢ ايلول ١٩٩٧).



ملك اسبانيا خوان كارلوس
والامير سلطان
(ايلول ١٩٩٧).



رئيس جنوب افريقيا للنسون
مالديلا والامير سلطان
(ايلول ١٩٩٧).



الامير عبد الله مستقبلاً
رئيس الوزراء البريطاني بلير
(١٨ نيسان ١٩٩٨).

الاهتمام السعودي والایراني بها بداية حقبة جديدة ومهمة في العلاقات الثنائية أكد وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل انها «بدأت بالفعل». ورفسنجاني هو أول مسؤول إيراني رفيع المستوى يزور المملكة منذ قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية في ١٩٧٩. ومما قاله رفسنجاني: «جئت هنا ومعني وفد كبير يضم مختلف الفعاليات في إيران من أجل تحريك العلاقات بين البلدين في جميع المجالات». وقد امتد برنامج الزيارة لعشرة ايام. واستمرت العلاقات بين البلدين تتطور، وبلغت درجة عالية من الإيجابية مع تصريح السفير الإيراني لدى السعودية محمد رضا نوري في أعقاب اختبار إيران الصاروخ «شهاب ٣» (٢٨ تموز ١٩٩٨) الذي يبلغ مداه ١٣٠٠ كلم، إذ قال: «إن الصاروخ هو للدفاع عن النفس، ونحن نرى ان قوة إيران هي قوة للملكة، وإن قوة المملكة هي قوة لإيران. علاقاتنا مع السعودية وصلت إلى مرحلة تاريخية، يكمل فيها بعضنا بعضاً، وإذا كانت لدينا قوة صاروخية أو غير صاروخية فهي بتصرف المملكة».

في ١٨ نيسان، استقبل الملك فهد في جدة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير الذي قال قبيل لقائه الملك إن هناك سببين لزيارته: الاول يتعلق بمشكلة عملية السلام، والثاني توثيق العلاقات السعودية-البريطانية. ووصف دور الاتحاد الاوروبي في عملية السلام بأنه «مكمل للدور الأميركي ولا يتعارض معه».

وفي نيسان أيضاً، زار الأمير سلمان عبد العزيز، أمير منطقة الرياض، اليابان في «سياق تطور العلاقات

المملكة قرار الكونغرس الأميركي اعتبار القدس عاصمة موحدة لإسرائيل. وفي ٢٥ حزيران، وفي إطار التحرك السعودي النشط لانقاذ عملية السلام، ودعم الاطراف العربية المعنية، زار الأمير سلطان سورية، ثم لبنان بعد يومين. ثم كانت للامير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض، في ١٧ ايلول، جولة بدأها بسورية، ثم لبنان، بعد جولة على باريس وساراييفو (مطلع ايار).

في ٧ تموز، أصدر الملك فهد أوامر ملكية شملت اعلان تشكيل مجلس الشورى والتمديد لـ ٧٧ من كبار موظفي الدولة وأمرء المناطق والعلماء والمستشارين. في ٥ آب، وافق الملك فهد على تعيين اعضاء بحالس المناطق في المملكة.

في ايلول، كانت للامير سلطان جولة ثانية مهمة في ١٩٩٧، شملت إيطاليا التي التقى رئيسها في روما (١١ ايلول)، ثم اجتمع في اليوم التالي مع البابا يوحنا بولس الثاني في لقاء هو الاول في نوعه بين البابا ومسؤول سعودي كبير ركز على قضية القدس. وانتقل الأمير سلطان إلى اسبانيا، فالتقى الملك خوان كارلوس (١٥ ايلول)، وكانت عملية السلام المتعثرة في مقدم القضايا التي طرحها الرجلان؛ وفي ٢٦ ايلول، استقبل رئيس جنوب افريقيا نيلسون مانديلا الأمير سلطان في كيب تاون.

١٩٩٨: في اواخر شباط، زار الرئيس الإيراني السابق رئيس هيئة بجمع تشخيص النظام علي أكبر هاشمي رفسنجاني السعودية توثيقاً لجهود من التقارب بين البلدين قاربت السنتين. وقد عنت هذه الزيارة من خلال حجم

في اليوم الاول من حزيران، طالبت المملكة، في اجتماع مجلس الوزراء رأسه الملك فهد بـ«الحظر الشامل والكامل لانتشار الأسلحة النووية وجعل الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل»، وأعلنت انها إذ تقدر «وجهة نظر الحكومة الباكستانية للحفاظ على أمنها» (وكانت باكستان قد أجرت تجربة نووية قبل ايام رداً على تجربة أجرتها الهند) فإنها تدعو إسلام آباد ونيودلهي إلى «التحلي بضبط النفس واستئناف المفاوضات بما يخدم الأمن والاستقرار في المنطقة ويحقق بالتالي التنمية والرفاهية لبلديهما وشعبيهما» ،

وبهدف فتح قنوات استراتيجية للتعاون الشامل» (وكان رئيس الوزراء الياباني ريوتارو هاشيموتو زار الرياض في تشرين الثاني ١٩٩٧). وكانت العلاقات بين البلدين عيرت، منذ قيامها في ١٩٥٤، عن تقاربهما، إذا اتسمت بالودية والتقدير المشترك. وتبادل الطرفان زيارات ودية كثيرة أبرزها زيارة الملك فيصل لليابان في ١٩٧١، وزيارة ولي العهد الياباني وقرينته للسعودية في ١٩٨١ (الاميراطور حالياً)، وولي العهد الحالي وقرينته في ١٩٩٤، إضافة إلى الزيارات الرسمية المتبادلة. وكان البلدان قد وقعا إتفاقية التعاون الاقتصادي والفني في ١٩٧٥.

أخذت تعني «مستوطنة زراعية واحة» حلت فيها بيوت اللبن مكان الخيام، وجرى تعليم أهلها أصول الزراعة وتزويدهم بالبنور، كما جرى انتداب نفر من رجال الدين لقيادة هذه المعجّر ونشر تعاليم الاسلام الأساسية، وكان سكان المعجّر يُدعون الإخوان.

وكانت أولى هجر الإخوان مستوطنة «الأرطاوية» التي أنشئت في كانون الاول ١٩١٢، وهي منطقة ذات اراضي ومراعي خصبة ومنايع مياه وفيرة. وكانت ضمن نفوذ «الدير» التابعة لقييلة المطيري المشهورة بغزواتها المتكررة ضد جيرانها. ثم تلتها مستوطنات عديدة أخرى في جميع أنحاء شبه الجزيرة بلغ مجموعها ١٢٢ هجرة خلال حياة الملك عبد العزيز. وكانت الدعوة الاصلاحية وتعاليمها موضع الممارسة، فنهياً لها قوة من الإخوان قادرة على حمل رسالتها لتوحيد البلاد. وفي عام التأسيس نفسه (أي في ١٩١٢) بلغت قوة

معالم تاريخية

□ الإخوان: من أبرز الجوانب في عبقرية عبد العزيز وحكمته وخبرته الواسعة، على ما يؤكد المؤرخون، هو ذاك الجانب الذي برز في الدور الذي لعبه في نشأة الإخوان، ثم في طرق التعامل معهم فالتقضاء عليهم. أدرك عبد العزيز، وهو ابن البيضة نفسها، ان الموالاة وعهود الولاء عرضة للتبدل من حين لآخر بسبب ارتحال البدوي وتنقله، في حين ان التوطين والمستوطنات ستساعد في الاستقرار وثبات الولاء وتحسين المستوى الاجتماعي والاقتصادي. وهكذا استنبط عبد العزيز خطة توطين البدو، وظلّ ذلك في صميم تخطيطه الطويل المدى لربط الناس بالارض. فاقام مستوطنات زراعية واحة دفع بالبدو إلى استيطانها. من هنا جاءت كلمة «هجرة» التي

الإخوان ١١ ألف رجل.

كتب حافظ وهبة («الوهابية في الجزيرة: الماضي والحاضر»، المجلة الملكية لمجتمعات واسط آسيا، ١٦ تشرين الأول ١٩٢٤، ص ٣٦٥) يصف الإخوان:

«كان التبشير والدعوة للتعالم الوهابية يجري بين سكان المدن فقط. ولهذا أصبح البدو هم وقود معظم حركات التمرد والانفاضات التي وقعت في فترات مختلفة. ودائمًا كانوا ينحازون إلى جانب الفريق الذي يرهبون قوته وبأسه، أو الذي يرجون من ورائه مكاسب أكثر. وهذا هو السبب في اعتماد المصريين أو الاتراك أحيانًا، أو الوهابيين أو آل الرشيد عليهم. وجاء تفكير ابن سعود ملاكمًا لعلاج مشكلة البدو بإقامة مستوطنات لتوطينهم، ولإمارسوا الزراعة (...) وبعد أن كانوا خطرًا ماحقًا على الفريق الذي يؤيدونه بسبب انقلابيتهم أصبحوا الآن أوفياء ويمكن الوثوق بهم والاعتماد عليهم في مواجهة الموت ذاته (...) وركز ابن سعود أساسًا على الروح الوهابية النضالية ليغرسها في نفوسهم. وقام الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ بوضع منظومة المعتقدات التي استخدمت لتبرير وعقلنة وتثقيف وإلهاب حماس الإخوان. وقام الشيخ بالمواظبة بين المبادئ الوهابية وأهداف ابن سعود السياسية (...) وفوق ذلك ركزت أقواله على الواجب الديني بطاعة الله وطاعة الحاكم (...) واستدعى ابن سعود مشايخ القبائل إلى الرياض وخطب فيهم قائلاً: «قبائلكم لا دين لها وجاهلة بالاسلام»، ثم أمرهم بالانتظام في مدرسة العلماء الملحقة بالمسجد الكبير في الرياض واجتياز برنامج في علوم الدين (...) وعندما تهيأ مشايخ القبائل لتلقي تعاليم دينية أكثر تفصيلاً، دعاهم ابن سعود لبناء منازل لهم في الرياض، وهذا أيضاً جزء من خطة السيطرة عليهم».

ذكر أمين الريحاني («ابن سعود والجزيرة العربية»، بوسطن هيجنون ميغلين، ١٩٢٨، ص ١٩٤) أن سكان «الهجر» المستوطنين ينقسمون إلى ثلاث مجموعات: ١- البدو الذين أصبحوا فلاحين؛ ٢- المطرّعون؛ ٣- التجار والحرفيون. «وكان التمييز بين المجموعات الثلاث يقوم على أساس الأصل القبلي والعشائري (...) ورغم تأكيد الإخوان على طابع المساواة فلم يسمح لأبناء القبائل ذات الأصل الرضيع أن يشاركوا في القتال والغزو، بل يُتركون في المستوطنات للقيام بالأعمال الضرورية مثل عمل حدود الحصان وصنع السيوف والرماح وإصلاح الأسلحة والأواني».

في ١٩١٦، تقرر بأن تصبح جميع قبائل البدو

جزءاً من الإخوان وأن يدفعوا الزكاة كما يفعل جميع المسلمين. وقد طلب من شيوخ القبائل الالتحاق بمدرسة الشريعة الإسلامية في مسجد الرياض، وشجع الكثيرون منهم على الانضمام إلى حاشية عبد العزيز لزيادة توثيق ولائهم. وقد أضحي الإخوان المنظمون، بحماسهم البالغة واندفاعهم الشديد، قوة بالغة الأهمية تحت راية عبد العزيز. لقد كان اعتقادهم راسخاً بالتقشف وبساطة العيش وصفاء المفاهيم الإسلامية الصريحة وتأسيس مجتمع إسلامي يطبق الحشمة والعدالة وبلغ حماسهم أحياناً حدود التطرف المتزمت المتصادم مع كل مظهر عصري.

استطاع عبد العزيز استخدام ذلك الاندفاع والحماسة الدينية بنجاح في خططه التوحيدية. فأصبحت حروب التوحيد حروباً مقدسة حقاً بالندفاع الإخوان وبقيادة عبد العزيز. وتواجه هذه القوة الهائلة شعر عبد العزيز، في ١٩١٣ وعشية الحرب العالمية الأولى، أن الوقت موات لضرب الاتراك في إقليم الاحساء على الخليج العربي، وهو منطقة كانت تتبع نجد، لكن العثمانيين احتلوها منذ نحو خمسين عاماً. وكان عبد العزيز بحاجة ماسة لاستعادة هذه المنطقة وموائها كيلا يظل منقطعاً عن بقية العالم. فكانت معركة استيلائه (والإخوان أهم قواته) على المرفأ في ٤ ايار ١٩١٣ وسيطرته على الاحساء نقطة التحول الأساسية في معارك سيطرته وتوحيده للبلاد ككل، حيث لم تعد المعركة منذ ذلك الحين صراعاً بين السعوديين والاتراك، بل تشعبت اطرافها ليدخل الحجاز، بعد سنوات قليلة، طرفاً فيها.

جاء في كتاب «الملك فهد ومسيرة الانجازات الحضارية في المملكة العربية السعودية» (لؤلؤيه د. ناصر ابراهيم الرشيد ود. اسير ابراهيم شاهين، مرجع مذكور آنفاً، ص ٤٢-٥٢):

«وبانتزاع إقليم الاحساء من العثمانيين والتوسع الذي رافقه أضحي عبد العزيز على اتصال وثيق بالبريطانيين. ومع أن عبد العزيز لم يشترك اشتراكاً فعالاً في الحرب العالمية الأولى فإنه وجد نفسه عند نهاية الحرب في نزاع مكشوف مع الشريف حسين. وكان عبد العزيز قد أحجم عن مهاجمته خلال الحرب لأنه كانت تجمعهما رغبة مشتركة بإخراج الاتراك من شبه الجزيرة العربية. وقام البريطانيون بتسليح الشريف حسين ومساعدته، وعقد هو بدوره اتفاقاً سرّياً معهم (...) وبعد مفاوضات متعددة وقعت معاهدة بينه وبينهم عام ١٩١٦ اعترف فيها البريطانيون بعبد العزيز اميراً على نجد والاحساء (...)»

عبد العزيز مواجهة هذا التحدي بحزم. ومن ناحية ثانية فإن البريطانيين، وقد نصبوا أحد أولاد الشريف حسين ملكاً على العراق وآخر ملكاً على شرقي الاردن، كانوا حذرين ومتخوفين من تنامي قوة ابن سعود. فكانوا، بحرص وتكتم، يثيرون المتاعب على طول الحدود العراقية، وكانت دسائسهم تهدف إلى إضعاف سيطرته. وقد أهرق ابن سعود عام ١٩٢٧ من مكة إلى بغداد (نقلًا عن وائس «متاعب في جزيرة العرب»، ليفنج أج ١٩٢٨) يقول: «بلغني ان قبائلي على الحدود في حالة هياج بسبب التحصينات اللاشرعية التي يجري بناؤها. إن الوضع خطير إذ تهدد القبائل بالهجوم دون انتظار لإعاز من أحد (...) في أواخر تشرين الاول كان الشيخ فيصل الدويش (أحد أبرز قادة الاخوان) قد تقدم نحو أعالي موقع قبيلته مطير فدمر تحصينات البعيزية وقتل الجنود والعمال دون التعرض للقبائل العراقية القاطنة في الجوار. وقد ظهرت أسراب من الطائرات البريطانية وعينت الموقع ثم، على خلاف عاداتها، عادت دون إلقاء قبلة واحدة. عند ذاك تقدم الدويش داخل الأراضي العراقية وبعث بضع فرق من المغيرين واستمر ذلك عشرة ايام. ورغمًا من انه كان من اليسير على الطائرات الانكليزية قصف المغيرين بالقنابل فإن أي إجراء لم يتخذ ضدهم. وفي مناسبات أخرى، كما حصل في كانون الثاني ١٩٢٨، حلق سرب من الطائرات البريطانية فوق حدود نجد وأسقط عددًا من القنابل؛ وكان الهدف من ذلك إعطاء قبائل البدو مبررًا لحملة انتقامية ضد العراق (...) وحين اتضحت الحقيقة كان ابن سعود قد قطع شوطًا بعيدًا، فقد أصبح حاكم الجزء الأكبر من الجزيرة العربية الذي يؤلف كتلة جبارة بين قناة السويس والمهند. وبريطانيا العظمى تحاول حاليًا (يتابع وائس) عرقلة تطور هذه الكتلة. انها واعية تمامًا لحقيقة ان المواطنين المحليين في العراق يكرهون الشريف فيصل (المقصود الملك فيصل ابن الشريف حسين) ويحبون ابن سعود الذي يعتبرونه الحاكم الوحيد الحر حقًا في العالم العربي. بالإضافة إلى ان بعض قبائل البدو العراقيين يؤيدونه، ولكن البريطانيين يحاولون إخماد هذه المشاعر وإثارة المنافسات والمنازعات بين القبائل المختلفة لاقامة سد بين نجد والعراق. هذا هو في الواقع مصدر المتاعب في الجزيرة العربية» (إلى هنا ينتهي نقل المرجع المذكور عن وائس). انما فيصل الدويش شيخ قبيلة مطير، الذي كانت قيادته حاسمة وفاعلة في معركة حائل إلى شيوخ آخرين من الاخوان. وكان من بين هؤلاء سلطان بن بجداد شيخ قبيلة عثية القوية. وتناسى

وامتد سلطان السعوديين بمساندة قوات الاخوان إلى ضواحي حائل ١٩١٧ (...) وبالرغم من استمرار توطد سلطان عبد العزيز فإنه أحجم خلال تلك المدة عن مهاجمة الحجاز. وفي العام ١٩١٩ تعرض الطرف الغربي من مناطقه لهجوم من قبل الشريف حسين أنهى الهدنة المتقلقلة بالحرب. فتم القضاء على جيش الشريف حسين وفتح الطريق إلى مكة (...) وأثار شريف مكة في آذار ١٩٢٤ قضية أغاظت عبد العزيز، وذلك حين أعلن الشريف حسين نفسه خليفة على المسلمين (...) وكان عبد العزيز والاخوان تواقين بشدة للاستيلاء على الحجاز، بخاصة مذ منعوا من أداء فريضة الحج والأماكن المقدسة تحت سيطرة الشريف حسين (...) وفي كانون الاول ١٩٢٥ دخل عبد العزيز جدة (...) وفي ٢٠ ايار ١٩٢٧، وقعت معاهدة بريطانية في جدة تعترف بالأراضي التابعة لسيطرة عبد العزيز والممتدة من الخليج العربي حتى البحر الأحمر. بعد هذا الفتح العظيم للحجاز تنامي حماس قادة الاخوان الذين كان لمساعدتهم وحماسهم فضل لا ينكر في هذا الانجاز فقاموا رغم تعليمات عبد العزيز الصريحة بمهاجمة حصن على الحدود العراقية. وكان هذا التحدي انتهاكًا خطيرًا لسلطته قابله عبد العزيز بالحكمة والتعقل بمختلف السبل الممكنة لتفادي المواجهة مع الاخوان. لكن الاخوان زادوا من تعنتهم ورفضوا الكف عن غاراتهم عبر الحدود العراقية والاردنية، وكانت هذه الغارات مناقضة صريحة لاتفاق كان عقد مع البريطانيين في العُقر عام ١٩٢٢ (...) فعند انتهاء حصار جدة عام ١٩٢٥، اعترض بعض الاخوان على استخدام الهاتف لأن الأخذ بمثل هذه المبتكرات العصرية يشكل في زعمهم انتهاكًا لاسلوب العيش المتزمت في أمور الدين الذي يمارسونه ويدعون إليه. فما كان من عبد العزيز، لئيل موافقتهم إلا ان أسمعهم آيات من القرآن الكريم تنلى عبر الهاتف وأقنعهم بذلك ان الشيطان قد هرب من الآلة التي كانت موضع ريهم واعتراضهم. لكن الاخوان، مع الزمن، زادوا من تململهم وتمردهم. وراح تطرفهم يتعارض مع أمن الدولة ويلوح بتعطيل خطط التقدم والتطوير المستقبلية. فقد اعتبروا السيارات والهواتف وأجهزة الاذاعة «من خنزعات الشيطان». وقد عقد في الرياض مع قادة الاخوان وعلمائهم مؤتمر في كانون الثاني ١٩٢٧ جرت فيه مناقشة جميع الأمور التي كانت تثير الخلافات والنزاع. لكن الفتوى التي أصدرها العلماء أحجمت عن إعطاء رأي قاطع بشأن أدوات الحضارة الحديثة هذه. وأمام استمرار الغارات على العراق كان على

هؤلاء بسرعة انجازات ابن سعود العظيمة رغم انهم يدينون له بالكثير من وجودهم وتنظيمهم. وفي تشرين الاول ١٩٢٨، دعا عبد العزيز إلى مؤتمر من شيوخ القبائل والعلماء عُقد في الرياض لحل هذه الخلافات وحضره زعماء القبائل جميعهم باستثناء سلطان بن بَجاد وفيصل الدويش اللذين كانا يتصرفان كخارجين على النظام. لقد كانا عنيفين في مقاومتهما لعبد العزيز يتمردان عليه ويتنصسان من قدره. وقد اتهماه بالزندقة لأنه عقّد معاهدات مع الكفار، كما إنه، بزعمهم، أدخل إلى البلاد أدوات شيطانية كالحاتف والبرق والطيارة والسيارة. وقد أعلن العلماء خلال هذا المؤتمر ان هذه الادوات مسموح بها شرعاً بل إنها في الواقع مرغوب فيها من وجهة النظر الدينية لأنها تزيد من قوة المسلمين ومعارفهم. كذلك فإن المعاهدات مع دول غير اسلامية هي، استناداً إلى سوابق أجزاها النبي (صلعم) من الأمور المرغوب فيها خاصة إذا كانت تعود بالسلام والحرية على دنيا الاسلام. وأخيراً، بدأ صير الملك ينفذ، فبعد عدة مناوشات بين المتمردين والقبائل الموالية وقعت المعركة الحاسمة في أرض تسمى السَّبلَة بالقرب من بلدة الزلفي في مطلع آذار ١٩٢٩، واستطاع عبد العزيز سحق التمرد بعد ثمانية عشر شهراً من المناوشات المتقطعة آلت إلى التمرد العلني في ١٩٢٧. واستسلم ابن بَجاد ونُقل إلى الرياض، أما الدويش فقد أصيب بجراح بليغة (توفي في السجن) (...) وتمّ لعبد العزيز القضاء على جميع القادة المتمردين، وفي نهاية الأمر جرّد المستوطنات المتمردة من قدراتها فاستتب الأمن والاستقرار في الجزء الشمالي الشرقي من البلاد وأصبح عبد العزيز الزعيم غير المنازع للجزيرة العربية» (إلى هنا ينتهي ما جاء في كتاب «الملك فهد...»، المرجع المذكور).

ولمزيد من البحث واستجلاء الحقائق حول تلك السنوات المهمة جداً في تاريخ المملكة العربية السعودية وخورها علاقة عبد العزيز-الاخوان، ننقل ايضاً أهم ما جاء في كتاب ليمن الياسيني، «الدين والدولة في المملكة العربية السعودية»، بالانكليزية (دار الساقي، نقله إلى العربية الدكتور كمال اليازجي، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٠، ص ٦٣-٦٥):

بعد ان حقق عبد العزيز هدفه السياسي باحتياح الحجاز، أصبح بحاجة إلى ان يخفف من تصلب الاخوان وتطرفهم. وعلى ذلك، استدعى «علماء» الرياض جماعة المطاوعين من مستوطنات الاخوان وأبلغوهم ان يذهبوا في الناس «أن الاسلام دين وسط»، وأنه لا يخالف الرفاهية

المادية ولا اليسار الزمني.

إلا ان الاخوان رفضوا مفهوم الاسلام الوسط. ودعوا إلى الجهاد ضد شرقي الاردن والعراق والكويت. وأول مؤشر على خطورة الوضع برز إلى الواجهة سنة ١٩٢٥ في مكة. وكان قد مضى ما يزيد عن خمسة أشهر على احتياح الاخوان لمكة، وكان ابن سعود (وأنسان قد أغضبهم اتصاله بالبريطانيين وتعامله معهم) قد رفض طلبهم بالزحف على جدة والمدينة، مع ان هذه المهمة كانت سهلة عليهم، ذلك انه توقع الحصار من زعماء المدينة وجدة على تسليم بالمفاوضة. لكن الاخوان أكدوا ان التسليم بسيف كان الطريقة الوحيدة. وفي ٢٤ نيسان ١٩٢٥، أرسل فيصل الدويش، زعيم الاخوان، تحذيراً لابن سعود مفاده ان سيرف مقاتليه على أتم الاستعداد لمواجهة أولئك الذين وصلوا شرور الملك المخلوع الشريف حسين.

وتوطيداً للاعتقاد بأن الجهاد واجب على كل مسلم راشد، اجتمع الاخوان في كانون الاول ١٩٢٦ في الأوطاية، وحملوا على ابن سعود لأنه لم يواصل الحروب على المناطق المجاورة، ووجهوا اللوم كذلك إلى إمامهم (ابن سعود) على ما يلي:

١- إرسال ابنه سعود إلى مصر، وهو بلد واقع تحت السلطة البريطانية،

٢- إرسال ابنه فيصل إلى لبنان سنة ١٩٢٦ ليكسب ود البريطانيين،

٣- إدخال التلغراف والتلفون والسيارات إلى بلاد الاسلام، وهي جميعها في نظرهم أدوات شيطانية،

٤- جباية رسوم جركية من مسلمي نجد،

٥- السماح لقبائل شرقي الاردن والعراق بإرسال مواشيهم لترعى في ديار الاسلام،

٦- منع التجارة مع الكويت (فقد ذكر الاخوان لابن سعود ان رعايا الكويت إذا كانوا كافرين وجب عليه اعلان حرب مقدسة عليهم، أما إذا كانوا مؤمنين فليس للحاكم ان يمنع الاتجار معهم)،

٧- وأخيراً التسامح مع شيعة الحساء، فقد كان اعتقاد الاخوان انه كان ينبغي إما ان يعتنقوا الوهابية وإما ان يُقتلوا.

ونظراً إلى خطورة ما أخذ الاخوان، وجد علماء الرياض انه من الضرورة بمكان شرح موقفهم. وعلى ذلك أصدروا فتوى اتخذوا فيها موقفاً محايداً من استخدام التلغراف والراديو والسيارة، لكنهم أشاروا على الملك باتباع المبادئ الوهابية، وهدم مسجد حمزة لأنه مزار

شيعة، ومنع دخول المحمل المصري إلى المدينتين المقدستين: مكة والمدينة، وإكراه الشيعة على الخضوع للإسلام أو الطرد من المملكة، ومنع شيعة العراق من إرسال مواشيهم لتزعى في ديار الإسلام، وإرجاع الضرائب التي جبتها الحكومة من سكان نجد. ومع أن العلماء أيدوا في فتوَاهم موقف الإخوان، إلا أنهم اعتبروا إعلان الجهاد من مسؤوليات الإمام وحده.

وإذ رفض الإخوان فتوى العلماء بأن الإمام وحده هو المسؤول عن إعلان الجهاد، أقدموا في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٧ على غزو مركز أمن عراقي بالقرب من الحدود السعودية، وقضوا على جميع أفراد حاميته. وكذلك غزوا الكويت وشرقي الأردن. ومن أجل منع المزيد من غزوات الإخوان، أمرت الحكومة البريطانية قواتها الجوية بمطاردة الغزاة من الإخوان عبر بلاد نجد (من الملاحظ هنا أن الموقف البريطاني، بحسب رواية أمين الياسي، داعم لابن سعود، على عكس ما رواه أو حاول إثباته د. الرشيد ود. شاهين في كتابهما المذكور أعلاه من أن البريطانيين بقوا متفرجين على غزوات الإخوان لرغبتهم في إضعاف ابن سعود). فتحول الوضع مماثلاً إلى ما كان زعيم الإخوان فيصل الدويش، يشتهي. لأن اتهام ابن سعود بالانحلال الديني كان أمراً ممكناً فقط إذا امتنع عن مواجهة الكفار البريطانيين في ميدان القتال.

أما ابن سعود فإنه بعد أن أئتمز بناء العربية السعودية لم يشأ بمجابهة البريطانيين، أو المضى في توسيع رقعة مملكته. فحرصاً منه على لجم تطرف الإخوان، دعا إلى اجتماع عام في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٨ في مدينة الرياض، حضره أكثر من ٨٠٠ من الإخوان، فضلاً عن «العلماء» ووجهاء المدن والقبائل. وجه فيه إلى الحضور حديثاً عدّد فيه إنجازاته الدينية والسياسية، بما في ذلك توحيد شبه الجزيرة. وفي محاولة منه لكسب المزيد من الدعم، قدّم استقالته، مشروطاً على المجتمعين اختيار خلفه من آل سعود. وكما أشار حافظ وهبة، فإن أحداً لم يصدّق أن ابن سعود كان حقاً راغباً في الاستقالة. فبادر «العلماء» والوجهاء إلى رفض طلب الاستقالة وأيدوا حكم ابن سعود.

إن مؤتمر الرياض هذا، أقنع الإخوان أن القوة المجردة هي الوسيلة الوحيدة لخلع ابن سعود. فراح زعمائهم يروجون في المستوطنات أنهم وحدهم، الإخوان، أصبحوا الحماة الحقيقيين للمذهب الوهابي. فعمد على الأثر زعماء الإخوان: فيصل الدويش من قبيلة المطير، وسلطان

بن حميد بن بُجاد من العتيبة، وديدان بن هثلين من العجمان، إلى القيام بعدد من الغارات لم تقتصر على العراق والكويت، بل تناولت قبائل نجدية من المواليين لابن سعود. ووقعت المواجهة بين ابن سعود والإخوان في ٣١ آذار ١٩٢٩ في معركة السُّبلة. وتم لجيش ابن سعود، المؤلف من المجندين المدنيين والريفين والمواليين من البدو، قهر الإخوان وتثبيت حكم ابن سعود. وتلا ذلك تفكيك المستوطنات وتحويل الإخوان إلى الحرس القومي (إلى هنا ينتهي ما جاء في كتاب أمين الياسي).

في كتاب «ملوك العرب»، ينقل مؤلفه، أمين الريحاني، قولاً للملك عبد العزيز قاله لجماعة من الإخوان كان اعتقالهم وسجنهم ثم أطلق سراحهم: «لا تظنوا يا اخوان ان لكم قيمة كبيرة عندنا. لا تظنوا انكم ساعدتمونا واننا نحتاج إليكم. قيمتكم يا اخوان في طاعة الله ثم طاعتنا. فإذا تجاوزتم ذلك كنتم من المغضوب عليهم. أي، يا الله، ولا تنسوا ان ما من رجل منكم إلا وذبحنا له أباه أو أخاه أو ابن عمه. وما ملكناكم إلا بالسيف. ترى الصحيح، والسيف لا يزال بيدنا إذا كنتم يا اخوان لا ترعون حقوق الناس، لا، والله، لا قيمة لكم عندنا في تجاوزكم. انتم عندنا مثل الزاب (...). أما إذا أعدلتم وعقلتم فحقكم بشرع الله نأخذ من هذا الخشم وضرب بالسبابة أنفسه - وحقّي أخذه منكم دائماً بإذن الله... أنتم ما دخلتم في طاعتنا رغبة بل قهراً. وإنني يا الله أعمل بكم السيف إذا تجاوزتم حدود الله».

الجدير ذكره، أخيراً، أن كثيراً من المعارضين، مع إقرارهم بانتصار عبد العزيز على الإخوان وقضائه عليهم، وبزوالهم عن مسرح الأحداث بصورة تامة مع التقدم والرفاهية التي نعمت بها المملكة طيلة العقود اللاحقة على هزيمتهم، إلا أنهم يقولون إن جملة من المؤشرات والأحداث، بدءاً من الستينات، تدل على أن ثمة تأثيراً لهم، أو لفكرهم، لا يزال قائماً وبخاصة في بعض أوساط رجال الدين. وأهم تلك المؤشرات التي يستدلون بها حادث الحرم المكي الشريف الذي وقع في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٩، والذي تناولته، في حينه، الصحافة العالمية على نطاق واسع واستدل من خلالها أن المسؤول الأول عن ذلك الحادث هو جهيمان العتيبي (لاقى مصرعه إبان الحادث) الذي سبق له و«أثار الاشكالات حول الحكم السعودي من منطلق الدعوة السلفية» (راجع «الإخوان الجدد» تالياً).

□ «الإخوان الجدد»: في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٩ اقتحمت جماعة من الاصوليين المسجد الحرام،

وشجبوا نظام الحكم السعودي، وأعلنوا ظهور المهدي. وكان الأمير فهد، ولي العهد، والأمير عبد الله قائد الحرس الوطني، كلاهما خارج البلاد في ذلك الحين. ولم تكن الحكومة السعودية آنذاك مستعدة لمواجهة هذا النمط من العتيان المسلح.

جهيمان العتيبي عرّفت به الصحافة في حينه (نما فيها جريدة «الجزيرة» السعودية) على أنه منظم «الاخوان الجدد»، وواضع تصورهم المباني، وعضو سابق في الحرس الوطني وطالب في الفلسفة الدينية في جامعة مكة الإسلامية.

أما المهدي المنادي به، محمد بن عبد الله القحطاني، فكان تلميذاً في الفلسفة الإسلامية للشيخ عبد العزيز الباز، رئيس المجلس الأعلى للإفتاء والبحث. وكان القحطاني، قد عمل، قبل انضمامه إلى حلقة الشيخ الباز، في الدراسات الدينية، في أوائل السبعينات، في مستشفى شميسي المركزي في الرياض، واتهم فيه بالسرقة، وسُجن لبعض الوقت. وبعد إطلاق سبيله تحول إلى رجل تقي متميز، والتحق بالجامعة الإسلامية حيث التقى بجهيمان. وفي ١٩٧٩ اقترن بشقيقة جهيمان.

وأول إشارة لعدد المتمردين (عن جريدة «الجزيرة» - وختلف وسائل الاعلام في حينه، العربية وخاصة «النهار» و«السفير» البيروتية، والعالمية خاصة الاميركية - في أعدادها ٢٢، ٢٤، و ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٩) قدمها وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل الذي ذكر ان «من المعلومات التي حصلنا عليها ان عدد الرجال داخل المسجد لا يتجاوز ٢٠٠ وهم من جنسيات مختلفة ومزودين بأسلحة خفيفة»؛ والشيخ محمد بن سبيل إمام المسجد حدد العدد تقريباً ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ والضابط محمد النقيع المتحدث باسم وزارة الدفاع حدد العدد ما بين ٣٠٠ و ٥٠٠. وظلّ العدد الحقيقي للمتمردين مجهولاً.

وأعلن عن إعدام ٣٦ شخصاً من الذين أُلقي القبض عليهم فور فشل التمرد، معظمهم من السعوديين من منطقة نجد، وهناك ١٠ مصريين و ٦ من اليمن الجنوبي، وواحد من اليمن الشمالي و ٣ من الكويت وواحد من السودان وآخر من العراق.

وأعاد عدد من المؤلفات التاريخية والسياسية ما ذكرته الصحافة في حينه عن الحادث، وعن خلفية المتمردين الدينية، وعما تلا الحادث من معالجات حكومية. ومما جاء

فيها ان جهيمان «كتب سبعة كرايس تعالج مسائل فلسفية دينية، فقد ألصقت إثنين من مؤلفات ابن نعمة، وشجعت حكم آل سعود، ودانت علماء الدولة على تعاونهم مع آل سعود، والظاهرة البارزة في خطة المتمردين هي إعادة بناء المجتمع الاسلامي كما عرف في القرن السابع في الجزيرة العربية. وبعبارة أخرى، ان يتم إحياء المجتمع على يد المهدي (...) أما اختيار المهدي، فالمتمردون يدعون ان محمداً بن عبد الله القحطاني (أو القرشي) تم فيه شرط الاسم وتجلت فيه المرافقات الجسدية التي عينها محمد النبي في وصفه للمهدي» (أيمن الياسيني، مرجع مذكور آنفاً، في مادة «الاخوان» أعلاه).

أثناء حادث التمرد في المسجد الحرام دعا الملك خالد المجلس الأعلى للإفتاء إلى الانعقاد برئاسة الشيخ عبد العزيز الباز، وطلب إصدار فتوى تدعم آل سعود، وخير التأجيل العسكري في الحرم المقاس. فاستجاب العلماء، وأوضحوا انه سيحزن للمهدي ظهور، ولكن بعلامات واضحة، وفي وجه حاكم فاسد. وزادوا بأن الحديث... السعودية تطبق احكام الشريعة، وان الثورة على ربيها خيانة (النص الكامل للفتوى نشرته مجلة «الشرق الأوسط»، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٩، وقد وقّع هذه الفتوى ثلاثون من العلماء البارزين. ذكر ذلك أيمن الياسيني في كتابه المذكور، ص ١٦٢).

وبالحصول على تأييد العلماء تمكنت السلطة السعودية من اقتلاع المتمردين في ٣ كانون الاول ١٩٧٩ (أي بعد اسبوعين من بدء الحادث) والقضاء في أثناء ذلك على المسمّى بالمهدي.

وأخذ العلماء (في خطب الجمعة) والمحافظون في البلاد يشددون على موضوعات تدور كلها حول «تقوى آل سعود» و«طابع الاعتدال في الاسلام». ودعت الحكومة الاغراب إلى الالتزام بتقاليد البلاد وبالقيم الاسلامية. ثم أقفلت متاجر «الفيديو» التي اتهمت بتأجير أو بيع الأشرطة المخالفة للقيم والاخلاق الاسلامية. ورصدت المزيد من الاعتمادات لإنشاء المساجد ونشر الاسلام في البلاد وخارجها. وفي آذار ١٩٨٠، أمر الملك خالد بتشكيل لجنة برئاسة الأمير نايف، وزير الداخلية، «لإنجاز مسودة النظام الأساسي ووضع مخطط لمجلس شوري»؛ وسمح للصحافة السعودية بمناقشة الموضوع.

١٣٢٩	□ اكتشاف البترول: راجع باب «النبذة التاريخية».	١٩١١، ٢ ك
١٣٣٠		١٩١١، ٢٢ ك
١٣٣١		١٩١٢، ١١ ك
١٣٣٢	□ التقويم الهجري: تعتمد بداية هذا التقويم على	١٩١٣، ٣٠ ت
١٣٣٣	يوم هجرة الرسول من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.	١٩١٤، ١٩ ت
١٣٣٤	يوافق هذا التاريخ ١٦ تموز عام ٦٢٢ م (التقويم الغريغوري	١٩١٥، ٩ ت
١٣٣٥	الغربي الميلادي). والتقويم الهجري قمري، حيث الشهر	١٩١٦، ٢٨ ت
١٣٣٦	فترة بين هلالين تستغرق دورياً ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤	١٩١٧، ١٧ ت
١٣٣٧	دقيقة و٢،٨ ثانية. وطول السنة القمرية ٣٥٤ أو ٣٥٥	١٩١٨، ٧ ت
١٣٣٨	يوماً. السنة القمرية تستغرق فلكياً ٣٥٤ يوماً و١١ يوماً	١٩١٩، ٢٦ ايلول
١٣٣٩	كل ٣٠ سنة. فتعتبر بعض السنين القمرية كبيسة (٣٥٥	١٩٢٠، ١٥ ايلول
١٣٤٠	يوماً) لاستغراق فرق الاحد عشر يوماً كل ثلاثين سنة.	١٩٢١، ٤ ايلول
١٣٤١	والشهور القمرية الإثنا عشر في التقويم الهجري هي:	١٩٢٢، ٢٤ آب
١٣٤٢	مُحَرَّم، صَفَر، ربيع الأول، ربيع الآخر، جُمادى الأولى،	١٩٢٣، ١٤ آب
١٣٤٣	جُمادى الآخرة، رَجَب، شَعْبَان، رمضان، شَوَّال، ذو	١٩٢٤، ٢ آب
١٣٤٤	العقدة، ذو الحجة.	١٩٢٥، ٢٣ تموز
١٣٤٥	ولأن المملكة العربية السعودية تعتمد التقويم	١٩٢٦، ١٢ تموز
١٣٤٦	الهجري في معاملاتها ومصادرها ومراجعها، ولا يكون	١٩٢٧، ١ تموز
١٣٤٧	هناك ذكر، في أحيان كثيرة، للتواريخ الميلادية المقابلة	١٩٢٨، ٢٠ حزيران
١٣٤٨	للتواريخ الهجرية، فيشكل الأمر على الكثيرين، ارتأينا ان	١٩٢٩، ٩ حزيران
١٣٤٩	نثبت لائحة ببعض السنين المتقابلة في التقويمين الهجري	١٩٣٠، ٢٩ ايار
١٣٥٠	والميلادي، وتبين التواريخ بجانب السنين الميلادية تواريخ	١٩٣١، ١٩ ايار
١٣٥١	بدء السنين الهجرية:	١٩٣٢، ٧ ايار
١٣٥٦	هـ (السنة الهجرية)	١٩٣٧، ١٤ آذار
١٣٥٧	م (السنة الميلادية)	١٩٣٨، ٣ آذار
١٣٦٢	١٦، ٦٢٢ تموز	١٩٤٣، ٨ ك
١٣٧٣	٦، ٧٦٧ شباط	١٩٥٣، ١٠ ايلول
١٣٨٤	١١، ١١٠٦ ايلول	١٩٦٤، ١٣ ايار
١٣٩٥	١٢، ١٢٠٣ ايلول	١٩٧٥، ١٤ ك
١٣٩٦	١٣، ١٣٠١ ت	١٩٧٦، ٣ ك
١٣٩٩	١٤، ١٤٠١ ايلول	١٩٧٨، ٢ ك
١٤٠٠	١٥، ١٥٠١ نيسان	١٩٧٩، ٢٢ ت
١٤٠١	١٦، ١٦٠٢ نيسان	١٩٨٠، ٩ ت
١٤٠٢	١٧، ١٧٠٣ آذار	١٩٨١، ٣٠ ت
١٤٠٣	١٨، ١٨٠٤ آذار	١٩٨٢، ١٩ ت
١٤٠٤	١٩، ١٩٠٥ آذار	١٩٨٣، ٨ ت
١٤٠٥	٢٠، ٢٠٠٦ شباط	١٩٨٤، ٢٧ ايلول
١٤٠٦	٢١، ٢١٠٧ شباط	١٩٨٥، ١٦ ايلول
١٤٠٧	٢٢، ٢٢٠٨ شباط	١٩٨٦، ٦ ايلول
١٤٠٨	٢٣، ٢٣٠٩ ك	١٩٨٧، ٢٦ آب
	٢٤، ٢٤٠١ ك	

إنشاء قاعدتين بحريتين رئيسيتين في كلتا المدينتين. وتوجد قواعد بحرية أصغر كذلك في رأس تنورة ورأس الشعب ويتبع والدّمام.

أما سلاح الجو الملكي السعودي فقد تأسس في ١٩٥٠ بأمر من الملك عبد العزيز. وكانت العمليات الجوية قبل ذلك منوطة بالجيش. وكان البريطانيون في البداية هم مصدر العون من حيث توفير الطائرات والتدريب. لكن بعد تداعي النفوذ البريطاني في المنطقة وتزايد المصالح الأميركية، تحول سلاح الجو الملكي السعودي إلى استخدام الطائرات وأطقم التدريب الأميركية. وقد قامت كلية الملك فيصل الجوية في الرياض بمهمة تدريب أفراد سلاح الجو العربي السعودي. ويتم نقل هذه الكلية إلى موقع جديد في القاعدة الجوية الضخمة التي يجري بناؤها في الخرج.

وفي قاعدة الطائف يتم تدريب طياري الطائرات العمودية. وتقع القواعد الجوية الرئيسية في الظهران والرياض وحفر الباطن (على مقربة من الحدود الكويتية والعراقية). وهناك قواعد أخرى في تبوك قريبا من الحدود الأردنية والإسرائيلية، وفي خميس مشيط. ومن مرافق سلاح الجو مدينة الملك خالد العسكرية وهي تتسع لحوالي ٧٠ ألفاً من الأفراد العسكريين وعائلاتهم، وتقوم طائرات الاستطلاع (أواكس) بإعطاء الإنذار المبكر وتوفير مظلة أمان وحماية موثوقة.

وقد وضعت الأسس لتطوير صناعة الأسلحة السعودية خلياً. وقد بدأت بالفعل صناعة أسلحة دفاعية صغيرة في موقع الخرج تنتج بنادق ورشاشات أميركية والمانيّة غربية بترخيص من الشركات صاحبة براءة الاختراع. وسيتم المزيد من هذا الإنتاج بالتراخيص الممنوحة من الصانعين إلى جانب مصانع لتجميع المركبات الحربية والطائرات. وقد شكلت هيئة عامة للصناعة الحربية وهي تعتبر بذرة أولية لصناعة الأسلحة في المملكة خلياً أو بالتضافر مع مجلس التعاون الخليجي (عن د. ناصر إبراهيم الرشيد ود. إسبر إبراهيم شاهين، «الملك فهد ومسيرة الانجازات الحضارية في المملكة العربية السعودية»، المعهد الدولي للتكنولوجيا، الولايات المتحدة الأميركية، النسخة المعربة، ص ٣٣٥-٣٤٠، بدون تاريخ). والجدير ذكره ان الجيش السعودي اشترك بفعالية في حرب الخليج الثانية وكان الامير خالد بن سلطان بن عبد العزيز القائد العام فيها، ووضع كتابه «مقاتل من الصحراء» الذي أظهر فيه دور الجيش السعودي في الحرب والتجربة الغنية التي خرج بها منها على طريق المستقبل.

١٤٠٩	١٩٨٨، ١٤ آب
١٤١٠	١٩٨٩، ٤ آب
١٤١١	١٩٩٠، ٢٤ تموز
١٤١٢	١٩٩١، ١٣ تموز
١٤١٣	١٩٩٢، ٢ تموز
١٤١٤	١٩٩٣، ٢١ حزيران
١٤١٥	١٩٩٤، ١٠ حزيران
١٤١٦	١٩٩٥، ٣١ ايار
١٤١٧	١٩٩٦، ١٩ ايار
١٤١٨	١٩٩٧، ٩ ايار
١٤١٩	١٩٩٨، ٢٨ نيسان
١٤٢٠	١٩٩٩، ١٧ نيسان
١٤٢١	٢٠٠٠، ٦ نيسان

□ الجيش: أصبح الجيش السعودي قوة يُهاب جانبها متضمناً مختلف الأسلحة البرية والجوية والبحرية المزودة بالاعتدة المتطورة. وفوج الحرس الوطني هو جزء من وحدات القتال السعودية في الحالات التي تتطلب ذلك. تقع كلية الملك عبد العزيز العسكرية على بعد حوالي ٤٠ كلم من الرياض، وهي المصدر الرئيسي لضباط الجيش من رتبة ملازم. وقد حلت هذه الكلية محل الكلية الحربية الملكية، ومصممة لاستيعاب ١٥٠٠ طالب عسكري، وتؤلف مدينة صغيرة قائمة بذاتها وتضم وحدات سكنية للقادة وأفراد الهيئة التعليمية. وتدرس فيها موضوعات أكاديمية وعسكرية وتستغرق فترة الدراسة فيها ثلاث سنوات. وفي الرياض، كلية القيادة والاركان التي تمنح درجة الماجستير في العلوم العسكرية. وهي منسقة على مثال نظائرها في الولايات المتحدة الاميركية. ويُعث الضباط المتفوقون للتخصص في العلوم العسكرية العليا في الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والمانيا وغيرها من الدول الصديقة.

وقد أدخل برنامج التوسع البحري السعودي تغييرات جذرية مثيرة في قدرات الاسطول الملكي السعودي وعدد سفنه الحربية وتعداد رجاله. وتلقى آلاف من الافراد السعوديين البحرين تدريبهم في الخارج بخاصة في الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا. ويتضمن برنامج التوسع البحري السعودي إنشاء ميناء عميق في جدة على البحر الأحمر وآخر في الجبيل على الخليج العربي إلى جانب

سياسية مهمة في حكومة الملك عبد العزيز وكتب عن فترة عمله في خدمة الملك والتي امتدت لحوالي خمسين عامًا. وتعد كتبه من المصادر المهمة لتاريخ فترة حكم الملك عبد العزيز. ثم يأتي بعده فؤاد حمزة (من لبنان) الذي عمل في خدمة الملك عبد العزيز لسنوات طويلة وكتب عن تلك الفترة وعن القبائل وعن تطور الإدارة في عهد عبد العزيز ما جعل كتبه من المصادر المهمة (وكذلك أمين الرضائي في كتبه الشهيرة). ثم يأتي من فاقهم في كتابة تاريخ الملك عبد العزيز وهو السياسي والمؤرخ والشاعر خير الدين زركلي (من سورية) الذي عاش معظم حياته إلى حين وفاته في هذه البلاد وفي خدمة الملك عبد العزيز فأرخ لفترة حكمه سفرًا من أجزاء عدة ما زال من أهم مصادر تاريخ المملكة. أما أبرز من كتب عن تاريخ المملكة في عهد الملك عبد العزيز من الأجانب الاوروبيين فهو «الشيخ عبد الله فيلبي Philby السياسي والمستشرق الانكليزي الذي عشق هذه البلاد وأهلها وأخلص في حبه للملكها ما جعله يناصب بلاده العدا، فكتب ما لم يكتبه غيره عمقًا وغزارة وشمولية، وخلف بعد وفاته مكتبة كاملة من المؤلفات كلها عن المملكة وتاريخها وجغرافيتها وناسها وملكها» (عن مقابلة مع محمد آل زلفه أجرتها هناء قطب من الرياض، «الحياة»، العدد ١٢٦٠، تاريخ ٢٨ تشرين الاول ١٩٩٧، ص ٢١). والاسم الأصلي للحاج عبد الله هو سان جون فيلبي.

جاء بقلم الكاتب والمؤرخ السعودي حمد جاسر عن «الحاج عبد الله فيلبي، سيرة الانكليزي الذي عرف السعودية وأقام فيها وكتب عنها» («الحياة»، العدد ١٢٣٥٦، ٢٤ كانون الاول ١٩٩٦، ص ١٦) ما موجه: ولد فيلبي في جزيرة سيلان (سري لانكا) عام ١٨٨٥، وانضم إلى كلية اللغات الشرقية في جامعة أوكسفورد وهو في الثالثة والعشرين من عمره، ثم عمل موظفًا في حكومة الهند في السنة التي تليها، ومكث نحو سبع سنين، وعمل في العراق بعد ذلك سنة فرأس البعثة البريطانية في الجزيرة العربية فترة، عاد بعدها مستشارًا في وزارة الداخلية في العراق، ف رئيسًا للبعثة البريطانية في الاردن حيث مكث أربع سنوات، وتقلب في وظائف عدة، ولم يكن أثناء قيامه بأعماله السابقة منقطع الصلة عن أحوال هذه البلاد (المملكة العربية السعودية) الذي اثقلها في ما بعد مستقرًا له. فبصرف النظر عما لتلك الاقطار التي عمل فيها من الصلات التجارية وغيرها، فالرجل كان طليعة عرف الكثير عن احوال البلاد مما قرأ من كتابات



عبد الله فيلبي مع ابنائه، البكر كيم، وخالد ولريد.

□ الحاج عبد الله فيلبي، أشهر مؤرخي المملكة العربية السعودية: من الملاحظ، والمعروف، ان أكثر ما كتب عن الملك عبد العزيز، مؤسس وباني المملكة العربية السعودية، إلى الآن، كان باقلام غير سعودية، ومن كتب من السعوديين فيما بعد اعتمد على ما نقلوه من زملائهم غير السعوديين.

السبب في ذلك، برأي المؤرخ السعودي محمد آل زلفه (وعضو مجلس الشورى السعودي واستاذ جامعي متخصص في أدب وتاريخ الجزيرة العربية)، إلى ان من وظّفهم الملك عبد العزيز في خدمته من غير السعوديين كانوا في معظمهم على درجة كبيرة من العلم والمعرفة قياسًا، بطبيعة الحال، بنظرائهم من السعوديين حينذاك. ولقد مكنتهم مكانتهم الوظيفية اللصيقة بالملك عبد العزيز من معرفة كثير من تطورات الاحداث ووقوفهم عليها أو بالقرب منها بحكم أعمالهم، فبرز منهم الذي تولى، إلى جانب عمله السياسي، رئاسة تحرير جريدة «أم القرى» الذي أسسها الملك عبد العزيز منذ الشهور الاولى لدخوله الحجاز. فكانت الجريدة الرسمية التي سجلت معظم الوقائع والاحداث، وتعد من أهم مصادر تاريخ المملكة طوال فترة حياة الملك عبد العزيز.

ويعدد محمد آل زلفه ثلاثة مؤرخين عرب غير سعوديين، هم: حافظ وهبه (من مصر)، وقد تولى مناصب

المستشرقين الذين زاروها، ومن خلال الصلات القوية بينها وبين العراق والاردن إبان عمله فيها. وهناك من أبناء جلدته من الانكليز من كان ذا صلة قوية بهذه البلاد مثل الكابتن وليم هنري أرفن شكسبير وغيره.

كان قدوم فيلبي إلى البلاد يوم ١٧ تشرين الأول ١٩١٥ عن طريق البصرة إلى البحرين، ومنها إلى ميناء العقير (كان من أشهر موانئ المنطقة قديمًا)، حيث سار إلى الأحساء، ومنها اتجه إلى الرياض حيث اجتمع بالملك عبد العزيز، وقد فصل ذلك في كتابه «أيام بلاد العرب» Arabian Days الذي قام بتلخيصه خيرى حماد في كتاب دعاه «عبدالله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث»، نشر في بيروت سنة ١٩٦١، وخيرى حماد أديب فلسطيني عمل في سفارة المملكة العربية السعودية فترة من الزمن ويشرف على نشرة كانت تصدرها في بيروت.

هيّا الملك عبد العزيز لفيلبي مختلف الوسائل لكي يتجول في مناطق المملكة ويرتاد مجاهلها. فقام برحلات متعددة إلى جهات من غير السهل الوصول إليها من لا تهيأ له الوسائل الثامة. وكانت حصيلة تلك الرحلات مؤلفاته التي شحنتها بالمعلومات المتعلقة بوصف جميع ما شاهده من احوال السكان المختلفة، ومن وصف البلاد جغرافيًا وجيولوجيًا، ومن تسجيل ما رآه من آثار ومن مظاهر طبيعة تلك البلاد بصفة عامة، وما عرفه من احوال السكان في مختلف جوانب حياتهم (كان يصف ما يكابده من مخاطر وتعب: «الزحف والتسلق الشاق المنهك بين الصخور...»).

كان من أثر ما عرفه الملك عبد العزيز من إخلاص فيلبي ونصحه له في شؤونه المتعلقة بصلاته بالحكومة الانكليزية، ما حمله إلى ان يهيء له جميع وسائل الاستقرار في البلاد. فأدرك فيلبي من تلك الرعاية ما زاده تعلقًا ورغبة في البقاء. وأعلن بعد ذلك إسلامه الذي قوبل بارتياح ورضى (وأصبح يُعرف باسم الحاج عبدالله فيلبي)، مع وجود من يُندي شكًا حيال هذا الأمر لعدم ظهور فيلبي بأداء الواجبات الدينية والمحافظة عليها في ما يبدو لبعض من لهم صلة به. وتزوج سيدة مسلمة من اهل البلاد واستقر في مدينة الرياض في بيت منحه إياه الملك عبد العزيز في الحى الذي كان يُعرف قديمًا باسم «حلة الأجناب». وله من هذه السيدة المسلمة أبناء لا يزالون أحياء. وله من زوجته الأولى ابن كبير يدعى كيم فيلبي Kim Philby؛ ويقول محمد الجاسر بشأن كيم: «أذكر

انه زار الرياض سنة ١٣٧٥هـ (اواسط الخمسينات)، فاتصل بي احد موظفي الشعبة السياسية، وكنت إذ ذاك أصدر صحيفة اليمامة، وأخبرني بأن ابن فيلبي سيزور الصحيفة ومعه أحد موظفي الديوان الملكي، فأتى ومعه الاستاذ عبد العزيز بن ابراهيم بن معمر أحد مستشاري الملك سعود، ووجه إليّ اسئلة تتعلق بالعمل الصحافي أجبت عليها، ومنها ما يتعلق بحرية الصحافة. فأخبرته بالحقيقة وبالواقع الذي كانت تتمتع به الصحيفة، فنشر مقالاً في مجلة الإيكونوميست The Economist يشفي على الصحافة في بلادنا، وانها على خير حال تخطى بها في العالم العربي، وذكر بعض عناوين لمقالات نشرتها اليمامة ومنها «إحذروا وعي الجماهير» و«أغلقتها وأرحنا». وعلمت في ما بعد انه امتعن أسوأ مهنة، وذهب إلى الاتحاد السوفياتي ومات هناك قبل بضع سنوات» (كيم فيلبي هو البريطاني الجاسوس السوفياتي الذي تناولته الصحافة العالمية، ولا تزال، على نطاق واسع فور انكشاف أمره، فدبرت المخابرات السوفياتية عملية فراره إلى الاتحاد السوفياتي من بيروت في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٣).

وعن السنوات الأخيرة في حياة الحاج عبدالله فيلبي يذكر المؤرخ محمد الجاسر (في المرجع المذكور أعلاه) ان كتاباً لفيلبي صدر في بيروت عن دار العلم للملايين وفيه ذكر للملك سعود بن عبد العزيز ووصف له «وصفاً كان محلاً لمواخذة فيلبي وعدم السماح له بالعودة إلى البلاد، فاقام في بيروت فترة من الزمن، وكان ذلك إثر مقال نشر في مجلة «الشؤون الخارجية» الاميركية Foreign Affairs التي تصدر في واشنطن في ربيع ١٩٥٤، يحوي غمراً ما ورد في مقدمة الكتاب، فأبرق بفلاصته السفير أسعد الفقيه للملك سعود، فحدث لفيلبي ما حدث حتى غفي عنه».

ويتحدث الجاسر عن مقابلته فيلبي في بيت هذا الأخير في الرياض (وكانت المقابلة الأخيرة) فيقول: «... فنزل إلى الدور الأرضي، وفتح لنا غرفة مستطيلة مملوءة بالاضرابات المرتبة بارقام متسلسلة، لا أبالغ إذا قلت إن الغرفة بجميع جوانبها مملوءة بها وقال: منذ بدأت حياتي السياسية إلى يومك هذا وأنا أسجل جميع ما يمر بي في هذه الاضطرابات التي تحوي أشياء كثيرة، تقارير ومكاتبات سياسية، ودراسات أثرية وجغرافية، ورحلات، إلى غير ذلك مما عرض لي في جميع الأيام التي مرت بي» (هنا، يقول الجاسر في الحاشية: «قد يتطلع أحد القراء لمعرفة مال هذه الاضطرابات: عند وفاة فيلبي كان بينه وبين بعض

مستشاري الملك سعود نفرة. فأظهر هؤلاء للملك انه قد يكون في هذه الاضبارات مما يتعلق بالملك ما لا يحسن، فنقلت من بيت فيلبي حيث ركمت في دهليز واسع يوصل إلى مقر الشعبة السياسية. وهذا آخر العهد بها، مع انه بلغني بأنه قد أوصى بها وبجميع أوراقه للجامعة لوفاتو البلجيكية».

ويتهي الجاسر كلامه بأن فيلبي أخبره بأنه مدعو لحضور مؤتمر المستشرقين في اسطنبول؛ و«ذهب لحضور المؤتمر وبعد عودته توفي في بيروت في تشرين الاول ١٩٦٠».

□ الحج: الحج في اصطلاح الفقهاء مقصور استعماله في الشرع على قصد الكعبة للحج أو العمرة، ومنه يقال: ما حجّ ولكنه حجّ. فالحج القصد للنسك، والدج القصد للتجارة.

بنى ابراهيم واسماعيل البيت الحرام (راجع «مكة المكرمة» في باب مدن ومعالم)، وتوافد العرب إلى منطقة البيت الحرام وبئر زمزم، ونشأت مكة المكرمة في ذلك المكان القاحل الذي نشأ فيه اسماعيل، وتزوج من قبيلة جرهم اليمنية، وتكاثر أبناؤه، واشتهرت في مكة قبيلة قريش العدنانية، وارتفع شأنها بعد ظهور قصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس الميلادي فجمع شتات قريش، ووحد كلمتهم.

ولما ولد النبي كانت السقاية والرفادة من نصيب جده عبد المطلب. وكانت الكعبة مقراً لأصنام القبائل المتعددة. واستمر ذلك الوضع الوثني حتى جاء العام الثامن للهجرة، ففتحت مكة وسار النبي إلى الكعبة فكسر ما حولها من الأصنام، وأسلم أهل مكة جميعهم.

«ورد ذكر الحج في القرآن الكريم تسع مرات... وورد كذلك في الحديث النبوي الشريف، وبيت السنة النبوية كيفية أداء فريضة الحج ومناسكه التي بدأها النبي ابراهيم الخليل -عليه السلام- وهذا أمر واضح في الحديث النبوي، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والحاكم في مستدركه، واصحاب السنن في سننهم...» (عن عمود السيد الدغيم، باحث سوري، «الحياة»، العدد ١١٠٦٥، ٣٠ ايار ١٩٩٣).

خفست الكتب التاريخية الاسلامية بوصف مستفيض للحج، لعل أشهر ما ذكر في هذا الصدد جاء على لسان الرحالة ابن جبير عند وصفه لشهر رمضان في مكة المكرمة تحت عنوان «رمضان المعظم» (راجع التحقيق

الذي كبه د. الياس قطار، استاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية، «الحياة»، ١٢ و ١٣ آذار ١٩٩٣).

أما الرحالة الأجانب الذين تكلموا على الحج فكان السير ريتشارد فرنسيس بيرتون (ولد في جنوبي انكلترا ١٨٢١ وتوفي في مدينة تريستا الايطالية ١٨٩٠) الذي استطاع ان يضمن كتابه («الحج إلى المدينة ومكة») تفاصيل دقيقة وشاملة عن الحياة في الحجاز في منتصف القرن التاسع عشر. وكان بيرتون من أول الرحالة الاوروبيين الذين استطاعوا تقديم وصف عميق لشعائر الحج ذاتها.

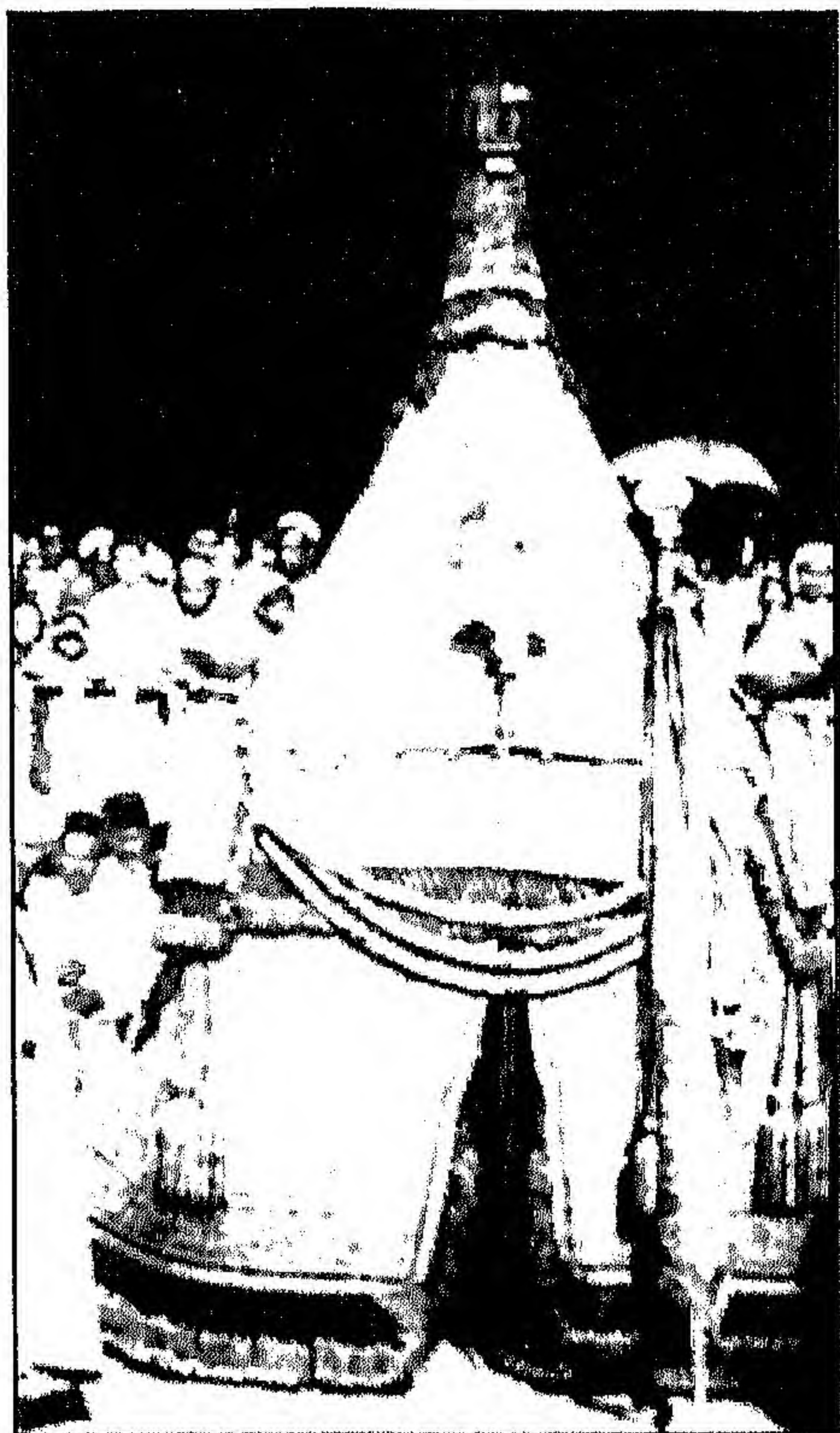
ويطلق على طريق الحج القديم إسم «درب زبيدة». وزبيدة أم جعفر بنت جعفر زوجة الرشيد. وفيه محطات للقوافل من الكوفة إلى مكة تظهر فيها بقايا مبان مثل خانات ومنازل وآبار وبرك. وأهم هذه المحطات: الكوفة، خان الرحبة، بركة زبيدة، محطة الحمام، أم القرون، بئر النص، بركة العمية، موقع الظفير، وغيرها... ولعل أهمها تلك الواقعة بين الكوفة والحدود العراقية-السعودية وذلك لغناها بالمباني الأثرية التي تتميز بفنونها المعمارية وزخارفها الهندسية.

أما عن معاني الحج فيمكن استقاؤها من الكتاب الدعائي الفخم الذي أصدرته وزارة الاعلام السعودي (دار الجنوب للنشر، ١٩٧٨) بعنوان «الحج إلى بيت الله الحرام»، وجاء فيه:

- «وفي أداء هذا الركن شكر الله على نعمة المال وسلامة الجسم. وهما من أعظم نعم الدنيا. وفي الحج إجهاد للجسم وإنفاق للمال في طاعة الله، وفيه تربية للنفس على الصبر والنظام واحترام المواقيت، وعلى العمل الجماعي رغم مشاق الزحام في أداء المناسك (...). ولعل في مقدمة هذه المنافع اجتماع المسلمين من كل أقطار الدنيا في وقت واحد في مكان واحد وفيهم أهل الحل والعقد من البلاد الاسلامية ليتعارفوا ويغتنموا هذه المناسبة المباركة للتعاور في شؤون المسلمين، والداعي إلى هذا المؤتمر العظيم إنما هو الله...».

- «فإن الحج رحلة يقوم بها الجسم والروح معاً في جو من الروحانية الخالصة، والتجرد التام من الزينة والرياء، ومن كل أعراض الدنيا، وتطهير للجسد والروح».

وتشهد مواسم الحج في كل سنة ازدحاماً هائلاً من الحجاج، وتدابير المملكة على توفير مختلف أساليب وقايتهم وراحتهم باعتماد أحدث الأنظمة والوسائل العلمية، خاصة في المجال الصحي. فتوضع في كل عام خطة



صورة للمحمل المصري في بداية القرن العشرين.



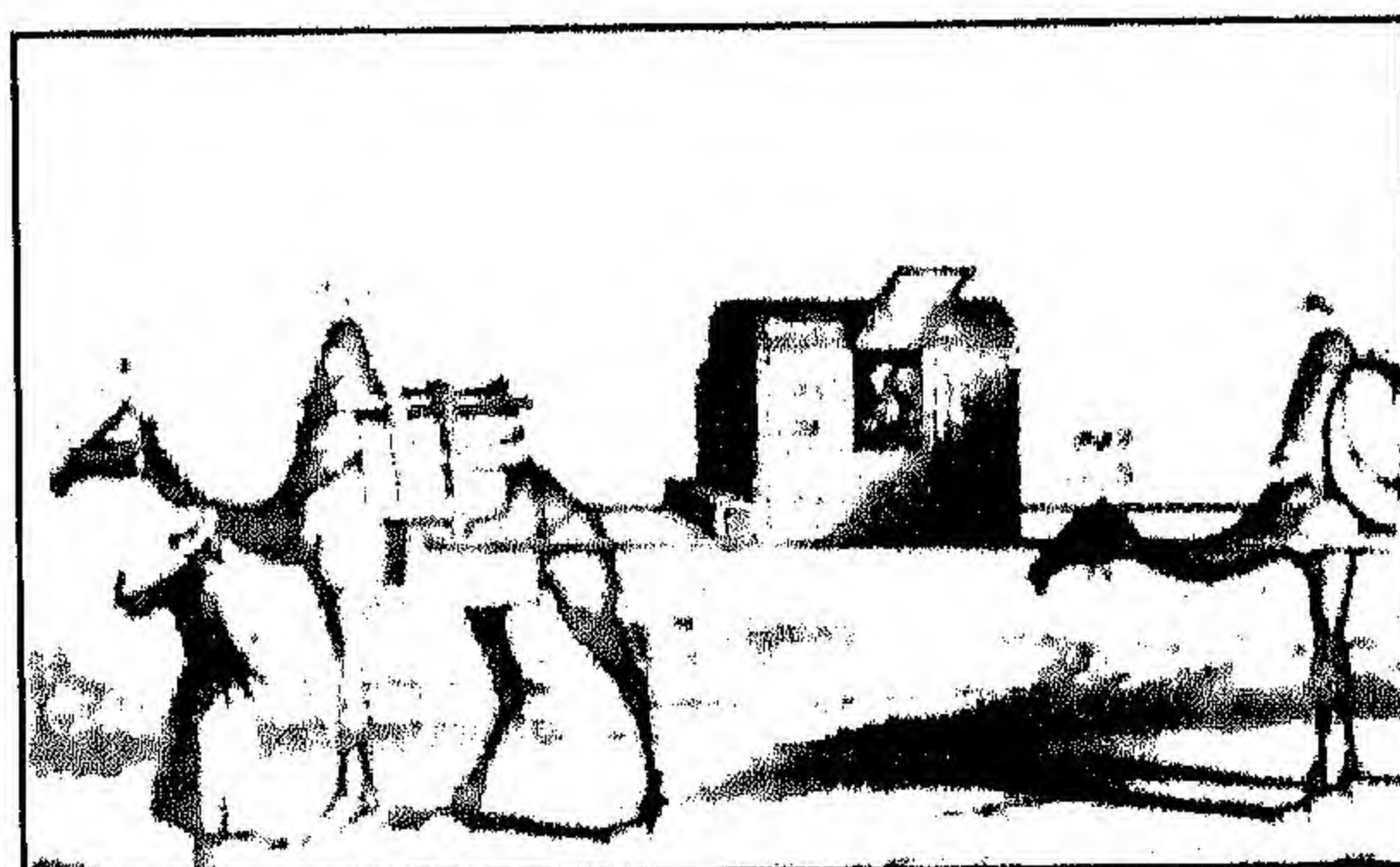
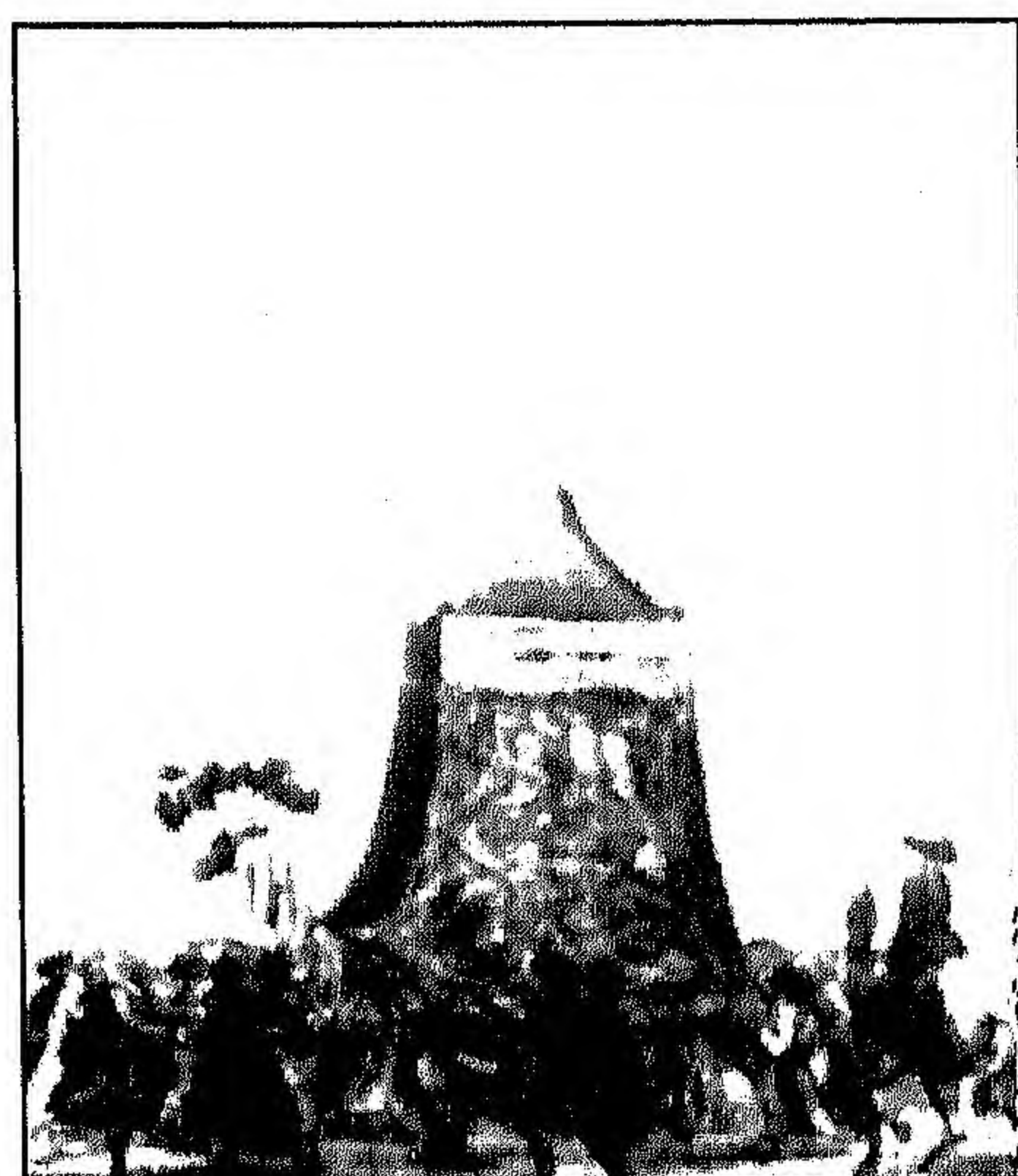
رسم من القرن التاسع عشر يمثل جمعا من الحجاج يعبرون قنال السويس في طريقهم الى البقاع المقدسة.



رسم يمثل الحمل في طريقه الى مكة.

قافلة الحجيج في طريقها الى مكة المكرمة. لوحة زيتية بريشة الفنان الفرنسي ليون بيلي، منتصف القرن ١٩. متحف اللوفر، باريس.

رسم من القرن التاسع عشر يمثل هودجا في طريقه الى مكة وهو مأخوذ من كتاب «الحج» لـ د. ف. بورتون. لندن.



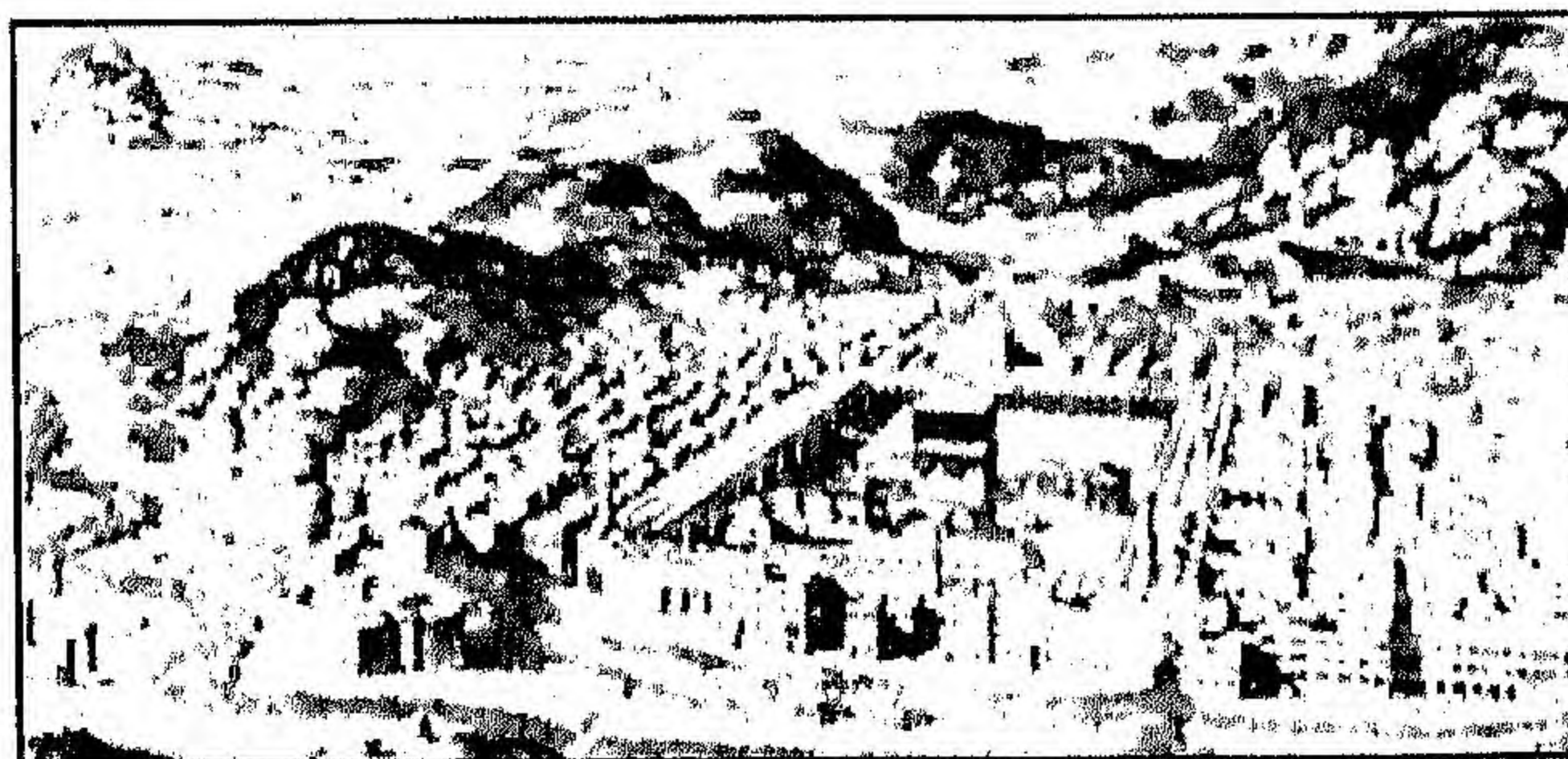
لفريق من الطرازين يقضي طيلة العام في طرز آي القرآن الكريم التي ستحلى بها كسوة البيت.



جمع خفير من المتطوعين يحملون كسوة الكعبة التي سوف تكسوها لمدة عام.



رسم يرجع الى القرن الثامن عشر وهو يمثل منظرا عاما لمكة المكرمة. ١٧٩٠.



تطويرية لفك الاختناقات والزحام وتحقيق أنسيابية حركة الحجاج وتنقلهم من لحظة وصولهم حتى تفرقهم.

□ الحملة المصرية على عسير: في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، جهّز محمد علي باشا والي مصر، سلسلة من الحملات العسكرية على أشقاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية لصالح الدولة العثمانية التي كانت تسعى إلى إحكام سيطرتها على المناطق الإسلامية المقدسة في الحجاز وكذلك القضاء على الدولة السعودية الصاعدة في نجد. ووصلت جيوشه إلى مناطق لم يكن وصلها من قبل أي جيش أجنبي.

ولم يكن محمد علي يهدف إلى إرضاء الباب العالي في اسطنبول فقط، بل أراد أن يبيّن قوته الذاتية استعداداً لمشاريعه الاستقلالية اعتماداً على التقنيات الأوروبية الحديثة التي عرفتتها مصر في أعقاب حملة نابوليون عليها في بداية القرن التاسع عشر. وكثيراً ما كانت حملات محمد علي، خصوصاً على شبه الجزيرة العربية، تضم في صفوفها مجموعة من الخبراء الأجانب (من الفرنسيين إجمالاً) الذين كانوا يعملون بصفة مستشارين عسكريين أو طبيين أو حتى سياسيين. وكان هؤلاء يرفعون تقارير عن أوضاع مصر وجيشها وعن أوضاع المناطق التي يحتلونها أو يهاجمونها إلى حكومات بلادهم. لكن قلة منهم هي التي وضعت الكتب الخاصة عن تلك الحملات. وموريس تاميزيه الفرنسي واحد من هذه القلة، إذ إنه وضع كتاباً تفصيلياً عن الحملة المصرية على عسير في ١٨٣٤ التي رافقها بوصفه كاتباً للبعثة الطبية. وطبع الكتاب للمرة الأولى في باريس ١٨٤٠، وأعيدت طباعته في فيينا ١٩٧٦، وترجمه إلى العربية د. محمد بن عبد الله آل زلفة وأصدره في الرياض ١٩٩٣.

أهمية الكتاب، على حد تعبير الدكتور آل زلفة «أنه اشتمل على سجل متكامل لوقائع واحدة من أكبر حملات محمد علي باشا على منطقة عسير (١٨٣٤) منذ بدايتها إلى نهايتها والتي تمت بتوقيع إعلان هزيمة قائدي الحملة أحمد باشا والشريف محمد بن عون وتوقيع وثيقة اعترافهما باستقلال عسير وذلك في ٢٦ أيلول ١٨٣٤ في مدينة أبها (...) ويتضمن الكتاب معلومات واسعة عن طبيعة البلاد والسكان والقرى والقبائل، إضافة إلى تفاصيل حساسة عن الظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية التي احاطت بالحملة منذ بداية انطلاقها من الطائف...» (عن مراجعة سليم سعد للكتاب المذكور، «الحياة»، ٢٥ كانون

الثاني ١٩٩٤) (راجع «النبذة التاريخية»).

□ «خادم الحرمين الشريفين»: راجع «فهد بن عبد العزيز، الملك في باب «زعماء، رجال دولة وسياسة».

□ الصحافة في المملكة العربية السعودية: كانت الصحافة السعودية في العهد العثماني في معظمها ذات صبغة حكومية أو شبه حكومية، وكان الحجاز (في مكة والمدينة وجدة) مهدها في السنوات الأخيرة من العهد العثماني (١٩٠٨-١٩١٧) وفي العهد الهاشمي (١٩١٦-١٩٢٤)، ولم تأخذ طريقها إلى خارج الحجاز إلا مع بداية العهد السعودي أي منذ ١٩٢٤. وفي ما يلي لائحة بأهم الصحف السعودية التي صدرت منذ نشأة الصحافة في البلاد حتى السنوات الأخيرة:

- ١- في العهد العثماني (١٩٠٨-١٩١٦):
 - جريدة «الحجاز»: أول جريدة في البلاد، صدرت في مكة المكرمة في ٣ تشرين الثاني ١٩٠٨ باللغتين العربية والتركية. أشرف على تحريرها رئيس ديوان ولاية الحجاز لخدمة أغراض جمعية الاتحاد والترقي، واستمرت في الصدور أكثر من سبع سنوات.
 - «شمس الحقيقة»: صدرت في مكة المكرمة في شباط ١٩٠٩، وهي جريدة «وطنية يومية سياسية علمية انتقادية فكاكية»، وكانت تنطق بلسان الحزب الحاكم التركي، جمعية الاتحاد والترقي، لصاحبها محمد توفيق مكّي.
 - «الإصلاح الحجازي»: صدرت في مدينة جدة في أيار ١٩٠٩، لصاحبها راغب مصطفى توكل، وحررها أديب داود هراري (لبناني)، هاجمت جمعية الاتحاد والترقي.
 - «صفاء الحجاز»: صدرت في آب ١٩٠٩، ويقال إن صاحبها أحمد رأفت اسكندراني، كما يقال إنه صدر منها عددان فقط باللغة العربية.
 - «المدينة المنورة»: صدرت في تشرين الثاني ١٩٠٩، لصاحبها الشيخ مأمون الارزنجاني، وباللغتين العربية والتركية.
 - «الرقيب»: صدرت في كانون الثاني ١٩٠٩ في المدينة المنورة، لصاحبها إبراهيم خطاب وأبو بكر داغستاني.
 - «جريدة الحجاز»: صدرت في آخر العهد العثماني (١٩١٦) في المدينة المنورة، وكان مديرها المسؤول حمزة غوت، وتنطق باسم الحكومة العثمانية التي كانت تنفق عليها بسخاء.

قلما كان لهذه الصحف قيمة أدبية تذكر أو تأثير سياسي واجتماعي واضح. وفي ما عدا الجريدتين الأولين اللتين كانتا تطبعان على مطبعة الولاية التركية (ولاية الحجاز)، فإن الجرائد الباقية كانت تطبع على الجلاتين.

٢- في العهد الهاشمي في الحجاز (١٩١٦-١٩٢٤): صدرت أربع صحف هي:

- «القبلة»: أصدرتها الحكومة الهاشمية في ١٥ آب ١٩١٦، وأشار فيها إلى أنها جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر لخدمة الاسلام والعرب. من محرريها فؤاد الخطيب، أحمد شاكر الكرمي وخير الدين زركلي. صدرت ثمان سنوات دون انقطاع. وكان الشريف حسين يهتم مباشرة بما يكتب فيها، وتعتبر سجلاً تاريخياً للحياة السياسية والأدبية، وللأحداث التي مرت بها البلاد في تلك الحقبة من الزمن.

- «مجلة مدرسة حرول الزراعية بمكة المكرمة»: صدرت في ١٩٢٠، وكانت أول مجلة علمية صدرت في الحجاز، وكان مديرها المسؤول هاشم المعري، ومحررها طلاب المدرسة الزراعية، وتصدر في ٣٢ صفحة.

- «الفلاح»: جريدة اسبوعية صدرت بمكة المكرمة تحت شعار «جريدة عربية جامعة تخدم العرب والعروبة» في ايلول ١٩٢٠. صاحب امتيازها ورئيس تحريرها عمر شاكر الذي كان قد أصدرها بدمشق في تشرين الاول ١٩١٩. إلا أن سلطات الانتداب الفرنسية طارده وحكمت عليه بالاعدام مع من حكمت عليهم من العرب في ١٩٢٠، فجاء إلى مكة المكرمة حيث أصدر جريدته.

- «بريد الحجاز»: صدرت في تشرين الثاني ١٩٢٤، لصاحبها ورئيس تحريرها محمد صالح نصيف. اهتمت بالانخبار الخارجية من عربية وعالمية، واستمرت في الصدور طيلة عام تقريباً.

٣- في العهد السعودي (١٩٢٤-): عرف هذا العهد، حتى الآن، أربع مراحل صحافية:

أ- مرحلة الجريدة الوحيدة (١٩٢٤-١٩٣٢): وهذه الجريدة هي «أم القرى» التي صدرت في كانون الاول ١٩٢٤. وقد عنت بالأدب والسياسة، وتطورت بحيث أصبحت جريدة رسمية. ومن أولى المراسيم الملكية التي نشرها فيها الملك عبد العزيز كان مرسوم امتياز التتقيب عن النفط الذي أعطي في بادئ الأمر لشركة بريطانية (راجع «اكتشاف البترول...» في النبذة التاريخية).

ب- مرحلة صحافة الأفراد (١٩٣٢-١٩٥٩):

حيث كانت الحكومة السعودية تمنح امتياز إصدار الجريدة أو المجلة إلى الأفراد. وأهم صحف هذه المرحلة:

- «صوت الحجاز»: هي امتداد لجريدة «بريد الحجاز» بعد توقفها بسبع سنوات. صدرت في نيسان ١٩٣٢، وتوقفت خلال الحرب العالمية الثانية، واستأنفت صدورها في آذار ١٩٤٦ باسم «البلاد السعودية»، وتحت شعار «صحيفة الشعب العربي السعودي»، وتولى رئاسة تحريرها في فترتها الثانية عبد الله عريف. ومع بدء المرحلة الثالثة، مرحلة الاندماج في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٩، أطلق على الجريدة اسم «البلاد» وتولى رئاسة تحريرها فؤاد شاكر وحسن عبد الحي قزاز.

- «المدينة المنورة»: صدرت في نيسان ١٩٣٧، وكانت أدبية إخبارية سياسية اجتماعية شعبية، وكانت أول جريدة تدخل الصورة على صفحاتها (صورة الملك عبد العزيز). صاحبها علي وعثمان حافظ، ورئيس تحريرها أمين مدني، وبعده هشام علي حافظ، وتوقفت عن الصدور ثلاث مرات.

- «البلاد السعودية»: راجع أعلاه «صوت الحجاز».

- «البلاد»: راجع أعلاه «صوت الحجاز». - «اليامة»: أصدرها حمد الجاسر (المؤرخ السعودي المعروف) في الرياض في آب ١٩٥٣، فكانت أول جريدة تصدر في نجد، وأول صحيفة تهتم بشؤون البادية. - «أخبار الظهران»: صدرت في كانون الثاني ١٩٥٤ في مدينة الدمام في المنطقة الشرقية، وكانت أول جريدة تصدر هناك.

- «الفجر الجديد»: صاحبها الشيخ أحمد يعقوب.

- «حراء»: صدرت في مكة المكرمة، صاحبها محمد صالح جمال. ظهر عددها الاول في كانون الاول ١٩٥٦. وبعد ثمانية شهور من صدورها اندمجت مع جريدة «الندوة».

- «الأضواء»: أول جريدة صدرت في جدة في العهد السعودي. وهي ثقافية أدبية اجتماعية يومية. استمرت في الصدور سنة وستة شهور، وكان آخر عدد لها في ٦ كانون الثاني ١٩٥٩.

- «عرفات»: اسبوعية شعبية تصدر في جدة. أصدرها حسن عبد الحي قزاز، ومن محرريها أحمد تركي بماني (الذي التزم بكتابة المواضيع القانونية والقضايا الاجتماعية)، وصدر عددها الاول في تشرين الثاني

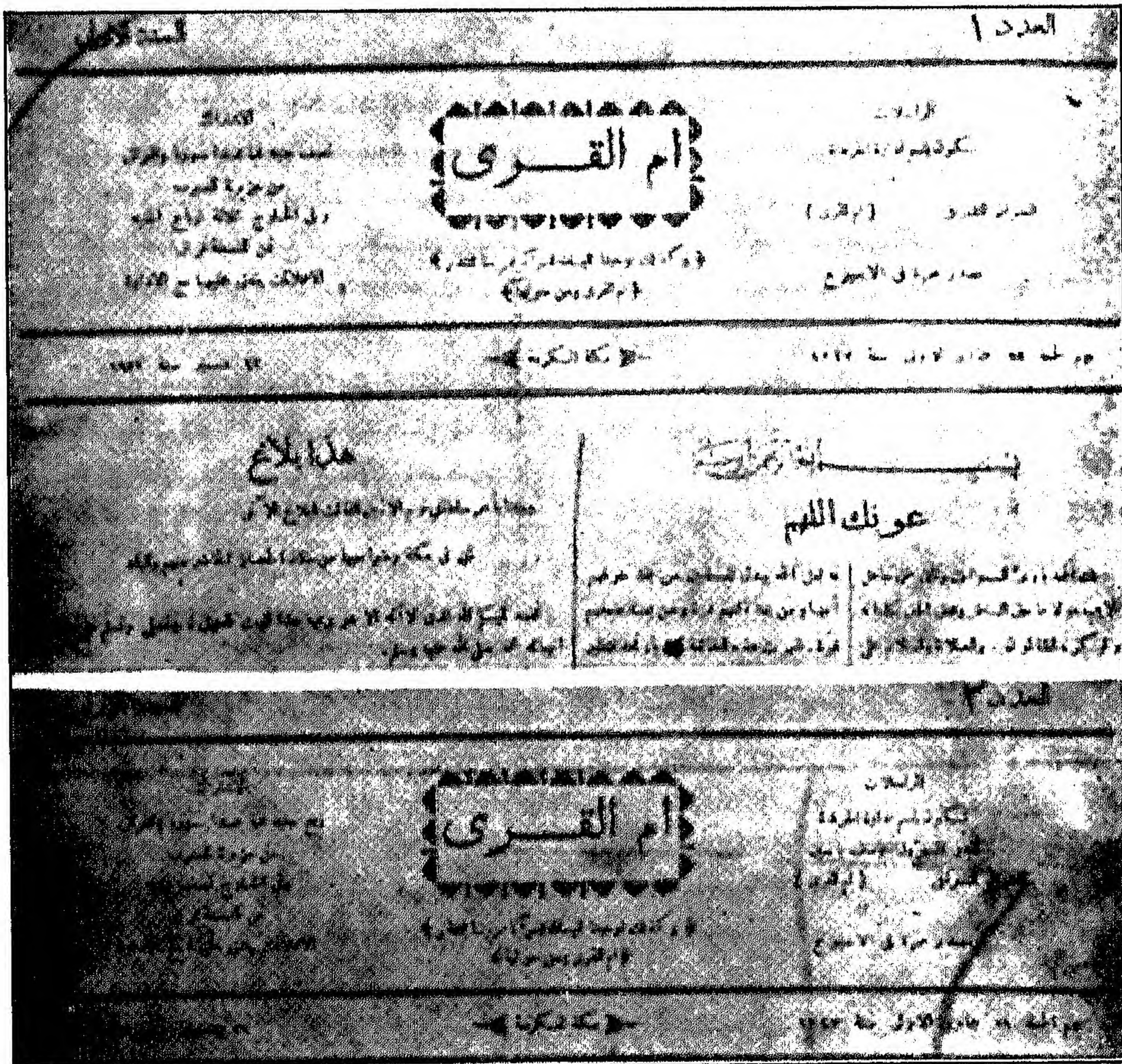
١٩٥٧.

- «الندوة»: جريدة شعبية صدرت في مكة المكرمة في شباط ١٩٥٨. صاحبها أحمد سباعي.
- «الخليج العربي»: أصدرها عبد الله أحمد في شباط ١٩٥٧ في مدينة الخبر (المنطقة الشرقية).
- «القصيم»: أول جريدة صدرت في منطقة القصيم. أصدرها عبد الله العلي في مدينة بريدة أول كانون الاول ١٩٥٩.
- «عكاظ»: أصدرها أحمد عبد الغفور عطار في مدينة الطائف ١٩٥٩.
- وأهم المجالات المتخصصة والنشرات التي صدرت في هذه المرحلة عن المصالح والاندية والاشخاص والجامعات... «الاصلاح»، «الحرم»، «المنهل»، «النداء الاسلامي»، «مجلة الحج»، «مجلة الغرفة التجارية والصناعية»، «قافلة الزيت» عن شركة أراكو (١٩٥٣)، وغيرها...

ج- مرحلة إدماج الصحف (١٩٥٩-١٩٦٤):

حيث رأت الحكومة السعودية ان المملكة مقبلة على تضخم صحفي كبير، إذ بلغ عدد الصحف التي كانت تصدر في ذلك الحين نحو أربعين صحيفة قوية تتضافر في إصدارها جهود القائمين بالاعمال الصحفية. وفي هذه المرحلة صدر، إضافة إلى الجرائد والمجلات المدخجة، عدد من المجلات المختصة، أشهرها: «قريش»، أدبية اسبوعية جامعة، ١٩٥٩؛ و«الجزيرة»، أدبية علمية فنية، ١٩٦٠؛ و«الرائد»، أدبية اسبوعية، ١٩٥٩؛ و«المعرفة»، تربوية ثقافية أصدرتها وزارة المعارف، ١٩٦١؛ و«راية الاسلام»، دينية اجتماعية، ١٩٥٩؛ و«حماة الاسلام»، تعنى بأخبار الشرطة وواجبها في المحافظة على الأمن، ١٩٦٠؛ و«مجلة كلية الملك عبد العزيز»، عسكرية تاريخية، ١٩٦٠؛ و«أخبار البترول والمعادن»، شهرية أصدرتها وزارة البترول والثروة، ١٩٦١؛ و«الندوة»، شهرية أدبية اجتماعية، ١٩٦١؛ و«مجلة الجيش العربي السعودي»، ١٩٦٢.

العددان الاول والثالث من «أم القرى».



و«رابطة العالم الاسلامي»، شهرية دينية، ١٩٦٢.

د- مرحلة المؤسسات الصحفية الأهلية (١٩٦٤-): حيث تمتح هذه المؤسسات امتياز إصدار الصحف على ألا يقل رأسمال المؤسسة عن مائة ألف ريال ولا يقل عدد أعضاء المؤسسة عن ١٥ عضواً. وبدأت هذه المرحلة بناء على مرسوم ملكي رقم ٦٢ عام ١٩٦٤ الذي وضع نظاماً يقضي بتكون المؤسسة الصحفية بقرار من رئيس مجلس الوزراء فضلاً عن احكام أخرى تضع الصحافة كلية في خدمة الدولة. والمؤسسات الصحفية القائمة هي: مؤسسة البلاد للصحافة والنشر، وتصدر عنها جريدة «البلاد» (صدر عددها الأول في ٤ آذار ١٩٦٤). مؤسسة المدينة، وتصدر عنها جريدة «المدينة» (آذار ١٩٦٤). مؤسسة الإمامة الصحفية، وتصدر عنها جريدة «الرياض». مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، وتصدر عنها جريدة «الندوة». مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، وتصدر عنها جريدة «عكاظ». مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة، وتصدر عنها جريدة «الجزيرة». مؤسسة الدعوة، وتصدر عنها جريدة «اليوم». وهناك ثلاث جرائد تصدر باللغة الانكليزية (بحسب النظام الموضوع منذ ١٩٦٤): أراب نيوز، غازيت، وسعودي برس.

أما الصحف التي كانت تصدر بالانكليزية، قبل نظام ١٩٦٤، فكانت: «الشمس والماراج»، اسبوعية أصدرتها شركة أرامكو في الظهران (١٩٤٥)؛ «النشرة السعودية»، أصدرتها وزارة الاعلام (١٩٦٠)؛ وبعد نظام ١٩٦٤، صدرت «صورة طبق الاصل»، يومية (١٩٦٦)؛ «نشرة البحر الأحمر»، اسبوعية صدرت في جدة (١٩٦٧)؛ «النشرة الاقتصادية السعودية»، اسبوعية، صدرت في جدة (١٩٦٧)؛ «الرياض اليوم»، يومية (١٩٦٧)؛ «مجلة عالم أرامكو»، أصدرها قسم العلاقات العامة في شركة أرامكو، صُممت وطُبعت في بيروت، وصدرت مرة كل شهرين.

وإضافة إلى الصحافة المطبوعة، حققت المملكة، في العقدين الأخيرين خطوات كبيرة في مختلف وسائل الاتصال الجماهيري، خاصة منها في مجال الاتصال المرئي والسمعي (تلفزيون وإذاعة). فالاستديوهات التلفزيونية (أدخل التلفزيون إلى المملكة منذ نحو ربع قرن) في الرياض هي من أحدث طراز في العالم. وتدير الحكومة محطتي تلفزيون رئيسيتين إحداهما تبث بالعربية وأخرى تبث بالانكليزية وتذاع نشرات الاخبار باللغات الثلاث العربية والانكليزية

والفرنسية. وتملك المملكة ٣٧ محطة إذاعية لاسلكية إلى جانب عشر محطات ترحيل وتقوية للبث التلفزيوني وتسع محطات بث تلفزيوني نقالة بالإضافة إلى خمس محطات تلفزيونية مؤقتة (ومؤخراً دخل البث التلفزيوني الفضائي). وكانت المملكة العربية السعودية في مقدمة العارضين في المعرض الدولي للمواصلات والنقل (إكسبو ٨٦) الذي أقيم في فانكوفر في كندا، وكانت البلد العربي الوحيد في ذلك المعرض إلى جانب ٥٤ دولة أخرى، وجاءت معروضات السعودية في مجال المواصلات والاتصالات انعكاساً لانجازات متقدمة جداً. وفي اواخر تموز ١٩٨٩، جاب معرض «المملكة بين الأمس واليوم» أهم المدن في الولايات المتحدة الاميركية، ونال تقدير واعجاب الأميركيين، وقالت السيدة باربرا بوش (زوجة الرئيس الأميركي جورج بوش) التي افتتحت المعرض: «المملكة هي أرض الاعجاز الحقيقي، حضارتها عريقة، وهي الآن موطن لأحدث ما في التكنولوجيا» (المراجع: عثمان حافظ، «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية»، ج ١، ط ٢، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة ١٩٧٨، ٥٩٠ صفحة، وكان هذا المرجع هو نفسه الذي اعتمده مؤلف هذه الموسوعة، في كتابته مادة «الصحافة العربية» لموسوعة السياسة، ج ٣، ط ١، ١٩٨٣، ص ٥٩٦-٦٢٦، وكان يعمل فيها محرراً رئيسياً؛ ود. ناصر ابراهيم الرشيد ود. إسير ابراهيم شاهين «الملك فهد ومسيرة الانجازات الحضارية في المملكة العربية السعودية»، المعهد الدولي للتكنولوجيا، ص ٢٦٥-٢٦٦).

□ مبادئ الملك فيصل العشرة: كان فيصل، قبل تسلمه العرش في تشرين الثاني ١٩٦٤، ولياً للعهد وأعلن، في ١٩٦٢، مبادئ العشرة التي ارتبطت تاريخياً ببرنامجه في الحكم. وهذه المبادئ هي باختصار:

- ١- سنّ القوانين بما يتوافق ونصوص القرآن الكريم وسنة النبي.
- ٢- تنظيم الادارة المحلية في مختلف مناطق المملكة كي تساهم في التقدم الاداري والسياسي والاجتماعي للوطن.
- ٣- تأسيس وزارة للعدل ومجلس أعلى للقضاء وسلطة قضائية مستقلة.
- ٤- إعلان مجلس للفتوى من العلماء للنظر في شؤون المسلمين وإصدار الفتاوى المناسبة عند الحاجة.
- ٥- العمل على نشر رسالة الاسلام وتعزيز أسسه

والدفاع عنه بالقول والعمل.

٦- ممارسة الاخلاق الفاضلة تمثيلاً مع الاهداف الاسلامية العليا.

٧- تحسين مستويات المعيشة بتقديم الخدمات الطبية المجانية والتعليم وبدعم المواد الغذائية الأساسية كي يتيسر للمواطنين الحصول عليها بأسعار معقولة. كذلك تأسيس ضمان اجتماعي يكفل للمتقدمين في السن وللعمال العناية اللازمة.

٨- تنظيم التقدم الاقتصادي والاجتماعي.

٩- تنفيذ البرامج لبناء الطرق والسدود والتنقيب عن المياه وبناء الوحدات الصناعية لقيام صناعات ثقيلة وخفيفة وتأسيس مؤسسة عامة للبترول والمعادن (بيترولين).

١٠- إلغاء الرق إلغاءً كاملاً وإعطاء الحرية للجميع.

وقد بذل فيصل قصاره في تطبيق هذه المبادئ، وفوق كل ذلك وللمرة الاولى في تاريخ المملكة فتح ابوابها جديدة أمام المرأة السعودية بحيث شرع لها أبواب المعرفة لتلقي التعليم على قدم المساواة مع الرجل.

□ مشروع فهد للسلام: مشروع سياسي

سلمي لحل الصراع العربي-الاسرائيلي وضعه الملك فهد بن عبد العزيز (وكان ولياً للعهد) في ١٩٨١ في أعقاب تمركات قام بها على الصعيدين العربي والدولي صبت جميعها في إطار مبادرة عُرفت بهذا الاسم (مشروع فهد للسلام) والذي أعلن في ٧ آب ١٩٨١. ولما لم تنجح القمة العربية في خريف ١٩٨١ في الانعقاد لاقرار هذا المشروع، فإنه عاد وعُرض على قمة فاس في ٦-١٠ ايلول ١٩٨٢ التي أقرت المشروع مع بعض التعديلات في بنوده الرابع والسابع والثامن، وأصبح منذ ذلك الحين يُعرف بـ«مشروع قمة فاس». وهو مؤلف من ثماني نقاط، وتشكلت على أثره لجنة سباعية من الجزائر والمغرب وتونس والسعودية وسورية والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، كلفت نقل المشروع إلى الدول الكبرى، علماً ان المشروع قوبل بالرفض مباشرة من اسرائيل إذ وصفه وزير خارجيتها (اسحق شامير) بأنه «اعلان حرب جديد على اسرائيل»، وبأنه «خطبة أخرى لتصفية اسرائيل على مرحلة أو مرحلتين». كما ان وزير خارجية اميركا (جورج شولتز) اعتبره يتعارض مع مشروع الرئيس الاميركي رونالد ريغان. وقد لاقى المشروع تأييداً سوفياتياً وأوروبياً.

ونقاط المشروع هي الآتية:

١- انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية التي احتلت في ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية.

٢- إزالة المستوطنات التي أقامتها اسرائيل بعد ١٩٦٧ في الاراضي العربية.

٣- ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الاديان في الاماكن المقدسة.

٤- تأكيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد وتعويض من لا يرغب في العودة (نص هذه النقطة في الصيغة الاولى: «تأكيد حق الشعب الفلسطيني في العودة وتعويض من لا يرغب في العودة»).

٥- توضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة شهور.

٦- قيام الدولة الفلسطينية المستقلة بعاصمتها القدس.

٧- يضع مجلس الأمن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة (كانت في الأصل على الشكل الآتي: «تأكيد حق دول المنطقة بالعيش بسلام»).

٨- يقوم مجلس الأمن الدولي بضمان تنفيذ هذه المبادئ (في مشروع ولي العهد كانت كالاتي: «تقوم الأمم المتحدة أو بعض الدول الاعضاء فيها بضمان تنفيذ تلك المبادئ») (عن «موسوعة السياسة»، ج ٤، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠، ص ٦١٢-٦١٣).

□ مؤتمر الرياض (١٩٢٨): راجع «الاخوان»

في هذا الباب، معالم تاريخية.

□ ميزات رئيسية ثلاث: مستقر أكبر تجمع من

القبائل في العالم، وأول وحدة حقيقية بعد صدر الاسلام، واقتران الدولة بالاسلام: في المملكة العربية السعودية ما يزيد على مائة قبيلة يتشكل منها الشعب السعودي، وبذلك تعد المملكة مستقر أكبر تجمع من القبائل في العالم.

والثابت تاريخياً أن هذه القبائل عربية الأصول، هاجرت من اليمن واستوطنت في ارجاء شبه الجزيرة العربية إثر انفجار سد مأرب أو «سيل العرم» كما ورد ذكره في القرآن الكريم.

ولا تزال معظم هذه القبائل العربية التي تستوطن

الياسيني في مستهل كتابه «الدين والدولة في المملكة العربية السعودية»، بالانكليزية، نقله إلى العربية د. كمال اليازجي، دار الساقي، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٠).

وضمن هذه الميزة الثالثة (الدين والدولة) يمكن إضافة عامل وسيط ذي تأثير جدي بالغ في الدولة السعودية الحديثة عبر التغييرات الجذرية التي تتواصل فيها، ألا وهو النفط. فإذا «كان تحالف الأسرة السعودية مع المذهب الوهابي أنتج دولة أصولية متشددة في تطبيق الشرع الاسلامي، فإن اكتشاف النفط دفع المجتمع، منذ الثلاثينات، إلى خضوع عملية تحديث معقدة، تشده إلى أقصى الطرف الآخر المقابل للتشدد» (من كلمة الناشر على الغلاف الأخير لكتاب أيمن الياسيني، مرجع مذكور آنفاً).

□ النزاع الحدودي السعودي-اليمني: نزاع

طويل تعود بداياته في التاريخ الحديث إلى أيام دولة آل سعود في الدرعية (الدولة السعودية الأولى) والمعارك التي خاضتها والفتوحات التي حققتها. والمحنة الأساسية التي حققتها الدولتان على طريق الحل النهائي لهذا النزاع تمثلت في معاهدة الطائف التي وقعتها في ١٩٣٤، أي بعد نحو سنتين من إعلان المملكة العربية السعودية. فقد نجحت هذه المعاهدة في طي مسلسل طويل في الصراع السعودي-اليمني، واعتبرت من الجانبين إطاراً قانونياً لوضع حدودهما المشتركة. وجاء في مقدمتها أنها تؤسس علاقات عهد ثابتة بين الحكومتين السعودية واليمنية، وتنص على إنهاء حالة الحرب والاعتراف المتبادل بين الدولتين والوضع النهائي للحدود بينهما. وحددت المادة الرابعة منها خط الحدود الذي يفصل بينهما.

وبعد ٤٣ عاماً من التوقيع على معاهدة الطائف، وبالتحديد في ١٠ آذار ١٩٩٧، أكدت حكومة القاضي عبداً لله بن أحمد الحجري رئيس وزراء اليمن وحكومة الرياض (التي كان يمثلها عمر السقاف وزير الدولة للشؤون الخارجية) اعترافهما بمعاهدة الطائف، وقررتا بشرعيتها في بيان مشترك صدر في نهاية زيارة رسمية قام بها الحجري للمملكة، ونص على اعتبار الحدود بين البلدين فاصلة بصفة نهائية ودائمة كما ورد في المادتين الثانية والرابعة من معاهدة الطائف وملحقها.

الجدير ذكره ان اليمن كان مقسماً إلى دولتين: شمالية (وكان رئيس وزرائها الحجري الذي وقع هذا البيان) وجنوبية. والدولتان كانتا وقعتا اتفاق وحدة بينهما منذ ١٩٧٢، لكنها لم تتحقق إلا في ١٩٩٠. لذلك كان

المملكة تحتفظ بأسمائها القديمة حتى الآن. وبعض هذه القبائل فروع في دول الخليج العربية المجاورة، وفي بلاد الشام والعراق ومصر والسودان والمغرب. ومن أشهر القبائل التي هاجرت من هذه البلاد في الزمن القديم إلى شمالي أفريقيا قبيلة بني هلال التي يدور حولها الكثير من القصص الشعبي.

أما الميزة الثانية: أول وحدة حقيقية بعد صدر الاسلام، فهو كلها كثير من المؤرخين العرب والاحزاب في القرن العشرين بقولهم إنه بتأسيس المملكة العربية السعودية (١٩٣٢) قامت أول وحدة حقيقية بعد صدر الاسلام.

فبعد انتقال مقر الخلافة الاسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق ثم إلى بغداد تعرضت شبه الجزيرة العربية للعزلة والاهمال حوالي ألف عام، حيث سادت فيها الفوضى والحروب والصراعات، وعمها الجهل والفقر والمرض، وانتشرت فيها البدع والخرافات، وتمزقت إلى أجزاء ودويلات وإمارات كثيرة مما زاد في ضعفها وشذاتها وعزلتها بعد ان كانت المدينة المنورة مركز العلم والاشعاع. وقد نجح حكام الدرعية من آل سعود الذين حملوا لواء الدعوة الوهابية التجديدية منذ اواسط القرن الثامن عشر في إصلاح الاوضاع في شبه جزيرة العرب، ولكن عوامل خارجية أدت إلى عودة إلى وضعها السابق من التمزق والشذات، وظلت كذلك حتى قام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (منذ اوائل القرن العشرين) الذي استطاع، بعد كفاح طويل، من تأسيس المملكة العربية السعودية. فحقق بذلك أول وحدة شهدتها هذه البلاد منذ نهاية عهد الخلفاء الراشدين حتى الآن (عن «لمحات عن ثوابت السياسة السعودية»، إعداد إدارة الابحاث والنشر بدار الأفق للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٥، ص ١٤٦-١٤٨).

وأما الميزة الثالثة فتمثلها تلك الصلة بين الدين والدولة في المملكة العربية السعودية. «ذلك أن هذه الدولة تقترن بالاسلام أكثر من أي دولة أخرى في العالم الاسلامي. وبذلك فهي موطن مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقبلة المصلين والحجاج المسلمين. هذه هي الميزة الدينية التي عرفت بها المملكة، والتي عادت فتأكدت سنة ١٧٤٥، عندما دخل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حلف مع آل سعود، حكام الدرعية، في اواسط نجد، وهذا الحلف باق إلى اليوم. الاسلام، بمقتضاه، دين الدولة، ومصدر الشرعية السياسية، فهو يوجه سياسات الدولة ونشاطاتها، ويصوغ مبادئ المجتمع الاخلاقية» (عن التصدير الذي كتبه أيمن

الجانب السعودي، ولا يزال، يشدد على أهمية هذا البيان الصادر في ١٠ آذار ١٩٧٧ واعتباره مندرجاً ككتابة من ثوابت القانون الدولي التي تقضي بأن لا أثر لتغيير نظام الحكم في المعاهدات التي سبق أن أبرمتها الدولة، وبالذات المعاهدات الإقليمية الخاصة بالحدود.

الجدير ذكره أن معظم حدود المملكة مع جاراتها من الدول العربية اعتمدت على اتفاقات ومعاهدات مرسومة، ومنها معاهدة الطائف ١٩٣٤ التي رسمت الحدود بين السعودية واليمن، فضلاً عن أنها أعلنت في وقت واحد في كل من مكة المكرمة وصنعاء والقاهرة وبهروت ودمشق، مما أعطى للمعاهدة طابعاً دولياً وإطاراً قانونياً ملزماً إذ شهدت وفود عربية على صحة ما اتفق عليه. وكان محمد علي علوي ممثلاً لمصر، وهاشم الأتاسي ممثلاً لسورية وشكيب أرسلان للبنان، وأمين الحسيني لفلسطين، وغيرهم.

لكن مشاكل الحدود بين الجانبين، السعودي واليمني، لم تنته عند معاهدة الطائف. إذ استمرت هناك أجزاء لا تشملها المعاهدة خصوصاً هذا الجزء من الحدود مع ما كان يسمى سابقاً، قبل وحدة اليمن، اليمن الجنوبي. وطول الحدود السعودية مع اليمن يبلغ ١٢٤٠ كلم.

وكان البلدان اتفقاً، في مسار مفاوضاتهما الحدودية، على تشكيل مجلس التنسيق السعودي-اليمني الذي كان ينظم العلاقة بين البلدين قبل أزمة الخليج (١٩٩٠). ومن أهم اجتماعات هذا المجلس اجتماعات دورته العاشرة، في شتاء ١٩٨٩ التي رأس فيها الجانب السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز.

وبعد تعثر بسبب الظروف المعقدة لليمن التي عاشها منذ تحقيق وحدة شطريه الشمالي والجنوبي في أيار ١٩٩٠، والتي جعلت اليمن يمر في مرحلة انتقالية (راجع «اليمن» في جزء لاحق)، عاد ملف الحدود بين البلدين ليفتح من جديد وليؤدي بالمفاوضات إلى خطة مهمة على طريق الحل النهائي تمثلت في مذكرة التفاهم التي وقعها الجانبان في ٢٦ شباط ١٩٩٥ في قصر الأمير سلطان في مكة المكرمة.

وجاءت مذكرة التفاهم من ١١ مادة، نصت المادة الأولى فيها على تأكيد الطرفين «تمسكهما بشرعية وإلزامية معاهدة الطائف» (١٩٣٤)، والمواد الأخرى على لجان حدودية مشتركة، هي لجنة ترسيم الحدود واللجنة العسكرية ولجنة تحديد العلامات الحدودية القلعية ولجنة الحدود البحرية واللجنة الوزارية المشتركة. وعقدت اللجنة

العليا المشتركة برئاسة الأمير سلطان والشيخ الأحمر (اليمن) أول اجتماعاتها في الرياض في كانون الأول ١٩٩٥. وعقد اجتماعها الثاني في صنعاء (أواخر آب ١٩٩٦). أما اللجان الخمس الأخرى فعقدت اجتماعات عدة في كل من الرياض وصنعاء على التوالي (الجدير ذكره أن الأيام التي سبقت الاتفاق على مذكرة التفاهم هذه عرفت توتراً عسكرياً حدودياً بين البلدين).

من جملة التعليقات والتحليلات التي ظهرت بعد التوقيع على مذكرة التفاهم والتي تناولت هذه المذكرة نستطيع أن نثيّن عدداً من النقاط في موضوع العلاقة بين البلدين عموماً، ومسألة الحدود خصوصاً:

١- جاءت المذكرة في إطار «عصر تغليب التفاهم والعلاقات الاقتصادية والتجارية على التشبث بالمعالم الحدودية وبما تمثله الحدود من انطواء وعزلة».

٢- تقلص اليمن، بفضل الوحدة التي حققها بين شطريه، من مزایدات الشطر الشمالي على الجنوبي ومزایدات الشطر الجنوبي على الشمالي بشأن معاهدة ١٩٣٤. فالجنوب كان يزايد على أي حاكم شمالي يقبل بالمعاهدة ويثبته، كما كانت مزایدات الشمال تمنع أي حاكم في الجنوب من التوصل إلى تسوية مع السعودية في شأن الحدود.

٣- جاءت مذكرة التفاهم (١٩٩٥) لتزيل مخاوف صنعاء من أن ثمة حساسية سعودية تجاه الوحدة اليمنية. فعندما اعترض اليمنيون، في أثناء المفاوضات على تسمية بعض اللجان التي يمكن أن تذكر بمرحلة انقسام اليمن، وافق السعوديون على كل ما طلبوه بما يؤكد الوحدة وقالوا ان لا اعتراضات لهم عليها، وانهم إنما يتعاملون مع كيان سياسي واحد.

٤- من بين الأمور التي أثارت ارتياح اليمنيين ورود كلمة «التحكيم» في مذكرة التفاهم. فقد نصت المادة الثالثة من المذكرة: «تستمر اللجنة الحالية المشكلة من البلدين في عملها لتحديد الاجراءات اللازمة والخطوات التي تؤدي إلى ترسيم ما تبقى من الحدود بدءاً من جبل الشار وحتى منتهى حدود البلدين بما في ذلك الاتفاق على كيفية التحكيم في حال الاختلاف بين البلدين». إذ ثمة قناعة في صنعاء بأن لا بد في النهاية من التحكيم حتى ولو طال الزمن. ولهذا أعد اليمنيون أنفسهم لهذه المرحلة منذ ١٩٩٢، وكلفوا شركة محاماة اميركية هي «بايكر-بوش» إعداد الملفات الخاصة بالقضية.

٥- في مسار المفاوضات الحدودية في مرحلته التي



الملك فهد يستقبل الرئيس صالح (حزيران ١٩٩٥).

الحدودية «باعتبارها الركيزة التي يتم من خلالها تطوير العلاقات بين البلدين الشقيقين».

- في تموز ١٩٩٥، تواصلت في صنعاء اجتماعات اللجنة الفنية السعودية-اليمنية في شأن تحديد العلامات الحدودية بين البلدين طبقاً لاتفاق الطائف (١٩٣٤) واستناداً إلى مذكرة التفاهم (٢٦ شباط ١٩٩٥).

في ٢٠ آذار ١٩٩٦، بدأت في الرياض اجتماعات الجولة الثالثة للجنة ترسيم ما تبقى من حدود البلدين. وعادت اجتماعاتها في ٢١ أيار ١٩٩٦، وظهرت مواقف متباعدة.

في ٢٧ تموز ١٩٩٦، وفي جدة، وقع الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي ونظيره اليمني العقيد حسين محمد عرب اتفاقية أمنية مشتركة لتنظيم «الاطار العام لمختلف جوانب العلاقات الأمنية بين المملكة واليمن».

- في آخر آب ١٩٩٦، زار صنعاء الأمير سلطان بن عبد العزيز وأجرى محادثات مع كبار المسؤولين اليمنيين. وفي البيان المشترك «أن الطرفين أكدا التزامهما معاهدة الطائف (١٩٣٤) ومذكرة التفاهم (١٩٩٥) في بحمل العلاقات بين البلدين وأهمية تطويرها في مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية وتوسيع فرص الاستثمار لمواطني البلدين».

بدأت في أعقاب توقيع مذكرة التفاهم (١٩٩٥) عبر لجان فنية، وكان المسار نشطاً أحياناً ومتعثراً أحياناً أخرى، بدا واضحاً ان اليمن يريد من السعودية ان تساهم في حل اشكالاته الاقتصادية وان يكون انتهاء خلافات الحدود جزءاً من الاتفاقية الحدودية الشاملة، وبخاصة ان اليمن يمر بصعوبات اقتصادية من أبرزها عودة مئات الألوف من اليمنيين الذين كانوا يعملون في السعودية من دون تأشيرات أو كفلاء، وهي حال استثنائية في النظام السعودي. وبقيت السعودية من جانبها تعرب، في كل مناسبة، عن حرصها على إنهاء ملف الحدود الذي كثيراً ما كان يأخذ طابعاً اقتصادياً-سياً، في محاولة لأن يصبح ورقة ضغط، فيتحول من مسألة فنية إلى حال توتر تكثر فيها الاتهامات بالاعتداءات والاختراق. وهذا ما أثبتته المسار التفاوضي في أعقاب توقيع مذكرة التفاهم (٢٦ شباط ١٩٩٥) حتى آب ١٩٩٨.

- في ٢٠ آذار ١٩٩٥، جرى اتصال هاتفي بين الملك فهد والرئيس اليمني علي عبدالله صالح. وفي اليوم التالي، بدأت في قصر المؤتمرات في الرياض أول جلسات اللجنة العسكرية السعودية-اليمنية.

- في ٥ حزيران ١٩٩٥، زار الرئيس اليمني علي عبدالله صالح جدة، وأجرى محادثات مع الملك فهد. وفي البيان المشترك تأكيد على توفير سبل النجاح للجان

- في ٧ تشرين الأول ١٩٩٦، قام وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز بزيارة إلى اليمن وُصفت بأنها «مهمة جدًا» على صعيد حل النزاعات الحدودية؛ ونقل الأمير نايف رسالة من الملك فهد إلى الرئيس علي عبدالله صالح، وحمل مقترحات سعودية لتسوية هذه النزاعات في أسرع وقت ممكن دون انتظار اجتماعات اللجان المختلفة التي شكلت بموجب مذكرة التفاهم (١٩٩٥). إذ كانت هذه اللجان قد توصلت في مطلع الصيف «إلى طريق مسدود وتعمدت أعمالها بسبب اقتراحات متشددة متبادلة بين الجانبين».

- في ٦ تشرين الأول ١٩٩٧ (بعد نحو سنة من الاعلان عن «الطريق المسدود»)، أعلن الرئيس اليمني علي عبدالله صالح ان المفاوضات بين بلاده والمملكة العربية السعودية بلغت مرحلة وضع «اللمسات الأخيرة» لاتفاق بين البلدين وذلك «في شكل أخوي ومرضي وعادل». وأكد ان «اللقاء الأخير الذي عقده مع الأمير سلطان بن عبد العزيز في إيطاليا (أيلول ١٩٩٧) كان «إيجابيًا».

- في آخر تشرين الثاني ١٩٩٧، نقل نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية اليمني الدكتور عبد الكريم الأرياني إلى الملك فهد رسالة شفوية من الرئيس علي عبدالله صالح شملت ردًا رسميًا على اقتراحات سعودية لحل إشكالية الحدود.

- في ١٧ تشرين الثاني ١٩٩٧، وقع اشتباك على الحدود السعودية اليمنية، وحرص الجانب السعودي (على لسان الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية) على التأكيد بأن المفاوضات لتسوية الحدود بين البلدين «لم تتأثر بالحادث المؤسف». وكانت وقعت عدة تفجيرات في عدن، ونفت السعودية صلتها بأحد المتهمين بها.

- في نيسان ١٩٩٨، قدمت السعودية وثيقتين رسميتين إلى الأمم المتحدة والأمانة العامة للجامعة العربية، ونقل وفدا المملكة لدى المنظمين «سرور بلدهما لتوصل الشقيقتين، سلطنة عُمان والجمهورية اليمنية إلى اتفاق حدود بينهما»، لكنهما أكدتا ان «السعودية تلتقي في حدودها مع كلا البلدين»، وشددتا على ان الاتفاق الحدودي العُماني-اليمني «تضمن تحديدًا تبعية بعض المناطق التي تعتبرها المملكة جزءًا من أراضيها، لذلك فإن السعودية

تود ان تؤكد انها لا تعترف بأية حقوق أو آثار ترتب نتيجة لهذا الاتفاق في المناطق المشار إليها، يكون فيها تجاوز أو مس بحقوقها».

- في ١٦ تموز ١٩٩٨، عبر «مصدر يمني مأذون» عن استغراب بلاده تجاه «ما قامت به حكومة المملكة العربية السعودية من احتجاجات لدى الأمم المتحدة والجامعة العربية بشأن الاتفاق الحدودي العُماني-اليمني»، واعتبر ذلك «انتكاسة خطيرة وعودة بالمفاوضات الحدودية الجارية بين البلدين إلى وراء»، واتهم السعودية بالاعتداء على الاراضي اليمنية، فيما أكدت السعودية، في اليوم التالي (١٧ تموز ١٩٩٨) انه «لم يحدث أي اعتداء من المملكة على اراضي الجمهورية اليمنية بأي شكل من الأشكال».

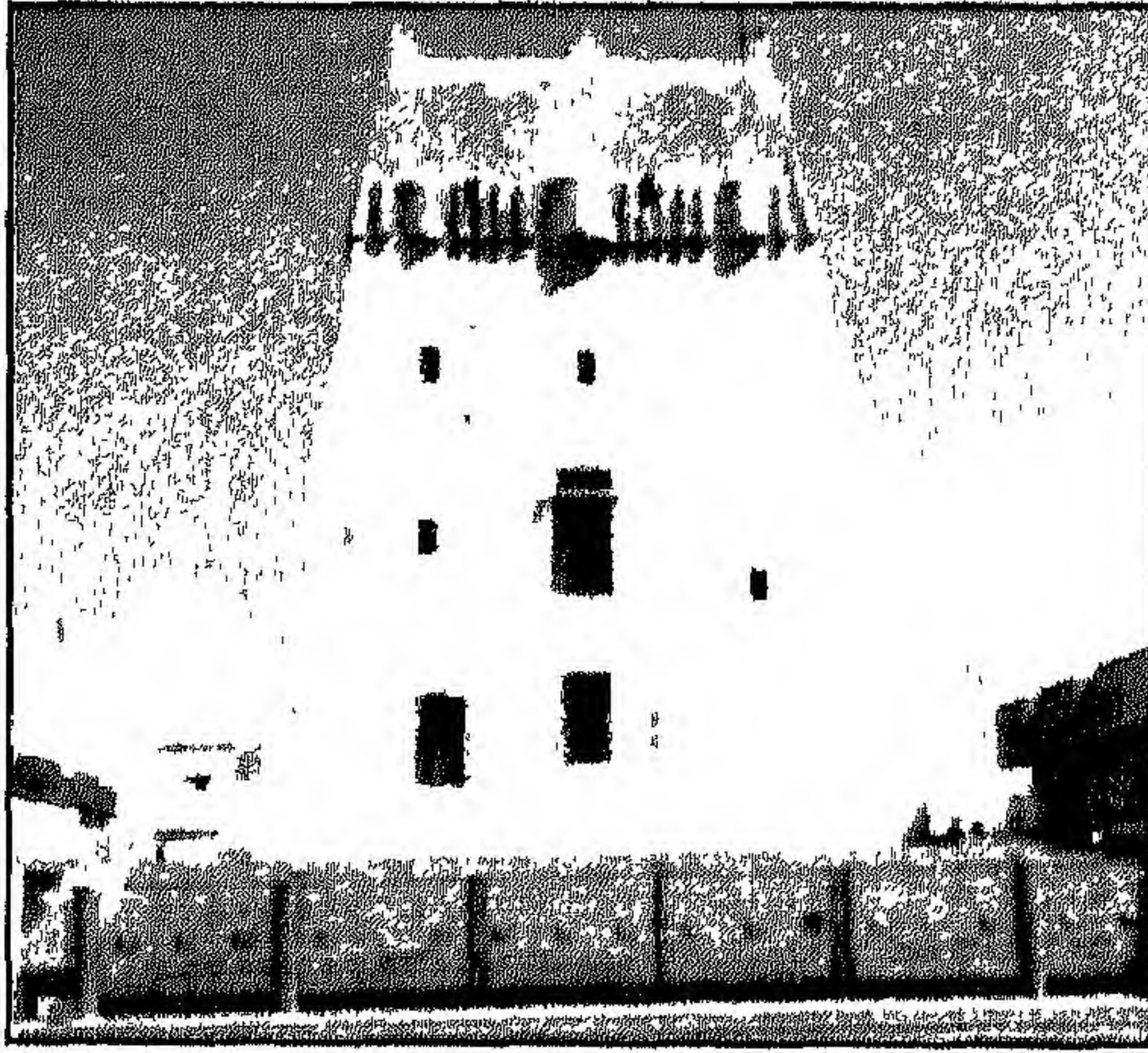
- في ٢٢ تموز ١٩٩٨، نفت صنعاء أبناء عن انزال عسكري يمني في جزيرة الدومة في البحر الأحمر، وأعلنت ان تفاهمًا تم التوصل إليه بين صنعاء والرياض «لاحتواء حادث الجزيرة بين قوات سعودية وحرس الحدود اليمني». وفي اليوم التالي، نفى أيضًا وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز أبناء انزال بحري يمني في جزيرة الدومة. واعتبر الجانبان ان «لثة حادثًا مؤسفًا وقع»، واتفقا على تشكيل لجان «لمنع أي استحداث أو مشكلات تقع على الحدود».

- في ٢٧ تموز ١٩٩٨، جدد ولي العهد السعودي نائب رئيس مجلس الوزراء الأمير عبدالله بن عبد العزيز حرص السعودية على «حل ما تبقى من مشكلة الحدود» مع اليمن، وذلك عن طريق «اللجان المشتركة وبموجب ما نصت عليه معاهدة الطائف (١٩٣٤) ومذكرة التفاهم (١٩٩٥). وفي اليوم التالي، زار وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل صنعاء حيث جرى التوقيع على «محضر اتفاق» من ٦ نقاط لاحتواء «التداعيات العسكرية والأمنية» بين البلدين بعد الحادث الحدودي في جزيرة الدومة، ولتفعيل نشاط لجان الحدود. وحلّد المحضر يوم ٤ آب ١٩٩٨ موعدًا لاجتماع اللجنة العسكرية اليمنية-السعودية المشتركة، يليه بعد شهر اجتماع للجنة تعيين الحدود البحرية، على ان تجتمع لجنة تحديد العلامات الحدودية لتحديد العلامات ابتداء من جبل الشار إلى رأس المعوج، كما وُصفا في معاهدة الطائف، خلال شهرين من توقيع المحضر (أي من ٢٨ تموز ١٩٩٨).



بيوت قديمة في منطقة قريبة من مشروع الحيلة السياحي في أبها.

قصر الشدا في أبها، مقر الإمارة القديم وحاليا متحف تاريخي.



يقول المؤرخ والمحقق السعودي حمد الجاسر: «لا نجد في معجم البلدان لياقوت ولا في معجم ما استعجم ذكراً لهذه المدينة وهذا ما دفع كثيراً من الباحثين إلى الحكم بأن مدينة أبها حديثة». لكن، برأي الجاسر، أن «أبها» مدينة قديمة جداً لا يعرف اسمها الحقيقي الذي نشأت عليه. تطورت في العمارة وربما تغير مسماتها من فترة إلى أخرى» («العربي»، المرجع المذكور، ص ٤٥).

«يقولون إنه ورد في التوراة أن بلقيس ملكة سبأ عندما استدعت لمقابلة الملك سليمان طلبت من سكان «هيفاء» أن يؤمنوا لها جمال الرحلة. وذكر ان العمالقة قد

مدن ومعالم

* أبها: تقع هذه المدينة في منطقة عسير (وهي عاصمة عسير) جنوب غربي المملكة في مرتفعات «السروات»، وتشرف على السهول الساحلية من تهامة، وعلى جبال «السودة» ذات الغابات الكثيفة من جهة الغرب. وترتفع أبها عن سطح البحر ٢٢٠٠ م (يزيد ارتفاع أعلى قمة في منطقة السودة على ٣ آلاف م)، والصخور السائدة في المنطقة هي غرانيتية وشيستية. مناخها معتدل بوجه عام، ومعدل هطول الأمطار فيها ٥٠٠ مم، وهو أكبر المعدلات في المملكة.

في حسابات التطور العمراني القياسي زمنياً الذي شهدته المملكة بوجه عام تأتي أبها في القائمة الأولى بين مدن ومناطق السعودية: «من يصدق أن أبها التي هي اليوم معلم من المعالم السياحية المتميزة بأبنية متطورة وأسواق تجارية عامرة وأنفاق وجسور وطرق، هي نفسها تلك القرية المعزولة عن العالم قبل خمس عشرة سنة بسبب وعورة طرقها ومسالكها الجبلية! ففي احصائية رسمية بلغ عدد المصطافين الخليجيين في أبها سنة ١٩٨١ ما يقارب ٧٠ ألفاً وفي عام ١٩٨٦ تجاوز الستة ملايين» («المدينة العربية»، عدد شباط-آذار ١٩٩٧، ص ٩٣). فقد تحولت عسير، وتحديداً أبها، نموذجاً حضارياً متميزاً وأصبحت الخطة السياحية الصيفية الأولى في منطقة الخليج العربي.

إضافة إلى صناعة السياحة التي باتت تشتهر بها أبها (٤٠٠ ألف كلم من الخضرة الدائمة على مدار السنة)، ثمة صناعة ثقافية آخذة في النمو في أبها، وأهم أركانها «قرية مفتاحة التشكيلية» التي هي «مركز ثقافي يحتوي على ١٢ مرسماً وهذه المراسم تضم بين جوانبها عدداً من الفنانين التشكيليين وهي عبارة عن أجنحة كل جناح عبارة عن دورين، الدور الأرضي وهو المرسوم... والدور الثاني غرفة نوم متكاملة ومطبخ ومرفقاته. ثم هناك صالة عرض لاقامة المعارض التشكيلية (...) إن من أهداف هذا المركز تنمية الحركة الفنية والحرفية واستقطاب شبي الفن في جميع اشاء المملكة والعالمين العربي والاسلامي (...) القرية كذلك تضم مسرحاً مفتوحاً يتسع لأكثر من ألف شخص (...) كما ان اعمال البناء والتشييد لاقامة مسرح يتسع لأكثر من خمسة آلاف مشاهد تسير قدماً» («العربي»، العدد ٤٧٢، آذار ١٩٩٨، ص ٥٢).



من اطلال رقعات في مدينة الأخدود (نجران).

عمروها، وأنه قد عاش بها «بنو ثابر» حتى جاءتهم «الأزد». وكان أهلها في الجاهلية أصحاب قوة بين القبائل. وفي عهد أبي بكر أمدته بالمقاتلين الأشداء ليرد أصحاب الردة. وكانت أحد توابع الدولتين الأموية والعباسية. وانها خضعت لحكم الأخشيديين والطولونيين والأيوبيين والمماليك. وعندما فتح العثمانيون بلاد الشام ومصر أرسل الشريف ولده أباغي إلى السلطان العثماني، وتم تسليم مفاتيح الكعبة له ومن تلك الفترة تبعت منطقة عسير الدولة العثمانية. وإبان الحملة المصرية، تمكن محمد علي وابنه ابراهيم باشا من دخول أبها واحتلالها وتم القبض على طامي بن شعيب القائد العشيري حيث بُعث به إلى اسطنبول لعدم، حتى تحررت أخيراً على يد آل سعود («العربي»، المرجع المذكور، ص ٤٦).

من أشهر معالم أبها «قصر شدا»، الذي انتهى بناؤه في ١٩٢٧ على أنقاض ثكنة قديمة. بعد ترميمه، افتتح في ١٩٨٧ ليكون متحفاً يعرض ما يتبرع به أهالي أبها من مآثورات ومقتنيات تراثية.

* أبو السعود: راجع «الأخدود» في هذا الباب.

* الإحساء: راجع «المنطقة الشرقية» في هذا الباب.

* الأخدود: مدينة أثرية في واحة نجران الواقعة في جنوبي السعودية على أطراف صحراء ممتدة إلى كل الجهات، فقي الشرق منها صحراء الربع الخالي، وإلى الجنوب بلاد اليمن، أما من الغرب فتبدأ حدود منطقة عسير الشهيرة بجبالها الشاهقة، وتجاور قرية أبو السعود (نجران القديمة) ذات المنازل العالية والشهيرة بصناعاتها المحلية مثل الجنبية والزرابي والقفقف والسجاجيد من سعف النخيل وصوف الاغنام وغير ذلك من حرف هي اليوم حرف فولكلورية.

تحت مادة «نجران»، جاء في قسم الاعلام من المنجد (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص ٧٠٦-٧٠٧):

١- نجران: مدينة (سعودية) شمالي اليمن على حدود عسير. ذكرها بطليموس. خربها الامبراطور غالاس ٢٥١-٢٥٣. قد تكون خرائب مدينة الأخدود انقاض نجران القديمة. دخلتها المسيحية عن طريق تجارها ثم ازدهرت في عهد يوستينانوس. لجأ إليها المنوفيزيون هرباً من الاضطهاد البيزنطي. كانت مسرحاً لاضطهادات

عنيفة. أنجبت اساقفة عديدين في القرنين التاسع والعاشر. ٢- نجران (شهداء-): هم المسيحيون بنو حارث بن كعب، أصحاب كعبة نجران. أكرههم ذو نواس ملك حِمير على اعتناق اليهودية فأبوا، فحرقهم مع ملكهم الحارث في أخدود النار ٥٢٣.

٣- نجران (كعبة-): لاسم البيعة التي بناها عرب الجاهلية النصارى، بنو حارث بن كعب ومنهم بنو عبد المدان، في نجران. وسميت «قيس» مضاهاة لكعبة مكة، وكان لها أساقفة وأخبار مقيمون.

٤- نجران (وادي-): مسيل ماء على حدود السعودية واليمن. تنقاسمه الدولتان. جرت فيه معركة الأخدود التي ذكرها القرآن الكريم.

مرجع آخر لا يتعارض، بصورة عامة، مع ما جاء في المنجد، لكنه يزيد عليه معلومات تاريخية مهمة، فيقول (عن أحمد مرتضى عبده، «الحياة»، العدد ١١٦١١، تاريخ ٢ كانون الاول ١٩٩٤، ص ٢١):

ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ان تسمية «نجران» ترجع إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه أول من نزلها وعمرها.

أما تدمير المدينة وخرابها وتحول إسمها من رقعات إلى الأخدود فتعود إلى العام ٥٢٥ حين أمر ذو نواس آخر ملوك جيمير النجرانيين بالتحول من النصرانية (التي وصلتهم عن طريق التجار في القرنين الخامس والسادس) إلى اليهودية. لكن الأهالي رفضوا، فحاصروهم وأسر الكثيرين منهم ثم جمع شيوخهم وأهل الرأي والرافضين لدعوته في أخاديد وأحرقهم، وهو الحدث الذي أشارت إليه الآية القرآنية الكريمة. وتحولت المدينة الزاهرة بعد ذلك إلى أطلال طمرت الرمال والأتربة على مدى العصور حتى قامت الإدارة العامة للآثار والمتاحف في السعودية قبل سنوات بإشراف الدكتور عبد الله المصري بعمليات بحث وتنقيب في موقع الأخدود. واستمر العمل مدة عامين متصلين إلى أن عثر على بقايا المدينة المنكوبة (رقعات).

* أعمدة الرجاجيل: راجع «الجوف» في هذا الباب.

* الباحة: مدينة ومنطقة في جنوب غربي السعودية. من أهم مدنها، إلى الباحة، بلجرش، المنطق، المخوة، العقيق، بني كبير، بني حسن... وأهم قرىها قرية ذي العين الأثرية. ومعظم سكان المنطقة من قبيلتي زهران في الشمال وغامد في الجنوب. بنيت على سفوح جبال المنطقة مدرجات (يقال لها مصاطب، شبيهة بما هو معروف بـ«الجلول» في لبنان) لزراعة أشجار الفاكهة كالرمان واللوز والعنب، إضافة إلى الخضار والحبوب.

تبدو الباحة مدينة حديثة نشأت في أعقاب الطفرة الاقتصادية التي حدثت في السعودية خلال العقود الثلاثة الماضية. لكن أوراقها القديمة تثبت أنها كانت موطن الصحابي أبو هريرة، ومن أبرز قادتها التاريخيين سفيان بن عوف الغامدي الذي قاد جيش معاوية. ومن شعرائها الشنفرى، أحد الشعراء الصعاليك وصاحب «لامية العرب» الشهيرة.

من قرى منطقة الباحة الأثرية قرية ذي العين التي تبعد ٢٥ كلم من وسط مدينة الباحة، وهي تقع على قمة جبل صغير، وقد تهدمت معظم منازلها. وهناك قرية عشم التي كانت تشتهر منذ القدم بمناجم الذهب كما تتميز بموقعها على طريق الحجاج اليميني. وهناك منطقة ثروق الأثرية التي يرجع تاريخها إلى عهد ما قبل الإسلام، إضافة إلى مناطق برحرح ودرب الفيل الذي يقع على بعد ١٠٠ كلم شرقي الباحة، وهو الدرب الذي سلكه جيش

وأخدود كان إسمها «رقعات» قبل حوادث «أخدود النار» (الحرقة التي نزلت بسكانها النصاري). وإذا عدنا لتاريخ رقعات نجد أن ما تخلف من آثارها قليل قياساً بقيمتها التاريخية التي تجلت في ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: «والسماء ذات البروج. واليوم الموعود. وشاهد ومشهود. قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها موقود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود» (البروج: ٧/١)، وهي الإشارة التي فتحت باب البحث قديمًا وحديثًا لاكتشاف ما حدث لهذه المدينة الزاهرة (كما كانت- أي رقعات- في عصورها الزاهية)، ودفعت بعض الباحثين الأجانب مثل النمسي غليسر للبحث عما تخفيه رمال الأزمنة المتراكمة في هذا المكان. فتمت زيارة غليسر لنجران أواخر القرن التاسع عشر، فأمضى زمناً في التنقيب والبحث الشاق قبل أن يعثر على كتابات على الصخور ونقوش ورسوم في مواقع مختلفة من الوادي. ومن اكتشافاته كتابات بالخط المسند ثبت استخدامه في دولة حمير التي كانت (كما رأى المؤرخ اليوناني سترابون) سيطرت على نجران بين ١١٥ ق.م. و ٣٤٠ م. ويرى بعض الباحثين أن خط المسند الجيميري قريب من الكتابة العربية.

وعثر غليسر أيضاً على رسوم هيروغليفية مصرية قديمة في المنطقة الواقعة بين قرية القابل في الشمال وقرى السودا والحمرى والعرق في الجنوب. ولكنه لم يحاول الربط بين هذه الآثار الهيروغليفية وبين الحضارة القديمة في نجران، وهو الاستنتاج الذي توصل إليه الدكتور عبد العزيز صالح عميد كلية آثار القاهرة سابقاً في كتابه «تاريخ الشرق الأدنى القديم»، وتحدث عن إشارات متعددة تفيد بوجود علاقات اقتصادية وثقافية وحضارية بين الدولة المصرية القديمة- على امتداد أسر فرعونية عدة- وبين دول جنوبي الجزيرة العربية في ذلك الحين، وذلك عن طريق الحبشة ومنايع النيل مروراً بمضيق باب المندب.

وعثر غليسر في جبل الحمرى (وهو مجاور للأخدود) على آثار من العصور الإسلامية المبكرة، منها كتابات كوفية ورسوم متعددة للحيوانات والطيور. وأكد المؤرخ الرحالة عبد الله فيليبي أن رقعات هي مدينة الأخدود التاريخية وأنها كانت عاصمة نجران القديمة، وأن ما اكتشف من آثار يعود إليها، وأهمها البئر الارتوازية المبنية بطريقة هندسية دقيقة يشي بها الدرج الحجري المجاور لبعض الأسوار المنيعة التي بُنيت من الدمار، والتي توحي أيضاً بأنها كانت مدينة حصينة ذات قلاع أو حصون أصبحت بفعل الحريق الضخم الذي لف المكان أثراً بعد عين.

أبرهة الأشرم عندما أراد هدم الكعبة في مكة المكرمة.

* تاروت، قلعة: راجع «الدمام» في هذا الباب.

* تبوك: مدينة ومنطقة، غربي السعودية شمالي البحر الأحمر. ومدينة تبوك، بموقعها هذا، هي أقرب المدن السعودية من بلاد الشام. والمشاريع والاستثمارات القائمة في تبوك تجعلها من جيل المدن المتولدة حديثاً. وأهم هذه المشاريع ميناء ضباء الذي يوفر عبور المسافرين والبضائع بين السعودية ومصر خلال ساعة أو ٣ ساعات عند أبعد تقدير (افتتح بدء العمل به في تشرين الثاني ١٩٩٤)، ومشروع مصنع الاسمنت في ضباء كذلك، ومشروع طريق تبوك-شرما الذي يقلص المسافة الزمنية بين مدينة تبوك والساحل إلى حوالي الثلث، والذي سينتج عنه صناعات سياحية واستثمارية كبيرة (المصنع والطريق دُشن العمل بهما في ايار ١٩٩٨).

تاريخياً، يذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» أن تبوك موضع بين وادي القرى والشام. وذكر الرحالة المستشرق عبد الله فيليبي أنه من المؤكد استغلال الأنباط لمركز تبوك في توسيع رقعة امبراطوريتهم حتى مدائن صالح، بل وإلى أبعد من ذلك إلى الجنوب.

معلمان تاريخيان مهمان في تبوك: القلعة ومخطة سكة الحديد.

الخطاب الشعبي يقول إن القلعة بنيت على أنقاض قلعة إسلامية معتمداً بذلك على منطق ضرورات الدفاع، إذ كانت تبوك ممراً للروم، وكان غزو الرسول لها أن هرقل قيصر الروم جمع جيوشه فيها. وليس هناك إشارات إلى «القلعة الإسلامية المبكرة» سوى كلمة «تجديد» المنقوشة على باب القلعة الضخم في سنة ١٠٦٤هـ (١٥٤٣) حيث جاء: «أمر بتعمير وتجديد هذه القلعة المباركة مولانا السلطان محمد خان عز نصره، على يد العبد الضعيف محمد بن الناشف التذكري سنة أربع وستين وألف». وهذا يدل على أنها «عُمرت وجُددت» في عهد النفوذ العثماني على الجزيرة العربية، حتى أن بعض العامة يسميها القلعة الزكية. أما مخطة سكة حديد تبوك فقد بدأ العثمانيون بإنشائها في ١٨٩٦، وهي ذات طراز أوروبي، أشرف على بنائها المهندس الألماني ميسنر باشا، وكان الهدف منها دعم النفوذ العثماني في الصحراء. واستخدم الخط الحديدي الذي كان يمر في سورية والأردن وصولاً إلى المدينة المنورة لارسال القوات العثمانية إلى الحجاز وعسير واليمن،

وكانت له أهمية كبيرة أيام الحرب العالمية الأولى. وكانت مخطة تبوك إحدى المخططات المهمة في هذا الخط (أقصى شمالي الجزيرة العربية وأول جنوبي الشام). وبدأ تسيير خط السكة في ١٩٠٨. وفي ١٩٩٤، انتهت الإدارة العامة للآثار والمتاحف في وزارة المعارف السعودية أعمال التسيير والتزيم لمباني سكة حديد تبوك حفاظاً عليها من جهة ودفعاً لحركة السياحة الداخلية من جهة أخرى.

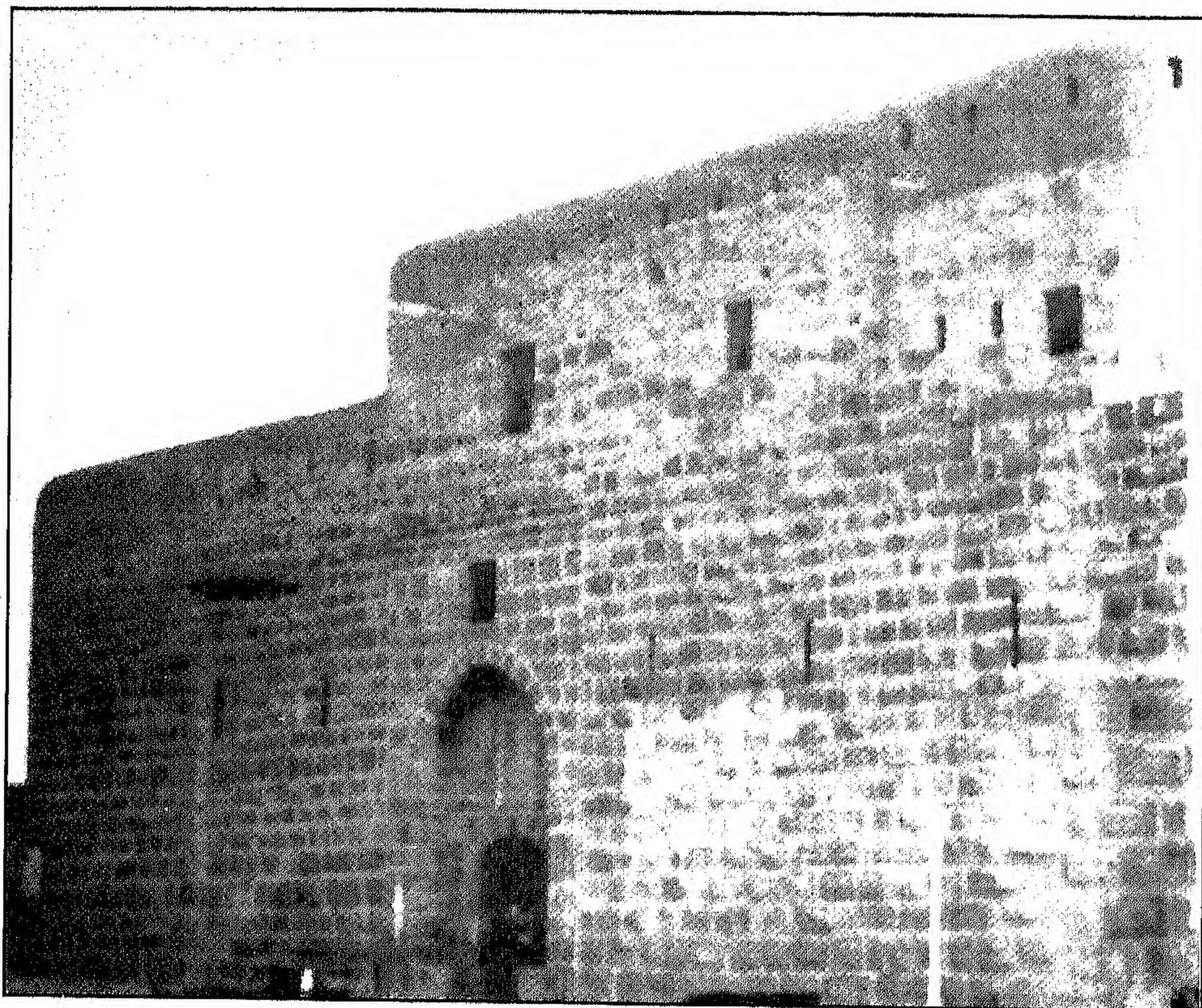
* تيماء: في الجزء الشمالي الغربي من المملكة وعلى بعد ٢٦٤ كلم من تبوك. وهي مدينة أثرية تولى إمارتها في عهد النبوة الصحابي يزيد بن أبي سفيان.

يعود تاريخ منطقة تيماء إلى العصر الحجري الحديث تدل عليه المخلفات الأثرية. ولم يبدأ الاهتمام البحثي بتيماء إلا مع جون فيليبي (الحاج عبد الله فيليبي) الذي عثر هناك على لقى فخارية، ثم توالى المسوحات الأثرية هناك. ومن أهم ما عثر عليه حتى الآن: سور تيماء وبئر هداج وقصر الحمراء وقصر الرضم وقصر الأبلق الذي يمتاز بسوره الفخيم، ويروى أن الزباء (زنوبيا) حاولت إخضاع سكان الأبلق المحصنين داخل سورهم العملاق، ففشلت، فأطلقت العبارة «عمرد مارو وعزّ الأبلق» فصارت مثلاً. وكانت ملكيته للشاعر الجاهلي السموأل.

كانت تيماء مركزاً تجارياً مهماً في مرحلة موغلة بالقدم حيث كانت تسود في شبه الجزيرة العربية تجارة القوافل. وعثر على كتابات بالخط الآرامي عن تيماء القديمة منقوشة على «مسلة تيماء» الشهيرة التي وجدت ضمن اللقى الأثرية في بئر هداج. ووجدت على واجهة المسلة كتابة أخرى بالخط العربي القديم. وهذه المسلة محفوظة في متحف اللوفر في باريس. ومن النقوش التي عثر عليها أيضاً في تيماء مجموعة من النقوش الثمودية والإسلامية محفورة على واجهات الصخور بالخط الكوفي.

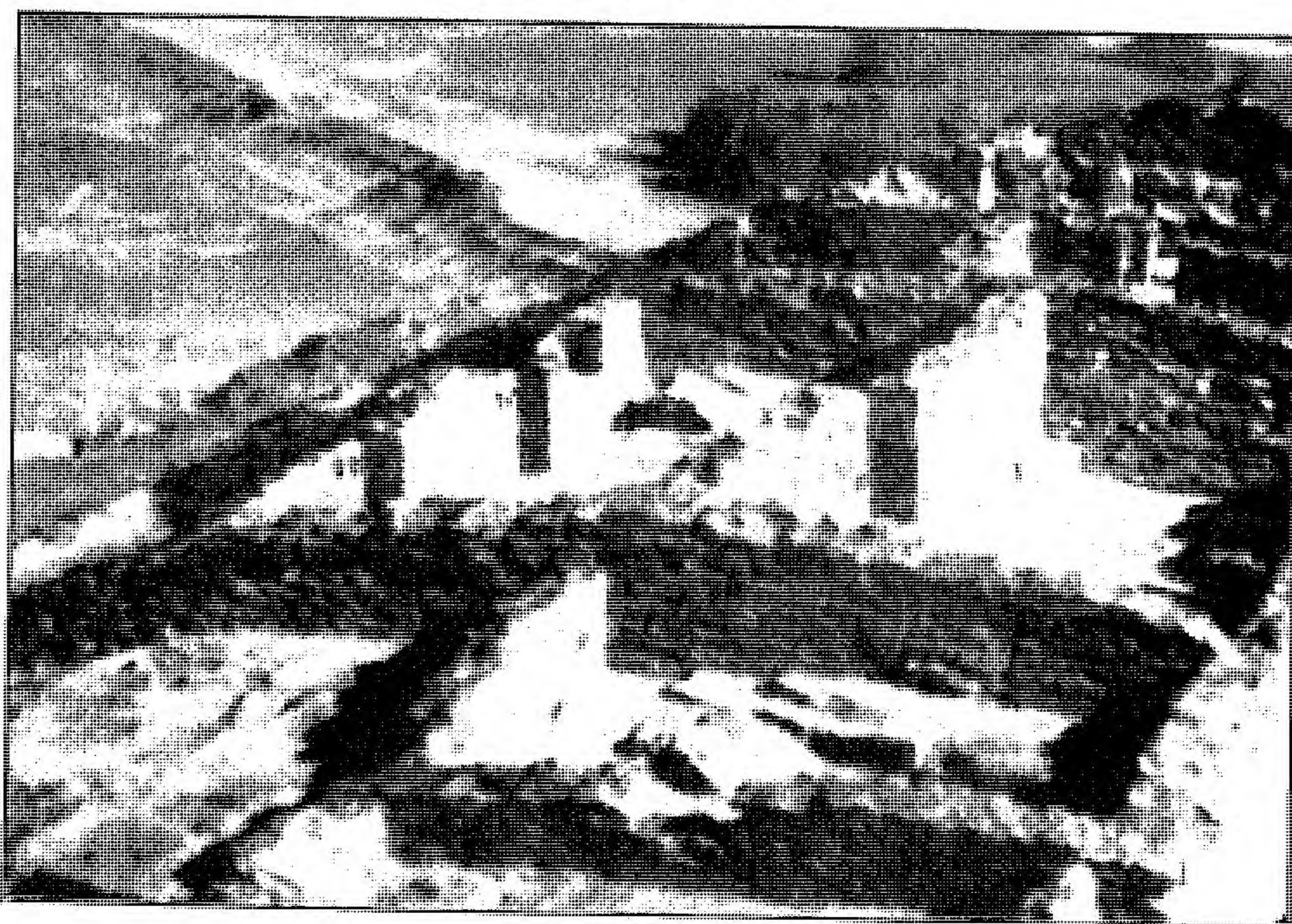
ذكر مؤرخو العرب أن تيماء كانت عاصمة لمملكة العمالقة، لأن أول من نزلها هم العمالقة من بني سام، لكن المؤرخين كانوا يطلقون إسم العمالقة والعماليق على الأمم القديمة التي يشاهدون لها آثاراً قوية.

ورد ذكر تيماء في نصوص العهد القديم (التوراة)، وعنها قال أشعيا: «كان سكان الأرض تيماء يجلبون الماء إلى كل من به ظمأ». وربما كان ذلك إشارة إلى ما تواتر تاريخياً عن أرض تيماء من أنها كانت ملائ بالآبار العظيمة التي لا مثيل لها في أيام الجزيرة العربية كلها، وهذا ما جعلها في أيام الجاهلية مركزاً عظيمًا لتجارة



جانب من قلعة تبوك.

أطلال قصر الحمراء (الابلق) في تيماء.



القوافل ومقرًا للثقافة العربية القديمة. كما ذكر في التوراة ان واحة تيماء كانت تابعة لقبائل من بني اسماعيل.

يقول جون (عبدالله) فيلبي ان تيماء كانت يومًا ما العاصمة الصيفية للملك نبو نيد ملك بابل» (٥٥٦-٥٣٩ ق.م). ويقول عبد الرحمن السديري في كتابه «وادي النفاخ» ان الملك نبو نيد قام في السنة الثالثة من حكمه بحملة على دومة الجندل ومنها سار إلى تيماء التي اتخذها مقرًا له وأمضى بها أربع سنوات وابتنى «الأبلىق» - وهو قصر ضخم كالقصر الذي في بابل - وبقي فيها حتى اضطر إلى تركها بعد اقتراب الفرس الذين أخذوا يهددون املاكه في العراق.

* ثمود: راجع «مدائن صالح وثمود» في هذا الباب.

* الجبيل: نشأت بلدة الجبيل (١٩١٠) على زاوية ساحلية في الشمال الشرقي من شاطئ الخليج العربي في منطقة الشرقية، وتوسعت تدريجيًا من مساحة لا تتجاوز الكيلومتر المربع الواحد إلى مساحة تصل إلى ألفي كلم م. تقريبًا بعد قيام مشروع الجبيل الصناعية، واكتشاف حقل البري المغمر وإنشاء القاعدة البحرية، وتبعد عن مدينة الدمام ٨٠ كلم، وتشكل مع مجموعة القرى والمواقع التابعة لها سهلًا ساحليًا يمتد بضعة كيلومترات على شاطئ الخليج العربي.

أشار أول إحصاء سكاني للجبيل (قبل الحرب العالمية الثانية) إلى ان عدد سكانها كان نحو ألفي نسمة. وذكر إحصاء ١٩٧٤ إلى ان العدد وصل إلى ٨٧٢٤ نسمة، وشمل البلدة (الجبيل) والقرى الخمس عشرة وموارد المياه الستة التابعة لامارتها حسب ما جاء في إحصائية المنطقة الشرقية.

لكن سكانها اليوم تضاعفوا عدة مرات وأغلبهم من العمال والمستخدمين الذين جاءوا من جنوب شرقي آسيا ممن يعملون في مشروعات الجبيل. ويقيم في الجبيل الصناعية وحدها نحو ٥٠ ألف نسمة يمثلون ما يقارب من ستين جنسية. وتشير تقديرات الهيئة الملكية بالجبيل إلى انهم سيصبحون بحدود ٣٥٠ ألف نسمة بعد استكمال مشروعاتها أي في ١٩٩٩.

ذهب بعض المؤرخين إلى ان الاسم، «جبيل»، فينيقي، له أبعاده التاريخية، خصوصًا مع وجود مدن أخرى تحمل الاسم نفسه في الساحل الشرقي الجنوبي للبحر

المتوسط، حيث عاش الفينيقيون قبل ٣٠٠٠ سنة متجولين على معظم سواحل البحر المتوسط نازحين إلى هذه المنطقة من منطقة الخليج العربي. ويستدل من الآثار التي عثرت عليها ادارة المتاحف والآثار في المملكة، في عدة مواقع، ما يثبت انتماء جبيل والمنطقة الشرقية إلى حضارة بلاد ما بين النهرين.

مرت الجبيل بعدة مراحل قبل ان تصل إلى مرحلة الازدهار التي هي عليها الآن:

- مرحلة الغوص للبحث عن اللؤلؤ والاتجار به، وهي المهنة التي اجتذبت الكثير من أبناء شبه الجزيرة العربية. وكان تجار اللؤلؤ من أهل الجبيل يصلون إلى الهند ودول جنوب شرقي آسيا.

- مرحلة شركة أرامكو وإقامتها في الجبيل، حيث توافرت فرص العمل ابتداء من كانون الاول ١٩٣٢ عندما وصلت أول بعثة جيولوجية مكونة من ر.ب. ميلر، وس.ب. هنري، وكارل تويتشل، ونزلت بقصر برزان ومكثت هناك ما يقرب من ثلاث سنوات قبل ان تفكر في نقل مقر البعثة إلى مدينة الظهران.

- مرحلة الازدهار الاقتصادي لمدينة جبيل كأحد الموانئ الرئيسية على الساحل الشرقي. ويدخل ضمن إطار هذه المرحلة الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية عندما اجتاحت الازمة الاقتصادية (والجاعة أحيانًا) معظم بلدان العالم، بينما كانت ترد عن طريق الجبيل الأغذية من الحبوب وغيرها، حيث قامت بدور الإمداد بالمواد الغذائية لمنطقة نجد ومعظم انحاء شبه الجزيرة.

- مرحلة التصنيع الحالية، حيث تمّ بدء بناء المدينة الصناعية وملحقاتها في عهد الملك خالد بن عبد العزيز الذي قام بوضع حجر الأساس للمدينة، وافتتحها في ١٩٧٦. فأصبحت أهمية الجبيل ترتبط بانتاج البترول والغاز وتصنيعهما. وكان الملك خالد أصدر، في ١٩٧٥، مرسومًا ملكيًا يقضي بتأسيس «الهيئة الملكية للجبيل وينبع». ولم يقتصر هذا المرسوم على منح الهيئة الملكية (ورئيسها، تبعًا لهيكلها التنظيمي، هو الملك نفسه) سلطات كاملة فقط لتطوير وإنشاء وإدارة وتشغيل التجهيزات الأساسية في كل من الجبيل وينبع، بل منحها أيضًا صلاحيات خاصة يتمثل أهمها في تخصيص ميزانية مستقلة لها، ومنحها استقلالًا إداريًا، مما جعلها مؤسسة فريدة في نوعها في المملكة، وذلك لمواكبة التطوير وتوفير الخدمات في أقصر وقت ممكن.

في الثلاثينات، وما تلاها، لم تتأثر بلدة الجبيل

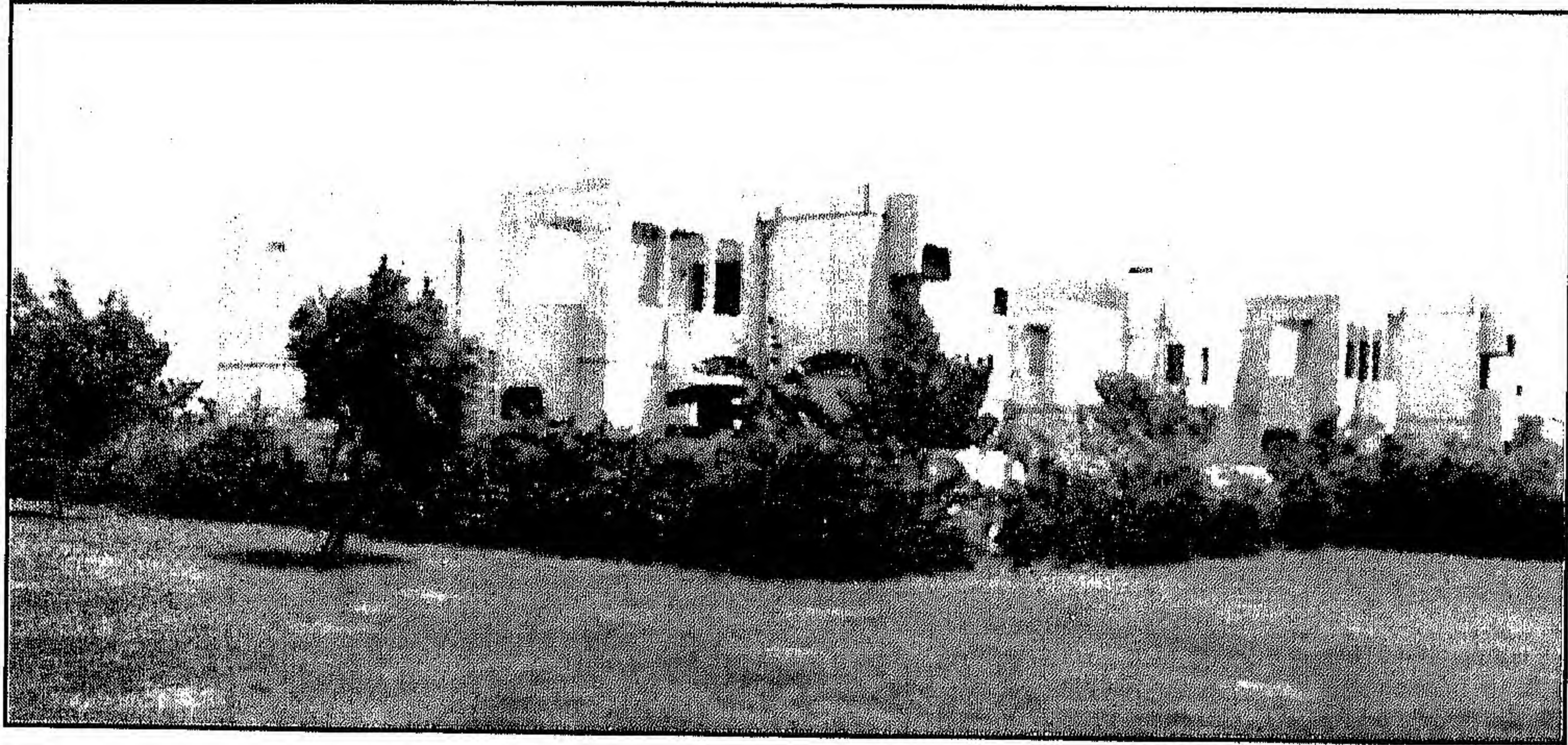
الملك فهد الصناعي في الشمال الذي صمم ليكون منسجماً مع حركة التطور الصناعي التي تشهدها مدينة الجبيل الصناعية. كما يوجد في هذه المدينة مطار لاستقبال الرحلات الخاصة ورحلات الشحن، وتقع منطقة المطار إلى الغرب من المنطقة السكنية.

أما المنطقة السكنية فتقع إلى الشمال من المنطقة الصناعية بمساحة إجمالية قدرها ١٦٨ كلم م.، ويفصلها عن المنطقة الصناعية مساحة واسعة ومفتوحة، وتغطيها الأشجار من كل جانب ومطلّة على الخليج بشاطئ طوله ٤٦ كلم. وقد بنيت مساكن المنطقة على طراز يجمع بين الأساليب الحديثة والتقاليد العربية. ومن المتوقع أن تستوعب المنطقة عند نهاية هذا القرن نحو ٣٥٠ ألف نسمة (عن كتاب «الجبيل وينبع شواهد التصنيع والنبوغ»، وزارة الاعلام السعودي، ١٩٩٣، من ص ٢٣ إلى ص ٩٨).

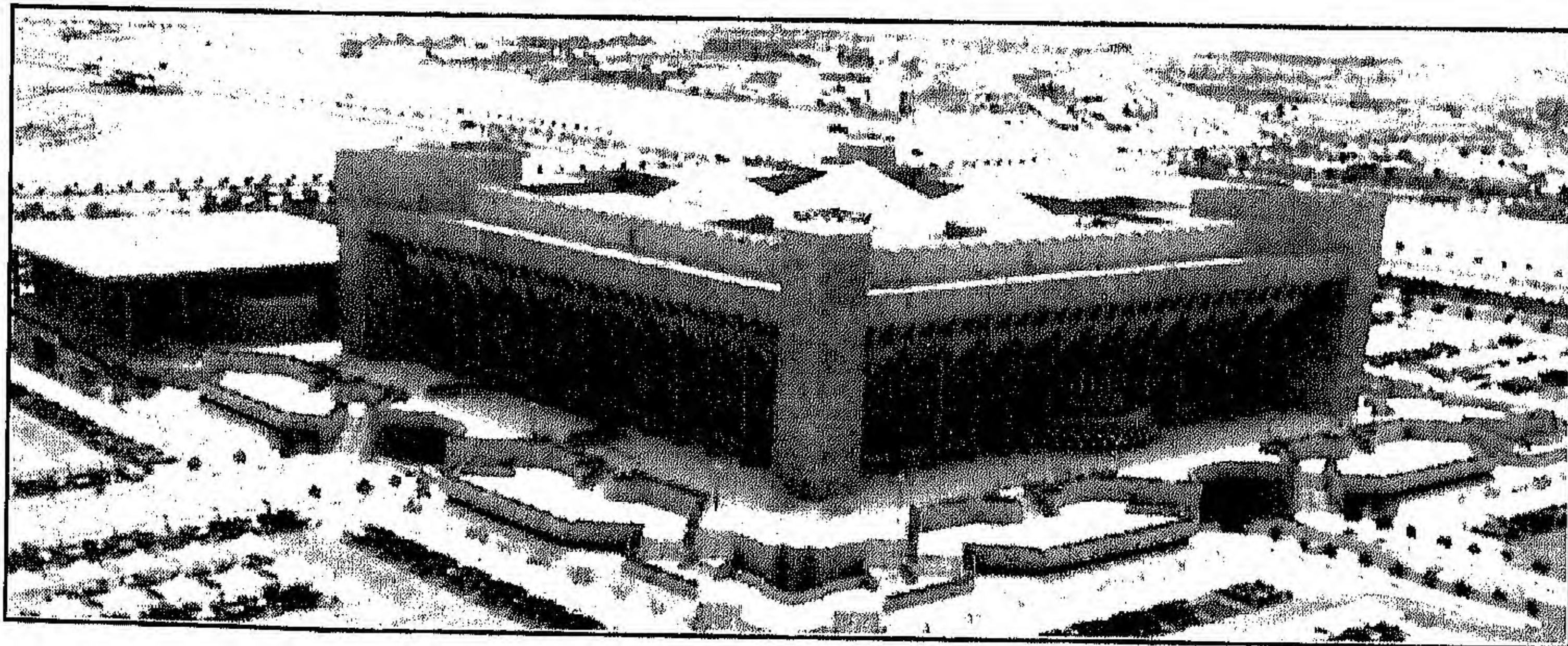
بسبب اكتشاف النفط في المنطقة الشرقية تأثراً ملحوظاً، وبقيت إلى السنوات الأخيرة (أي إلى انطلاق المدينة الصناعية فيها) قرية صغيرة لا سيما بعد تطور مدينة الدمام وارتحال معظم رجال المال والاعمال إليها. لكن نظراً إلى وجود مساحات شاسعة من الاراضي وتوسعها الجغرافي في المنطقة وعمق الشواطئ المحيطة بها (الضرورية للميناء) وبسبب قربها من حقل البري المعروف بتوافر النفط والغاز، اختيرت لتكون موقعاً للمدينة الصناعية بعد ان أكدت الدراسات التي أجريت مع عدة شركات عالمية على أفضلية هذا الموقع؛ واستكملت هذه الدراسات لا سيما بعد إنشاء «بترومين» باعتبارها مؤسسة وطنية معنية بتنفيذ مثل هذه المشروعات، وكان باكورة عملها إنشاء شركة «سابك»، ثم تتابعت المشاريع الصناعية الأخرى.

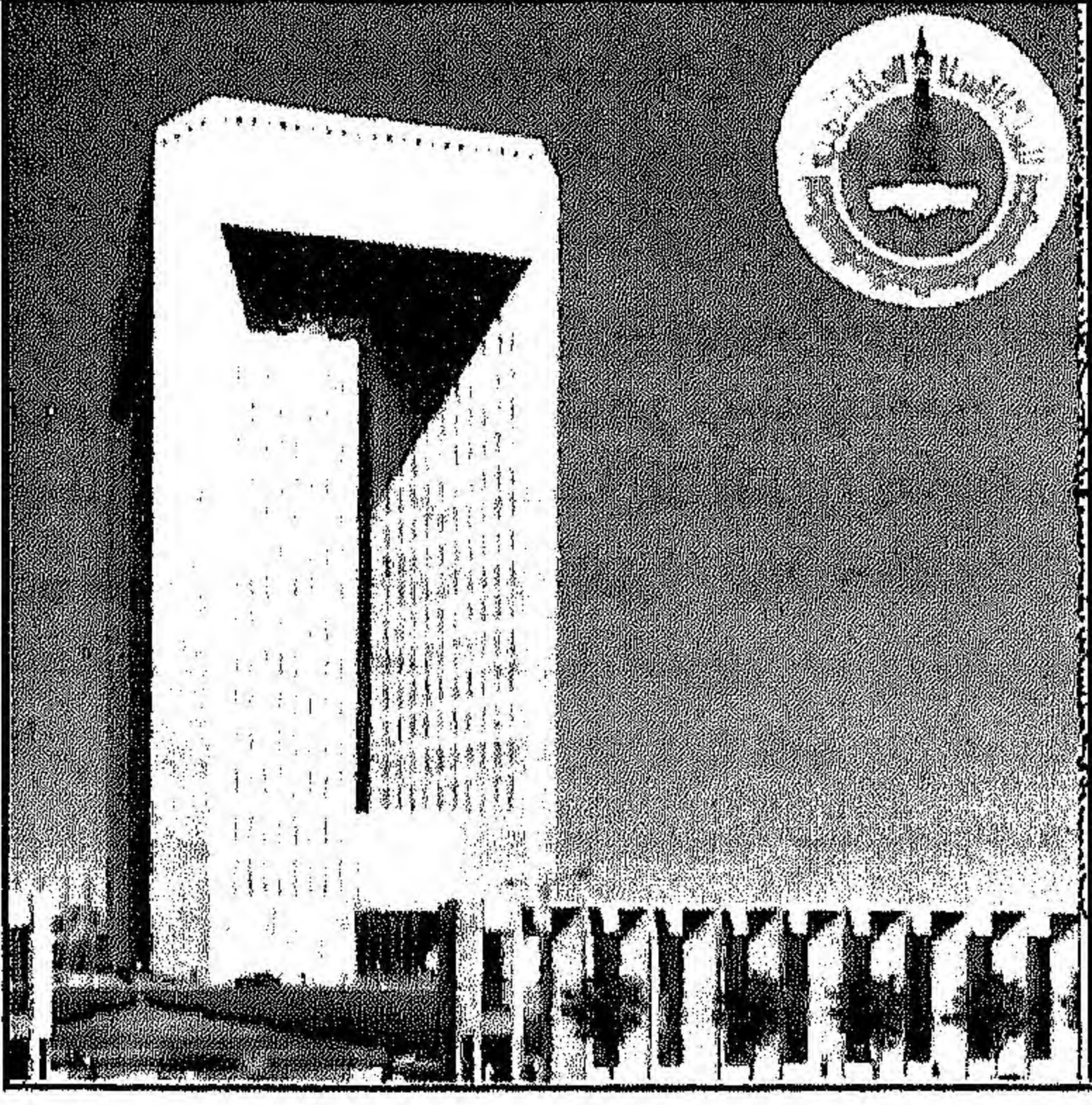
ويضم ساحل مدينة الجبيل الصناعية ميناءين عصريين هما ميناء الجبيل التجاري في الجنوب، وميناء

نماذج من الوحدات السكنية في مدينة الجبيل الصناعية.



مبنى الهيئة الملكية بالجبيل.





المقر الرئيسي للبنك الاسلامي في جدة.

توسط كورنيش جدة اعلى واجمل نافورة ماء في العالم.



* جدة: تقع مدينة جدة على ساحل البحر الأحمر في السهل الساحلي (سهل تهامة)، وتغطي مساحة ٣٨١٠ كلم م. شهدت تطورها العصري منذ ١٩٤٧ حين أمر الملك عبد العزيز بهدم سور المدينة لتبدأ نموها الكبير في اتجاه الشمال والجنوب والشرق.

تتميز مدينة جدة بانفتاحها على العالم، وتعتبر بوابة الخليج، إذ يقدم منها الحجاج والمعتمرون إلى مكة المكرمة، مما يجعلها المدينة الثانية (بعد الرياض) في المملكة من الناحية الثقافية والتجارية. ويعتبر مطار جدة الجوي (مطار الملك عبد العزيز الدولي) من أكبر مطارات العالم، كما يعتبر مينائها الاسلامي ميناء بحرياً مهماً في البلاد حيث يعود إنشاؤه إلى أكثر من ١٣٠٠ عام.

أهم معالم جدة العصرية والحضارية الكورنيش الذي استغرق تنفيذه واستكمال أهم مرافق خدماته حوالي خمس سنوات، ويمتد شمالاً وجنوباً إلى أكثر من ١٠٠ كلم، ويحتوي مجموعة من البحيرات الصناعية وأماكن الترفيه والمتنزهات والملاعب، وتوسطه نافورة تندفع مياهها إلى علو ٢٦١ م، وبلغت كلفة إنشائها نحو ١٥ مليون ريال. وهي أكبر وأشهر وأجمل نافورة مياه في العالم.

ومثل أي مدينة عريقة، تنقسم جدة إلى ناحيتين: القديمة والحديثة. ومن أشهر أحياء جدة القديمة حارات الشام واليمن ومظلوم. ولا يزال الكثير من أبناء جدة يصرون على السكن في مبانيها القديمة.

ترجع نشأة جدة إلى طائفة من الصيادين اتخذوا العرائش (مباني من القش) مساكن لهم يأوون إليها بعد رحلات الصيد التي كانوا يقومون بها في عرض البحر الأحمر. وبعد اقتناذها ميناء لمكة المكرمة، بدأت السفن تبحر منها إلى الحبشة وإلى الشمال والجنوب ثم إلى الشرق نحو بلاد فارس. وذكر ابن جبير (توفي ١٢١٧ م) في رحلته إلى الأراضي الحجازية في عصر صلاح الدين الأيوبي أن في جدة آثاراً تدل على أنها مدينة قديمة. ومن هذه الآثار ما وجد في وادي قوس، ويقع على بعد ١٥ كلم شمال شرقي جدة، والأثر يشتمل على تضرع لأحد أبناء عمود أن يمنحه الإله الكمال والود والسلام، ولذلك قيل أن عمود سكنت جدة. وبعدها جاء قضاعة بن معد بن عدنان وأبناءؤه، فأقاموا فيها. ومعد بن عدنان هو الجلد التاسع عشر لرسول الله.

وتشتهر جدة قديماً بسورها الذي يذكر أن سلطان مصر المملوكي قانصوه الغوري هو الذي أمر ببنائه (١٥٠٥)، وقد وجد اسمه منقوشاً على حجر في باب

ظهرت على مسرح التاريخ المدون في العهد الآشوري في نصوص مكتوبة ومفصلة من خلال الحديث عن الغزوات الآشورية لشمالي الجزيرة العربية. فيتميز موقع الجوف بأهمية بالغة كونه ملتقى ومنفذاً لطرق رئيسية، فكان معبراً (ومقراً) للحضارات الشمالية وحضارات وادي الرافدين.

تتكون منطقة الجوف من عدة مدن وقرى كبيرة، لعل أهمها تاريخياً دومة الجندل وسكاكا (عاصمة الجوف) والطوير وقارا.

وتتشهد في المنطقة مواقع أثرية عدة بعضها يعود إلى ما قبل الميلاد مثل قلعة مارد، وبعضها إلى ما بعده مثل بلدة دومة الجندل العتيقة وقلعة الطوير التي تملأ جدرانها الخارجية بنقوش ثمودية وآشورية وعبرانية تعود لعصور مختلفة. لكن أقدم المواقع الأثرية في تلك المنطقة ذلك المسمى بـ«أعمدة الرجاجيل».

وهذا الموقع، أعمدة الرجاجيل، يحتل دائرة كبيرة غير منتظمة يبلغ طول شعاعها ٤٠٠ م تقريباً، ويقع على مسافة ١٠ كلم إلى الجنوب من سكاكا، ويحتوي على ٥٠ مجموعة من الأعمدة الحجرية المنتصبة ارتفاع كل منها ثلاثة أمتار تقريباً، وتوجه الأوجه المسطحة لتلك الأعمدة إما إلى الشرق أو إلى الغرب، مما يرجح وجود علاقة بطقوس دينية معينة، أو للاستدلال على الجهات الأربع أو لأي سبب

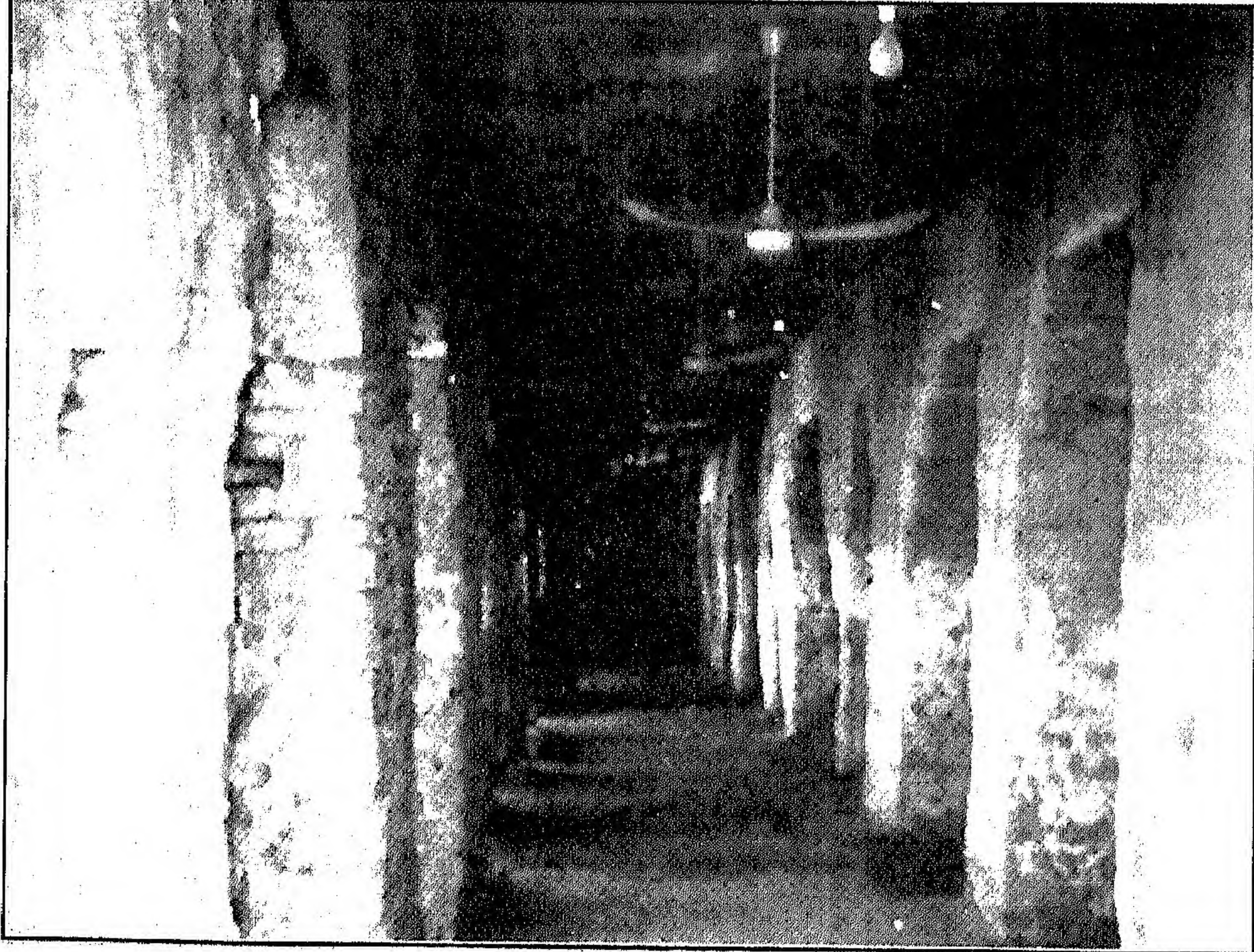
مكة، وهو أحد أبواب السور. والأرجح أن بناء السور جاء لحماية المدينة من الخطر البرتغالي.

مع انتصار العثمانيين على الماليك (١٥١٧)، انتقلت تبعية الحجاز إلى الدولة العثمانية. وفي ١٥٤١، جرّد البرتغاليون حملة بهدف تخطيط الاسطول العثماني في السويس ولكنهم فشلوا في ذلك، إلا أن ميناء جدة تعرّض للتخريب من قبل الحملة وهي في طريقها إلى السويس. وفي فترة الحكم العثماني المباشر لجدة التي بدأت في أعقاب خروج محمد علي باشا من الحجاز سنة ١٨٤٠، شهد الميناء تنظيمات إدارية وأمنية متعددة تراكمت مع تطورات الأحداث السياسية حتى رحيل الاتراك عن الحجاز في أواخر الحرب العالمية الأولى. وكانت عائدات الميناء البحرية تقسم بين شريف مكة ووالي جدة العثماني.

تقوم إدارة حماية جدة ومنطقتها التاريخية (أنشئت في ١٩٩١) بأعمال الترميم للبيوتات القديمة ذات الطراز الإسلامي، وإحياء الأسواق القديمة. ومن أهم إنجازات هذه الإدارة اكتشاف عين «فرج يسر» الواقعة في قلب جدة القديمة التي كان يتم فيها تخزين المواد الغذائية، وإعادة أجزاء من سور جدة القديمة، إضافة إلى إحياء الحرف القديمة.

* الجوف: الجوف منطقة في شمالي السعودية،

مسجد عمر من الداخل في دومة الجندل.



آخر. وثمة اعتقاد يقول إن هذه الاحجار المتكرمة في دائرة تتصف الموقع تمامًا قد تكون بمثابة المركز الأهم له، وهو ما قد يكون مذهبًا أو مكانًا لتقديم القرابين، أو أن تكون له علاقة بمحاولات سكان المكان القديم تفسير الفلك أو مراقبة حركة النجوم، وما إلى ذلك من التحليلات الأركيولوجية أو الجيولوجية (من المهم جدًا، هنا، إحالة القارئ إلى العنوان الفرعي التالي: «ستونهنج» Stonehenge، الوارد في باب «مدن ومعالم»، في مادة «بريطانيا»، ج ٥، ص ١٩٧-١٩٩، حيث يقع على تشابه ملهش).

وهناك قلعة ماردي في دومة الجندل الواقعة على ارتفاع نحو ٧٠٠ م عن سطح البحر، ويرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي عام، وورد ذكرها في المدونات الآشورية التي تحدثت عن دومة الجندل بوصفها عاصمة لعدد من الملكات العربيات. وقد حاولت زنوبيا اقتحام القلعة ولم تفلح. وكشفت الحفريات (١٩٧٦) عن بعض الخزفيات النبطية والرومانية، إضافة إلى نصوص ثمودية.

وتظهر دومة الجندل مرة أخرى في التاريخ في القرن الخامس عندما سيطر عليها امرؤ القيس الذي كان يستوطن العراق مع قبيلته في الحيرة ولكنها ارتحلت في النهاية إلى دومة الجندل، وقد ازدادت قوته في الجزء الشمالي من الجزيرة العربية حتى أنه سيطر على المناطق المعروفة الآن باسم الأردن، كما استطاع الاستيلاء على جزيرة تيران من البيزنطيين والتي تقع عند مدخل خليج العقبة. وفي العصر الإسلامي، تعرضت قلعة دومة الجندل لثلاث حملات، وسقطت في الرابعة. الأولى (٦٢٦) التي يُقال إن الرسول قادها بنفسه، والثانية (٦٢٨) بقيادة عبد الرحمن بن عوف، والثالثة (٦٣٠) بقيادة خالد بن الوليد، والرابعة (٦٣٣) في عهد الخليفة أبي بكر وكانت بقيادة خالد بن الوليد وعياض بن غنم.

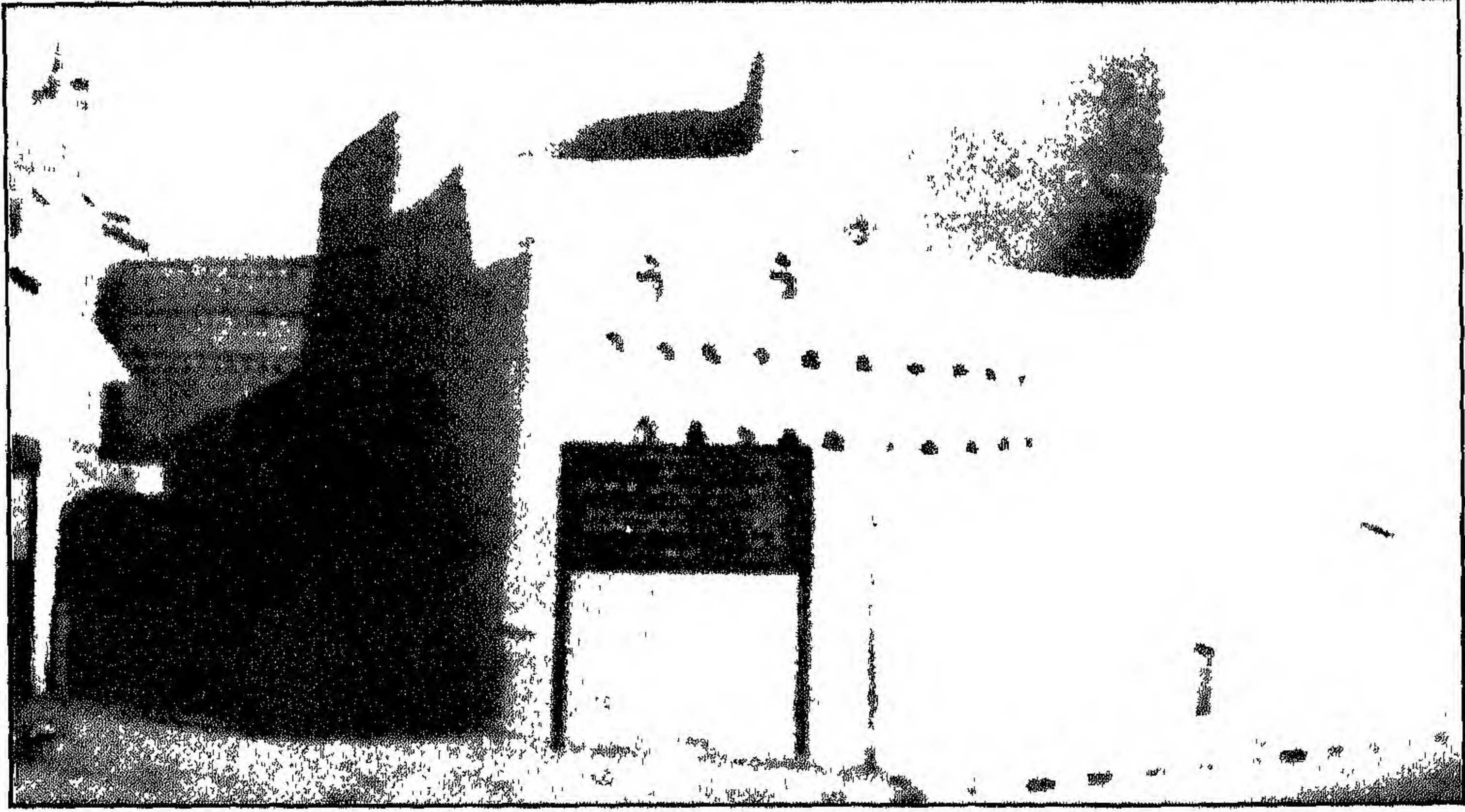
في دومة الجندل أحد الآثار الإسلامية المبكرة التي لم تصلها عوامل التغيير الحديثة إلا قليلاً، وهو مسجد عمر. «يقع المسجد في جوار باب البرج، أحد بابي مدينة دومة الجندل القديمة (الآخر هو باب النقيب). ويميل الاعتقاد إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب أمر ببنائه في السنة السابعة عشرة للهجرة (٦٣٨ م) عندما كان في طريقه إلى بيت المقدس. شيد المسجد بالحجارة القوية التي ربما كانت نقلت من قصر (أو قلعة) ماردي الذي يشرف على المسجد بشكل مباشر، وقد طالته الإصلاحات والتجديدات على مر العصور وكان آخرها في عهد الامام عبد العزيز بن سعود

في بداية فترة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إبان الدولة السعودية الأولى (١٨٠٠). واهتم عدد كبير من علماء الآثار الأجانب والعرب بهذا المعلم الأثري وتكررت زيارتهم له، كما تعددت بحوثهم العلمية الموثقة عنه، ومن هؤلاء الدكتور جيفري كينغ الذي أوفدته جامعة الملك سعود العام ١٩٧٥ فوضع وصفاً مفصلاً عن المسجد وساهم إلى حد بعيد في تأكيد الروايات التي ذهبت إلى تاريخ إنشائه. كما تعددت زيارات الرحالة الأوروبيين للمنطقة وللمسجد في القرن التاسع عشر، ومنهم الرحالة جورج والس الذي زار الجوف العام ١٨٤٥ وأورد وصفاً مختصراً عن المسجد في كتابه الذي وضعه عن رحلاته في تلك الفترة. وقال والس إن مثذنة المسجد كانت الوحيدة في دومة الجندل في حين كان كثير من مساجد الجزيرة العربية وقتذاك بلا مأذن، ولكنه ذهب إلى أن المسجد ربما كان كنيسة قبل الإسلام لأن الديانة النصرانية وجدت في المنطقة آنذاك، اعتماداً على قول ابن خلدون إن الديانة الرئيسية في دومة الجندل قبل الإسلام كانت النصرانية، في حين ذهب ياقوت الحموي إلى القول إن الديانة اليهودية كانت مروجدة هناك أيضاً، أي أن الديانتين انتشرت في دومة الجندل قبل ظهور الإسلام، ولكن الغلبة كانت للنصرانية وخصوصاً في القرن السابع الميلادي، وربما قبل ذلك» (عن أحمد مرتضى عبده، «الحياة»، ١٢ حزيران ١٩٩٤).

وفي ١٩٧٦ استطاعت بعثة أثرية «اكتشاف بلدة الطوير القديمة في منطقة مستوية من الأرض مساحتها ٢٠٠٠×٥٠٠ م... عثر فيها على بقايا سور قديم من الطين وعلى خزفيات نبطية زرقاء وخضراء، من المحتمل أنها ترجع إلى القرن الأول ق.م. ويرجح هذا الاحتمال ما أشار إليه الجغرافي اليوناني بطليموس من أن هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان في تلك الفترة. وفوق مجموعة كبيرة من الصخور قلعة الطوير... وتوجد على الصخور المقامة عليها القلعة نقوش ثمودية وأخرى نبطية... والقلعة ملكية خاصة بالشيخ عبد الرحمن المويشير» (أحمد مرتضى عبده، «الوسط» العدد ١٢٥، ٢٠ حزيران ١٩٩٤، ص ٦١).

* حرملاء (حرملة): تقع مدينة حرملاء على ضفتي وادي الشعيب إلى الشمال الغربي من العاصمة الرياض وتبعد عنها نحو ٨٦ كلم.

يعتقد أن الاسم «حرملاء» تصغير لـ «حرملاء» الوارد في قصيدة للشاعر الجاهلي أوس بن حجر. وظل اسمها يتردد في العصور الإسلامية المتعاقبة، حتى جاء القرن



منزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حريملاء.

(غزوة خيبر) في شهر حرم من السنة السابعة للهجرة (٦٢٨). وكانت من أنحصب الواحات في شبه الجزيرة، ولها سوق تسمى «نطاة خيبر» تقام مرة كل عام وتجتمع فيها قبائل العرب من تيماء وتبوك ومدائن صالح. زار جون (الحاج عبد الله) فيلبي خيبر، أوائل هذا القرن، ووجد كثيراً من الآثار العربية التي تعود إلى عهد ثمود، ولم يعثر على أية آثار عيرانية، أو أي نقش عيري يحمل إسم أي يهودي أو يتحدث عن نشاط اليهود في خيبر.

في خيبر حصون كثيرة، أشهرها حصن القموص المنيع الذي يسمى حالياً حصن علي بن أبي طالب. جميع دور خيبر المبنية من الجص، وأضحت بلا سقفوف، مهجورة الآن، فقد انتقل أهل خيبر إلى مدينة «خيبر» الحديثة على بعد كيلومترات قليلة إلى الغرب.

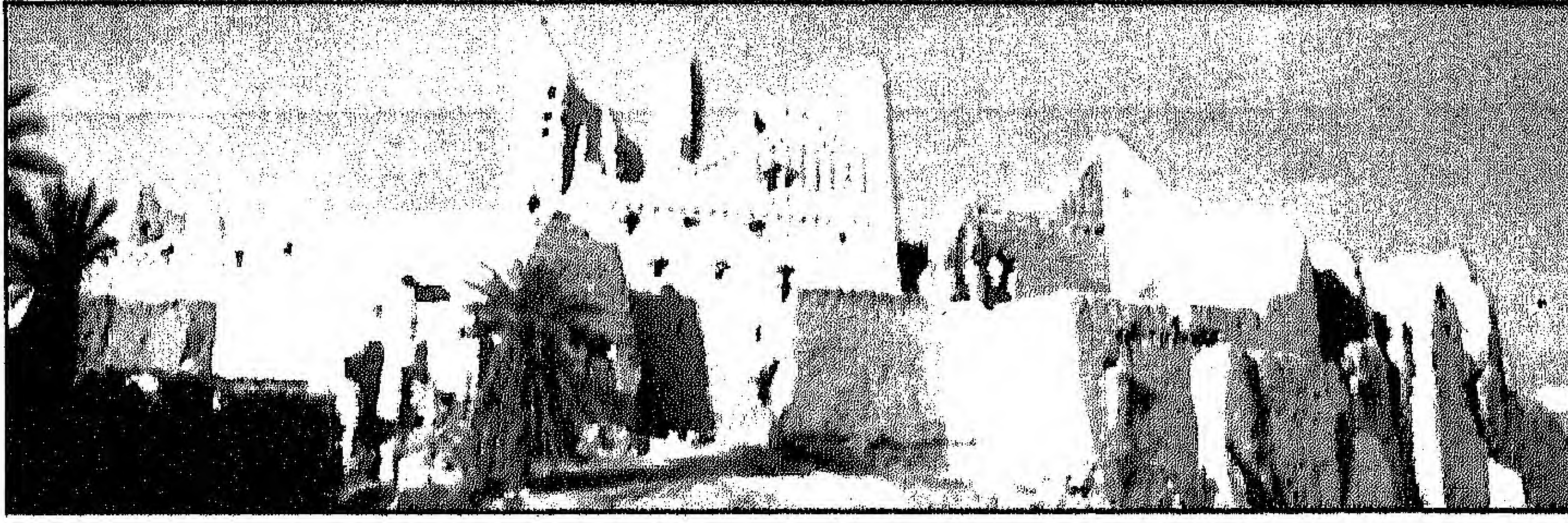
* الدرعية: تقع في الجهة الشمالية من وادي — حنيقة غربي الرياض وتبعد عنها نحو ٣٢ كلم. تعدّ العاصمة الدينية والسياسية الأولى لآل سعود. أسسها الأمير مانع (١٤٤٦). وفي القرن الثامن عشر تزامنت ولاية الامام محمد بن سعود، حاكم الدرعية، مع ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وقد كانت الدرعية مسرحاً — لحروب الجيش المصري للقضاء على الحركة الوهابية.

الخامس عشر إذ تذكر الروايات أن شخصاً يدعى يوسف أبو ريشة هاجر من الشام إلى نجد حيث اختار حريملاء واستصلحها وعمّرها وحفر فيها الآبار وأحاطها بسور كبير ما زال يعرف باسم «حامي أبو ريشة». غير أنه اضطر لاحقاً للعودة إلى الشام، فصارت حريملاء جزءاً من إمارة القطيف، ثم حكمها آل معمر وبعدهم آل أبو رباح... وآل ملحم أمراء العيينة، إلى أن استقر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانطلق بدعوته الوهابية. ومع تعيين الأمير محمد بن عبد الله مبارك أميراً على حريملاء (في أربعينات القرن الثامن عشر، أي مع انطلاق الدعوة الوهابية) أخذت البلدة تتطور وتنمو بالتدريج.

من أهم معالمها الباقية دار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتتولى صيانتها والمحافظة عليها الإدارة العامة للآثار والمتاحف في السعودية.

* الخبر: راجع «المنطقة الشرقية» في هذا الباب.

* خيبر: إحدى أقدم الواحات التي استوطنتها الإنسان في شبه الجزيرة العربية. تقع على بعد ١٧٠ كلم إلى الشرق من المدينة المنورة. دان أهلها العرب باليهودية-التي كانت منتشرة بين بعض القبائل العربية ومناطقها مثل تيماء ونجران بالإضافة إلى خيبر-قبل أن يفتح المسلمون حصونها



آثار الدرعية - عاصمة آل سعود الاولى - كما هي اليوم وقد أنشأت الحكومة السعودية مدينة حديثة الى جاليتها بالاسم لنفسه اتصل عمرا لها بعمران الرياض العاصمة.

وكانت حروب قبائلية على عادة ذلك الوقت (خاصة مع آل يزيد)، وخلافات وفن.

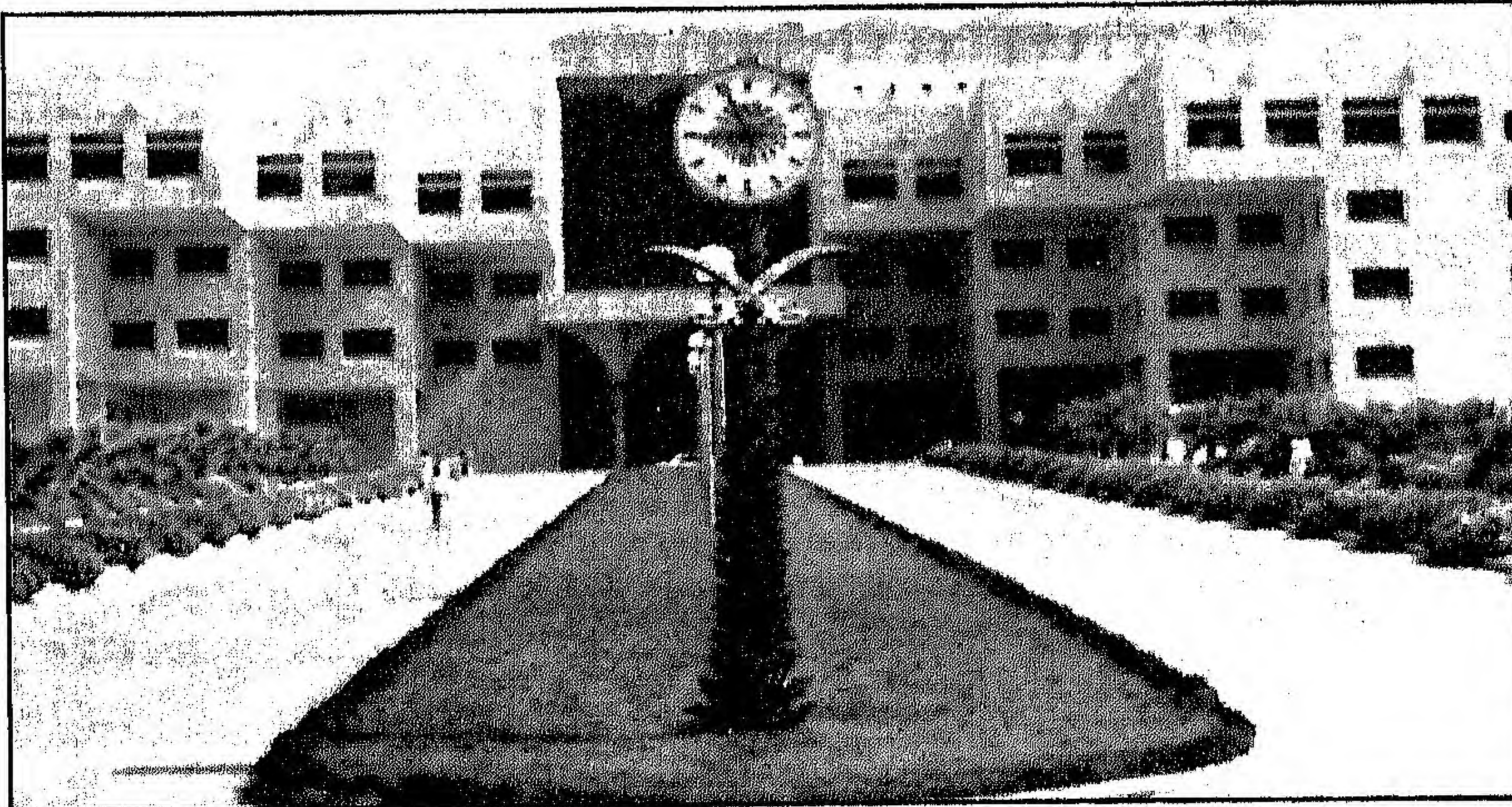
وبعد مانع جاء ابنه ربيعة، ثم موسى بن ربيعة، ثم ابراهيم بن موسى، ثم مرخان بن ابراهيم... وبعد استيلاء بني خالد على الدرعية لمدة نحو ١٥ سنة (١٦٩٥-١٧٠٩)، عادت إمارة الدرعية لكبير فرع آل وطبان من أحفاد مانع المريدي المدعو موسى بن ربيعة بن وطبان. ولكن موسى لم يحسن السيرة، فثار عليه أهل الدرعية، وكان على رأس الثائرين سعود بن محمد بن مقرن، فخلعوه عن الامارة (١٧١٩)، وتولى سعود إمارة الدرعية.

بعد وفاة سعود (١٧٢٤) آلت الامارة إلى زيد بن مرخان الذي اراد غزو العيينة لما رأى فيها الاموال الكثيرة والخيرات الدفاقة. لكن أميرها تمكن من زيد بالحيلة وصرعه مع بعض رجاله، وكان بينهم محمد بن سعود الذي تمكن من النجاة. فعاد إلى الدرعية والتف حوله أهلها وبايعوه بالرئاسة (١٧٢٥).

كانت مدة حكم محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان أربعين عاماً (١٧٢٥-١٧٦٥) قضى نصفها قبل مقدم الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية ونصفها الآخر مع الشيخ، وتزوج إحدى بنات الشيخ.

جاء في فصل «الدرعية وموجز تاريخ أمرائها آل سعود» (من كتاب «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب» لمؤلفه حسين خلف الشيخ خزعل، دار ومكتبة الهلال، بيروت، بلون تاريخ، ص ١٤٩-١٥٨) ان مانع المريدي ينتسب إلى فخذ آل علي من بطن مسلم من قبيلة عنزة أكبر القبائل العربية التي انتسبت إلى أيها عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وديار عنزة في اواسط نجد بينها وبين شمال الحجاز وقد انتشرت منها فروع في بعض البلاد العربية.

وكان مانع يسكن بلدة الساروع من أعمال القطيف في منطقة الاحساء فضايق به العيش في تلك المنطقة ودارت بينه وبين ابن عم له يدعى درع رئيس حجر والجزاعة الواقعتين قرب الرياض مكاتبات حتى دعاه ابن عمه درع للقدوم إليه والنزول بجواره. فقبل مانع هذه الدعوة وهاجر بأولاده وأسرته مع رجال من قبيلته من القطيف، وأتى ابن عمه في حجر فوهبه أرضاً مهجورة قرب الملقى من وادي حنيفة تدعى المليبد وعصيبة، فنزلها ومن معه واتسع بالعمارة والغرس في نواحيها، وأشاد فيها قرية واتخذها سكناً له ولمن معه وسماها «الدرعية» على اسم قرية كانت لهم في نواحي قطيف، وذلك عام ١٤٤٦. وتوارث أبناء مانع وأحفاده رئاسة العشيرة،



حرم جامعة الملك سعود في الدرعية.

كانت الربذة أهم محطات طريق الحج بين الكوفة ومكة المعروف بـ«درب زبيدة» نسبة إلى زبيدة أم جعفر زوجة الخليفة الرشيد. وبلغ عددها ٢٧ محطة عدا الاستراحات الصغيرة المعروفة باسم «المتعشي» وهي المحطة بين محطتين رئيسيتين. وأطلال بعض هذه المحطات لا تزال ظاهرة.

كشفت الحفريات الأثرية عن وجود مسجدين في موقع الربذة. كما عثر على حصن أو نموذج لقصر عربي محصن في ساحته الداخلية خزانات أرضية لحفظ المياه، وعلى موضع لصهر الزجاج. وعثر على وحدات سكنية متصلة تجمع بين المساكن والأسراق، وخزائن لحفظ الحبوب. وهناك أيضاً سلسلة من التلال الأثرية كشفت عن ان المنطقة شهدت فترتين سكنيتين.

وعثر على كثير من شواهد القبور والكتابات الجدارية وكتابات أخرى على عظام الجمال، تعود إلى نهاية القرن الهجري الأول، وعلى أدوات خشبية، مثل المشاط وأدوات للغزل وأنوال وبعض الأثاثات الخشبية والعاجية، وعلى أدوات حجرية استخدمت للطبخ، ومباخر تعود زخارف بعضها لفترات سابقة للإسلام.

وفي ما يتعلق بالمسكوكات عثر على درهم ساساني (٧٠٥-٧١٥)، ودرهم فضية تعود إلى العصر العباسي.

* رُجال: قرية على بعد ٧٠ كلم إلى الغرب من مدينة أبها. ولارتباطها التاريخي بقبيلة ألمع أصبحت تعرف بـ«رُجال ألمع». ملتقى طرق التجارة القديمة وأحد مراكزها المهمة حتى العهد السعودي. أبينها الحجرية القديمة التي يزيد عمر بعضها على ٦٠٠ عام وما زالت مأهولة هي أهم معالمها التاريخية.

حول الأهالي قصر مسمار الذي شُيّد في ١٥٢٢ من خمسة أدوار ويعود لأسرة «آل علوان» إلى متحف جمعوا له ما يحتفظون به من تراث الأجداد، وافتتحه الأمير الشاعر خالد الفيصل أمير منطقة عسير في ١٩٨٦، وأطلق عليه إسم «معرض ألمع الدائم للتراث».

* رقعات: راجع «الأخدود» في هذا الباب.

* الرياض: عاصمة المملكة العربية السعودية. تقع في وادي حنيفة الذي يمتدّ في غربي طويق ثم يتجه نحو الخليج العربي. فهي مدينة صحراوية، ورغم قسوة الجو

واستطاع الأمير محمد بن سعود بما أظهره من اللهاء والحكمة ان يقرّ الأمن في الدرعية، ويقضي على النسائس. وكانت ادارته على اسلوب عشائري بدائي لبلدة صغيرة لم يتجاوز عدد بيوتها يومئذ السبعين بيتاً. أما ازدهار الدرعية فبدأ في السنة التي هاجر إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٤٤)، ومبايعة الأمير محمد بن سعود له على حماية دعوته. فبدأت الدرعية تلقي رسالتها وتبني نهضتها وتشيّد أسس دولة جديدة في نجد وغيرها من بلاد جزيرة العرب.

ولما ضاقت دار الشيخ بالطلاب والمصلين، أمر محمد بن سعود ببناء مسجد يتسع لجميع المصلين، واشترك بينائه أهل الدرعية وتلامذة الشيخ وأتباعه. وجرى التآخي بين المهاجرين وأهل الدرعية، وحفز الشيخ الجميع على العمل. وكان لحلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود من شأن ديني وسياسي وعسكري تعاضم يوماً بعد يوم.

من أهم معالم الدرعية: قصر سلوى الذي وضعت دعائمه الأولى في عهد الأمير محمد بن مقرن، واستكمل في عهد الامام محمد بن سعود بن مقرن (١٧٢٥-١٧٦٥) مؤسس الدولة السعودية الأولى، وكان مقراً للأمراء وأئمة آل سعود طوال حكم هذه الدولة. ومسجد الإمام محمد بن سعود (مسجد الطريف)، وقصر الإمام عبد الله بن سعود، ويعد أكبر قصور منطقة الدرعية، ونجد عموماً، وأقيم على مساحة تقارب عشرة آلاف متر مربع. ومسجد وسبالة موزني المرجح ان بناءهما اكتمل خلال الفترة السعودية الأولى، وبدأ استخدامهما في القرن الثامن عشر عندما كانت الدرعية في أوج ازدهارها وتوسعها العمراني.

في العصر الحديث، أعيد استيطان مدينة الدرعية، ومنح الامراء كثيراً من مساكنها القديمة للمواطنين في شكل هبات أو عطايا.

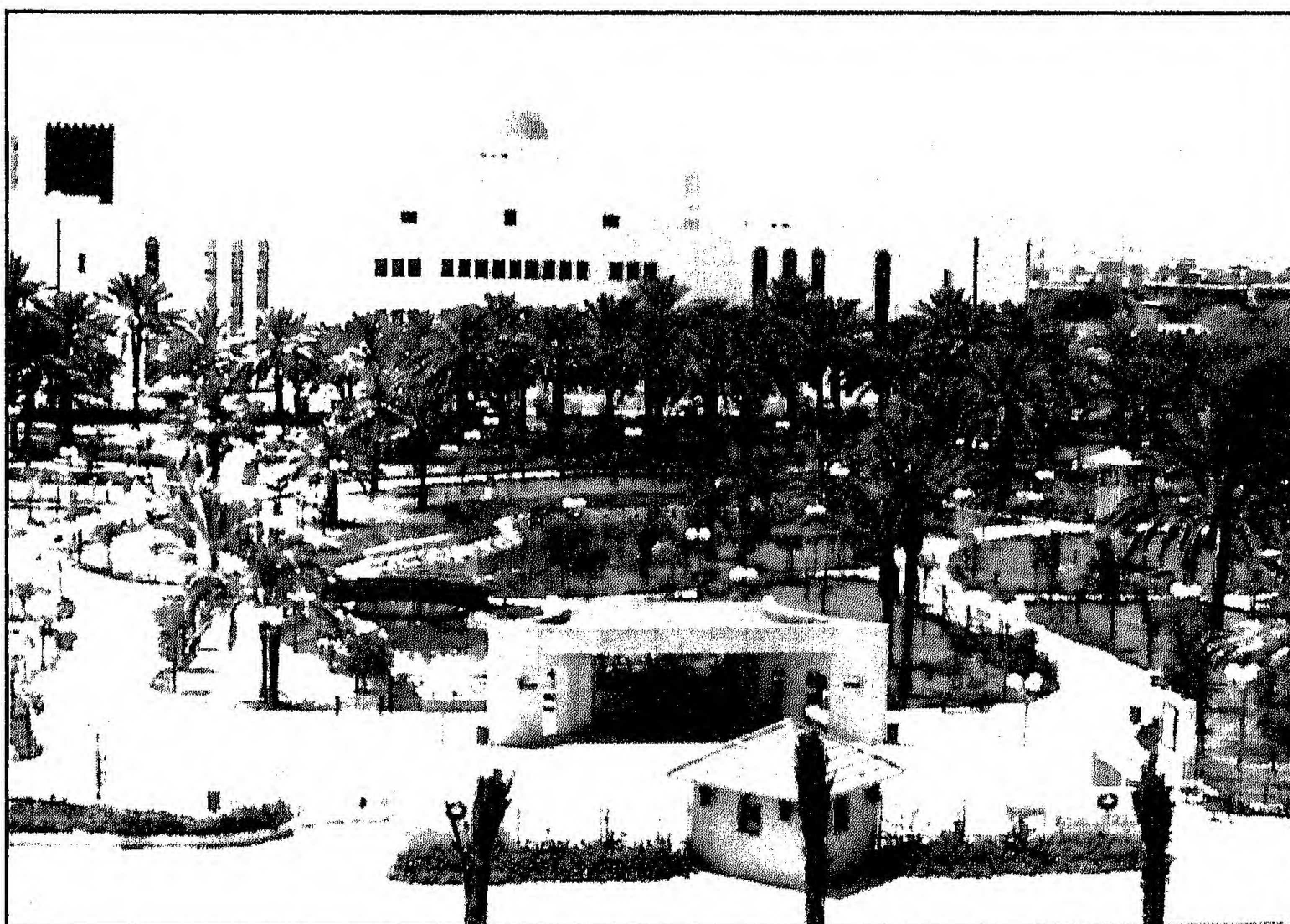
* الدمام: راجع «المنطقة الشرقية» في هذا الباب.

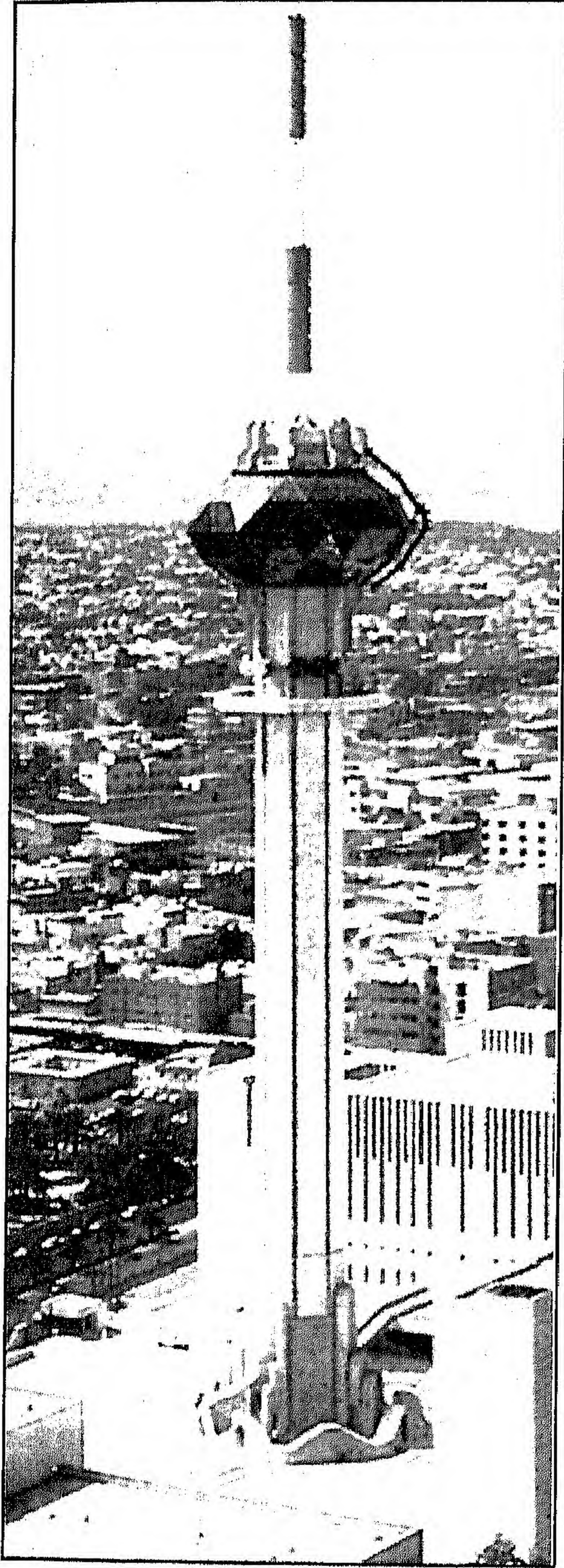
* دومة الجندل: راجع «الجوف» في هذا الباب.

* الربذة: تبعد مدينة الربذة ٢٠٠ كلم جنوب شرقي المدينة المنورة على حافة جبال الحجاز الغربية. ارتبط إسمها بالصحابي الجليل أبي ذر الغفاري الذي سكنها في سنة ٣٠هـ (٦٥١-٦٥٢) زمن الخليفة عثمان بن عفان واختط بها مسجداً.

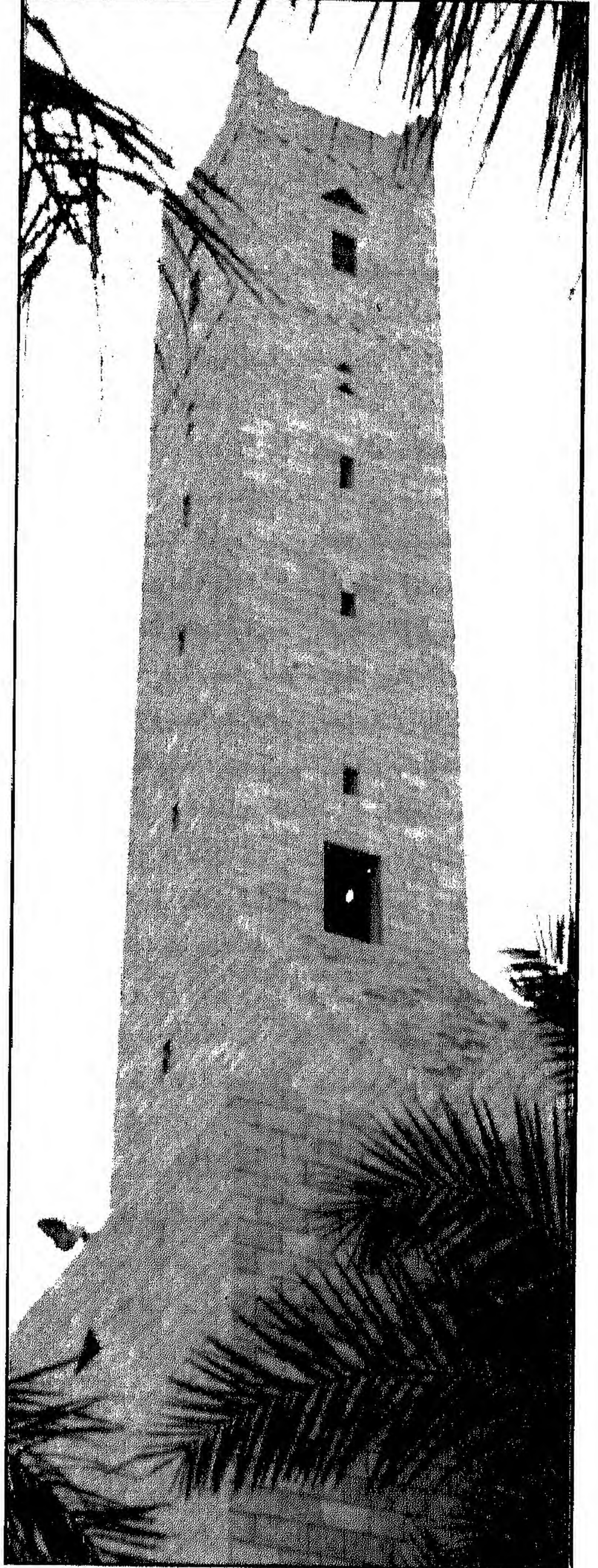


بعض أبنية قصر الحكم (أعلى) ومكتبة الملك فهد في الرياض.





منظر عام لبرج الباسماليين في الرياض.



مئذنة جامع الامام تركي بن عبد الله.

أمكن وفق خطة مدروسة توفير مصادر المياه لنشر الرقعة الخضراء وتوفير مختلف جوانب الحياة الحضرية العصرية المزدهرة. فتمت المدينة بمعدلات تفوق القياس، وانتشر فيها العمران على مساحة بلغت ١٦٠٠ كلم م.

قدر عدد سكانها في ١٩٩٣ بنحو ٢،٣ مليون نسمة، وكان نحو ١،٣٨٩ مليون في ١٩٨٧، وذلك بنسبة نمو سنوي تصل إلى ٨٨٪ والتي يرجع ارتفاعها إلى عوامل أهمها استمرار الهجرة الداخلية إلى مدينة الرياض بمعدلات كبيرة تصل إلى ٦٥ ألف نسمة سنوياً، وارتفاع معدلات المواليد إلى جانب التدفق الكبير للسكان غير السعوديين.

تشير التقديرات إلى أن عدد سكان مدينة الرياض سيصل إلى ما يفوق ٣ ملايين نسمة في العام ٢٠٠٠، وسيمثل السعوديون ما يقارب نسبة ٦٦٪ من مجموع سكانها. وزاد التوظيف في المدينة بين ١٩٨٧ و ١٩٩٣ بنسبة ٣١٪، أكثر من نصفهم من القوى العاملة غير السعودية. لكن السعوديين يشغلون غالبية الوظائف الإدارية حيث باتوا يشكلون في ١٩٩٣ نحو ٧٢٪ من مجموع المديرين والإداريين بعد أن كانت نسبتهم ٦٢٪ في ١٩٨٧، في ما حدث انخفاض في نصيب السعوديين في الفترة نفسها في وظائف المبيعات والخدمات حيث وصلت نسبتهم إلى ٣٥٪ بعد أن كانت تبلغ ٥٣٪. وتشتمل الرياض على مدينتين جامعتين متكاملتين تضماني جامعتين عريقتين هما: جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كما تضم الرياض العديد من الكليات العسكرية والأمنية والمتخصصة إضافة إلى المعاهد والمراكز الإعلامية والثقافية والمكتبات العامة. ولها أمانة و ١٧ بلدية فرعية لخدمة أحيائها العديدة.

من أهم المباني الأثرية في الرياض «قصر المصمك» الواقع في الحي القديم وسط المدينة والذي يحتل مكانة متميزة في تاريخ المملكة. فعلى أبوابه بدأت قصة توحيد أرجاء المملكة في العام ١٩٠٢ عندما نجح الملك عبد العزيز في الاستيلاء عليه. وقصر المصمك (أو المسمك) اكتسب تسميته باعتباره للمبنى القوي والقصر السميكة المرتفع الجدران. كان داراً للسكن ومقرّاً للحكم وبيتاً للمال. انتهى بناؤه في العام ١٨٦٥ على يد الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي، والمادة الأساسية في البناء اللبن والطين المزوج بالطين وهي الطريقة التقليدية السائدة آنذاك.

اتخذ عبد العزيز، بعد استرداد الرياض، قصر الديرة المجاور لقصر المصمك، مسكناً له ولأسرته. وفي ١٩٣٨، انتقل من قصر الديرة واختار المنطقة الواقعة خارج السور

الشمالي للرياض التي كان يطلق عليها إسم «أبر رفيع»، وعرفت في ما بعد باسم «المربع» بعد بناء المدينة السكنية الملكية، وبنى فيها أول قصر للملك. وكان البناء بدأ في ١٩٣٧ واستمر حوالي عشر سنوات استكمل فيها الشكل العام للمدينة الملكية الذي اتخذ شكلاً مربعاً، وعرف القصر باسم الديوان وأصبح قصرًا للحكم، وبلغ عدد العمال والفنيين الذين بنوا القصر حوالي أربعة آلاف شخص.

وفي حي المربع يقع متحف الآثار والتراث الشعبي في الرياض المعثر واحداً من أبرز المتاحف السعودية. بناؤه حديث، وترجع فكرته إلى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز، وتحقق في عهد الملك خالد بن عبد العزيز. يضم أحدث المنقطعات الأثرية التي جمعت من مختلف مناطق السعودية خصوصاً ما تم العثور عليه في ميناء «عثر» الإسلامي، أحد أقدم الموانئ في شبه الجزيرة، وفي مناطق التمامة وقيماء... ولوحات لمواقع أثرية ترجع إلى أواسط العصر الحجري... ونماذج ورسومات للطراز المعماري القديم التي كانت منتشرة في شرقي السعودية خلال عصر «العبيد».... وخرائط للطرق التجارية المعروفة في الألف الثالث وأوائل الألف الثاني ق.م.... وفي المتحف قسم يستعرض مراحل تطور الكتابة العربية من خلال مجموعة من اللوحات، مبيناً أن الفضل في اختراع الكتابة يرجع إلى الشعب السومري في جنوبي العراق. وفي إحدى القاعات علقت نماذج من المعلقات الشعرية السبع الشهيرة في الأدب العربي. وهناك قسم آخر في المتحف مخصص للفتوحات الإسلامية الكبرى خلال عهد النبوة وما بعده.

في المتحف أدلة معروضة تؤكد أن هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان منذ حوالي ثلاثين ألف سنة، إذ تشير إلى مدينة تدعى «حجر» كانت عاصمة لاقليم اليمامة الذي يحمل الآن إسم نجد، وكانت موطناً لقبيلتي طسم وجديس البائدتين. وقد عاصرت حجر عهد الخلفاء الراشدين والعهود الأموي واستمرت حتى عهد العباسيين.

كانت الرياض تابعة للدولة السعودية الأولى، ثم أصبحت قاعدة للدولة السعودية الثانية (١٨٢٤)، وهو العام الذي دخلها الإمام تركي بن عبد الله واتخذها قاعدة للملكة. وتعرضت الرياض بعد ذلك لسلسلة من الحروب هدمت خلالها أسوارها وقصورها، ولم تعرف الاستقرار إلا بعدما استرجعها الملك عبد العزيز في كانون الثاني ١٩٠٢.

غير أن المدينة لم تشهد أي تغيير من الناحية العمرانية حتى بداية الخمسينات من هذا القرن باستثناء بناء الأسوار من جديد وتوسيع وإعادة بناء القصر القديم ليصبح مقراً

للحكم. ولهذا تكتسب منطقة وسط الرياض (منطقة «قصر الحكم» كما تسمى الآن) أهمية خاصة من الناحية التاريخية، فهي مقر الحكم منذ نشأة الدولة السعودية الثانية، ومنطلق جهاد الملك عبد العزيز لتوحيد المملكة العربية السعودية.

وقد بدأ الإعداد لتطوير منطقة وسط الرياض في ١٩٧٦، واشتمل العمل على: مباني إمارة وشرطة منطقة الرياض (وانتهى في ١٩٨٥) وقصر الحكم وجامع الإمام تركي بن عبد الله، وميدان العدل، وساحة الإمام محمد بن سعود، وساحة المصمك (بدأ العمل بها في ١٩٨٨ وانتهى في ١٩٩٢).

واستعداداً للاحتفاء بمرور مائة عام على دخول عبد العزيز الرياض (شوال ١٣١٩هـ - ١٤١٩هـ) كانون الثاني ١٩٠٢ - ١٩٩٩ م)، وضمن الخطة الشاملة لتطوير وسط المدينة الرياض، أعطى الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض، في أيار ١٩٩٧، إشارة البدء لإنشاء مركز الملك عبد العزيز التاريخي الذي تبلغ مساحته ٣٧٤ ألف متر مربع ويقع في منطقة المربع الذي يحتوي على مجموعة من المباني التاريخية.

* سوق عكاظ: راجع «الطائف» في هذا الباب.

* صالح وثمود: راجع «مدائن صالح وحمود» في هذا الباب.

* الطائف: من أهم مدن المملكة، تقع على قمة جبل غزوان على ارتفاع ١٧٠٠ م فوق سطح البحر، ويصل ارتفاع الجبال المحيطة بها إلى ٢٥٠٠ م أكسبها مناخاً جميلاً ومناظر طبيعية خلابة جعل منها أهم مصيف في المملكة. فقد كانت مصيفاً لأهل مكة على مر العصور، وتحولت بعد أن افتتحها عبد العزيز آل سعود في ١٩٢٢ إلى مدينة عصرية حديثة، وتعد حالياً المقر الصيفي للحكومة السعودية وفيها مقر للديوان الملكي وديوان ولي العهد ومجلس الوزراء وقصر المؤتمرات ومجمع لفسرود الوزارات الحكومية إضافة إلى عدد من أرقى الفنادق في العالم.

واشتهرت الطائف على مر العصور بزراعة الورد ولا سيما الفل والورد والقرنفل والنعناع، حيث تمتد المساحات المزروعة به إلى عشرات الكيلومترات في مناطق الهدا والشفاء وبلاد الطلحات والطويق وبعض الأودية.

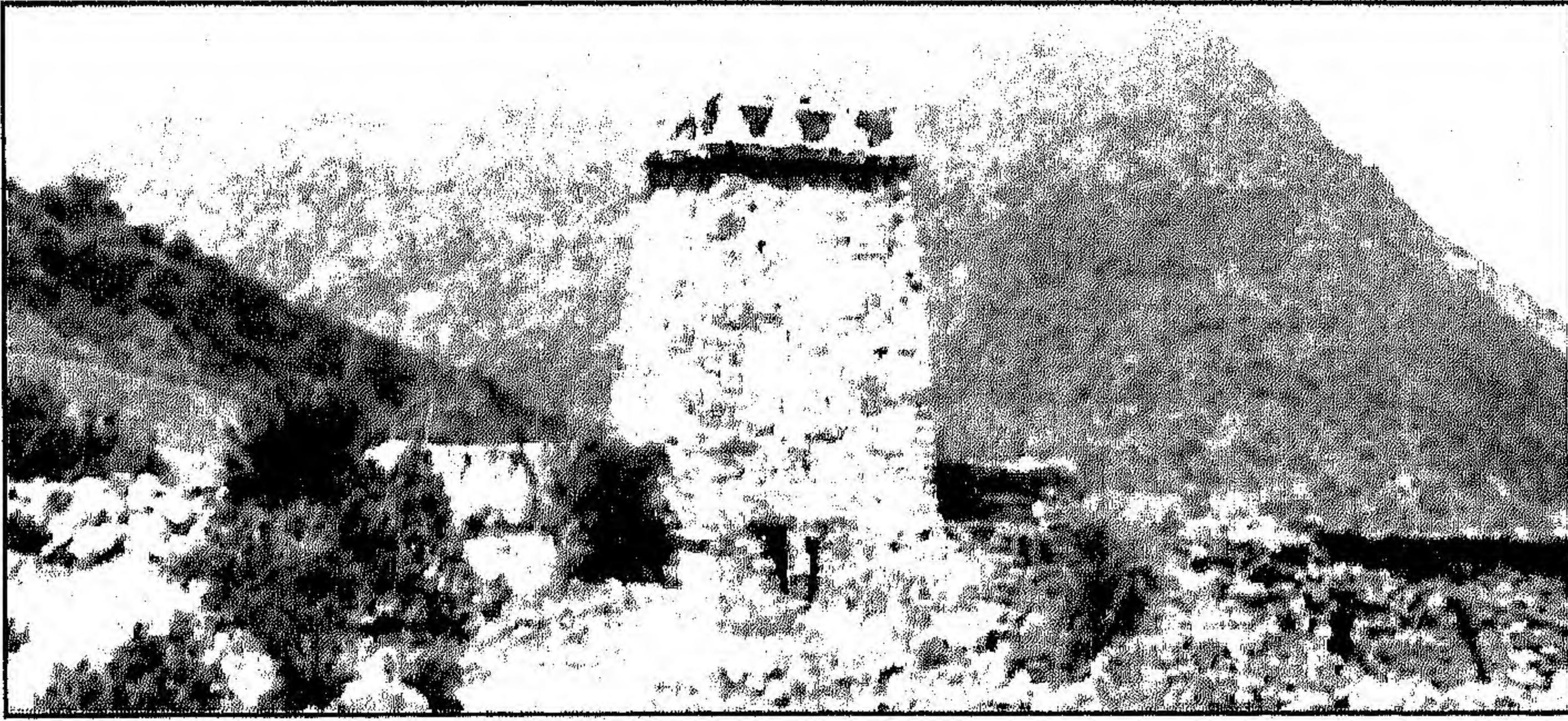
في الطائف عقدت في ١٩٣٤ الاتفاقية المعروفة بـ«اتفاقية الطائف» بين السعودية واليمن. وعقد فيها بعض أهم المؤتمرات وأبرمت فيها اتفاقات مشهورة، مثل أول مؤتمر للقمة الإسلامية، ومؤتمر الطائف (لبنان) واتفاقية الطائف (اليمن وأفغانستان)، وأنشئ حديثاً قصر المؤتمرات وهو قادر على استضافة أكبر المؤتمرات والاجتماعات الدولية. وفي الطائف حلت الحكومة الكويتية ضيفاً على المملكة العربية السعودية إبان حرب الخليج الثانية.

يقال إن المدينة كانت تسمى قديماً بـ«وج» نسبة إلى وج بن عبد الحلي أحد أبناء العماليق، وإن القبائل العربية كانت تحج إليها من قبل الإسلام لتطوف حول صنم «اللات» الذي هدمه المغيرة بن شعبة عند الفتح الإسلامي في عهد النبوة. وكانت الطائف أول مدينة قصدها الرسول عندما قرّر الخروج من مكة.

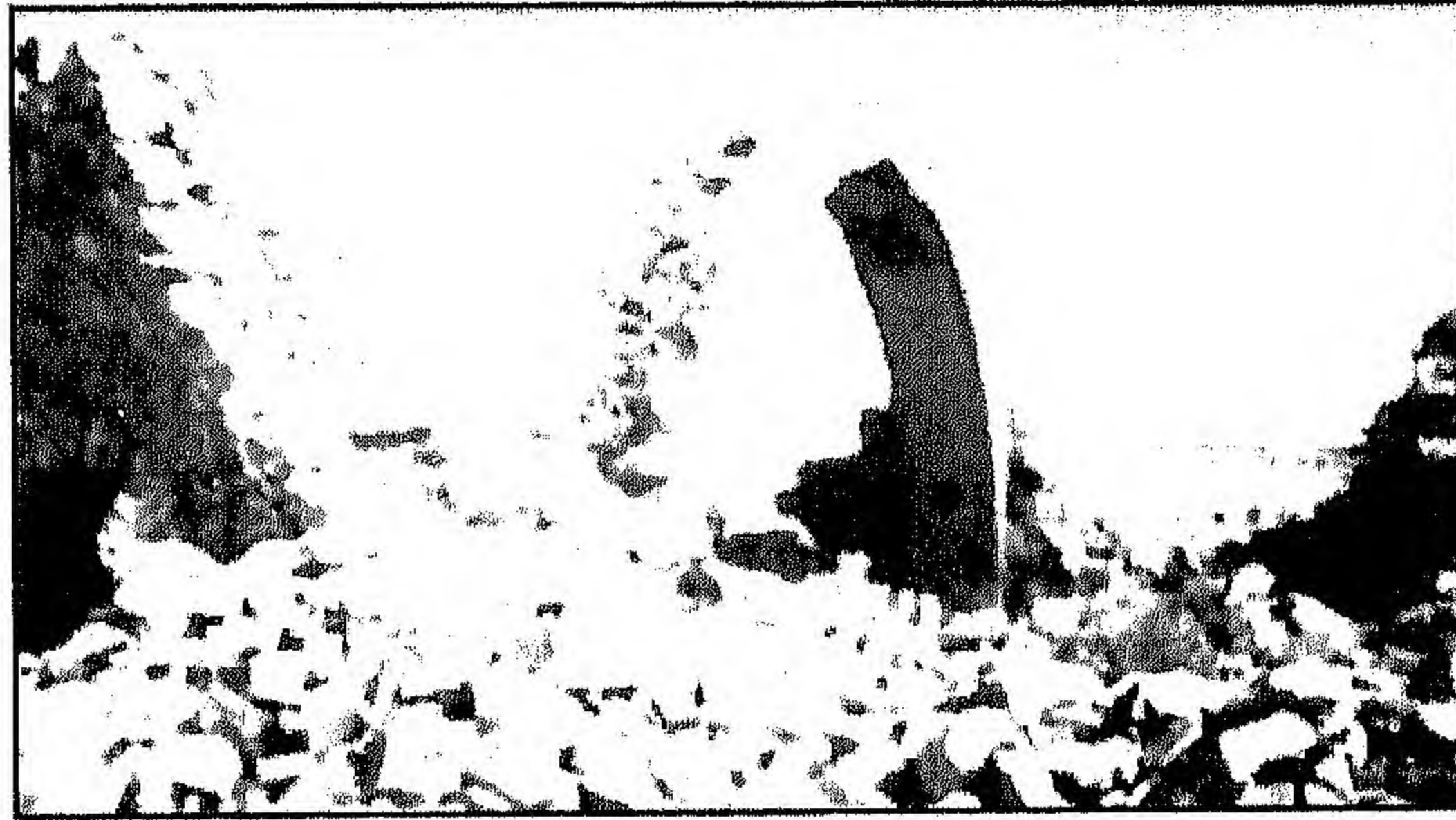
وترتبط ذاكرة الطائف التاريخية أكثر ما ترتبط بـ«سوق عكاظ»، أشهر أسواق العرب التجارية والأدبية عبر التاريخ، وكانت ملتقى القبائل العربية، تعقد سنوياً في مطلع شهر ذي القعدة ويستمر حتى العشرين منه.

«نار جدل كبير بين أدباء الطائف ومؤرخيها حول تحديد موقع عكاظ استمر أكثر من عامين إلى أن عقد محافظ المدينة بالنيابة فهد بن عبد العزيز بن معمر في شهر تموز (١٩٩٦) اجتماعات لعدد من كبار المؤرخين وعلماء الآثار والأدباء والمحققين والباحثين خرجوا منها باتفاق على تحديد موقع السوق (سوق عكاظ) ووضع حد للادعاءات والمزاعم. وقد اعتمدوا في تحديد الموقع على تطبيق المعلومات والشواهد المنصوص عليها في أرجوزة «الحج» لعيسى بن أحمد الرادعي التي تحدد موقع السوق على أرض الواقع، وبالاعتماد أيضاً على أقوال الأصمعي وتاريخ الهمذاني والبكري وغيرهم من العلماء والمؤرخين القدماء، والمحدثين من أمثال حمد بن بليهد، وحمد الجاسر، وعاتق بن غيث البلادي، واتفق الجميع على أن السوق (سوق عكاظ) كانت في الموقع الذي يحده من الشمال جبل الخالص والمبعوث والعرفاء شمال شرقي الحوية، ومن الشرق الحريرة ومن الغرب وادي الأخيضر ووادي شرب وجبال الصالح ومدسوس، والعيلاء والسرايا من الجنوب، وأن مساحته تقدر بنحو ٢×٤ كلم في مكان يبعد نحو ٤٠ كلم شمالي الطائف» («الوسط»، العدد ٢٤٢، تاريخ ١٦ أيلول ١٩٩٦، ص ٥١-٥٢).

* الطوير: راجع «الجوف» في هذا الباب.



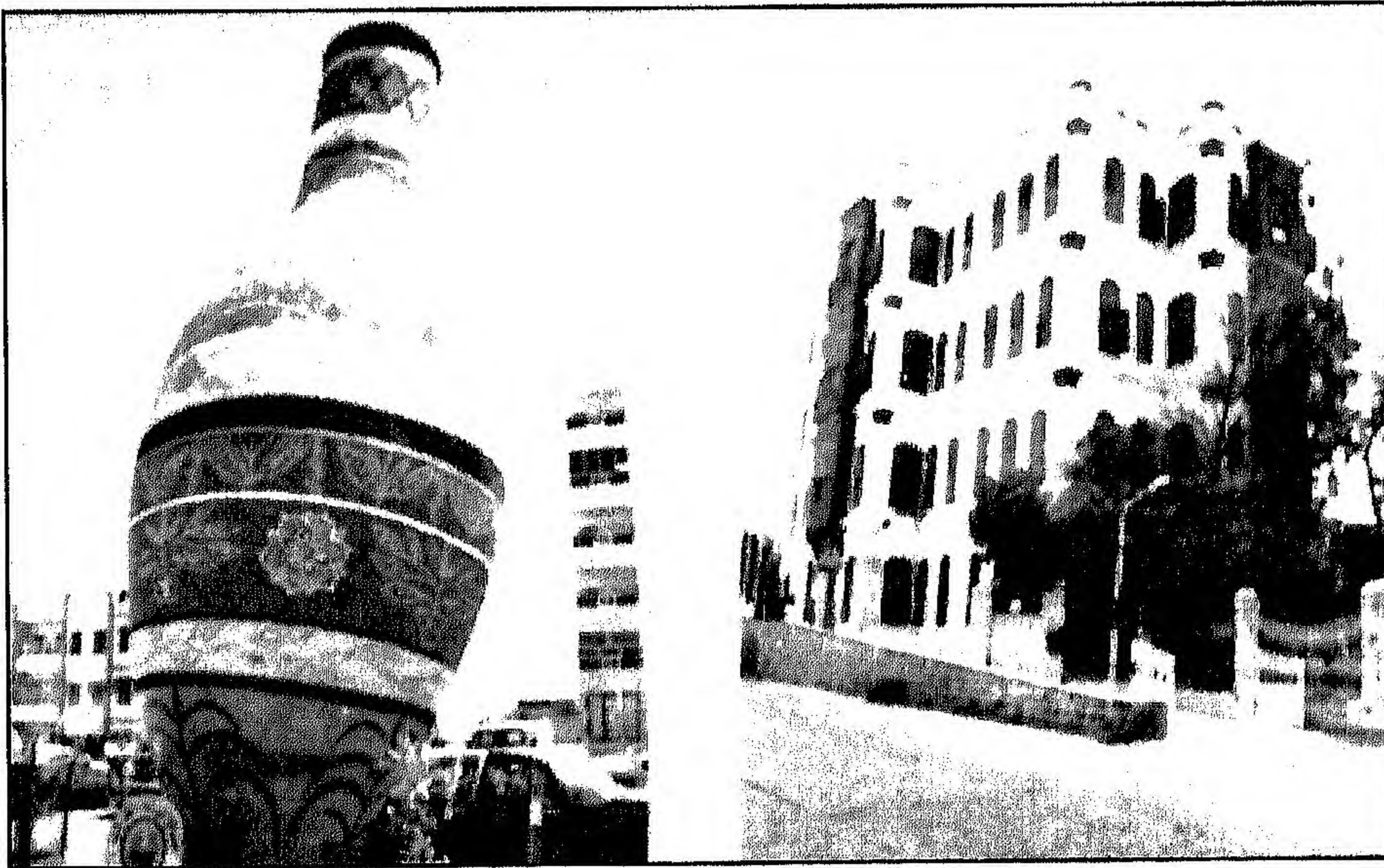
قلعة تاريخية في الشفا (الطائف).

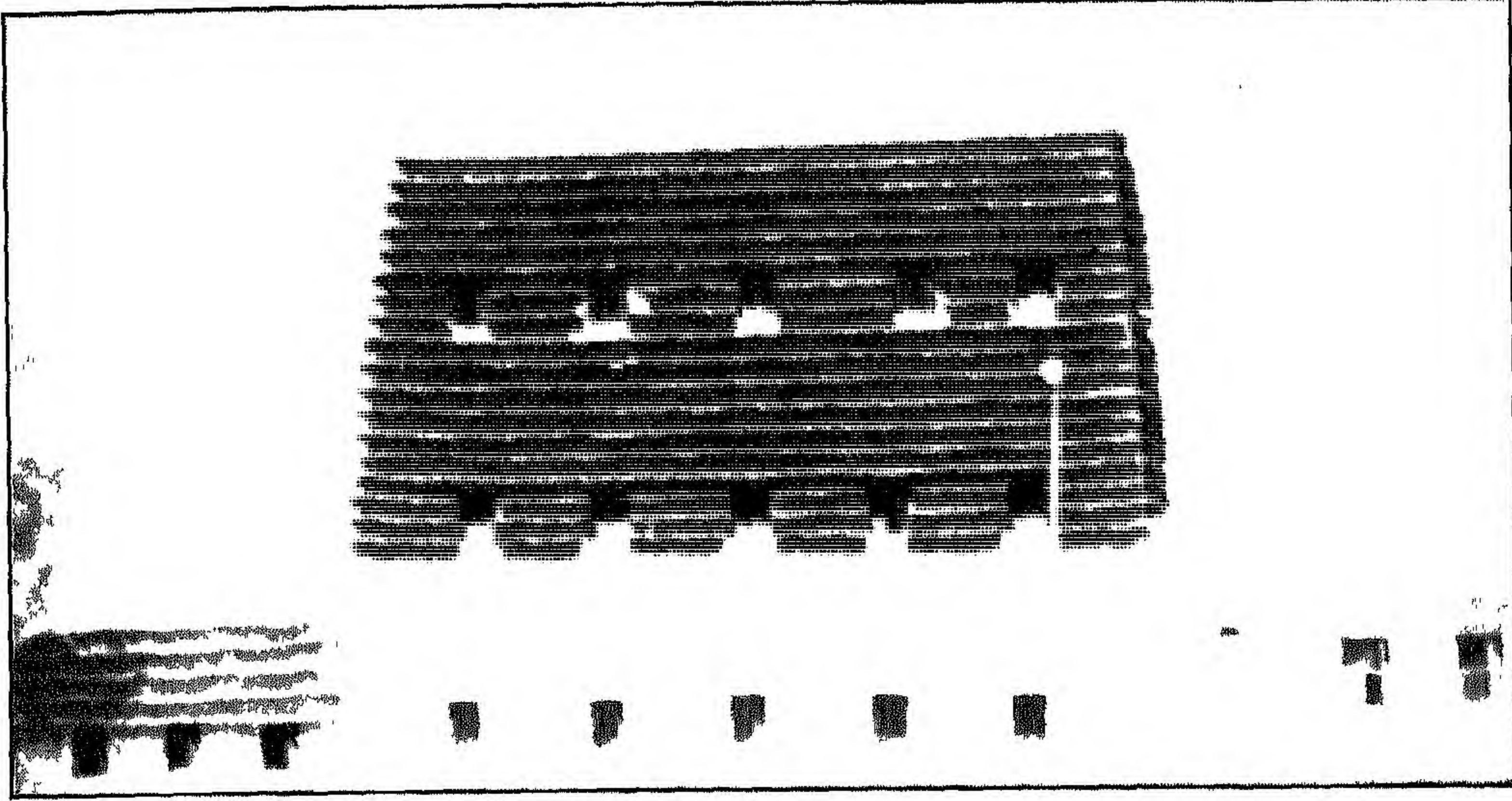


حيث اتفق العلماء
والمؤرخون انه موضع
سوق عكاظ.

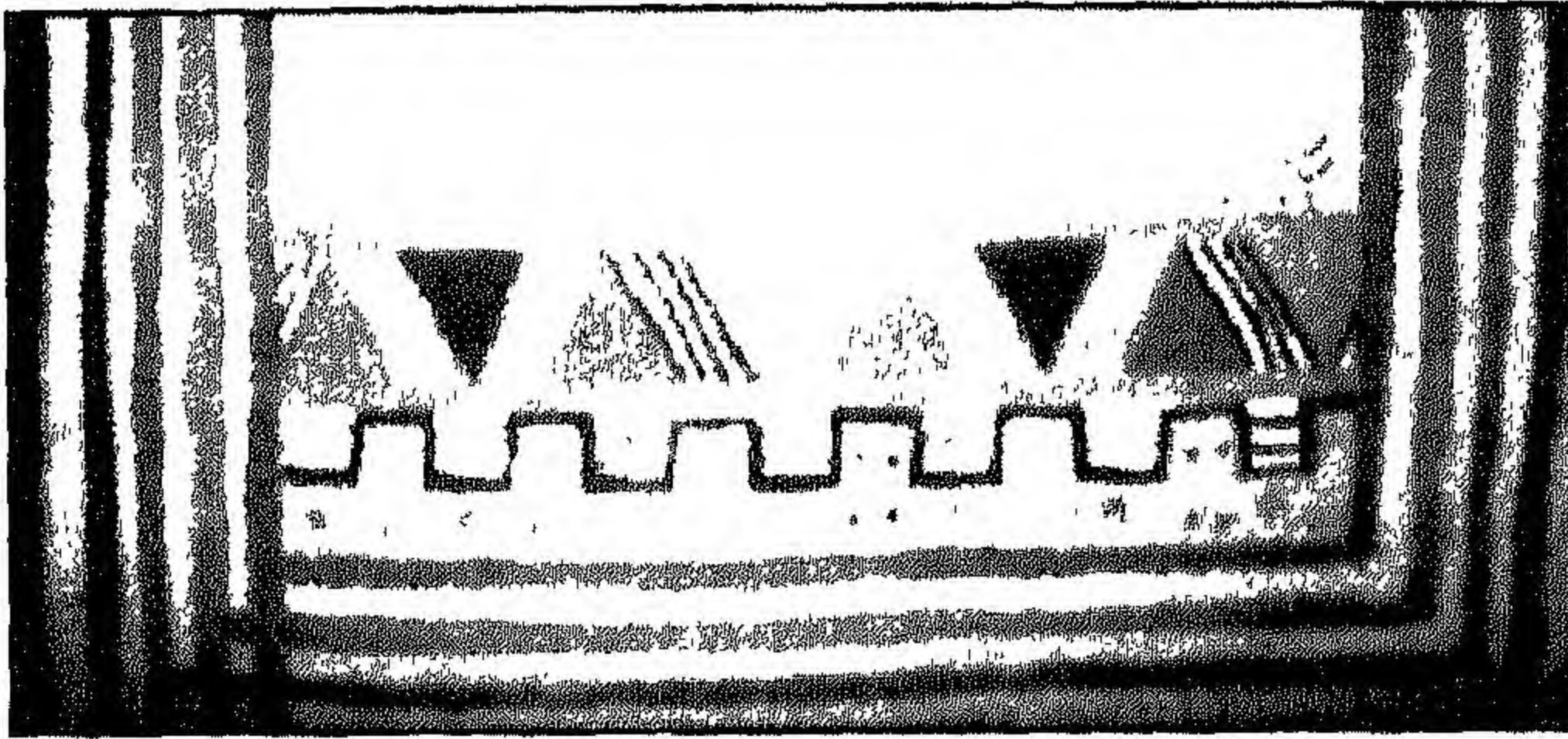
قصر شيرا.

أحد ميادين الطائف.



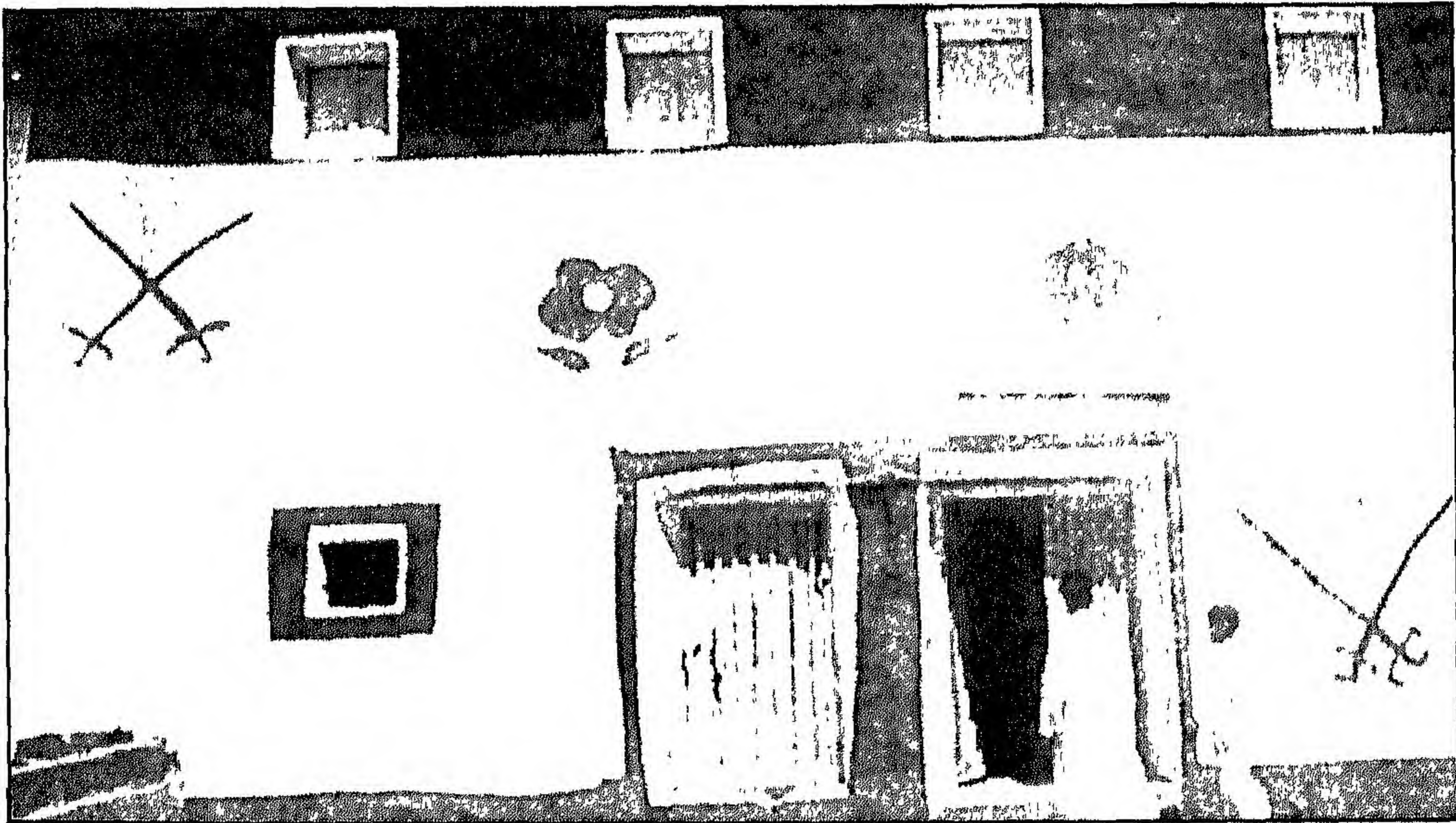


نموذج من العمران التقليدي في عسير.



رسوم داخل منزل عسيري...

... وعلى الجدران الخارجية لمنزل آخر.





أطلال سوق الفاو القديمة.

مستغرباً نظراً إلى الوجود الأفريقي المزمّن، إذ يذكر البعض ان الحبشيين ظهرُوا في المنطقة في القرن الثاني ق.م. وميزة عسير عن سواها من أرجاء المملكة لا تتوقف عند الفن المعماري سواء للبيوت التي كثيراً ما تطرز بالألوان سواء من الخارج أو الداخل وتبدو فريدة وجميلة، أو الابراج والحصون، بل تعداها إلى عادات أهلها وتقاليدهم.

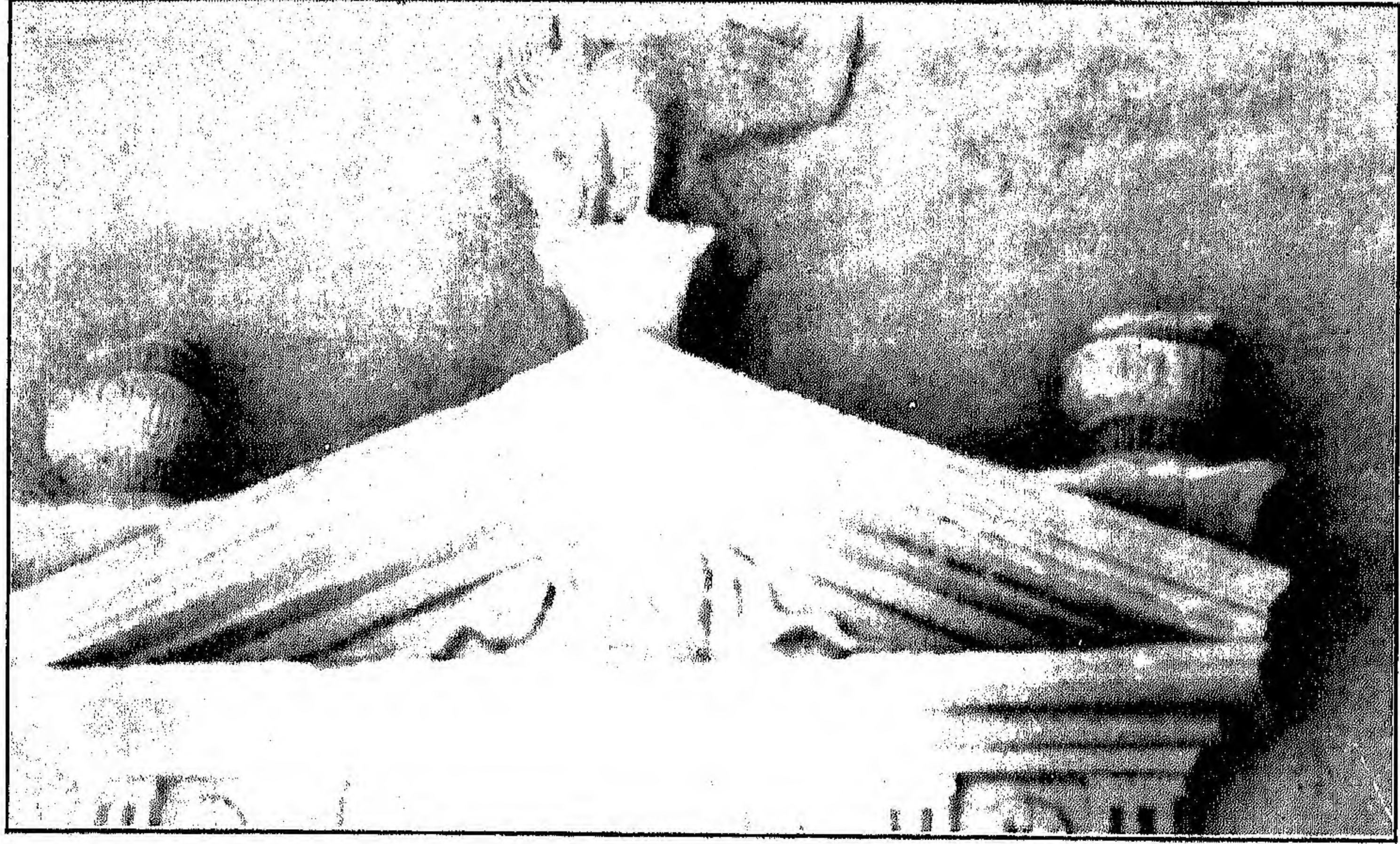
* الفاو: قرية سعودية تبعد نحو ٧٠٠ كلم جنوب غربي الرياض في المنطقة التي يتداخل فيها وادي الدواسر ويتقاطع مع جبال طويق على حافة الربع الخالي، عند فوهة بحري قناة تسمى الفاو نسبت المدينة إليها. وهي في ملتقى طرق القوافل حيث الطريق التجاري الذي يربط بين جنوبي الجزيرة وشمالها الشرقي.

كشف الحاج عبد الله فيلبي (راجع «معالم تاريخية») عنها، في ما كشف عن مواقع أثرية في الجزيرة العربية أثناء عبوره الربع الخالي وكتب عنه في المجلة الجغرافية الملكية البريطانية. و«عند عودتي من بريطانيا (يقول الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري، عالم الآثار السعودي وعميد كلية الآداب في جامعة الملك سعود في الرياض) في العام ١٩٦٦ فكرت في اختيار موقع للتنقيب يكون بداية انطلاقاً للآثار في المملكة، وبعد قراءات عدة اخترت الفاو».

* الظهران: راجع «المنطقة الشرقية» في هذا الباب.

* عسير: تعتبر عسير، المنطقة الواقعة جنوب غربي السعودية والتي تعد أكثر من أربعة آلاف بلدة وقرية، (قاعدتها مدينة أبها)، من أكثر المناطق السكانية كثافة في شبه الجزيرة العربية. وهي تتميز بجبالها الشاخنة التي تصل إلى ارتفاع ٣ آلاف م، وسهولها المنبسطة وسواحلها، علاوة على كونها تسجل أعلى معدلات سقوط الأمطار في أنحاء المملكة.

ويرجع بعض المؤرخين إسم «عسير» إلى مسالكها العسيرة، والبعض الآخر يرجعه إلى قبيلة عسيري التي حكمت المنطقة طويلاً. والقبيلة من أصول حبشية، إذ كانت عسير في ما مضى محطة تجارية للقوافل. وهي عرفت سابقاً بأنها بلاد السراة. وتتميز عسير بسمات خاصة سواء في العمارة والزري والموروثات الشعبية، واعتمدت في عمارتها على مواد أولية من الطين والحجر والخشب. وثمة اعتقاد ان هذه المنطقة كانت جزءاً من القارة الأفريقية قديماً قبل تكون البحر الأحمر، ويظهر ذلك في منطقة تهامة عسير حيث تنتشر الأكواخ شبه الأفريقية مصممة من اللبن والأغصان اليابسة ومسقوفة بالأعشاب الجففة ومصقولة على شكل البيضة. لذا فإن تواجد هذه الأكواخ لم يكن



نقوش إحدى مقابر مدائن صالح.

وعثر كذلك على تمثال نصفي من البرونز لامرأة يمكن ان تكون المعبودة «مينرفا» رمز الحكمة عند الرومان، وعلى أواني وأدوات خشبية وعظمية وعاجية، وعلى مسكوكات ضربت في بلاد مختلفة، إضافة إلى ما ضرب منها في الفاو ويحمل رسم معبودها الرئيسي «كهل» (عن تحقيقين لعماد الغزالي، «للحياة»، العددان ١٠٩٢٦ و ١٠٩٣١، تاريخ ١٠ و ١٥ شباط ١٩٩٣).

* القطيف: راجع «المنطقة الشرقية» في هذا

الباب.

* الكعبة الشريفة: راجع «مكة المكرمة» في هذا

الباب.

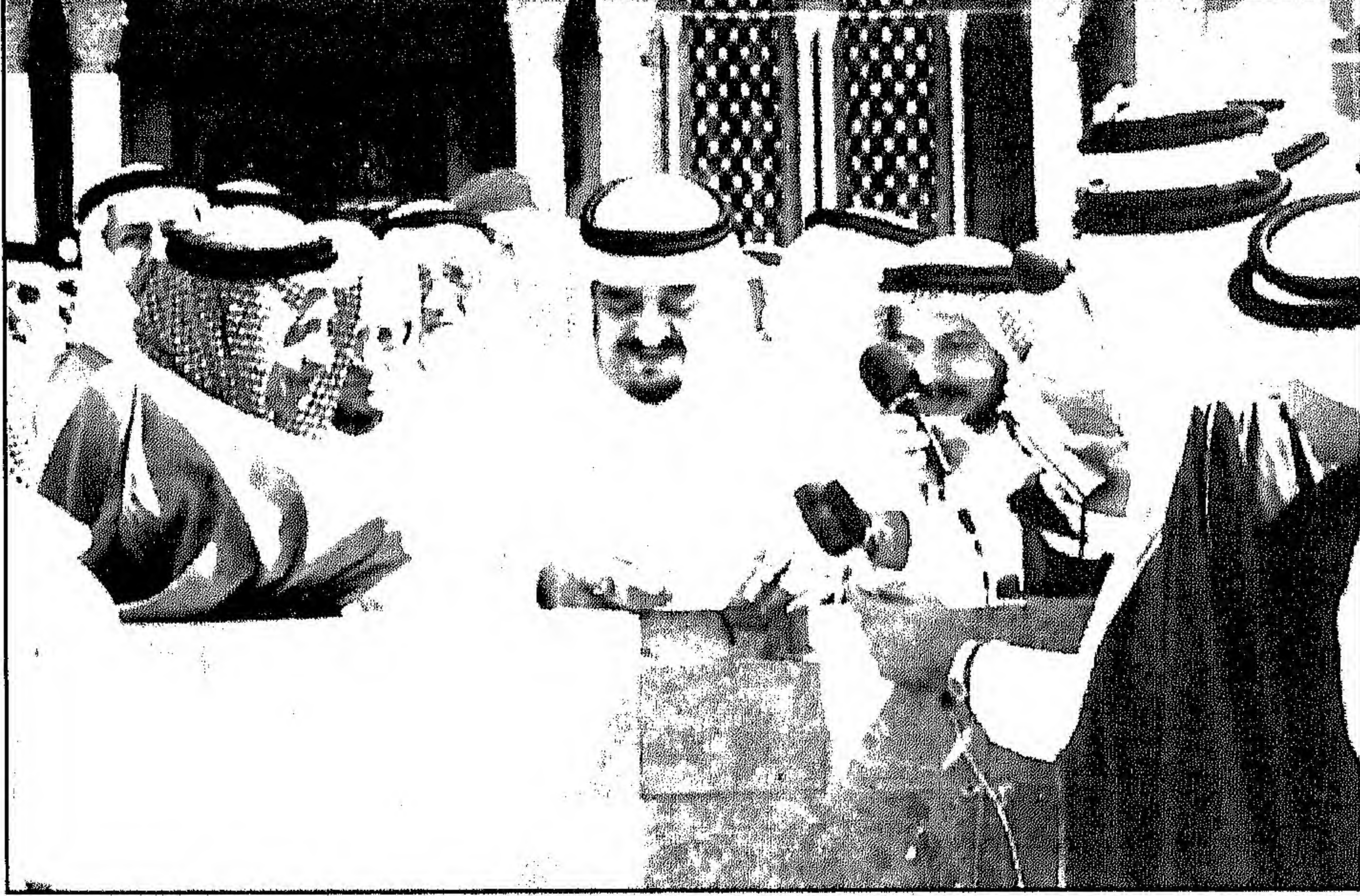
* المخض: إسم لقرية تبعد ٨ كلم غربي مدينة أبها (في عسير)، وتمثل نموذجاً للقرى الحصينة في هذه المنطقة والتي كانت مستقرة لأبنائها، فكان تحصينها ضرورياً لحمايتهم. فشيدت الأبنية والدور من الحجر القوي، ويتفاوت سمك الجدار الواحد بين ١١٠ و ٢٧٠ سم مما يؤكد نية توفير الحصانة.

في القرية عدد من الحصون والقلاع. وتاريخ إنشاء القرية ما زال مجهولاً، ولكن يمكن الاستدلال عليه من خلال التاريخ المثبت على مسجلها المميز، فهناك لوحة جدارية مخفورة عليها تاريخ إنشاء المسجد في العام ٢٥٣هـ أي قبل نحو ١١٦٢ سنة.

وقد أظهرت «عمليات البحث والتنقيب التي تمت بطاقات عربية مئة في المئة» حتى أوائل ١٩٩٣ عن ان الفاو كانت عاصمة لدولة قوية لعبت دوراً في تاريخ الجزيرة العربية حوالي ستة قرون هي دولة كندة (بين القرن الثاني ق.م. والخامس بعاهه). وبنيت سوق الفاو بالقرب من الحافة الغربية للوادي وشرقي المنطقة السكنية ويحيط بها سور. واكتشف معبد الفاو، أول معبد يكشف عنه داخل المملكة. أما المقابر فمتنوعة، وهي ثلاثة أنماط: الأمراء، النبلاء وعامة الناس. وعثر في مقابر الملوك على مقبرة معاوية بن ربيعة ملك قحطان. ومن مقابر النبلاء مقبرة عجل بن هفعم المجاورة لمقبرة الملك. أما مقابر عامة الناس فتقع شمال شرقي المدينة على حافة الوادي الغربي، ويشبه بعضها المقابر الاسلامية.

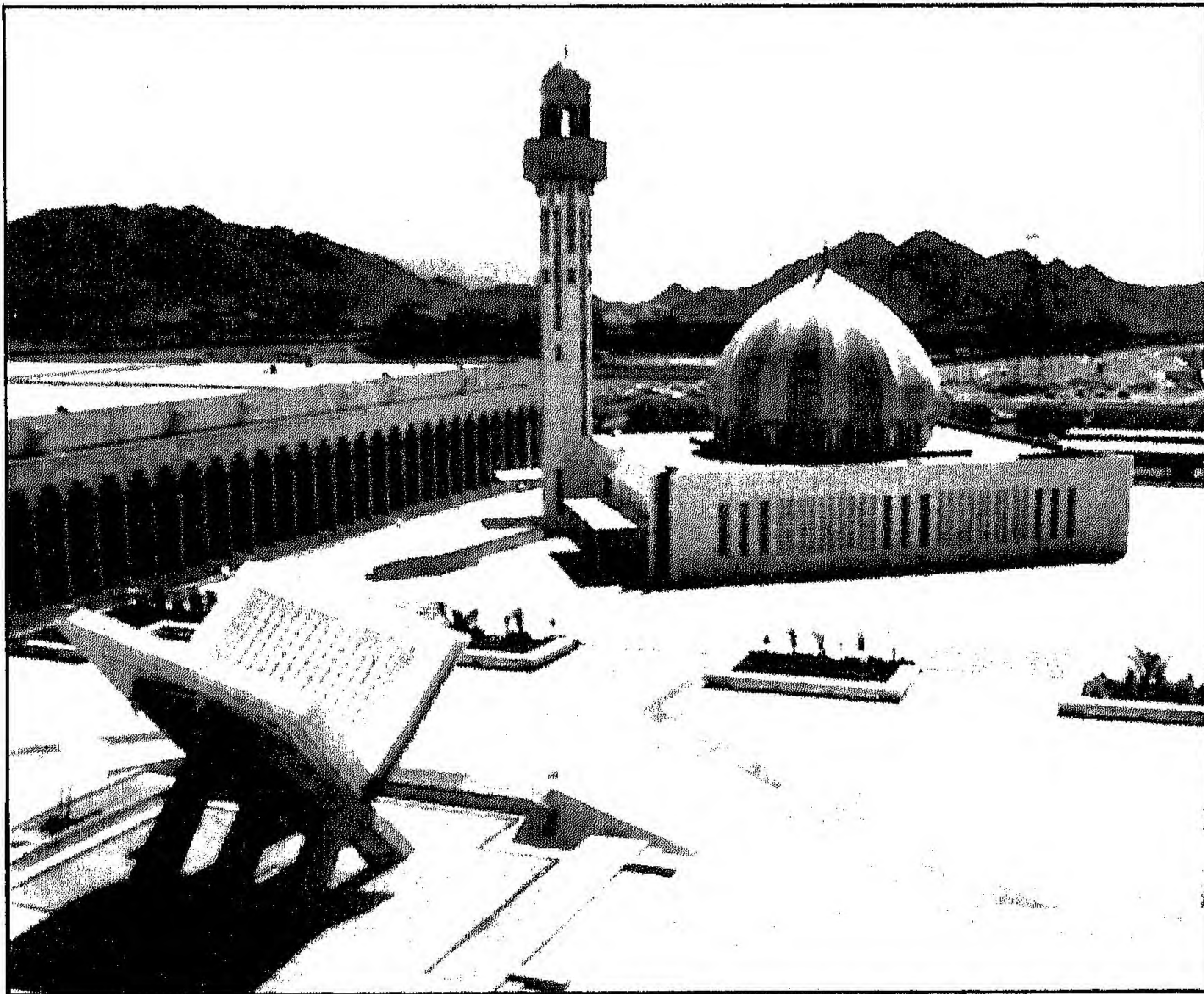
وتتميز المنطقة بوجود أزقة وشوارع بين المنازل. ولوحظ اهتمام كبير بالخانات ووجود عدد كبير منها، وشيوع استعمال الادراج.

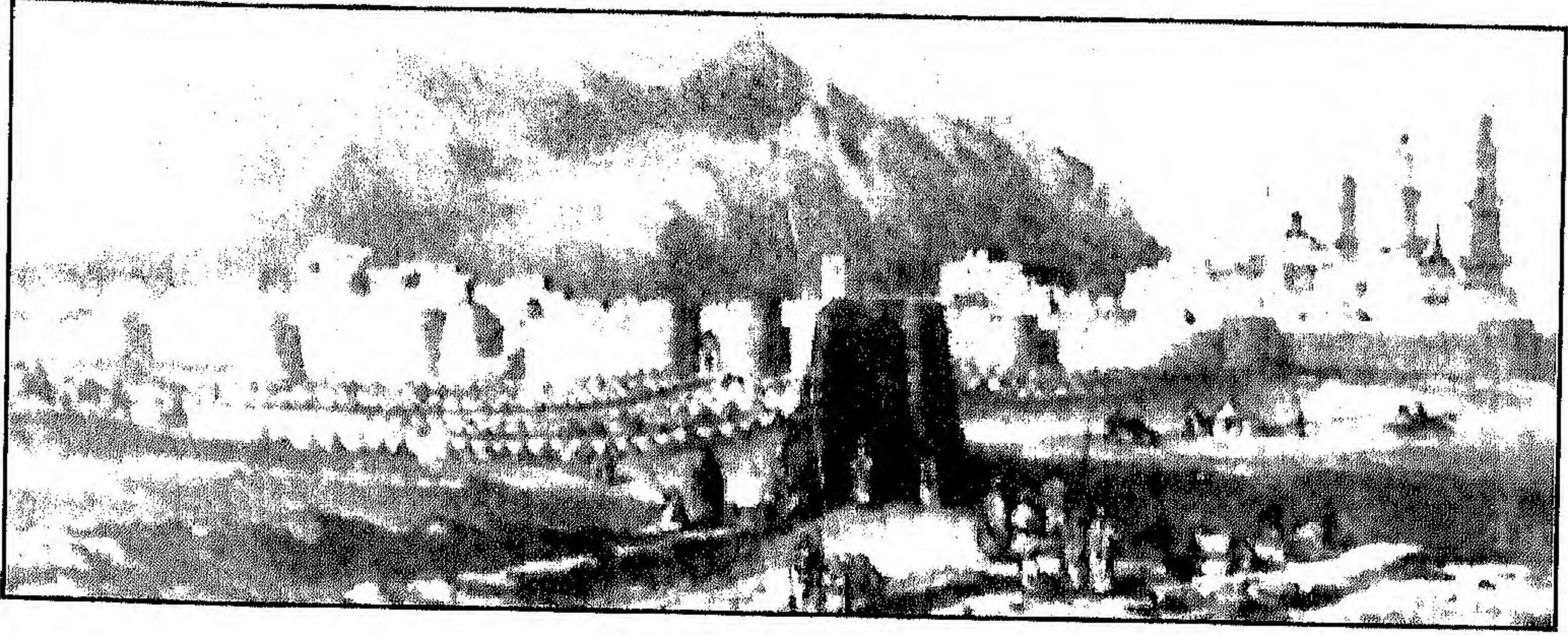
وأتاح ما عثر على نقوش معرفة عدد من القبائل ومعبوداتها: كهل معبودهم الأعظم، وإل والسلات والعزي ومناة وود وشمس، ما يعني ان المدينة كانت مجتمعاً سمح بتعدد المعبودات. وعثر على تماثيل معدنية وحجرية وطينية وخزفية، ويعد أهمها تمثال من البرونز لطفل يجنح على رأسه تاج مزدوج ويمسك بيده اليسرى قرن الخير به عنقود عنب... وهي صفات رجحت ان يكون التمثال للطفل هار بوكراتيس ابن إيزيس في أسلوب هلييني-روماني.



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يضع حجر الاساس للمسجد النبوي الشريف.

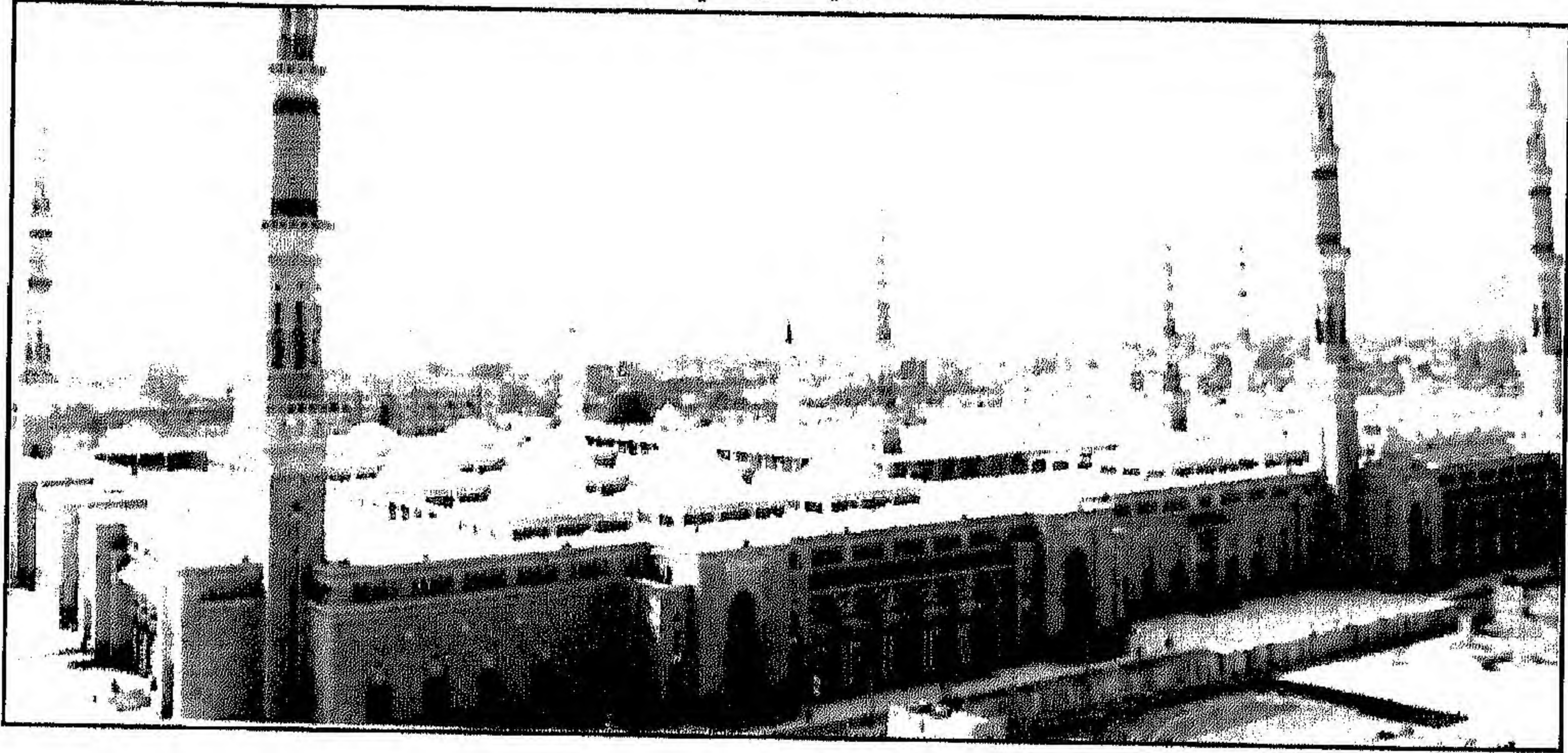
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.



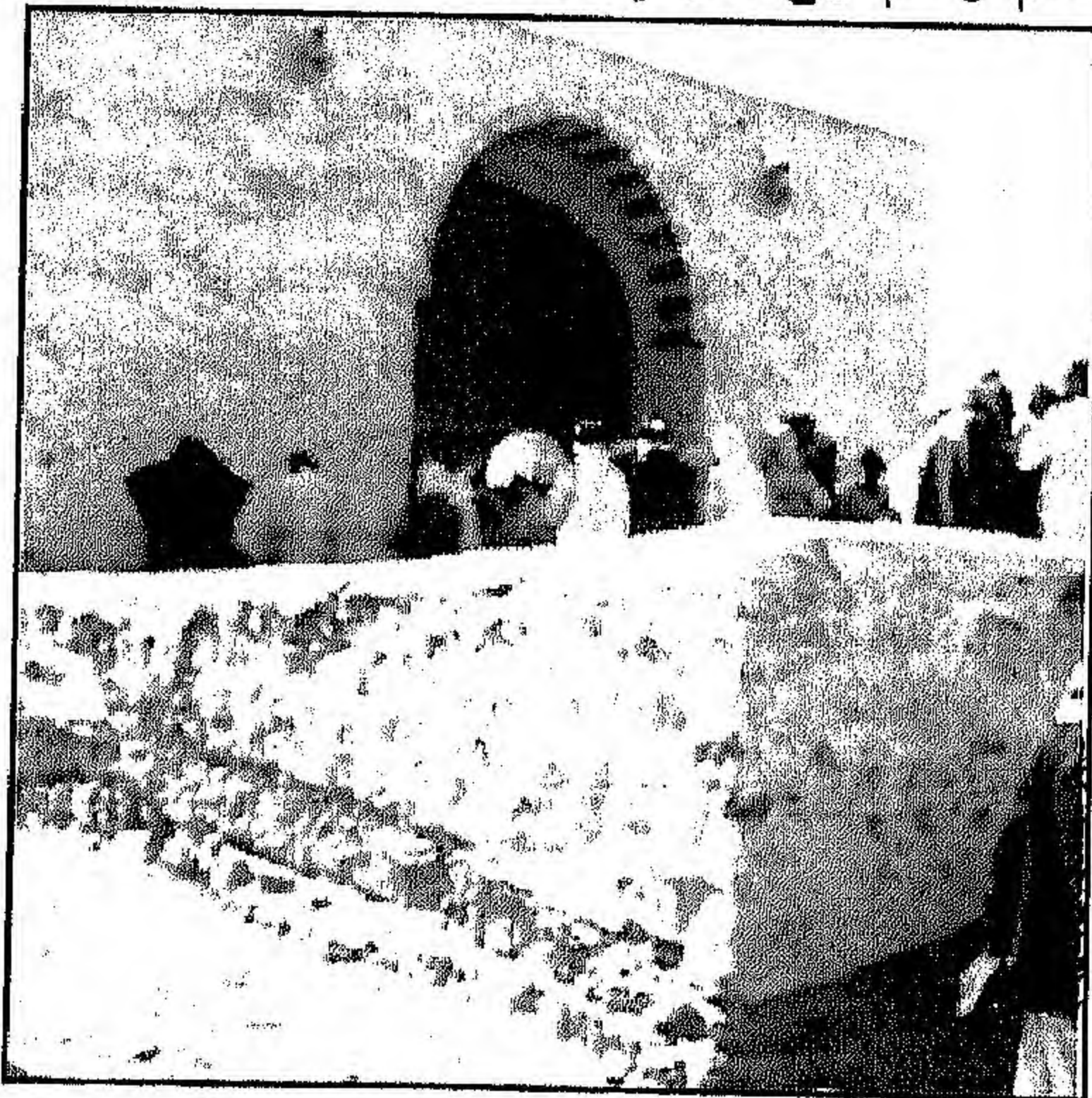


منظر عام للمدينة في القرن التاسع عشر.

المسجد النبوي الشريف في المدينة.



معلم من معالم تاريخ الدعوة في المدينة.



من آثار مسجد في ضواحي المدينة منسوب الى عم الرسول.



* مدائن صالح وثمود: آثار مدن في منطقة الحجر الواقعة على بعد ٣٧٠ كلم إلى الشرق من المدينة المنورة. هذه المنطقة التي يعتبرها كثير من الدارسين أهم منطقة أثرية متكاملة في السعودية لأنها تحتوي مدائن صالح الشهيرة التي لم ينته الجدل حولها بعد. فهناك من يعتقد بأنها من أقدم المدن التي سكنها الإنسان، وانها ارتبطت بعلاقات قوية مع حضارات الجوار سواء البابليين والآشوريين أو الفراعنة. كما اختلفت الآراء حول تسمية الآثار الموجودة فيها في ما إذا كانت بيوتاً أم مدافن.

«لكن الذي لا خلاف عليه هو أن مدائن صالح تعود إلى آثار قبيلة ثمود التي يقال إنها هلكت منذ أكثر من ٣ آلاف عام، وهي من العرب العاربة. وجاء في الاعلام للزركلي «إن ثمود بن عامر بن أرم من بني سام بن نوح، رأس قبيلة من العرب العاربة في الجاهلية الأولى، كانت إقامته في بابل ورحل عنها بعشيرته إلى الحجر (بين المدينة والشام) ثم انتشروا بين الشام والحجاز وبقيت آثارهم في الحجر المعروفة بمدائن صالح». لكن بعض المؤرخين يرى انهم عاشوا وبادوا قبل زمن موسى، وإن الكتابات الأرامية الموجودة على بعض القبور كتبت بعدهم. والقرآن الكريم يؤكد ذلك في قوله تعالى: «ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين، وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين. وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين» (سورة الحجر: آية ٨٠-٨٢). واختلف في أصل ثمود ف قيل: هم من بقايا عاد لأن القرآن الكريم ذكرهم مرادفين لعاد، وقيل إنهم من العمالة الذين شيدوا لهم مملكة في مدين والبراء في وادي موسى، الخ... وتشابه مدافن مدائن صالح مع مقابر البراء الواقعة جنوبي الاردن، كما تشابه مع مدافن الاهرامات في مصر على رغم الاختلاف الواضح بين سرية الدفن عند الفراعنة وعقليته في مدائن صالح. والتواريخ المثبتة على واجهات القصور والمقابر تتراوح بين سنة ١٠ ق.م. و ٧٥٠م. ويلاحظ ان أكبر عدد منها تم بناؤه وتزيينه في عهد الملك النبطي حريثات الرابع المعروف باسم «حريثات الحب لشعبه» مع أن أساس هذه المدائن كان لقوم النبي صالح، وهم الذين محتوا البيوت والقبور كما هو ثابت في القرآن الكريم» (أحمد مرتضى عبده، «الحياة»، العدد ١١٤٤٣، ١٧ حزيران ١٩٩٤، ص ٢١).

أما «صالح» فقد جاء بصلده في «المنجد» (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٤، باب الاعلام، ص ٤٢٠): «نبي عربي بعثه الله إلى قومه ثمود لهدايتهم، فقال لهم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فكذبوا. فزلزلت بهم الأرض. ورد

ذكره في القرآن».

وإضافة إلى القرآن الكريم، فقد أوردت المصادر العربية، عن الثموديين، الكثير من التفاصيل، وكلها تدور حول ان الله أرسل النبي صالح، وكان ثمودياً، ليبلغهم دين الله غير ان دعوته جوبهت بالرفض. ولم يكن الثموديون على استعداد لتك دين أجدادهم وطلبوا برهاناً على صحة أقواله فأخرج لهم الناقة من قلب الصخر، غير ان هذه المعجزة لم تنفع القبيلة في شيء، وقام أحد أبنائها بعقرها، فأهلك الله الثموديين ثلاثة أيام. وكانت بعدها العاصفة والزلازل التي أبادتهم وهدمت بيوتهم. وهذه الرواية كررت في معظم كتب المؤرخين العرب أمثال ابن بطوطة والطبري وياقوت الحموي.

وتقدم المصادر العربية، إجمالاً، «ثمود» على أنهم قوم مستقرون يسكنون منطقة تمتد من الحدود السورية حتى المدينة المنورة. ويذكر الملك الآشوري سرجون الثاني، في حواريته، عدداً من القبائل العربية التي هزمها، ومن بينها ثمود.

* المدينة المنورة: كانت يثرب، وهذا إسم المدينة قبل الاسلام وهو إسم لموضع فيها سميت كلها به، تقع في واحة خصبة، وتتألف من مجموعة من المنازل البسيطة تحيط بها الحدائق والحقول. ونظراً إلى وفرة المياه فقد صارت محطة لإمداد القوافل بالخضار والفاكهة والماء مما ساعد في زيادة عدد النازحين إليها وكانت الأشجار والنباتات كثيرة سور لها.

كان سكان يثرب الأوائل من العمالة، ثم سكنتها فئات من اليهود، وجاءها الأوس والخزرج من اليمن. وكانت قبيلة قينقاع من أشهر القبائل اليهودية وأغناها، وقد سكنت في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، فيما سكنت بنو نضير عند وادي بطحان، أما بنو قريظة فسكنت وادي مهزور. وكانت يثرب، قبل الاسلام، فيها حياة مدنية لها شيء من الاستقرار، فيها زراعة ولها تجارة ولو كانت أقل من تجارة مكة.

سمى الرسول يثرب «طابة»، والطاب والطيب مشتقتان من الشيء الطيب. وشهرت بـ«مدينة الرسول» بعد الهجرة النبوية (١هـ-٦٢٢م) تمييزاً لها عن المدن الأخرى. ثم اكتفى بعدها باسم «المدينة» منفرداً، وألحقت بها الصفة فصارت «المدينة المنورة». كما تعرف بأسماء كثيرة أخرى، أشهرها: طيبة، مدينة الرسول، دار الهجرة (لنصرتها الرسول حينما هاجر إليها من مكة المكرمة).

أهم معالم المدينة على الإطلاق هو المسجد النبوي الشريف الذي مرّ بأطوار عديدة لعمارته عبر العصور الإسلامية بدءاً من أول مراحل بنائه عندما هاجر الرسول إلى المدينة (٦٢٢) وحتى يومنا هذا حيث شهد أكبر توسعة في التاريخ وهي توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز التي بدأت في ١٩٨٤، والتي أصبحت بفضلها مساحة المسجد هي مساحة المدينة المنورة بحدودها القديمة في عهد الرسول.

عندما وصل الرسول إلى يثرب (كان يسميها «طية») مهاجراً من مكة، رَحَّبَ به الانصار وتسابقوا على استضافته، كل منهم يسعى للأخذ بخطام ناقته، فكان يدعوهم لإخلاء سبيلها قائلًا «إنها مأمورة». وواصلت الناقة سيرها حتى استقرت في أرض تعود ملكيتها لغلامين يثيمين في حجر أسعد بن زرارة الأنصاري هما سهيل وسهل من أبناء نافع بن عمر بن ثعلبة بن النجار، وكانت هذه الأرض مربداً لتجفيف التمر. فما ان بركت الناقة في هذا المكان حتى أعلن الرسول انه سيجي مسجده في هذه الأرض. فابتاعها وأمر بقطع النخيل وإزالة ما كان بها من قبور وغرائب، وبدأ بناء المسجد النبوي على مرحلتين: الأولى في السنة الأولى للهجرة وكانت مساحته نحو ٧٠ ذراعاً طولاً و ٦٠ ذراعاً عرضاً. وقد شارك الرسول في البناء حيث كان ينقل الحجارة واللبن مع الصحابة، والمرحلة الثانية بعد فتح خيبر في السنة السابعة من الهجرة حيث أعاد الرسول عمارة المسجد واستخدام الحجارة للأساس، واللبن للمسجد وجذوع النخيل للأعمدة، وأصبحت مساحة المسجد ١٠٠×١٠٠ ذراع وارتفاع سقفه ٧ أذرع. ولم يكن في عهد الرسول ولا في عهد الخلفاء الراشدين مآذن. وأول من أقام المآذن في المسجد هو عمر بن عبد العزيز في عهد ولاية الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، فقد أقام أربع مآذن في كل ركن واحدة (أواسط القرن الثامن). وقد أقام الرسول بيته (قبره الآن) على مقربة من المسجد، وتفصل بينهما «الروضة الشريفة» التي يبلغ طولها ٢٢م وعرضها ١٥م. وقد أولى خلفاء المسلمين وحكامهم الروضة جل عنايتهم وذلك خلال التوسعات العديدة التي مرّت على المسجد الأولى في أيام عمر، الثانية في أيام عثمان، ثم توسعات أخرى في أيام الأمويين في خلافة الوليد بن عبد الملك (٧١٥) الذي طلب من ملك الروم ان يبعث إليه بنائين للمساعدة في العمل، فعمل في البناء سوريون، كما كان لمة صنّاع أقباط، وقد أرسل امبراطور بيزنطية أربعين ألف مثقال من الذهب

وفسيفساء وسلاسل معدنية للقناديل. ومن أهم ما أضيف إلى المسجد في أيام الوليد أربع مآذن، كما أضيف محراب في جدار القبلة (كان قد تمّ تغيير القبلة، على ما يقوله المؤرخون من بيت المقدس إلى مكة بعد سنتين من الهجرة تقريباً). وفي أيام الخليفة العباسي المهدي (٧٧٨) أضيفت منازل بعض كبار الصحابة إلى المسجد الذي جعل له عشرون باباً.

في ١٢٥٧، شب حريق في المسجد أتى على أكثره. فاهتم الخليفة المعتصم بالأمر وبدأ حالاً القيام بالبناء. لكن احتلال المغول لبغداد في السنة التالية حال دون إتمام العمل. وعاد العمل وتمّ كاملاً على أيدي السلطانين الملوكيين يبرس وقلاوون. ثم عمل ابن قلاوون في الزخرفة. لكن صاعقة ضربت إحدى المنارات (١٤٨١). وأعيد البناء أيام السلطان قاتيباي، وأدخل الرخام في بعض أجزائه وزُين جدار القبلة بالألوان الجميلة. وفي أيام العثمانيين، قام السلطان سليمان القانوني بتوسعة وتحسين كبيرين للمسجد النبوي (١٥٤٠)، كما انه بنى أقوى تحصين لأسوار المدينة، وفيه ثلاثة أبواب (كان أول سور بني في ٨٧٦). وظل العثمانيون يهتمون بالمسجد النبوي إصلاحاً وتوسيعاً وزخرفة، وأصبح للمسجد في أيامهم ثلاثة محاريب.

في أيام السعوديين، وبعد نجاح الملك عبد العزيز في توفير الأمن والاستقرار للحجاج بيت الله الحرام، رأى انه من الضرورة البدء في توسعة الحرمين الشريفين وإعادة إعمارهما لكي يستوعبا الزيادة الكبيرة في إعداد الحجاج، وأمر بأن يبدأ العمل في المسجد النبوي خاصة بعد ظهور بعض التصدعات في الأعمدة والجدران. وبدأ العمل في ١٩٥١ وشمل عملية الهدم للأبنية المحيطة بالمسجد والتي تدخل في إطار تخطيط التوسعة. واستغرقت المرحلة الأولى ثلاث سنوات، وشارك فيها أكثر من ألفي مهندس وفني وعامل، وبلغت فيها مساحة المسجد ١٦٣٣٧م.م، وأصبح للمسجد ٢٣٢ عموداً مدوراً و ٤٧٤ قاعدة و ٦٨٩ قوساً، وأصبح طوله ١٢٨م وعرضه ٩١م. وأضيفت إليه مئذنتان ارتفاع الواحدة ٧٠م.

وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز تمت المرحلة الثانية من مشروع توسعة المسجد النبوي حيث تمّ هدم وإزالة الأماكن الواقعة غربي المسجد وتم تغطيتها وتجهيزها لاستيعاب الاعداد المتزايدة من المصلين. وقد بلغت المساحة التي شملتها التوسعة جزأين: الأول مساحته ٣٥ ألف م.م، والثاني ٥٥٥٠ م.م.

وفي عهد الملك خالد، تمت المرحلة الثالثة والتي شملت ضم مساحة ٤٣ ألف م.م. إلى المسجد عن طريق إيجاد ميدان فسيح يتصل بشارع المناخة.

وفي ٢٩ تشرين الأول ١٩٨٤، قام خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بوضع حجر الأساس لمشروع توسعة المسجد النبوي التي تعد أكبر توسعة في التاريخ مقارنة بكافة التوسعات التي شهدتها المسجد على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وقدرت تكلفة المشروع بنحو ٦ آلاف مليون ريال. وبعد أشهر قليلة بدأ العمل في تنفيذ المشروع (وأصبح الآن قيد الإنجاز) الذي تضمن إضافة مبنى حديد وميدان حديد بحيث تصبح المساحة الاجمالية ١٦٥٥٠٠ م.م. وتتسع لأكثر من ٢٥٧ ألف مصلى. وتشمل التوسعة إنشاء سبعة مداخل رئيسية، فيصبح إجمالي البرابات ٥٩ بوابة، ويصبح للمسجد ١٠ مآذن (٦ مآذن جديدة ارتفاع كل منها، مع الهلال، ١٠٥ م، ويزن هلال كل مفذنة ١٥ طناً من النحاس المطلي بالذهب). كل ذلك في إطار مشروع تطوير المناطق المحيطة بالمسجد بل والمدينة برمتها. وتم في مشروع توسعة المسجد النبوي إقامة ١٢ مظلة ضخمة يتم فتحها وغلقها أوتوماتيكياً لوقاية المصلين من وهج الشمس والأمطار، إضافة إلى نظام كهربائي متكامل لتوفير التهوية (أكبر نظام في نوعه في العالم).

وعند أطراف المدينة المنورة يقوم معلم ديني وثقافي فريد في نوعه في العالم، وهو «مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف». وهو ليس مؤسسة طباعة فقط، وإنما هو مؤسسة متكاملة تقوي الكثير من الهيئات والمؤسسات العلمية الأخرى، مثل مركز الدراسات القرآنية، ومركز الترجمات، ومركز خدمة السنة والسيرة بالتعاون مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومركز البحوث والدراسات الإسلامية.

أما صالة الطباعة في المجمع فتعمل من دون توقف، وطاقتها الانتاجية تبلغ ٣٠ مليون كتاب في السنة. وإصدارات المجمع منذ افتتاحه (٣٠ تشرين الأول ١٩٨٤) حتى اليوم (نموز ١٩٩٨) تبلغ ١٢٠ مليون نسخة تقريباً. وتم، على مدار السنوات الماضية، توزيع أكثر من ١٠٥ ملايين نسخة، نالت قارة آسيا منها الحصة الرئيسية (٧٦ مليون نسخة) تليها قارة أفريقيا (٧ ملايين نسخة)، كما تهدي نسخة لكل حاج وحاجة، وما وزع على الحجاج حتى الآن (١٩٩٨) فاق ١١ مليون نسخة. ويبلغ عدد العاملين في المجمع ١٨٠٠ موظف، منهم ٧٠٪ من

السعوديين.

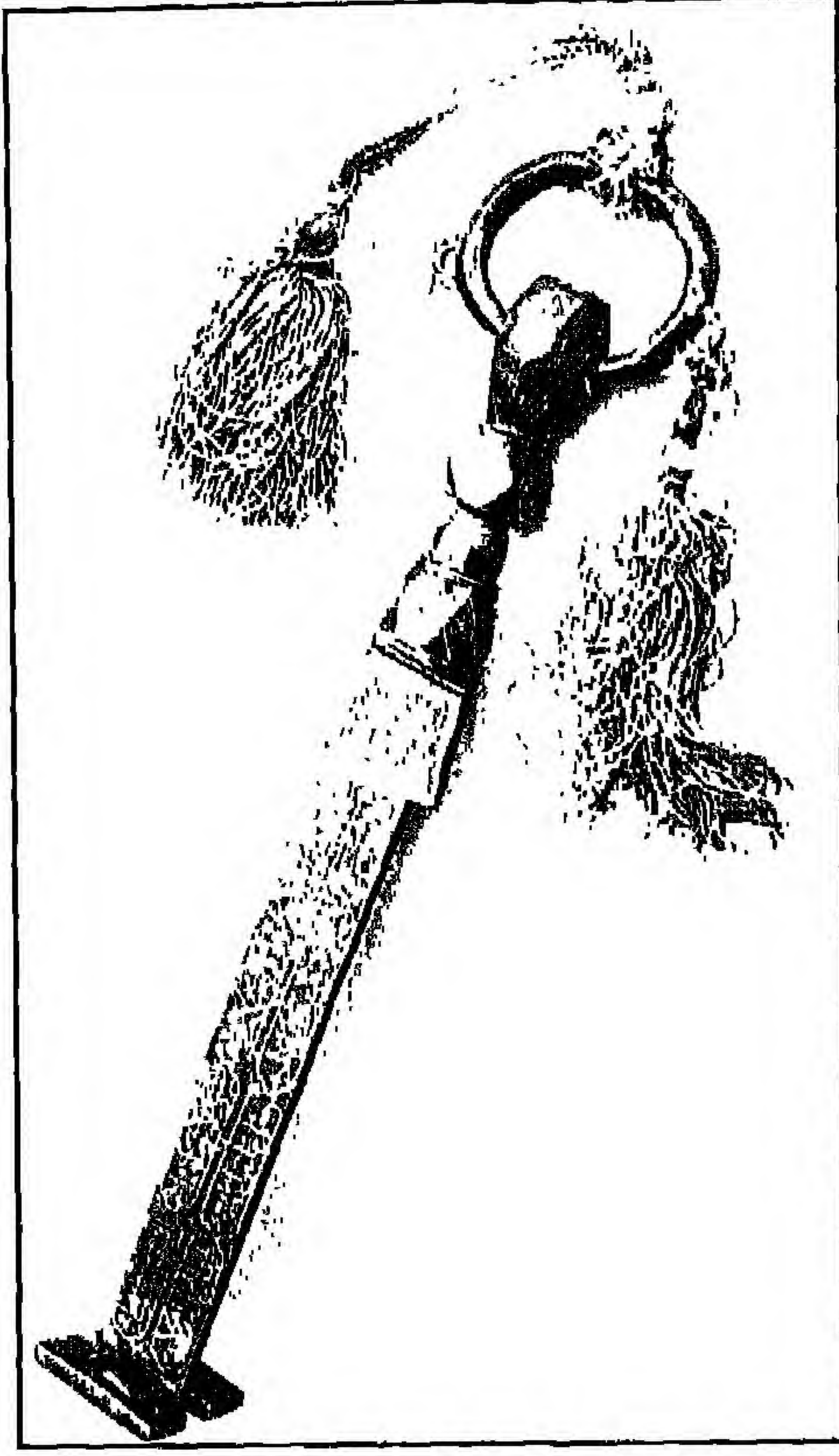
الجلدير ذكره، أخيراً، أن معالم إسلامية كثيرة في المدينة جرى الحرص على إبقائها على تاريخيتها بالاكثفاء بترميمات ضرورية عليها، مثل آثار مسجد حمزة بإحدى ضواحي المدينة، وغيرها.

* مكة المكرمة: «بيت الله الحرام، وسميت مكة لأنها تملك الجبارين أي تذهب ثغوتهم، ويقال إنما سُميت مكة لازدحام الناس بها. ومكة إسم المدينة، أما بكة فهو إسم البيت. وقال بعضهم: سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هبطة بمنزلة المكوك. وقال بعضهم: بكعة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طوى». وهو بطن الوادي الذي ذكره الله تعالى في سورة الفتح، ولها أسماء شتى: مكة وبكة والنساسة وأم رُحم وأم القرى ومعاد والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها، وهي البيت العتيق لأنها عتق من الجبابرة...

«يلخ عدد سكانها حوالي ٢٠٠ ألف نسمة (حالياً حوالي نصف مليون نسمة) وهي عاصمة الحجاز. تقع على بعد حوالي ٨٠ كلم من جدة، يرجع تاريخها إلى أيام سيدنا إبراهيم. ولد بها النبي محمد، وكانت مركزاً هاماً لتجارة القوافل منذ ما قبل الإسلام، كما كانت في زمن الجاهلية مهلاً لعبادة الأوثان. هاجر منها النبي محمد إلى المدينة ٦٢٢م، فاعتبر هذا العام بدء السنة الهجرية عند المسلمين. ثم استولى عليها الرسول بعد عودته، لكنها فقدت أهميتها التجارية بعد استيلاء الأمويين عليها ٦٩٢م. خربها القرامطة ٩٣٠م، واستولى عليها العثمانيون ١٥١٧م. يقصدها الحجاج المسلمون كل عام (راجع «الحج» في باب معالم تاريخية)، وتشتهر بأسواقها في أيام الحج، حيث تعرض الحرائر والعمرة والأحجار الكريمة» (عن «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج٦، ط١، ١٩٩٠، ص ٢٩٠-٢٩١).

في مكة مركز هو الأكثر قداسة والأكثر شهرة في الإسلام، وهو «الكعبة الشريفة» الواقعة في وسط المسجد الحرام. إليها يتوجه المسلمون في العالم خمس مرات في اليوم أثناء تأديتهم الصلاة، كما تقصدها ملايين المسلمين من جميع أنحاء العالم لتأدية فريضة الحج (راجع «الحج» في باب معالم تاريخية) أو في مختلف أيام السنة لأداء العمرة. وعلى هذا الأساس فهي رمز لوحدة العالم الإسلامي (راجع «العالم الإسلامي» في هذا الجزء).

والواقع ان الكعبة كانت تحتل مثل هذا الموقع



مفتاح الحرم الشريف وهو من صنع الياس بن أحد المكي يحمل
تاريخ ١١٦٠هـ (١٧٤٥م)
يوجد بمتحف توبكابي باسطنبول، تركيا.

اسلامي (١٩٥٤) والذي انبثقت منه منظمة المؤتمر الاسلامي الحالية (راجع «العالم الاسلامي» في هذا الجزء). أما من الناحية الفنية، فقد أخذت الكعبة اسمها من شكلها، وهو مكعب منتظم تقريباً، ومن المعروف ان في زاويتها الشرقية يستقر الحجر الأسود، وهو حجر مقلد عند المسلمين، وقد ظل من الصعوبة بمكان تحديد طبيعته ومصدره، وقطره نحو ٣٠ سم لونه أسود مع ميل إلى الاحمرار وفيه خطوط صفراء. وتغطي الكعبة ستارة مخملية سوداء موشاة بآيات من القرآن الكريم. أما حرمها فقد شهد عدة توسيعات منذ بنائه إلى اليوم.

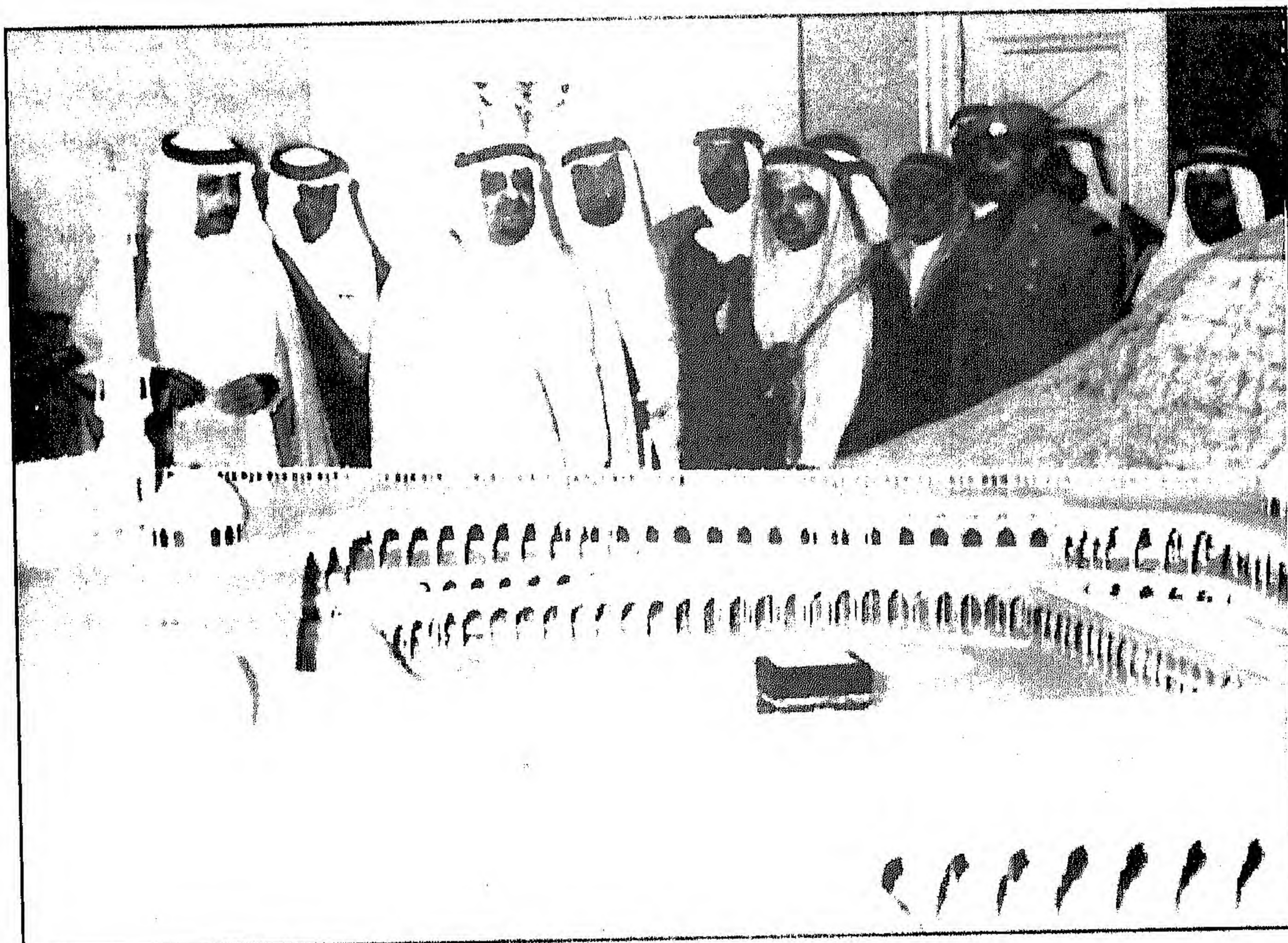
وهيئة الحرم الحالية، والأساسية، تعود إلى أيام السلطان سليمان القانوني، وكان تصميمه الأصلي من وضع المهندس العثماني المعروف سنان باشا، كما قام بنقش الرسوم مصور مشهور هو عبد الله لطفي. وإذا كانت الكتابات والزخارف بخط الثلث المذهب فإن الأرضية زرقاء وهو اللون المعروف عند الفنانين المسلمين بـ«الاستيرق».

المركزي بالنسبة إلى القبائل العربية منذ العصر الجاهلي. فعليها كانت تعلق أشهر القصائد التي سميت «معلقات»، وعلى أستارها كانت تعلق الصحف التي تتضمن اتفاقات القبائل وقرارات شيوخها، منها صحيفة قريش التي تضمنت قراراً بمقاطعة آل هاشم (قبيلة الرسول) مقاطعة تامة على كل المستويات على أمل أن تؤدي هذه المقاطعة إلى ضرب الدعوة الاسلامية الوليدة. وقرب الكعبة كانت تعقد منتديات قريش، لكل قبيلة أو فخذ مكان يلتقي فيه الشيوخ ويتنافسون في قضاياهم الحياتية والسياسية والعسكرية، وقد بنيت بقربها دار الندوة.

وفي الأيام الأولى للإسلام كان حرف القبلة التي يتوجه إليه المسلمون من بيت المقدس إلى الكعبة تكريساً لقدسية هذا المكان. وقد تم حرف القبلة إلى الكعبة بعد انقضاء عام ونصف العام على هجرة الرسول إلى المدينة وكان الرسول يصبر على أداء صلاته علانية في الكعبة، وبذلك كانت الكعبة بمثابة المنبر لدعوته، أما بقية المسلمين فلم يجرؤوا على القيام بذلك إلا بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب (عم النبي) وعمر بن الخطاب (الخليفة الثاني في ما بعد)، فإنهما تحدياً قريشاً ولم يترددا في ان يعلنوا اسلامهما أمام الكعبة وعلى مسمع ومرأى من قادة قريش ورجالاتها.

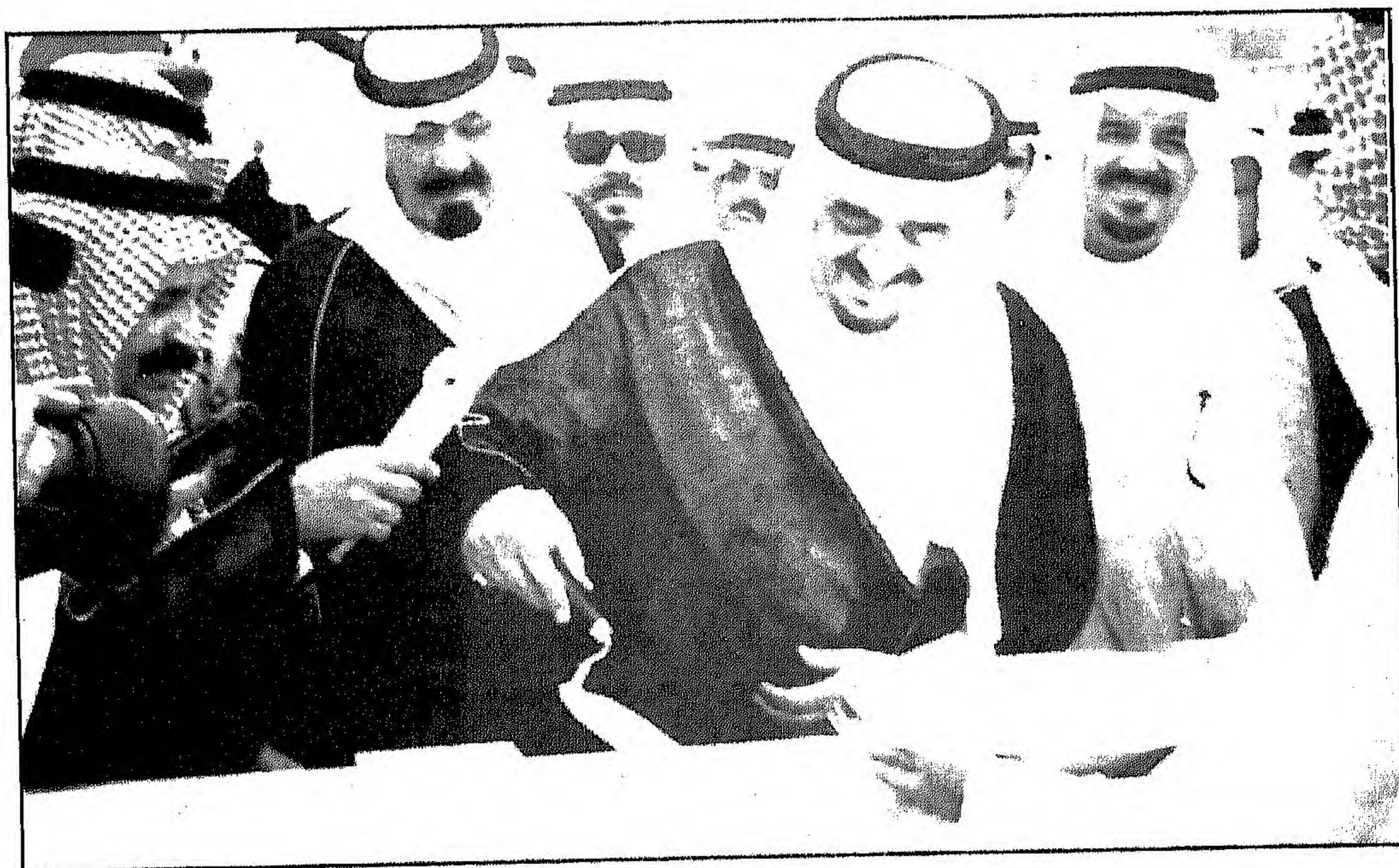
وظل الدور السياسي للكعبة يتجدد في العهود الاسلامية المتعاقبة رغم ان عاصمة الحكم الاسلامي لم تكن في أي وقت في مكة بل تنقلت بين المدينة والكوفة ودمشق وبغداد والقاهرة... ورغم ذلك فمكة والمدينة ظلتا مركز الفقهاء والمشرعين والعلماء الذين لا تستقيم ولاية سلطان دون موافقتهم. ومن هنا كانت الكعبة في أحيان كثيرة ومكة خصوصاً وبلاد الحجاز عمومًا مركزاً للمعارضات الاسلامية للخلفاء سواء في دمشق أم في بغداد. وبسبب ذلك كان الخلفاء يضطرون مراراً لخوض معارك حربية للحصول على بيعة من يعتصم من القادة المعارضين بالحرم الشريف، ولم تنج الكعبة من الآثار السلبية، فقد شهدت أكثر من حرب، أشهرها حرب عبد الملك بن مروان ضد عبد الله بن الزبير في العهد الأموي.

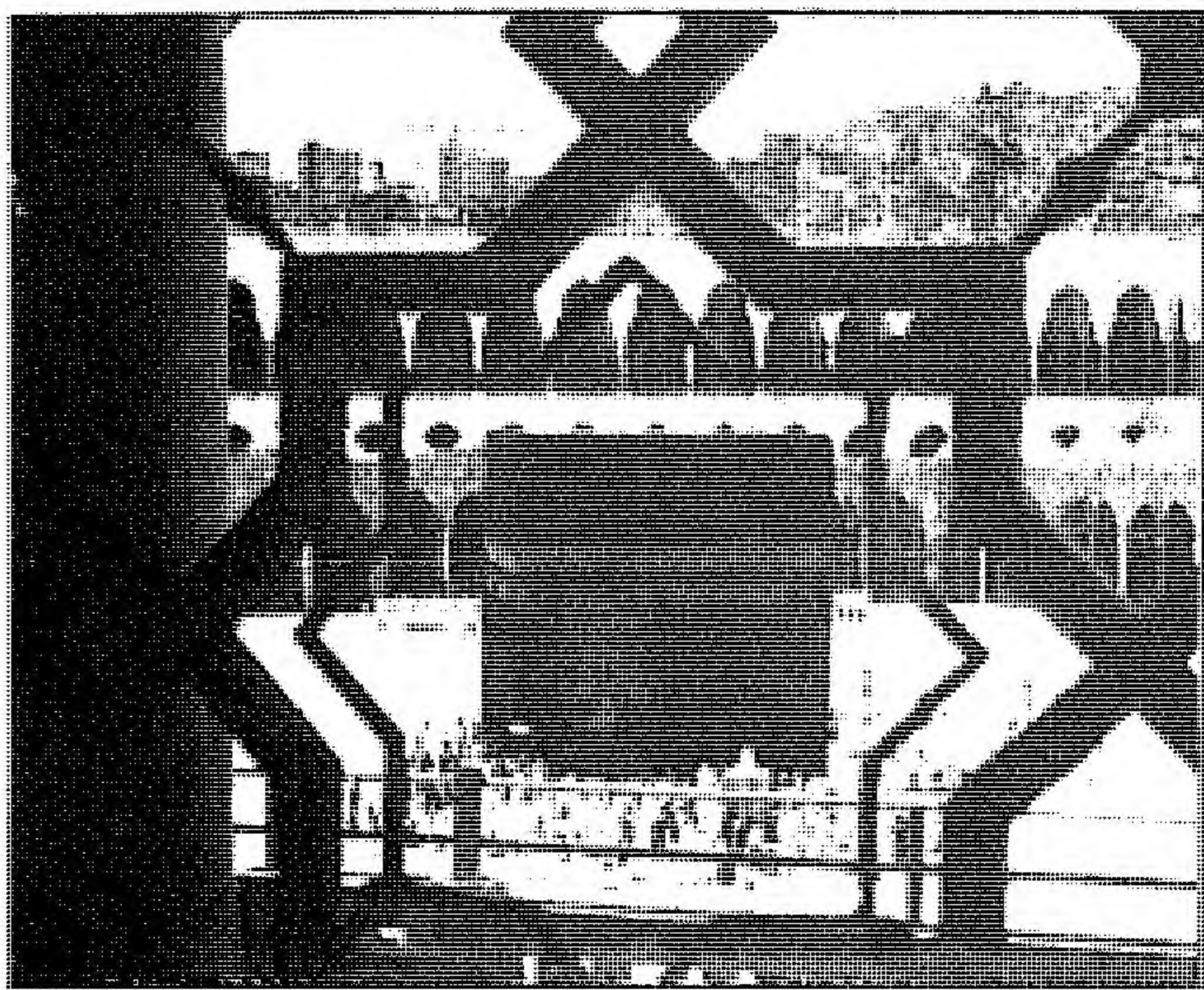
وفي أيام السلطنة العثمانية ظلت الكعبة ومعها مكة رمزاً للثقل العربي في السلطنة حيث بقيت بيد الأشراف منهم مسؤولية خدمة الحرم وولايته، وليس صدفة ان يعلن الشريف حسين ثورته ضد السلطنة ومن أجل قيام مملكة عربية من الحجاز ومن مكة بالذات، وكذلك ليس صدفة ان تشهد مكة، في أيام السعوديين، ميلاد أول مؤتمر



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يستمع الى شرح عن توسعة الحرم المكي...

... ويضع حجر أساس توسعة المسجد.

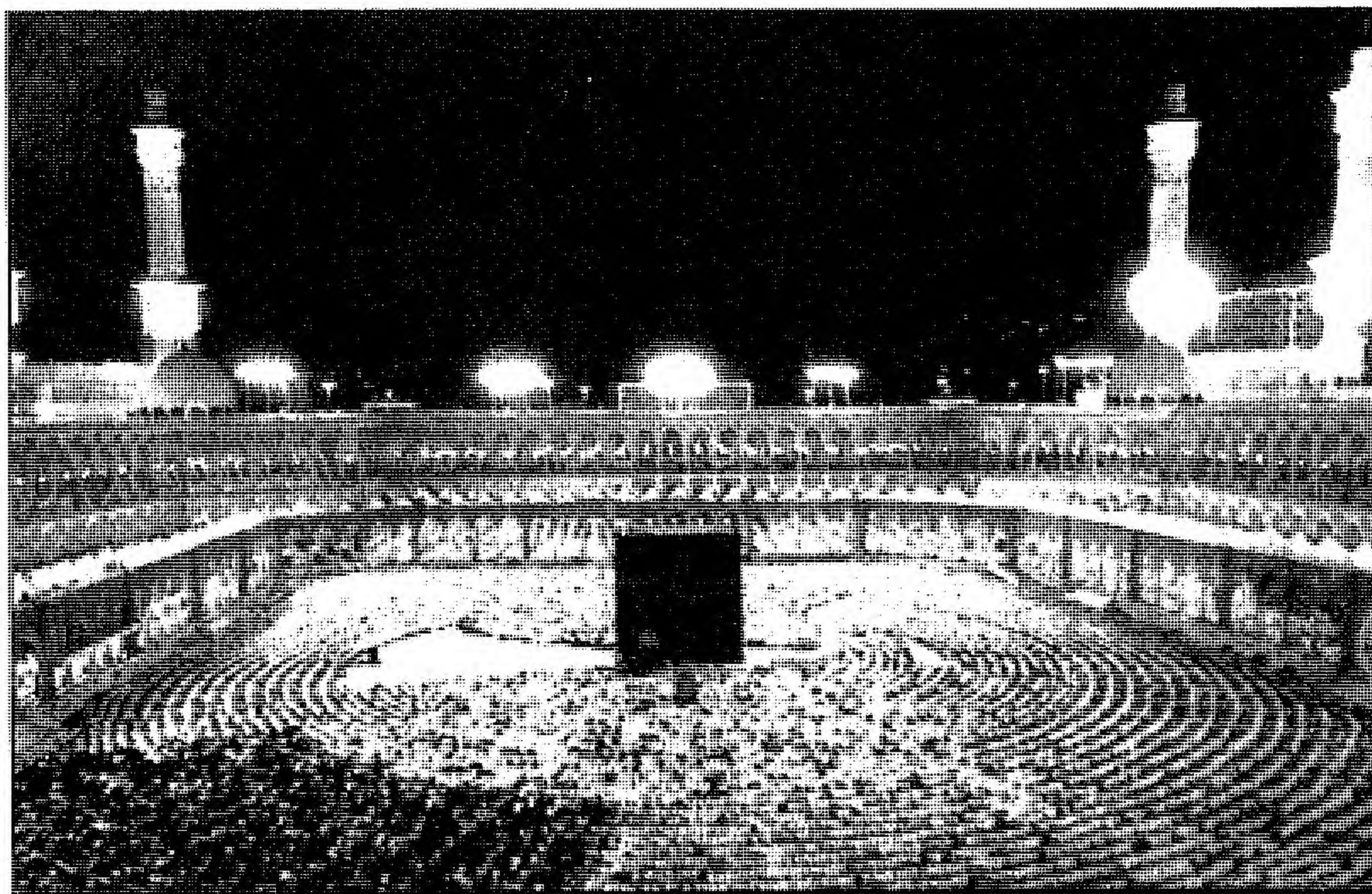




الكعبة المشرفة.

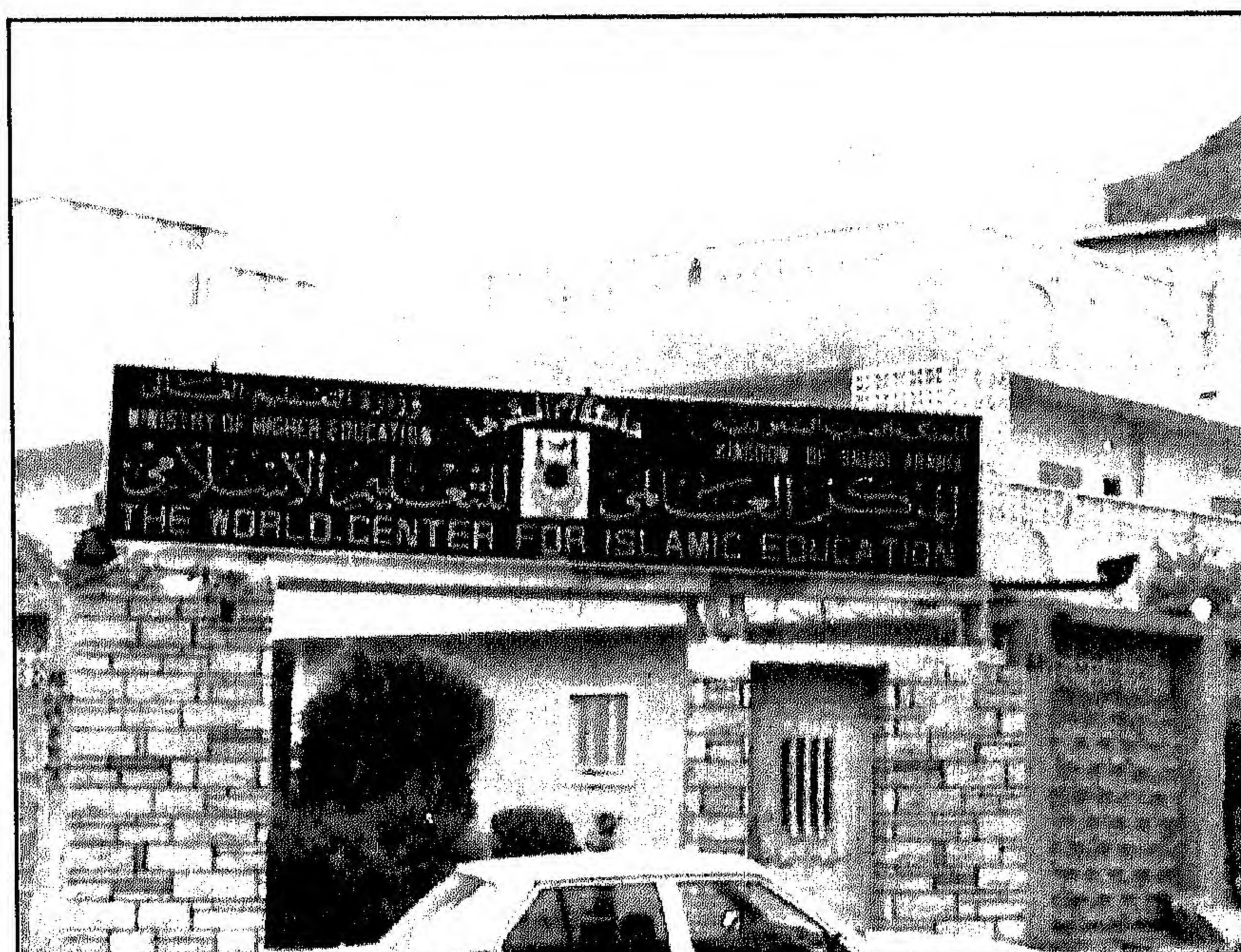


مقام ابراهيم.



المسجد الحرام

المركز العالمي للتعليم الاسلامي في جامعة أم القرى



ومن المعروف انه كل مرة كان يحافظ على الحجارة الأصلية للكعبة للاعتقاد بأن بعضها يعود إلى أيام الرسول كما ان هناك اعتقاداً بأن هذه الحجارة هي نفسها التي بنى بها ابراهيم الكعبة أول مرة.

وإذا كانت الكعبة من الداخل مبطنة بالحجر الأحمر فإنها من الخارج مكسوة بالحجر الأسود. وقد كانت العادة طوال حقبة من التاريخ ان تأتي الكسوة كل عام من مصر في موكب مهيب. وكان لهذا التقليد دلالات سياسية تتصل بولاء الحاكم في مصر إلى الخليفة الاسلامي، ومركزية الكعبة وقديسيتها في السياسة الاسلامية عمومًا والمصرية-الشمال افريقية خصوصًا حيث غالبًا ما كان حجاج شمال افريقيا يلتحقون بالحمل الذي ينقل الكسوة من مصر إلى مكة (عن «الكعبة الشريفة»، موسوعة السياسة، ج ٥، ص ١٢٣-١٢٥).

عن بناء الكعبة الشريفة، أعاد فتحى فوزي عبد المعطي (في كتابه «الكعبة والمسجد الحرام، من عهد ابراهيم عليه السلام إلى الآن»، دار الرائد، القاهرة، ١٩٩٧) الرواية الدينية القائلة بأن بناء الكعبة تم على يد ابراهيم واسماعيل. ففي إحدى زيارات ابراهيم لمكة أخبر ولده ان الله قد أمره أن يبنى له بيتاً فوق الربوة الحمراء القائمة قرب بئر زمزم. وارتفع البناء، وتولى ابراهيم خدمة الكعبة والحجاج، وأكمل المهمة من بعده ابنه اسماعيل. وتستمر مسيرة التاريخ وتتوالى الأحداث على مكة والكعبة حتى تصل ريادة الكعبة وسقاية الحجيج إلى عبد المطلب، جد النبي، الذي شرع في حفر بئر زمزم بعد ان ردمت.

وشهد الحرم المكي عددًا من عمليات التوسعة نتيجة التزايد المتوالي في أعداد الحجاج. وكان أهم هذه التوسعات (كما وردت في كتيب أصدرته وزارة الاعلام السعودية-الشؤون الاعلامية، إعداد مؤسسة نهران، بلون تاريخ):

- توسعة الخليفة عمر بن الخطاب في ٦٣٨ بعد ان اقتحم سيل جارف المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم، فقام عمر بإعادته إلى مكانه بعد أن أمر بتوسعة المطاف.
- توسعة الخليفة عثمان بن عفان (٦٤٦).
- توسعة عبد الله بن الزبير (٦٨٤).
- توسعة الوليد بن عبد الملك بن مروان.
- توسعة أبو جعفر المنصور.
- توسعة الخليفة محمد المهدي.
- توسعة المقتدر بالله العباسي.
- وطيلة حكم الفاطميين والأيوبيين والمماليك

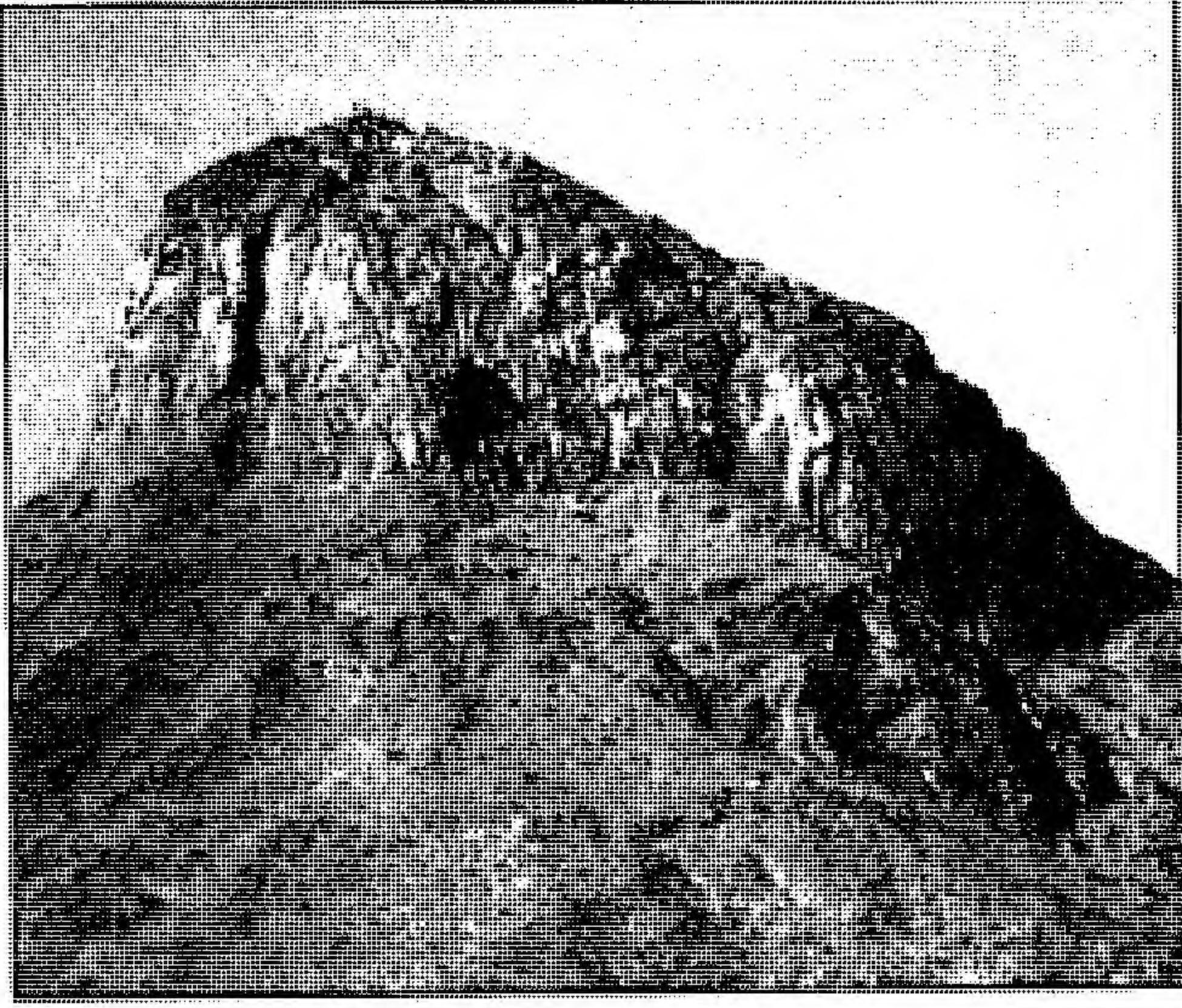
والعثمانيين لم يشهد المسجد الحرام أية توسعة تذكر. ولكنه شهد جملة من الاصلاحات وأعمال الترميم في عهود متوالية كان أهمها عهد السلطان سليم العثماني حيث تم تجديد عمارة المسجد تجديدًا كاملاً وجعلت سقوف الأروقة قبائلاً، وهي الشكل القائم حتى الآن. وفي ١٨٩٧، قام السلطان عبد الحميد بأعمال ترميم في المسجد. وظل الحرم المكي حتى قيام المملكة العربية السعودية يحتفظ بنظام البناء العثماني التقليدي.

- التوسعات السعودية التي بدأها الملك عبد العزيز، في ١٩٠٥، بأعمال الترميم داخل الحرم وخارجه وبوضع الخطط اللازمة. وفي عهد الملك سعود بن عبد العزيز بدأت المرحلة الأولى (١٩٥٥) التي شملت عمارة المسجد، ثم المرحلة الثانية (١٩٥٩) وشملت بناء أساس الرواق الجنوبي، ثم الثالثة (١٩٦١) حيث ألحق بمساحة المسجد ٨ آلاف م.م. في الطابق العلوي، و ٨ آلاف م.م. في الطابق السفلي.

وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز، تواصلت عمليات البناء والتطوير حتى بلغت الساحة الكلية للحرم المكي حوالي ١٩٣ ألف م.م، فيما لم تكن تتجاوز قبلها ٢٩ ألف م.م، وبلغ عدد المآذن سبع مآذن وعدد الأبواب ٦٤ باباً. وكان اهتمام الملك فيصل كبيراً بمقام ابراهيم. وفي عهد الملك خالد، تم تجديد تصميم باب الكعبة وباب التوبة، واستخدم في صناعتها وتزيينها أكثر من ١٨ كيلو من الذهب الخالص.

وفي ١٣ ايلول ١٩٨٨، قام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بوضع حجر الأساس لمشروع توسعة الحرم المكي. وانتهى العمل في هذه التوسعة (والتطوير الذي استخدمت فيه أرقى وأحدث وأدق التكنولوجيا) في نهاية ١٩٩٣. وما انتهى إليه المشروع هو ان مساحة الصلاة في الحرم المكي أصبحت ٣٦٥٨٠٠ م.م. يمكن ان تؤمن الصلاة لـ ٨٢٠ ألف مصل في الأحوال العادية، وللمليون منهم في أيام الحج؛ هذا مع وجود خططات لتوسعة جديدة تمكن مليونين من إقامة الصلاة في أوقات الحج.

وشمل مشروع التوسعة هذا مرسومًا ملكيًا اتخذ في ١٩٨٨ ويقضي بالموافقة على تأسيس شركة مكة للإنشاء والتعمير (شركة مساهمة سعودية) بهدف تعمير الأماكن المقدسة المحاورة والمحيط بالمسجد الحرام. ووضع الملك فهد حجر أساس هذا المشروع في ١٩٨٩. وأسست في مكة، «جامعة أم القرى» في



غار حراء «حيث أنزل الله على محمد بن عبد الله
العربي الأمي أول ما أنزل «اقرأ». وحرّاء جبل
يقع شمال شرقي مكة يعرف كذلك بجبل النور.
فيه غار كان النبي يتحنّث فيه قبل بعثته،
وبات فيه قبل هجرته إلى المدينة يصحبه أبو بكر
(«المعجم»، ص ٢٣١).

البتزول. فالبتزول المستخرج منها يشكل ٩٪ من إنتاج
العالم و٢٨٪ من إنتاج دول الشرق الأوسط. والاحتياطي
البتزولي في باطنها يشكل ٢٠٪ من الاحتياطي العالمي
و٦٣٪ من احتياطي المنطقة العربية ويبلغ ١٦٩ بليون برميل
وعوائد تصديره تشكل ٧٠٪ من إيرادات المملكة.

عن النفط والعلم والتاريخ يقدم «معرض أرامكو،
دار الاستكشاف العلمي» القائم على سفح جبل الظهران
والمطل على طريق الخبر-الظهران السريع، معلومات بالغة
الأهمية، نستقي أهمها من استطلاع مجلة «العربي»، (العدد
٤٠٢، أيار ١٩٩٢، ص ٣٨-٤٢):

«في جناح التراث العربي الاسلامي نماذج حية من
إشجازات المفكرين العرب المسلمين التي أسهمت في إرساء قواعد
العلم الحديث والدور الذي تلعبه التقنية في عالمنا اليوم. هنا
نكتشف ان البيروني استنتج قبل تسعة قرون أن أجزاء من شبه
الجزيرة العربية كانت في ما مضى بحراً، ونذكر من خلال
الفرضية المعروضة في ركن أصل البتزول (في المعرض) لماذا
تركز النفط في المنطقة الشرقية. كما نتابع كيف أن البيروني
تمكن من حساب محيط الأرض بدقة بلغت ٩٨٪.

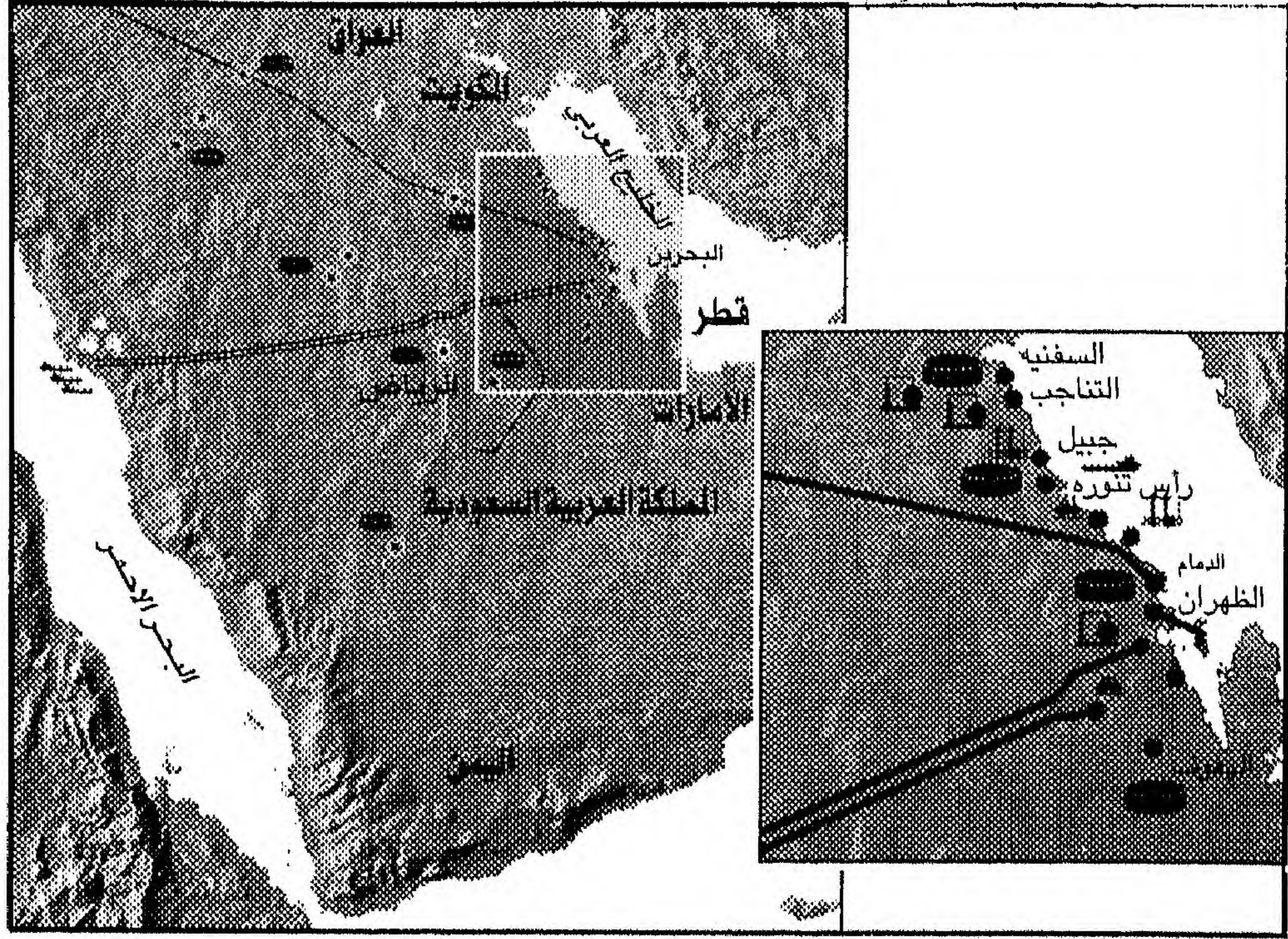
«ونتعرف على واحد من أقدم الكتب الهندسية،
كتاب «في معرفة الحيل الهندسية للجزري»، ونشهد بعض
منجزاته من الأدوات والآلات الميكانيكية، ونلمس العبقرية
الاسلامية وراء جهاز الأسطرلاب، وكيف طبق المسلمون
علم حساب المثلثات... ونستطلع كيف ان الكيميائيين
المسلمين طوروا أساليب التقطير التي نستخدمها اليوم في
مصافي النفط الحديثة...

١٩٨١، وهي تضم كلية الشريعة والعلوم الشرعية (التي
كانت تعمل منذ ١٩٦٩) وكلية التربية في مكة (التي
تأسست في ١٩٥٢). وقد عملت الكليتان لفترة، حتى
١٩٧٢، تحت الاشراف المباشر لوزارة المعارف، ثم أصبحتا
جزءاً من جامعة الملك عبد العزيز قبل أن تغدوا جزءاً من
جامعة أم القرى. ومنذ تأسيسها توسعت الجامعة في
مجالات عدة شملت كليات التربية والعلوم التطبيقية
والهندسية واللغة العربية وكلية العلوم الاجتماعية وكلية
العلوم الزراعية.

* المنطقة الشرقية: أكبر مناطق السعودية وأكثرها

غنى بالبتزول. تمتد من الحدود مع العراق والكويت إلى
الحدود مع قطر والامارات العربية المتحدة وعمان واليمن،
وترتبط بجسر عبر الخليج بالبحرين. وتحتل صحراء الربع
الخالي القسم الأكبر من المنطقة الشرقية من حيث المساحة.
يطل ساحلها على الخليج العربي بطول ٦١٠ كلم من رأس
الخفجي شمالاً إلى سلوى جنوباً مع متوسط عرض يبلغ
٦٠ كلم للساحل الساحلي. وتبلغ مساحة المنطقة الشرقية
٧٧٨ ألف كلم مربع (نحو ٣٦٪ من المساحة الاجمالية
للمملكة)، ويبلغ عدد سكانها نحو ٢،٢ مليون نسمة.
وإمارة المنطقة الشرقية تتكون من ١٠ إمارات رئيسية تتبع
جميعها لأمير المنطقة، وهي الأحساء والخبر والخفجي ورأس
تنورة وقرية والقطيف وحفر الباطن والجبيل والعتق
والنعيرية. وعاصمة المنطقة مدينة الدمام.

وإذا ما ذكرت المنطقة الشرقية يذكر معها



المنطقة الشرقية وساحلها.

٣٢٠٠ ق.م. إلى ١٨٠٠ ق.م. هي دولة فينيقية المنشأ أسسها الفينيقيون أحفاد الكنعانيين قبل نزوحهم إلى شواطئ البحر المتوسط. وقد تواصلت هجرات القبائل العربية بعد ذلك وكان أغلبهم من أغنى العرب يتمتعون بكل أسباب الرخاء والزرف وكانوا مسلمين إلى أبعد الحدود، فكان منهم الجرهابيون ثم قبائل قضاة والأزد وإياد، ثم تربع بنو عبد القيس في المنطقة وسكن معهم أبناء عمومتهم قبيلة بكر بن وائل، وبنو عبد القيس هم أشهر القبائل العربية التي سكنت المنطقة قبل الاسلام، وازدهرت في عهدهم الحياة الفكرية والأدبية، إذ كانت تقوم فيها الاسواق التي تعتبر مؤتمرات أدبية موسمية. ولما ظهر الاسلام سارع أهل المنطقة فبعثوا وفدهم إلى الرسول. وقد أسلم كثير من أهل المنطقة، كما أسلم واليهم المنذر بن ساوي، ثم ولّى الرسول عليهم العلاء بن الحضرمي، فانقاد له جميع السكان (عن «العربي»، المرجع المذكور أعلاه، ص ٤٣).

الدمام: في التاريخ المعاصر، وحتى بداية الثمانينات، كانت الدمام حاضرة المنطقة الشرقية، مدينة قائمة بذاتها، تقع على مسافة غير بعيدة منها كل من

«الفيلم (في المعرض، معرض أرامكو) يعرض لحظات تاريخية متتابعة تبدأ في رأس تنورة في أول ايار ١٩٣٩ حين أدار الملك عبد العزيز آل سعود الضمام إيذاناً بتدفق أول شحنة تجارية من النفط الخام السعودي إلى العالم... (وفي جناح أصل البترول) نماذج حية تبين كيف انه منذ ملايين السنين أصبحت النباتات والأحياء الصغيرة في شحيطات الارض هي اللبنة التي قامت عليها ظاهرة التحول الكيميائي الذي أدى في النهاية إلى نشوء المسود الهيدروكربونية، وهي ذرات من الهيدروجين والكربون تتحد لتكوّن البترول والغاز الطبيعي... (وفي المعرض) جناح لمروضات الحفر والانتاج وإدارة مكامن النفط لتتعرف على العمل التقني المعقد لاستخراج الزيت والغاز من باطن الأرض...».

تاريخياً تعود دلائل الاستيطان البشري بالمنطقة، إلى نحو ٥ آلاف سنة ق.م. والكنعانيون أول قوم يذكّرهم التاريخ كسكان لها منذ نحو ٣ آلاف سنة ق.م. وقد نزحوا من أواسط شبه الجزيرة حيث اجتذبتهم ينابيع المياه العذبة المتفجرة بسواحل المنطقة، ومن سلالتهم كان العمالقة والفينيقيون. ويرجح المؤرخون ان مملكة «دلمون» (راجع «البحرين»، ج ٥) التي قامت في المنطقة واستمرت من

«الخبر» و«الظهران» بحيث لا يحتاج التنقل بينها إلى أكثر من دقائق معدودة. ولكن الوثبة الحضارية التي تحققت (الثورة الصناعية البترولية) جعلت المدن الثلاث تتصل بعضها ببعض، وأطلق عليها اسم «منطقة الدمام».

في ١٩٣٢، حل قسم من قبيلة الدواسر على ساحل الدمام بعد انتقالهم من البحرين، وأقاموا لأنفسهم مساكن من سعف النخيل والطين، واستمروا في الإقامة ١٥ سنة انصرف الناس خلالها إلى الغوص بحثاً عن اللؤلؤ، فتحسنت أحوالهم بحيث بنوا بيوتهم من اللبن. وحين انهارت أسعار اللؤلؤ عالمياً بعد ظهور اللؤلؤ الياباني المزروع، هجر كثير من السكان مهنة الغوص، واتجهوا إلى مهنة أهم وأجدى هي صناعة النفط التي كانت قد بدأت تعكس آثارها على مختلف جوانب الحياة في المملكة، وفي المنطقة الشرقية بوجه خاص.

وسرعان ما تحولت الدمام إلى مدينة عصرية صناعية. وفيها ميناء عبد العزيز، أهم الموانئ على الخليج، ويربط الميناء بالرياض شبكة من السكك الحديدية لنقل البضائع والركاب. أما منطقتها الصناعية فتحتل مساحة من الأرض تبلغ ٣٥ كلم م.

وأبرز ما تحقق في مجال المواصلات في الدمام هو الجسر (جسر الملك فهد) الذي يمتد من الساحل إلى البحرين بطول ٢٥ كلم، ويحتوي في كل اتجاه على ثلاثة مسارات، وتم افتتاحه في تشرين الثاني ١٩٨٦.

أما أبرز آثار الدمام (والمنطقة) التاريخية فتقع في جزيرة تاروت الواقعة على بعد ٨ كلم إلى الشمال الشرقي من مدينة الدمام. والرأي الغالب في مدلول اسمها أنه في الأصل «عشتاروت»، وانها كانت معبدًا فينيقيًا. وقد عثر في أحد بساتين الجزيرة على تمثال من الذهب الخالص للألهة عشتاروت، كما يوجد في الجزيرة مرتفع صخري رأى بعض الباحثين انه هيكल للبعل ولعشتاروت.

ذهب حمد الجاسر في «المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية» (وهو جزء من عدة أجزاء تناول أمكنة ومواقع المملكة) إلى ان آثاراً مهمة اكتشفت في الجزيرة يرجع بعضها إلى فترة عصر السلالات الأولى للبلاد ما بين النهرين، وبعضها يعود إلى فترات مختلفة معاصرة للحضارة العيلامية الفارسية وحضارة الماهنغودارو على نهر السند وحضارة أم النار في المنطقة الجنوبية من الخليج التي تم اكتشاف بقاياها في أبو ظبي بواسطة البعثة الدانماركية سنة ١٩٦٦.

تبدو مدينة تاروت التاريخية في صورة تل تعلوه

قلعة بناها البرتغاليون (١٥٢٠). وقد شيدت القلعة على أنقاض مستوطنات سابقة تعود إلى خمسة آلاف سنة مضت (وهو ما أثبتته البعثة الدانماركية). وتراجعت أهمية تاروت في القرن السادس عشر بعد ظهور الموانئ المنافسة لها، فأصبحت مجرد بلدة تكثر فيها الكروم وتنتج أفضل الأعناب. وتقع القلعة حاليًا في ما يشبه قلب المدينة بعد النمو العمراني المضطرد (بالنسبة إلى تاروت وقلعتها، عن أحمد مرتضى عبده، «الحياة»، العدد ١١٧٦٦، ٩ ايار ١٩٩٥، ص ٢١).

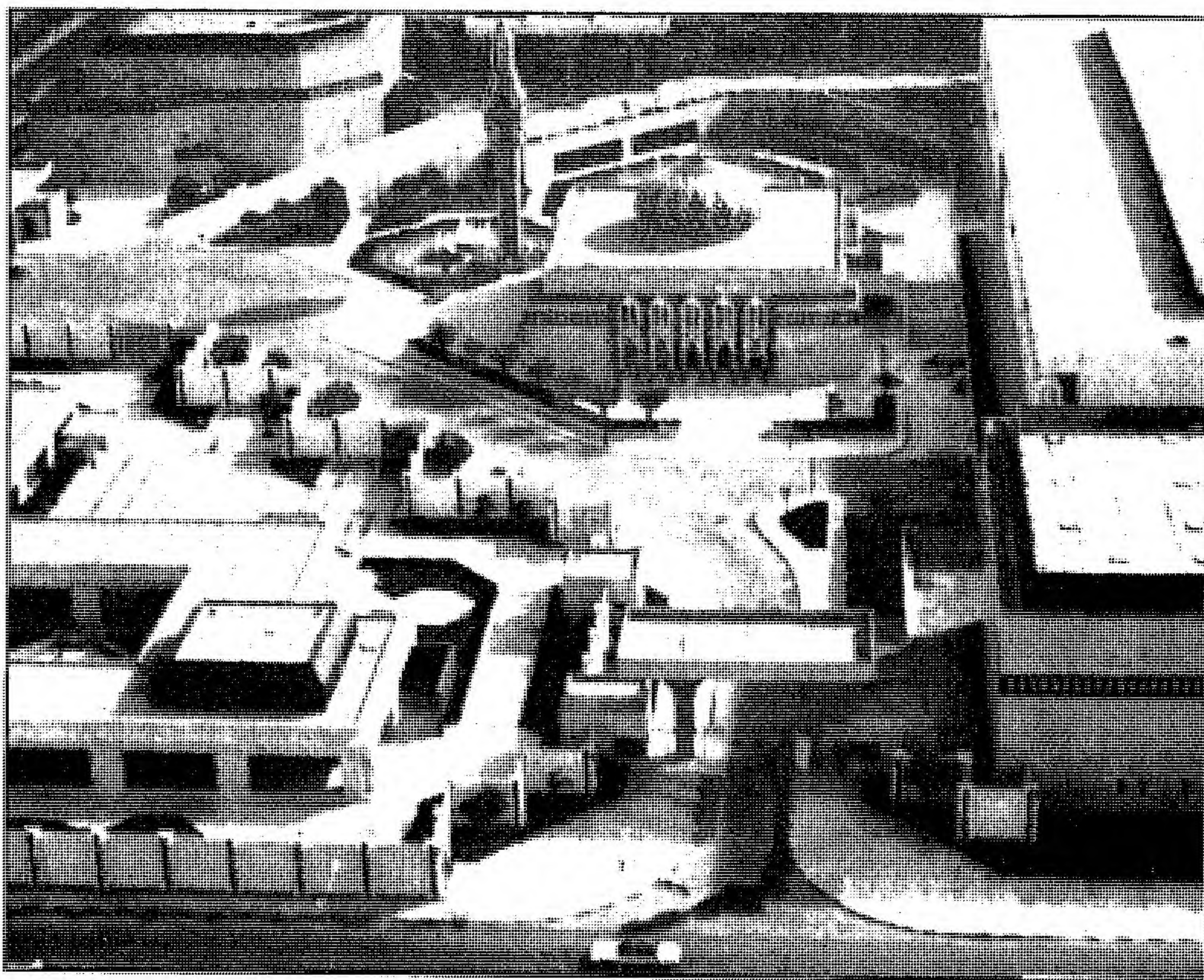
الخبر: الخبر الحديثة توأم للدمام. فقد نشأتا في ما بين الحربين العالميتين عندما جاءهما الدواسر الذين عملوا في تجارة اللؤلؤ. لكنها سبقت الدمام في الاستفادة من الثروة النفطية لكونها أقرب المراكز السكانية إلى الآبار المنتجة للنفط في الظهران. سكانها والعاملون في مؤسساتها خليط من جنسيات عديدة (آسيويون، أوروبيون وأميريكيون، إضافة إلى العرب).

الظهران: فيها المقر الرئيسي لشركة أرامكو، تبعد عن الخبر نحو ١٠ كلم. ارتبط وجودها باكتشاف النفط، فكان إنشاؤها على يد شركة أرامكو وعلى الطراز الحديث. وأسس فيها الجامع الكبير. وسرعان ما أصبحت مركزاً للتكنولوجيا والصناعات الحديثة. وأنشئت فيها «جامعة الملك فهد للبترول والمعادن». مطارها من أهم المطارات في العالم، وهو البوابة الشرقية الجوية للمملكة، ويربطها بمختلف أقطار العالم (خبر ألفي مسافر في الساعة).

القطيف: تبعد عن مطار الظهران نحو ٣٠ كلم. تضم مدناً تاريخية قديمة، أهمها مدينة القطيف نفسها التي يعود تاريخها إلى آخر عهد من عهود النحاسي (٣٥٠٠ سنة ق.م.).

في الأصل بلدة صغيرة (قبل الازدهار النفطي). والقلعة أبرز معالمها التاريخية وبجانبها مسجد يعود إلى بداية القرن الخامس عشر. وفي القطيف بحر أراد القرامطة ان يجعلوها بديلاً لماء زمزم وموقعاً للكعبة التي حاولوا اصطناعها بدلاً من مكة المكرمة. ومن المعروف تاريخياً انهم تمكنوا من اقتلاع باب الكعبة وخلع الحجر الأسود فحملوه معهم إلى الإحساء، وبقي الحجر الأسود في كعبتهم المزعومة نحو ٢٢ سنة.

وشهرة القطيف الزراعية لا تقل قدماً عن تاريخها



الدمام حاضرة المنطقة الشرقية.

جسر الملك فهد، من شاطئ المنطقة الشرقية الى البحرين.



و١٩٩٣ سجل وجود نحو ٣ آلاف وسم صخري يعود بعضها إلى العصر الحجري الحديث (٦٥٠٠ ق.م.).

* يثرب: راجع «المدينة المنورة» في هذا الباب.

* ينبع: سمي كذلك لكثرة ينباعه الجارية. ويطلق على منطقة متسعة من الحجاز غربي المدينة المنورة. ورد الاسم في مؤلفات المقريزي والناقلي وغيرهم. وكان يقصد بها ينبع النخل لأن ينبع الميناء أو ينبع البحر لم يكن قد عرف بعد. والمدينتان متجاورتان، وينبع النخل هي الجزء الأعلى من المنطقة، وينبع البحر (البحر الأحمر) هي الجزء الأسفل. ولينبع النخل شهرة واسعة في تاريخ صدر الاسلام لوقوعها على طريق القوافل التجارية بين الحجاز والشام، كما كانت ميداناً لأحداث عديدة بين قريش والرسول وبعض القبائل التي تقطن المنطقة.

في العام ١٢٢١، وبعد اضمحلال ميناء الحجاز (أيضاً على ساحل الحجاز، وكان مزدهراً حتى عرف البحر الأحمر ببحر الحجاز)، أقامت الدولة الأيوبية أول منشأتها في ميناء ينبع حيث كانت تبعث السفن المحملة بالموث لتوزيعها على أهل المدينة المنورة.

في أوائل القرن السادس عشر، خرب ميناء ينبع

نماذج وسم صخرية في منطقة لجران.



العريق. وقد أقيمت في منطقة القطيف واحدة من أكبر محطات التجارب الزراعية في المملكة. وكما كانت القطيف تشتهر في الماضي بزراعة العنب، وقد أخذ اسمها من قطف العنب، فقد عادت زراعته تزدهر، ومعها ازدهرت زراعة الخضراوات والزهور.

الإحساء: في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»، لحامد الجاسر (القسم الأول أ-ض، منشورات دار اليمامة، ١٩٧٧، ص ٦٥): «الإحساء أشهر مدينة في شرق الجزيرة، قبل عهد النفط، ونقلت القاعدة منها إلى الدمام في عشر السبعين من هذا القرن، وشهرتها تغني عن وصفها».

تبعد منطقة الإحساء نحو ٧٥ كلم عن شواطئ الخليج العربي، وهي من أكبر الواحات في المملكة. وفي التاريخ أنها كانت موطناً لحضارة زراعية. وشهيرة بعيونها الطبيعية، وأشهر معالمها جبل قارة، وهو جبل صخري أحدثت فيه عوامل التعرية شقوقاً ومغارات داخلية.

ظلت الإحساء، على مر العصور، منطقة جذب للطائحين إلى استيطانها لوفرة ما تنعم به. وكانت المدينة نفسها قد قامت على أنقاض مدينة «هجر». ومن أبرز القبائل التي استوطنت الإحساء قبيلة بني عبد القيس، وهم من أوائل من دخل الإسلام في السنة السابعة للهجرة. وكانت الإحساء وقتها تضم قرية «جوانا» التي أنشئ فيها ثاني مسجد تقام فيه صلاة الجمعة بعد مسجد الرسول. وعلى مر الزمان زحفت الرمال على هذا المسجد ثم أعيد الكشف عن أجزائه المتبقية في السنوات الأخيرة (المرجع الرئيسي لهذه المادة «المنطقة الشرقية»، مجلة «العربي»، العدد ٤٠٢، أيار ١٩٩٢، ص ٣٦-٥٦).

الجيل: راجع «الجيل» في هذا الباب، مدن ومعالم.

* لجران: راجع «الأخدود» في هذا الباب.

* الوسوم: ليس هذا اسم مدينة أو موقع أثري، بل هي رسوم صخرية (إن صح التعبير) منتشرة في أماكن متعددة من المملكة، أطلق عليها مصطلح «وسوم» للشبه بينها وبين ما يوضع بالكي على أجسام الحيوانات، ويكون عادة على أشكال مختلفة لكل قبيلة أو عشيرة كعلامات رمزية. ويمكن إرجاع استخدام الرسم القبلي إلى آلاف السنين في شبه الجزيرة العربية. توجد الرسوم الصخرية على نطاق واسع في أنحاء المملكة، وهي أكثر وجوداً في الغيران الصخرية ومواقع مضارب البادية وأماكن الآبار والينابيع ومصادر المياه. ومن خلال مسح أولي برعاية وزارة المعارف بين ١٩٨٥

«ينبع الصناعية» التي ارتبطت بالصناعات الأساسية والثقيلة. ولم يكن الموقع الحالي لهذه المدينة الصناعية سوى شريط صحراوي، فأصبح يأوي الصناعات الثقيلة في المملكة، ويقوم فيه نحو ٥٧ ألف شخص ويتوقع ان يرتفع عددهم إلى نحو ٩٠ ألفاً في العام ٢٠٠٠. وكانت المملكة قررت في منتصف السبعينات بناء مدن صناعية جديدة، واختارت لأسباب استراتيجية وتجارية منطقتي الجبيل على الخليج العربي وينبع على البحر الأحمر. وتأسست لهذا الغرض «الشركة السعودية للصناعات الأساسية» (سابك). وقد أقيم ميناء خاص بمدينة ينبع الصناعية هو «ميناء الملك فهد» المعتبر من أضخم الموانئ في العالم، كما يعد أكبر مجمع لشحن النفط على ساحل البحر الأحمر ويمتد لمسافة ١٥ كلم على طول الساحل، وهو محمي بسلسلة من الصخور المرجانية في عرض البحر.

وإذا كانت عبارة «مدينة صناعية» ترتبط في الغالب بالمدن الشديدة التلوث، فإن الهيئة الملكية للجبيل وينبع، وهي السلطة المكلفة تطوير المدينتين، تعلن في كل مناسبة حرصها على تخطيطهما بدقة وعناية شديتين، بحيث تكون يتيهما مثالية بما يساعد على تحسين مستوى حياة سكانهما. وقد حظيت البرامج البيئية التي نفذتها هذه الهيئة الملكية باهتمام دول العالم ومنظماتها المتخصصة في مجال المحافظة على البيئة، وتكفل هذا الاهتمام بفوز الهيئة بجائزة «ساساكاوا» الدولية لحماية البيئة عام ١٩٨٨ مناصفة مع اللجنة الدولية للبيئة والتنمية المتبعة عن الأمم المتحدة.

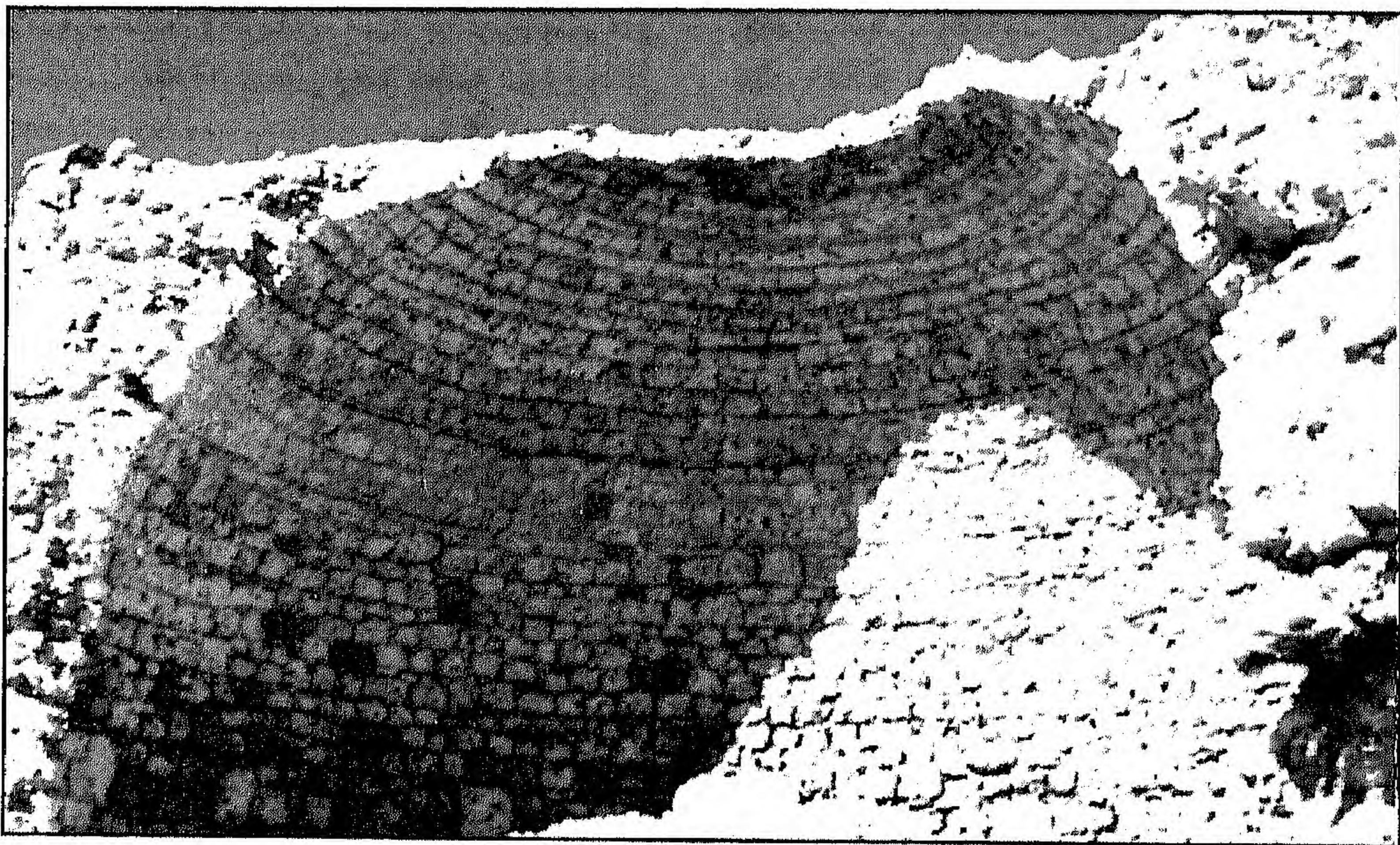
صومعة الدلال في ينبع القديمة.

بسبب اختلال الأمن في الحجاز. وعاد إلى عهده الزاهر في عهد السلاطين الجراكسة عندما أقاموا إصلاحات واسعة في الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) كما اهتموا بطريق الحج وتأمين قوافل الحجاج، وكذلك توفير ما تحتاجه قافلة المحمل (راجع «الحج» في باب معالم تاريخية) من الحاجيات اللازمة ترسل بحراً من السويس إلى ينبع.

في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني قررت الجرايات لأهالي الحرمين فكانت ترسل بواسطة ميناء ينبع. وجرى توسيع الميناء ورصفه رصفاً محكماً في عهد السلطان مراد (١٥٧١). في القرن التاسع عشر، عرف الميناء نشاطاً كبيراً عندما احتلته قوات محمد علي باشا، فأُنزل به المعدات الحربية والأمتعة والعتاد. وفي ١٩٠٣، استقبل الميناء أول قافلة لبواخر الحجاج، واستمر ذلك حتى بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) وإغلاق البحر الأحمر. وكان الميناء قد شهد عدة إصلاحات وبنيت فيه عدة أرصفة مع بداية العهد السعودي.

ومع بدء تنفيذ توسعة الحرم النبوي الشريف (١٩٥٠-١٩٥١) استعاد الميناء حيويته حيث كان يستقبل البواخر المحملة بالحديد والأسمنت والأخشاب ومواد البناء اللازمة. وجاء اهتمام الدولة ليكون ميناء ينبع الحديث من أهم الموانئ، وقد افتتحه الملك خالد بن عبد العزيز -يوم كان ولياً للعهد- في ١٩٦٤، فأصبح جاهزاً لاستقبال أنواع السفن على اختلاف حمولاتها، كما حرصت الدولة على تقديم تسهيلات كبيرة للسفن فأعفتها من كثير من الرسوم.

على بعد ١٩ كلم من ينبع الميناء أقيمت مدينة



زعماء، رجال دولة وسياسة

(المراجع الأساسية لهذا الباب الموزع على ثلاثة عناوين، «الأسرة المالكة» و«الملوك» و«وزراء وشخصيات سياسية»: «الدين والدولة في المملكة العربية السعودية»، مؤلفه د. أيمن الياسيني ونقله إلى العربية د. كمال اليازجي، دار الساقي، ط٢، ص ٩١-٩٧، بالنسبة إلى العنوان الأول «الأسرة المالكة»، والعنوان الثالث «وزراء وشخصيات سياسية» - باستثناء جميل مراد بارودي وكمال أدهم اللذين استقيت سيرتهما من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٢، ط ١، ١٩٨١، ص ٢٦٦ و ج ٥، ط ٢، ١٩٩٠، ص ١٣٨-١٤٠ وعدد من الكتب التي أشير إليها في مواضعها بالنسبة إلى العنوان الثاني، «الملوك»).

الأسرة المالكة

إن تعداد الأسرة المالكة السعودية غير معروف بالضبط (بعض التقديرات يشير إلى أنها مئات من الذكور، وبعض الآخر يجعلهم ٣-٥ آلاف). لكن المعروف، بشيء من التحقق، أن اتساع نطاق الأسرة بالامكان رده إلى كثرة عقود زواج عبد العزيز بن سعود، وهي الوسيلة التي اعتمدها في ترسيخ حكمه. مثال ذلك أن ابن سعود، على أثر هزيمة ابن الرشيد، «استضاف جميع من بقي من أعضاء الأسرة الرشيدية في الرياض، حيث عاشوا حياتهم على حسابه... وعقد لنفسه على ارملة منافسه الأولى، وأنزل أيتامه بمقام أولاده»، وأخذ يتزوج من كثرات القبائل، أخصها قبائل السدير، ومطير، وعنزة ودواسر.

وللروابط العائلية أهمية قصوى في العريسة السعودية. فيساند أفراد الأسرة واحدهم الآخر في السعي وراء السلطة. مثال ذلك أن مكانة الأمير عبد الله في بنية السلطة السعودية يعززها انتسابه إلى قبيلة شمر، وهي من أقوى قبائل البلاد. ومكانة الملك فهد وإخوته الستة من أبويه - وهم المعروفون بـ«السبعة السديريين» - تعتبر الأقوى بين أفراد الأسرة المالكة وليس ذلك فقط لانتساب هؤلاء إلى قبيلة السدير عن طريق والدتهم (حيا ابنه أحمد السديري)، بل لأنهم كذلك إخوة لأبوين.

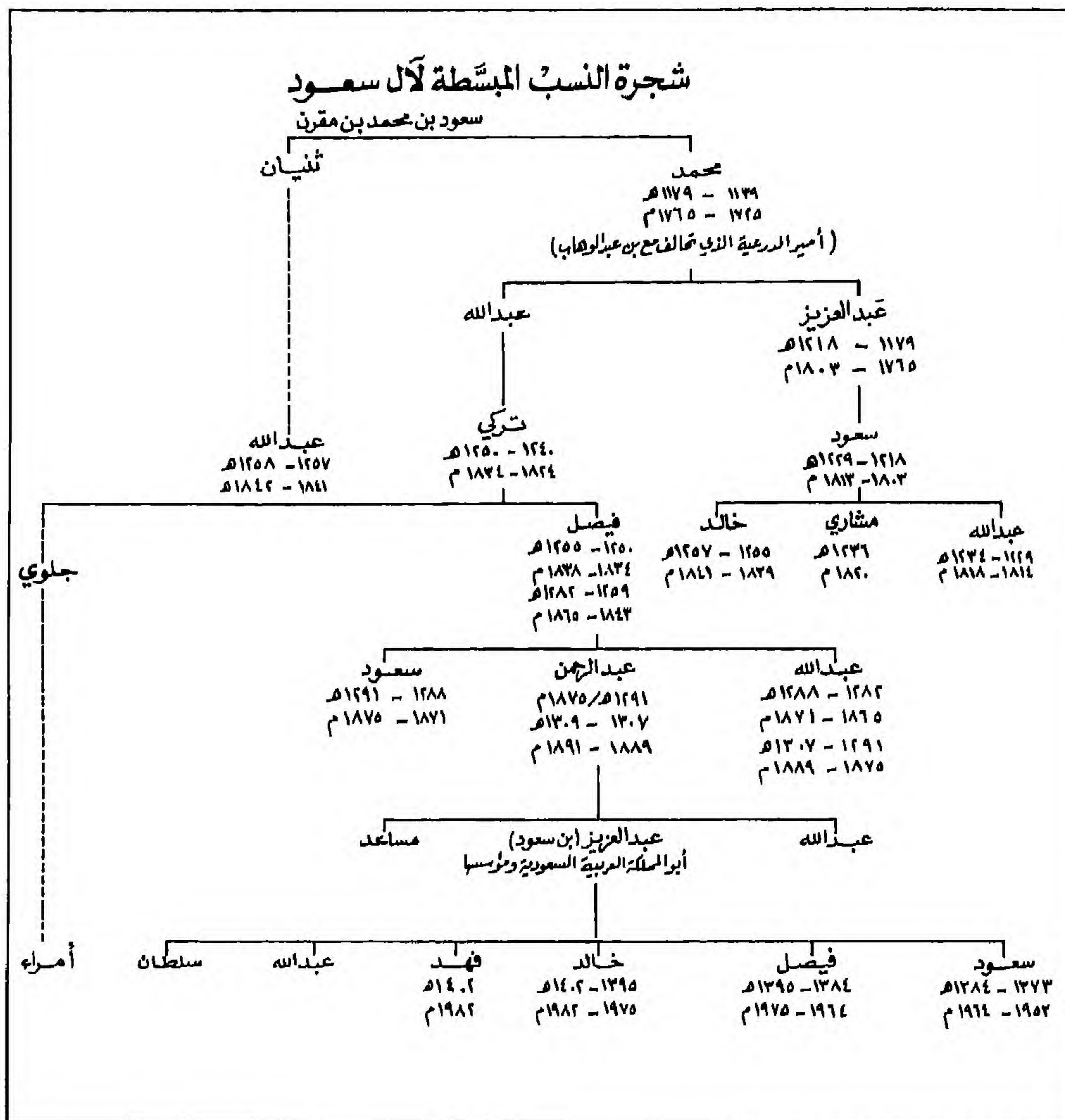
إن مكانة الفرد في الأسرة المالكة، ودوره في الحكومة، رهن باعتبارين: الأول، قرب صلته بأسرة الملك

الخاصة؛ والثاني، الجيل الذي هو منه. فمئذ وفاة ابن سعود (١٩٥٣)، انتقل الملك منه إلى ابنه سعود، وابتداء من ١٩٦٤، أصبح من الأخ إلى أخيه. فقد كان سعود الأخ الأكبر، فشلاه فيصل. وكان ينبغي على الأمير محمد أن يخلف فيصلاً، لكنه تنازل عن حقه لأخيه الأصغر خالد. وتنازل محمد عن حقه لأخيه فرضه كبير أعضاء الأسرة وقرار من «العلماء».

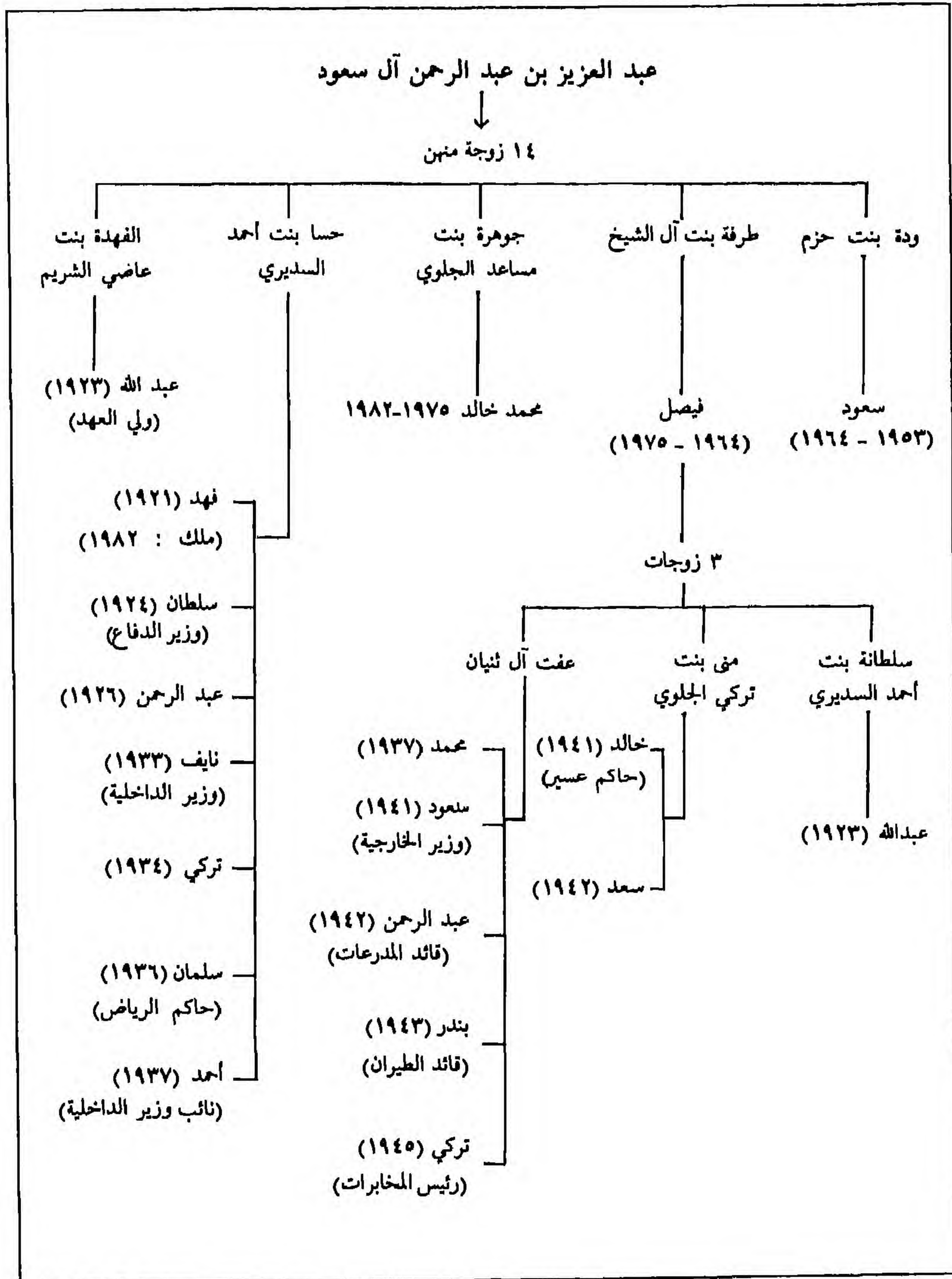
إن حجم الأسرة المالكة الكبير مكّنها من توحيد القبائل الكبرى في البلاد عن طريق شبكة شحمة من عقود الزواج. فتمكن آل سعود، عبر المناصب السياسية والإدارية من ضم مناطق البلاد المتباعدة في إدارة مركزية واحدة، وأمنوا للأسرة السلطة على المجتمع.

ثم إن قدرة الأسرة السعودية على الحكم وضبط المجتمع بصورة لا نظير لها بين مجتمعات العالم عائدة كذلك إلى التطور والتكيف مع الأحوال المستجدة، والاستعداد لسد الحاجات الطارئة، وعدم معارضتها للتغيير مع قدرتها على ضبطه وتوجيهه. وقد تجلّى هذا الأمر، في العقود الثلاثة الأخيرة، بإقبال أهلها على النهل من العلوم المدنية وحيازة أعلى الشهادات الجامعية (بعد أن كانت الثقافة، أو التربية والتعليم، موقوفة على ما درج تسميته بـ«ثقافة القصر»). فأخذت تعتمد على أفرادها، الحائزين على الشهادات الجامعية في تولي المناصب القيادية والإدارية في المؤسسات المستحدثة التي يتطلبها التطور والتقدم العلمي. ففضلاً عن الاستئثار بالمناصب الرئيسية إلى جانب النيابة الأولى والثانية لرئاسة الوزراء، ووزارة الدفاع، والحرس الوطني، والشؤون الخارجية، فإن أفراداً آخرين من الأسرة المالكة يُقبلون إقبالاً متزايداً على ملء دون ذلك من المناصب، وصولاً إلى بعض المراكز الثانوية في إدارة الدولة. فمحمد بن عبد الله، مثلاً، نائب مدير في وزارة الزراعة؛ وعبد الرحمن بن سعود، ومند بن فهد، وفهد بن سلطان... هم إما مديرون أو نواب مديرين في بعض دوائر الدولة.

وكذلك عكف الحكم على إنشاء مؤسسات إدارية عصرية اقتضت إعداد موظفين إداريين ذوي خلفيات ثقافية ومهارات مهنية لا توجد عند أحد من «العلماء» (أي في المدارس التقليدية). ولئن كانت الثقافة الدينية في الثلاثينات مطلباً ضرورياً في الأعداد للإدارة الحكومية، فقد استبدلت بالثقافة المدنية منذ الخمسينات. فمن أصل ٤٤ موظفاً من المستوى الرفيع جرى إحصاؤهم في ١٩٧٢، فإن ٦٥٪ منهم تلقوا ثقافة مدنية، وكان ٤ من



المصدر: د. ناصر إبراهيم الرشيد، د. اسير إبراهيم شاهين، «الملك فهد، مسيرة الإنجازات الحضارية في المملكة العربية السعودية»، نقله عن
الانكليزية أحمد شفيق الخطيب، بدون تاريخ ص ٢٢.





الملك عبد العزيز آل سعود.

ومضت قرابة عشر سنوات وهو يعيش في الكويت متألمًا حزينًا. وعندما بلغ العشرين من عمره برزت فيه ملامح زعامة سديدة الرأي ومتعددة المواهب، وكان فارغ الطول بارعًا في الفروسية وركوب الخيل. واتخذ عبد العزيز قراره الحاسم باسترداد الرياض، وكان قد استفاد من تجربته السابقة في الاستيلاء على الرياض إبان وقعة «الصريف» التي انهزمت فيها قوات الشيخ مبارك أمير الكويت (وكان عبد العزيز يقاتل في صفوفها) أمام قوات ابن رشيد، حيث اضطر عبد العزيز لمغادرة الرياض بطلب من والده الإمام عبد الرحمن.

وفي ظروف قاسية، عاد عبد العزيز وانطلق من الكويت إلى الرياض عبر الصحراء بجيش صغير قوامه ٦٠ رجلاً. وفي صبيحة ١٥ كانون الثاني ١٩٠٢، تمكن، بعد مغامرة بطولية، من فتح مدينة الرياض التي عمد، لشوه، إلى تحصين المدينة ووضع الخطط لتوحيد أجزاء البلاد. فضم القصيم، ثم الأحساء، ثم عسير، ثم حائل معقل ابن رشيد.

الوزراء ثقافتهم تقليدية، في حين أن ٦ منهم كانت ثقافتهم مدنية. أما نواب الوزراء (أيضًا في وزارة ١٩٧٢) وعددهم ١٤ نائب وزير، فإن ثلاثة منهم لا غير (إثنان من العائلة المالكة) كانت ثقافتهم تقليدية، أما الـ ١١ الباقون فثقافتهم مدنية، و ٨ منهم حصلوا على علومهم من جامعات اميركية. ومن أصل ٢٣ وزيرًا في الوزارة اللاحقة، أي وزارة الملك خالد - باستثناء أعضاء الأسرة المالكة - ٣ لا غير زاولوا تحصيلهم العلمي في المعاهد الدينية، بينما باقي أعضاء الوزارة حصلوا تعليمهم العالي في جامعات الولايات المتحدة وبريطانيا ومصر ولبنان. واستمر اتجاه «الشهادة» و«الكفاءة» العلمية المدنية متصاعدًا، واستمرت دائرتهم تتسع في حقل المسؤوليات والمهام السياسية والإدارية، وقد لحظتهما أنظمة الحكم الأساسية الصادرة في السنوات الأخيرة (راجع «الحكم» في باب بطاقة تعريف).

الملك

الأمير ولي العهد النائب الأول لرئيس الوزراء
الأمير النائب الثاني لرئيس الوزراء وزير الدفاع والطيران
الأمير وزير الخارجية

* عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود،
الملك (١٨٨٠-١٩٥٣): مؤسس المملكة العربية
السعودية.

ولد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود في مدينة الرياض في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـ الموافق ٢ كانون الأول عام ١٨٨٠ م (أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص ١٠٧). نشأ في ظل والده الإمام عبد الرحمن، حيث تعلم القراءة والكتابة، ثم عهد به والده إلى بعض العلماء والفقهاء الذين تلقى عنهم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وحفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين. وكان منذ صغره حاد الذكاء، دقيق الملاحظة، فوعى ما كان يحيط بوالده وأسرتهم من أجواء مشحونة بالعداء والمطامع والمؤامرات التي اضطر معها الإمام عبد الرحمن إلى مغادرة عاصمة حكمه الرياض (١٨٩١) إلى جوف الصحراء حيث استقر به وبأسرته المقام، بعدها، في الكويت. وكان عبد العزيز في الثانية من عمره، فتركت هذه الأحداث في نفسه ذكريات موجعة، وترسخت في ذهنه وقلبه فكرة العزم على استرداد ملك آبائه وأجداده مهما كانت الظروف ومهما بلغت التضحيات.

وواصل عبد العزيز انتصاراته في معارك عديدة حيث تمّ له فتح الطائف ودخول مكة المكرمة (١٩٢٤)، وبعد نحو سنة استسلمت مدينة جدة (١٩٢٥)، وبذلك أصبحت جميع منطقة الحجاز ومدنها تحت حكمه دون منازع.

وبعد أن أصبح عبد العزيز الحاكم الوحيد لنجد والحجاز نودي به ملكاً على البلاد. وفي ٢٣ أيلول ١٩٣٢، أعلن تأسيس المملكة العربية السعودية، وأصبح هذا اليوم هو اليوم الوطني للمملكة.

لم يضع الملك عبد العزيز الوقت بعد مرحلة الجهاد، بل بدأ مرحلة أخرى من البناء والتنظيم وتوطيد الأمن وتأمين طرق الحج وتعمير البلاد وتشجيع الزراعة وتوطين البدو، وتثبيت كيان المملكة. ثم عمّد إلى تسوية مشاكل الحدود وتحسين العلاقات مع الدول العربية والإسلامية.

واقعه الملك عبد العزيز إلى الإصلاح الداخلي، فجعل القرآن الكريم والسنة دستور المملكة، وأسس مجلس الشورى، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم شرع في فتح المدارس واستقدام المدرسين، كما أرسل البعثات من أبناء المملكة إلى عدد من الكليات والمعاهد في الخارج لتستفيد المملكة من علمهم في النهوض بها لدى عودتهم إليها. كما قام بطباعة الكتب الدينية والعلمية وتوزيعها مجاناً، وعمل على الانتفاع بالمخترعات الحديثة.

وعندما تمّ اكتشاف البترول في المنطقة الشرقية من المملكة وبدأ الإنتاج والتصدير (١٩٣٨)، أخذت المملكة تتقدم بسرعة في النواحي التعليمية والصحية وإنشاء الطرق والسكك الحديدية.

وواصل الملك عبد العزيز تنظيم أجهزة الدولة. فقام بتأسيس مجلس الوزراء، وأمر بسك النقود السعودية، ووضع موازنة للدولة الفتية، وبدأ في تنفيذ مشروعات توسعة الحرمين الشريفين.

وفي المجال السياسي، عقد الملك عبد العزيز المعاهدات مع الدول مما يحقق مصلحة المملكة، وساهم في تأسيس جامعة الدول العربية، كما أصبحت المملكة عضواً في الأمم المتحدة وفي كثير من المنظمات والهيئات الدولية المنبثقة عنها (عن «ثوابت السياسة السعودية، إعداد إدارة الأبحاث والنشر بدار الأفق للنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ص ١٤-١٧).

لا تزال سيرة الملك عبد العزيز وسياسته-خاصة المتصلة منها بالقضية الفلسطينية-موضوع دراسات تركز غالبيتها على اجتماع الملك بالرئيس الأميركي روزفلت



أول صورة لعبد العزيز في الكويت (١٩١٠).

وكانت نشاطات الصهاينة أقلق العاهل السعودي طوال الثلاثينات، ولا بد أنها كانت المشجع الرئيسي على الاتصالات التي قام بها مع المانيا (...) وبقيت الاتصالات بالضرورة مكتومة وغير رسمية نظراً إلى رغبته المخلصة في الحفاظ على تحالفه مع بريطانيا التي كانت على وشك دخول الحرب ضد المانيا. ويرجح ان تشرشل كان على علم بتلك الاتصالات، ولعل ذلك يفسر سلبته أثناء اللقاء... (ومما قاله عبد العزيز لتشرشل): «ساعدتك وسوف أساعدك وأدعم موقف الحلفاء دوماً لكن لا يمكنني تدمير روحي وشرفي كمسلم بالتوصل إلى تسوية مع الصهيونية...».

وفي كتاب «لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبد العزيز: دراسة وثائقية» (دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ١٩٩٧) خصص المؤلف، الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، الفصل السابع للحديث عن قدرة الملك عبد العزيز الفاتكة في التعامل الحذر مع السياسة البريطانية، وكيف تلافى المحازفات، ما دعا سير بيرسي كوكس، الخبير في سياسات الخليج لأكثر من ثلاثين سنة ان يقول إنه «لم ير ابن سعود ينزلق إلى خطوة خاطئة»؛ كما قال عنه غلوب باشا «إنه شخصية مذهلة كما ولو كان رئيس أعظم دولة في العالم»، إضافة إلى رسائل تبادلها الملك عبد العزيز مع عبد الله فيليبس والكاهن شكسبير تضمنت جميعاً مواقف الساعة خصوصاً العلاقة مع الشريف حسين وأولاده إضافة إلى تقارير بريطانية عن الملك عبد العزيز. أما الفصل الثامن فتتضمن موقف الملك عبد العزيز من قضية فلسطين التي اعتبرها قضيتته الأولى حيث يقول في إحدى رسائله إلى البريطانيين: «لو قلت لكم إن هناك ذرة واحدة في جسدي لا تدعوني إلى قتال اليهود لكنت أكذب، لو ذهبت كل أملاكي وتوقف نسلي لكان أسهل عليّ من أن أرى موطنهم قدم لليهود في فلسطين».

* سعود بن عبد العزيز آل سعود، الملك (١٩٠٢-١٩٦٩): الأبن البكر لعبد العزيز، تولى العرش عقب وفاة والده في ١٩٥٣، واستمر عليه حتى ١٩٦٤. داخلياً، بدأ نهضة تعليمية بفتح مدرسة أبحال ولي العهد الأهلية التي تعد من أوائل مدارس البنين في نجد. بعد مدرسة الأمراء والمدارس التذكارية التي أنشأها الملك عبد العزيز. وحول مديرية المعارف العامة (أنشأها عبد العزيز في ١٩٢٦) إلى وزارة المعارف، وكان الأمير (الملك حالياً) فهد بن عبد العزيز أول وزير لها، وتركزت أهدافها على

وعلى مراسلاتهما، وعلى اجتماعه برئيس الوزراء البريطاني تشرشل، ومن خلال ذلك إظهار تمسك الملك بالحقوق العربية، في فلسطين والبلدان العربية، وقوة شكيمته في الموقف، وذكائه الحاد في تقديم الحجج.

عن اجتماع الملك عبد العزيز بروزفلت- وإضافة إلى ما جاء في النبذة التاريخية- كتب آلان راش، وهو باحث وكاتب بريطاني في تاريخ العالم العربي وشؤونه («الحياة»، العدد ١١٦٨٩، ٢٠ شباط ١٩٩٥، ص ٧)، في جملة ما صدر من دراسات، في الموضوع، في السنوات الأخيرة:

«... حاول روزفلت تقديم حجة جديدة، بالحديث عن القدرة الزراعية التي برهن عليها المستوطنون الصهاينة، وما في ذلك من الخير لليهود والعرب على حد سواء. لكن الملك عاد إلى الرفض. وكان جوابه، حسب شاهد عيان آخر هو الأمير كي هاري هوبكنز، «لم ينجح اليهود في تحويل الصحراء في فلسطين إلى مزارع يانعة إلا بفضل تدفق رؤوس الأموال الأميركية والبريطانية عليهم بالملايين. ولو أعطيت تلك الملايين إلى العرب لنجحوا بالقدر نفسه». وهنا يستمر هوبكنز ليقول: «لا شك ان الرئيس (روزفلت)، عندما وجه الدعوة، لم يكن يدرك أي نوع من الرجال هو ضيفه، إنه رجل ذو وقار وتكشف وقوة عظيمة وجندي بالفطرة، وفوق كل ذلك فهو عربي». وأكد ذلك أمير كي آخر، هو أليوت روزفلت نجل الرئيس، الذي قال في كتابه الذي كان بعنوان «كما رأيت»، إن والده اعتبر ان ذلك «العاهل الحديدي الارادة كان الرجل الذي حصل منه على أقل ما يمكن من بين كل الرجال الذين قابلهم في حياته. وبرهن العاهل على قوة شكيمته في قضايا أقل أهمية، عندما حصل من الأميركيين، مقابل السماح للبحرية الأميركية بالإرساء في موانئ العربية السعودية والتزود منها، على تعهدات بعدم احتلال أي من أراضي المملكة لأي سبب كان، وان تتسلم السعودية بعد خمس سنوات كل المنشآت العسكرية والمعدات الحربية الأميركية، والأهم من كل ذلك ان تساند الولايات المتحدة، حسب شرعة الاطلسي كل المبادرات التي تتخذها الدولة السعودية لصالح تحرير الشعوب العربية الرازحة حالياً تحت السيطرة الأجنبية...».

وعن لقاء الملك عبد العزيز تشرشل وسياسته إزاء بريطانيا والحلفاء، يتابع راش:

«... تصرف تشرشل بجفاء (في لقاء عبد العزيز به) ولم يد أي تفهم لوضع الفلسطينيين أو استعداد لمواجهة المشكلة التي كان لها ان تتفاقم عبر العقود اللاحقة.



الملك فيصل بن عبد العزيز.



الملك سعود بن عبد العزيز.

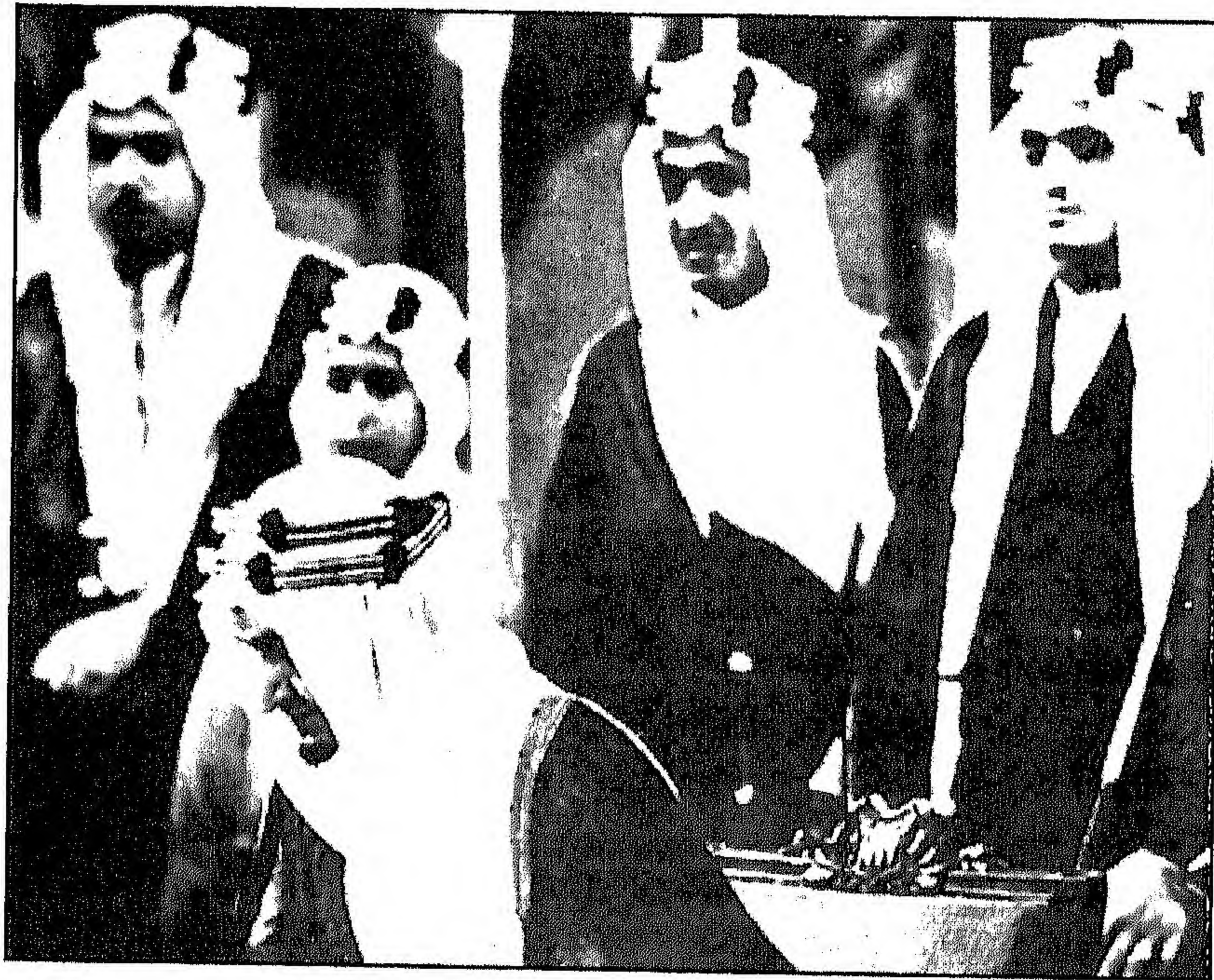
* فيصل بن عبد العزيز آل سعود، الملك (١٩٠٦-١٩٧٥): الابن الثالث لعبد العزيز. ولد في مدينة الرياض. شارك في سن مبكرة في المعارك والأحداث التي واكبت نشوء المملكة، فكان له في كل ذلك خير إعداد لما تترس بعد من مهمات.

قام بأول زيارة له إلى بريطانيا، كممثل لوالده، في تشرين الأول ١٩١٩، ملياً الدعوة (كما لبّاه معه الشيخ أحمد الجابر الصباح الذي أصبح في ما بعد حاكماً للكويت) التي وجهت إليه كبادرة تقدير للموقف السعودي أثناء الحرب العالمية الأولى. وكانت رحلته الثانية (إلى الخارج) عام ١٩٢٦ عندما حاب انكلترا وفرنسا وهولندا وبلدانا أخرى، والثالثة عام ١٩٣٢ (وكان عبد العزيز قد عينه أول وزير خارجية للمملكة منذ ١٩٣٠) عندما رأس بعثة سعودية إلى معظم عواصم أوروبا، والرابعة عام ١٩٣٧ عندما شهد تتويج الملك جورج السادس، والخامسة عام ١٩٣٩ عندما مثل المملكة في المحادثات الخاصة بفلسطين التي عقدت في لندن. وفي تشرين الثاني ١٩٤٣، كانت زيارته السادسة لبريطانيا بصحبة أخيه الأمير (الملك في ما بعد) خالد. وأجرى الأميران محادثات في وزارة الخارجية البريطانية.

الاهتمام بالتعليم العالي ومعاهد المعلمين ومجانبة التعليم ومكافحة الأمية والتعليم الفني المتوسط، وجرى تخصيص رواتب شهرية تراوح بين ١٠٠ و ٣٠٠ ريال سعودي للتلميذ الواحد. كما قام الملك سعود بإهداء عشرة قصور ملكية في محلة الرويس لوزارة المعارف وسميت «مدينة الملك سعود العلمية»، ثم أنشئت جامعة الملك سعود في الرياض وهي أول جامعة على مستوى المملكة (١٩٥٧)، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة (١٩٦١). وفتحت أول مدرسة لتعليم البنات في ١٩٦١. وفي مجال الصحة العامة، أسس الملك سعود المستشفيات في أنحاء المملكة، وأنشأ الحجر الصحي (١٩٥٦)، والمستشفى المتنقل في البادية.

خارجياً، عقد الملك سعود معاهدة عسكرية مع مصر (١٩٥٥)، ثم ابتعد عن السياسة المصرية، واتهمته القاهرة بتمويل مؤامرة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر. زار القاهرة رسمياً في ٣١ آب ١٩٥٩، واشترك في مؤتمر القمة العربي الأول (١٩٦٤).

تنحى عن العرش في مطلع تشرين الثاني ١٩٦٤، وسافر إلى الخارج؛ ثم أقام في القاهرة من أواخر ١٩٦٦ وحتى وفاته في ١٩٦٩ (راجع «النبتة التاريخية»).



الامير فيصل يوقع ميثاق الامم المتحدة ومعه الولد السعودي المؤلف من الامير لهد بن عبد العزيز، والامير صيدا الله الفيصل، والامير لواف بن عبد العزيز والسيد علي رضا.

وزير الخارجية السعودية الامير فيصل يلقي كلمته في الامم المتحدة.



وعلى رغم اعتبار هذه الزيارة إلى لندن (تشرين الثاني ١٩٤٣) ناجحة، فهي تعد قليلة إذا قورنت بالزيارة التي قاما بها إلى الولايات المتحدة قبل شهر واحد (تشرين الأول ١٩٤٣). فعشية وصولهما إلى واشنطن عاملهما الرئيس روزفلت معاملة رؤساء الدول، وأقام لهما حفلة استقبال رسمية في البيت الأبيض. وركز الأميران، في مباحثتهما وأحاديثهما، على النقاط الرئيسية في برنامجهما السياسي، مثال ذلك أهمية تأمين الاستقلال التام لسورية ولبنان واقتراح إقامة «الولايات المتحدة العربية» التي كان يفترض أن يكون والدهما زعيمًا لها. وعلى الرغم الجهود المبذولة للتقليل من أهمية المشكلة الفلسطينية التي كانت بالغة الحساسية في ذلك الحين، فقد أوضح الأمير فيصل الموقف السعودي من المسألة مركزاً على أن «اليهود، أو بالأحرى الصهيوينيين هم الذين يتسببون بخلق جميع المصاعب، وطالما نجحوا في تحقيق أهدافهم فستبقى المشاكل قائمة دائماً».

ومما كان له أهمية خاصة، إبان هذه الزيارة للولايات المتحدة، الاهتمام الذي أبداه الأمير فيصل في شأن الاتحاد السوفياتي خلال محادثاته. ففيما أظهر فيصل تفهماً للحاجة إلى الدعم السوفياتي في الحرب الدائرة ضد ألمانيا، حذر في الوقت نفسه من التبعات المحتملة البعيدة المدى لمثل هذه المساعدة. وإذا توقع فيصل التوسع السوفياتي في الأرض وانتشار الشيوعية في أعقاب هزيمة الألمان، فإنه كان ايضاً بين الأوائل الذين استشفروا الملامح البارزة لفترة الحرب الباردة التي تلت.

إلا أن مسألة تعزيز التحالف بين العربية السعودية والولايات المتحدة طغت على المسائل الأخرى خلال زيارة الأميرين. ويعود تاريخ هذا التحالف إلى عام ١٩٣٣ عندما فازت شركة «ستاتيت أوويل كومباني أوف كاليفورنيا» بأول امتيازاتها النفطية السعودية، ثم عندما عثر على مخزونات نفطية ضخمة في المنطقة الشرقية من السعودية (١٩٣٨)، وبدأت هذه العلاقات التحالفية ترسخ مع حاجة الولايات المتحدة إلى مزيد من النفط إبان الحرب من جهة، ومع ما شهدته السعودية من تراجع اقتصادي نتيجة هذه الحرب (العالمية الثانية) فتراجعت الإيرادات من الحج التي كانت لا تزال مصدر الدخل الرئيسي للمملكة إضافة إلى ما عانته البلاد من حالة جفاف وتعطل الواردات من الطعام والحاجات الضرورية الأخرى بسبب القيود على التجارة التي فرضتها البلدان المجاورة من جهة ثانية.

وبعد سنتين على هذه الزيارة، اتضح أنها مهدت

الطريق للحظة التاريخية التي شهدت الاعتراف بالملك عبد العزيز، في شباط ١٩٤٥، كرجل دولة عالمي عندما سافر إلى مصر لعقد محادثات مع روزفلت وتشرشل. وفي السنة نفسها، رأس وزير الخارجية، الأمير فيصل، البعثة التي مثلت المملكة في مؤتمر تأسيس منظمة الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الاميركية.

وعندما تأسس مجلس الوزراء السعودي (١٩٥٣)، اختير فيصل نائباً لرئيس مجلس الوزراء. وعند وفاة عبد العزيز بعد ذلك بأسابيع أصبح فيصل ولياً للعهد. وكان تسلمه العرش، في تشرين الثاني ١٩٦٤، فاتحة السيل نحو الخطوات الأساسية لتحديث المملكة وإحياها بركب الحضارة. وكان فيصل قبل ذلك بعامين قد أعلن مبادئه العشرة التي ارتبطت تاريخياً ببرنامجه في الحكم (راجع «البنية التاريخية» و«معالم تاريخية»).

في ٢٥ آذار ١٩٧٥، اغتال أحد أفراد العائلة المالكة الملك فيصلاً لدوافع لم يكشف النقاب عنها بعد. والتحليل السياسي الأبرز لحادثة الاغتيال هذه، الذي انتشر على نطاق واسع جداً، عربياً ودولياً، صحافياً وأحاديث الخاصة والعامة، هو الذي ربط بين حادثة الاغتيال والموقف الصلب الذي كان يتخذه الملك فيصل من القضية الفلسطينية على وجه العموم وقضية القدس التي كان يصر على عروبتها على وجه الخصوص. فكان لا ينفك يردد انه لن يرتاح له بال إلا حين يصلي في القدس.

لعب الملك فيصل واحداً من الأدوار الكبرى في التاريخ السياسي للمملكة والمنطقة الشرق الاوسط في تلك السنوات الحافلة، بعد ان لعب طوال نحو ثلاث قرن دوراً كبيراً في المجال الدبلوماسي، ليس فقط بوصفه وزيراً للخارجية السعودية، بل ايضاً بوصفه واحداً من مهندسي وصانعي السياسة الخارجية العربية بشكل عام.

* خالد بن عبد العزيز آل سعود، الملك (١٩١٣-١٩٨٢): ولد في الرياض. تلقى تعليمه في المدارس القرآنية في المملكة، ولم يتلق أي تعليم في الخارج بخلاف العديد من إخوته. وعندما أصبح في الرابعة عشرة من عمره، أرسله والده عبد العزيز إلى الصحراء ليمثل الدولة لدى قبائلها ويستمع إلى شكاواهم ومظالمهم. وكان يرتاح إلى حياة الصحراء وتولييه مختلف قبائل المملكة ثقة فائقة. وقد ساعد والده في عدة مهمات خلال الكفاح من أجل توحيد البلاد، وأصبح حاكم الحجاز (١٩٣٢)، ثم وزيراً للداخلية (١٩٤٣)، وكانت له اهتمامات بالزراعة.



الملك خالد بن عبد العزيز.

الملك»، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٧٣-٧٤.

«وكانت أمه تتمتع بشخصية قوية مما كان لها الأثر الكبير في تربية أبنائها. ويذكر ان هذه السيدة القادرة الجلييلة ظلت حتى وفاتها سنة ١٩٦٩ تداوم على جمع أبنائها يوميًا حولها وتسدي إليهم النصيح والتوجيه. كما انها حرصت على دفعهم نحو العلوم الحديثة العصرية الأمر الذي أهل الملك فهد وأخوته الستة إلى تبوؤ مراكز أساسية في الدولة» («موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٤، ط ١، ١٩٩٠، ص ٦١١).

وكان فهد قد تلقى علومه الأولية في المدرسة التي أنشأها والده الملك عبد العزيز لتعليم أولاده (مدرسة الأمراء في الرياض)، ثم التحق بالمعهد العلمي السعودي (في مكة المكرمة) الذي يولي التعليم الديني وعلوم اللغة العربية اهتمامًا كبيرًا، ثم تلقى دراسات مختلفة في الخارج إلى جانب قيامه برحلات زار خلالها معظم دول أوروبا وآسيا وأفريقيا والولايات المتحدة.

أوفده والده، الملك عبد العزيز، إلى الخارج في مهمات رسمية عديدة وعهد إليه في كثير من الأحيان أن

ترك خالد البلاد لأول مرة في ١٩٣٩ ليشترك مع أخيه فيصل، في مؤتمر لندن حول فلسطين، ثم اصطحبه فيصل إلى الولايات المتحدة وإلى عدد من البلدان الأوروبية (راجع «فيصل...»، أعلاه). ولكنه عاد إلى المملكة، وفضل الاهتمام بأوضاع البدو، وتحديدًا بمشاريع استصلاح الصحراء من خلال استخدام المياه الجوفية. وفي الرياض كرّس وقته لأعمال الخير والاحسان. وساعده في ذلك شخصيته المتواضعة ومنطقه الهادئ وسمعته المحبة التي جعلت منه وسيطًا دائمًا في الخلافات التي تبرز أحيانًا داخل العائلة المالكة. عين نائبًا لرئيس مجلس الوزراء ووليًا للعهد (١٩٦٢).

حين تُودي بفيصل ملكًا أصبح خالد وليًا للعهد. ثم ارتقى العرش بعد مقتل فيصل (١٩٧٥)، فاختر الملك خالد الأمير فهد وليًا للعهد ونائبًا أول لرئيس مجلس الوزراء كما عين الأمير عبد الله نائبًا ثانيًا لرئيس مجلس الوزراء ورئيسًا للحرس الوطني.

انتهت خطة التنمية الخمسية الثانية في عهده وكانت ركزت على تنويع القاعدة الاقتصادية. كما عقد في عهده مؤتمر القمة الاسلامي التاريخي في الطائف ومكة (١٩٨١)، وفي السنة نفسها وقع بالأحرف الأولى على تأسيس مجلس التعاون الخليجي.

ألف الملك خالد وولي العهد فهد فريق عمل، وأنيطت بولي العهد الأعمال الادارية. وكانت حركتها التطور الصناعي والتزوي سائرتين قدمًا حين توفي الملك خالد (حزيران ١٩٨٢)، وكان أصيب أكثر من مرة بنوبة قلبية.

* فهد بن عبد العزيز آل سعود، خادام الحرمين الشريفين الملك (١٩٢٤-): ملك المملكة العربية السعودية الحالي. ولد في مدينة الرياض في كنف والده مؤسس المملكة.

«كان الفهد معروفًا منذ طفولته بالهدوء والاتزان والبعد عن هو الاطفال والميل إلى الصمت والتفكير وإجادة الاصغاء والاستماع والاهتمام بما يدور من حوله رغم صغر سنه، وقد لاحظ الملك عبد العزيز في ولده فهد تلك المناقب فقربه منه وأجاز له حضور مجلسه الخاص حيث كان يجتمع إلى ابنائه الكبار في السن ورجال دولته مما أكسبه خبرة في مختلف الأمور السياسية والادارية التي كانت تبحث في مجلس الوالد وطريقة معالجتها واتخاذ ما يلزم بشأنها...» (عادل رضا، «فهد بن عبد العزيز الانسان



خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز.

ينوب عنه في حضور بعض المناسبات الداخلية وبخاصة الاجتماع إلى رؤساء القبائل وأعيان البلاد، وقد أكسبه ذلك خبرة واسعة في شؤون القبائل وأهل البادية بدت نتائجها الايجابية في ما بعد عندما تولى وزارة الداخلية (١٩٦٢). وكان، قبل وزارة الداخلية، عين وزيراً للمعارف عند إنشائها في ١٩٥٣. وعين نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء في ١٩٦٧ علاوة على قيامه بمسؤوليات وزارة الداخلية، وقد أصبح يحكم هذا المركز يرأس جلسات مجلس الوزراء. ومن المهام المبكرة التي شارك فيها في عهد والده اختياره عضواً في وفد المملكة برئاسة الملك فيصل (وقد كان أميراً ووزيراً للخارجية) وذلك بمناسبة افتتاح هيئة الأمم المتحدة في نيويورك، كما رأس وفد بلاده إلى اجتماع جامعة الدول العربية في الدورة ٣٣ الاستثنائية في شتورا (لبنان، ١٩٦٠).

في ١٩٧٠، رأس فهد وفد المملكة إلى بريطانيا للمشاركة في المحادثات المتعلقة بمستقبل منطقة الخليج العربي بعد قرار بريطانيا الانسحاب من المنطقة، كما ترأس وفد المملكة إلى مؤتمر قمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) الذي عقد في الجزائر في ١٩٧٥، وقام بسلسلة من الزيارات لعدد من الدول العربية والإسلامية والصديقة.

في ٢١ شعبان ١٤٠٢ هـ (١٣ حزيران ١٩٨٢) بويع فهد ملكاً للمملكة العربية السعودية إثر وفاة الملك خالد، كما بويع الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولياً للعهد. وفي أول خطاب ملكي وجهه إلى المواطنين

في ١٩٧٠، رأس فهد وفد المملكة إلى بريطانيا للمشاركة في المحادثات المتعلقة بمستقبل منطقة الخليج العربي بعد قرار بريطانيا الانسحاب من المنطقة، كما ترأس وفد المملكة إلى مؤتمر قمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) الذي عقد في الجزائر في ١٩٧٥، وقام بسلسلة من الزيارات لعدد من الدول العربية والإسلامية والصديقة.

السعوديين بعد تسلمه مقاليد الحكم، قال: «إنني أشعر بعظم المسؤولية وثقل الأمانة التي شاء الله سبحانه وتعالى أن أحملها راجياً منه جلّ وعلا أن يعينني على حملها وأنني أعاهد الله ثم أعاهدكم بأن أكرس كل جهودي من أجل العمل على راحتكم وتوفير الرخاء والأمن والاستقرار لهذا البلد العزيز، وأن أكون أباً لصغيركم وأخاً لكبيركم فما أنا إلا واحد منكم يؤلني ما يؤلكم ويسرني ما يسركم» (عادل رضا، المرجع المذكور أعلاه، ص ١٦١).

وفي طليعة ما يسجل للملك فهد من إنجازات في الفترتين، فترة ولايته للعهد وفترة عهده، أنه قائد، سياسة فضّ المنازعات الاقليمية العربية وتشجيع سياسة التضامن العربي والاسلامي، فسعى منذ العام ١٩٧٥ إلى تحسين العلاقة مع العراق واليمن الجنوبية بعد ان كانت علاقة السعودية بهذين البلدين محكومة بتأزمات قديمة، دون ان يهمل تطوير العلاقة مع كل من سورية واليمن الجنوبية. كما حافظت السعودية على علاقة متطورة بالنسبة إلى القضية الفلسطينية وذلك بمواصلة دعمها لمنظمة التحرير الفلسطينية على مختلف الصعد. وقد استطاع فهد أن يتجاوز الازمات التي نشأت في ١٩٧٩ سواء تلك المتمثلة في منطقة المسجد الحرام أم في المناطق الشرقية من المملكة. وإذا كان الملك فيصل قد افتتح عهده ببناء المملكة السعودية الحديثة فإن الملك فهد، ومنذ اعتلائه العرش، وضع المناهج الرئيسية لانمام هذا البناء وفرض حضوره الداخلي والعربي والعالمي وإليه تعود تحديداً بلورة الاتجاهين الرئيسيين لتطور المملكة: الاول ويتصل ببناء القاعدة الصناعية وفق نظرة تسعى لتوسيع مشاركة كل أهالي البلاد في هذه العملية وجعلهم يستفيدون إلى أبعد مدى من الثروة النفطية، والثاني يقرم على بناء تجمع خليجي قروي في إطار مواجهة التطورات المحتملة، خصوصاً بعد أحداث أفغانستان والحرب الايرانية-العراقية.

وقد رسّخ الملك فهد سياسة الملك فيصل بالنسبة إلى قضية فلسطين وأهمية استعادة القدس مركزاً على الدور المتزايد للعامل البشري بوصفه من عوامل تقرير السياسات الدولية في المنطقة. وفي هذا السبيل اقترن أكثر من مبادرة ومشروع باسم الملك فهد حتى في الفترة التي كان فيها ولي عهد أهمها المشروع الذي اشتهر باسم «مشروع فهد» ثم صار يعرف رسمياً باسم «مشروع قمة فاس» بعد أن اقرت خطوطه الأساسية في مؤتمر القمة العربية في فاس ١٩٨٢ (راجع «النبتة التاريخية»). أما عن لقب «خادم الحرمين الشريفين» الذي

اقتضاه الملك فهد لنفسه فقد جاء بصددده في كتاب «أضواء على منجزات التنمية في المملكة العربية السعودية» (دار الأفق للنشر والتوزيع، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٥، ص ٥٧):

ألقى خادم الحرمين الشريفين خطاباً في حفل افتتاح مركز تلفزيون المدينة المنورة مساء الاثنين ٢٤ صفر ١٤٠٧ هـ الموافق ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٦ قال فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، يطيب لي أن أعلن لكم اليوم من مدينة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام عن رغبة ملحة تخامرني منذ شاء الله أن أتسلم زمام الحكم في وطني العزيز باستبدال مسمى صاحب الجلالة بلقب أحبه ويشرفني أن أحمله وهو خادم الحرمين الشريفين وسوف يعتمد هذا رسمياً منذ الآن في الخطاب وفي الكتاب وسوف تصدر من الديوان الايضاحات اللازمة لاستخدام الصيغة الجديدة».

وبعد خمسة ايام (أي في ٢ كانون الاول ١٩٨٦)، صدر توجيه ملكي من الملك فهد إلى ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني يطلب إحلال عبارة «خادم الحرمين الشريفين» محل عبارة صاحب الجلالة في كل الخطابات والمكاتبات وان يمنع استعمال كلمة «مولاي» أو كلمة «المعظم» أو أي عبارة أخرى تدل على التبجيل والتعظيم.

* عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، الأمير ولي العهد (١٩٢٤ -): عاش الأمير عبد الله، ككل أخوته، في ظل ورعاية والده الملك عبد العزيز. في ١٩٦٢، عين رئيساً للحرس الوطني فعمل على إعادة تنظيم وتطوير هذا الجهاز وتجهيزه بالعلم والصلاح المتقدم والتدريب والتأهيل وتزويده بالثقافة الدينية والعسكرية حتى أصبح، خلال عقدين، قوة لا يُستهان بها، فأثبت وجوده وكفاءته في كل مهمة كلف بها وخصوصاً في حرب الخليج الثانية.

وعُني الأمير عبد الله بإنشاء المستشفيات والمستوصفات في الحرس الوطني والمدن السكنية الخاصة لمُنسوبيه وتوفير الرعاية الصحية لأفراد الحرس الوطني وعائلاتهم.

وفي ١٩٧٥، عُين الأمير عبد الله نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء إلى جانب مسؤولياته كرئيس للحرس الوطني. وأصبح يحكم هذا المنصب برأس بعض جلسات مجلس الوزراء.

وفي ١٩٨٢، اختاره الملك فهد ولياً للعهد،



الامير ولي العهد عبدالله بن عبد العزيز.

السعودية»، إعداد إدارة الأبحاث والنشر بدار الأفق للنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ص ٥٩-٦٠؛ راجع كذلك «كرونولوجيا» في باب «النبذة التاريخية».

* سلطان بن عبد العزيز آل سعود، الأمير (١٩٢٨-): النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام. نشأ الأمير سلطان في رعاية والده الملك عبد العزيز. في ١٩٤٧، عينه عبد العزيز أميراً لمدينة الرياض. وعند تشكيل أول مجلس وزراء في المملكة عُين سلطان وزيراً للزراعة (١٩٥٣)، وكان أهم المشروعات التي عُني بها إذ ذاك هو مشروع توطين البادية الذي يعد أحد التوجهات الأساسية للدولة في خططها التطورية؛ وفي ١٩٥٥ عُين وزيراً للمواصلات، وفي ١٩٦٢ وزيراً للدفاع والطيران ومفتشاً عاماً. ومنذ ذاك التاريخ شهدت القوات المسلحة البرية والجوية والبحرية تطورات واسعة تهدف إلى إعادة تنظيمها وتحديث سلاحها وإنشاء الكليات والمعاهد والمدارس العسكرية في مختلف التخصصات (عن «أضواء على منجزات التنمية...»، المرجع المذكور أعلاه، ص ٦١-٦٢؛ وراجع كذلك «كرونولوجيا» في باب «النبذة التاريخية»).

وصدر أمر ملكي بتعيينه نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء إلى جانب رئاسته للحرس الوطني.

كان الأمير عبدالله دائماً العضد القوي والساعد الأيمن لأخيه الملك في تصريف شؤون الدولة وفي السهر والمتابعة لمشروعات التنمية الشاملة. وعلاوة على ذلك فله دور كبير وملحوظ في إنهاء الخلافات التي كانت تنجم بين الدول العربية وتقريب وجهات النظر بينها وخدمة القضية الفلسطينية وإيجاد الحلول للمشكلة اللبنانية بتوجيهات من أخيه الملك. وله أيضاً عناية خاصة بالجوانب الثقافية والاجتماعية، فقد تبنى إقامة مهرجان سنوي ثقافي واجتماعي في الجنادرية تحت اسم «المهرجان الوطني للتراث والثقافة» الذي تشارك فيه كل الفعاليات الثقافية والاجتماعية والتراثية من داخل المملكة، ويحضره جمع كبير من الأدباء والمثقفين والمفكرين من معظم البلاد العربية والإسلامية. وحرصاً منه على إحياء التراث والتقاليد العربية الأصيلة فقد أنشأ «نادي الفروسية» الذي يرعى رياضة الفروسية العريقة، حيث تقام السباقات اسبوعياً وشهرياً وسنوياً وذلك من أجل وصل ماضي المملكة بحاضرها (عن كتاب «أضواء على منجزات التنمية في المملكة العربية



الامير سعود الفيصل.

وزراء وشخصيات سياسية

* أحمد زكي اليماني (١٩٣٨-): ولد في الدمام. أتمّ تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية. نال رتبة (ب.ق.) بكالوريوس في القانون من جامعة القاهرة وLLM ماجستير في القانون من جامعة هارفرد. أشار في كتابه: «القانون الاسلامي والقضايا المعاصرة»، كراتشي ١٩٥٨، إلى ان ليس من معارضة بين الشريعة والأوضاع الحديثة. وأكد ان التقدم والنمو إنما يتمان عن طريق تطبيق الشريعة لا غير. وأوصى، انسجاماً مع آراء ابن قيم الجوزية القاضي الحنبلي البارز، أن الشريعة نظام قائم على أساس راحة الفرد في المجتمع في حياته اليومية وفي توقعاته في الحياة الأخرى. فالشريعة كما يرى «كلها عدل، وكلها رحمة، وكلها منافع».

وزير الثروة النفطية والمعدنية في حكومة الملك خالد، وأبرز وزراء النفط في الأوابك والأوبك.

* جميل مراد بارودي (١٩٠٥-١٩٧٩): دبلوماسي سعودي، لبناني المولد. ولد في سوق الغرب (لبنان) وتوفي في نيويورك. كان سفيراً للمملكة السعودية في الأمم المتحدة وعميد السلك الدبلوماسي في المنظمة الدولية. كان عضواً في الوفد السعودي إلى الأمم المتحدة (الذي كان برئاسة الأمير فيصل-الملك في ما بعد) في



الامير سلطان بن عبد العزيز.

* سعود الفيصل، الأمير: ابن الملك فيصل بن عبد العزيز. وزير الشؤون الخارجية. ولد في الرياض. درس في «هون»، وواصل تحصيله، وتخرج عام ١٩٦٥ بشهادة ب.ع. في الاقتصاد من جامعة برنستون الاميركية، وعمل مدة عشر سنوات نائباً عن الشيخ أحمد زكي اليماني في منظمة النفط والمعادن، ثم في وزارة الثروة النفطية والمعدنية، ثم وزير دولة للشؤون الخارجية (١٩٧٥) قبل ان يصبح وزيراً للخارجية في العام نفسه. ترأس وفد بلاده إلى عدد كبير من المؤتمرات العالمية والعربية. كلفه الملك خالد ببذل الجهود الدبلوماسية لحل النزاع الجزائري-المغربي حول الصحراء الغربية، والحرب الأهلية في لبنان. شارك في وفد بلاده إلى مختلف مؤتمرات القمة العربية منذ ان تولى وزارة الخارجية وأصبح شخصية سعودية وعربية معروفة وبارزة. لكن، لوحظ في السنوات الأخيرة تراجعاً في دوره ومهامه الخارجية، وبرز في أكثر هذه المهمات ولي العهد الأمير عبد الله، والنائب الثاني لرئيس الوزراء الأمير سلطان. ومن بين أبرز الأدوار العربية التي لعبها سعود الفيصل في آخر الثمانينات دوره التوفيق في «وثيقة الوفاق الوطني» اللبنانية المعروفة أيضاً بـ«اتفاق الطائف».

الاجتماع الاول عام ١٩٤٥ في سان فرانسيسكو، واشتهر بمواقفه الوطنية الحادة ضد الصهيونية ودفاعه عن سياسة المملكة العربية السعودية وعن القضايا العربية.

ومن المعروف ان البارودي لم يكن يتردد في الاصطدام مع الكثير من الوفود الغربية وفي أكثر من مناسبة وقد مُنح صلاحية واسعة من وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل لطرح أو اتخاذ الموقف الذي يريد دون الموافقة المسبقة من وزارة الخارجية. والجدير بالذكر انه كثيراً ما كان يستشهد في خطبه بأقوال للسيد المسيح وبكثير من كبار السياسيين وعظماء الغرب بهدف ترك أكبر الأثر في الغرب. ويمتاز أسلوبه بجرأة لا تتوافر عادة لدى الدبلوماسيين.

* حسن عبد الله آل شيخ (١٩٣٣-): ولد في مكة. تعلم على والده الشيخ عبد الله وأتم التحصيل الثانوي في مكة. نال شهادة (ب.ع.) في اللغة العربية والدراسات الإسلامية من كلية الشريعة في مكة. عينه والده عضواً في اللجنة التنفيذية القضائية في منطقة الحجاز (١٩٥٦-١٩٥٨)، وبعد وفاة والده (١٩٥٨) أصبح رئيساً لهذه اللجنة. في ١٩٦٢، عينه ولي العهد الأمير فيصل وزيراً للثقافة. وفي ١٩٧٥، عينه الملك خالد وزيراً للتعليم العالي. وإلى جانب منصبه الوزاري عينه الملك فيصل رئيساً للمجلس الأعلى لمركز أبحاث الملك عبد العزيز.

* سليمان عبد العزيز السليم (١٩٣٨-): أتم تحصيله الابتدائي والثانوي في البصرة بالعراق. تخرج برتبة (ب.ع.) في العلم السياسي في جامعة القاهرة ١٩٦٢ و(م.ع.) في العلاقات الدولية ١٩٦٦ في جامعة جنوبي كاليفورنيا، و(د.ف.) في القانون في جامعة هوبكنز ١٩٧٠.

عين بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية بمنصب مدير العلاقات الخارجية ١٩٦٢، وأصبح (١٩٦٣) عضواً في البعثة السعودية إلى مؤتمر الأمم المتحدة حول «تطبيق العلم والتقنية لمنفعة الدول الأقل نمواً». عين (١٩٦٨) موفداً إلى مؤتمر وزراء الشؤون الاجتماعية في الأمم المتحدة. عينه الملك خالد وزيراً للتجارة (١٩٧٥).

يذكر السليم في أطروحة الدكتوراه «التنظيم الدستوري والقضائي في المملكة العربية السعودية»: «إن الشريعة وافية بحاجة العالم المعاصر. وإنما المشكل في وجود في الاتصالات بين العلماء من جهة، والتقنيين والمفكرين من

جهة أخرى. وهؤلاء الآخرون يبدو أنهم غافلون عن فضل العلماء في الاستقرار والاستمرار في مجتمع تقليدي، ولا هم يتحسسون دائماً غنى القضاء الاسلامي. أما العلماء من جانبهم، فلم يعثروا بعد على الصيغة الصالحة لنقل هذه المناقب إلى المفكرين».

* عبد العزيز عبد الله الخويطر (١٩٢٧-): ولد في نجد. حصل الدروس الابتدائية والثانوية في العربية السعودية، والدكتوراه (د.ف.) في التاريخ في بريطانيا. رئيس مديرية الأشراف والمتابعة (١٩٦٥)؛ وبعد سنة عين نائب رئيس جامعة الرياض بقرار من وزير الثقافة. عين في ١٩٦٧، وزيراً للصحة في وزارة فيصل، وفي ١٩٧٥، أصبح وزيراً للثقافة.

* عبد الله محمد العمران (١٩٣٥-): أتم تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية، ونال شهادة (د.ق.) دكتور في القانون من الولايات المتحدة. شغل منصب مستشار قانوني لمجلس الوزراء بين ١٩٧٠ و١٩٧٥. عين وزير دولة في ١٩٧٥.

* علوي درويش كيال (١٩٣٢-): ولد في جدة. أتم التحصيل الابتدائي والثانوي في العربية السعودية. ونال شهادة الدكتوراه (د.ف.) من الولايات المتحدة في العلم السياسي. شغل بين ١٩٥٩ و١٩٧٠ منصب مدير عام البريد ثم وزير البريد والبرق والهاتف في وزارة فيصل وبقي كذلك في وزارة خالد (١٩٧٥).

* غازي القصيبي (١٩٤٠-): ولد في إقليم الحساء. أتم تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية. نال (LLB) بكالوريوس في القانون من جامعة القاهرة، و(م.ق.) في العلاقات الدولية من جامعة جنوبي كاليفورنيا، و(د.ف.) في العلاقات الدولية في جامعة لندن. في عام ١٩٦٥ انضم إلى جامعة الرياض محاضراً في العلم السياسي. ثم أصبح عميداً لكلية العلوم الادارية في الجامعة نفسها (١٩٧١). وفي ١٩٧٣، عين مديراً عاماً لمنظمة القطارات الوطنية السعودية برتبة نائب وزير. وبعد سنة عين رئيساً لحاكمية مرفأ الدمام. وعين في ١٩٧٥، وزيراً للصناعة والكهرباء.

* كمال أدهم: (١٩٢٩-): ولد في مكة

المكرمة. تلقى دراسته الثانوية في مصر، والعليا في جامعة كامبريدج في المملكة المتحدة. عمل مستشاراً سياسياً خاصاً للملك فيصل بن عبد العزيز منذ ان كان فيصل ولياً للعهد، واستمر في هذا المنصب حتى بعد اغتيال الملك فيصل وارتقاء الملك خالد العرش. كلف بمهام دبلوماسية دقيقة على الصعيدين العربي والدولي وكان من أبرز ممثلي السياسة الخارجية «الصامته» والمهادنة التي كانت تتبعها المملكة خاصة في عهد الملك فيصل. وعرف عنه، إلى جانب دوره السياسي والدبلوماسي، اهتمامه بالأعمال وتطويره لمصالح اقتصادية كبيرة خاصة في مجال النفط. ارتبط اسمه بالاتفاق النفطي السعودي-الياباني في المنطقة المحيطة على الحدود بين السعودية والكويت عام ١٩٥٨.

* محمد ابراهيم مسعود (١٩١٩-): ولد في جدة. أتمّ تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية. نال بكالوريوس في التجارة من الجامعة الوطنية اللبنانية. في ١٩٣٦-١٩٣٧، علّم في مدرسة الفلاح في جدة. في ١٩٤١، عين رئيس قسم في دائرة المعادن والأشغال العامة. في ١٩٤٣-١٩٤٨، عين رئيس دائرة التعمير في وزارة المالية. أصبح، في ١٩٥٨-١٩٥٩، وزيراً مطلق الصلاحية، ومفتشاً للسلك السياسي والقنصلي في وزارة الشؤون الخارجية. في ١٩٥٩-١٩٦١، أصبح وزيراً مطلق الصلاحية في السفارة السعودية في بغداد. شغل منصب سفير بين ١٩٦١ و ١٩٦٨، ومنصب نائب وزير الخارجية بين ١٩٦٨ و ١٩٧٥، وأصبح وزير بلا وزارة في حكومة الملك خالد.

* محمد أبو الخليل: ولد في نجد. نال درجة (ب.ع.) في التجارة عام ١٩٥٦ من جامعة القاهرة. عين، بين ١٩٥٦ و ١٩٦٢ مساعد مدير في مكتب وزير المواصلات ثم أصبح مديراً لهذا المكتب. في ١٩٦٢، كلفه

فيصل بإنشاء معهد للإدارة العامة في الرياض وكان رئيساً له (١٩٦٢-١٩٦٥). وفي ١٩٧٠ أصبح نائب وزير دولة للمالية والاقتصاد الوطني، ثم في ١٩٧٥ عين بوزارة الملك خالد وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني.

* محمد عبده اليماني (١٩٣٩-): ولد في مكة. أتمّ تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية. نال (ب.ع.) في العلم الطبيعي في الجيولوجيا من جامعة الرياض و(د.ف.) في الحقل نفسه من جامعة كورنل. حاضراً، في ١٩٧٢ و ١٩٧٣ في جامعة الرياض، وفي ١٩٧٣ أصبح نائب وزير الثقافة، وفي ١٩٧٤-١٩٧٥ تولى رئاسة جامعة الملك عبد العزيز. في ١٩٧٥، عين وزيراً للإعلام.

* هشام الناظر (١٩٣٢-): ولد في جدة. أتمّ تحصيله الابتدائي والثانوي في العربية السعودية، ثم في كلية فكتوريا في الاسكندرية. في ١٩٥٧، نال (ب.ع.) في العلاقات الدولية من جامعة كاليفورنيا، ونال (م.ع.) في العلم السياسي من جامعة كاليفورنيا في ١٩٥٨. في ١٩٥٩، عين مستشاراً في المديرية العامة لشؤون النفط والمعادن. وفي ١٩٦٠، عين مديراً عاماً للوزارة. وأصبح، في ١٩٦٨، رئيساً للمنظمة المركزية للتخطيط، وفي ١٩٧١، وزيراً بقرار من الملك فيصل، ووزيراً للتخطيط في ١٩٧٥.

عرفت عنه رغبته في الاستفادة من مستشارين أجانب، وأشهر فريق استشاري له هو معهد ستانفورد للبحث في كاليفورنيا الذي اعان في إعداد مسودة المخطط السعودي لخطة السنوات الخمس للتنمية، الأولى والثانية. كما عُرفت عنه آراؤه حول عدم وجود تعارض بين الاسلام والعصرنة، بل بالعكس، لأن التنمية الاقتصادية ينبغي ان تتحقق وتستمر لخدمة المجتمع الاسلامي.

Encyclopédie Historique et Géographique
Continents, Régions, Pays, Nations,
Villes, Sujets, Signes et Monuments

Tome XII

PAR
Massoud Khawand

تمّ طبع الجزء الثاني عشر
في تشرين الاول ١٩٩٨
وتليه الأجزاء الأخرى تبعاً
Ed. Octobre 1998

